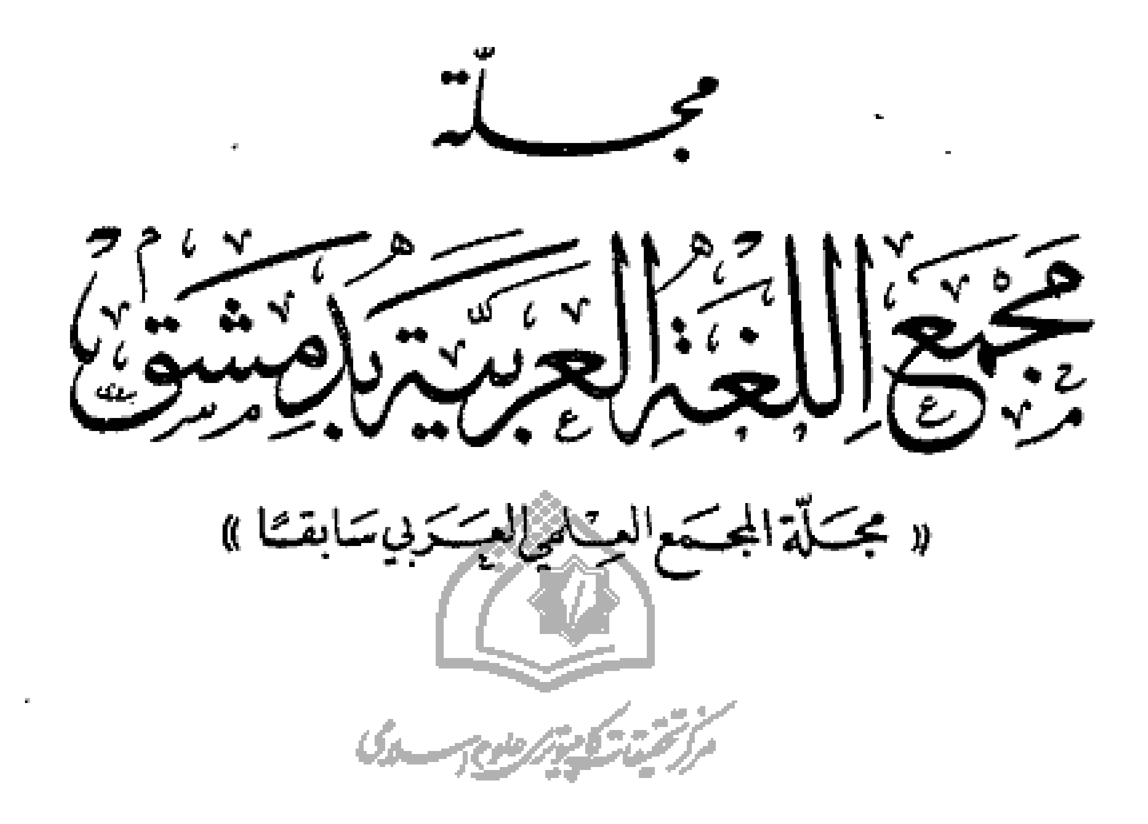
الجزء الأول ٣٧٩ المجلد الحادي والخمسون





المحــرم سنة ١٣٩٦ هـ
كانون الثاني سنة ١٩٧٦ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ميلاد الألفاظ

الأستاذ شفيق جبري

هل أبالغ في قولي إذا قلت لاتكاد تحضرني عبارة أفصح بها عن عبقرية الجاحظ ؟! ما أفسح الآفاق التي جال فيها ، أي أفق لم يسجل فيه ، أكان غريباً عن ميادين الفلسفة والعلم والأخلاق والعادات وما شاكل هذه الأبواب كلها ؟! أمّا في الأدب فهو السماء التي لاتطاولها سماء .

ولكني أتخطّى في هذا المقال كل ما أشرت إليه وأحبس الفكر على أمرٍ واحدٍ وهو ميلاد الألفاظ ، فقد نقل في كتاب البخلاء حديثاً عن طاهر الأسير حدّثه به ، قال : « وممّا يدلّ على أن الروم أبخل الأمم أنّك لاتجد للجود في لغتهم اسماً ، يقول : إنما سمّى الناس مايحتاجون إلى استعماله ومع الاستغناء يسقط التكليف » .

إني أرى في هذه العبارة الوجيزة إشارةً إلى ميلاد الألفاظ ، قد يجوز أنّ الجاحظ لم يتوسع في هذا الباب توسّع علماء اللغة في عصرنا ، فلم يذكر كيف تولد الألفاظ ، أي كيف تولد أسماء المسمّيات التي يحتاج إليها الناس ، ولكنّ فطنته إلى أن الناس يسمّون مايحتاجون إليه تدل على فطنته إلى ميلاد الألفاظ ، فلا تولد الألفاظ إلاّ إذا احتاج الناس إلى استعمالها ، فما أكثر الأمور ، وما أكثر الأفكار الحديثة التي تعرض لنا

في مجرى الحياة وتكون جزءاً من تفكيرنا العام ! ولكن كيف السبيل إلى الإفصاح عن هذه الأمور وهذه الأفكار ؟ لاريب في أن اللغة تلجأ في هذا كله إلى ألفاظ حديثة ولكنها في أغلب الأحوال تكتفي بإطلاق لفظة قديمة على معنى حديث أو أمر جديد . وفي لغتنا العربية شواهد كثيرة على هذا الموضوع ، فالألفاظ الإسلامية مثلاً لم يكن لها قبل الإسلام المعنى الذي أطلقه عليها الإسلام ، ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد في هذا الباب ، فهذه الألفاظ معروفة وقد دلّ عليها علماء اللغة . وما يقال في الألفاظ الإسلامية يقال في ألفاظ كثيرٍ من العلوم كالنحو والفلسفة وعلم الاجتماع وعلوم الطبيعة وغيرها ، فاللغة العربية لمّا احتاجت إلى بعض المعاني الحديثة أطلقت ألفاظاً قديمة على هذه المعاني .

ولتوليد الألفاظ التي تدل على المعاني الحديثة مذاهب بيّنها علماء لغة الافرنجة يحتاج التبسط فيها إلى مقال غير هذا المقال ، فالألفاظ في اللغة عرضة في كل زمنٍ للميلاد والموت ، فقد تولد اللفظة إذا أطلقها الذهن على فكرة جديدة ، وتموت هذه اللفظة إذا لم يجد الذهن وراءها صورة أو فكرة ، وإذا كان في اللغة ألفاظ كثيرة لم تتغير معانيها من أول نشأتها فهي لاتزال تدل على كل الأفكار وعلى كل الأمور المجرّدة أو المحسوسة أو على كل كائنات العوالم الثلاثة : عالم الحيوان وعالم النبات وعالم المعادن ، أو على أنواع نشاط الإنسانية ، إلى آخر ذلك . إذا كان في اللغة ألفاظ كثيرة من هذا النمط حافظت على أوائل معانيها وعلى وحدة اللغة فإن عوامل كثيرة تعمل على تغيير معاني الألفاظ ، وتاريخنا لايخلو من هذه العوامل من أوّل نشأته حتى يومنا هذا ، فقد تكون العوامل دينية أو أدبية أو سياسية أو علمية

جديدة استلزمت ألفاظاً تدلّ عليها ، وشهدت علوماً جديدة ، ومذاهب جديدة ونِحلًا جديدة ، وحروباً وغير ذلك ، فكل هذه الأمور قد أدّت إلى إحداث ألفاظ أو إلى نقل معاني الألفاظ من معنى إلى معنى .

أما كيف تحدث هذه التغييرات كلها ، وما هي أسبابها النفسية والأدبية وكيف تدل الألفاظ الحديثة أو المعاني الحديثة في لغةٍ من اللغات ، أما هذا كله فإنه يرجع إلى ميلاد الألفاظ .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٢٩ -

الدكتور حسني سبح

١٠٢٨٤ قَدَمٌ كَبْساء — 10284 pied creux

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة قدم خَمْصاء، وجاء في الشرح: وهي المقوّسة.

١٠٢٨٦ قَدَمٌ مَفْلوجَة أو مَشْقوقة — 10286 pied fourchu

وأفضل قدم مُتَفَلِّحة[١].

١٠٢٨٨ قَدَمُ سُوَيْقَة المخّ — 10288 pied du pédoncule cérébral

والجزء البطني من السويقة المخية، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢].

---

(١) في لسان العرب: ورجل مُتَفَلِّح الشَّفة واليدين والقدمين، أصابه فيها تشقق من البرد.

(٢) (ventral portion of crus cerebri)

١٠٢٨٩ قَدَمٌ مَسْحاء 10289 pied plat

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : القَدَم الرَّحَّاء وجاء في التعريف : قدم رَحّاء وصاحبها أرَحّ وهو انخفاض قوس القدم ، وكلاهما صحيح (١) .

١٠٢٩٠ قدم مَسْحاء مُنْخَمِصة 10290 pied plat affaissé

وأفضل قَدَمٌ مَسْحاء أو رَوْحاء هابطة .

١٠٢٩١ قَدَمُ الخَنْدَق 10291 pied de tranchée

وَعَضَّة الماء وركود القدم والصَّقيع الموضعي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢).

١٠٢٩٢ قَدَمٌ فَحْجاء 10292 pied valgus

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الحَنَف الصدفي وجاء في التعريف : تشوه في القدم فيه ينقلب الأخمص للوحشية بالنسبة للخط الوسطي للساق ، وفيه يمشي المصاب على الحرف الإنسي للقدم .

١٠٢٩٣ قَدَمٌ رَوْحاء قَفْداء 10293 pied varus équin

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة: الحَنَف الأنخسي القَفَدي(٣).

---

(١) في لسان العرب : وقدم رَحّاء مستوية الأخمص بصدر القدم حتى لا يمس الأرض ، ورجل أرح أي لا أخمص لقدميه كأرجل الزنج ، ورجل أمسح القدم والمرأة مسحاء إذا كانت قدمه مستوية لا أخمص له .

(٢) (water-bite, foot stasis, local frigorism).

(٣) الصفحة ٧٣٦ من المجلد الخمسين من هذه المجلة .

10295 pie-mère cérébrale — ١٠٢٩٥ أُحتنونٌ دماغية

10296 pie-mère rachidienne — ١٠٢٩٦ أمُحتنون نخاعيّة شَوْكية

10297 Piemérien, enne — ١٠٢٩٧ أُحتنوني

وأرجح الأم الحنون الدماغية في الأولى والأم الحنون النخاعية الشوكية في الثانية وبأم الحنون في الثالثة(١).

10299 Pigment — ١٠٢٩٩ صِباغ ، صِبْغ

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة: خضب (بدون شكل) وجاء في الشرح : مسحوق لايذوب في الماء تختلف ألوانه ، يخلط بالزيت ثم تدهن به الحوائط والأبواب وغيرها .

أقول إنه خطأ مطبعي ، والصَّحيح الخضاب ، والخضب غير ذلك وأفضل الصباغ (٢) .

10300 pigment (manque de) — ١٠٣٠٠ الصباغ (فَقْد)

نقص الصباغ أو فَقْده ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣).

---

(١) الصفحة ٢٩٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في لسان العرب. الخِضاب مايخضب به من حناء وكَتم ونحوه. وفي الصحاح الخضاب ما يُخضب به ، واختضب بالحِناء ونحوه ، وخضب الشيء يخضبه خَضْباً وخضَّبه غيّر لونه بحُمرة أو صفرة أو غيرهما .

والخَضْب الجديد من النبات يصيبه الماء فيخضر، وقيل الخَضْب ما يظهر في الشَّجَر من خُضْرة عند ابتداء الايراق وجمعه خُضوب .

(٣) (atrophy or disappearance of pigment) .

١٠٣٠٢ صِباغ الشَّحْم المُلوَّن 10302 pigment lipochrome

وفي المعجم الأصلي d'usure أي pigment d'usure.

وفي ترجمته الانكليزية: lipochrome pigment, wear and tear pigment, lipofuscin وقد أهملت اللجنة هذا الأخير.

أرجح: صِباغ الشَّحم أو الصِباغ الشَّحمي صِباغ البِلى أو التَلَف، والشَحْم القاتم لأن ما تعنيه اللفظة: أي مادة شحمية أو ما هي على شاكلتها تحوي صباغاً أو مادة ملونة تتكون من الشحوم الطبيعية كمح البيض، ويطلق شحم البلى والتلف على بعض الأصبغة كالهموفوسين (hemofuscin) والهموسيدرين (hemosiderin) والصباغ الشحمي المشاهد بمقادير متزايدة في نُسج الطاعنين في السن[١].

10303 pigment mélanique, mélanine

١٠٣٠٣ صِباغ قَتَاميني، قتامين

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة: ميلانية تعريباً[٢].

١٠٣٠٤ صِباغ تَنَفُّسي 10304 pigment respiratoire

والصِباغ من منشأ هموغلوبيني كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي[٣].

١٠٣٠٧ مُصْطَبِغ 10307 Pigmenté, ée

---

(١) لفظتا pigment ,lipochrome في معجم بلاكستون Blakiston's New Gould Medical Dictionary.

(٢) الصفحة ٦٦٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة.

(٣) (hamoglobinogenes Pigment).

ومُخَضِّب كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة[١].

١٠٣٠٩ بَلْعَمة الصباغ 10309 Pigmentophage

بَلْعَم الصباغ كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة[٢] لتخصيص البلعمة لِ(phagocytose) وبلعم اللون أو بالعة اللون كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣].

١٠٣١٠ شَعْري 10310 Pilaire, pileux, euse

وشُعَيْري (نسبة إلى الشعيريات أي العروق الشعيرية) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٤].

10311 Pile hydroélectrique

١٠٣١١ زُقَيْبة كهرمائية (كهرباوية ، مائية)

10312 pile sèche, élément sec

١٠٣١٢ زُقَيْبة جافـــة ، عُنْصر جاف

سبقت الملاحظة على هاتين اللفظتين[٥].

وأرجح بيل أو بطارية كهرمائية (كهربائية مائية) تعريباً في اللفظة الأولى وعُنْصُر كهربائي جاف أو خلية كهربائية جافة كما جاء في

(١) الصفحة ٩ من هذا الجزء.

(٢) الصفحة ٧٢٦ من المجلد الخمسين من هذه المجلة .

(٣) (chromophage) .

(٤) (capillary, pilar, pilary) .

(٥) الصفحة ٢٩٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١] ولا أرى لفظة زُقْبة تفي بالمعنى المطلوب[٢].

10321 pilules de Blaud, pilules de carbonate ferreux

١٠٣٢١ حُبُوبُ بْلود ، حُبوب فَحمات الحديد

وأرجح حبوب كربونات الحديد في الثانية[٣].

10322 pilules glutinisées (pour absorption intestinale)

١٠٣٢٢ حُبوبُ مُغَرْوَنة (الامتصاص المعوي)

وأفضل حبوب غلوتينية أو ملبَّسة أو مَطْلية بالغلوتين (للامتصاص المعوي) .

10325 pin sylvestre (essence de)

١٠٣٢٥ الصَّنَوبَر الحِرْجي (عطر أو روح)

صَنَوْبَر حَرَجي (عِطر أو دهن) كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

10326 Pince, agrafe

١٠٣٢٦ مِنْقاش ، مِشْبَك

وأرجح مِلْقَط ، مِنقاش ، مِشْبَك

10333 pince à creusets

١٠٣٣٣ مِلْقَط للبُوطات

و مِلْقَط للبُوتَقات أو البوطات .

10334 pince à disséquer à griffes

١٠٣٣٤ مِنقاش سَالِخ ذو مَخالب

---

(١) (dry cell, dry pile or element) .

(٢) في تاج العروس : والزقبة بالضم الكومة من الدراهم وغيرها .

(٣) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

10335 pince à disséquer sans griffes

١٠٣٣٥ مِنقاش سَلْـــخ بلا مَخالب

وأرجح مِلْقَط سَلْخ أو تسليخ[١] ناشب أو ذو أظفار أو مُسَنَّن أو ذو كلاليب[٢] كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣] في اللفظة الأولى ، و ملقط تسليخ بلا كلاليب أو مِلْقط تسليخ كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٤] في اللفظة الثانية .

١٠٣٣٦ مِلْقَط الأشواك ، مِنْتاش[٥] 10336 pince à échardes

وأرجح مِنْقاش[٦] ومِنْتاش (للشوك) .

10337 pince pour extraction de corps étrangers

١٠٣٣٧ مِلْقَط لاستخراج الأجسام الغريبة

وأرجح مِنْتاش .

١٠٣٣٩ مِفَتّ 10339 pince - gouge

---

(١) الصفحة ٦٠٠ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٠٥ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (hooked, toothed, volsella, vulsellum volsellum, forceps) .

(٤) (dissecting forceps) .

(٥) في لسان العرب : ونتشتُ الشيء بالمنتاش أي استخرجته .

(٦) في لسان العرب : ونَقَش الشوكةَ ينقُشُها نَقْشاً وانتقشها أخرجها من رِجْله .

وأرجح مِقراض أو مِقْراضان أو جَلَمان[١]

10340 pince hémostatique, pince à forcipressure, Kocher

١٠٣٤٠ مِنْقاش رقوء ، مِلْقط ضاغط

منقاش كوهر

وأفضل مِلْقط رَقُوء ، مِلْقط كوخر (كما يلفظ بالألمانية) الضاغط ، ومِلْقَط سبنسر ولز ومِلْقط الشريان كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢].

10341 pince à langue

١٠٣٤١ مِلْقَط لِسان

مِلْقط اللِّسان وملقط لابورد للسان ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣].

10342 pince de Mohr

١٠٣٤٢ مِلْقَط مُور

وراص الأنبوب[٤] وراص الرقاقات كما جاء في الترجمة الانكليزية

(١) في تاج العروس : قَرَضه يقرِضه قرضاً قطعه . والمِقراض أحد المَقاريض هكذا حكاه سيبويه بالافراد وهما مقراضان تثنية مِقراض،وقال غير سيبويه من أئمة اللغة المقراضان الجَلَمان . الفتّ : الدَقّ ، فتّ الشيء يفتّه فتاً وفتّته دقّه، ويقال الفت الكسر وخصه بعضهم بالأصابع . الفت أن تأخذ الشيء باصبعك فتصيره فتاتاً أي دقاقاً .

(٢) (hemostatic forceps, Spencer Wells forceps, artery forceps)

(٣) (Laborde's tongue forceps) .

(٤) وهو الملقط الذي يرص انبوب المطاط ويضغط به لتنظيم مرور السائل فيه ،

من المعجم الأصلي[١] .

١٠٣٤٥ مِلْقَطٌ لحاملة المادة — 10345 pince pour porte-objets

والصحيح مِلقَط الصفيحة أو الشَريحة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢] . وكما ورد في معجم لاروس في تعريف (porte - objets)[٣].

10346 pince à roulette de Knapp (opht.)

١٠٣٤٦ مِلقط ِكناب ذو الدولاب (عينية)

والصحيح مِلْقط ناب (كما يلفظ في الانكليزية) ذو الصفحة الدارجة أو المتحركة ، كما جاء في معجم دورلاند[٤] وكان يستعمل في عصر حبيبات الرمد الحُبيبي (التراخوما) .

١٠٣٤٧ مِلْقَط لأنابيب التَجْرِبَة — 10347 pince pour tubes à essai

وحامل أنابيب التجربة أو الاختبار ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٥] .

١٠٣٤٩ فِرجَوْن فَرادي — 10349 Pinceau faradique

---

(١) (pinch-cock, pinch-chip).

(٢) (slide forceps) .

(٣) الصفيحة (lame) التي يوضع عليها مايراد فحصه بالمجهر .

(٤) (Dorland's Illustrated Medical Dictionary) .

(٥) (test-tube holder) .

وأرجح فرشاة أو ريشة فارادية ، لأنها تشبه ريشة الرسام ، ولفظة فارادي سبق للجنة إن رسمتها بالألف (اللفظة ٥٥٤٦) .

١٠٣٥٢ قارص (ألم) — 10352 Pincement (douleur)

وأفضل لاذِع .

١٠٣٥٥ وَرَمٌ صنَوْبَرِي — 10355 Pinéalome

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : ورم الصنوبرية وهو الأفضل لأن اللفظة تعني النسبة إلى الغدة الصنوبرية .

١٠٣٥٧ مِمَصّ — 10357 Pipette

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ماصّة (ممص) .

١٠٣٥٨ مِمص ذو حَبابَة — 10358 pipette à boule

وأرجح ممص ذو انتفاخ (في منتصفه) ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1] وسبق للجنة أن استعملت حَبابة ترجمة لِ (ampoule) اللفظة (٦١٧).

10362 pipette graduée ou jaugée

١٠٣٦٢ مِمَصّ مُدَرَّج أو متكيل

وأفضل مِمَصّ مُدَرَّج أو معايَر .

١٠٣٦٣ مِمَص باستور — 10363 pipette Pasteur

وأرجح مِمَص بَسْتور .

---

(١) (pipette with a spherical bulb midway) .

10364 pipette de précision

١٠٣٦٤ مِمَصّ مضبوط العيار
وأرجح دقيق الضبط .

10366 pipette à un trait

١٠٣٦٦ مِمَصّ بخط واحد
وأرجح بإشارة واحدة .

10367 Piquant, ante, pongitif, ive

١٠٣٦٧ شائك ، لادِغ ، لاسِع
وأفضل واخِز ، غارِز .

10370 piqûre anatomique ou d'autopsie

١٠٣٧٠ وَخْزَةٌ تشريحية
وأرجح وخزة التسليخ أو جُرح التسليخ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١) ووخزه فتح الجثة أو جرحه وقد أهملتها اللجنة .

10371 piqûre diabétique

١٠٣٧١ وَخْزَةُ داء سُكَّري
وأفضل وخزة الداء السكري ووخزة برنار ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢) .

10373 Piroplasmose hémoglobinurique (vét.)

١٠٣٧٣ داءُ الكمثريات ذو البيلة اليحمورية (بيطرة)
وأفضل داء البلازميات الكمثرية (لا الكمثريات) ذو البيلة

---

(١) (dissection wound) .

(٢) (diabetic Bernard's puncture) وهي التي أجراها كلود برنار في قاع البطين الرابع في الحيوان وأحدثت بيلة سكرية .

الهموغلوبينية (١) .

١٠٣٧٤ ضَرْع 10374 Pis

وخِلْف أيضاً .

١٠٣٧٦ هِندِباءٌ بَرِّيَّة 10376 Pissenlit

طَرَخْشقون في معجم الألفاظ الزراعية ، وذكر من اسمائها الهندباء البرية .

١٠٣٧٨ شَفْشَفَ 10378 Pissoter

اللفظة الفرنسية عامية كما جاء في معجم لاروس ، وما تعنيه هو تواتر البول بمقادير قليلة ، بينما الترجمة الانكليزية الواردة في المعجم الأصلي (to dribble urine) تدل على سيلان البول قطرة قطرة . ولا أرى لفظة شَفْشَف تفي بالمعنى المطلوب لالتباسها بمعنى طبي آخر(٢) وأرجح لفظة شَغَّى ببوله أو أشغى به أي قطره قليلاً قليلاً ، والاسم الشَّغا والشَّغْية ، ونَطَف بالبول(٣).

(١) الصفحة ٨٢ من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة .

(٢) في القاموس المحيط : والشَفشَفة الارتعاد والاختلاط والنضح بالبول وذر الدواء على الجرح وتشويط الصقيع نبْت الأرض فيحرقه .

(٣) في تاج العروس : ونَطَف الماء والحب والكوز كنصَر وضرب نَطْفاً وتَنْطافاً بفتحها ونَطَفاناً محركة ونِطافة بالكسر ونِطافاً ككتاب سال وقطر قليلاً قليلاً .

10379 Pistil, gynécée

١٠٣٧٩ مِدَقَّة ، زيم

والصحيح مِدَقّة ووَزيم، كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية .

10380 Piston

١٠٣٨٠ روّاذ، مِدَكّ ، مِدْحَم

وأرجح مِكْبَسة و مِدْحَم .

10383 pituite

١٠٣٨٣ نُخامَة

وبَلْغم كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١].

10384 Pituitrine, rétropituitrine

١٠٣٨٤ نُخامين

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : بيتويترين وجاء في الشرح : خلاصة هرمونات الفص الخلفي للغدة النخامية وتشمل البتوسين والبتراسين (وهو اسم تجاري لمحضر من الفص الخلفي من الغدة النخامية) ، كما جاء في معجم دورلاند[٢]

10389 pityriasis sec de la tête

١٠٣٨٩ نُخاليّة الرأس الجافـــة ، هَبْرِيّة

والصحيح هِبْرِيَة بالكسر[٣].

10390 pityriasis simplex circonscrit, dartre furfuracée ou volante

١٠٣٩٠ نُخاليّة بَسيطة مَحْدودة

قُوباء نُخالية

---

(١) (phlegm, pituita) .

(٢) (Dorland's Illustrated Medical Dictionary) .

(٣) في القاموس المحيط : والهِبْرِيَة كَشيرٌ ذِمة ماطار من زغب القطن وما طار من الريش وما يتعلق بأسفل الشعر مثل النخالة من وسخ الرأس .

وأفضل نُخالية بَسيطة محدودة ، جُلاد نُخالي(١) أو متنقل وقد أهملتـه اللجنة .

١٠٣٩٤ حِبْس ، سِماط 10394 Placard, nappe

وأرجح رُقعة كبيرة ، غطاء واسع ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢).

١٠٣٩٥ سُخْد 10395 Placenta

(٢) لِيفين مُجَوَّف (2) fibrine canalisée

وأفضل فِبرين (ليفين) مُقَنّى (أي تكون فيه قناة).

(٣) بحيرات الأم الدموية (3) lacs sanguins maternels

وأرجح بُحَيْرات الدم الأمية لشيوع أم الدم ترجمـة لِـ (anevrysme) ، والباحات بين الزغابات كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣).

(٥) صَحيفَة سادَّة (5) lame obturante

والطَّبَقَة الحاصرة ، كما جاء في الترجمـة الانكليزية من المعجم الأصلي(٤).

---

(١) الصفحة ٢٨٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (great surface, large patch) .

(٣) (intervillous spaces) .

(٤) (limiting layer) .

(11) villosités crampon (١١) زُغاباتٌ مِحْجَنيَّة

وأفضل زُغابات مُتَشبِّثة والزُّغابات المَشيميَّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١].

10397 placenta en fer de cheval

١٠٣٩٧ سُخْد بِشكل نَعْلة الحِصان

وأفضل سُخْد على هَيْئة نَعْل الفَرَس أو (الحدوة).

10398 placenta marginé ou bourdé, et circumvallaire

١٠٣٩٨ سُخْد مُذيَّل أو مُحَشَّى أو مُزَرَّب

وقع خطأ مطبعي في (bourdé) وصوابه (bordé) وأرجح سُخد ذو حاشية وسُخْد مُحاط.

10402 Placer les lacs (obs.) ١٠٤٠٢ رَبَّق الجنينَ (قبالة)

وأرجح طبَّق الشَبَكة (في الجنين) وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢] رذلك بغية إخراج الجنين من الرحم، ولا أرى لفظة رَبَّق تفي بالمعنى المطلوب[٣].

10403 Placode (embr.) ١٠٤٠٣ قُرْص، لَوْح (مضغة)

وأفضل قُرْص فقط.

(١) (chorionic villi).

(٢) (to apply a fillet).

(٣) في لسان العرب: الرِّبق الخيط، الواحدة رِبْقه والرِبْق بالكسر الحبْل والحَلْقة تشد بها الغنم الصغار لئلا ترضع.

10405 placode cristalinienne ١٠٤٠٥ قُرْصٌ بلّوري (عينية)

وأفضل قُرْص الجِسْم البلوري ، حُوَيصل العَدسة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١] .

10408 Plagiocéphalie ١٠٤٠٨ إنحِراف الرَّأس

وأرجح مَيَلان الرأس ، لأن المقصود من هذه اللفظة الشذوذ في شكل الرأس بحيث يكون غير متناظر الجانبين بسبب التحام دروز الجمجمة التحاماً غير منتظم .

10409 Plaie, blessure ١٠٤٠٩ جُرْح ، جَرِيحة

وأرجح الاقتصار على اللفظة الأولى ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

10410 plaie (parage ou dressage d'une)

١٠٤١٠ جُرْح (تَنْظيف أو تسوية)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة هَنْدَمَة الجروح، وجاء في الشرح : تنظيفها وتقويم حروفها .

10411 plaie anfractueuse

١٠٤١١ جُـــرْح مُعْوَج ، ذو اعـوجاجات

وكذلك متعرج وغير منتظم ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي[٢] للبحث صلة

---

(١) (lens vesicle) .

(٢) (unregelmässig geformte Wunde) .

الكلمات الدخيلة على العربية الأصيلة

- ٤ -

المرحوم الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

غِلاسْ : من الانكليزية (glass = كأس ، قدح) . باللهجة العراقية يُطلق على القدح الزجاجي الذي يسمى باللهجة الشامية (كبّايه) وباللهجة الحلبية (بلّورة الشّرْب) .

(ف)

فايْل : من الانكليزية (file) . باللهجة العراقية على ما أطلق عليه بالفصحى (إضبارة ، ملفّ ، مصنّف) ، وهو بالفرنسية (classeur / dossier) .

فَشَكَة : (ج فَشَك) . محرفة عن التركية (فِشَنْك fisenk) للأنبوبة ذات (الكبسولة) المعروفة ، المحشوة بالبارود والحاملة الرصاصة برأسها .

(ق)

قَبَضايْ : وتلفظ باللهجة السورية (أبضاي بالألف المفخمة والضاد) . الكلمة من التركية (قبادايي kaba dayi) من (قبا = عادي ، وقح ، غير مهذب فعلاً وقولاً) ومن (دايي = خال) ، والمعنى (القوي

المتشاجع / مدعي البطولة / بطل مزيَّف) وهو الذي يجبر الناس على إجابة طلبه . كل هذا من باب القدح لا من باب المدح . فبالهجة السورية تستعمل الكلمة مدحاً وتقديراً ، وإعجاباً وتشجيعاً ، على خلاف الأصل . وهو استعمال خطأ كما ترى .

قَپَّط : بالباء المثلثة التحتية محرفة عن التركية من (Kapatmak أي أغلق) . هي باللهجة العراقية ،[باللهجة السورية هي (سَكَّرَ)].

قپْطان : تلفظ (إبطان ، بالألف المفخمة) محرفة عن التركية قپودان kapudan ، وتلفظ قاپطان kaptan محـــرفة عن الفرنسية capitaine = عنوان لرئيس المركب ، لقائد السفينة .

قَشْمَرَة : من التركية(قاشمر kasmer = الضُحَكة ، الذي يُضحك الناس). باللهجة العراقية اشتقوا منها كلمة (قشمرة = استهزاء) . وهي في عامية حلب : قشبرة ، بالمعنى نفسه

قَفْطان : محرفة عن التركية ، بالحروف القديمة تكتب «قفتان»بالتاء ، وبالحروف الجديدة تكتب كما تلفظ kaftan بالطاء ، وتطلق عندهم على ثوب مزين تلبسه النساء . وباللهجة المصرية كذلك للمعنى نفسه لثوب مزين مزركش للنساء .

قيْمَق : من التركية (قايمق kaymak = قشدة) . باللهجة السورية تُطلق زيادة على هذا المعنى ، على (البوظة = الدَنْدُرْمة) . باللهجة الشامية تلفظ القاف ألفاً = إيمَاْ ، والميم مفخّمة بعض الشيء .

(ك)

كادِر : من الفرنسية cadre بمعان شتى منها : (إطار ، ملاك) . وكلمة (كادر) هذه خاصة باللهجة المصرية ، وجمعوها على (كوادر)

وهو الأغرب . وتكاد تطغى على الفصحى في سورية (ملاك ، بفتح الميم وكسرها) من (ملاك الأمر قوامه الذي يُملك به) .

كاغد : من التركية بالحروف القديمة (كاغد ، وتلفظ الدال تاءً) كما تكتب بالحروف الجديدة مثلما تلفظ (kagit) عن الفارسية (كاغذ kagez) بالذال . وتطلق باللهجة العراقية على ورق الكتابة .

گراجْ : من الفرنسية (garage) للمكان الذي توضع فيه السيارات للتجديد أو الإصلاح ورأب صدع فيها .. الخ . وهي بالفصحى (مَرْأب) وزان (مَفْعَل) لا (مِرْآب ، وزان مِفْعال) كما يلفظونها خطأً باللهجة السورية .

گربُوج : (ج كرابيج) محرفةٌ عن الفارسية (شكر پوش = ملتوت بالسكر ، مستور بالسكر) . الكرابيج من الحلويات المشهورة في حلب . ذلك أن القطعة منها مغموسة / مستورة / مغطاة (بالناطف) المصنوع من السكر والعَسْلَج . أما الكلمة (كربوج ، كربوجة) فاستعمالها خاص للتحبب إلى الأطفال الصغار .

كَرَزْ : من التركية (كراز أو كراس kiraz - kiras) . باللهجتين السورية واللبنانية تطلق على ذلك الثمر الحلو اللذيذ المعروف (من ثمار أواسط الربيع . منه الأحمر / الأحمر المشوب بالصفرة / الأحمر القانىء) وهو بالفرنسية cerise . أما النوع الحامض منه والذي يصنع منه المربّى فهو بالتركية (ويشنه visne) .

كَرَنْتينَه : بالتركية (قرانتنه karantine) من (التليانية quarantina = مقدار أربعين) وخصصت للمدة التي يقضيها في المحجر المسافرون

القادمون من بلدة موبوءة بمرض سارٍ ، منعاً لسراية ماقد يحملونه من أثر الوباء ، ولايسمح لهم بدخول البلدة السليمة من الوباء إلا بعد انقضاء أجل الحجر المقرر وهو من حيث الأساس ٤٠ يوماً . وباللهجات السورية حلت محل الكلمة الأجنبية الفصحى (المحجر الصحي) .

كِيرِيكْ : محرَّفةٌ من التركية (كوُرَك kürek = مجرفة / رَفْش / مجداف) وبالمعنى نفسه تستعمل باللهجة السورية وهو بأشكال وحجوم عديدة .

كِزْلُك : محرفة من التركية (كُوزْلِك Gôzlük) من (كوز = العين / لك = أداة وصف) أي (النظّارة) المستعملة لإصلاح خلل رؤية في العيون ، وقد جمعوها على (كَزَالِيك) .

كَسْتَك : من التركية (كوستك kôstek) لسلسلة الساعة التي كانت تعلّق بها قديماً على الصدر (لم تكن ساعات اليد شائعة بعد) وما زال من الشيوخ من يحمل ساعة ذات (كوستك) من ذهب أو فضة خالصين أو نحاس مذهّب .

كلُّولة[1] : محرفة من التركية (كُلَّه gülle بالكاف الفارسية وهي القنبلة كانت فيما مضى كروية الشكل وهي في اليوم الحاضر مستطيلة وبرأس مذلّق . باللهجة الكويتية تستعمل بالمعنى التركي تماماً .

كِلِيدْدار : بالتركية من (كليد kilit) عن الفارسية (كليد، بالدال ، وفي

(١) الكلمة من نشرة الأستاذ عبد الرزاق البصير ، عضو مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٦٩ ص ١٣٨ [الشرح للكواكبي] .

الأصل بمعنى مفتاح ، من اليونانية كليدارْيا) وغلب استمالها للقفل الذي يفتح بمفتاح . ومن (دار ، الفارسية = صاحب ، محافظ) . باللهجة العراقية لقب لقيّم على مقام مقدّس يحتفظ بمفتاح هذا المقام ويتولى شؤونه وحراسته وشرح بعض ما يتعلق بالمقام ، للزوار .

كَمالمَاظ : من التركية (كم gem = لجام / آلماز = لا يأخذ ، صيغة نفي من المصدر (آلمق almak = أخَذَ) ومعنى الكلمتين (لا يقبل اللجام ويستعصي على أخذه) ويكنى بالكلمة عن الشجاع العنيد . لقب أسرة معروفة بدمشق .

كيمْبازي : محرفة عن (جانباز = اللاعب بحياته ، المغامر بروحه) . فباللهجة الكويتية تطلق على المحتال الكثير الخداع . أما باللهجة السورية فعلى اللاعب الماهر المغامر بروحه في ألعابه الرياضية .

كَنَبَايه : محرفة عن التركية (قنابه kanape) الفرنسية (canapé) وهذه من اليونانية (kōnōpeion = كِلّة ، ناموسية) . باللهجة السورية تطلق على أريكة تتسع لشخصين أو ثلاثة، بالمعنى التركي والفرنسي تماماً .

كَنْبُوش[1] : محرفه عن الفارسية (كَلّپوش kellepus) من (كلّه = رأس) و (پوش = غطاء ، من المصدر پوشيدن pusiden ستر ، غطى) والمعنى : غطاء الرأس ، لما تجعله المرأة على رأسها تحت مقنعتها

---

(١) الكلمة من (ايراد اللآل من إنشاد الضوال) لتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، من كتابه (نصوص ودراسات عربية وافريقية — ص ٢١٩) . [الشرح للكواكبي] .

من حرير وغيره . و (كلمة كنبوش) هذه تحاكي كلمة (طَرْبوش) المحرفة عن الفارسية (سرپوش serpuş = غطاء رأس للرجال [انظر كلمة (طربوش)] . أما باللهجة التركية الأصيلة فهو (باش اورتوسي baş örtüsü = غطاء الرأس) خاص للنساء .

كُوافير : من الفرنسية (coiffeur) مصفِّف الشَّعر ، ماشط الشعر .

كَوْتشُوك : من التركية (قاوچوق kavuçuk وهذه من إحدى لغات (پيرو Perou) caoutchouc لما أطلق عليه (المطاط) . وباللهجة السورية جمعوها (كواشيك) .

كُوكْتيل :من الانكليزية (Cocktail) المزيج من الأشربة الروحية، وباللهجات العامية أصبحت تطلق على أي مزيج من الجوامد أو الموائع أو الأشياء .

كُولِكْسيُون : بالتركية (قولكسيون koleksion) من الفرنسية (collection) وهذه من اللاتينية collectio (من Colligere = جَمَعَ) . تطلق على جملةٍ أو مجموعةٍ أو طائفة من أشياء بينها تناسب (كمجموعة طوابع / مجموعة نقود أثرية إلخ) يرادفها (جماعة / زمرة) .

كيخْيا : محرفة من التركية (كَهْيا kehya) المحرفة هي نفسها عن الفارسية (كَدْخُدا) من (كد) و (خدا) الفارسيتين ، وتلفظ كتخدا بالتاء بعد الكاف . في الأصل بمعنى (صاحب الدار) وتطلق على موظف يتولى إدارة شؤون قصر أو مزرعة لأمير أو عظيم من مزارع الدولة (كل مزرعة ٧٠ ـ ١٣٠ دونم) ، كما تطلق على رئيس طائفة من العمال .

(ل)

لاطَـة : باللهجة التركية محرفةٌ عن التليانية (Lata= نوع من قلنسوة الرأس) تطلق على نوع من الجبـة الطويلة . وباللهجـة الحلبية تستعمل الكلمة للجبة السوداء التي يلبسها المشايخ خاصة . وبدمشق تطلق على لوح خشب طويل بعرض ضئيل نسبةً .

لَمْبَة : من التركية (لامبه Lamba) وهذه من الفرنسية (Lampe= قنديل ، مصباح) . تطلق الكلمة باللهجات العربية على المصباح الزجاجي المشهور للإضاءة (بزيت الكاز = البترول) وهي على أشكال وحجوم شتى .

(م)

مَراق : تركية الأصل merak . ومن معانيها الوافرة : (هواية / رغبة ملحّة في الاطلاع على الشيء والعلم به) . باللهجة الحلبية تقرأ القاف همزةً مفخّمة (مَراء) وباللهجة العراقية كالتركية تماماً . وتستعمـل بالمعنى التركي [قلت : بالفرنسية هي curiosité / goût / plaisir d'amour ، لما يوافق المعنى بالتركية] .

وأذكر أن للمرحوم معروف الرصافي الشاعر المشهور كتاب استعمل فيه كلمة (المراق) بهذا المعنى واسم الكتاب هو (دفع المراق عن كلام أهل العراق) .

مَهْمَنْدار : من التركية عن الفارسية (ميهماندار mihmandar) من (ميهان = ضيف / مسافر قادم) و (دار : الفارسية = صاحب ، ناظر) تطلق على من يتولى شؤون الضيف والمسافر القادم على

وجه عام . وتخصيصاً وظيفة لمن تعهد إليه العناية بالضيوف القادمين من سفر ، رسمياً (في المضافة = مهان خانه) أو (في قصر الضيافة = مهما نْسَراي) . ويبدو أنها كانت وظيفة رسمية في العهود العثمانية الماضية . [انظر الحاشية الواردة حول كلمة « بيرقدار »] .

ميز : من الفارسية (miz = مائدة ، سُفرة) . باللهجة العراقية تطلق على الخوان (طاولة الطعام أو سواه) .

(ن)

نانْ : من الفارسية (nân = الخبز إطلاقاً) . وباللهجة الحلبية لعجين يصفح ويقلى بالسمن أو الزيت ويؤكل إما كما هو أو ملتوتاً بالدبس أو السكر . وقد يطلق على رقاق الخبز

نانه : محرفة من التركية . بالحروف القديمة (نينه وبالجديدة nine = الأم ، الوالدة) وغلب استعمالها للجدّة . كما كانوا يقولون (بيوك آننه[1] büyük aune = الأم الكبيرة أي الجدة) وفي اليوم الحاضر درجوا على استعمال (بابا آننه baba anne = أم الأب) و (آننه آننه anne anne = أم الأم) وباللهجة الحلبية تستعمل بمعنى الجدّة = أم الأب أوأم الأم) على السواء .

(ي)

ياخُر : من التركية (آخور ahur وتلفظ محرفة آخير ahir بكسر الخاء

(١) يقابلها (بيوك بابا = الأب الكبير أي الجد) .

ملفوظة هاءً مفخمة) للبناء المعدّ للحيوانات وهو (الاصطبل[١]) باللغة العربية ، وهو موقف الدواب ، شامية كما في القاموس المحيط) . ومن العجيب أن كلمة إصطبل الشامية شائعة باللهجة الحلبية أكثر . أما باللهجة الشامية فتستعمل كلمة (ياخُور) هذه .

يَازْجي : محرفة من التركية (يازيجي yazici من يازي = كتابة / جي ، للوصف) ومعناها (الكاتب) من المصدر يازمق Yazmak = كَتَبَ) . لقب أسرة شهيرة بلبنان .

يَبْرَق : من التركية (ياپراق yaprak = ورق / ورق الأشجار ، طبقة واحدة من صفحات الكتاب أو ورق طباعة ، وهي ذات وجه وظهر) . تخصيصاً لورق الكرمة . باللهجة السورية تطلق كلمة (يَبْرَأ = بالهمزة المفخمة) على ورق الدالية خاصة .

يَشْمَك : من التركية (ياشمق Yasmak = ملاءة من نسيج رقيق أبيض اللون تجعله المرأة على رأسها .

يكْلَمَة : محرفة من التركية (يوقلمه yoklama = التفقد ، لمعرفة الغائب من بين الحاضرين) تستعمل الكلمة في الجيش والمدارس لمعرفة الحاضر والغائب . باللهجة السورية تخصيصاً تطلق على الورقة الرسمية التي يملؤها (المتقاعد) إشعاراً بأن حالة أسرته على ماهي عليه ، أو يذكر ماطرأ على أفرادها من ولادة جديدة أو وفاة ليصرف له راتبه التقاعدي وصف هذا البيان .

(١) انظر ماكتبه المحقق المدقق الدكتور إبراهيم السامرائي حول هذه الكلمة في الصفحة ٢١٤ من مؤلفه (نصوص ودراسات عربية وإفريقية) .

يَميش(*) : من التركية yemis . باللهجة المصرية لما يطلق عليه في اللهجة السورية (النشْقْل) .

يَواش : من التركية (يواش yavas = بهدوء ، تدريجاً ، على مهل ، ببطء) . أكثر استعمالها باللهجة العراقية بالمعنى التركي تماماً .

خاتمة : هذا بعض ما وعته الذاكرة مما جرى على الألسنة من الدخيل ، سجَّله القلم على القرطاس للتاريخ واللغة وقد يكون هنالك ما يمكن أن يستدركه الغيارى على الفصحى . فأرحب بكل ما يستكمل ما فاتني تدوينه ولهم الشكر الجزيل .

وألفت نظر القارىء إلى أنه بفضل برامج الاذاعات وبرامج المبصار (التلفزيون) والندوات الأدبية والثقافية المتواصلة ، ولانتشار الصحف والمجلات الأدبية ، وبفضل وعي النشء الصاعد المتوثب للتعلم والتأدب بنهم عجيب ، أقول : بفضل هذا كله لم يعد ينطلق أكثر هذه الكلمات الدخيلة من ألسنة العامة بله الخاصة . وبدأت تحتل محلها الكلمات الفصاح والبقايا من الصحاح ، والحمد لله .

ملاحظة : للأستاذ عباس العزاوي عضو المجمع العلمي العراقي : بحث ممتع بعنوان (المعربات والمصطلحات) نشر في المجلد الثامن (١٣٨١ هـ - ١٩٦٤ م) ص ٤٦ - ٨٣ من مجلة المجمع العلمي العراقي . في هذا البحث كثير من الكلمات الدخيلة من التركية والفارسية (أسماء للبلدان / لأنهار / لأقوام ... الخ) . فليرجع إليها القارىء المستزيد .

محمد صلاح الدين الكواكبي

(*) ذكرني بها رئيسنا الفاضل الدكتور حسني سبح فله الشكر الجزيل .

أحمد زكي

١٨٩٤ — ١٩٧٥ م

الدكتور عدنان الخطيب

خسر مجمعا اللغة العربية في دمشق والقاهرة واحداً من أبرز أعلامها المنافحين عن الفصحى ، المناضلين في سبيل **لغة عربية سليمة تفي بحاجات العصر الذي نعيش فيه** .

كان أحمد زكي واحـــداً من جيل العمالقة في الوطن العربي سبقه أكثرهم إلى دار الخلود ، **ولم يبق على العهد إلا قليل** يذودون عن الضاد، ويقفون لأعدائها بالمرصاد بعد أن كثر عددهم ، وتعدّدت جبهاتهم ، وأقام بعضهم داخل حصون اغتالوها .

كان أحمد زكي العالم الحقّ الذي يفرض على الناس احترام العلم . وكان المفكر الجبار الذي يحمل قارئه على التحليق معه إلى باسق الأجواء. كما كان أديباً من طراز رفيع ، استطاع أن يدون علمه وأفكاره بلغة صحيحة سهلة أحبها الناس **فأحبوا الأدب والعلم ، واحترموا العالم الأديب** .

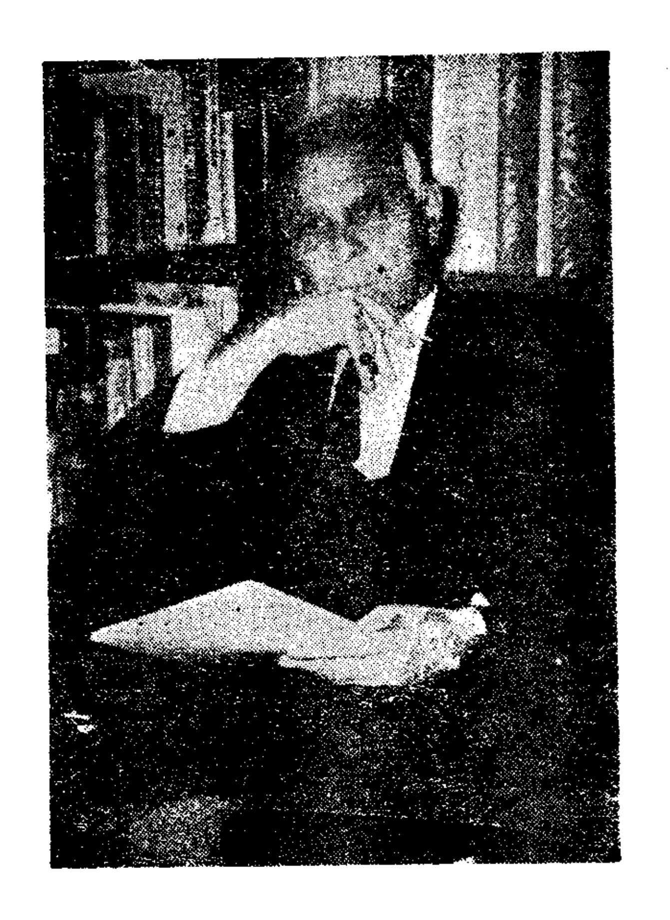
قصّ أحمد زكي على المثقفين « **قصة المكروب** » فعرفوا ما كان من واجبهم ألا يجهلوه . وروى لهم سيَر كثير من العلماء في كتابه

« **قصة الكيمياء** » . وقصة الكيمياء عرفها قليل العلم بالكيمياء وكثيره ، ووجد كل واحد من هؤلاء فيما كتبه أحمد زكي نصيباً من نفع ومن متعة ، و « كل من يَدبّ اليوم على الأرض من ذوي العقول يطلب ثقافة ، فهذا عصر الثقافة والتثقف ، وقيمة المرء بقدر ما يكسب منها ، وليس كثقافة تنير لك سبيلاً أنت سالكه من الحياة » .

خُلق أحمد زكي وخلقت معه ، كما يقول عن نفسه « نفس حسّاسة سائلة .. بدأت تحسّ على صغر ، قبل أن تأتي الناس عادة الإحساس ، وبدأت تسأل على نعومة ظفر ، قبل أن تأتي الناس عادة التسآل . تريد دائماً أن تعرف لماذا ؟.. وكثيراً مالا تجد عما تسأل سبباً . وتريد دائماً أن تعرف كيف ؟.. وقلما تجد الذي تسأل عنه كيفا ، وتود مخلصة أن تعلم ، وهي تعلم الكثير . وتغربل ما تعلم ، فينفصل حبّه عن طينه ، ولكن ماأكثر الطين ، وتزيد للذي تعلم غربلة ، وتزيد ، حتى ما يكاد أن يكون للحبّ وجود .. » .

وتعلم أحمد زكي ما وسعه أن يتعلم ، وازدادت معارفه وتنوعت ثقافته ، فلما اشتد ساعده ، أخذ بيد طلاب المعرفة مصعدين « **مع الله في السماء** » حيث أراهم ما عرفه من بدائعها ، وجعلهم يدركون بعض أسرار الكون مما **يحمل على الإيمان بصنع الخالق العظيم** .

وتقدمت السن بأحمد زكي ولكن حبه لنشر المعرفة والدعوة للإيمان لم تخب شعلته . فرفعها لتنير دروب المعرفة أمام مئات الألوف من طلاب العلم والثقافة العامة ، وأمشاهم « **مع الله في الأرض** » ليثبت لهم بأن « **وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه** » وليجعلهم يؤمنون بأن « **قدرة**



فقيد العربية الكبير

الدكتور أحمد زكي

عضو مجمع اللغة العربية

الله تتراءى في بديع صنعه » .

دانت العربية لأحمد زكي فكتب بأسهل الألفاظ وأوضح التراكيب أصعب الموضوعات العلمية وأعقدها ، فكان رائعاً فيما كتب ، مجلياً فيما وصف وشرح وكان مما كتبه بلغـــة سهلة مشرقة الأثر الخالد « في سبيل موسوعة علمية » مبسّطة .

كان أحمد زكي مجمعياً بارزاً ، إذا جلس ملأ مقعده ، وأصبح قبلة أنظار زملائه في كل ما يتصل بالعلوم والمصطلحات العلمية .

كان أحمد زكي ضخم الجثة ، قوي البنية ، عصبي المزاج ، جهوري الصوت ، عنيفاً في الدفاع عن الحق الذي تراءى له ، ومع كل هذا ، كانت أخلاق العلماء تتملكه اذ يعود إلى ابتسامته ووداعتـه بمجرد انتهاء الحوار ، كما يعود إلى الحق إذا ما استبان له معتذراً عن أي رأي له كان قـد خالف فيه هذا الحق .

اعتاد أحمد زكي مواصلة عمله العلمي والأدبي خلال ساعات طويلة ، لا يشعر بالكلال أو الملل ، وكان لا يجـد الراحة لنفسه ـ على حد قوله ـ « إلا بين الفئة القليلة من الأصدقاء والفئة الكثيرة من الكتب » .

لقد سقط أحمـــد زكي على درب الكفاح من أجل نشر المعرفة بعربية سليمة مشرقة ، والقلم بيده ما ونى ساعة ، ولا ذل أمام ذي سلطان ، سقط شهيداً في مدينة القـاهرة يوم الاثنين الثامن من شوال سنة ١٣٩٥ للهجرة الموافق الثالث عشر من تشرين الأول سنة ١٩٧٥ للميلاد ، فبكته العربية وبـكاه العالم العربي في مختلف أرجائه . رحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل ثوابه ، وعوض العرب والعربية خير عوض .

موجز عن سيرة الفقيد

ولادته وتحصيله العلم

ولد أحمد زكي بمدينة السويس حاضرة البحر الأحمر المصرية سنة ١٣١٢ للهجرة الموافقة سنة ١٨٩٤ الميلاد ، وانتسب في السادسة من عمره إلى مدرسة السويس الابتدائية ، ولكن لم يلبث فيها إلا قليلاً فقد انتقلت أسرته إلى القاهرة واستصحبته . فتابع تحصيله الابتدائي في مدرسة عباس ثم في مدرسة أم عباس الابتدائيتين ، ونال الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٧ ، ثم أنهى تحصيله الإعدادي بالمدرسة التوفيقية الثانوية ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا ، حتى إذا تخرج من قسمها العلمي سنة ١٩١٤ عين مدرساً بالتعليم الثانوي .

كان أحمد زكي يتطلع إلى إتمام تحصيله العالي في أوروبة ، غير أن اشتعال نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، حال بينه وبين ما يطمح إليه ، فقبل وظيفة مدرس بالمدرسة الإعدادية الثانوية ، ثم اختير سنة ١٩١٨ ناظراً لمدرسة النيل الثانوية. وخمدت نيران الحرب في السنة نفسها ، فأسرع أحمد زكي إلى الاستقالة من وظيفته تاركاً مصر إلى انكلترة سنة ١٩١٩ ، فلما كانت سنة ١٩٢٢ نال درجة « بكالوريوس في العلوم B. Sc. » من جامعة ليفربول ، ثم انتسب إلى قسم الكيمياء فيها وحصل عام ١٩٢٤ على درجة (دكتور في الفلسفة Ph. D.) .

وانتقل أحمد زكي بعدئذٍ لمتابعة البحث العلمي إلى جامعة منشستر فقضى فيها عامين ، انتقل بعدهما إلى جامعة لندن لينال منها درجة (دكتور في العلوم D. Sc.) وخلال هذه المدة قام بزيارة كل من النمسا وألمانيا للاطلاع على مناهج البحث العلمي فيها .

عودته إلى مصر والمناصب العلمية التي تولاها

بعد تلك الدرجات العلمية العالية عاد أحمد زكي إلى مصر ليشغل منصب أستاذ مساعد في الكيمياء العضوية بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) ثم أصبح أستاذاً للكيمياء فيها ، وانتخبه زملاؤه وكيلاً للكلية مرتين ، ثم انتخبوه عميداً لها مرتين ، ولكن السياسة الحزبية في مصر آنذاك حالت بينه وبين العمادة للمرة الثانية ، فنقل عام ١٩٣٦ ليكون أول مصري يشغل منصب مدير « مصلحة الكيمياء المصرية » . أما زملاؤه في « الجمعية الكيميائية المصرية » فكرروا انتخابه رئيساً لهم عدداً من المرات بلغت سنواتها ربع قرن من الزمان .

ظل أحمد زكي مديراً لمصلحة الكيمياء إلى أن اختير سنة ١٩٤٦ مديراً لمجلس فؤاد الأول الأهلي للبحوث (المركز القومي للبحوث) ثم اختير عام ١٩٥٢ ، ومصر في أوج اضطرابها السياسي وزيراً للشؤون الاجتماعية ، ولكنه لم يلبث في الوزارة إلا قليلاً حتى استقال ليعود إلى مجلس البحوث ثم ليستقيل من هذا العمل أيضاً ، غير أن حكومة الثورة المصرية اختارته عام ١٩٥٣ ، مديراً لجامعة القاهرة ، فلما كانت سنة ١٩٥٤، كان أحمد زكي قد بلغ الستين من عمره ، فأحيل إلى التقاعد بحكم القانون، فعاد إلى مهوى فؤاده ، إلى مكتبته ، وعاد إلى أصدقائه — على حد تعبيره — إلى كتب العلم متفرغاً لها ما وسعه التفرغ .

مؤلفاته ونتاجه العلمي والأدبي

كان أحمد زكي أحد أركان « لجنة التأليف والترجمة والنشر » في مصر، وقد شارك في ترجمة عدد من الكتب التي طبعتها . كما أسهم بأبحاثه العلمية

والأدبية في أمهات المجلات المختصة ، شارك في تحرير « الرسالة » و « الثقافة » ، ورأس تحرير « الهلال » خلال عديد من السنوات .

نشر الفقيد عدداً من الكتب القيمة ، بعضها مترجم والآخر مما ألفه أو سبق له نشره في المجلات منجماً . وأهم المطبوع من كتبه العلمية هو :

١ — سلطة علمية .

٢ — بين المسموع والمقروء .

٣ — مرجريت أو غادة الكاميليا .

٤ — قصة المكروب .

٥ — بواتق وأنابيق أو قصة الكيمياء .

٦ — جان دارك .

٧ — مواقف حاسمة في تاريخ العلم .

٨ — مع الله في السماء .

٩ — في سبيل موسوعة علمية .

١٠ — مع الله في الأرض . وهذا الكتاب آخر مؤلفاته رحمه الله ، بدأ بنشره فصولاً في مجلة « العربي » وانتقل إلى الرفيق الأعلى قبل إتمامه .

كان الفقيد صاحب أسلوب مشرق متحرر ، وكان جريئاً في ابتداع الكلمات ومخالفة القديم ، لا يبالي بما نصت عليه الشروح أو يقول به المتزمتون ، وليس أشد تصويراً لمذهبه في الترجمة مما ذكره في مقدمته لكتاب (جيمس ب . كونانت) عن « العلم ورأي السواد من الناس » إذ قال :

أما الترجمة فقد ذهبت فيها ، على الدقة الزائدة ، مذهب التحرر ، وجنحت فيها إلى النفع إذا هو عارض التقليد . وكان لابد في كتاب يحكي عن

العلم كهذا من ابتداع كلمات ، فابتدعتها ، ووجدت من الفائدة أن أذكر إلى جانبها لفظها الانجليزي لفائدة من عرف وألِف اللفظ الانجليزي . . » .

تمتاز الكتب التي ترجمها الفقيد بتعليقاته القيمة وملاحظاته الرائعة التي يذكرها في الهامش . وهي لاتقتصر في كثير منها على أمور فرعية بل تتعداها إلى مذهب المؤلف والترتيب الذي أخذ به . علق مثلاً على مؤلَّف (كونانت) فقال : « لقد وددت لو ترك المؤلف الأبواب الثلاثة الأولى فلم يتناولها إلا بعد أن يكون قد تناول سائر الأبواب . إنها أبواب ثلاثة ممتعة حقاً ، تتناول تقاليد البحث العلمي ، وتتناول العلم منشَطاً في العالم منظماً . وتدخل في معنى الصور الذهنية والمشاريع التصويرية ، والفروض والنظريات ، وفي نظرية المعرفة ذاتها وهي مواضيع خلتُ ، مصيباً أو مخطئاً ، أن القارىء قد يكون أقدر على استيعابها بعد قراءة سائر الكتاب » .

وللفقيد ذوق خاص مرهف في اختيار عناوين كتبه ومقالاته ، كتب في مقدمة « **مواقف حاسمة في تاريخ العلم** » يقول : « والمؤلف لم يسم كتابه « مواقف حاسمة في تاريخ العلم » ، وإنما هو سماه في طبعة « في سبيل العلم » . وسماه في طبعة أخرى : « العلم ورأي السواد من الناس » . ولكنه في نص الكتاب ذكر أنه إنما يصف من العلم مواقف حاسمة . ومن هذه اشتققت اسم الكتاب » .

العالم المجمعي

انتخب الدكتور أحمد زكي من قبل أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق زميلاً لهم بتاريخ الثالث من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٧ ، وقد صدر المرسوم الجمهوري القاضي باعتماد هذا الانتخاب بتاريخ العاشر من شباط (فبراير) سنة ١٩٤٨ .

وسبق الدكتور أحمد زكي أن انضم إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، بموجب مرسوم ملكي صدر بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٦ م ، وقد استقبله المجمع في جلسة علنية عقدت بتاريخ الثاني عشر من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٦ برئاسة الأستاذ أحمد لطفي السيد ، وقام بالترحيب به الأستاذ أحمد أمين ، وقد وصفه بقوله :

« أحمد زكي كيماوي كبير ، وأديب كبير ، مزج بين العلم والأدب كما يمزج السكر بالماء . فأدب العلم وأعلم الأدب ، بينما تراه في معمله بين الأنابيب والمحاليل ، إذ تراه على مكتبه يحلل المعاجم ويفكر في وضع مصطلح ، أو يسلّط خياله الأدبي على محصوله العلمي » .

عمل أحمد زكي في مجمع القاهرة بكل طاقاته المنوعة ، فاشترك في كثير من لجانه العلمية والإدارية ، كما مثله في عدد من المؤتمرات العربية والدولية ، ومن أبرز مشاركاته المجمعية صيحة مدوية تهيب بالحكومة العزم على إلزام رجال الإعلام التقيد بقواعد العربية وأساليبها الصحيحة ، والحزم في الطلب إلى المذيعين الكف عن التكلم بغير الفصحى وبخاصة في نشرات الأخبار .

رسالة العربي

بدأت « **الكويت** » الدولة العربية الفتية تفكر مذ تمتعت باستقلالها ، فيما يمكن أن تصنعه من أجل العرب كافة ، وكان مما فكرت فيه استخدام **الكلمة الطيبة** ، تحمل اسمها إلى أرجاء الوطن العربي فتقرب بها البعيد وتمتن معها الروابط فيما بين مختلف الأقطار . وقــررت الكويت أن يكون وعاء كلمتها مجلة أدبية علمية مصورة تحمل الرسالة التي تنشدها هدية منها إلى كل عربي أنىّ وجد ، ولم تجد بين رجالات العرب أفضل من أحمد زكي عالماً أديباً واسع الثقافة ليقول تلك الكلمة ويحمل عبء الرسالة .

وكان شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ الموافق شهـر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٨ م ، موعداً التقى به أحمد زكي مع قراء العربية على صفحات مجلة الكويت الشهرية ، مخاطباً إياهم بقوله : « .. وأسميناها **العربي** ، ومـا كان اسم بواف بتحقيق مايجول في رؤوس رجال الوطن العربي كله ورؤوس نسائه ، من معان ، وما تستدفىء به قلوبهم من آمال وأماني ، كاسم « العربي » في حسمه وإيجازه » .

ثم أردف أحمـد زكي يقول : « ثم تشاء الأقدار أن يكون منزل العربي **بلداً من أصغر بلاد العرب حجماً ، وليس بأصغرها خطراً ،** فكان الكويت للعربي منزلاً ، وخيرُ ما شاءت الأقدار » .

ولم يكن بد من أن يبدأ الرجل المهذب بتحية أهل المنزل ، فحياهم ، ولكنه خاف سوء ظن البعض ممن لايحبون التملق يصدر عن عالم مثل أحمد زكي ، فسارع إلى الاعتذار عن التحية التي قدمها بخير ما يوصف به قلم عالم أديب ، وكأنّ أحمد زكي كان يعاهد قراءه ، وهو يلتقي بهم في العدد الأول من مجلة يرجى لها أن تعيش لأجيال وأجيال ، بأن يبقى على ماعهدوه فيه ، فقال يصف تحيته لصاحب منزل العربي : « ... **وليس أجدر من تحية صادقة يؤديها قلم لم يعرف عنه أنه قال باطلاً ، عن علم ، أبداً** » .

وحدّد أحمد زكي **رسالة مجلة العربي** بقوله :

« .. والعربي للفكرة العربية خالصة .

وهي لكل ما يتمخض عن الفكرة العربية من معان . فهي ضد الجهل ، ومع المعرفة ، في هذا الوطن العربي كله ، وهي ضد المرض ، ومع الصحة ، ومن الصحة صحة العقول .

وهي ضد الفقر ، ومع الغنى تطلبه للفقير ليستغني ، وتطلب له من أجل ذلك التعليم الطويل ، والتثقيف الواسع ، والتدريب الصادق ، ليعمل مخلصاً ، وليعيش من عمله عيشة راضية كريمة . وتطلب له مجالات العمل بعد ذلك ، بحسبان أن العمل حق من حقوق الإنسان على المجتمع الذي يعيش فيه ، وأن التعطل ، حتى على الثروة والاستغناء ، مناقضة صارخة لقانون الطبيعة ، قانون الحياة والأحياء ، وهو مزرٍ بكرامة الإنسان ، محطم لكبريائه ».

وإذا كانت « عربي » أحمد زكي وعدت قراءها بأن تحافظ على رسالتها سليمة نظيفة لتبقى لكل العرب على اختلاف أقطارهم ، فلا تتورط في شؤون سياسية أو عقائدية ، فإنها لم تغفل وجهاً من وجوه الرسالة ، قد ينسبه الناس إلى السياسة ، مؤداه : « أنه لاحرية لفردٍ أو جماعة ، إلا إذا كان ملاك أمرهما بأيديها » .

وهكذا ظهرت على صفحات العربي مقالات مدوية ، كشف فيها أحمد زكي أساليب الاستعمار وعوامل الهزائم التي مني العرب بها ، وفضح أفانين الاستبداد ، منددّاً ماوسعه بالمستبدين ، مدافعاً عن حريات المواطن لتغدو المواطن عزيزة عليه يفديها بماله وروحه ، عوضاً عن فقدانه الخجل من بيعها بلقمة عيشه ، أو هجرها بحثاً عن كرامته .

وفى أحمد زكي بما وعد ، واستمرت العربي على النهج الذي خطه لها في العدد الأول ، فثبتت ثابتةً ، وانتشرت متجاوزةً ماقدر لها ، وامتدت بها السنون حتى ظهر عددها الرابع بعـــد المائتين ، في شوال سنة ١٣٩٥ هـ الموافق تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٥ م ، يحمل آخر مقال كتبه أحمد زكي تحت عنوان « قالوا : المصلحة أولاً ، وقالوا : أما العواطف من تراحم وودٌ ، ومن صداقات وحب ، فأشياء عفى عليها الزمان ، وبئس ماقالوا !! ».

إنها مائتان وأربعة أعداد من مجلة العربي ما أظن واحداً منها ، على مدى سبعة عشر عاماً ، خلا من كلمة مستوحاة من واقع الوطن العربي خاطب بها أحمد زكي العرب على اختلاف مواطنهم بعنوان « عزيزي القارىء » ، أو خلا من بحث رائع أو حديث قيم أو موضوع خطر ، أو مقال علمي ممتع كتبه أحمد زكي بأسلوبه السهل المشرق ، وكثيراً ما اجتمع في عدد واحد كل هذا .

وعندما صدر العدد الخامس بعد المائتين من العربي بعد شهر من انتقال أحمد زكي إلى الرفيق الأعلى ، تضمن افتتاحية له لم تتم ، بدأ بكتابتها فوافاه الأجل والقلم بيده ، وكأني به رحمه الله لو أتمها لاختار لها من العناوين « **قــوة الطبـع ومفاسد التطبـع : الشرطة والقضاء : وجهان للدولة المعاصرة ، إن فسد أحدهما فسدت الدولة** » .

رحم الله أحمد زكيا وأسكنه فسيح جناته .

عدنان الخطيب

ثقافة اليونان والرّومان
وأثرهما في طه حسين

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

على الرغم من المكانة العظمى التي احتلها الدكتور طه حسين في الأدب العربي ، وعلى الرغم من عمق انتمائه إلى العروبة وإنتاجها الفكري الخصيب ، فإنه اتصل بالفكر اليوناني والروماني اتصالاً وثيقاً ، وأخذ عنها ، ونقل منها ، وتعصب لهما في كثير من المواطن . ولكنه على شغفه بثقافة اليونان والرومان لم يبخس الثقافة العربية القديمة والفكر العربي حقه . وما وجدتُ موضعاً يشيد فيه الدكتور طه حسين بالفكر اليوناني والأدب الاغريقي إلا وجدت بجانبه مواضع أخرى يُعلي فيها الرجل من قيمة الأدب العربي ويعطيه حقه ، لا على سبيل التعصب لعروبته ، ولكن على سبيل النصفة للحق .

ولا ننسى طه حسين وهو يرد مرة على توفيق الحكيم في عدد من أعداد مجلة الرسالة(١) فيقول له (فإذا أردت أن تقارن بين العرب والرومان

---

(١) مجلة الرسالة عدد ١٥ يونيو سنة ١٩٣٣

فأظنك توافقني على أن الأدب العربي الخالص أرقى جداً من الأدب الروماني الخالص . أي أن الأدب الروماني إنما ارتقى حقاً حين أثر فيه الأدب اليوناني . فالرومان تلاميذ اليونان في الأدب والفن والفلسفة . والعرب يشبهونهم في ذلك ، ولكن العرب كان لهم أدب ممتاز قبل أن يتأثروا بالحضارة اليونانية ، ولم يكن الرومان من هذا الأدب الروماني الممتاز حظ يذكر ..) .

وقضية تقدم الأدب العربي على الأدب الروماني قد تناولها طه حسين أكثر من مرة في أكثر من كتاب أو دراسة . فنراه مرة يقول : (الأدب العربي : شعره ونثره وعلمه وفلسفته ، لايمكن بحال من الأحوال أن يقل عن الآداب الأربعة القديمة[1] . بل هو من غير شك متقدم على اللاتيني والفارسي . وإذا لم يكن بد من أن يكون له مناظر ، وأن الأدب العربي ينحني له مع شيء من الإجلال الذي تملؤه العزة ، فهو الأدب اليوناني . وأما الأدب اللاتيني ، فسترون أنه يقوم على تقليد الأدب اليوناني . فهو ليس أدباً مبتكراً ، وإنما خطباء الرومان تلاميذ لخطباء اليونان مهما برعوا ، وأبرعهم — وهو سيسرون — تلميذ لأرسطاليس وديموسيتن . ومؤرخوهم وأبرعهم : « تتليف » ، « وتاسيت » تلميذان لهيرودوت ، وتيسيديد . وشعراؤهم وأكبرهم « فرجيل » تلاميذ لهوميروس وغيره من شعراء اليونان . وليس للرومان شعر تمثيلي يذكر . وما وجد عندهم من التمثيل فهو تقليد سيىء رديء لتمثيل اليونان ...)[2] .

---

(١) هي اليونانية ، واللاتينية ، والفارسية ، والهندية .

(٢) من حديث الشعر والنثر لطه حسين ص ١٧ ، ١٨

وحين يوازن طه حسين بين الأدب العربي ، والأدب الإغريقي فإنه لايغفل الشخصية القوية والحيوية التى يتميز بها أدبنا من أدب اليونان القديم ، فنحن حين أخذنا عن هذه الآداب الأربعة القديمة ، وهي : اليونانية ، واللاتينية ، والفارسية ، والهندية لم نكن مجرد ناقلين لا أكثر ، فشخصية العرب ظهرت قوية واضحة المعالم في الشعر والنثر على السواء . فلا يجوز أن يقال عنا إننا مقلدون — كما قلدت الرومان اليونان — ولكنا لم نكد نأخذ عن غيرنا حتى أسغنا ما أخذناه أولاً ، وهضمناه ثم محوناه(١) .

وحين ألف طه حسين كتابه : (مستقبل الثقافة في مصر) واتهمه قوم بأنه من دعاة « التغريب » وأنه رسول الثقافة الأجنبية في مصر ، كتب بحثاً قيماً يدافع به عن نفسه ، ويقارن فيه بين الأدب العربي والأدب اليوناني مقارنة منصفة ، ويعود — من جديد — إلى تأكيد الشخصية القوية والحيوية للأدب العربي ، فيقول : (فالأدب اليوناني القديم إذن حيٌ بنفسه . أريد أنه لا يستمد حياته من أمة حية تنميه وتقويه وتضيف إليه ، وإنما يستمد حياته من هذه الشخصية القوية التي وهبها اليونان القدماء ... أما أدبنا العربي فقد عمر بضعة عشر قرناً إلى الآن ، واختلفت عليه في أثناء هذه القرون خطوب كثيرة متباينة ، وجهته ألواناً من التوجيه ، وأخضعته لضروب من التطور ، ولكنه مازال حياً قوياً ، يستمد حياته وقوته من شخصيته العظيمة ، ويستمد حياته وقوته من هذه الأجيال التي لاتزال حية محتفظة بفضل من قوة ، والتي لاتزال ترعاه وتكلؤه وتنفخ فيه من روحها ، كما تستمد منه

(١) من حديث الشعر والنثر ص ١٨

قوة وأيداً ، فهي تمنحه وتأخذ منه ، وهي تعيش عليه ، وتعيش له ، وتعيش به ...)[١] .

ومن هنا نعرف أن طه حسين لاينكر شخصية الأدب اليوناني ، ولا شخصية الأدب العربي في قوتها وحياتها ؛ ولكن الأدب العربي يزيد على اليوناني بأن العرب ظلوا على مسار التاريخ وعلى مدار الأجيال يحافظون على أدبهم ، ويساندونه ، ويمدّونه دائماً بأسباب القوة والحياة حتى ظل بضعة عشر قرناً ، لم يمسخ ، ولم يتحول ، ولم تصبح لغته العربية لغة قديمة أو ميتة كبقية اللغات القديمة . فنحن نقرأ أشعار امرىء القيس ، والنابغة ، وعنترة ، ونتأثر بها ، ونكتب على غرارها كما نقرأ ونتأثر ونكتب أشعار أحمد شوقي ، وخليل مطران ، ومعروف الرصافي .

وحين يوازن طه حسين بين بداوة اليونان وبداوة العرب ، فإنه يقرر أنها بداوة قامت على « الشعر » ، وعلى الشعر وحده . فاليونان والعرب يتشابهون في هذا الباب تشابهاً كاملاً ؛ لأن الشعر هو أول مظهر من مظاهر الأمم المتحضرة . وإذا كان عند اليونان « هوميروس » شاعر الالياذة وخلفاؤه من الشعراء ، فإن عند العرب امرأ القيس ، والنابغة ، والأعشى ، وزهير بن أبي سلمى وغيرهم من الشعراء الذين يرى طه حسين أننا نبخسهم أقدارهم ولا نعرف لهم حقهم[٢] .

غير أن الفرق واضح بين بداوة اليونان وبداوة العرب في رأي طه ، فبداوة العرب أثرت في العرب وفي الحضارة الإسلامية ولم تجاوزها

(١) طه حسين بين أنصاره وخصومه ، لجمال الدين الألوسي ص ٢٨٧، ٢٨٨

(٢) قادة الفكر لطه حسين ، ص ١٧ ، ١٨

إلا قليلاً ، أما بداوة اليونان فقد أثرت في الرومان وفي العرب وفي الإنسانية قديماً وحديثاً ، وستؤثر فيها إلى ما شاء الله(١) ...

ويبدو أن طه حسين في هذا الحصر الضيق لبداوة العرب في الحضارة الإسلامية كان متأثراً بآرائه القديمة في المغالاة بثقافة اليونان ، فقد قال هذا الكلام في سنة ١٩٢٥ في كتابه « قادة الفكر » ونسي - في غمرة هذه الحماسة لليونان - ما كتبه المنصفون من المستشرقين من أمثال جوستاف لوبون وسيديو ، ونللينو ، وكرتشكوفسكي ، والدكتورة زيجريد هونكه وغيرهم عن الحضارة العربية .

والحق أن حب الدكتور طه حسين للثقافة اليونانية ، وتحيزه للأدب اليوناني كان حباً قديماً فرضه عليه دراسته لليونان والرومان وتاريخهم وآدابهم في جامعتي باريس ، ومونبيليه ، وهو مازال وقتها متحمساً لثقافات أجنبية نهل منها ، ولكن الزمن والظروف قد خففا كثيراً من غلواء طه حسين في هذا الشأن . ففي كتابه (من حديث الشعر والنثر) — وهو متأخر كثيراً عن كتبه عن الشعر والتمثيل والفكر اليوناني — نراه يردد ماقرره الجاحظ وغيره من أنصار العرب من أن اليونان لاحظ لهم إلا من الفلسفة ، وأن الفرس والهنود لاحظ لهم إلا من الحكم السائرة ، فأما الأدب العربي فهو الأدب حقاً الذي يظهر فيه هذا الشعر الخصب المتميز ، الذي لاتكلف فيه ولا صناعة ، فيكفي أن يوجه العربي فكره إلى المعنى حتى يتدفق الشعر على لسانه . والأدب العربي هو أدب الخطابة الذي أنتج الإمام علياً وزياداً ، والحجاج ، وهو الأدب الذي أنشأ الحكم والأمثال السائرة .

(١) المصدر نفسه ص ١٨

على أن الدكتور طه حسين ـ وهو يردد ماقاله أنصار الأدب الغربي المغالون في تقديره وفي إنكار ما لآداب الأمم الأخرى من قيم كان معتدلاً فلم يجر مع أنصار الحديث الذين يقولون إن الشعر العربي فقير بالنسبة للشعر الأجنبي ، فليس فيه شعر قصصي ولا تمثيلي ، كما كان عند اليونان . بل حاول أن يثبت أن مزايا كثيرة من خصائص الشعر القصصي موجودة في الشعر العربي . وأكد أننا لانعرف شعراً يصور حياة الأمة أصدق تصوير ، ويضطرنا أن نلمسها بأيدينا كالشعر العربي[١].

وخطا طه حسين خطوة أخرى في إنصاف الأدب القصصي عند العرب . وفي تقديره أن في هذا الأدب العربي القصصي جمالاً ليس أقل من جمال الألياذة والأوديسا . وليس ذنب الأدب العربي ألا" يقرأه الناس ولا يعرفوه[٢] .

ولا شك أن الدكتور طه حسين قد أغرم بالفكر اليوناني والثقافة اليونانية واللغة اللاتينية غراماً شديداً بحكم الدراسة التي تلقاها في فرنسا ، فقد تعلم اللاتينية في أول بعثته بباريس ، كما تعلم بجانبها الفرنسية التي كانت لغة دراسته في جامعات فرنسا ، والتمس له معلماً خصوصياً يعينه على تعلم اللغتين على الرغم من كونه محدود الموارد[٣] . وفي سبيل استعداده لدبلوم الدراسات العليا في العاصمة الفرنسية ، أراد له أستاذه أن يدرس القضايا التي أقيمت في روما على حكام الأقاليم الذين أهانوا جلال الشعب الروماني ، وغضوا من شرفه ، كما صورها في تاريخه المؤرخ الكبير « تاسيت » . وذكر

(١) من حديث الشعر والنثر ص ١٤ ، ١٥

(٢) من حديث الشعر والنثر ص ١٥

(٣) طه حسين للألومي ص ٤٥

له الأستاذ طائفة من الكتب الضرورية له كمرجع لبحثه ، فلما عجز عن شرائها اشتراها لحساب الجامعة المصرية ليعيدها إليها عند عودته ، فقبلت الجامعة ذلك [١] .

ولما هاجر طه حسين – لظروف معينة – إلى جامعة مونبلييه ليكمل دراسته ، درس اليونانية وآدابها وتاريخها وفكرها ، فاجتمعت له بذلك أسباب المعرفة للفكر الروماني والفكر اليوناني .

والحق أن طه حسين في باريس وهو يدرس اللاتينية كان قد عرف شيئاً عن الفكر اليوناني ، فقد وجهه أستاذه إلى كتاب « نظام الاثينيين » لأرسطو ليقرأه ويفيد منه [٢] . ولما عاد طه إلى مصر قام بتدريس تاريخ اليونان في الجامعة[٣] المصرية ، وهو شطر من عمله بالجامعة أول الأمر ، أستاذاً للتاريخ القديم : اليوناني والروماني[٤] .

ولقد أعجب طه حسين بأرسطو وبكتابه : (نظام الأثينيين) إعجاباً شديداً ، فقام بترجمته وصدر عن مطبعة الهلال سنة ١٩٢١ في تاريخ متقدم ، وأعيد طبعه في دار المعارف في تاريخ متأخر .

ومن هنا نعرف أن أثر دراسة اليونان والرومان في فرنسا كان بالغاً عند طه حسين . فلم يكن بعد عودته من فرنسا سنة ١٩١٩ ، وترجمته لكتاب نظام الأثينيين سنة ١٩٢١ غير عامين اثنين مما يؤكد استغراقه في جو الثقافة الإغريقية إلى حد بعيد ...

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٧
(٢) نظام الأثينيين لطه حسين ص ٧
(٣) المصدر نفسه ص ٧
(٤) كتاب : إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين ص ١٤

وصنع طه حسين لهذا الكتاب مقدمة طويلة قاربت الأربعين صفحة تحدث فيها عن أرسطو حديثاً شائقاً ممتعاً مفصلا، وتحدث فيها عن الكتاب وقيمته العلمية والفنية، لأن المشتغلين بالتاريخ السياسي والنظامي قد ظفروا منه بشيء لايكاد يقوّم، (لأن الكتاب يذكر التاريخ السياسي والنظامي لأثينا منذ أواخر القرن السابع إلى أواخر القرن الرابع قبل المسيح ... على أن هذا الكتاب مع أنه علمي لايخلو من جمـــال فني. ومصدر هذا الجمال هو نفس هذا الإيجاز. فكثيراً ماترى أرسطاطاليس قد خط بقلمه جملة صغيرة، وأوضح بها ناحية من نواحي الحياة الأثينية، كأنه قد أرسل عليها من النور نهاراً مضيئاً ...)(١).

ولم يقل لنا طه حسين صراحة إذا كان قد نقل هذا الكتاب عن اليونانية مباشرة، أم نقله عن الفرنسية التي ترجم إليها. والراجح أنه نقله عن الفرنسية، أما بعض الألفاظ اليونانية الكثيرة التي أبقاها المترجمون الأوربيون فقد أبقاها هو أيضاً على حالها مثلهم، لأنها تدل على معان قديمة لم يعرفها المحدثون من الإفرنج والعرب.

ويبدو أن تمكن طه حسين من اليونانية واللاتينية وتاريخها والفكر فيها قد جعله دائماً كثير الثقة بما يقوله ويكتبه في هذا الميدان. فقد كان ثاني درس ألقاه بالجامعة المصرية القديمة إثر عودته سنة ١٩١٩ عن تاريخ اليونان، وهو الموضوع الذي اختاره على مدار العام الجامعي كله، فاستعان بالجغرافية والخرائط التي كان يشير إليها وحده بلا معين - على الرغم من ظروف عاهته - بما انتزع إعجاب الكبراء والمسؤولين والطلاب.

(١) نظام الأثينيين ص ٤٠

والحق أن تأثر طه حسين بالثقافة اليونانية والأدب اليوناني قد أخذ يظهر بجلاء في إنتاجه التأليفي . فقد سبق كتابه عن « نظام الأثينيين » الذي نقله عن أرسطو والذي صدر سنة ١٩٢١ كتاب قبله صدر سنة ١٩٢٠ — أي بعد عودته من فرنسا بعام واحد — وهو كتاب : (صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان) الذي صدر عن مطبعة الهلال .

وإذا كان هذا هو الكتاب الأول الذي أخرجه طه حسين في موضوع يتصل بالأدب اليوناني ، والشعر التمثيلي عند اليونان ، فقد سبق ذلك (دروس التاريخ القديم في الجامعة المصرية) وهي الدروس والمحاضرات التي ألقاها على طلابه في الجامعة مابين سنتي ١٩١٩ ، ١٩٢٤ حيث صارت الجامعة القديمة جامعة حكومية بعد أن كانت جامعة أهلية سنة ١٩٢٥ ، فعين طه حسين في الجامعة الجديدة أستاذاً لتاريخ الأدب العربي في كلية الآداب[١] ، ومن هنا نعرف أن ظهور الشخصية اليونانية في مؤلفات طه حسين ودراساته كان في مجال التأريخ لليونان أولاً ، ثم تلاه بعد ذلك دراسة الشعر التمثيلي عند اليونان بعرض نماذج منه مترجمة بقلمه ، ومصوغة في قوالب أدبية عالية . ثم جاء بعد ذلك كتاب (نظام الأثينيين) الذي ترجمه عن أرسطو ، فكان أول ترجمة عربية لهذا الكتاب الذي استكشفت أصوله الخطية على أوراق البردي في بعض المقابر بمصر سنة ١٨٩١ ، حيث نقل إلى المتحف البريطاني يومئذ ، وأخذ الباحثون الأوربيون يشتغلون بترجمته إلى لغاتهم ، إلى أن جاء الدكتور طه حسين بعد ثلاثين عاماً من كشف هذا المخطوط الثمين فنقله إلى لغة الضاد ...

(١) إلى طه حسين ص ١٤

وإذا كان عام ١٩١٩ قد شهد في مصر وفي المكتبة العربية مولد محاضرات طه حسين ودروسه في تاريخ اليونان ، فإن هذا العام نفسه أيضاً قد شهد في مصر مولد كتاب : (الظاهرة الدينية عند اليونان ، وتطور الآلهة ، وأثرها في المدنية) ، وقد نشر ضمن كتاب (آلهة اليونان) وطبعته مطبعة المنار سنة ١٩١٩ في ست وتسعين صفحة . وقد سقط هذا الكتاب من (معجم المطبوعات العربية) ليوسف سركيس ، كما سقط من الجزءين الملحقين به وعنوانها : (جامع التصانيف الحديثة) ، لولا أن أشار إليه جامع كتاب : (إلى طه حسين في عيد ميلاده السبعين) الصادر عن دار المعارف ١٩٦٢ ، وكتاب (طه حسين بين أنصاره وخصومه) لجمال الدين الألوسي وهو يعقد ثبتا خاصاً بمؤلفات الدكتور طه حسين .

وحين أصبحت الجامعة المصرية الأهليه جامعة حكومية تابعة لوزارة المعارف سنة ١٩٢٥ ، وعين طه حسين أستاذاً لتاريخ الأدب العربي فيها كان استهلال إنتاجه في الفكر اليوناني والروماني كتابه (قادة الفكر) الذي صدر عن مطبعة الهلال سنة ١٩٢٥ ، ثم أعيد طبعه بعد ذلك مراراً . ولقد حاول طه حسين ـ بما له من نفوذ أدبي وصلات مع المسؤولين في وزارة المعارف ـ أن يقرر دراسة هذا الكتاب في المدارس ، تعميماً لنشر دراسات عن الفكر اليوناني خاصة بين طلاب المدارس ، فطبع الكتاب طبعات مدرسية مضبوطة بالشكل التام .

والحق أن هذا الكتاب قد عرّف شداة الأدب والفكر في مصر والعالم العربي برجال من اليونان والرومان من أمثال الشاعر هوميروس صاحب

« الإلياذة » ، والفلاسفة سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، والحاكم الفاتح إسكندر المقدوني ، والحاكم الغازي الروماني يوليوس قيصر .

وقد يقال لأول وهلة : وما دخل الإسكندر ، ويوليوس قيصر في الفكر اليوناني والروماني ؟ وقد أثار طه حسين نفسه هذا السؤال بقوله : (لعلك تعجب حين تراني أحدثك عن الاسكندر الفاتح ، في كتاب يبحث عن قادة الفكر ولعلك تسأل : ما بال قائد من قواد الجيوش يخالط بهؤلاء الذين لم يتسلطوا إلا على العقول ؟)[1] . وقد أجاب طه عن هذا التساؤل بتقريره بأن الإسكندر لم يكن قائد جيش ليس غير ، وإنما كان قائد فكر قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وفوق كل شيء[2] ... فالإسكندر لم يكن يريد فتح الأرض والبلاد وحدها ولكنه أراد مع هذا أن يفتح العقول ، فقارب بين الشرق والغرب في التفاهم والتعاطف ، ومزج العقل الشرقي بالعقل الغربي ، وكان عمله في نشر الفلسفة اليونانية في أقطار الأرض كلها عملاً يؤهله لأن يكون أشد قادة الفكر القدماء إنتاجاً ، وأكثرهم نفعاً ...

ولا يقل يوليوس قيصر عن الإسكندر شأناً في هذا المجال ، فهو مكمل للإسكندر في نشر الفكر اليوناني الذي ورثه الرومان عن اليونان .

والحق أن كتاب (قادة الفكر) لطه حسين قد عرّف القراء العرب بالثقافة اليونانية ، وبالفكر اليوناني تعريفاً واضحاً دقيقاً . وإذا كان بعض الحكماء ومؤرخي الفلاسفة العرب قد ترجموا لنا سير عشرات من رجال

---

(١) قادة الفكر طبعة سنة ١٩٣١ ص ٢٠٥

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٩

الفكر اليوناني والأجنبي القديم ، كالذي فعله « القفطي » في كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) ، وكالذي صنعه ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء ، في طبقات الأطباء) ، فإن طه حسين استطاع - في فهم عميق للتاريخ اليوناني والحضارة الاغريقية - أن يعرض لنا الفكر اليوناني مجلواً أحسن جلاء ، مع بيان اتجاهاته وتطوره ، وقيمه العالية ، والظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت به أو أثرت فيه .

ولم يجعل الدكتور طه حسين كتاب (قادة الفكر) آخر انتاجه الفكري فيما يتصل بالأدب اليوناني والثقافة اليونانيـــة ، ففي سنة ١٩٣٩ — والحرب العالمية الثانية تبدأ نذرها للعالم بشر مستطير — نراه يصدر كتابه : (من الأدب التمثيلي اليوناني : سوفوكليس) الذي صدر عن دار المعارف . ويتناول هـذا الكتاب ترجمة مسرحيات ست لسوفوكليس شاعر المأساة اليونانية المشهور ، والذي توفي سنة ٤٠٦ ق.م . ولا أدري ما الذي حدا بالدكتور طه حسين أن يصدر هذه التمثيليات دون أن يعرّف القراء بالشاعر اليوناني الذي الذى ألفها ؟ فلقد كان الناس ينتظرون تعريفاً وترجمة ودراسة لهذا الشاعر ولسيرة حياته . ولو أنه فعل لكان ذلك خيراً كثيراً ؛ ولعله اكتفي بترجمة الأثر عن الترجمة والتعريف بالمؤثر نفسه ...

ولم يكتب طه حسين لهذا الكتاب مقدمة تكشف عنه للقراء الذين لايعرفون شيئاً أو يعرفون قليلاً عن المسرح اليوناني . ولم يكتب في صدر كل تمثيلية من التمثيليات الست تلخيصاً لها أو تعريفاً بها ، ولكنه اكتفى بكتابة أسماء أشخاص المسرحية وزمانها ومكانها في سطور — ما عدا بعض التمثيليات التي عرّف بها - في أولها - تعريفاً وجيزاً ، كما فعل في تمثيلية « أياس » ، و « أوديبوس ملكاً » ، و « أوديبوس في كولونا » ، و « فيلوكتيتس »

ويمتاز أسلوب طه حسين في ترجمة هذه التمثيليات بالرشاقة والسهولة والتأنق في العبارة ، حتى تكون ملائمة لقيمة هذه الروائع الفنية ، على حدّ ما يفعل النقلة والمترجمون حين يتأنقون في نقل الآثار الأدبية .

ولعل نقل التمهيد الذي كتبه طه حسين لتلخيص تمثيلية « فيلوكتيتيس » يعطي القارىء فكرة عن طريقته في التلخيص حيث يقول : (كان فيلوكتيتيس ابن بياس صديقاً لهيرقل بطل اليونان المعروف ، أشهد موته ، وأعانه عليه ، وورث قوسه وسهامه . وقد سافر مع الجيش اليوناني لحرب طروادة ، فلما كان في بعض الطريق لدغته حية في إحدى رجليه ، وعمل السمّ في رجله حتى جعلت تنبعث منه رائحة كريهة مؤذية . فضاق به اليونان ، وظنوا أن الآلهة أرادت به شراً ، وأزمعوا أن يخلصوا منه . فكلفوا أودسيوس أن ينقله أثناء نومه إلى جزيرة لمنوس ، وأن يتركه فيها وحيداً ، ففعل . وأقام فيلوكتيتيس في هذه الجزيرة الخالية عشر سنين ، شقياً بآلامه ووحدته . ثم أوحى الآلهة إلى اليونان أن طروادة لن تؤخذ إلا إذا عاد فيلوكتيتيس إلى الجيش وشارك في الحرب بسهام هيرقل . فكلف اليونان أودسيوس أن يذهب إلى الجزيرة ليأتي بهذا الطريد ، فذهب ومعه نيوبتوليم بن أخيل ، وامتنع فيلوكتيتيس عليهما ، ثم انتهى باتباعهما . والقصة تمثل ما كان من محاولة أودسيوس حمل فيلوكتيتيس إلى طروادة ، وامتناع فيلوكتيتيس أول الأمر واستجابته أخيراً)[1].

ومن الحق أن نقول إن طه حسين قد اهتم بالشخصيات اليونانية القديمة في المجالات المختلفة ، فهو يولي الفلاسفة من أمثال سقراط ، وأفلاطون وأرسطو كثيراً من عنايته واهتمامه . وقد بلغ من إعجابه بمفكر عظيم مثل

(١) من الأدب التمثيلي اليوناني – ص ٣٣٣

أرسطو أن يترجم له في كتابه (قادة الفكر) ترجمة عظيمة شاملة ، كما ترجم له في كتاب (نظام الأثينيين) ترجمة أخرى مفصلة في بضع وثلاثين صفحة من الكتاب الذي ألفه هذا الفيلسوف الكبير .

ولقد كشف طه حسين نواحي جديدة من أرسطو لم تكن معروفة من قبل . فزاد على مكانه العظيم في الفلسفة مكانه في علم السياسة ، حيث عرف المحدثون منه رجلاً آخر لم يكن يعرفه أهل القرون الوسطى ، رجلاً قد حاول درس الظواهر الاجتماعية في المجتمع البشري بنفس المنهج الذي كان يدرس به الظواهر الطبيعية ، والنفسية ،وما بعد الطبيعة . كما كشف طه حسين ـ نقلا عن الباحثين في التاريخ القديم ـ مكانة أرسطو في إتقان النقد الأدبي .

والحق أن تعبيرنا عن طه حسين بأنه كشف هذه النواحي في أرسطو هو تعبير بعيد عن الدقة العلمية . والأولى أن نقول : إن طه حسين قد نقل إلى القراء العرب المحدثين اكتشاف الباحثين الغربيين لنواح جديدة من الرجل الذي أطلق عليه العرب اسم : المعلم الأول ، وكذلك نقل طه حسين عن علماء الغرب قيمة أرسطو في البيان والخطابة والتاريخ .

ونستطيع أن نقرر في اطمئنان أن الدكتور طه حسين بترجمته كتاب (نظام الأثينيين) كان أول من دلنا ، من المفكرين العرب ، على مكانة الفيلسوف أرسطاطاليس في التاريخ .

ولا يهتم طه حسين في الفكر اليوناني بالفلاسفة وحدهم ؛ فهو عظيم الاهتمام بشاعر مأسوي مثل سوفوكليس وينقل إلى العربية بضعاً من تمثيلياته .

وهو عظيم الاهتمام بكاتب من كتاب السير والتراجم مثل « بلوتارك » ـ أو « فلوترخس » كما عربه طه حسين ـ صاحب كتاب (العظماء) : (الذي ترجم فيه لعظماء الرجال من اليونان والرومان ، والذي كان له في العصر

القديم ، وفي القرون الوسطى ، وفي أول هذا العصر الحديث ، أثر لا يكاد يعدله أثر ، والذي مازال نقرؤه الآن بلذة لاتعدلها لذة ، وعناية لا تشبهها عنـاية ...) [1] .

ومع تنبه الدكتور طه وتنبيهه إلى القيمة العلمية لكتابات بلوتارك في التاريخ والتراجم ، فإنه فاته أن يشير إلى نزاهته التامة وحيدته المطلقة وهو يترجم للشخصيات الرومانية بجانب الشخصيات اليونانية . ومع أن الرجل كان يونانياً بأصله ومولده وكان يعتز بهذ النسب ، فإنه آثر النزاهة حين تحدث عن شخصيتين متوازيتين إحداهما يونانية ، والأخرى رومانية ، وكان يعقد بين كل شخصيتين موازنة دقيقة نزيهة في كتابه المشهور : (حيوات متوازية) .

ولقد بلغ من شغف طه حسين بالثقافة اليونانية ، والأدب اليوناني ، واهتمامه البالغ بها أنه استقبل مسرحية (براكسا ، أو مشكلة الحكم) للأستاذ توفيق الحكيم بترحاب بالغ عظيم . وفرح لأن الحكيم أخذ مسرحيته عن الأدب التمثيلي اليوناني ، وحمد الله على محنة توفيق الحكيم ـ في عصر من عصور الاستبداد في مصر ـ لأنها أنتجت للأدب العربي مثل هذه المسرحية في زمن كانت حرية الفكر فيه معطلة عند المصريين . ولنتركه في نص عبارته يقول عن هذه المسرحية : (فلنحمد لمحنة الأستاذ توفيق الحكيم هذه اليسيرة ، فضلها على الأستاذ وعلى قرائه ، وعلى الأدب العربي الحديث ، الذي أخـذ يتصل بالتمثيل اليوناني المضحك هـذا النحو الخصب القيم من الاتصال . ولنتمن على الله أن يزيد هذا الاتصال ويقويه ، وأن يكثر أمثال هذه القصة دون أن تدعو إلى ذلك محنة يسيرة أو عسيرة للأستاذ أو لغيره في حرية الرأي . وإن كان كل شيء يدل على أن حرية الرأي لم تأمن

---

(١) قـادة الفكر ص ٧ ، ٨

بعد شر الامتحان ، وعلى أن هذا الامتحان - مهما يكن مؤلماً ثقيلاً ـ فهو ينتج خيراً لأنه يدفع الأديب إلى التفكير ، ثم إلى التعبير ، ثم إلى النشر)[١] .

ثم أخذ طه حسين بعد ذلك يستعرض قصة أرستوفان أعظم شعراء الملهاة عند اليونان ، ويستعرض قصة توفيق الحكيم التي جرى فيها على نهج أرستوفان . وندعه يقول في هذا المعرض بنص عبارته : (فلنقف إذن عند هذه القصة القصيرة ، بل لنقف قبل ذلك عند أصلها اليوناني . فقد طلب إلينا الأستاذ توفيق الحكيم أن نقرأ قصة أرستوفان قبل أن نقرأ قصته . وقد عدت إلى قصة أرستوفان بعد طول عهدي بها ، ثم قرأت قصة الأستاذ توفيق الحكيم ، فحمدت الأستاذ تواضعه واعتداله وإيثاره القصد ، واعترافه بأنه لايستطيع أن يقيس قامته إلى قامة ارستوفان ...

وأخذ طه حسين بعد ذلك يبين مرامي أرستوفان وأهدافه من هذه القصة ، التي أراد بها أن يسخر من الديمقراطية ومن الفلسفة معاً ، وأن يجعل أهل أثينا يضحكون من أحب الأشياء إليهم ، وآثرها عندهم ـ أي من الفلسفة والسياسة . فسخر من أفلاطون وجمهوريته التي تمناها وتمثلها في كتابه (الجمهورية) ، وسخر من سقراط في قصة السحاب ، وسخر من النظم الديمقراطية القائمة وقتها في بلاد اليونان .

محمد عبد الغني حسن

ـ للبحث صلة ـ

---

(١) فصول في الأدب والنقد لطه حسين ص ١٣٨

نظرات في ما أخذه ابن الشجري
على مكّي في كتاب «مشكل إعراب القرآن»

الدكتور أحمد حسن فرحات

حينما كنت أحضّر رسالتي لنيل درجة الدكتوراه في النفسير وعلوم القرآن ، والتي كانت بعنوان : « مكي بن أبي طالب .. وتفسير القرآن الكريم » ، لفت انتباهي كلام ورد في الصفحة / ٣٤٦ من الجزء الثاني من أمالي ابن الشجري المطبوعة في حيدر أباد الدكن عام ١٣٤٩ هـ يَردُّ فيه ابن الشجري [1] المتوفى عام ٥٤٢ هـ على مكي بن أبي طالب القيسي [2] المتوفى عام ٤٣٧ هـ في إعراب قوله تعالى : « إما شاكراً وإما كفوراً » ويقول بعد ذلك ابن الشجري بأن لمكي زلات في كتاب مشكل الإعراب سيذكرها فيما بعد ، غير أن الكتاب المطبوع من الأمالي لا يحتوي على ذكر هذه الزلات ، فقدّرت أن الكتاب المطبوع ليس هو كل الكتاب . وسافرت بعد ذلك إلى القاهرة وتعرفت في دار الكتب المصرية على نسخة مخطوطة من أمالي ابن الشجري تحت رقم ٦٧٢ /

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان : ٥/٩٦-١٠٠ بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.

(٢) انظر ترجمته في إنباه الرواة على أنباه النحاة : ٣/٣١٣

أدب تيمور ، فإذا فيها الردود التي وعد بها ابن الشجري على ما أسماه زلات لمكي في كتاب « مشكل إعراب القرآن » ، وهي تشغل من صفحة ٤٤١ – ٤٦٩ من الجزء الثاني من النسخة المخطوطة . فصورتها إذ قدرت أنها ستكون جزءاً من دراستي ، حيث إنني قد خصصت الفصل الأول من الباب الرابع المتعلق بعلوم القرآن عند مكي لدراسة مشكل الإعراب . وهكذا فقد جعلت الفصل الأول من الباب الرابع في مبحثين : المبحث الأول : قدمت فيه دراسة عن مشكل الإعراب . والمبحث الثاني : درست فيه ما زعمه ابن الشجري من زلات في هذا الكتاب .

وقد تبين لي من خلال هذه الدراسة التي رجعت فيها إلى أهم المصادر المخطوطة والمطبوعة من كتب الإعراب والتفسير أن ابن الشجري كان متحاملاً على مكي ، يتكلف في تصيّد السقطات ، وغالباً ما كان يجنح إلى أسلوب المغالطة .

ولقد كان في نيتي تحقيق كتاب « مشكل إعراب القرآن » وقد بدأت بذلك حينما كنت في المدينة المنورة عام ١٣٩٠ هـ وقابلت نسخة مكتبة تيمور بنسخة عارف حكمة ، ثم علمت من بعض زملائي أن هناك أخاً في دمشق يعمل في تحقيق الكتاب ، فضعفت همتي في العمل إلى أن توقفت عن ذلك حينما علمت بأن هناك من يعمل فيه في العراق أيضاً ، وكان من منهجي في تحقيق الكتاب أن أضمنه هذه الدراسة لما زعمه ابن الشجري من زلات لمكي ، تتميماً للفائدة .

ولما كان مجمع اللغة العربية في دمشق قد قام حديثاً بطبع كتاب « مشكل إعراب القرآن » بتحقيق الأستاذ ياسين السوّاس الذي حرص على أن يجعل في حواشي الكتاب مؤاخذات ابن الشجري على مكي دون أن

يناقشها ، رأيت من واجبي أن أتقدم بهذه الدراسة إلى مجلة مجمع اللغة العربية آملاً أن تُلْقِيَ بعض الأضواء على حقيقة ما زعمه ابن الشجري من زلاّت لمكي في هذا الكتاب تاركاً الحكم في ذلك للقارىء الكريم .

وأود أن أقدم بين يدي هذه الدراسة الملاحظات التالية :

١ — حاولت أن أتعرف على دوافع هذه الحملة الكبيرة والهجمة العنيفة من ابن الشجري على مكي ، فلم أجد إلا أن ابن الشجري كان شيعياً أقرب في عقيدته للمعتزلة ، في حين كان مكي مالكياً سلفياً ، وقد حمل على المعتزلة في كتابه « مشكل الإعراب » حملة شعواء ونسبهم إلى الخطأ في الإعراب والجهل بالعربية . فكان عمل ابن الشجري من قبيل الدفاع عن النفس ، والذّود غير المباشر عن مذهب المعتزلة ، ومحاولة لصرف الناس عن كتاب مشكل إعراب القرآن بادعاء أن فيه سقطات ، ومما يؤيد ذلك أسلوب ابن الشجري في مناقشته لمكي وحماسه الشديد ، وتجريحه له بألفاظ قاسية ينبو عنها الذوق السليم .

٢ — إن ما ادعاه ابن الشجري من زلات لمكي في كتابه « مشكل إعراب القرآن » — فيما لو سُلِّم بأنها زلات — لم ينفرد بها كتاب المشكل وحده ولم يبتدعها مكي من عند نفسه ، وإنما هي وجوه في الإعراب ـ قد تضعف أو تصح — ذكرها من جاء قبل مكي من علماء العربية كما ذكرها من جاء بعده ، وهي موجودة في كتب إعراب القرآن وكتب التفسير ، فما معنى أن ينصبّ النقد فيها على مكي وحده وعلى كتابه « مشكل إعراب القرآن » !

٣ — بين هذه الزلات التي ادعاها ابن الشجري حروف يعترف ابن الشجري نفسه أثناء مناقشتها أنها ليست بزلات وأن ما ذكره حولها

كان من باب تتميم الفائدة ، وفي ذلك ما فيه من التدليس والإيهام لحشرها ضمن مجموعة من الزلات ، على حــد قوله . كما أن هناك حروفاً لم يذكرها مكي في كتابه اتهم فيها ابن الشجري مكياً بأنها خفيت عليه . ولا شك بأن مثل هذا التصرف من ابن الشجري يقوم على أساس الرجم بالغيب وسوء الظن بالآخرين ، وقد كشفت ذلك برجوعي إلى كتب مكي الأُخر التي تعرّضت للإعراب في بعض الأحيان مثل تفسيره « الهداية إلى بلوغ النهاية » وسيشاهد القارىء أمثلة ذلك كله في ثنايا الدراسة .

٤ - إن بعض ما ذكره ابن الشجري من هذه الزلات كان خطأ في فهم عبارة مكي التي تجنح نحو الإيجاز دائماً ، ومن ثم كان الرجوع إلى كتب مكي الأخر مساعداً على كشف مراده منها . كما أن بعضاً مما ذكره ابن الشجري اعتمد فيه على نسخة خطية واحدة ، وقد تبين من الرجوع إلى النسخ الأخر أن ما أخذ على مكي ليس إلا خطأ ناسخ أو وهم كاتب .

٥ — أكثر الذين كتبوا في إعراب القرآن تابعوا ابن الشجري فيما قاله عن مكي دون مناقشة ، غير أن منهم من تعقّبه وردّ عليه في بعض الحروف كالسمين وابن هشام وأبي حيان .

٦ — يجعل ابن الشجري مكياً مسؤولاً عن أقوال حكاها في كتابه ونسبها إلى أصحابها دون أن يتبناها ، لأنه لم يتعقبها بالنقد ، ثم يتبين من مراجعة نسخ أخرى من الكتاب أنه قد تعقبها بالنقد .

٧ — لا أهدف من هذه الدراسة إلى تنزيه مكي عن الخطأ ، وإنما أهدف إلى رفع الظلم الذي حاق به نتيجة حملة ابن الشجري عليه ، وبخاصة إذا علمنا أن ابن الشجري كان أحد فحول النحاة مما جعل كثيراً من المعربين يأخذون بأقواله دون مناقشة .

وفيما يلي نصوص ابن الشجري ومناقشتها :

المجلس الموفي الثمانين :

يتضمن ذكر ما وعدت به من زلات مكي بن أبي طالب المغربي في « مشكل إعراب القرآن » :

١ - في اسم الإشارة :

قال ابن الشجري (١) : فمن ذلك أنه قال - أي مكي - في قوله سبحانه وتعالى :

« أولئك على هدى من ربهم » (٢) « واحد أولئك : ذلك ، فإذا كان للمؤنث فواحده : ذي أو : ذه ، أو : تي (٣) » انتهى كلامه .

وأقول - أي ابن الشجري - : إن أسماء الإشارة منها ماوضع للقريب، ومنها ما وضع للتراخي البعيد ، ومنها ما وضع للمتوسط . فالموضوع للقريب المذكر : ذا ، والمؤنث : ذي ، وذه ، وتا ، وللاثنين : ذان ، وللاثنتين : تان ، وللجماعة الذكور والإناث : ألاء - ممدود - ؛ وألا - مقصور ، وقالوا للمتوسط : ذاك ، فزادوا الكاف ، وتيك ، وذانك ، وتانك ، وأولاك ، وأولئك ، وقالوا للمتباعد الغائب : ذلك ، فزادوا اللام ، وتلك، وتالك . قال القطامي :

فإن لتالك الغُمَم انقشاعا

وقالوا أولالك ، وعلى هذا أنشدوا :

أولالِكَ قومْي لم يكونوا أشابَةً   وهل يعظ الضلِّيل إلا أولالكا

---

(١) أمالي ابن الشجري : ج /٢/٤٤١

(٢) البقرة : ٥   (٣) مشكل إعراب القرآن ١/١٩

وقالوا في المثنى : ذانك ، وتانك ، فشددوا النون ، فكان الصواب أن يذكر مع أولئك ذاك وتيك ، فذكره ذي وذه خطأ ، والصحيح : أن نظير ذي وذه للمؤنث : تا ، فأمـــا تي فمجهولة في أكثر الروايات » . انتهى كلام ابن الشجري .

ومن ينظر في كلام ابن الشجري يرى أمراً عجباً ، ذلك أن مكياً ليس موضوع بحثه أسماء الإشارة حتى يفصل هذا التفصيل الذي فصله ابن الشجري ، إذ موضوعه هو إعراب مشكل القرآن ، وبصدد إعرابه لاسم الإشارة « أولئك » ـ الذي يدل على الجمع ـ أشار إلى مفرده في حال التذكير وهو : ذا ، كما أشار إلى مفرده في حال التأنيث ، وهو ذي ، وذه ، وتي وليس من غرضه أن يستوفي كل أسماء الإشارة ولا أن يتكلم عن البعيد منها والقريب والمتوسط ، لأنه لم يخصص كتابه لمثل هذه الفروع ، وليس ماذكره من هذه الفروع ـ عرضاً ـ خطأ كما يقول ابن الشجري ، وأين الخطأ في ذلك ؟ أهو لأنه لم يذكر لام البعد وكاف الخطاب ؟ وهل هذه من أصل اسم الإشارة ، حتى يكون ترك ذكرها خطأ ؟ ثم يقول : وأما « تي » فمجهولة في أكثر الروايات ، ولا أدري ماذا يعني بهذا القول ، أليست « تي » من أسماء الإشارة ؟ ألم يذكرها العلماء في كتبهم ؟ وقد قال ابن مالك :

بذا لمفـرد مذكر أشِــرْ   بذي وذه، تي تا، على الأنثى اقتصرْ

وإذا كان ابن مالك من المتأخرين عن ابن الشجري وليس بحجة على من سبقه ، فإن الزمخشري ـ وهو من معاصري ابن الشجري والمعجبين به ـ يقول في مفصله ـ الذي شرحه ابن يعيش ـ وتحت عنوان : أسماء الإشارة :

« فصل : قال صاحب الكتاب : ذا ، للمذكر ، ولمثناه : ذان ـ في الرفع ـ ، وذين ـ في النصب والجر .

ويجيء « ذان » ـ فيها ـ في بعض اللغات ، ومنه قوله تعالى : « إن هذان لساحران » .

و « تا » و « تي » و « ته » و « ذه » ـ بالوصل وبالسكون ـ و « ذي » للمؤنث[1] .... » .

ويقول في مكان آخر : « فإذا أشرت إلى المؤنث ففيه خمس لغات ، قالوا : « ذي وذه وتي وته ... »[2] .

وقال في مكان آخر : « ومثل ذلك في المؤنث : « تلك وتالك » يريد أنه كما زادوا اللام مع المذكر لبعد المشار إليه ، فقالوا : « ذلك » ، كذلك زادوها مع المؤنث فقالوا : « تلك » و « تالك » .

فأما « تلك » فهي : « تي » ، وإنما حذفوا الياء لسكونها وسكون اللام بعدها ولم يكسروا اللام كما فعلوا في : « ذلك » كأنهم استثقلوا وقوع الياء بين كسرتين لو قالوا : « تيلك » ... »[3] .

ولو لم تذكر « تي » في كتب النحو المتأخرة والمتقدمة ، أفلا يكفي أن تؤثر عن النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه أحمد عن عائشة في حديث الإفك حيث ذكرت أن الرسول ﷺ حينما دخل عليها في مرضها سلم وقال : « كيف تيكم ؟ »[4] .

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش : ١٢٦/٣

(٢) شرح المفصل لابن يعيش : ١٣١/٣

(٣) شرح المفصل لابن يعيش : ١٣٦/٣

(٤) تفسير ابن كثير : ٢٨٢/٣

ثم لو لم يذكرها الرسول ﷺ ألا يكفي أن ترد الكلمة في القرآن الكريم في آيات كثيرة من مثل قوله تعالى: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» و «تلك الأمثال نضربها للناس» و «تلك أمة قد خلت» و «تلك حجتنا» إلى غير ذلك من الآيات ... وبعد ذلك كله لا أدري كيف تكون «تي» مجهولة في أكثر الروايات عند ابن الشجري !!

٢ – في أصل كلمة «محيط»:

قال ابن الشجري:[1] وقال – أي مكي – في قوله تعالى:

«والله محيط بالكافرين»:[2]

«أصل «مُحِيط»: مُحْيِط، ثم ألقيت حركة الياء على الحاء[3]».

قال ابن الشجري: «والصحيح: أنّ أصل مُحِيط: مُحْوِط: لأنه من حاط يحوط، والحائط، أصله: حَاوِطٌ، لأنك تقول: حَوَّطْتُ المكان، إذا جعلت عليه حائطاً، فألقيت كسرة الواو على الحاء، فصارت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها، كما صارت واو «الوزن» و «الوقت» و «الوعد» ياءً في ميزان، وميقات، وميعاد».

واذا ما نظرنا في كلام مكي وابن الشجري نجد أنه لاخلاف بين القولين لأن كلاً منهما يصلح باعتبار، فالقلب عنـــد مكي قد حدث أولاً بالفعل المضارع «يُحِيط» ومن ثم كان اسم الفاعل «مُحْيِط»، ثم تلقى حركة الياء على الحاء فتصبح «مُحِيط».

أما ابن الشجري فيريد أن يُجري القلب في اسم الفاعل مباشرة قبل

(١) أمالي ابن الشجري: ج/٢/٤٤٢

(٢) البقرة: ١٩

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/٢٨

أن يجريه في الفعل ، ولذلك رجّع الكلمة إلى الواو ، ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها .

وهكذا فكلٌ من الكلامين صحيح باعتبار ، ولا يمكن لمكي أبداً أن لايعرف أن « حاط » أصلها « حوط » و مُحيط أصلها « مُحْوِط »، وبخاصة إذا علمنا أن الكلمة قد جاءت « مُحْوِط » - بالواو - في بعض نسخ مشكل الإعراب كنسخة الظاهرية ، وأن الكلمة - بالياء - ليس لها أصل في العربية حيث لايوجد مادة (ح ي ط) في اللغة ولا في معاجمها .

٣ — في إعراب « كلما أضاء لهم مَشَوْا فيه » :

قال ابن الشجري :(١) وقال - أي مكي - في قوله تعالى :

« يكاد البرقُ يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مَشَوْا فيه » :(٢)

« كلما : نصب على الظرف بـ « مشوا » ، وإذا كانت « كلما» ظرفاً ، فالعامل فيها الفعل الذي هو جواب لها ، وهو مشوا ، لأن فيها معنى الشرط ، فهي تحتاج إلى جواب ، ولا يعمل فيها أضاء ، لأنه في صلة « ما » ، ومثله : كلما رزقوا ، الجواب : قالوا ، وهو العامل في « كل » ، و « ما » : اسم ناقص صلته : الفعل الذي يليه (٣) » انتهى كلامه .

ثم يقول ابن الشجري :

« وأقول : إنه لايجوز أن تكون « ما » في « كلما » هذه ونظائرها اسماً ناقصاً ، لأن التقدير فيها إذا جعلتها ناقصة : كل الذي أضاء لهم البرق مشوا

(١) أمالي ابن الشجري : ج /٢/٤٤٢

(٢) البقرة : ٢٠ (٣) مشكل إعراب القرآن ٢٩/١

في البرق ، لأن الهاء التي في « فيه » تعود على البرق ، ولا ضمير إذن في الصلة يعود على الموصول ظاهراً ولا مقدراً .

والصحيح أن « ما » ـ ههنا ـ نكرة موصوفة بالجملة مقدرة باسم زمان ، فالمعنى : كل وقت أضاء لهم البرق مشوا فيه . فإن قيل : فإذا كانت نكرة موصوفة بالجملة ، فلا بد أن يعود عليها من صفتها عائد ، كما لابد أن يعود على الموصول عائد من صلته ، فالجواب :

إن الجملة إذا وقعت صفة بخلافها إذا وقعت صلة ، لأن الصلة مع الموصول بمنزلة اسم مفرد ، فلا معنى للموصول إلا بصلته ، وليس كذلك الصفة مع الموصوف . وإذا عرفت هذا ، فالعائد من الجملة الوصفية إلى الموصوف محذوف ، التقدير : كل وقت أضاء لهم البرق فيه مشوا فيه ، فحذفت « فيه » ـ ههنا ـ كما حذفت من الجملة الموصوف بها في قوله تعالى : « واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً » (البقرة ٤٨ و ١٢٣) ، والتقدير : لاتجزي فيه ، كما قال : « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله » (البقرة ٢٨١) .

ولدى رجوعي إلى نسختَيْ المدينة من «مشكل إعراب القرآن» لأتأكد من صحة نقل ابن الشجري عن مكي ، رأيت أن نقل ابن الشجري غير صحيح ، والنص كما رأيته في النسختين المخطوطتين هو كما يلي :

« قوله : كلما : نصبه على الظرف لأضاء ، وفي « كلما » : معنى الشرط ثم يقول : « وذهب وأذهب بمعنى واحد ، لكن الباء تحذف إذا دخلت الهمزة » .

وهكذا نرى أن هذا التفصيل الذي ذكره ابن الشجري غير وارد

في « مشكل الإعراب[١] » ، وإذن فالكلام الذي أورده لاينطبق على مكي ولا على كتابه .

على أن ما أورده ابن الشجري في هذا المجال فيه نظر . فقد ذكر السمين في كتابه « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » وجوهاً في إعراب « كلما » توضح ما التبس على ابن الشجري وتكشف الحقيقة . قال السمين :

« كلما أضاء لهم مشوا فيه » كل : نصب على الظرف ، لأنها أضيفت إلى « ما » الظرفية ، والعامل فيها جوابها : « مشوا » . وقيل : « ما » : نكرة موصوفة ، ومعناها : الوقت ، أيضاً ، والعائد محذوف تقديره : كل وقت أضاء لهم مشوا فيه . فأضاء : - في الأول - لامحل له لكونه صلة ، ومحله : الجر - على الثاني - وأضاء : يجوز أن يكون لازماً . وقال المبرد : هو متعد ، ومفعوله محذوف : أي : أضاء لهم البرق الطريق ، فالهاء في « فيه » تعود على البرق - في قول الجمهور - وعلى الطريق - المحذوف - في قول المبرد ، وفيه : متعلق بـ « مشوا » ، و « في » : على بابها ، أي : انه محيط بهم ، وقيل ، هي : بمعنى ، الباء ، ولا بد من حذف - على القولين - أي : مشوا في ضوئه ، أو : بضوئه ، ولا محل لجملة قوله : « مشوا » لأنها مستأنفة » .

ويظهر من كلام السمين ، أن التقدير واحد على كلا الإعرابين لأن « ما » - هنا - ظرفية تفيد الوقت ، كما تفيده « ما » التي هي نكرة موصوفة معناها : الوقت أيضاً . وكذلك ليس شرطاً أن يعود الضمير على

(١) اطلعت بعد كتابة هذا البحث على بعض نسخ مشكل الإعراب في دار الكتب المصرية ، فإذا هي كما ينقل ابن الشجري ، وعلى هذا فهناك اختلاف بين النسخ في إعراب هذا الحرف ، وأيّاً ماكان الأمر فالجواب ماذكر .

البرق في حالة اعتبارنا «أضاء»: فعلاً متعدياً، حيث يمكن عود الضمير على الطريق - في قول المبرد.

٤ - في إعراب «إلا إبليس»:

قال ابن الشجري: [1] وقال - أي مكي - في قوله:

«وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا إلا إبليس»: [2]

«نصب على الاستثناء المنقطع، ولم ينصرف لأنه أعجمي معرفة. وقال أبو عبيدة: هو عربي مشتق من أبلس، إذا يئس من الخير، ولكنه لانظير له في الأسماء، وهو معرفة فلم ينصرف لذلك [3]».

قلت - أي ابن الشجري -: إن كان يريد بقوله: لانظير له في الأسماء: عدم نظير له في وزنه، فليس هذا بصحيح، لأن مثال إفعيل كثير في العربية كقولهم للطلع: إغريض، والمعصفر: إحريض، وللسنام الطويل: إطريح. ولا خلاف في أنك لو سميت بـ «إغريض» ونحوه أصرفت.

وإن كان يريد أنه لانظير له في هذا التركيب على هذا المثال، فكذلك «إغريض» منفرد بهذا التركيب على هذا المثال، ولو انضم التعريف إلى ذلك لم يمتنع من الصرف. وأبو عبيدة إنما كان صاحب لغة.

ونلاحظ أن هذا الاستدراك لم يكن على رأي مكي وإنما كان على رأي أبي عبيدة، ولذلك يقول في آخر كلامه: «وأبو عبيدة إنما كان صاحب لغة». يريد بذلك أنه ضعيف في النحو والصرف وإن كان على علم بمعاني المفردات اللغوية.

---

(١) أمالي ابن الشجري: ج/٢/٤٤٣

(٢) البقرة: ٣٤

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/٣٧

وذكر السمين في كتابه أنه قيل في توجيه رأي أبي عبيدة : لمّا لم يتسمّ به أحد من العرب صار كأنه دخيل في لسانهم ، فأشبه الأعجمية . ثم قال السمين معلقاً عليه : وفيه بعد .

٥ — في إعراب « يردّونكم من بعد إيمانكم كفاراً » .

قال ابن الشجري :[١] وقال – أي مكي – في قوله تعالى :

« ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم » :[٢]

« قوله « كفاراً » : مفعول ثان لـ « يردونكم » ، وإن شئت جعلته حالاً من الكاف والميم في « يردونكم »[٣] » .

« قلت – أي ابن الشجري – : لايجوز أن يكون قوله « كفاراً » : مفعولاً ثانياً لـ « يردونكم » لأن « رد » ليس مما يقتضي مفعولين ، كما يقتضي ذلك باب « أعطيت » بدلالة أنه إذا قيل : أعطيت زيداً ، قلت : ماذا أعطيته ؟ فيقال : درهماً ، أو الدرهم الصحيح ، أو نحو ذلك ، ولو قيل : رددت زيداً ، لم تقل : ماذا رددته ؟ فبهذا يعتبر الفعل المتعدي وغير المتعدي ، ويزيد ذلك وضوحاً أن منصوب « رددت » الثاني يلزمه التنكير والاشتقاق وأن يكون هو الأول ، كقولك : رددت زيداً مسروراً ، ورددته ماشياً ورددته راكباً .

ولو كان مفعولاً به لم تلزمه هذه الأشياء ، ألا ترى أنك تقول : أعطيت زيداً الدرهم ، فتجد في المنصوب الثاني : التعريف والجمود ، وأنه

(١) أمالي ابن الشجري : ج/٢/٤٤٤
(٢) البقرة : ١٠٩ (٣) مشكل إعراب القرآن ١/٦٨

غير الأول . ثم يجوز مع هذا أن يكون المنصوب الثاني في هذا الباب مضمراً ، تقول : الدرهم أعطيتكه ، وأعطيتك إياه .

وجميع هذه الأوصاف لا يصح فيها وصف واحد في قولك : رددت زيداً راكباً ونحوه ، حتى إن التعريف وحده ممتنع ، تقول : رددتكم ركباناً ، ولا تقول رددتكم الركبان ، ولا رددتك الراكب » .

ونرى هنا أن ابن الشجري الذي خطّأ مكياً في إعرابه يردّ أرجح القولين ويعتمد أضعفها لأن « رد » — هنا — بمعنى صير ، وليست بمعنى : رجع ، كما توهم وظن .

قال السمين في كتابه « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » :
« . . . فـ « رد » — هنا — فيها قولان :

أحدهما — وهو الواضح — أنها المتعدية لمفعولين بمعنى : « صير » فضمير المخاطبين مفعول أول . وكفاراً : مفعول ثان . ومن مجيء « رد » بمعنى « صير » قوله :

رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سَمَدْنَ له سُمودا
فردّ شعورهن السود بيضاً وردّ وجوههن البيض سودا »

ثم قال السمين : « وجعل أبو البقاء : كفاراً : حالاً من ضمير المفعول على أنها المتعدية لواحد — وهو ضعيف — لأن الحال يستغنى عنها غالباً ، وهذا لابد منه » .

وقال ابن الأنباري — تلميذ ابن الشجري — : « كفاراً » : منصوب من وجهين : أحدهما أن يكون مفعولاً ثانياً « ليردونكم » . والثاني : أن يكون منصوباً على الحال من الكاف والميم في « يردونكم »(١) .

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ١/١١٨

ومما تقدم يتبين أن كل ما قاله ابن الشجري ، إنما بناه على أن « ردّ » ليس بمعنى « صيَّر » وبالتالي فهي لا تنصب مفعولين . وإذ تبين لنا بُعدَ ما ذهب إليه ابن الشجري في هذا ، فلا يصح أن يكون إعراب هذه الكلمة من زلات مكي ، بل هو من زلات ابن الشجري .

٦ -- في إعراب « حسداً من عند أنفسهم » :

قال ابن الشجري : [1] وقال - أي مكي - في قوله :

« حسداً من عند أنفسهم » : [2]

« من : متعلقة بـ « حسداً » ، فيجوز الوقف على « كفاراً » ، ولا يجوز الوقف على « حسداً » .

وقيل : هي متعلقة بـ «ود كثير » ، ولا يوقف على « كفاراً »، ولا على « حسداً » [3] » .

« قلت - أي ابن الشجري - :إن قول النحويين: هذا الجارمتعلق بهذا الفعل يريدون أن العرب وصلته به ، واستمر سماع ذلك منهم ، فقالوا : رغبت في زيد، ورضيت عن جعفر ، وعجبت من بشر ، وغضبت على بكر ، ومررت بخالد ، وانطلقت إلى محمد ، وكذلك قالوا : حسدت زيداً على علمه وعلى ابنه ، ولم يقولوا ، حسدته من ابنه .

وكذلك « وددت » لم يعلقوا به « من » ، فثبت بهذا أن قوله : « من عند أنفسهم » لا يتعلق بـ « حسداً » ، ولا بـ « ودّ »، ولكنه

(١) أمالي ابن الشجري : ج/٢/٤٤٤

(٢) البقرة : ١٠٩

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/٦٨

يتعلق بمحذوف يكون وصفاً لـ « حسداً » أو وصفاً لمصدر « ودّ » وكأنه قيل : حسداً كائناً من عند أنفسهم » .

إن ابن الشجري لم ينقل رأي مكي في إعراب « حسداً » ، وإنما نقل رأيه في تعليق الجار والمجرور فقط ، وهذا لا يوضح رأي مكي تماماً ، فلو رجعنا إلى رأي مكي في إعراب « حسداً » وجدناه يعرب « حسداً »: مصدراً ، وإذا كانت مصدراً جاز تعليق الجار والمجرور بها ، وممن اعتبرها مصدراً الطبري ، وقد قال في توجيه ذلك :

« ويعني – جل ثناؤه – بقوله : « حسداً من عند أنفسهم » أن كثيراً من أهل الكتاب يودون للمؤمنين ما أخبر الله – جل ثناؤه – عنهم أنهم يودونه لهم ، من الردة عن إيمانهم إلى الكفر حسداً منهم ، وبغياً عليهم ، والحسد إذاً منصوب على غير النعت للكفار ، ولكن على وجه المصدر الذي يأتي خارجاً من معنى الكلام الذي يخالف لفظه لفظ المصدر ، كقول القائل لغيره : تمنيت لك ما تمنيت من السوء حسداً مني لك ، فيكون « الحسد » مصدراً من معنى قوله : تمنيت من السوء ، لأن في قوله تمنيت لك ذلك ، معنى : حسدتك على ذلك ، فعلى هذا نصب الحسد ، لأن في قوله : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً » بمعنى : حسدكم أهل الكتاب على ما أعطاكم الله من التوفيق ووهب لكم من الرشاد لدينه ، والإيمان برسوله ، وخصكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلاً منكم ، رؤوفاً بكم رحيماً ، ولم يجعله منهم ، فتكونوا لهم تبعاً ، فكان قوله : « حسداً » مصدراً من ذلك المعنى » .

ثم إن المفسرين تلقوا ما ذكره مكي بالقبول ونقلوه في كتبهم فهذا

الزمخشري في كشافه [١] يقول : « من عند أنفسهم : قلت فيه وجهان :

أحدهما : أن يتعلق بـ « ود » على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم ، وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ، ومن قبل شهوتهم ، لامن قبل التدين والميل مع الحق ، لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق ، فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق ؟

وإما أن يتعلق بـ « حسداً » ، أي : حسداً متبالغاً منبثاً من أصل أنفسهم » ومثل ذلك قال الفخر الرازي في تفسيره . وقال القرطبي : « من عند أنفسهم » قيل : هو متعلق بـ « ود » ، وقيل بـ « حسداً » فالوقف على قوله « كفاراً » . ويلاحظ هنا ألفاظ مكي بقوله : فالوقف على قوله « كفاراً » .

أما ابن الأنباري تلميذ ابن الشجري في كتابه « البيان في غريب إعراب القرآن » فيبدو أنه لا يوافق أستاذه في ما ذهب إليه حيث يقول : « من عند أنفسهم : فيه وجهان : أحدهما أنه في موضع نصب لأنه متعلق بـ « ودّ » . والثاني أنه متعلق « بحسد » . والوجه الأول أوجه الوجهين » [٢] .

٧ - في إعراب « كذلك قال الذين لايعلمون » :

قال ابن الشجري :[٣] وقال - أي مكي - في قوله تعالى :

---

(١) تفسير الكشاف - طبعة دار الكتاب العربي في بيروت ج/١ - ص ١٧٦ - ١٧٧ وانظر الفخر الرازي ج/٢/ص ٢٤٤ طبع القاهرة مؤسسة المطبوعات الإسلامية ، والقرطبي - طبعة دار الكتب ج/٢/ص٧٠

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن : ١١٨/١

(٣) أمالي ابن الشجري : ج/٢/٤٤٦

« كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم »[(١)] و « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم »[(٢)] .

« الكاف : في الموضعين ، في موضع نصب نعت لمصدر محذوف ، أي : قولاً مثل ذلك قال الذين لايعلمون ، وقولاً مثل ذلك قال الذين من قبلهم » ، ثم قال : « ويجوز أن تكونا في موضع رفع على الابتداء ، ومابعد ذلك الخبر » انتهى كلامه .

وأقول ـ أي ابن الشجري ـ : لا يجوز أن يكون موضع الكاف ـ في الموضعين ـ رفعاً كما زعم ، لأنك إذا قدرتها مبتدأ ، احتاجت إلى عائد في الجملة ، وليس في الجملة عائد ، فإن قلت : أقدر العائد محذوفاً كتقديره في قراءة من قرأ : « وكلٌّ وعد الله الحسنى » أي وعده الله ، فأقدر : كذلك قاله الذين لايعلمون ، وكذلك قاله الذين من قبلهم ، لم يجز هذا ، لأن قال قد تعدى إلى مايقتضيه من منصوبه ، وذلك قوله : مثل قولهم ، ولا يتعدى إلى منصوب آخر .

ونلاحظ ـ هنا ـ أن ابن الشجري لا يجيز القول بالرفع بالابتداء قياساً على قوله تعالى : « وكلٌّ وعد الله الحسنى » ، ويعلل ذلك بأن « قال » قد تعدى إلى مايقتضيه من منصوبه ، وذلك قوله : « مثل قولهم » فلا يجوز إذن أن يتعدى إلى منصوب آخر » .

غير أنه يقال لابن الشجري : إن الذين أجازوا الرفع بالابتداء ،

(١) البقرة : ١١٣ (٢) البقرة : ١١٨
(٣) مشكل إعراب القرآن ٦٩/١

لم يجعلوا قوله تعالى : « مثل قولهم » منصوباً لـ « قال » وإنما وجهوه توجيهاً آخر :

قال ابن هشام [١] : « قلت : « مثل » : بدل من « كذلك » أو بيان ، أو نصب بـ « يعلمون » ، أي لا يعلمون اعتقاد اليهود والنصارى ، فـ « مثل » بمنزلتها في « مثلُكَ لا يفعل كذا » أو نصب بـ « قال » ، أو الكاف مبتدأ والعائد محذوف ، أي : قاله ، وردّ ابن الشجري ذلك على مكي بأن قال : قد استوفى معموله وهو « مثل » . وليس بشيء ، لأن مثل حينئذ مفعول مطلق أو مفعول به لـ « يعلمون » والضمير المقدر مفعول به لـ قال » .

وقال أبو حيان في البحر المحيط : [٢] « وجوزوا أن تكون « الكاف » في موضع رفع بالابتداء ، والجملة بعده خبر ، والعائد محذوف تقديره : مثل ذلك قاله الذين . ولا يجوز لـ « قال » أن ينصب « مثل قولهم » نصب المفعول ، لأن « قال » قد أخذ مفعوله ـ وهو الضمير المحذوف العائد على المبتدأ ـ فينتصب إذ ذاك « مثل قولهم » على أنه صفة لمصدر محذوف ، أو على أنه مفعول لـ « يعلمون » ، أي : مثل قولهم ـ يعني اليهود والنصارى ـ قال الذين لايعلمون اعتقاد اليهود والنصارى .

ويبدو أن أبا حيان قد نقل هذا عن أبي البقاء ، كما نقله السمين عن أبي حيان ، حيث يقول السمين : « ذكر ذلك أبو البقاء ، وفيه نظر من وجهين :

أحدهما : أن الجمهور يأبى جعل الكاف اسماً ، والثاني : حذف

(١) مغني اللبيب : ١٩٥/١ ـ طبعة دار الفكر .
(٢) البحر المحيط ج/٣٥٣/١

العائد المنصوب ، والنحويون ينصون على منعه ، ويجعلون قوله :

وخالد يحمد ساداتنا بالحق لا يحمد بالباطل

ضرورةً » ثم يقول : « وللكوفيين في هذه المسألة تفصيل » .

وهكذا وبناء على هذين الاستدراكين اللذين عرضها السمين ضعّفَ أبو البقاء وجه الرفع بعد أن وجّهه حيث قال : « وهو ضعيف » وعلل ذلك بتعليل السمين نفسه .

ولاشك أن كلامنا الآن ليس مع ابن الشجري لأن ابن الشجري ضعّفه من وجه آخر لايصلح أن يضعف به ، لأن « مثل قولهم » ليست منصوبة بـ « قال » وإنما هي نعت لمصدر محذوف .

ولكننا نقف هنا وقفة مع السمين ومع أبي حيان لنرى وجاهة استدراكيها وإلى أي حد يصح ذلك .

وقد يكون من المناسب أن نورد رأي أبي حيان في قوله تعالى : « وكل وعد الله الحسنى » على قراءة من رفع « كل » فإن ذلك قد يكفينا مؤونة مناقشته لأنه يكون بذلك قد رد على نفسه ، فماذا قال أبو حيان في هذه الآية :

قال « وقرأ ابن عامر وعبد الوارث من طريق المادراني « وكل » بالرفع ، والظاهر أنه مبتدأ ، والجملة بعده في موضع الخبر ، وقد أجاز ذلك الفراء وابن هشام ، وورد في السبعة فوجب قبوله ، وإن كان غيرهما من النحاة قد خص حذف الضمير الذي حذف من مثل « وعد » بالضرورة وقال الشاعر :

وخالد تحمد ساداتنا بالحق لا تحمد بالباطل

يريد : تحمده ساداتنا . ثم ذكر وجهاً آخر ، ولكنه ليس الظاهر على حسب رأيه ، ولا ضرورة لذكره هنا » .

ويتبين لنا من خلال هذا النص ، أن أبا حيان يرجح ـ هنا ـ أن تكون « كل » مبتدأ وخبرها ما بعدها ، وينقل جواز ذلك عن بعض النحاة وإن كان أكثرهم لايجيزه .

غير أننا نقول : إن قواعد النحو مبنية على الاستقراء لما ورد في كلام العرب والقرآن الكريم ، وإذ ثبت ورود ذلك في الشعر والقرآن ، فلا مانع يمنع النحويين من قبول ذلك .

٨ ـ في إعراب « أن تبرّوا » :

قال ابن الشجري :[١] وقال ـ أي مكي ـ في قوله ـ عز وجل ـ :

« ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبَرّوا وتتقوا »[٢]

« أن تبروا : في موضع نصب على معنى : « في أن تبروا » ، فلما حذف حرف الجر تعدى الفعل .

وقيل : تقديره : كراهة أن ، وقيل : لئلا[٣] أن » انتهى كلامه .

« وأقول ـ أي ابن الشجري ـ : إن ما حكاه من أن التقدير : لئلا أن ، خطأ فاحش ، لتكرير « أن » ، وتبروا : مراد بعدها ، والتقدير: لئلا أن تبروا . وأن تبروا ، معناه : بركم ، فالتقدير : لئلا بركم » .

وإذا ما نظرنا في قول ابن الشجري ـ هنا ـ واستدراكه على

(١) أمالي ابن الشجري : ج / ٢ / ٤٤٦

(٢) البقرة : ٢٢٤ (٣) مشكل إعراب القرآن ٩٧/١

مكي فإننا نرى أمراً عجباً ، حيث ينصبّ اهتمامه على التقدير : « لئلا » ويعتبره خطأً فاحشاً ، لتكرير « أن » ثم يقول : « وتبروا : مرادة بعدها ، والتقدير لئلا أن تبروا . وأن تبروا معناه : بركم ... » .

ولا أدري من أين جاء ابن الشجري بتكرير « أن » ومن الذي قال ذلك ، ثم بنى عليها أن « تبروا » مرادة بعدها ، وصار التقدير : لئلا أن تبروا ..

وكلام مكي واضح في أن التقدير : كراهة أن تبروا ، أو : لئلا تبروا ، فمن هو الذي كرر « أن » غير ابن الشجري ، ومن هو الذي اعتبر « تبروا » مرادة بعدها ، ثم أوّل ذلك كله بقوله : « بركم » !!

هكذا يقـــول ابن الشجري .. ثم إن هذا القول الذي يصفه ابن الشجري بأنه خطأ فاحش هو رأي الطبري وأبي عبيدة ، وليس هو من ابتداع مكي ، ومكي – في الغالب – يقدم الرأي الذي يعتمده ، ويؤخر غيره ، وقد ذكره السمين وأبو حيان في تفسيريهما ، كما ذكره مكي ، دون أن يعلقا عليه بشيء .

قال أبو حيان : « .. وذهب الجمهور إلى أن قوله : « أن تبروا » مفعول من أجله ، ثم اختلفوا في التقدير ، فقيل : كراهة أن تبروا – قاله المبرد – وقيل : لأن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا ، قال أبو عبيدة والطبري كقوله :

فخالف فلا ، والله ، تهبط تلعة

أي لا تهبط . وقيل : إرادة أن تبروا ، والتقادير الأول متلاقية من حيث المعنى ... »

أما ابن الأنباري – تلميذ ابن الشجري – فيكشف الحقيقة لأستاذه حينما يتعرض لإعراب « أن تبروا » قائلاً : « و « أن تبروا » : في موضعه ثلاثة أوجه : النصب والجر والرفع :

فأما النصب فعلى تقدير : ولاتجعلوا الله عرضة لأيمانكم ائلا تبروا ، فحذفت « لا » .

وإن شئت على تقدير « كراهة أن تبروا » ، أي : لكراهةِ ، وهذا التقدير أولى ، لأن حذف المضاف أكثر في كلامهم من حذف « لا »[1] ..»

وإذن حينما نقدر حذف « لا » كما يقول ابن الأنباري لانحتاج إلى كل تلك التقديرات التي أوردها ابن الشجري وبنى عليها مابنى .

٩ – وجه النصب في « رجالاً » :

قال ابن الشجري : [2] « ومما أهمل ذكره ولم يفعل ذلك متعمداً ، ولكنه خفي عليه ، وهو من مشكل الإعراب ، لأن عامله محذوف : وجه النصب في « رجالاً » من قوله تعالى :

« فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً » : [3]

والقول فيه : أن « رجالاً » – ههنا – ليس بجمع رجل ، وإنما هو جمع راجل ، كصاحب وصحاب ، وصائم وصيام ، ونائم ونيام ، وقائم وقيام ، وتاجر وتجار .

وقد قالوا في جمعه : رَجْل ، كما قالوا : صَحْب ، وتجر ، وركب ، ولكونه جمع راجل عطف عليه جمع راكب ، وانتصابه على الحال ، بتقدير : فصلّوا رجالاً ، ودل على هذا الفعل قوله : « حافظوا على الصلوات » ثم قال : فإن خفتم فصلوا رجالاً أو على الركائب ، ومن شواهد هذا الجمع قول عمرو بن قميئة :

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري : ١/١٥٥

(٢) أمالي ابن الشجري : ج/٢/٤٤٧

(٣) البقرة : ٢٣٩

ونكسو القواطع هام الرجال وتحمي الفوارس منا الرجالا

الرجال الأولى: جمع رجل، والثانية: جمع راجل.» انتهى كلام ابن الشجري.

وهنا نرى ابن الشجري يستدرك على مكي شيئاً لم يذكره في كتابه، وسبب ذلك في رأيه أنه خفي عليه لأنه من مشكل الإعراب، وعامله محذوف، غير أنني رجعت إلى تفسير مكي المخطوط «الهداية إلى بلوغ النهاية» ـ نسخة الرباط ـ ورقة: ٧٤ فإذا هو يقول فيها:

«قوله: «فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً»: نصبها على الحال، والمعني: فصلّوا في هذا الحال.

والرجال: جمع راجل. ومعنى «فرجالاً»: أي: مشاة على أرجلهم. أو ركباناً: وهو جمع راكب، وذلك في الخوف من العدو، ويصلي كيف قدر ماشياً (١) وراكباً (٢).

فمعناه: وإن خفتم من العدو أن تصلوا قياماً في الأرض فصلوا ماشين وركباناً وكيف قدرتم إيماءً وغير إيماء، وذلك على قدر شدة الخوف والمضايقة».

وبذلك يتبين أن إعراب هذا الحرف ليس مما خفي على مكي كما يزعم ابن الشجري، لأنه قد ذكره في تفسيره، وهو لا يريد أن يكرر ما قاله هناك، إذ من شرط كتاب «الهداية» ـ عنده ـ ألا يذكر فيه من الإعراب إلا ما كان نادراً لأنه خصص للإعراب كتاباً مختصراً هو «تفسير مشكل إعراب القرآن» ـ وذلك حسب ما جاء في مقدمة تفسيره ـ.

---

(١) في الأصل: ماش (٢) في الأصل: راكب.

١٠ – في إعراب « كالذي ينفق ماله » :

قال ابن الشجري : (١) وقال – أي مكي – في قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لاتُبطِلوا صَدقاتِكمْ بالمنّ والأذى كالذي يُنْفِق مالَه رِئاءَ الناس » : (٢)

« الكاف : في موضع نصب نعت لمصدر محذوف ، تقديره : إبطالاً كالذي » . هـذا منتهى كلامه ، ومن عادته أن يقف على الموصولات بغير صلاتها ، كما وقف على « أن » في قوله : لئلا أن » ، و « كراهة أن (٣) » .

« وأقول – أي ابن الشجري – : في قوله : « إن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره إبطالاً كالذي ينفق » ، إنه قول فيه بُعدٌ وتعسف لأن ظاهره تشبيه حدث بعين ، ولا يصح إلا بتقدير حذفين بعد حذف المصدر أي : إبطالاً كإبطال إنفاق الذي ينفق ماله .

والوجه : أن يكون موضع الكاف نصباً على الحال من الواو في « تبطلوا » ، فالتقدير : لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي ينفق ماله رياء الناس ، فهذا قول لاحذف فيه ، والتشبيه فيه تشبيه عين بعين » .

ولا أدري ، لماذا يلجأ ابن الشجري إلى تطويل الكلام وتكثير الحذف ليوهم القارىء أن هذا الكلام متكلف ، وفيه تعسف ، وأنه لا يصح إلا بتقديره . فلو أنه قدره كما قدره الألومي في روح المعاني (٤)

---

(١) أمالي ابن الشجري ج/٢/ ٤٤٧

(٢) البقرة ، ٢٦٤

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/١١١

(٤) روح المعاني : ج/٣/ص ٣٠ - إدارة الطباعة المنيرية بمصر .

حيث يقول : أي لاتبطلوها إبطالاً كإبطال الذي ، لصح الكلام ولم يحتج إلى حذفين ، وكذلك لو قدره كما قدره الزمخشري في الكشاف :[١] أي : كإبطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس ، لم يحتج أيضاً إلا إلى حذف واحد . وكذلك قدرها القرطبي[٢] وأبو جعفر النحاس[٣] وابن الأنباري[٤] ، وأصل التشبيه ليس كما يدعي ابن الشجري تشبيه عين بعين ، وإنما هو تشبيه تمثيلي ، لأنه يشبه صورة بصورة ، صورة المؤمن المتصدق الذي يمن على الناس بصدقته فيؤذيهم ، بصورة المنافق الذي ينفق ماله رياء ، ووجه الشبه بينهما بطلان الأجر على هذين النوعين من الإنفاق . وليس الأمر كما قال ابن الشجري تشبيه عين بعين ، وإنما هو تشبيه إنفاق بإنفاق ، أي تشبيه حدث بحدث .

١١ - في إعراب « كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْن » .

يقول ابن الشجري :[٥] ومن زلاته - أي مكي - في سورة آل عمران أنه قال في قوله تعالى : « كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا »[٦] .

« الكاف : في موضع نصب نعت لمصدر محذوف ، تقديره عند الفراء :

(١) تفسير الكشاف : ج/١/ص ٣١٢ - طبعة دار الكتاب العربي - بيروت .
(٢) تفسير القرطبي : ج/٣/ص ٣١٢ طبعة دار الكتب .
(٣) إعراب القرآن للنحاس - مخطوطة تركية ورقة : ٢٨
(٤) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري : ١٧٤/١
(٥) أمالي ابن الشجري ج/٢/ ٤٤٨
(٦) آل عمران : ١١

كفرت العرب كفراً ككفر آل فرعون » قال : « وهذا القـــول فيه إيهام للتفرقة بين الصلة والموصول » .(١)

قال ابن الشجري : « أراد أن « الكاف » في هذا القول قد دخلت في صلة « الذين » من قوله : « إن الذين كفروا لن تغنيَ عنهم أموالُهم ولا أولادهم من الله شيئاً ، وأولئك هم وَقُـــودُ النار(٢) » فبعدت من الناصب لها ، وهو « كفروا » ، وكان الواجب على هـذا المعرب حيث أنكر قول الفراء أن يعتمد على قول غيره ، ولا يقتصر على ذكر قول مناف لقياس العربية ».

ثم يتطوع ابن الشجري بإيراد أمثلة وتقديرات من أقوال الزجاج والرمّاني لا نرى حاجة إلى ذكرها ، لأنها بعيدة عن موضوعنا .

ونرى ابن الشجري – هنا – يلوم مكياً لأنه لم يأت بتقـــدير صحيح للكلام بعد أن نقد تقدير الفراء ، وليس لمكي زلة في هـــذا الموضع كما يزعم ابن الشجري ، مع أنه قال في أول كلامه : « ومن زلاته في سورة آل عمران » ، وكان باستطاعته أن يقول : إنه ترك التقدير وكان الأوْلى به أن يأتي بتقدير صحيح . ولعل مكياً اكتفى عن إيراد التقدير الصحيح بما سبق أن ذكره في أمثلة كثيرة سابقة عن النعت لمصدر محذوف – وفي مناقشاتنا السابقة أمثلة من هذا النوع بحيث أصبح معلوماً لقارىء كتابه ، وحيث قال في أول كتابه : « .. فليس في كتاب الله إعراب مشكل إلا وهو منصوص ، أو قياسه موجود

(١) مشكل إعراب القرآن ١/١٢٧ (٢) آل عمران ١٠

فيما ذكرته ، فمن فهمه كان لما هو أسهل منه ، مما تركت ذكره اختصاراً، أفهمَ ، ولما لم أذكره ، مما ذكرت نظيره ، أبصرَ وأعلم » . ثم يقول مكي : « ولم أؤلف كتابنا هذا لمن لا يعلم من النحو إلا الخافض والمخفوض والفاعل والمفعول ، والمضاف والمضاف إليه ، والنعت والمنعوت ، في أشباه لهذا . إنما ألّفناه لمن شدا طرفاً منه ، وعلم ظواهره وجملاً من عوامله ، وتعلق بطرف من أصوله » . وهذا الكلام يفسر لنا لجوء مكي إلى الاختصار وأن كتابه ألف للعلماء ، ولم يؤلَّف للمبتدئين ، وهذا ما دعاه إلى نقد تقدير الفراء لينبه على خطأ فيجتنب ، أما التقدير الصحيح ففيما ذكره قبل ذلك من أمثاله كفايةٌ ومقتنع . وهو حينما يأتي بشرح شيء لأول مرة يشير دائماً إلى هذا المعنى ، كما ذكر في وزن « يقول » حيث قال : وزنه : يفعُل ، وأصله : يقْوُل ، ثم ألقيت حركة الواو على القاف ، لأنها قد اعتلت في قال » . ثم قال : « وإنما أذكر لك مثالاً من كل صنف لتقيس عليه ما يأتي من مثله ، إذ لا يمكن ذكر كل شيء أتى منه ، كراهة التكرير والإطالة » .

وهكذا يتجاهل ابن الشجري منهج مكي في كتابه ، ولجوءه إلى الاختصار اعتماداً على ماسبق أن ذكره ، وحسنَ ظن بفهم القارىء وذكائه ، الذي شدا طرفاً من علم النحو ، وعلم ظواهره وجملاً من عوامله ، وتعلق بطرف من أصوله .

غير أننا رجعنا كذلك إلى تفسير مكي « الهداية إلى بلوغ النهاية » (١) فوجدنا فيه ما يلي :

(١) مخطوطة الرباط – ورقة : ٨٨

«قوله : « كدأب آل فرعون » أي : كعادتهم ، وقيل : كصنعهم. وقيل : كشأنهم . وقيل : كسنّتهم في التكذيب والكفر . أي : تكذيب هؤلاء وصنعهم كصنيعهم ، وسنتهم كسنتهم . والدأب : العادة » .

وبذلك يتبين أن تقدير مكي يتفق مع تقديرات الزجاج والرماني وأن تركه لذلك في مشكل الإعراب لم يكن إلا من باب الاختصار .

١٢ — في إعراب « يوم تجد كلُّ نَفْس » :

قال ابن الشجري : [١] وقال في نصب « اليوم » من قوله :

« يوم تجدُ كلُّ نفس ما عَمِلت من خيرٍ مُحْضَراً .. » : [٢]

« يوم : منصوب بـ « يحذركم » ، أي : ويحذّركم الله نفسه في يوم تجد كل نفس ، ثم قال : وفيه نظر . وقال : ويجوز أن يكون العامل فيه فعلًا مضمراً ، أي : واذكر يامحمد يوم تجد ، ويجوز أن يكون العامل فيه « المصير » أي : وإليه المصير في يوم تجد . ويجوز أن يكون العامل فيه « قدير » أي : قدير في يوم تجد [٣] » انتهى كلامه .

« وأقول – أي ابن الشجري :

إنه لايجوز أن يكون العامل فيه : « يحذركم » ، لأن تحذير الله للعباد إنما يكون في الدنيا دون الآخرة ، ولايصح أن يكون مفعولاً به ، كما كان كذلك في قوله : « وأنذرهم يوم الآزفة » [٤] وقوله : « لينذر يوم التلاق » [٥] وقوله : « وأنذرهم يوم الحسرة » [٦] وإنما لم يجز أن يكون « اليوم » في هذه الآيات ظرفاً ، لأن

(١) أمالي ابن الشجري : ج/٢/٩/٤٤
(٢) آل عمران : ٣٠
(٣) مشكل إعراب القرآن : ١/١٣٤
(٤) غافر : ١٨
(٥) غافر : ١٥
(٦) مريم : ٣٩

الإنذار لا يكون في يوم القيامة فانتصب اليوم فيهن انتصاب الصاعقة في قوله : « فقل أنذرتكم صاعقة » (١) ، وإنما لم يصح أن يكون « اليوم » في قوله : « يوم تجد » مفعولاً به ، لأن الفعل من قوله : « ويحذّركم الله نفسه » ، قد تعدى إلى ما يقتضيه من المفعول به . ولايجوز أن يعمل فيه المصدر الذي هو المصير للفصل بينها . ولايعمل فيه أيضاً « قدير » ، لأن قدرة الله على الأشياء كلها لاتختص بزمان دون زمان . فبقي أن يعمل فيه المضمر الذي هو : « اذكر » ، وإن شئت قدرت : احذروا يوم تجد كل نفس ، فنصبته نصب المفعول به ، كما نصبته في تقدير « اذكر » على ذلك » .

ويلاحظ على كلام ابن الشجري – هنا – ما يلي :

١ – أنه نقد نصب « يوم » بـ « يحذركم » ووجّه نقده، في حين أورد مكي هذا القول وعلق عليه بقوله : « وفيه نظر » ، وهو يريد من ذلك أنه ليس مسلّماً ، وعلى هذا فليس هو رأيه ولا يتبناه ، حتى يأتي ابن الشجري فيبين هذا النظر الذي أشار إليه مكي ويخطئه فيه ، وإنما هو رأي الزجاج وترجيحه كما ذكره أبو حيان .

٢ – وأما قوله : « لا يجوز أن يعمل فيه المصدر الذي هو المصير للفصل بينها » فقد ذكر السمين في كتابه أنه يجاب عنه : « بأن جمل الاعتراض لا يبالى بها فاصلة ، وهذا من ذاك » .

٣ – وأما قوله : « ولا يعمل فيه أيضاً قدير ، لأن قدرة الله على الأشياء كلها لاتختص بزمان دون زمان » . فقد ذكر السمين أيضاً أنه : « .. لايقال : يلزم من ذلك تقييد قدرته بزمان ، لأنه إذا قدر في ذلك اليوم الذي يسلب كل واحد قدرته

(١) فصلت : ١٣

فلأن يقدر في غيره بطريق أَوْلى وأحرى». ثم قال: «وإلى هـذا ذهب أبو بكر الأنباري».

وأقول: إن لهذا نظائر كثيرة في القرآن كقوله تعالى: «مالك يوم الدين» — على القراءتين — فهل يفهم من ذلك أن ملكه مختص بيوم الدين فقط؟.

وكذلك قوله تعالى: «لمن الملك اليوم»؟ وقوله: «والأرض يومئذ قبضته والسماء مطويات بيمينه». فهل يفهم من ذلك أنها تحت قدرته يوم القيامة فقط دون غيره؟ وأمثال هذا كثير في القرآن.

٤ — واختار ابن الشجري بعد ذلك تقدير مكي: نصبه بفعل محذوف كما ذكره.

ونحب أن نشير هنا إلى أن تقدير العامل في «يوم» في هذه الآية محل نقاش وجدل بين العلماء، ولا يكاد يجد المرء قولاً متفقاً عليه خالياً من إيراد، حتى القول الذي رجحه ابن الشجري وهو اعتباره العامل محذوفاً، قد أورد العلماء فيه كلاماً، حيث قال السمين وأبو حيان: (١) «وفي التقدير - أي تقدير العامل المحذوف - ما فيه من كونه على خلاف الأصل مع الاستغناء عنه». ثم ذكر أبو حيان والسمين رأياً آخر اختاره الزمخشري وكذلك أوردا عليه اعتراضات، ويبدو أن المسألة في كل الوجوه لاتخلو من نظر واحتمالات، ولا يمكن القطع فيها برأي، وكل العلماء يوردون هذه الأقوال والاعتراضات الواردة عليها، وقد يميل بعضهم إلى ترجيح بعضها مع ذلك، كما سبق أن عرفنا، وإذن فلا نستطيع أيضاً أن

(١) البحر المحيط ج/٢/٤٢٦ - ٤٢٧

نحسب هذه من زلات مكي ولا غيره (١) .

١٣ — في إعراب « ثلاثة أيام إلا رمزاً » :

قال ابن الشجري : (٢) وقال ـ أي مكي ـ في قوله تعالى :
« آيتُكَ ألا تكلّم الناس ثلاثةَ أيامٍ إلاّ رمزاً » : (٣)

«قوله : « إلا رمزاً : استثناء ليس من جنس الأول ، وكل استثناء ليس من جنس الأول فالوجه فيه : النصب (٤)».

« وأقول ـ أي ابن الشجري ـ : إن « إلاّ » في قوله تعالى : « إلا رمزاً » ، إنما هي لإيجاب النفي ، كقولك : ما لقيت إلا عمراً ، فليس انتصاب « رمزاً » على الاستثناء ، ولكنه مفعول به منتصب بتقدير حذف الخافض . فالأصل : ألا تكلم الناس إلا برمز ، أي بتحريك الشفتين باللفظ من غير إبانة بصوت ، فالعامل الذي قبل « إلا » مفرغ في هذا النحو للعمل فيما بعدها ، بدلالة أنك لو حذفت « إلا » و « حرف النفي » استقام الكلام ، تقول في قولك : « ما لقيت إلا زيداً » لقيت زيداً . وفي قولك : « ما خرج إلا زيد » ، خرج زيد . وكذلك لو قيل : آيتك أن تكلم الناس رمزاً كان كلاماً صحيحاً ، وليس كذلك الاستثناء في نحو: ليس القوم في الدار إلا زيداً ، وإلا زيد ، فلو حذفت النافي والموجب ، فقلت : القوم في الدار زيداً أو زيد لم يستقم الكلام . وكذلك

(١) انظر البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري : ١/١٩٩ حيث نقل الآراء الثلاثة الأخيرة دون الأول بالتقديرات التي أوردها مكي .

(٢) أمالي ابن الشجري ج/٢/٤٥٠

(٣) آل عمران : ٤١

(٤) مشكل إعراب القرآن ١/١٤٠

ما خرج إخوتك إلا جعفر ، لو قلت : خرج إخوتك جعفر ، لم يجز .

وكذلك الاستثناء المنقطع ، نحو : ما خرج القوم إلا حماراً ،لوقلت: خرج القوم حماراً لم يستقم ، فاعرف الفرق بين الكلامين .

ثم أقول : إن المستثنى الذي ليس من جنس الأول يصح أن يقع به الفعل الذي عمل في الأول ، تقول : ما لقيت أحداً إلا حماراً ، فيصح أن تقول : لقيت حماراً ، وكذلك ما مر بي أحد إلا غزالاً ، يصح أن تقول : مر بي غزال . ولا يصح أن توقع التكليم بالرمز فتقول : كلمت رمزاً ، كما تقول : كلمت زيداً » .

ويحسن بنا ـ هنا ـ قبل أن نعلق بشيء على كلام ابن الشجري أن أن نبين رأي العلماء في إعراب هذه الكلمة :

قال أبو حيان في البحر المحيط : [(١)] « واستثناء الرمز ، قيل : هو استثناء منقطع ، إذ الرمز لا يدخل تحت التكليم . ومن أطلق الكلام في اللغة على الإشارة الدالة على ما في نفس المشير فلا يبعد أن يكون هذا استثناء متصلاً على مذهبه ، ولذلك أنشد النحويون :

أرادتْ كلاماً فاتّقت من رقيبها ... فلم يكُ إلا وَمْؤُها بالحواجبِ

وقال :

إذا كلمتني بالعيونِ الفواترِ ... رددتُ عليها بالدموع البوادر »

ثم قال أبو حيان : « وكونه استثناء متصلاً بدأ به الزمخشري ، قال : لما أدّى مؤدى الكلام ، وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاماً . وأما ابن عطية فاختار أن يكون منقطعاً ، قال : والكلام المراد به في الآية إنما

(١) ج / ٢ / ٤٥٢

هو النطق باللسان ، لا الإعلام بما في النفس . فحقيقة هـذا الاستثناء أنه منطقع ، وبدأ به أولاً ، فقال : استثناء الرمز ، وهو استثناء منقطع ، ثم قال : وذهب الفقهاء في الإشارة ونحوها إلى أنها في حكم الكلام في الأيمان ونحوها ، فعلى هذا يجيء الاستثناء متصلاً » .

ومثل هذا الكلام أورده السمين ، ولم يبين في الكلمة إلا وجهين اثنين:

أحدهما : أنه استثناء منقطع ، لأن الرمز ليس من جنس الكلام ، إذ الرمـز الإشـارة بعين أو حاجب ونحوها ، ثم قال : ولم يذكـر أبو البقاء غيره ، واختاره ابن عطية بادئاً به .

ثم يذكـر قول الفقهاء الذي قاله ابن عطية وعلق عليه بقوله : وبهذا الوجه بدأ الزمخشري مختـاراً له . يريد بذلك أنه استثناء متصل ، بناء على اعتبار الإشارة في قول الفقهاء من الكلام .

وقال الألوسي في روح المعاني : (١) هو استثناء منقطع بناء على أن الرمزَ الإشارةُ والإفهام من دون كلام ، وهو حينئذ ليس من قبيل المستثنى منه . وجوّز أن يكون متصلاً بناء على أن المراد بالكلام ما فهم منه المرام ، ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل ، ولا يخفى أن هذا التأويل خلاف الظاهر ، ويلزم منه أن لا يكون استثناء منقطـع في الدنيا أصلاً ، إذ ما من استثناء إلا ويمكن تأويله بمثل ذلك بما يجعله متصلاً ، ولا قائل به . ثم قال الألوسي :

وتعقب ابن الشجري النصب على الاستثناء ـ هنا مطلقاً ـ وادعى أن « رمزاً » : مفعول به منتصب بتقدير حذف الخافض ، والأصل : ألا

(١) ج/ ١ / ص : ١٣٤ .

تكلم الناس إلا برمز . . . . . ـ ثم ذكر ما ذكره ابن الشجري إلى آخر كلامه .

ونلاحظ هنا :

١ ـ أن قول ابن الشجري بنصب « رمزاً » على المفعولية لنزع الخافض ، لم يسبقه إليه أحد ، ولا قال به غيره ممن تعرضوا لإعراب الكلمة ، بل أكثر العلماء على اعتباره منصوباً على الاستثناء المنقطع وقد صرح النحاس بنسبته إلى الأخفش [1] .

٢ ـ أن تخطئة ابن الشجري لمكي ـ في هذا ـ تخطئة لكل علماء العربية الذين جعلوا « رمزاً » منصوبة على الاستثناء المنقطع أو المتصل ، وهذا ما شعر به الألوسي حينما قال : « وتعقب ابن الشجري النصب على الاستثناء ـ هنا مطلقاً » .

٣ ـ أن الألوسي لم يأخذ برأي ابن الشجري ، وإنما قال بالنصب على الاستثناء المنقطع ، ويبدو أنه لم يستسغ كلام ابن الشجري ، ولذلك قال عنه : « وادعى أن « رمزاً » مفعول به منتصب بتقدير حذف الخافض ، ومع ذلك لم يردّ الألوسي كلام ابن الشجري .

ومن كل ماتقدم نرى انفراد ابن الشجري بين علماء العربية بهذا الرأي علماً بأن القول بالنصب بنزع الخافض لايصار إليه إلا على قلة ، وغالبه مقصور على السماع .

ويبدو لي أننا لو اعتبرنا « رمزاً » نائباً لمفعول مطلق لكان أقرب مما ذهب إليه ابن الشجري ، ويكون تقدير الكلام : ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا تكليماً رمزاً ـ والله تعالى أعلم .

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ـ مخطوطة تركية ـ ورقة ٣٥

١٤ – في إعراب « ألاّ نعبد إلا الله » :

قال ابن الشجري :[١] وقال – أي مكي – في قوله تعالى :

« قل يا أهلَ الكتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سَواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نعبدَ إلا الله » :[٢]

« أن : في موضع خفض بدل من « كلمة » ، وإن شئت في موضع رفع على إضمار مبتدأ ، تقديره : هي أن لا نعبد . ويجوز أن تكون مفسرة بمعنى : « أي » على أن تجزم « نعبد » و « نشرك » بـ « لا » ولو جعلت « أن » مخففة من الثقيلة رفعت « نعبد » و « نشرك » وأضمرت الهاء مع « أن »[٣] » انتهى كلامه .

« وأقول – أي – ابن الشجري : أغرب الوجوه التي قد ذكرها في إعراب « نعبد » وماعطف عليه : الجزم ، قال الزجاج : لو كان « ألانعبد إلا الله » – بالجزم – ولا نشرك ، لجاز على أن تكون « أن » مفسرة في تأويل « أي » ، ويكون « لانعبد » – على جهة النهي ، والمنهي هو الناهي في الحقيقة – كأنهم نهوا أنفسهم – انتهى كلام أبي إسحاق .

وأقول : إن النهي قد يوجه الناهي إلى نفسه ، إذا كان له فيه مشارك كقولك لواحد أو لأكثر : لا نسلم على زيد ، ولا ننطلق إلى أخيك ، كما جاء في التنزيل : « ولنحمل خطاياكم » . ثم يقول ابن الشجري : وليس لمكي فيما أورد من الكلام في هذه الآية زلة ، وإنما ذكرت ما ذكرته فيها لما فيه من الفائدة » .

---

(١) أمالي ابن الشجري : ج/٢/٤٥٢

(٢) آل عمران : ٦٤

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/١٤٣

ونلاحظ هنا أن ابن الشجري لم يستطع إلا الاعتراف بالحقيقة ، وذلك في قوله : « وليس لمكي فيما أورده من الكلام في هذه الآية زلة ، وإنما ذكرت ماذكرته فيها لما فيه من الفائدة » .

غير أن إيراده لها ضمن مجموعة من الزلات المزعومة خطأ فاحش ، لأنه يوهم القارىء السريع أن كل ماكتب في هذا المجلس زلات لمكي ، وذلك كما يشير إليه عنوان المجلس الموفي الثمانين ...

١٥ - قال ابن الشجري : [١] « وقال في قوله تعالى :

« لن يَضُرُّوكُمْ إلا أذىً وإن يقاتلوكم يُوَلُّوكُمُ الأدبار » :[٢] في موضع نصب استثناء ليس من الأول[٣] . قال ابن الشجري : وهذا القول نظير ما قاله في قوله تعالى : « إلا رمزاً » .

إنما أذى : موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أي : لن يضروكم إلا بأذى لأنك لو حذفت « لن » و « إلا » فقلت : يضرونكم بأذى - كان مستقيماً » انتهى كلام ابن الشجري .

ونحن أيضاً نقول في هذه مثل ما قلنا في قوله تعالى : « إلا رمزاً » .

أحمد حسن فرحات

للبحث صلة

(١) أمالي ابن الشجري : ج/٢/٤٥٢

(٢) آل عمران : ١١١

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/١٥٢

الطقم

الأستاذ وهيب دياب

جاء في المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة ما يلي : الطقم – مجموعة متكاملة من الأدوات تستعمل في أغراض خاصة (مج) . أي هو لفظ أقرّه المجمع . وكنت كتبت بعد صدور الطبعة الأولى من المعجم المذكور مقالة نشرت في الجزء الثاني من المجلد السابع من مجلة اللسان العربي عنوانها (عثرات الأقلام) وفيها ذكرت أسفي على دخول (الكنبة canapé) الفرنسية حرم معجم مجمعي ورَدَّ في تصديره « ويوم أن أنشىء مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٤ نصّ في مرسوم إنشائه على أن من أهم أغراضه أن يحافظ على سلامة اللغة » . ترى ألم يخطر ببالهم (في ظلال على الأرائك متكئون / يس) أو (على سُرُرٍ متقابلين / الحِجْر) أو قول أحدهم :

فسبحان الذي أعطاك ملكاً　　　وعلّمك الجلوس على السرير

وتصفحت الطبعة الثانية من المعجم فرأيتها أرحب صدراً بالأعجميات كأنما أصبحت ثوباً لها ، وخصوصاً بعد أن رأيت فيها : « واللجنة ترجو أن يكون لهذه الطبعة مزيد من حسن الأثر الذي كان للطبعة الأولى ، وتجدد الرجاء إلى الباحثين والدارسين أن يبعثوا بما عسى أن يعنّ لهم من آراء

والله الموفق » . من أجل هذا ، معذرة إن قلت : صحيح أننا محتاجون إلى بعض الكلمات الأعجمية ولكن لا إلى هذه الدركة ، فلغتنا ثروة هائلة ذات قدرة طائلة ، فقليلاً من الدأب يامن حملوا الأمانة .

والنقد بلا بناءٍ هدمٌ ، فلنمد إلى كلمة طقم مع آراء واقتراحات أرجو أن تطرح على بساط البحث :

١ً – إن تعريفهم للطقم قد أخطأ الصوابَ ، أما كان الأصح أن يقال : (مجموعة متكاملة) تاركين (من الأدوات تستعمل في أغراض خاصة) فالعامة في الشام تقول : بـدلة (تصحيف بذلة) أو طقم أسنان لمجموعة الأسنان الصناعية ، وبدلة أو طقم ملابس ، وطقم فناجين أو كنبات ، وفي مصر يقال : طاقم الطائرة للجماعة العاملة في الطائرة من رجال ونساء .

٢ً – الطقم كلمة تركية أصلها طاقِمْ أو طاقيم ، ومن معانيها مجموعة آلات أو أدوات ، وزمرة وصنف ومقدار وقسم (قاموس عثماني : علي سيدي) ومعنى آياق طاقمي : عوام وأسافل الناس . وطقم من اليونانية Tagma وما أشبهها بالطّغَام أي أوغاد الناس ، وبالطغامة أي الوغد (يراجع أساس البلاغة) ، وما كان أغنانا عنها لو أننا بذلنا قليلاً من الجهد .

٣ً – طقم أو بدلة الأسنان

يسمي بعض أطبائنا طقم الأسنان الصناعية بالجهاز ترجمة للكلمة الفرنسية Appareil . ويقولون : هو صفيحتان عليا وسفلى . وإني أستميحهم العفو إن قلتُ : إن هـذه الأوضاع لا يروق لها سمعي ولا ذوقي ، ولي اقتراح أحب أن يسمعه الذين يتعلمون . ففي الصفحة ٤٩ من كتاب المداخل في اللغـة لأبي عمر المطرز المعروف بالزاهد والمتوفّى سنة ٣٤٥ هـ نجد ما يلي :

والأسنان مؤنثة والأضراس مذكرة ، وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي :

وسِرْبٍ مِلاحٍ قد رأيتُ وجوهَهُ
إناثٌ أدانيـهِ ذكـورٌ أواخـرُهْ

قال أبو عمر : السِّرْب هنا : أسنان الجارية لاجتماعها ، ويقال لكل مجتمع : سرب (انتهى) .

من هذا المنطلق أستطيع أن أدخل في كتب المثنى مثنىً جديداً وهو السِّربان ، أي طقم الأسنان ، فالقطعة العليا سِرب ، والسفلى سرْبة .

وقد يسألني سائل : هل لك أن تؤنث كلمة سـرب ؟ . فأجيبه : نعم ، ففي معاجمنا : امرؤ وامرأة ، وشَفَق وشفقة أي رحمة ، وعصا وعصاة ، وغلام وغلامة ، وشِلو وشِلوة ، وقزم وقزمة ، ومنزل ومنزلة ، وسَبُعْ وسبُعة ، ورَجُل ورجلة ، وزوج وزوجة ، وإن أباها الأصمعي ، وما كان له ذلك فزوجة بالهاء أكثر أنوثة . وفي المصباح المنير في مادة (عجز) قال ابن الأنباري : ويقال : عجوزة بالهاء لتحقيق التأنيث : وروي عن يونس أنه قال : سمعت العرب تقول : عجوزة بالهاء (انتهى) . وفي الصحاح في مادة (ككب) كوكب وكوكبة ، وعجوز وعجوزة ، وبياض وبياضة (انتهى) وقالوا إنسان وإنسانة ، قال شاعر قديم :

تَمْري بإنسانها إنسانَ مقلتها إنسانةٌ في سواد الليل عطبول

فالإنسان الأول أغلتها ، والثاني بؤبؤ عينها . وقال آخر :

إنسانة تسقيك من إنسانهـا خمراً حلالاً مُقلتاها عِنَبُهُ

وفي أساس البلاغة في مادة (خدم) : وهذا خادمنا وهذه خادمنا

للغلام والجارية ، وفي مادة (تبع) : وهو تابعه وهي تابعتها للخادم والخادمة ، (انتهى) . وفي المصباح المنير في مادة (جسر) : فهو جسور وامرأة جسور أيضاً وقد قيل جسورة ، وفيه في مادة (عدا) : قال أبو زيد : سمعت بعض بني عقيل يقولون : هن وليات الله وعدوات لله وأولياؤه وأعداؤه (انتهى) . أي أن لك أن تقول : هذه ولية الله وتلك عدوة الله . ويزيد في جرأتي على تأنيث كلمة سرب ، ملاحظة أهملت ذكرها كتب القواعد العربية وهي أن التأنيث قد يكون للأفل أو للأسفل أو للأصغر .

ففي مفردات الراغب : الجلالة : عِظَمُ القَدْر ، والجلال بغير الهاء : التناهي في ذلك وخُصّ بوصف الله تعالى فقيل ذو الجلال والإكرام (انتهى) .

وفي الصحاح : الزّند : العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى ، والزندة : السفلى فيها ثقب وهي الأنثى ، فإذا اجتمعا قيل زندان (انتهى) .

وقال غيره : الزندان (أي المقدحة أو القداحة) هما الأب ، أي الزند الأعلى ، وهو فحل الزندة ، والأم هي الزندة . (انتهى) وفي لسان العرب : والكو والكوة : الخرق في الحائط والثقب في البيت ونحوه ، وقيل : التذكير للكبير والتأنيث للصغير ، قال ابن سيده ، وليس هذا بشيء . (انتهى) . وفي رأيي أنه ما كان لابن سيده أن يقول : (وليس هذا بشيء) ففي تاج العروس في مادة (بلد) : وقال بعضهم البلد جنس المكان كالعراق والشام ، والبلدة الجزء المخصص منه كالبصرة ودمشق . (انتهى) . كذلك قالوا : غصن وغصنة ، وقالوا : الغصنة : الشعبة الصغيرة من الغصن .

وهكذا يستطيع طبيب الأسنان أن يقول لقاصده : خذ سربيك أو أعطني السربة أو الأم ، أو اخلع السرب أو الأب .

٤ً - طقم الملابس

البدلة أو الطقم قد يكون مؤلّفاً من قطعتين ، جاكيت وبنطلون ،

أو من ثلاث قطع إذا كان ذا صُدْرة . أما جاكيت Jaquette فهي فرنسية ، وعبّر عنها بعضهم بالقباء أو الرداء أو المدرعة أو الدراعة أو الجازة أو السترة أو الستيرة أو الفروج أو الظهرية .

ولست أذكر من قال إن الجاكيت من كلمة الشكة العربية ، وهي السلاح أو ما يلبس فوق السلاح ، ثم توسع في استعمالها ، وقد هاجرت الشكة العربية فأصبحت في فرنسا جاكيت .

وأما كلمة بنطلون Pantalon الفرنسية فهي إيطالية الأصل ، وقيل : بنطلوني : اسم لشخص من الملهاة (الكوميدي) الإيطالية ، وقيل : كان القديس بنطلوني أول من ارتدى ذلك اللباس ، وقد عرّب بعضهم هذه الكلمة فقال : هو البنطال وجعلها وزان سربال ، وقد أحسن المجمع العلمي بدمشق يوم أجاز استعمال كلمة بنطلون لأنها اسم علم مثلُها مثل سندويش[1]. وفي المعجم الصغير المطبوع في القدس عام ١٨٨٠ في دير الآباء الفرنسيسكانيين نجد : Pantalon : لباس ، شروال ، شخشور (انتهى) .

وللبنطلون في معاجمنا اسم قيل إنه معرب ألا وهو السروال أو السروالة أو السراويل ، ولك أن تقول : هي السراويل وهو السراويل ففي (المصباح المنير) في مادة (حجز) : وحجزة السراويل مجمع شدّه . (انتهى) . والحلة تقوم مقام كلمة طقم ، فقد قال الثعالبي في فقه اللغة : لا يقال للثوب حلة إلا إذا كان ثوبين اثنين من جنس واحد .

---

(١) Sandwich هو رابع أمراء سندويش واسمه جون سنتافو قيل هو من صنع الشطيرة . توفي ١٧٩٢ ، ووردت الشطيرة في كتاب المكافأة لأحمد بن يوسف ، وفي الأغاني .

٥ – طقم فناجين أو كنبات

الفنجان أو الفنجانة معرب (پنگان) الفارسية ، وهي السوملة في لغتنا . وقد ذكّرني الفنجانُ ببيتين صنعتهما في صباي فقلت :

رأيت القهوة الحَرّى[1] وروحي في فناجيني
تعالي أنتِ أو روحي تشوّقتُ[2] فناجيني

وغير خافٍ على الأريب اللبيب أن فيها غير معنيين ففيها الكثير إن تأمّل .

ونحن نستعمل كلمة طقم لمجموعات الكؤوس والكيزان والأكواب ، ومعلوم أن الثعالبي يقول في فقه اللغة : لا يقال كوز إلا إذا كانت له عروة وإلا فهو كوب (انتهى) . وهو بالفرنسية Coupe وبالإنكليزية Cup وفي سورة الإنسان (ويُطافُ عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا) . وكذلك نستعمل كلمة طقم لمجموعات الكنبات وأدوات المائدة ، وفيها السكين والملعقة والشوكة والمملحة أو المقزحة أو النوفلة ، والاسكرجة (فارسية أصلها اسكره أي مقرب الخل) وهي الثفوة والفيخة والنقدة ، وغير ذلك من كمتة أو كمدة ومآكل وصحاف . وكذلك يستعمل بعضهم كلمة دسته الفارسية ومعربها دستجة للتعبير عن حزمة أو مجموعة ما ، أو عن اثني عشرية بدل (دزينة) وهي من Douzaine الفرنسية . وإني أطرح ههنا كلمات ، ويترك الاختيار للعلماء العاملين :

(أ) الثروة : كثرة العدد من الناس والمال ، والمال : الإبل ، ثم أطلق على ما ملكته من كل شيء .

(١) الحرى : الشديدة العطش .

(٢) يقال : تشوقته وتشوقت إليه .

(ب) الأشباه ، قال لبيد بن ربيعة :

كمقو الهاجـريّ إذا بنـاه بأشباهٍ حُذِيْنَ على مثـال

والمقو : القصر ، والهاجري : البَنّاء ، وروي ضُرِبْنَ بدل حذينَ أي قطعن ، والمثال هو القاطع .

(ج) القطيع ، الطائفة من النعم والغنم ، وهذا قطيع ذاك أي نظيره .

(د) النظائر ، جمع نظيرة والنظير : الشبيه والمِثل .

(ه) الصيغة ، تقول العرب رميتهم بستين سهماً صيغةً أي من صنعة رجل واحد (أساس البلاغة) .

(و) الطُرْقة ، هذه النَّبْل طرقة رجل واحد (الأساس) .

(ز) الفِرْق والفريقة ، وما له إلا فرق من الغنم وفريقة أي يسير (الأساس)

(ح) الكَعْب ، هذا السهم بكعب واحد أي مستوي الكعوب (الأساس)

(ط) نَسَقْ ، درٌ نسق وثغر نسق ، ويقال لكواكب الجوزاء : النسق (الأســاس) .

(ي) نشاص ، رأيت نشاص بنات إذا كنّ أتراباً ، ونشاص خيل وإبل إذا كانت مستوية (متن اللغة) .

٦ ـ طاقم الطائـــرة

أما من أجل طاقم الطائرة ، أي مجموعة الأفراد العاملين فيها من طيارين وفنيين ومضيفات فما أكثر ما عندنا من أسماء الجماعات ، وأكتفي بما يمكن أن يرشح من الكلمات : الأوقة والثُّبة : الجماعة . الثَّلة بفتح الأول : الجمع من الغنم ، وبضمه : الجماعة من الناس والعامة تقول الشلة . الجبهة : الجماعة من الناس يقبلون معاً . الأجفلى : الجماعة كالأزفلى . الجفَّالة : الجماعة من

الناس في إسراع المشي . الجهراء : الجماعة . الجوق : الخليط من الرعاء أمرهم واحد ، والجوقة : الجماعة . الحيزق : الجماعة ، وفي الحديث (كأنها حزقان من طير صوّاف) وكذلك الحزقة والحازقة والحزيق والحزيقة والحزاقة . الركب : اسم ، لفظه مفرد ومعناه جمع ، وهو للجماعة من أصحاب الإبل في السفر . الرهط : قوم الرجل وقبيلته من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة وما فيهم امرأة . الرّبعة : الجماعة قد انضموا . الزجلة : القطعة من كل شيء والجماعة . الزرافة : الجماعة وكذلك الأزفلة والأجفلة . الزمرة : الفوج والجماعة . الزملة : الرفقة والجماعة ، وإذا عمل الرجلان على بعيرين فهما زميلان فإذا كانا بلا عمل فهما رفيقان ، ويقول الثعالبي في فقه اللغة : لايقال للقوم رفقة إلا ماداموا منضمين في مجلس واحد أو في مسير واحد ، فإذا تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة ولم يذهب عنهم اسم الرفيق (انتهى) . الشيعة : القوم المتفقون . الصتّ والصتيت : الجماعة ، وفي الحديث (كانوا صتيتين أو صتين) . الصّرّة : الجماعة من النساء ، وهذه الكلمة تصلح لمجموعة المضيفات . الصّرم : الجماعة كالطائفة . الظاهرة : ظاهرة الرجل : عشيرته وجمعها الظهرة ، يقال جاءَ في ظهرته وظهارته . العثج والثعج والأول أصوب : جماعة الناس في السفر . العزة : العصبة . المعشر : الجماعة أمرهم واحد . الفرقة : الجماعة المنفردة والطائفة من الشيء وقيل : الفريق أكثر من الفرق ، فزيادة المبنى قد تدل على زيادة في المعنى . الفئام : الجماعة ولا واحد له من لفظه . الفئة : الفرقة . الفوج : الجماعة والجماعة المارة السريعة . الفيج : الجماعة ، والمسرع في مشيه يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، والخادم . الفائجة : الجماعة . القبيل : من ثلاثة فصاعداً من نجر واحد أو من قوم شتى ، وقيل من ثلاثة إلى عشرة . القاذية : الجماعة القليلة القادمة وأول من يطرأ عليك منهم . الكوكبة : الجماعة . اللمة : الجماعة والرفقة

والأصحاب مابين ثلاثة وعشرة ، وقيل اللمة : الجمع من النساء كالصرّة ، وقيل اللمة : الصاحب والأصحاب في السفر . الملوم : الجماعة يلتمّون ، وقيل : الجماعة في السفر . النفر : الرهط ، وقيل من ثلاثة إلى عشرة من الرجال ، والجماعة الذين ينفرون في الأمر . النفير : الجماعة تنهض للعمل . النمط : الجماعة أمرهم واحد ، وفي الحديث (خير هذه الأمة النمط الأوسط) . الناهضة : يقال : جاء الرجل في ناهضته وهم الذين ينهض بهم فيما يَحْزُبُهُ من الأمور ، وقد راقتني هذه الكلمة وأرشحها لتحل محل (طاقم) الطائرة الذين ينهضون بها . الهواشة والهويشة : الجماعة المختلطة . وقد فاتتني العصبة وهي تصلح لما نفتش عنه ، ونترك العصابة لأن أعداء العروبة قد شوهوا مفهوم هذه الكلمة الحلوة التي تذكرنا بقول حسان بن ثابت .

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلّق في الزمان الأول

الخالطون فقيرهم بغنيهم والمنعمون على الضعيف المرمل

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

أما الشرذمة فقد تركتُها عمداً ، وعجبت من ابن فارس وهو خيرُ من تكلم على المنحوت كيف غابت عنه حقيقة معنى هذه الكلمة ، فإنه يقول في مقاييس اللغة : الشرذمة : وهي القليل من الناس ، فالذال زائدة ، وإنما هي من شرمت الشيء ، إذا مزقته ، فكأنها طائفة انمزقت وانمازت(١) عن الجماعة الكثيرة (انتهى) .

وفي رأيي أن الشرذمة منحوتة ، ويقال : شردمة وشرذمة ، وحرف الشين

---

(١) في المعجم (انمارت) وهذا تصحيف لم يفطن له محقق مقاييس اللغة الأستاذ الكريم عبد السلام محمد هارون .

فيها مقلوم من أول شر أو شَوى أو شُواية أو شيء ، أضيف إليه رَدْم أو رذْم ثم أنثت الكلمة للتقليل كما ذكرنا آنفاً ، والشوى : رُذال المال وبمعنى الحقير ، والشواية البقية اليسيرة ، والردم : الرجل لاخير فيه ، والرذم : المتفرقون من الناس . ومما يؤيد ما لاح لي أن القرطبي يقول في الجامع لأحكام القرآن : الشرذمة[1] ، الجمع القليل المحتقر (انتهى) . ويقول الزمخشري في الكشاف : يجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة (انتهى) . ولهذا أخالف ابن فارس ، وأرى في الشرذمة الجماعة القليلة الخسيسة ، وقد أهملت المعاجم بيان ذلك .

وأخيراً ليس لي إلا أن أقول : ياأيها الملأ افتونا وثوابكم على الله ، وفوق كل ذي علم عليم .

دمشق وهيب دياب

(١) في تفسير : «إن هؤلاء لشرذمة قليلون ». (الآية ٥٤ من سورة الشعراء) .

استقرار المصطلح

الأستاذ وديع فلسطين

الذين جمعوا الترجمة وكدهم ودأبهم ، يؤدونها كرسالةٍ أمينة نيط بهم أداؤها ، لا يفوتهم أن يلاحظوا أن اللغة العربية ، على كثرة ما عُرفت به من ترادف وتجانس في معجمات ألفاظها ، يُعييها أحياناً أن تؤدّي المعاني العلمية أو الاصطلاحية المطلوبة بتمامها ودقتها ، فيقع القارىء في لَبْسٍ لا تسعفه فيه بديهة ولا يبرئه منه إلا بصر شديد بالأوجه المختلفة لتداول الألفاظ .

وللتمثيل على ذلك ، نورد من البديهة ألفاظاً عرضت لنا ، لعلّ في تحليلها ما يرشد إلى القصد الذي نتوخاه .

فلفظة « فنيّ » أو « فنيّة » التي تستخدم في اللغة العربية أداءً لمعنى لفظة technical تستخدم في الوقت عينه أداءً لمعنى artistic ، على تفاوت شديد في المعنيَيْن . فاللفظة الأولى تعني فنون الآلة والميكانيكا ، بينما اللفظة الثانية تعني الفنون الجميلة والتشكيلية من رسم ورقص ونحت وتصوير وما إلى ذلك . فلو اعترضت سبيل المترجم عبارة « تعاون فني » ، لاضطرب في فهم المعنى المقصود من هاتين اللفظتين المجردتين ، وهل هو artistic cooperation أو technical cooperation . واحتمال الشطط هنا لا ينفيه إلا السياقُ الذي يوضح المعنى الصحيح المراد .

وهناك لفظة « خاص » التي تستخدم في العربية لتؤدي معنى specieal كما تستخدم أداءً لمعنى private . والفرق بين المعنيين دقيق ، لأن special قد تعني فضلاً عن الخصوصية ، الامتياز والتفوق . فإن قيل مثلاً عن لون من ألوان الطعام إنه special brand of food كان المعنى المقصود أن هذا لون متميز تميزاً خاصاً من ألوان الطعام . بينما private تنصرف إلى الشؤون الخاصة الحميمة دون سواها .

كذلك فإن لفظة « عام » تستخدم تأديةً لمعنى public ومعنى general ومعنى universal ، والفروق بينها دقيقة .

وهناك لفظة « آلي » التي تستخدم أداءً لمعنى automatic و mechanical و automative والفروق بينها شاسعة .

ولفظة « صورة » تستخدم أداءً لمعنى picture و photo, و copy و image ، وهي شكول متباينة من المعاني .

وهناك لفظة « بيان » التي يتوسل بها أداءً لمعنى statement و manifesto و communiqué ، وهي مختلفة المؤديات .

وثمة لفظة « خطاب » التي تؤدي معنى letter أي الرسالة التي يكتبها زيدٌ إلى عبيد ، والتي تؤدي كذلك معنى address أي الخطبة التي تلقى في جمع من الناس . وشتّان بين المعنيين .

فالحياة العلمية آخذة في التخصص الدقيق ، مع ما يترتب على ذلك من ابتداع ألفاظ جديدة تعبر عن المعاني المحدّدة التي تمثّلها . ومن ذلك أن لفظة technical قد تركت وشأنها لتؤدي معناها الاصطلاحي المرسوم لها ، وابتدعت لفظة technological لتؤدي معنى استحدث ودقّ . كما أن لفظة

automatic بقيت حيث كانت دون مساس بها ، وجيء بلفظة جديدة هي automative أو automation لتؤدي معنى التسيير الآلي الشامل ، وهو معنى لاتؤديه اللفظة الأولى .

وفي حين تتطور المصطلحات العلمية في لغات الفرنجة لتزداد تحديداً وتخصيصاً ، نراها في اللغة العربية تكتسب معاني غير محددة ، وتفضي إلى إبهام أو إلى تشتت في المعنى .

ولغة القانون تتسع لأمثلة شتى من هذا النوع . ففي حين أن عمليات التأجير تتعدد ألفاظها وتتحدد معانيها في اللغة الانكليزية مثل tenancy و rent و lease و charter ، نراها في العربية لاتعدو لفظة واحدة هي « استئجار » وقد نُضيف إليها من عندياتنا لفظة معجمية لم يتحدد لها معنى اصطلاحي هي « كراء » .

وفي حين أن للحيازة ألفاظاً شتى في اللغة الانكليزية مثل acquire و hold و own و have title to و possess فإن اللغة العربية لاتكاد تمدنا إلا بلفظتي الامتلاك والحيازة ، وقد نضيف إليها لفظة معجمية تفتقر إلى التحديد الاصطلاحي هي « الاقتناء » .

وإذ نقع في اللغة الانكليزية على ألفاظ شتى في باب التصديق مثل sanction و ratification و approval و concurrence و adoption و upholding ولكل لفظة منها معنى انفردت به وتخصصت ، فإن اللغة العربية تكاد تعامل مايقابلها من ألفاظ « الإقرار » و « المصادقة » و « الموافقة » وكأنها مترادفات متجانسات ليست بينها فروق ذوات بال .

ناهيك بأن لفظة « الاقرار » لها بدورها قاموس من المعاني الاصطلاحية فإن أريد بها الاقرار الضريبي فهي tax return ، وإن أريد بها الإقرار

الجمركي كانت customs declaration ، وإن قصد بها الاقرار بأقوال فهي deposition وإن أريد بها الاقرار بتصرفٍ فهي acknowledgement .

ثم إن اللغة العربية لاتفرق بين « قرار » يتخذه وزير أو مجلس إدارة مؤسسة ويسمى عادةً resolution و « قرار » يتخذه فرد في شأن من شؤون حياته أو عمله ويسمى decision . فالقرار الأول له صفة من صفات القانون الملزم للقوم المقصودين به ، بينما القرار الثاني لايعدو أن يكون انعقاد نيّة على أمرٍ شخصي أو محدود الدائرة . فإن كان القرار حكماً صادراً من محكمة فهو Court decision تفرقةً له عن غيره من القرارات السالفة الذكر .

ولفظة « نظام » التي تستخدم في لغة القانون كثيراً ، يراد بها أحياناً Regulation أي لائحة ، ويراد بها أحياناً statute ، ويراد بها أحياناً By - Laws ، وأحياناً system وأحياناً régime وأحياناً order وأحياناً discilpline ، وكلها في العربية « نظام » مع بعد الشقة بين معانيها المختلفة . وقارىء العربية مضطر إلى التوسل بحسه ودرايته ليدرك أي « الأنظمة » مقصود في ما هو بسبيله من النصوص ، وربما أعانه على الفهم سياق الكلام .

وشبيهة بهذه اللفظة لفظة « شهادة » التي تعني بالانكليزية certificate و testimony و testimonial و scrip ، وهي ألفاظ تختلف معانيها ومؤدياتها وفقاً لاستعمالاتها المتباينة .

ولفظة « تحقيق » تعني investigation و inquest و inquiry وكذلك interrogation ، ولكل منها معناها الخاص .

ولفظة « عريضة دعوى » تعني sheet و writ و summons و notice و petition و these presents ... وهكذا

كما أن « للاتفاق » أو « الاتفاقية » ألفاظاً متعددة في اللغة الانكليزية مثل accord و agreement و protocol و convention و arrangement و treaty و understanding ، ولكل منها معنى محدد في العرف الدبلوماسي .

ولفظة « أكد » أو « وكد » لها في الانكليزية غير رديف واحد ، مثل affirm و confirm و stress و assert و underline و substantiate ولكل لفظة من هذه الألفاظ استعمالاتها الخاصة .

وليس يعنينا أن نقيم البراهين بمزيد آخر من الأمثلة على صحة ماذهبنا إليه من أن الألفاظ الاصطلاحية العربية كثيراً ماتتسم بالميوعة وانعدام الدقة ، فضلاً عن افتقارها الجوهري إلى الثبات الذي من شأنه أن يجعل المصطلح الواحد يتلبس معنى واحداً محدداً ثابتاً ، إليه وحده ينصرف الذهن دون أي معنى عداه . أما مصطلحات الفرنجة فقد اكتسبت من التداول ثباتاً ودقة وتحديداً ينتفي معها كل لبس أو خلط .

صحيح أن السياق قد يفسر المعنى الذي يُراد تأديته في كل مناسبة ولكن احتمال الخلط قائم حتى لدى المتمرسين بفنون الترجمة المنوط بهم نقل المصنفات العلمية أو القانونية أو سواها من لغة إلى أخرى .

وليس ثمة خلاص من هذا الخلط إلا بأن يتحدد لكل لفظة معناها الاصطلاحي المعين ، فيكتسب المصطلح استقراراً يحول دون طغيانه على معنى اصطلاحي آخر ، وبذلك يمتنع وقوع أي وهم بينه وبين لفظة اصطلاحية سواه ،

ولئن رغبت في هذه الكلمة في أن أعرض المشكلة دون أن أتصدى لحلها باقتراح ألفاظ اصطلاحية مناسبة لكل من النماذج التي تقدم إيرادها فالرأي عندي أن المعالجة تكون بنهوض هيئة اليونسكو التابعة للجامعة العربية بتأليف لجنة قانونية وأخرى اقتصادية وثالثة هندسية .... على شاكلة اللجنة التي أنجزت « المعجم العسكري الموحد »، وتضطلع هذه اللجان بمهمة تثبيت المصطلحات وتوحيدها وتحديد معانيها ، بحيث تصبح في أيدي القارىء العربي معجمات موحدة في كل فنون المعرفة تغنيه عن ركوب الحيرة بين أدغال الألفاظ ، وتريحه من أسباب الاضطراب الناشئة عن شيوع المعاني وميوعتها وافتقارها إلى الاستقرار .

القاهرة وديع فلسطين

كتاب درة التنزيل وغرة التأويل

للراغب الأصفهاني وليس للخطيب الاسكافي

الأستاذ عمر عبد الرحمن الساريتي

صدر عن دار « الآفاق الجديدة » في بيروت (١٩٧٣) كتاب موسوم باسم « درة التنزيل وغرة التأويل » في المتشابهات من آي القرآن العزيز ، ونسبت الدار هذا الكتاب إلى الخطيب الاسكافي المتوفى عام ٤٢٠ هـ ، وذكر على الصفحة الأولى منه أنه « برواية ابن أبي الفرج الأردستاني » ، واكتفي من ذكر المحقق والتحقيق بالقول : إنها « طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة » !.

وتأكيداً لنسبة هذا الكتاب للمؤلف المذكور فإن القائمين على النشر في هذه الدار قد ترجموا له فيما يقرب من الصفحة الواحدة ، أتوا فيها على كلمة للصاحب بن عباد عن ثلاثة من الأصفهانيين الذين يجمعون بين حرفة الأدب وحرفة يدوية يكسب بها كل منهم رزقه ، ومنهم هذا « المؤلف » الذي كان يعرف « بالخطيب » لأنه كان خطيب القلعة الفخرية الشهيرة ، « وبالاسكافي » لأنه كان يمتهن هذه الحرفة البسيطة في خصف النعال وإصلاحها .

ولم يختلق ناشرو الكتاب هذه الحقائق اختلاقاً ، وإنما نقلوها ـ دونما إشارة ـ من معجم الأدباء في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف

بالخطيب الاسكافي (١) . وحينما عدد ياقوت مصنفات أبي عبد الله هذا ذكر منها « درة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة » .

ونسبة هذا الكتاب إلى هذا المؤلف في حاجة إلى إعادة نظر ، ذلك أنني وجدت ، وأنا اشتغل في بحث جامعي مقارب ، أنه منسوب إلى مصنف آخر ، هو الحسين بن المفضل أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني ، وذلك في كل نسخة من النسخ التالية للمخطوطة التي تحمل اسم هذا الكتاب:

١) رقم ١٧٦ في مكتبة أسعد أفندي بالسليمانية في استانبول .

٢) رقم ٢٥ في مكتبة خسرو باشا بالسليمانية في استانبول .

٣) رقم ١٨٠ في مكتبة راغب باشا بالسليمانية في استانبول (وهو هنا باسم حل متشابهات القرآن) .

٤) رقم ١٧٤٨ أ . ٨٥ في مكتبة أحمد الثالث (طوب قبو سراي) باستانبول .

٥) رقم ١٧٤٩ . ر . ١٨٣ في مكتبة أحمد الثالث (طوب قبو سراي) باستانبول .

وبالإضافة إلى أن هذه النسخ كلها تنتسب إلى الراغب ، فإنها تتقارب بعضها مع بعض إلى حد كبير . كذلك فإن هذا الكتاب قد يذكر باسم « تفسير المتشابهات » (٢) ، وقد يذكر باسم « تفسير القرآن العظيم »(٣) ولكن هذا التباين في الأسماء لا يعفيها من أن تنسب للراغب أيضاً .

(١) الجزء الثامن عشر ، مطبعة المأمون ، الصحيفة ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) المخطوطة رقم ٢٥ بمكتبة خسرو باشا بالسليمانية في استانبول .

(٣) كما هو مثبت على غلاف مخطوطة « الذريعة إلى أخلاق الشريعة » المنسوب للراغب ، وهي برقم ٧٦٨ بمكتبة إبراهيم باشا بالسليمانية باستانبول .

وبذلك يشير بروكلمان [١] ، ودائرة المعارف الإسلامية [٢] .

والذي أوقع القائمين على النشر في دار الآفاق البيروتية في الخطأ ، فنسبوا هذا الكتاب إلى الخطيب الاسكافي ، هو كما يبدو ، ما ورد في مقدمة بعض هذه النسخ [رقم ١٧٤٨ أ . ٨٥] بمكتبة أحمد الثالث باستانبول : (قال إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن الفرج الأردستاني : هذه المسائل في بيان الآيات المتشابهة لفظاً .... أملاها أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الخطيب في القلعة الفخرية) . ولكن الكتاب مفهرس ومبوب في المكتبة على أنه من مصنفات الراغب الأصفهاني .

وجملة « أملاها » التي أوقعت هؤلاء في التسرع لا تعني بالضرورة أنها من خلقه وإنشائه ، إلا إذا كانت أمالي أبي علي القـــالي كلها من بنات أفكاره نثراً ونظماً !.

وأغلب الظن أن الخطيب الاسكافي قد أملى عن الراغب هذا الكتاب، كما يفعل التلاميذ والمعجبون والمريدون بمصنفات شيخهم .

والراغب الأصفهاني « أحد أئمة السنة » [٣] ، وكان من حكماء الإسلام ، جمع بين الشريعة والحكمة في تصانيفه ، وله تصانيف كثيرة... وكان حظه من المعقولات أكثر ، [٤] وكان أبو حامد الغزالي يعجب

---

(١) الجزء الثالث المبسط الصحيفة ٥٠٥ – ٥٠٦

(٢) المجلد التاسع ، العدد الأول الصحيفة ٤٧٣

(٣) المصدر السابق .

(٤) ظهير الدين البيهقي ، تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق ونشر محمد كرد علي ، مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٦ ، الصحيفة ١١٢ ، ١١٣

بكتابه « الذريعة إلى مكارم الشريعة »[١]، وقيل ان البيضاوي قد أفاد في تفسيره من تفسيره .

وقد اختلف في سنة وفاة الراغب فكثير من المراجع تذكر أنه توفي عـام ٥٠٢ للهجرة (بروكلمان ، دائرة المعارف الإسلامية ، الاعلام معجم المؤلفين ، روضات الجنات) ، فإن كانت كذلك فكيف يقبل العقل أن يملي سابق عن لاحق ؟ أم إنهما يتفقـان في كتاب كبير الحرف بالحرف ؟!

على أن مراجع أخرى تذكر أنه كان في أوائل المائة الخـامسة للهجرة [٢] ، بل أن بعضها تحدد سنة وفاته في ٤٠٢ هـ [٣] (وربما جاء من هنا رقم ٥٠٢) ، وتجعل غيرها وفاته قبل ذلك ، في عام ٣٩٦[٤] ، ويبقى الرأي الأغلب ، لعدة أسباب ليس هذا المقال مهيأ لها ، أنه توفي في بداية القرن الخامس الهجري ، وهـذا يؤيد ما قلنا من أن الخطيب الاسكافي قد أملى على الناس كتاب الراغب الأصفهاني .

عمر عبد الرحمن الساريتي

(١) مقدمة كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط ١ ، ١٩٧٣

(٢) السيوطي ، بغية الوعاة ، مطبعة الخانجي ، ط١ ، ١٣١٦ الصفحة ٣٩٦

(٣) هامش تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ص ١١٢ ، ١١٣

(٤) الإمام بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، ، ط١ ، ١٩٥٧ ، جـ١/الهامش ص ١٢٩

التعريف والنقد

التحقيقات المعمرة

بتخفيف ضم جيم جدة

تأليف : عبد القدوس الأنصاري

١٤٢ صفحة من القطع المتوسط – مطابع دار الأصفهاني بجدة

الدكتور عدنان الخطيب

لو سئلتَ : ما اسم هذه المدينة التي تتكشف لك وأنت على طائرة أوشكت أن تنتهي بك إلى غايتك ، إن كنت قاصداً زيارة بيت الله العتيق أو قبر رسوله الكريم ؛ ما اسم المدينة التي تتبدّى لك كعروس لبست أزهى ثيابها ، وازدانت بأسنى لآليها ، ثم تمددت على شاطىء البحر ؟ .

نعم لو سئلت : ما اسم حاضرة العرب على البحر الأحمر التي لامفر لمسلم ركب البحر فارضاً على نفسه الحج إلى البيت الحرام من النزول فيها ؛ ما اسم ثغر الحجاز الباسم دوماً في وجه ضيوفه الكرام ؟ فبماذا كنت تجيب ؟! .

أهي جَدّة ، كما ينطق باسمها أهل مصر ومن والاهم ، وكأنهم تابعوا من زعم بأن حواء أم البشر دفنت فيها ، فنسب حفدتُها المدينة إلى جدّتهم !.

أم هي جِدّة ، كما يطلق عليها العامة من أبنائها ومن أهل الحجاز قاطبة ، وكأنهم عرفوا أن الجِدّة في كلام العرب تعني الطريق يماشي ساحل البحر ، وإذا كان أهل مكة أدرى الناس بشعابها فهل يصح لأحد أن يدعي بأن العامة من أهل الحجاز أدرى من غيرهم بأسماء المدن والأعلام التي فيه ، ومذ متى كانت العامة مرجعاً لضبط اسم من الأعلام !؟.

أم كنت تنطق باسم المدينة : جُدّة ، كما ينطق به أهل الشام وأهل الجنوب من بلاد العرب والخاصة من أهل الحجاز ، مع ما يورثه ضم الجيم من شدة الوقع على آذان مرهفي السمع ممن يكثرون من مخالطة العامة !.

هذه التساؤلات هي موضوع القصة اللغوية الممتعة التي جرت وقائعها في سبيل ضبط الجيم في (جدّة) ، فمن منتصرٍ لجيرته وأهل حيّه ، أو مستسلم لما ألفت أذنه سماعه ، أو رجل يستسهل كسر الجيم أو يستثقل ضمها ، إلى أديب أو عالم لا يرضى عن التمسك بالفصيح من اللغة بديلا ، ولا يعتدّ بغير التراث الصحيح دليلًا . هذا ولم يخل الحوار بين أولئك الرجال من كاتب متلق الجميع وأفتى بجواز تثليث الجيم في (جدّة) .

وقام الأستاذ عبد القدوس الأنصاري صاحب « المنهل » وأحد كبار رواد الأدب والتاريخ في الحجاز ، بجمع ما كتبه وآخرون معه من أبحاث لغوية تضمنت الأدلة القاطعة بأن العرب الذين عرفوا لفظة (الجدّة) مثلثة الجيم لمعانٍ مختلفة حيناً ومتقاربة أحياناً ومتماثلة في أحيان أخرى ، ما نطقوا باسم مدينة الحجاز البحرية إلا وجيمها مضمومة ؛ وكان هذا الكتاب الذي نقدمه للقراء ، الخفيف حمله ، اللطيف حجمه ، الثقيلة موازينه في الدفاع الحارّ عن سلامة العربية وحمايتها من العامي والدخيل ،

وفي التمسك الشديد بالأساليب القويـة لضبط مفردات اللغة والتزام الصحيح منها .

لقد جاء المؤلف بما لا مزيد عليه من الأدلة المنقولة عن أمهات الكتب من معجمات لغوية ، ومؤلفات في علمي الحديث والتاريخ ، غير ناس الإشارة إلى كتب البلدان والرحلات قديمها وحديثها ، وكلها تقطع بوجوب ضم جيم «جدّة» ، اسماً للمدينة المعروفة .

ورأيت في ثنايا الكتاب بعض المشتركين في الحوار حول حركة « جيم » جدّة يتطرقون إلى كتابة اسمها بالحروف اللاتينية ويشيرون إلى أن الانكليز يكسرون هذه الجيم ، ولكني وقفت عند قول المؤلف في الصفحة ١٥ ما نصه : « أما دائرة المعارف البريطانية فإنها ضبطت الاسم بكسر الجيم .. وقد يكون منشأ ما عمدت إليه دائرة المعارف البريطانية هو الأخذ من أفواه الحجازيين المعاصرين الذين ينطقون هذا الاسم بكسر الجيم ، وهذا دأب كثير من العلماء الغربيين في تلقفهم أسماء البلدان وغيرها من العامة » . ثم قرأت في الصفحة ٢٦ قول المؤلف : « .. وجرّنا الحديث إلى استعمال الأجانب لاسم جدة في كتابتهم لها هكذا : Jeddah وهكذا : Jiddah وكلاهما بكسر الجيم .. يجب تعميم ذلك في العالم أجمع حتى ينطق به ويكتبه كل الأجانب على الصحة بضم الجيم هكذا Joddah .. » .

وأنا لست أدري ما قيمة الاستشهاد بلفظ الافرنج في ضبط اسم مدينة عربية ، بعد أن جاء الأساتذة المتحاورون بالبراهين القاطعة بالضبط الصحيح له ، لا سيما وأن بعض ما أوردوه يغني لدحض زعم القائلين بجواز مخالفته ،

اللهم إلا إذا كان المتساهلون في ضبط الكلمات العربية هم الذين استشهدوا بما ينطق به الإنكليز .

على أن اسم جُدّة ، وإن ورد في دائرة المعارف البريطانية خلال بحث عن المملكة العربية السعودية مرسوماً هكذا : Jiddah ، فلا يمكن القول عنها بأنها ضبطت الاسم بكسر الجيم ، لأن الموسوعة البريطانية تتألف من قسمين ثانيهما جغرافي ويسمى (أطلس الموسوعة) ، وهو المعتمد لدى العلماء والمهتمين بأسماء المدن ومواقعها ، و (أطلس الموسوعة البريطانية) أشار إلى جدة في موضوعها من ساحل البحر الأحمر مضبوطاً بهذا الرسم : Juddah أي بضم الجيم ، أما رسم اسمها (Jiddah) بكسر الجيم فقد وضع بين قوسين للدلالة على أن هذه الصيغة ثانوية ، وإن شاعت ، حتى الدليل الهجائي لأطلس الموسوعة أشار إلى من يفتش عن جدة مكسورة الجيم بالرجوع إلى اسمها الصحيح بضم الجيم .

أما الموسوعات الفرنسية وبخاصة موسوعات (Larouss) فهي لا تذكر جدة إلا بضم جيمها وترسم الاسم هكذا Djeddah .

* * *

من أسابيع خلت كنت في زيارة لمدينة جُدّة فرأيتها ، وقد غزتها مدنيّة القرن العشرين ، تستجيب لهذا الغزو الحضاري فاتسعت أحياؤها وامتدت على رقعة كبيرة من اليابسة ، حتى مياه البحر بدأت تنحسر عن فجوات كثيرة كانت تتسرب فيها ، أما العمارات فأخذت تشمخ وتتبرج ، والشوارع أخذت تستقيم وتتسع يوماً بعد يوم لتستوعب مختلف الوسائل

الآلية التي تعبرها مع خضم بشري يتدفق عليها في أشهر الحج ، وما أظن هذا الخضم سيخفف ضغطه على جُدة مهما اتسعت !

لقد هالني ، وأنا أتجول في شوارع المدينة أن **أجـد اللغة العربية مهددة بالدخيل يغزوها ، وبالعامية تتسرب إلى الحديث لدى أرفـع الطبقات الاجتماعية** ، وكأن الأعجمية ضربة لازب لا تتخلف عن الحضارة ووسائلها ، والعامية نتاج التقدم والرفاهية !.

وها أنا مجتزىء لك بمثلين مما رأيت ومما سمعت ، إنهم في جُدّة وما والاها يطلقون على أنواع من الناقلات اسم (وانيت) ، واشتدت رغبتي في معرفة مصدر هذه اللفظة الشائعة شيوعاً متناسبـاً مع سعة استخدام السيارة الناقلة (بيك آب) في حمل مختلف البضائع وطوائف كثيرة من الحجاج ، وبعد جهد عرفت أن أول ناقلة من طراز (بيك آب) رآها الجُدّيون كانت لدى رجل انكليزي ، وكان على هذا الرجل أن يميز هذه السيارة عن سيارة أخرى كانت لديه أمام من يعملون معه من المواطنين ، فكان يشير إلى الرقم الذي تحمله التي يريد منهما ، ومن غريب المصـادفات أن الناقلة (بيك أب) كانت تحمل الرقم (١٨) فكان يسميها « **وان أيت** » وتسامع الناس بهذا فأطلقوا على كل ناقلة اسم « وانيت » ثم نسوا الدافع للأوائل منهم إلى هذه التسمية ، وأخذ أبناؤهم يطلقون على عشرات الألوف من الناقلات التي تجوب البلاد في هذه الأيام اسم « الوانيتات » !.

ودعاني صديق ذات أمسية إلى تناول طعـام العشاء في أحد مطاعم جُدة الحديثة ، وكانت تعلو واجهته لافتة كبيرة تحمل بأحرف عربية اسم

« **كيمك كلاس** » وسمعت بعض الجُدِيين يتلفظون بهذا الاسم تلفظاً لا يمت إلى أية لغة من لغات العالم ، رغم أنه ينتسب إلى التركية والانكليزية !

أرأيت إن كنت على حق إن أنا جزعت على لغة المستقبل في مهد الفصحى ، إذا لم يقف الغيارى عليها للذود عن حماها والدفاع عن سلامتها ، واتخاذ الوسائل الكفيلة بالحفاظ على صفائها ونقاوتها ؟

إني أدعو الغيارى على العربية في المملكة العربية إلى توحيد جهودهم **والقيام بانشاء هيئة تتولى الدفاع عن الفصحى ، وحمايتها من الأخطار التي تتهددها** . كما اني أهيب بالمسؤولين الواعين واجبهم القومي والديني خير وعي ، إلى حماية أم اللغى ، وتبني الهيئة التي ندعو إلى إنشائها ، ولعلها تكون **مجمعاً للغة العربية** يتولى المهام التي ستناط به متعاوناً في ذلك مع المجامع والهيئات الأخرى التي تقوم في كل من القاهرة وبغداد والرباط ودمشق ، بوساطة **اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية** .

إني شديد التفاؤل بمستقبل هذه الدعوة ، بعد أن اطلعت على كتاب « **التحقيقات المعدّة في حتمية ضم جيم جُدّة** » ولمست الروح التي دفعت إلى تأليفه .

عدنان الخطيب

ملاحظات على وفيات الاعيان

المجلد الثامن

الفهارس العامة ، إعداد وداد القاضي وعزالدين أحمد موسى
بإشراف الدكتور إحسان عباس ، بيروت دار
صادر ١٩٧٢ صدرت المجلدات السابقة عن دار الثقافة

الدكتور علي جواد الطاهر

١ — من مقدمة المجلد للمحقق : إن صديقاً تونسياً بلغه خبر « كراسة كان قد نشرها تيدمان تحتوي على تراجم من وفيات الأعيان ... ووصلتني النسخة ، فإذا بها قد طبعت بأمستردام عام ١٨٤٥ وهي تحتوي « التراجم من كتاب وفيات الأعيان التي ما توجد إلا في النسخة الامستردامية » وعدد التراجم فيها اثنتا عشرة ترجمة تمثل في هذه المطبوعة رقم : ٧٩ ، ١٤٨ ، ١٥٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٨ ، ٣٣٨ وفيها ترجمة لعافية بن يزيد القاضي ، لم ترد في هذه الطبعة ... » .

ومعنى هذا أن لو لم تتهيأ فرصة التقاء الصديقين المتباعدين داراً ، لما اطلع المحقق على هذه المطبوعة .

ويحسن في التحقيق أن نفيد من المصادفات ، ولكن يحسن أكثر من ذلك أن نفيد من المنهج ، والمنهج يقتضي - قبل الشروع بالتحقيق — الرجوع إلى مظانّ المخطوطات والمطبوعات . . . ولو رجعنا في حالة تحقيق وفيات الأعيان إلى أقرب هذه المظانّ ، وليكن « معجم المطبوعات » لسركيس ، لقرأنا لديه ، وهو يتكلم على « وفيات الأعيان » ، ما يدلنا

على هـذه المطبوعة المشتملة « على ثلاث عشرة ترجمة » ، وقد يكون جرجي زيدان أقرب من سركيس وأوضح فإنه يقول في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ٣ : ١٧٣ (من ط ٢) : « ... والظاهر أن المخطوطات التي نشروا هذه الطبعات عنها ، كان ينقصها بعض التراجم .. ويؤيد ذلك أنهم عثروا في مكتبة أمستردام على ١٣ ترجمة جديدة طبعوها في أمستردام ، مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٥ ، وهي تراجم أبي العباس القسطلاني ، وحاتم الأصم ، وابن مسكين ، والحسن بن علي ، وشبيب ابن شيبة ، وشعبة بن الحجاج ، وشعيب بن حرب ، وأبي وائل الأسدي ، وصالح بن عبد القدوس ، وصالح بن بشر ، وأم المؤمنين عائشة ، وعافية ابن زيد ، وعبد الله بن عباس ... وحبذا لو أضيفت هـذه الزيادات إلى الطبعات الأولى » .

فلو قرأنا كتاب زيدان قبل البدء ، لعلمنا علم المخطوطة والمطبوعة ، ولأفدنا منها في المكان المناسب من المجلدات ، ولم نبق ننتظر المصادفة التي لم تتهيأ إلا بعد الانتهاء من طبع الكتاب .

٣ — هذه مطبوعة بعيدة المكان والزمان في أمستردام سنة ١٨٤٥ ، ولكن المحقق لم يدل — كما رأينا — على أنه اطلع على المطبوعات الأقرب مكاناً وزماناً ، ولم يحاول الاطلاع التام والإفادة مما يمكن أن يكون فيها من زيادة ، والتنبيه على ما يمكن أن يكون من نقص ..

ولمطبوعة من المطبوعات هذه شأن خاص في موضوع « الملاحظات » تلك هي الطبعة التي لم تكمل عن « دار المأمون — سلسلة الموسوعات العربية » صدر جزؤها الأول سنة ١٩٣٦/١٣٥٥ عن مطبعة عيسى البابي الحلبي .

يبدأ شأن هذه المطبوعة إذ أخبرني الأستاذ هاشم الطعان وأخبر الدكتور إبراهيم السامرائي - أن في الجزء الثالث من طبعة دار المأمون عن « جعفر البرمكي » مالايوجد في طبعة الدكتور إحسان عباس ، تبلغ هذه الترجمة حوالي ثلاث صفحات من صفحات طبعة الدكتور إحسان عباس ، ينقلها ابن خلكان عن كتاب لأبي جعفر عمر بن الأزرق الكرماني ، وقد ثبته محققو طبعة دار المأمون عن نسخة خطيّة .

ويؤيد صحة كون هذه الترجمة من وفيات الأعيان أن مؤلفاً آخر يؤلف كتاباً « ... في أخبار البرامك » وينقلها إليه عن ابن خلكان ، والكتاب مخطوط في لندن ، منه نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي .

وقد بلغ الدكتور إحسان عباس خبر هذه الزيادة في هذه الطبعة .

وإذ انتهى طبع كتاب وفيات الأعيان في تحقيقه الجديد ، ولم أر إشارة إلى مطبوعة دار المأمون ولا إلى ما زادت في ترجمة جعفر البرمكي ، عُدت إلى الأستاذ هاشم الطعان ، أتبين الخبر على جليّته ، وكان يملك من المطبوعة أجزاء متفرقة منها الثالث ، وفيه ترجمة جعفر البرمكي ، قابلناها في طبعة الدكتور إحسان عباس ، فرأيناها جديدة ، وإذا كان الدكتور إحسان قد نشر لجعفر البرمكي ترجمتين مختلفتين هما « أ » (دون أن يكتب إزاءها أ) و « ب » فإن هذه الترجمة تكون « ج » .

وألقينا نظرات أخرى على ترجمات أخرى ، فلحظنا دون مشقة فوائد وزوائد كان بستطاع الدكتور إحسان عباس الإفادة منها ، وأنه يستطيع أن يزيد في ترجمات : بكار بن قتيبة ، وبشار بن برد ، وجميل بثينة .

مِن أين جاءت هـذهِ الزيادات المهمة لطبعة دارِ المأمون ؟

من نسخة قديمة ، يسميها المحققون : الدمشقية ، لم تكن بين أيديهم عندما حققوا الجزء الأول من طبعتهم ، حتى إذا تهيأت لهم وعرفوا قدرها حرصوا على الاستفادة التامة منها في الأجزاء التالية ، مع استدراك علمي على ما فات منها على الجزء الأول ، لو جمعت هذه الاستدراكات والزيادات لكونت جزءاً وأكثر من جزء .

وإذا عدنا إلى المجلد الأول من طبعة الدكتور إحسان عباس نقابله مع مستدركات الجزء الأول من طبعة دار المأمون التي أفادتها من النسخة الخطية الدمشقية نجد فيه ترجمة لابراهيم بن منصور .. بن أدهم (هي الترجمة رقم ٦ ص ٣١ — ٣٢) وتقول الحاشية : « انفردت النسختان ج د بالترجمة التي أثبتناها هنا » وهاتان النسختان هما نسختا برلين — المتأخرتا النسخ — اللتان اعتمدهما ـ فيما اعتمد ـ وستنفلد .

واحتوت طبعة دار المأمون ، أي المستدرك الذي عملته على الجزء الأول ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ مستلاً من المخطوطة الدمشقية لوفيات الأعيان ، ترجمة لابراهيم بن منصور بن أدهم مع زيادة واختلاف لدى المقابلة .

ونجد كذلك زيادات مهمة في ترجمات أخرى مثل إبراهيم بن المهدي والزجاج والصابي والحصري والغزي ...

وصحيح أن المخطوطة الدمشقية تتشابه مع زيادات نسختي برلين ، إلا أن ذلك لا يحدث دائماً ، ولا يعني التطابق ، أو أن النسختين أخذتا عن الدمشقية أو عن نسخة مأخوذة عنها ... ومن الأمثلة التي تتشابه فيها الدمشقية مع البرلينيتين ما جاء في طبعة الدكتور إحسان عباس ، المجلد الثاني ، ص ٣٨٦ ، الترجمة ٢٦٦ (سفيان الثوري) وتنظر ترجمة الأعمش ٢ : ٤٠٠ ومن الاختلاف في الزيادة ما جاء عن سعد الحظيري . ووردت

سطور عن أبي إسحاق بن الوليد بن عبد الملك. ولو قابلنا الأجزاء الأخرى لوجدنا فوائد وزوائد أخرى .

الخلاصة أن في مطبوعة دار المأمون ، أو بمعنى أدق فيما نقلت عن النسخة الخطية الدمشقية من استدراكات وأخبار وأشعار ، ما يحسن بمن يحقق وفيات الأعيان تحقيقاً علمياً أن يعلم علمه ويطلع عليه ، ويفيد منه ، ويستدرك به ، وما قد يبعثه على البحث الجدي عن هذه النسخة الدمشقية ، ولا يستحيل وجودها .

٤ — ص ٥٠٧ (مصادر المؤلف) : « الدر المنثور (رسائل مجد الدين ابن الأثير) جمع الخطيري ٧ : ٣٢٧ » .

رجعت إلى ٧ : ٣٢٧ فرأيت :

أ — صحيح ٧ : ٣٢٧ = ٧ : ٣٢٦

ب — لم يكن الدرّ المنثور من مصادر المؤلف ، لأن كتاب المؤلف ينتهي بالصفحة ٢٥٩ ولأن المحقق ألحق بالكتاب باباً مهماً عنوانه « مزيد بيان في تخريج التراجم الأصلية » جاء منه على الصفحة ٣٢٥ — ٣٢٦ بصدد « مجد الدين ابن الأثير » ... ابن الشعار ٦ : ٢٧ وقال في ترجمته .. وله رسائل عُني بجمعها إسماعيل بن علي الكاتب الخطيري ، وترجمها بالدر المنثور ... » .

وواضح جداً من هذا أن الدر المنثور لم يكن — في هذا — من مصادر المؤلف (ابن خلكان) وإنما هو من مرجع المحقق (الدكتور إحسان عباس) فيما زاد به لتخريج التراجم الأصلية .

٥ — ص ٥١٠ (مصادر المؤلف) : « ديوان الخطيري ٧ : ٣١٧ »

ويقال فيه ما قيل في الدر المنثور ، أي أن ديوان الخظيري الوارد هنا ٧ : ٣١٧ ليس من مصادر المؤلف (ابن خلكان) وإنما هو مما ذكره المحقق إذ زاد في آخر الجزء السابع من المصادر في تخريج التراجم الأصلية . إن ديوان الحظيري ٧ : ٣١٧ هو مما ذكره ابن العديم ولم يكن مما ذكره ابن خلكان — لم يذكر ابن خلكان إذ تحدث عن الحظيري « ديواناً » .

٦ — من الحالة نفسها أي نسبة مصادر إلى ابن خلكان ليست له ، وليست مما ذكره في المتن وإنما هي من مراجع المحقق زيادة على تخريج التراجم الأصلية : ديوان ابن عنين (٧ : ٣٣٣) ، وديوان المتنبي (٧ : ٣٢٢) ، ديوان مدلويه (٧ : ٣٤١) ... ومن ذلك أسماء أخرى مثل : العجائب والآثار ، علم النثر ، مجانين العقلاء ، الردّ على الغندجاني ، سقط الزند ، عوالي التابعين ..

وهكذا كل ما ورد في المجلد الثامن من « فهرست الكتب المذكورة في المتن » إحالة على المجلد السابع بين ص ٣٠٧ — ٣٤٣ هو ليس من مصادر المؤلف ، وليس مما ذكره المؤلف في المتن ، وإنما هو من مراجع المحقق التي جمعها تحت باب صريح : « مزيد بيان في تخريج التراجم الأصلية » .

٧ — ص ٦٠١ (مراجع التحقيق) : « تاريخ الدولة السلجوقية ، تاريخ الملوك السلجوقية ، انظر : أخبار الدولة السلجوقية » .

وهذا يعني أنها كتاب واحد . ونعود إلى أخبار الدولة السلجوقية فنرى « أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين أبي الحسن علي الحسيني ، تحقيق الأستاذ محمد إقبال . لاهور ١٩٣٣ » .

فيتضح الخطأ لأنها كتابان مختلفان ، الأول للعماد الكاتب (ينظر من فهرست مصادر المؤلف) والثاني (أخبار الدولة السلجوقية) « المنسوب » لصدر الدين الحسيني ...

والكتابان مطبوعان ، طبع « كتاب تاريخ دولة آل سلجوق من إنشاء العماد ... واختصار البنداري بمصر سنة ١٩٠٠ » وطبع بليدن باسم « زبدة النصرة ... » تحقيق هوتسما سنة ١٨٨٩ .

وهذا يقتضي أن يحيل المحقق إلى كتاب العماد عندما يحقق لأنه في مصادر ابن خلكان ، ولا يحيل إلى المنسوب إلى الحسيني ... أو أن يحيل على الاثنين في أقل تقدير ، ولكنه لم يحـل إلى كتاب العماد — الذي اختصره البنداري .

الخلاصة أن « تاريخ الدولة السلجوقية » و « أخبـــار الدولة السلجوقية » كتابان لمؤلفين مختلفين ، الأول — في أصله — للعماد وهو أولى بالإشارة .

٨ — ص ٥٩٥ « مصادر الدراسة والتحقيق »

١ً — ص ٦٠٠ « تاج التراجم في طبقات الحنفية ... بن قطلوبغا ، بغداد ١٩٦٢ » .

بغداد لم تطبع تاج التراجم ، وإنما كانت واسطة لتصويره . وقد نصّ المحقق على تصوير ما كان مصوّراً من مصادره ، ويقتضي السياق أن يعامل هذا معاملتها .

٢ً — ص ٦٠٥ « خريدة القصر للعماد الكاتب الأصفهاني . قسم مصر ١ - ٢ تحقيق الدكتور شوقي ضيف . القاهرة ١٩٥١ » .

لم ينفرد الدكتور شوقي ضيف في تحقيق هذه الطبعة لهذا القسم ، وإذا رجعنا إلى الكتاب نفسه ج ١ ، ج ٢ رأينا أحمد أمين ، شوقي ضيف ، إحسان عباس .

٣ – ص ٦٠٥ « خريدة القصر للعماد الكاتب الأصفهاني . قسم المغرب ، الجزء الأول . تحقيق الأستاذين عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم . مصر ١٩٦٤ » .

هناك طبعة أخرى جديرة بالاستشارة والذكر هي طبعة تونس ، طبع الجزء الأول منها سنة ١٩٦٦ بتحقيق محمد المرزوقي – محمد العروسي المطوي ، الجيلاني بن الحاج يحيى . وطبع الثاني سنة ١٩٧١ بتحقيق آذرتاش آذرنوش ومراجعة محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوى والجيلاني ابن الحاج يحيى .

٤ – لم يذكر خريدة القصر للعماد الكاتب . قسم العراق بتحقيق الأستاذ بهجة الأثري (والدكتور جميل سعيد للجزء الأول) ، مع أنه مهم واعتمده .

٥ – ص ٦٠٥ « دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخرزي (وهو مختصر الدمية) نشر الأستاذ محمد راغب الطباخ ، الطبعة الأولى ، حلب ١٩٣٠ » .

أ – إذا كانت « مختصر » (بفتح الصاد) وجب وضعها بعد عنوان الكتاب ، وإذا كانت بكسرها فوضعها بعد الباخرزي غير صحيح لأنه ألف الدمية ولم يختصرها .

ب – من قال إن هذا الكتاب هو مختصر الدمية ؟ إنه ليس

مختصرها ولكن الذي نشره – أو اعتمده – الطباخ ليس بالنسـخة القيمة المكتملة ...

جـ – كان المناسب – والواجب – أن نستعين بما طبع كاملاً محققاً من « الدمية » ما صدر منها بمصر بتحقيق محمد عبد الفتاح الحلو ، وما صدر ببغداد بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني .

٦ – ص ٦٠٥ « الديارات للشابشتي تحقيق الأستاذ كوركيس عواد بغداد ١٩٥١ » .

أعاد الأستاذ كوركيس عواد ، عام ١٩٦٦ طبع الكتاب أتم وأكمل وأجدر بالاعتماد .

٧ – ص ٦٠٦ « ديوان أبي تمام (١ – ٤) تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام دار المعارف بمصر ١٩٥١ – ١٩٦٥ » .

ليس هذا ديوان أبي تمام لأن الديوان لايبلغ هذا الحجم ، وإنما هو الديوان وشرحه ، هو شرح التبريزي على ديوان أبي تمام أو كما ورد اسمه هو « ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي » وتاريخ صدور المجـــلد الأول هو ١٩٥٤ .

٨ – ص ٦٠٧ « ديوان أبي فراس الحمداني (١ – ٢) جمع وشرح الدكتور سامي الدهان بيروت ١٩٤٤ » .

أ – ليس هذا الديوان من جمع الدكتور سامي الدهان .

ب – وليس فيه أي شرح .

جـ – إنه تحقيق الدكتور سامي الدهان ، تحقيق على منهج المقابلة بين النسـخ .

٩ – ص ٦٠٨ « ديوان سبط ابن التعاويذي ، انظر ديوان ابن التعاويذي » .

لماذا ؟ إن المعقول أن نحيل « ابن التعاويذي » إذ أورد ناظماً لهذا الديوان على سبط ابن التعاويذي ، ولا نحيل السبط على الجد . لأن الديوان هو ديوان سبط ابن التعاويذي وليس ديوان ابن التعاويذي .

ومعلوم أن الشاعر هو « أبو الفتح محمد ... » وأن ابن التعاويذي هو جده لأمه أبو محمد المبارك ، وعرف الشاعر بكنية جده لأمه ، فكان لذلك « سبط ابن التعاويذي » .

وكانت الحالة قد تكررت في المجلد الثامن هذا نفسه لدى فهرست التراجم فجاء على الصفحة ١١٨ : « سبط التعاويذي ـ انظر ابن التعاويذي أبي الفتح » والذي حدث ـ زيادة على خطأ الإحالة ـ أننا لم نجده لا في حرف التاء ولا في حرف الفاء ...

١٠ — « ديوان الشريف المرتضى (١ – ٣) القاهرة ١٩٥٨ » .

ذكر الفهرس أسماء المحققين مراراً ، والمنهج يقتضي ذكرهم ، ولكنه هنا لم يذكر اسم المحقق ، مع أنه ـ هنا ـ أكثر لزوماً من غيره لأنه عراقي طبع تحقيقه بمصر ، هو رشيد الصفار المحامي .

١١ – ص ٦١٢ « شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١ – ٤) القاهرة ١٢٩٦ »

الإحالة هنا إلى طبعة بولاق ، وليس لنا ملاحظة على ذلك ، ولكن إذا تهيأت طبعة صحيحة ، وأقرب متناولاً ، ولعلها أحسن ضبطاً ... كانت الإحالة عليها أولى . وقد أعاد الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد طبع الشرح مقابلاً على طبعتي القاهرة وأوربة ، مضبوط الغريب ، معلقاً على حواشيه مفهرساً ... بطبعة حجازي . القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٨ .

١٢ - ص ٦١٨ «المحمدون من الشعراء وأشعارهم لعلي بن يوسف القفطي بتحقيق الأستاذ حسن معمري (الرياض ١٩٧٠) .

أ - مناسب أن يذكر مع ذلك : مراجعة الأستاذ حمد الجاسر ، لما للمراجعة هنا من أهمية ، ويكفي أنه أعاد التحقيق إلى نسخة كاملة بخط المؤلف .

ب - لم يطبع هذا التحقيق في الرياض ، وإنما طبع في بيروت ، مطبعة المتني ١٩٦٩ .

الخاتمة

الأستاذ الدكتور إحسان عباس من أدبائنا العلماء الذين تميزوا بنشاط خارق واستمرار مدهش ، إلى تتبع واستقصاء وتمكن من القديم والجديد ومتانة في القلم ويسر في التعبير ...

ووفيات الأعيان من مصادرنا الأمهات ، وهو أشبه بدائرة معارف للأعلام من كل فن : الشعر ، الكتابة ، الحديث ، الفقه ، التاريخ ، الإدارة والسياسة ... وقد طبع مراراً إلا أنه ظل محتاجاً إلى طبعة كاملة محققة جادة ... وهذه الحاجة ملحة ولكنها أقوى من أن ينهض بها محقق واحد لسعة الكتاب ، وتشعب موضوعاته وامتداد زمانه ... شأن أي كتاب موسوعي ... وكان اللازم أن تلتفت إليه جهة علمية أو سياسية ذات صلة مباشرة بالتراث والحضارة فتؤلف لجنة من عشرة علماء وأكثر ، يأخذ كل منهم على عاتقه نوعاً من العلماء وعصراً من نوع ... ويسير بتأن وتؤدة في المقابلة والتعليق ، بعد أن تُهيّأ النسخ المخطوطة للكتاب ، وتدرس هذه النسخ دراسة عميقة منذ البداية ، ويقرر لكل نسخة مدى أهميتها ومدى الانتفاع بها ...

قد يستغرق ذلك وقتاً طويلاً ... ليكن ، بل إنه لا يستغرق هذا

الوقت إذا أحسن توزيع العمل ... ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وإذا كانت الجامعة الأميركية ببيروت قد فكرت بشيء منه فإنها لم تفكر به كاملا ، ومنذ البداية ، ولم تهيىء سُبُل العمل على مايقتضي عظم المشروع ..

والذي حدث أن تولى هذه المهمة الضخمة محقق واحد ، هو من العلم بمكان ، ولكن هذا شيء وتحقيق كتاب «هائل» كـ«وفيات الأعيان» شيء آخر ...

لقد عمل هذا العالم المحقق كثيراً ، ولكنه ، مهما يبلغ في ذلك ، لايعدو قدرة الفرد ، ويظل العمل ينتظر قدرات الجماعة ...

وليكن هذا العمل خطوة أولى نحو الكمال ... وليسد الحاجة الآنية ، ولتؤلف جهة معنية : علمية أو سياسية ، لجنة خاصة تقوم على حسن الاختيار وتنوع التخصص ، يرأسها الدكتور إحسان عباس ، وتوضع بين يديها النُسخ التي تمكن من الحصول عليها ، والنسخ التي يجب أن يحصل عليها في مشارق الأرض ومغاربها ، ثم النسخ المطبوعة كلها ... ويوزع العمل ، ويقيد المحققون بشروط ، ويُغرون بعروض ...

أما في الوقت الحاضر فيبقى تحقيق الدكتور إحسان عباس خير تحقيق .. وعلى الباحثين والمحققين الذين يهمهم أمـــر الكتاب والتراث ، ويرجعون إلى « الوفيات » بين حين وحين أن يثبتوا ملاحظاتهم ، وأن ينشروها ويوصلوها ـ بأي وسيلة يشاؤون ـ إلى الدكتور إحسان عباس ليحتفظ بها لأول فرصة ...

إن الملاحظات على « الوفيات » وأي كتاب آخر ... واجب ، ويجب أن تؤدّى ـ وتفهم ـ من هذه الحدود فقط .

بغداد ـ كلية الآداب علي جواد الطاهر

المحمدون من الشعراء وأشعارهم

لجمال الدين علي بن يوسف القفطي

تحقيق رياض عبد الحميد مراد

من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – مطبعة الحجاز ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م

الأستاذ عبد المعين الملوحي

تشهد بلادنا حركة ثقافية عربية أصيلة ، يمثـل جانباً منها جيل من الشباب جديد يهتم بتراث قومه ، ويحقق هذا التراث .

وأول مايجب على الجيل الذي كان بدأ به النهوض بهذا العبء أن يحيي الجيل الجديد الذي يقبل عليه ، وأن يسلمه الراية التي رفعها منذ أواخر القرن التاسع عشر .

ويقف مجمع اللغة العربية في دمشق من هذا الجيل موقف الأمين ، والمشجع الصادق ، وقد نشر حتى الآن عدداً من كتب التراث التي حققها الشباب ، إنه أدرك في عمق أن من واجبه الذي اضطلع به منذ خمسين سنة وأكثر أن يشجع المواهب الشابة التي تبشر بعطاء سخي .

من هذه الكتب التي نشرها المجمع « المحمدون من الشعراء » لجمال الدين علي بن يوسف القفطي ، وقد قام بتحقيقه الأستاذ رياض عبدالحميد مراد .

قرأت الكتاب كله وأعجبني مابذله الأستاذ مراد من جهد في التحقيق ومن تتبع المصادر والمراجع ، وقد نجح في التحقيق نجاحاً مرموقاً يدفعني أن أوجه هذه الكلمة تحية له وللمحققين الشباب جميعاً ، راجياً أن يستمروا في سلوك هذه الطريق ، وأن يستمر مجمع اللغة العربية الموقر في دمشق في تشجيعهم ونشر نتاجهم ، وسيكون للغة العربية ولآدابها في هؤلاء الشباب مايضمن لها الاستمرار في بعث كنوزها الدفينة .

ولا بد في كل عمل من هفوات وأخطاء ، وفيما يلي بعض ما ظهر لي من خلال القراءة ، ولعل أكثره أن يكون مطبعياً :

١ — في ترجمة محمد بن أحمد الكاتب البصري المنبوز بالمفجَّع ورد في ص ١٥ : « وهو مكثر » ثم ورد في الترجمة نفسها ص ١٧ : « وشعره قليل جداً » هذا التناقض بين الحكمين هل هو في أصل الكتاب ؟ وإذا كان كذلك فمن المستحسن أن يشير المحقق إليه ، أو أنه خطأ في القراءة أو في النسخ .

٢ - في الصفحة ٢٦ السطر ٣ : شبهُ وهي شبهٌ ، وهذه خطيئة مطبعية ولا شك .

٣ - في الصفحة ٣٠ هذه الأبيات ، أرى أنها على الشكل الآتي :

وفي الظعائن مهضومُ الحشا غنجٌ   يخطو بأعطافِ نشوانِ الخطا ثملِ
ظبيٍ مشى الوردُ من لحظي بوجنته   مشيَ اللواحظ من عينيه في أجلي
ومترفِ الترب مجاجِ الندى عطرٍ   مفوفِ النَّور موشومِ الثرى خضلِ
قـد شام جدولُه فيه مهنَّدَهُ   فاهتز مثلَ اهتزاز الخائفِ الوجلِ

فظبي ومترف ومجاج وعطـــر ومفوف وموشوم وخضل صفات لنشوان الخطا ثمل : المجرورين ، لاصفات لـ « مهضومُ الحشا غنجٌ » المرفوعين ، وإلا فكان من الواجب أن نقول : خضلٌ : بالضم لا بالكسر .

وفي البيت الرابع الجدول هو الفاعل ، ومهنده هو المفعول به ، وبذلك تكتمل صورة خوف الجدول من السيف .

وقد ورد الشطر في الكتاب على هذا النحو :

« قد شام جَدْوَلَه فيه مهندة »

٤ - ص ٨٠ البيت الثالث : وردت « ماءً » منصوبة وهي مرفوعة خبر جدوى السحاب .

٥ - ص ٨٣ البيت السادس : أنفاسُ الرياح : فاعل تهدي ، ومفعوله « العنبرَ الأرجا » .

٦ - ص ٨٧ البيت الخامس : ورد صدره :

ولتوْطيّيءُ رَأتْ سَماحَ يَمينِهِ

والصحيــح راءت .

٧ - ص ٩٩ البيت الثالث :

ولما قضى مَجْدُ القُضاةِ تَبَيَّنَتْ جهالةُ غاوٍ أنَّ قـد أزف الحشرُ

ولعله : أنه أزف الحشر .

٨ - ص ١٢٥ السطر التاسع : ورد البيت :

ناحل الجسم ، نابه الاسم ، مَبْقِيُ الوسم

ولعله : باقي الوسمِ ، أو يُبْقي الوسم .

٩ - في ص ١٣٢ البيت السادس :

وعَيْنُهُ تَسْرحُ في عَيْنِيهِمْ كالذئبِ يبْغي فَرْسَ نعجاتِ

والصحيح في عينِهِم .

١٠ - ص ١٣٨ البيت الرابع :

ما ترى ما يَكْشِفُ الخبرةَ مِنْ غيبِ الظنونِ

وأظنـــه :

ما ترى ما تَكْشِفُ الخبرةُ من غيبِ الظنـون

١١ - ص ١٩٥ البيت الثالث :

فما ضرَّ نصلُ السيف إخـــلاقُ جفنه

إذا كان يمضي حيثَ أنفـــذته برى

والصحيح : نصلَ ، وحيثُ . وأغلب الظن أنها غلطان مطبعيان .

١٢ - ص ٢١٣ البيت السابع :

فإن أنت لم تأسَ عليه فإن لي تَأَسُّفَ ....

وهي جائزة معنى ووزناً ولكني أعتقد أنها : لم تأسف .. لوجود تأسُّفَ

١٣ - ص ٢٢٣ البيت الأخير ، وص ٢٢٤ البيت الأول :

البيتان لأبي القمقام الأسدي في رواية معجم البلدان « وشل » من عدة أبيات وقد ضمنها أبو الوزير المؤدب قصيدته ، والوشل – وحولها الشاعر إلى الرسل – ماء أو جبل بناحية تهامة ، والبيت الأول أصله هكذا :

اقرأ على الوشل السلام وقل له كل المشارب مذ هُجِرْتَ ذميم

وقافية البيت الثاني (حميم) لا جميم ، وهو الماء الساخن .

١٤ - ص ٢٤٧ البيت الثاني من خشب الجسرِ : لا الجسرُ

١٥ - ص ٢٥١ البيت الأول متى ترفعُ الأيام : لا تَرفعِ .

١٦ - ص ٢٩٦ السّطر العاشر ، سيفَ علي : لا سيفُ علي .

١٧ - ص ٣٠٥ البيت الأخير : شيخ من الرّيح خطأ ، وصوابه من الزّنجِ أو الزّنجِ .

١٨ - ص ٣١١ البيت الرابع : وزفرةِ بدل وزفرةُ .

١٩ - ص ٣٢٣ السطر العاشر : لنا ... لنا ... ولنا الثانية حتماً لها .

٢٠ – ص ٣٦٧ البيت الأول تضمين ، وانظر لسان العرب مادة خيل

٢١ – ص ٣٨٣ البيت قبل الأخير :

ورد في الأصل : مالي وأهلُ زمان ، ثم صحح : مالي وأهلَ زمان وخير من ذلك كله : مالي وأهلِ زمان .

٢٢ – ص ٣٩٠ البيت الأخير : وأكثر أهلَ الأرض لا أهلِ .

٢٣ – ص ٣٩٤ البيت الخامس : لا يغررك ذو جدةٍ . وليست ذا جدة . والبيت الأخير : والبدرُ والأصح البدرَ ليكتمل تشبيه شيئين بشيئين النرجس والبدر والأترجة والتماثيل

٢٤ – ص ٤٠٠ السطر الثالث عشر وأثنيكَ لا أنبئك

٢٥ – ص ٤٠٥ البيت ٨ : فأنا حلفت والصحيح خُلِقتُ

٢٦ – ص ٤٢٥ البيت الثاني : جاء هكذا :

وقد كنفت منهن أكنافُ منعج عباديدُ ساداتِ الرجال عبيدُها

وأظنه : أكنافُ منعج ... عباديدَ ، أو أكناف منعج عباديدُ

أما سادات فلا يجوز إلا أن تكون مرفوعة : ساداتُ أي سكنت منهن في أكناف منعج عباديد ، لها سادات الرجال عبيد

٢٧ – ص : ٤٧٩ البيت الخامس :

وبيضاءَ كالشمس رودُ الشباب ربيبة بيت عـــزيز الطنب

ورود بالكسر لا بالضم وكذلك ربيبة صفة لبيضاء على الحركة وخبر بيضاء في البيت الرابع تمتعت منها ...

هذه الملاحظات هي أكثر ما وجدت في تحقيق الكتاب دعوة إلى التصحيح ، ويبقى التحقيق ، مع ذلك ، مدعاة للفخر بالمحقق ، وللاعتزاز به وبإخوانه من المحققين الجدد . وشكراً لكل هذا الجيل الجديد الذي عرف حق تراثه العربي وبادر لتحقيقه ونشره يدفعه حرصه عليه وانتسابه إليه ، وشكراً لمجمع اللغة العربية الذي مازال يوالي تشجيع المحققين الشباب ورعايتهم .

دمشق **عبد المعين الملوحي**

العلوم الطبيعية والخفية في الاسلام

Manfred Ullmann, die Natur - und Geheimwissenschaften im Islam. Leiden, Brill 1972. XIV, 500 P. (Handbuch der Orientaelistile, I. Abt. , Ergänzungsband VI, zweiter Abschnitt).

الدكتور عماد غانم

صدر عن دار نشر بريل كتاب « العلوم الطبيعية والخفية في الإسلام » تأليف المستشرق الألماني مانفرد أولمان . وقد نشر هذا الكتاب في نطاق السلسلة المعروفة بمرجع الاستشراق Handbuch der Orientalistik التي يصدرها بريل بهدف تغطية كافة الموضوعات الهامة في مجال الاستشراق ، وحتى صدور هذا الكتاب في منتصف عام (١٩٧٢) تم نشر المراجع التالية ضمن القسم الخاص بالشرق الأوسط والأدنى الذي يشرف على تحريره البروفسور برتولت شبولر المختص بالتاريخ والحضارة العربية الإسلامية :

- علم المصريّات

١ - أدب مصر القديمة ١٩٧٠

٢ - تاريخ مصر القديمة ١٩٦٨

- أبحاث الكتابات المسمارية وتاريخ غرب آسيا القديم

١ - الأبحاث ، اللغة والأدب ١٩٦٩

٢ - تاريخ غرب آسيا القديم ١٩٥٧

٣ ـ تاريخ الشرق من قورش حتى محمد ﷺ ١٩٧١

ـ الدراسات السامية

ـ الدراسات الإيرانية

١ ـ اللغة الإيرانية ١٩٦٧

٢ ـ الأدب الإيراني ١٩٦٨

٣ ـ الطخارية ١٩٧١

ـ الدراسات الآسيوية القديمة

١ ـ الدراسات التركية ١٩٦٣

٢ ـ الدراسات المنغولية ١٩٦٤

٣ ـ الدراسات الطونغولية ١٩٦٨

٤ ـ تاريخ آسيا الوسطى ١٩٦٦

ـ تاريخ الأقطار الإسلامية وقد ترجم إلى الانجليزية وصدر في أربعة أجزاء

ـ الأرمنية واللغات القوقازية ١٩٦٣

ـ الدين

١ ـ التاريخ الديني للشرق القديم ١٩٦٤

٢ ـ التاريخ الديني للشرق في عهد الأديان السماوية ١٩٦١

ـ المقاييس والأوزان الإسلامية ١٩٧٠

ـ التقويم العربي وعلم البرديات العربية ١٩٦٦

ـ القانون في الشرق ١٩٦٤

ـ الموسيقى الشرقية ١٩٧٠

ـ الوثائق المسمارية

١ ـ المدخل إلى كتابات الملوك الآشوريين ١٩٦٤
ـ الطب في الإسلام ١٩٧٠
ـ خارطة تاريخية للعالم الإسلامي ١٩٧٢
ـ العلوم الطبيعية والخفية في الإسلام ١٩٧٢

وقد قام البروفسور مانفرد أولمان بتأليف كتابي الطب في الإسلام والعلوم الطبيعية والخفية في الإسلام ، ويقصد من ورائها حصر التراث العربي في مجالي الطب والعلوم وتنسيقه وتبويبه بحيث تسهل معرفة مساهمة الفكر العربي في كل منهما ، والمؤلفات الباقية سواء كانت مخطوطة أم مطبوعة . وفي حالة وجودها مخطوطة يعطي المعلومات الكافية عن أماكن وجودها وأرقامها لكي يسهل طلبها ، وفي حالة كونها محققة مطبوعة ينقد الطبعات ؛ كما يتعرض إلى ماترجم من المؤلفـات العربية ، ويذكر أثر تراثنا في تطوير العلوم ، كما يدرس التأثيرات التي تعرض لها الفكر العربي ، ويركز على تأثير الكتّاب الاغريق ، فيقابل نصوصاً اغريقية وأخرى عربية (ص ١٦٤ و ص ٢٣٧ — ٢٤٣) موثقاً بذلك هذه الصلة المعروفة . وفي كلا الكتابين يقسم كل علم إلى فروعه ويعدّد المؤلفين ، ويعطي نبذة عنهم ويذكر مؤلفاتهم .

وإذا ما عدنا إلى كتابنا الذي نعـرض فإننا نراه يحدد العلوم الطبيعية في مدخل كتابه بأنها : الحيوان والنبات والمعادن (الأحجـار) ، وأما العلوم الخفية فيقسمهـا إلى : الكيمياء والنجوم والسحر والزراعة . ويرى أن هناك تداخلاً بين هذين القسمين ، فالقرابة حميمة بين علم الأحجـار والكيميـــاء ، وأن التعايش كان واقعاً بين الفكر العلمي الدقيق ، والسحر والشعوذة .

وإنه لمن المناسب أن نستعرض بايجاز ما يقوله عن العلوم الخفية ، أو

ما تسمى أحياناً العلوم الغامضة . فهي علوم لا تعطى إلا لمن يحـافظ على سريتها ولا يبوح بها ، ولذلك يحذر من أن تعطى للعامة (الدّهماء) أو لمن ليس يستحقها ، أو للمنهمكين في شهواتهم ، إذ أن من يحوز عليهـا يعرف التفريق بين العالم العلوي والسفلي ، ويستطيع أن يتدخل في الحوادث الطبيعية ، كما يستطيع أن يضع قوى خفية في خدمته ، ويوجد الوسائل التي توصل إلى الهدف ، فهو يستطيـع أن يغير سير الأحداث . فهو يتحمل بهذا مسؤوليـة كبيرة ويكمن في سوء استخدامه لحكمته الخطر وفساد الدنيا وخراب العالم . وبالإضافة إلى هذه الأسباب كانت هنـاك دوافـع خارجية للمحافظة على سرية هذه العلوم ، ومن أهمها تفادي ملاحقة الفقهاء لمن يتعاطونها . ويرى ابن خلدون أن هذا هو السبب الأساسي للمحافظة على سريتها . وفي هذا الصدد لا يمكن غض النظر عن احتـكار مثل هذه المعارف والمهارات والتجارب من قبل عائلات محدودة يصبـح فيها الأبناء تلاميذ آبائهم .

أما وسائل المحافظة على السرية فقد تعددت ؛ فقد نصح البعض باستعمال الكتابات المبهمة ، ولكن قلما استعمل مثل هذا الأسلوب ، ويذكر ابن النديم بعضاً منها ، وذهب ابن وحشيـة أكثر من ذلك إذ وضـع كتاباً بعنوان « شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام » يهدف من ورائه حلّ رموز هذه الكتابات ، ويعدد / ٨٠ / أبجدية مبهمة . وقد أوقف الجلدكي فصلاً من كتـابه « درة الغواص » بعنوان في حل المبهم من أجل هذه الكتابات . وهـــو يضع قائمة تتضمن / ٨١ / أبجدية مبهمة يذكر منها : السريانية ، الاغريقية ، العبرية ، الفرنجية ، الكوفية القديـة ، الحميرية ، البابلية القديمة ، الزرادشتية .. إلا أنها في الواقع لا تقترب من الكتابات المذكورة . وقد استعمل أيضاً نوع من الحبر لا يمكن قراءة ما يكتب به

إلا بعد معاملة الورق كيميائياً . وكانت تستعمل في الكتابات الكيميائية صور مبهمة من أجل الدلالة على المعادن والكبريت والاكسيرات ؛ كما كانوا يحاولون عدم المعالجة الكاملة لأي موضوع في مـكان واحد ، ويحولون القارىء إلى كتابات أخرى ، وهذا ما أطلقوا عليه تبديد العلم .

وبعد هذه المقدمة يتوجه المؤلف إلى معـالجة الموضوعات المذكورة سابقاً ، وإن عرض تقسيمات الفصول يبين لنا الطريقة التي عالج بها كل موضوع ، وحجم الكتابات المتوفرة .

١ ـ الفصل الأول : الحيوان (ص ٥ ـ ٦١)

أ ـ مدخل يتضمن تعريفاً بهذا العلم

ب ـ المؤلفات المتوفرة عن الحيوان

- مؤلفات لغوية — ترجمات عن الاغريقية
- مؤلفون عرب وفرس — كتب الصيد

حـ ـ العموميات

- تقسيم الحيوان — الآراء حول توالده
- مفهوم النوع — التسميات
- عجائب الحيوان

٢ ـ الفصل الثاني : النبات (ص ٦٢ ـ ٩٤)

أ ـ مدخل يتضمن تعريفاً بهذا العلم

ب ـ المؤلفات المتوفرة عن النبات

- مؤلفات لغوية — ترجمات عن الاغريقية
- مؤلفون عرب وفرس

حـ ـ العموميات

ـ تقسيم النبات ـ مفهوم النوع

ـ تسميات النبات ـ فسيولوجيا النبات

ـ جغرافية النبات

٣ ـ الفصل الثالث : الأحجار (ص ٩٥ — ١٤٤)

أ ـ مدخل يتضمن تعريفاً بهذا العلم

ب ـ المؤلفات المتوفرة عن الأحجار

ـ ترجمات عن الإغريقية ـ ترجمات عن البهلوية

ـ كتابات اغريقية مجهولة المؤلف

ـ مؤلفون عرب وفرس

حـ ـ العموميات

ـ استخدام الأحجار في الطب

ـ تقسيم الأحجار ـ التسميات

٤ — الفصل الرابع : الكيمياء (١٤٥ - ٢٧٠)

أ ـ مدخل يتضمن تعريفاً بهذا العلم

ب ـ الكتابات المتوفرة عن الكيمياء

ـ كتابات وترجمات مجهولة المؤلف

ـ مؤلفون إغريق ـ مؤلفون مصريون

ـ » إيرانيون ـ » هنود

ـ » يهود ـ » مسيحيون

ـ » عرب وفرس

حـ ـ العموميات

ـ مناقشة حقيقة الكيمياء ـ تاريخ الكيمياء

ـ الاكسير ـ التدبيرات (التجارب)

ـ الأجهزة ـ التسميات المبهمة

٥ ـ الفصل الخامس : علم الهيئة أو النجوم (ص ٢٧١ – ٣٥٨)

ا ـ مدخل يتضمن تعريفاً بهذا العلم

ب ـ مناقشة حقيقة هذا العلم

حـ ـ المؤلفات المتوفرة عن علم الهيئة

ـ كتابات وترجمات مجهولة المؤلف

ـ مؤلفون إغريق ـ مؤلفون إيرانيون

ـ « هنود ـ « سريان

ـ « عرب وفرس

٦ ـ الفصل السادس : السحر (ص ٣٥٩ - ٤٢٦)

ا ـ مدخل يتضمن تعريفاً بهذا العلم

ب ـ الكتابات العامة المتوفرة عن السحر

ـ كتابات وترجمات مجهولة المؤلف ـ مؤلفون اغريق

ـ مؤلفون هنود ـ « عرب وفرس

جـ ـ خواص كائنات الطبيعة

ـ ترجمات وكتابات مجهولة المؤلف ـ مؤلفون اغريق

ـ مؤلفون عرب وفرس

د ـ خواص الأحجار ونقوشها

ـ ترجمات وكتابات مجهولة المؤلف

- مؤلفون اغريق - مؤلف هندي

- مؤلفون عرب

٧ - الفصل السابع : الزراعة (ص ٤٣٧ - ٤٥١)

أ - مدخل يتضمن تعريفاً بهذا العلم

ب - المؤلفات المتوفرة عن هذا العلم

- ترجمات عن الاغريقية - مؤلفون عرب واغريق

وقد ألحق أولمان بكتابه كشافات بالأعلام وأسماء الكتب العربية والفارسية والاغريقية واللاتينية التي يرد ذكرها في كتابه ، كما أضاف إليها كشافاً بالمصطلحات العلمية العربية . وتؤكد هذه الفهارس المتعددة المتنوعة دقة المؤلف وإصراره على تسهيل الوصول إلى المعلومات الواردة في كتابه . واستغرقت هذه الكشافات من الصفحة ٤٦٤ - ٥٠٠

إن ما يلفت النظر بالإضافة إلى مناقشة المؤلفات المتوفرة من التراث العلمي العربي ، وتحديد وجود مخطوطاتها أو تحقيقها وإعطاء ببليوغرافية كاملة بالأبحاث حولها ، هو اعتناؤه بالناحية اللغوية وبالمصطلحات التى استعملها العرب . وهذا الاهتمام ليس جديداً على المؤلف ، فقد سبق وقضى سنوات طويلة من عمره العلمي في إعداد المعجم الموسوعي عن اللغة العربية في عصرها الذهبي[1] وقد استخدم أمهات المؤلفات العربية في شتى علومها ونشر منه حرف الكاف . كما أن البروفسور أولمان مطلع على الأدب العربي ونشر كتاباً عن الرجز .

إن كتاب الأستاذ أولمان أكثر من بروكلمان وسيزكين في حيزه ، إذ أن معلوماته أوسع وأدق . فهو أول محاولة لعرض التراث العلمي العربي ،

محاولة تتجاوز كونها تاريخاً لهذا التراث لتصبح في معظم مراحل الكتاب بحثاً لكلٍ من هذه العلوم . إن الأبحاث القادمة في هذا المضار ستجد من كتاب أولمان قاعدة أساسية لها .

إن هذا الكتاب جدير بأن يصدر باللغة العربية لأنه سيكون ولا شك مرجعاً أساسياً لمن يعمل في تراثنا العلمي ، وحبذا لو أن مؤسساتنا العلمية تسعى في أقرب وقت لوضعه وكتاب الطب في الإسلام ضمن مراجعنا العربيـة .

جامعـــة حلب عمـاد غانم

(١) عنوانه الأصلي :

Wörterbuch der klassischen arabischen Sprache .

حول ديوان ديك الجن

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

بعد انقضاء ما يقارب أربع سنوات على صنعة الأستاذ عبد المعين الملّوحي والأستاذ محيي الدين الدرويش لديوان ديك الجن ، عثر الدكتور أحمد مطلوب والأستاذ عبد الله الجبوري على مخطوط لشعره يضم عدداً من القصائد والمقطعات التي لم يتيسّر لمحققَيْ الطبعة الأولى الاطلاع عليها ، فعمدا إلى جمع تلك الأشعار مرة أخرى .

ولا بد لنا أن نشير إلى أن المخطوط الذي اعتمده المحققان لا أهمية له من الناحية العلمية ، لأنه محاولة لجمع شعر ديك الجن ، قام بها أحد المتأخرين ، وهو محمد السماوي ، معتمداً على كتاب الأغاني وكتب الشيعة ، ولذلك لم تنفرد نسخته إلا بزيادة بعض الأبيات وبضع قصائد في آل البيت.

وقد قسم المحققان الديوان إلى ثلاثة أقسام . القسم الأول : يتضمن ما قاله الشاعر في آل البيت ، ويضم القسم الثاني بعض الأشعار في فنون مختلفة ، ومن ثم تكملة الديوان .

وألحق به أحد المحققَيْن بعض الأبيات تحت عنوان «استدراكات وإضافات».

وهكذا يظهر الديوان في أربعة أقسام ، ويكون آية في الاضطراب

لتناثر أبيات القصيدة الواحدة في تلك الأقسام المتعددة ، إذ لم يُعْنَ المحققان بضم الأبيات المتفرقة بعضها إلى بعض ، ولعلهما كانا يتعمدان زيادة عدد المقطعات التي بلغت خمسين ومائة مقطعة ، منها ٤٥ مقطعة كل منها بيت واحد ، و ٣٤ مقطعة كل منها بيتان .

فالمقطعة ٨٣ هي تتمة لأبيات المقطعة ٢٣ ، وقد ذكر المحققان ذلك في الحاشية : « ذكره العسكري في المصون : ١٥٩ مع بيتين آخرين تقدم ذكرهما » .

ولكنهما أوردا هاتين المقطعتين في قسمين مختلفين من أقسام الديوان الأربعة ، هما القسمان الثاني والثالث .

وكذلك ذكر المحققان عدة أبيات ضمن المقطعة ٥١ كانت وردت في المقطعة ٢٠ ، ورويا هاتين المقطعتين في قسمين مختلفين أيضاً ، مع أنهما أبيات متفرقة من قصيدة واحدة ، رُويت كاملة في عيون التواريخ ، وقطب السرور في أوصاف الخمور .

وقد غفل المحققان عن إثبات بعض أشعار ديك الجن التي وردت فيما اعتمداه من المصادر ، كما أهملا بعض الكتب التي أوردت الكثير من شعره مثل : عيون التواريخ ، والحماسة البصرية ... ، لذلك عمدت إلى جمع ماتناثر من هذه الأشعار في أمهات الكتب المخطوطة والمطبوعة ممـا لم يتيسر للمحقِّقَيْن الاطلاع عليها وهي :

* خيـارُ لونٍ قد أتى أبيضْ ترى منهُ العَجَبْ

يحكي سبائكَ فضّةٍ فيها شذورٌ من ذَهَبْ

« روضة الأديب ونزهة الأريب [1] : ٧٣ »

* أحمر كالخضابِ في صَفحِ هاديهِ من الهادياتِ مثلُ الخضابِ
وكأني أرمي الهضابَ على حينِ وناهُ بقطعةٍ من هضابِ
وكأني رفعت بالبرق شَملاتيَ لمّا ثنيتها بعقاب

« المرقوم في حل المنظوم لابن الأثير [2] »

* فقالت : نعم إن لم يكنْ لك غيرنا ببغدادَ من أهلِ القصورِ حبيبُ

« البيت في الظرف والظرفاء ٢/١٤٥ غير منسوب ، ورُويتْ معه الأبيات ١ - ٣ من المقطعة ١٤/١٥٥ » .

* شربنا في غروبِ الشمسِ شَمْساً لها وصفٌ يجِلُّ عن الصفاتِ
عجبت لعاصريها كيف ماتوا وقد صنعوا لنا ماءَ الحياة

« مجموعة أشعار [3] »

* فوقَ العيونِ حواجبٌ زُجٌّ تحتَ الحواجبِ أعينٌ دُعجُ
ينظرنَ من خلَلِ النقابِ ومن تحت النقابِ ضواحكٌ فُلجُ
وإذا نظرن رَمقنَ عن مُقَلٍ تَسبي العيونَ فحشوها غُنجُ
وإذا ضحكن ضحكن عن بَرَدٍ عَذبِ الرُضابِ كأنّهُ ثلجُ
وإذا نزعن ثيابهنَّ تُرى فوقَ المتونِ ذوائبٌ سُبجُ

---

(١) مخطوط في المكتبة الأحمدية رقم ١١٨٥
(٢) مخطوط في المكتبة العثمانية رقم ١١٠٩
(٣) مخطوط في المكتبة الأحمدية رقم ١٢٠٨

وافين مكةَ للحجيج فلم   يسلم بهنَّ لمحرمٍ حجُّ

« مجموعة أشعار [1] : ٣٨ »

* وليلةٍ باتَ طلُّ الغيثِ ينسجُها   حتى إذا كملت أضحى يدَ بيّجها
يبكي عليها بكاءَ الصبِّ فارقَه   إلفٌ ويضحكها طوراً ويبهجُها
إذا يضاحكُ فيها الوردُ نرجسَها   باهى زكيٌّ خزاماها بنفسجُها
فقلت فيها لساقينا وفي يدهِ   كأسٌ كشعلةِ نارٍ باتَ يوهجُها
لا تمزُجنْها بغير الماء منك فإن   تبخلْ يداك فدمعي سوف يمزُجها
أقلُّ ما بيَ من حبّيكَ أن يدي   إذا سمت نحو قلبي كاد ينضجُها

« قطب السرور ٥٤٨ ، وعيون التواريخ [2] ٨/١٠٤ »

* شادنٌ راحَ نحو سرحةِ ماءٍ   مسرعاً وجنتاهُ كالتفاحِ

« البيت في الظرف والظرفاء ٢/١٥١ غير منسوب ، ولكنه رُوي مع البيت الثاني من المقطعة ٢١/١٦١ » .

* خليليَّ هُبّا عللاني مُدامةً   معتّقةً مما تخيّر نوحُ
فما العيشُ إلا أن أفوزَ بسكرةٍ   وماالغبنُ إلا أن يُقالَ صحيحُ
سأجمحُ في حُبِّ البطالة والصِّبا   وإن لام فيه عاذلٌ ونصيحُ

« قطب السرور : ٥٦٠ »

* من شاءَ تشبيهَ الشقائقِ فليقلْ   كنساءِ قتلى قد خرجنَ صوائحا
لبسنَ أثوابَ الدماءِ شناعةً   ونشرن شَعراً ثم قمن نوائحا

« روضة الأديب ونزهة الأريب : ٢١٤ »

---

(١) مخطوط في مكتبة الأوقاف رقم ١٨٢٠
(٢) مخطوط في المكتبة الأحمدية رقم ١٢٣٨

* وليسَ المرءُ ذو العزمات إلاّ فتىً تلقاهُ كُلَّ غـدٍ بلادُ

« الحماسة البصرية ١/١١٥ ، والحماسة الشجرية ٢/٨٩٩ ، وانظر ق/٣٠ : ١٦٥ » .

* ليس اصفراري لحُمّى خامرت بدني لكنَّ نارَ الهوى تلتاحُ في كبدي
فقال : هذا سقامٌ لا دواء لهُ إلاّ برؤية من[1] تهواه يا سندي

« البيتان في المخلاة : ٢١٣ غير منسوبين ، ورُوي معها البيت الرابع من المقطعة ٣٣/١٣٦ » .

* ودّعتُها ولهيبُ الشوق في كبدي والبينُ يُبعدُ بين الرُّوح والجسدِ
وداعَ صَبَّين لم يُمكنْ وداعهما إلا بلحظة عينٍ أو بنانِ يدِ

« البيتان في نهاية الأرب ٢ / ٢٦٣ غير منسوبين ، ولكنهما رويا مع البيتين ٢ ، ٣ من المقطعة ٣٣/١٣٦ » .

* بنت المدائحِ والقسوسِ كريمة لا تستحي يومَ الحسابِ بوزرِها

« عيون التواريخ ٨/١٠٤ ، وانظر ق/ ١٧ : ١٠٧ »

* غرّاءُ جاءت وأطرافُ الثّرى يبسُ لكنّها انصرفت والنّورُ مُنغمسُ
تسري وللريح في حافاتها زَجَلٌ يُريك ذهنُكَ أن الرزقَ ينبجسُ
في مأتمٍ للحيا مـا انهلَّ عارضُهُ إلاّ وفيهِ لأبكار الثّرى عُرُسُ

« الحماسة البصرية ٢/٣٤٩ - ٣٥٠ »

* ليس يخشى جيشَ الحوادث من جُنـ . . ـداه وفدا صبابةٍ ودموعِ
قمرٌ حين رامَ أن يتجلّى سار فيه المحاقُ قبلَ الطلوعِ
فلذةٌ من صميم قلبي وجزءٌ من فؤادي وقطعةٌ من ضُلوعي

---

(١) في الأصل : ما .

لصغيرٍ أعارَ رزءَ كبيرٍ وفريدٍ أذاقَ فقدَ جميعِ
إنْ تكن في التراب خير ضجيعٍ كنتَ لي في المعادِ خيرَ شفيعِ

« الحماسة البصرية ١/٢٧٢ »

* كأنّما التفُّ في هُدّابِ راهبةٍ يستوحشُ الأنسَ إلا بيتَه أنفا
فكان في ضوئها إذ قام مُصطبحاً وضوءِ وجنته ما عمَّنا وكفى
صفراءُ أو قلَّ ما اصفرَّت فأنت ترى ذوباً من الذرِّ رصّوا فوقه صدفا

« قطب السرور ٦٤٧ – ٦٤٨ ، وعيون التواريخ ٨/١٠٤ ، وورد البيت الثالث في الديوان ناقصاً ، وانظر المقطعة ١٧٧/٥١ » .

* وكم قرَّبتْ من دارِ عبلةَ عبلةٌ كجندلةِ السّورِ المقابلِ تشرفهْ
فيرعى الفلا ما قد رعته من الفلا ويُنحفُها المرتُ القفارُ وتُنحفُهْ

« الحماسة البصرية ٢/ ٣٦٠ ، والأشباه والنظائر ٢ / ٢٨١ ، وانظر ق/٩٧ : ٢١٢ » .

* لكَ عندي من طيّبِ الوردِ أطبا قُ ميلاحٌ تُدني بعيدَ سرورِكْ
وشرابٌ كطيبِ نشركَ يُلقي فوقَ أيدي السقاةِ نوراً كنورِكْ
فبحقّي أهدِ السّرورَ إلى من لا يلذُّ الدّنيا بغيرِ حضورِكْ

« قطب السرور ٣٥١ »

* وقنانٍ زواهرٍ هُنَّ بالشّمـ ـسِ من الشمس بالقلائدِ أحكى
يتبسَّمنَ قائماتٍ صفوفاً فإذا ما ركعنَ قهقهنَ ضحكا
قلتُ خذها وعاطنيها سُلافاً ذهباً في الزُّجاجِ يُسبكُ سَبْكا

« قطب السرور : ٦٥٨ »

* ألا اسقنيها صاحبي وخليلي شَمولاً وهل أحيا بغيرِ شَمولِ

لها لونُ عقيانٍ وطعمُ قرنفُلٍ ونفحةُ مسكٍ واتّقادُ فتيلِ
جعلتُ دواءَ الهمِّ كأساً وربّما أرتني جميلاً كان غيرَ جميلِ
كُميتٌ خطبناها إلى ربِّ دنّها وقد آذنت زُهرُ الدُّجى بأفولِ
جلاها لنا في كأسِهِ فكأنّما جلا مَتنَ صافي الشّفرتين صقيلِ
خلت تأكل الأيّام حالاً بحالةٍ وتتبعُ جيلاً في الزّمان بجيلِ
إذا أشرفت منّا الهمومُ طوالعاً تنادين من صدرِ الفتى برحيلِ

« عيون التواريخ ٨/١٠٤ »

* لحُسنِ عينيهِ وحُسنِ دَلّهْ

« مجموع في الظاهرية رقم ٣٣٢٣ ، ص : ٨٩ ، وانظر المقطعة ٦١/١٨٥ وقد وردت فيه بتمامها .

* قُولي لطيفك ينثني عن مضجعي عندَ المنامْ
« عند الرّقادْ ، عند الهُجوعْ ، عند الهُجودْ ، عندَ الوسَنْ »
فعسى أنامُ فتنطفي نارٌ تأجّجُ في العظامْ
« في الفؤادْ ، في الضّلوعْ ، في الكُبودْ ، في البَدَنْ »
جَسَدٌ تُقلّبُهُ الأكفُّ على فراشٍ من سقامْ
« من قتادْ ، من دُموعْ ، من وقودْ ، من حَزَنْ »
أمّا أنا فكما علمت فهل لوصلكِ من دَوامْ
« من معادْ ، من رُجوعْ ، من وجودْ ، من ثَمَنْ »

« خزانة الأدب للحموي ٧٨ ، ونفحة اليمن ٣٣ ، ٣٤ » .

* تَمتّعْ بها ما ساعَفَتكَ ولا يَكُنْ عليكَ جَوىً في الصّدرِ حينَ تَبينُ

وإن هي أعطتكَ الليانَ فإنها لغيرِكَ من خلانِها ستلينُ
وإن حلفتْ لا ينقضُ النأيُ عهدَها فليسَ لمخضوبِ البنانِ يمينُ

كتاب روح الروح[1] ٢٠٦ ، والبيتان ١ ، ٢ في كتاب الزهرة ٨٧ غير منسوبين ، كما تنسب هذه الأبيات إلى قيس بن ذريح ـ ديوانه : ١٥٠ ـ وإلى كثيّر عزّة ـ ديوانه : ٢٦٥ ـ وانظر عيون الأخبار ١١١/٤ ، والعقد الفريد ١١٩/٧ ، وأخبار النساء ١٢٠ ، والمستطرف في كل فن مستظرف ٢٥٢/٢ ، ويزاد فيها :

وخُنها وإن كانت تفي لكَ إنّها على قِدَمِ الأيّام سوف تخونُ
وإن سكبت يومَ الفراقِ دموعَها فليسَ لعمرُ اللهِ ذاكَ يقينُ

* لا متُّ قبلكِ بل أحيا وأنتِ معاً ولا بقيتُ إلى يومٍ تموتينا
لكن نعيشُ كما نهوى ونأملُهُ ويُرغمُ اللهُ فينا أنفَ واشينا
حتى إذا ما انقضت أيّامُ مُدّتِنا وحان من يومنا ما كان يَعدُونا
متنا كلانا كغُصنَيْ بانةٍ ذَبُلا من بعدِ ما استورقا واستنضرا حينا

الحماسة البصرية ٢٦٥/١ ، وفي الأغاني ١٨ / ١٦٥ وكتاب روح الروح : ١٩٣ أنها لسعيد بن حُميد ، ويزاد فيها من كتاب روح الروح :

في مثلِ طرفةِ عينٍ لا أذوق شجىً حتى المماتِ ولا أيضاً تذوقينا
ثم السّلامُ علينا في مضاجعنا حتى نعودَ إلى ميزانِ مُنشينا
فإن نَنَلْ عفوَهُ فالخلدُ يجمعُنا إن شاءَ أو في لظىً إن شاء يلقينا
حتّى يقولَ جميعُ الخالدينَ بها يا ليتَ أنّا معاً كنّا مُحِبّينا

والبيت الثاني من هذه الأبيات في الأغاني .

(١) مخطوط في المكتبة الأحمدية رقم ١١٩٠

* وعاذلةٍ غدت كالسيفِ تكوي ضلوعي باللّحا واللومِ كيَّا

« المصباح في علم المعاني : ٥٦ »

★ ★ ★

● وهمت بعض المراجع التي اعتمدها المحققان في نسبة العديد من المقطعات إلى ديك الجن ، ولم يميزا هذا الشعر المختلط ، بل تابعا القدماء في أوهامهم ، كما أنهما ذكرا في الديوان ثلاث مقطعات لم تنسب إلى ديك الجن ، وإنما وردت معطوفة على بعض أشعاره . أما المقطوعة ١٨٤/٦٢ فلم تنسب إلى ديك الجن في جميع المصادر التي ذكراها ، وإنما هي لكشاجم في مراجع كثيرة ، وهذا بيان ذلك :

١ — ق/٣٢ : ١٣٥

وقهوةٍ كوكبُها يزهَرُ ينفَحُ منها المسكُ والعنبرُ
ورديّةٌ يحملها مثلُها كأنّما من خدّه تُعصرُ
مُهفهفٌ لم يبتسمْ ضاحكاً مذ كان إلا كَسَدَ الجوهرُ

الأبيات لأبي تمام ، وهي في ديوانه ١٩٧/٤ ، والتشبيهات ١٨٢ وانظر قطب السرور ٥٩١ ، والظرف والظرفاء ١٥٣/٢ ، ويزاد فيها :

ما زالَ قلبي مُذ تعلّقتُه أعمى من الهجرانِ ما يُبصرُ
بحُبّه يقبُرني قابري عندَ مماتي وبهِ أُنشرُ

٢ — ق/٣٨ : ١٤٢

جاءَت تزورُ فراشي بعدما قُبِرت فظَلْتُ أَلثمُ نحراً زانَه الجيدُ
وقلتُ : قُرَّةَ عيني قد بُعثتِ لنا فكيف ذا وطريقُ القبرِ مَسدودُ!
قالت : هُناكَ عظامي فيه مودعةٌ تعيثُ فيها بناتُ الأرضِ والدُّودُ

وهذه الروحُ قد جاءتك زائرةً هذي زيارةُ من في القبرِ ملحودُ

الأبيات في العقد الفريد ٣/٢٠٨ ، وفيه :

« أبو جعفر البغدادي قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة وكان شديد المحبة لها ، فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته الجارية فأنشدته هذه الأبيات : جاءت تزور .... ».

وانظر عيون التواريخ ٨/١٠٤

٣ – ق/٧ : ١٥١

بأبي وإن قلَّتْ له بأبي من ليسَ يعرفُ غيرَه أربي
قرطستُ عشراً في مودَّتَه لبلوغِ ما أمَّلتُ من طلبي
ولقد أراني لو مدَدْتُ يدي شهرين أرمي الأرضَ لم أُصبِ

الأبيات لأبي تمّام ، وهي في ديوانه ٤/١٦٤

٤ – ق/١٢ : ١٥٣

وقائلةٍ وقد بصُرتْ بدمعٍ على الخدَّينِ منحدرٍ سكوبِ
أتكذِبُ في البُكاءِ وأنت خِلوٌ قديماً ما جسرتَ على الذُّنوبِ
قميصُكَ والدُّنوبُ تجولُ فيه وقلبُك ليس بالقلبِ الكئيبِ
شبيهُ قميصِ يوسُفَ حين جاؤوا على لبَّاتِه بدمٍ كذوبِ

الأبيات لأبي الشّيص الخزاعي ، وهي في ديوانه ٢٤ – ٢٥ ، وانظر زهر الآداب ٤/٨٣ ، ومصارع العشاق ٢/٢٠٠ – ٢٠١ ، ومعاهد التنصيص ٢/١٤٤ ، وثمار القلوب ٣٥ ويزاد فيها :

فقلتُ لها : فداكِ أبي وأمّي رَجمتِ بسوءِ ظنّكِ في الغيوبِ
أما واللهِ لو فتَّشتِ قلبي بسِرّكِ بالعويلِ وبالنحيبِ

دُموعُ العــاشقين إذا تلاقَوا بظهرِ الغيبِ ألسنـةُ القلوبِ

٥ – ق/٢٠ : ١٦١

يا كثــيرَ الدَّلِّ والغَنَجِ لكَ سلطانٌ على المُهــجِ
إن بيتــاً أنت ساكِنُهُ غيرُ مُحتــاجٍ إلى السُّرُجِ
وجهُكَ المأمــولُ حُجّتنــا يومَ يأتي النــاسُ بالحُججِ
لا أتــاحَ اللهُ لي فرجــاً يومَ أدعو منك بالفـــرجِ

الأبيات لأبي بكر الشبلي ، وهي في ديــوانه ١٣٩ ، والكشكول ٢٠٢ ، والأبيات ١ – ٣ في مصارع العشاق ٢/ ٢٢٠ ، ونسبهـا مؤلفه إلى عبد الصمد بن المعذَّل ، ويزاد فيها :

وعليــلًا أنت عائدهُ قد أتاهُ اللهُ بالفَرجِ

٦ ق/٢٨ : ١٦٤

كأنَّ قلبي إذا تذكَّرهــا فريسةٌ بين ساعــدي أسَدِ

البيت في مصارع العشاق ١ / ٢٥٦ لابن أبي مرَّة المكي ، وهو من مقطعة عدتها خمسة أبيات ، ومطلعها :

إن وصفوني فناحِلُ الجسدِ أو فتّشوني فأبيضُ الكبدِ

وانظر الأمالي ١/٣٢ ، وسمط اللآلي ١/١٤٢

٧ – ق/٢٩ : ١٦٤

أو مــا ترى طمريَّ بينهــما رجُلٌ ألــحَّ بهزله الجِــدُّ
فالسيفُ يقطعُ وهو ذو صدأٍ والنَّصلُ يفري الهــامَ لاالغِمدُ
هــل تنفعنَّ السَّيفَ حِليتُهُ يومَ الجلادِ إذا نبــا الحَدُّ

هذه الأبيات الثلاثة من القصيدة الشهيرة :

هـل بالطلولِ لسـائلٍ ردُّ ... أم هل لهـا بتكلُّمٍ عَهدُ

وهي في ديوان العكَوَّك ١١٥ — ١١٦ ، وأشعار أبي الشِّيص الخزاعي : ٤٢ — ٥١

٨ — ق/٣٧ : ١٧٠

خُذْ من زَمانكَ ما صَفَـا ... ودعِ الذي فيـه الكَدَرْ
فالعُمرُ أقصـرُ مـدّةً ... من أن يُمحَّصَ بالغِيَرْ

البيتان في قطب السرور ٢٧٧ وفيه :

وأنشد المبرد للرياشي :

بادِرْ صبوحَـكَ بالتي ... تنفي همومَكَ والفِكَرْ
خذ من زمانك ما صفـا ... ودعِ الذي فيـه الكَدَرْ
فالوقت يقصـر عن معـا ... تبـة الخليلِ على الغِيَرْ

وفي ص : ٣٢٦ ، ونثار الأزهار ٤٥ :

وقال كَشاجم :

هذا الصَّباحُ فمـا الذي ... بصبوحِ صحبـكَ تنتظرْ
خذ من زمانـك ما صفا ... ودع الذي فيـه الكَدَرْ
فالعمر يقصـر عن معـا ... تبة الزمان على الغِيَرْ

وانظر ديوان كشاجم ٢٧٠

٩ — ق/٤١ : ١٧٢

يا ربَّ خَرقٍ كأنَّ الله قال له ... إذا طوتكَ رقابُ القومِ فانتشرِ

البيت لمروان بن أبي حفصة الأصغر ، وهو في طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٩٣ (وفيه : إذا طوتك ركاب القوم) ضمن مقطعة مطلعها :

إنّ الشّبابَ طريقُ الشيبِ والكِبرِ — وما يدومُ لحيٍّ جِدّةُ الشَّعَرِ

وبعد البيت المذكور :

تمشي بهِ النَّعجةُ الحَوراءُ آمنةً — مشيَ الخريدةِ ذاتِ الدَّلِّ والخَفَرِ

١٠ — ق/٤٥ : ١٧٤

لا يوحشَنَّكَ ما استعملتُ من سقمٍ — فإنّ منزلَهُ بي أحسنُ النّاسِ

البيت لأبي تمّام ، وهو في ديوانه ٤/٢١٦ ضمن مقطعة مطلعها :

دعني وشُربَ الهوى يا شاربَ الكاسِ — فإنني للّذي حُسّيتُهُ حاسي

١١ — ق/٥٠ : ١٧٦

ومُشّقِ الحركاتِ تحسبُ نصفَهُ — لولا التمنطقُ مائلاً عن نصفِهِ

يسعى إليَّ بكأسِهِ فكأنّما — يَسعى إليّ بدُرّةٍ في كفّهِ

البيتان لأبي العلاء السروي ، وهما في كتاب روح الروح : ٢١٢ ، ويزاد فيها :

يا من يُسَلّمُ خصرَهُ من ردفِهِ — سلِّمْ فؤادَ مُحبّهِ من طرفِهِ

١٢ — ق/٥٢ : ١٧٩ — ١٨٠

وآنسةٍ عذبِ الثنايا وجدتُها — على خُطّةٍ فيها لذي اللبِّ متلفُ

فأصلتُّ حدَّ السّيفِ في حرِّ وجهِها — وقلبي عليها من جوى الوجدِ يرجفُ

فخرّت كما خرت مهاةٌ أصابها — أخو قنصٍ مستعجلٌ متعسّفُ

سيقتلني حزناً عليها تأسّفي — وهيهات ما يُجدي عليّ التأسّفُ

لم تنسب هذه الأبيات إلى ديك الجن في محاضرات الأدباء ٤/٥٣١ ، وإنما وردت معطوفة على بعض أشعاره .

١٣ – ق/٥٥ : ١٨١

وحمراءَ قبلَ المزجِ صفراءَ بعدَهُ ... بدت بينَ ثوبَي نرجسٍ وشقائقِ
حكت وجنةَ المعشوقِ صِرفاً فسلّطوا ... عليها مزاجاً فاكتست لونَ عاشقِ

البيتان لابن دريد في ديوان المعاني ١/٣٢٠ ، والحماسة الشجرية ٢/٨٦٩ ، ولابن ناجية في خزانة الأدب : ١٧٨ ، وسكردان السلطان ٢٥٤ ، وثمرات الأوراق ٢٤ ، وهما بلا نسبة في قطب السرور ٢٨٣ – ٢٨٤ ، ٦٥١ ، والمستطرف في كل فن مستظرف ٢/٢١٣ ، والحلاة : ١١٨ ، ويروى معها بيت ثالث ، وهو :

ومن عرفَ الأيّامَ لم يغترِرْ بها ... وبادرَ باللذاتِ قبلَ العوائقِ

ونسب هذا البيت في محاضرات الأدباء ٢/٦٧٤ إلى يزيد بن معاوية ، وفي سكردان السلطان ٢٥٣ – ٢٥٤ :

« حكى المرزباني عن ابن دُريد أنه رأى في المنام رجلاً طويلاً ، أصفر الوجه ، كوسجاً ، دخل عليه وأخذ بعضادَتي الباب وقال : أنشدني أحسن ما قلته في الخمر فقلت : ما ترك أبو نواس لأحد شيئاً ، فقال : أنا أشعر منه ، فقلت : ومن أنت ؟ فقال : أنا ابن ناجية من أهل الشام وأنشدني : وحمراء .... » .

وانظر الحماسة الشجرية ٢/٨٢٣ – ٨٢٤ ، وحلبة الكميت ١٤٣

١٤ – ق/٦٢ : ١٨٤

يقولون:تُبْ والكأسُ في كفّ أغيدٍ ... وصوتُ المثاني والمثالثِ عالِ
فقلتُ لهم : لو كنتُ أضمرتُ توبةً ... وعاينتُ هذا في المنام بدا لي

البيتان لكشاجم ، وهما في محاضرات الأدباء ٢/٦٨١ ، وجمع الجواهر

١٣٦ ، وزهر الآداب ٣/٣٠ ، والديارات ١٦٩ ، وانظر ديوانه ٤٠٥ وحلبة الكميت ٤٧ – ٤٨ ، ولم ينسبا إلى ديك الجن في جميع المصادر التي اعتمدها المحققان .

١٥ – ق/٧٣ : ١٩١

فوقَ خَدَّيَّ لجّةٌ من دموع يغرقُ الوجـد بينها والسلامُ

لم يُنسب هذا البيت في محاضرات الأدباء ٣/٨٢ إلى ديك الجن ، وإنما ورد معطوفاً على بعض شعره .

١٦ – ق/٧٩ : ١٩٣

سِمةُ الصَّبابةِ زفرةٌ أو عبرةٌ متكفلٌ بهما حشاً وشؤونُ

لم ينسب هذا البيت إلى ديك الجن في محاضرات الأدباء ٣/ ٨٤ ، وإنما ورد معطوفاً على بعض أشعاره ، والصواب أنه لأبي تمام ، وهو في ديوانه ٣/٣٢٤ ضمن قصيدة مطولة مطلعها :

وأبي المنازلِ إنها لشجونُ وعلى العُجُومةِ إنّها لتبينُ

١٧ – ق/٨٠ : ١٩٤

أتاني هواها قبل أن أعرفَ الهوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكّنا

البيت ليزيد بن الطثرية في محاضرات الأدباء ٣/٥٠ ، وكتاب الزهرة ٢٢ ، والحماسة الشجرية ١/٤٢٦ ، ولأبي تمام في بهجة المجالس ١/٨٢٣ ، وذكر محققه أن البيت في ديوانه : ٣١٢ ، ولكنني لم أجده في طبعة دار المعارف ، ولمجنون ليلى في الحيوان ١/٤٠ ، وروضة المحبين : ١٠٠، ١٥١ ، وهو غير منسوب في المحاسن والمساوىء ١/٩ ، والمحاسن والأضداد ١١

١٨ - ق/٨٤ : ١٩٦

يا ليتَ حُمّاهُ بي كانت مضاعفةً يوماً بشهرٍ وأنَّ اللهَ عافاهُ
فيصبحَ السقمُ منقولاً إلى جسَدي ويجعلَ الله منه البُرءَ عقباهُ

البيتان لأبي نواس ، وهما في ديوانه : ٦٨٢ ، وبعدهما :

أقولُ للسقمِ كم ذا قد لهجتَ به فقالَ لي : مثلما تهواهُ أهواهُ
حلفتُ للسقمِ إني لستُ أذكرهُ وكيفَ يذكرهُ من ليس ينساهُ

١٩ — ق/٨٥ : ٢٠٩

فإن مات لم يحزُنْ صديقاً مماتُه وإن عاش لم يضررْ عدوّاً بقاؤُهُ

وردت في ديوان طرفة بن العبد : ١٣٤ قصيدة مطولة ، منها هذان البيتان :

فإن غاب لم يشفقْ عليه صديقُهُ وإن آبَ لم يفرحْ به أصفياؤهُ
وإن مات لم يَفقِدْ وليٌّ ذهابَه وإن عاشَ لم يسررْ صديقاً لقاؤهُ

وفي بهجة المجالس ١/١٩٨ :

فإن مات لم يُفقَد ولم يحزنوا لهُ وإن عاش لم يسررْ صديقاً بقاؤهُ

ولعل البيت الوارد في ديوان ديك الجن رواية أخرى للبيت الثاني .

٢٠ — ق ٩٦ : ٢١٢

وضاحكٍ عن بَرَدٍ مُشرقٍ ناجيتُهُ من بينِ جُلاّسي
فكلّما قَبَّلتُه خِفتُ أن يذوبَ من نيرانِ أنفاسي

البيتان للصنوبري ، وهما في تكملة ديوانه التي أصدرها الأستاذ لطفي الصقال ص : ٥٠

* * *

● لجأ المحققان في كثير من الأحيان إلى تغيير رواية بعض الأبيات

– رغم صحتها – ودون الاعتماد على مصدر معين ، ولم يشيرا إلى ذلك في الحاشية ، كما وهما في ردّ بعض الروايات إلى مظانها الصحيحة ، وهذه بعض الأمثلة :

١ – ق/٢٨ : ١٢٨

أنسأني الدهـرُ ولم ينسني والموتُ قد يودي بِن في الرّضاعْ

« هذه رواية محاضرات الأدباء والديوان ، وفي الأصل « أذكر انسان التي فوقها » .

هذا ما أورده المحققان ، والصواب أن رواية محاضرات الأدباء هي : « أذكر انسان التي فوقها » ، وهي رواية شديدة التحريف والتصحيف ، ذكر الأستاذ عبد المعين الملوحي أن صحتها « أنسأني الدهر ولم ينسني »، وعنه أثبتها المحققان في الطبعة الثانية ، ويلاحظ اتفاق الأصل المخطوط ومحاضرات الأدباء في هذه الرواية المحرّفة ، مما يدل على أن جامع هذه الأشعار كان ينقل عن المصادر المطبوعة .

٢ - ق/١٢ : ١٥٤

قميصُك والذنوبُ تجولُ فيهِ وقلبك ليس بالقلبِ الكئيبِ

المصدر الوحيد لهذا البيت هو محاضرات الأدباء ٨٤/٣ ، وفيه «قميصك والدّموع » وهي رواية صحيحة ، أثبتها الأستاذ عبد المعين الملوحي في الطبعة الأولى ص : ٢٢ .

٣ – ق/٣٠ : ١٦٥

فتىً ينصبُ في ثغر الليالي كما ينصبُ في المُقَلِ السّوادُ

والصواب « ثغر الفيافي » كما في محاضرات الأدباء ٤/٦١٦، وانظر الطبعة الأولى ص : ٣٦

٤ – ق/٣٧ : ١٧٠

فالعُمرُ أقصرُ مُدَّةً من أن يُمحّصَ بالغِيَرْ

والرواية « يُمحّقَ » وهي رواية صحيحة ، ووردت في الطبعة الأولى ص : ٤٩ « يُمحّصَ » ؟.

٥ – ق/٤٣ : ١٧٣

إذا الصَّبرُ أهدى الأجرَ فالصَّبرُ آثمٌ لديَّ وتركُ الصَّبرِ فيكَ هو الأجرُ

أثبت المحققان هذا البيت عن محاضرات الأدباء ٤/٥١٨ ، وفيه «مأثم» ، ولم يذكرا ذلك .

٦ – ق/٤٥ : ١٧٤

لايوحشَنَّكَ ما استحملت من سَقَمٍ فإنَّ منزلهُ بي أحسنُ النّاسِ

لم يشر المحققان إلى أن رواية الأصل الذي اعتمداه هي « لاأوحشنك ما استحملت من سقمي » ، وانظر محاضرات الأدباء ٣/٩٢

٧ – ق/٧١ : ١٩٠

لأشافِهَنَّ من الذّنوبِ عظائماً ينقدُّ عنها جِلدُ كُلِّ صيامِ

والرواية « عظامها » وهي رواية محاضرات الأدباء ٤/٤٦١ ، المصدر الوحيد لهذا البيت ، وانظر الطبعة الأولى : ١٠١

* * *

● أدرج المحققان العديد من الكتب في مسرد مراجعها ، ولكنهما لم يستوفيا ما فيها من أشعار . وألاحظ أنهما قد أوردا بعض الكتب التي ذكرها الأستاذ عبد المعين الملوحي ضمن مراجعه ، والتي لم يتيسر لهما الاطلاع عليها مثل : عيون التواريخ ، وتاريخ دمشق .

● حدث اضطراب كبير في تخريج قصائد الديوان ومقطوعاته، وغالباً ما يخطىء المحققان في تبيان عدد الأبيات، أو أماكن وقوعها.

وأهملا في بعض الأحيان ذكر رقم الجزء أو الصفحة مكتفيين باسم المصدر، وذلك في أربعة عشر موضعاً هي: ١٩/١٦٠، ٢٠/ ١٦١، ٢٨/ ١٦٤، ٣٨/١٧١، ٤٠/١٧٢، ٤٩/١٧٥، ٥١/١٧٧، ٥٧/١٨٢، ٦٢/١٨٥، ٧١/١٩٠، ٧٢/١٩١، ٧٣/١٩١، ٧٩/١٩٣، ٨٠/١٩٤

● وأود أن أشير إلى أن العديد من مقطعات الديوان لم ترد فيما ذكره المحققان من المصادر، والأمثلة على ذلك متعددة أذكر بعضها فيما يلي:

ق ٣٨ / ١٤٢

« والبيتان الأول والثالث في محاضرات الأدباء ٢/٥٢٠ ».

وردت هذه المقطعة بتمامها في كتاب محاضرات الأدباء، وليس كما ذكر المحققان.

ق ٢٠ / ١٦١

« الأبيات في محاضرات الأدباء ٣/٢٩٦. ورويت في الكشكول ».

لم ترد الأبيات في الكشكول لديك الجن، وإنما نسبها العاملي إلى أبي بكر الشبلي، كما لم يرد في محاضرات الأدباء إلا البيت الثاني.

انظر ديوان أبي بكر الشبلي: ١٣٩، والكشكول: ٢٠٢

ق ٣٤ / ١٦٨

« الأبيات في الأغاني ... وديوان المعاني ١/٢٤٥ ».

لم يرد من هذه المقطعة في ديوان المعاني إلا البيتان الأول والثاني.

ق ٥١ / ١٧٧

« القصيدة في تاريخ ابن عساكر ، والديوان : ٦٨ ، وديوان المعاني ١٣٧/٢ ، ومحاضرات الأدباء ، وأدب الكاتب » .

لم ترد في ديوان المعاني ، ومحاضرات الأدباء إلا أبيات متفرقة من هذه القصيدة ، وهذا بيان مواقعها :

ديوان المعاني ١٣٧/٢ ، وفيه البيت الثاني ، كما رويت الأبيات ٩ - ١١ في ١ / ٢٤٧ . محاضرات الأدباء ١ / ١٠٣ ، وفيه البيت ١١ ، وانظر ٣٠٢/٣

أما أدب الكاتب فلم ترد فيه أية أشعار لديك الجن ، ولعل الصواب أدب الكتاب ، وفيه الأبيات ٨ ، ٩ ، ١١ - ص : ٦٣

ق ٥٤ / ١٨١

« البيت في ... ومحاضرات الأدباء .. » .

لم يرد هذا البيت في محاضرات الأدباء ، وأظنه وهماً ، إذ لم يذكر المحققان رقم الجزء أو الصفحة .

ق ٥٦ / ١٨٢

« الأبيات في ديوان المعاني ومحاضرات الأدباء » .

لم ترد هذه الأبيات في ديوان المعاني ولا في محاضرات الأدباء .

ق ٥٧ / ١٨٣

« الأبيات في ديوان المعاني ومحاضرات الأدباء » .

لم ترد هذه الأبيات في محاضرات الأدباء ، وهي في ديوان المعاني ٢٧١/١

ق ٦٠ / ١٨٤

الأبيات في .. ومحاضرات الأدباء ، والديوان : ٨٦ » .

لم يذكر الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء ٣/٥١ ، إلا البيت الثالث .

● وإزاء هذا الاضطراب في تخريج قصائد الديوان ومقطوعاته ارتأيت أن أذكر جميع ما عثرت عليه من التخريجات التي لم يذكرها المحققان وهي :

ق / ٨ : ٦٠ الأبيات ٢ ، ٣ ، ٤ في ديوان المعاني ١ /٥٦

ق / ١ : ٦٥ الأبيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ فى الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢٠٤ ، والبيت ٢٥ في التبيان في شرح الديوان ٣/١٩

ق / ٢ : ٧٢ الأبيات ١ - ٦ ، ٩ ١٦ ، ٢٣ ، ٢٦ - ٢٨ في الحماسة البصرية ١/٢٣٧ – ٢٣٨ ، والأبيات ١١ ، ١٢ ، ١٧ — ٢٨ ، في زهر الآداب ٣/١٧١ — ١٧٢

ق / ٧ : ٩٠ الأبيات في أمالي الزجاجي : ١٠٣ ، وعيون التواريخ ٨/١٠٣ ، وذم الهوى : ٤٧١ ، وروضة المحبين : ٣٣٥ . والأبيات ١ ، ٢ ، ٣ في محاضرات الأدباء ٤/٥٣١ غير منسوبة .

ق / ٨ : ٩٢ الأبيات في روضة المحبين ٣٣٥ ، والأبيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ في عيون التواريخ ٨/١٠٤ ، والأبيات ٢ ، ٣ ، ٤ في حماسة الخالديين ١/٦

ق / ١١ : ٩٨ الأبيات في المنازل والديار : ٢٢٣ — ٢٢٤

ق / ١٧ : ١٠٧ الأبيات في قطب السرور : ٦٢٣ ، وعيون التواريخ ٨/ ١٠٣ ، والأبيات ١ — ٣ ، ٥ ، ٦ في مطالع البدور ١/١٥٨ ، والبيتان الأول والثالث في خزانة الأدب : ٢١٠ ، والبيت الرابع في خزانة الأدب : ١٧٦ ، والبيت الخامس في التبيان في شرح الديوان ١/٢٤٥ ، والأبيات ٢ - ٥ في التشبيهات : ١٨١

ق / ٢٢ : ١١٥ الأبيات في الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢١٨

ق / ٢٣ : ١١٦ الأبيات ١ ، ٣ ، ٧ في قطب السرور : ٧٠٣

ق / ٢٤ : ١١٨ الأبيات في قطب السرور : ٢٧٨

ق / ٢٥ : ١٢٠ الأبيات ١ - ٣ ، ٥ - ٢٢ ، في المحاسن والمساوىء ١/٢٢٥ - ٢٢٦ والبيت الأول في المصباح في علم المعاني : ٨٣

ق / ٢٦ : ١٢٤ الأبيات ١ — ٣ في زهر الآداب ٣/١٩ ، والأبيات ٥ - ٧ في الصبح المنبي عن حيثية المتنبّي ١٩٣ ، والبيت الثاني في التبيان في شرح الديوان ٢/٢٨٧

ق / ٣٢ : ١٣٥ الأبيات في قطب السرور : ٥٩١ — ٥٩٢ غير منسوبة ، والبيتان ١ ، ٢ في الظرف والظرفاء ٢/١٥٣ غير منسوبين أيضاً

ق / ٣٣ : ١٣٦ الأبيات ١ - ٣ في نهاية الأرب ٢/٢٦٣ - ٢٦٤ غير منسوبة .

ق / ٣٤ : ١٣٨ الأبيات في الظرف والظرفاء ٢/١٤١ ، ومصارع العشاق ٢/٢٦٠ ، وكتاب الزهرة : ٣٠٤ ، غير منسوبة ، وروايتها :

غابُوا فصارَ الجسمُ من بعدهم ما تنظرُ العينُ لهُ فيّا
بأيّ وجهٍ أتلقّاهُمُ إذا رأوني بعدَهم حيّا
يا خجلتي منهُ ومن قولِهِ ما ضرّك الفقدُ لنا شيّا

ق / ٣٩ : ١٤٤ الأبيات في عيون التواريخ ٨/١٠٤

ق / ٣ : ١٤٩ البيتان في الأشباه والنظائر ٢/١٩٥ غير منسوبين .

ق / ٤ : ١٤٩ الأبيات في ديوان المعاني ١/٢٤١ ، ومصارع العشاق ٢/٨٤ غير منسوبة .

ق / ١٤ : ١٥٥ الأبيات ١ — ٣ في الظرف والظرفاء ٢/١٤٥ غير منسوبة .

ق / ١٨ : ١٦٠ البيتان في حلية البديع : ٩٦ غير منسوبين .

ق / ١٩ : ١٦٠ الأبيات في نهاية الأرب ٢/٨٠

ق / ٢٥ : ١٦٣ البيتان في التشبيهات : ٢١٢

ق / ٢٧ : ١٦٤ البيتان في المستطرف في كل فن مستظرف ٢/١٧ غير منسوبين

ق / ٢٨ : ١٦٤ البيت في محاضرات الأدباء ٣/٨٥

ق / ٣٠ : ١٦٥ البيت في الحماسة الشجرية ٢/٨٩٩ ، والحماسة البصرية ١/١١٥

ق /٣٣ : ١٦٧ الأبيات في الأشباه والنظائر ٢/٣٢١

ق / ٣٤ : ١٦٨ الأبيات في عيون التواريخ ٨/١٠٤ ، والبيتان الرابع والخامس في المستطرف ٢/٢٣ لابن الرومي .

ق / ٣٦ : ١٧٠ البيتان في كتاب الأشربة : ٤٣ ، والشعر والشعراء ٢/٨٠٧ لأبي نواس ، وهو الصواب .

ق / ٣٨ : ١٧١ البيتان في زهر الآداب ٣/٨٥

ق / ٤٠ : ١٧٢ البيت في محاضرات الأدباء ٣/٨٢

ق / ٤٨ : ١٧٥ البيتان في المنتحل : ١٠٠ ، ونسبها المؤلف إلى البحتري ، ولم أجدهما في ديوانه .

ق / ٤٩ : ١٧٦ الأبيات في ديوان المعاني ٢/٢٥١ ، والبيت الثالث في محاضرات الأدباء ٤/٤٢٢ ، ونسبه المؤلف إلى أبي نواس .

ق / ٥١ : ١٧٧ الأبيات في قطب السرور : ٦٤٦ — ٦٤٨ ، وعيون التواريخ ٨/١٠٤

ق / ٥٧ : ١٨٢ البيتان ٢ ، ٣ في مصارع العشاق ١/١١٤ غير منسوبين .

ق / ٦٨ : ١٨٨ الأبيات في نهاية الأرب ٢/٢٨٢ غير منسوبة .

ق / ٦٩ : ١٨٩ البيت في الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : ٢٠٦

ق / ٧١ : ١٩٠ البيتان في محاضرات الأدباء ٤/٤٦١

ق / ٧٢ : ١٩١ البيت في محاضرات الأدباء ٤/٤٩١

ق/٧٣ : ١٩١ البيت في محاضرات ادباء ٨٢/٣

ق/٧٤ : ١٩١ البيت في المصباح في علم المعاني : ٧٩

ق/٧٥ : ١٩٢ البيت في غرر الخصائص : ١٤

ق/٧٩ : ١٩٣ البيت في محاضرات الأدباء ٨٤/٣

ق/٨٠ : ١٩٤ البيت في المخلاة : ٢٥٧

ق/٨١ : ١٩٤ البيتان ١ ، ٢ في المخلاة : ١١٨ غير منسوبين ، والبيت الثاني في خزانة الأدب : ١١٥ ، ونهاية الأرب ١٠٩/٧ ، وروضة المحبين : ١١٥ بلا نسبة أيضاً .

ق/٩٥ : ٢١١ البيت في التبيان في شرح الديوان ٢٣٥/٢

ق/١٠١ : ٢١٣ البيت في التبيان في شرح الديوان ٢٤٥/١

وبعد . فهذا ما أردت تقييده والإشارة إليه ، ويتضح مما قدمت أن الديوان بحاجة إلى طبعة ثالثة ، تتجنب أخطاء الطبعتين السابقتين ، وتبرز الشعر في أدق إخراج .

حلب محمد يحيى زين الدين

آراء وأنبــاء

تحقيق في بعض مسميات علم الحيوان

الخلد ، القنفذ ، القوارض

الأستاذ علي حيدر النجاري

في مقال علمي مبسط للأستاذ العلاّمة الدكتور أحمد زكي في مجلة العربي (١) تحدث عن « الحيوانات ذوات الثدي » فاستطرد إلى آكلات الحشرات وقال : « إنها تتمثل في الحيوان المعروف بالخُلْد Mole وهو حيوان يشبه الفأر متمرس على العيش في باطن الأرض ، وبه أطراف قوية للحفر ، وهو يعيش على الحشرات ويأكل صغار الخنافس ، وكثيراً ما يضر بالزرع » .

وهذا الوصف صحيح لحيوان آكل الحشرات Insectivores شبيه بالخلد ، ليس هو ، ولا من رتبته ، ونفعه أقوى من ضرره إذ يأكل الحشرات والديدان الضارة بالمزروعات .

وكثيراً ما يردُ في الكتب المدرسية وبعض البحوث العلمية نقلاً عن المؤلفات الأجنبية بلفظة « الخلد » مع أنه ليس هو البتة ذاك الذي عناه العرب .

إن الذي يختلف عنه في الرتبة ordre والذي ضرره أكبر من

(١) مجلة العربي العدد ١٨٠ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٧٣

نفعه هو الخلد من رتبة القوارض Rongeurs (ف) Rodentia (ز)[1] إذ يحفر الأرض بقواطعه ويقرض بها جذور النباتات ليتغذى بها .

والحيوانان : آكل الحشرات والقارض متشابهان من حيث ضمور العينين وفي الشكل ويميز بينهما حين يفغر الحيوان فاه ويمد أطرافه ، فخطم آكل الحشرات أدق ودستوره السني متكامل ، بينما تنعدم الأنياب في القارض ، وأطراف هذا الأمامية أقل عرضاً وأضعف بنية إذ أنها غير معدة للحفر ، ثم إن حجمه أكبر : ١٣٠ مم في الحشري و ٢١٠ مم في القارض حسبما ورد في الجزءين الأول والرابع من أطلس الثدييّات للدكتور پول رود Paul Rode مدير متحف التاريخ الطبيعي بباريس .

والأول — آكل الحشرات — يعيش في أوروبا بينما الثاني - القارض - في وسط أوروبا وشرقها وفي الشرق الأوسط وقد أسماه العرب « الخلد » على حين لم يعرفوا الأول بادىء ذي بدء .

وبين يدي الآن كتاب ثدييات فرنسا Les Mammifère de France للدكتورين پول رود Paul Rode و ر. ديدير R. Didier وكلاهما من أساتذة التاريخ الطبيعي وفي متحفه بباريس ، لم يدعا ثديياً يعيش في فرانسا إلا وجاءا به ، وليس بين القوارض الخلد spalax . مما يدل على عدم وجوده في فرانسا بينما جاء وصف مطول لحيوان شبيه به إلا أنه من رتبة آكلات الحشرات هو Taupe . وعرّبه المعلوف صاحب معجم الحيوان — كما سنذكر - بلفظة الطّوْبين . وكلمة Taupe جاءت في قاموس وبستر Webster الانكليزي وذكر أنها فرنسية بمعنى Mole الانكليزية .

(١) الفاء للفظ الفرنسي والزاي للإنكليزي .

لذا فمن الضروري أن يفرق بينهما في التسمية العربية .

وحسناً فعل المرحوم الفريق الدكتور أمين المعلوف (١٨٧١ — ١٩٤٣ قاموس الأعلام ومعجم المؤلفين) حين أتى على اسم آكل الحشرات في كتابه معجم الحيوان بلفظة الطّوْبين نقلاً عن عرب الأندلس على مايبدو.

فهو بالفرنسية Taupe وبالانكليزية Mole واسمه العلمي Talpa ، أما الحيوان القارض فهو الخلد واسمه الأوروبي والعلمي Spalax ولم ترد هذه اللفظة Spalax في معجم وبستر الإنكليزي مما يدل على عدم استيطانه الجزيرة البريطانية ، بينما جاء وصُوِّر في معجم لاروس Larousse الفرنسي،ويمتاز عن الإنكليزي بإيراده جميع أنواع الحيوان المستوطنة والغريبة.

ومنذ بضع سنوات نوهت في مجلة العربي بجهود العلامة الخالد الذكر الأمير مصطفى الشهابي في وضع وكشف بعض المسميات العلمية العربية ، وذكرت له مزيد من الإعجاب ما ارتآه في كتابه « الزراعة العلمية الحديثة » — طبع دمشق ١٩٢٦ — في الخلد السوري بأنه ليس من آكلات الحشرات واستدل على هذا بناحية تشريحية له .

وحينما كنت في المرحلة الإعدادية في مطلع الثلاثينيات تقرر علينا كتاب ممالك الطبيعة لمؤلفه الأستاذ ألفرد داي أستاذ التاريخ الطبيعي في الجامعة الأميركية ببيروت ، وساعده على وضعه بالعربية الأستاذ العلامة أنيس المقدسي ، وفيه ورد اسم الخلد الأوروبي في رتبة آكلات الحشرات والخلد السوري في القوارض . ويتفق اسم الخلد الأوروبي مع ما في أطلس الثديات للدكتور بول رود حيث جاء الاسم العلمي هكذا : Talpa europaea .

ولقد ترجم الأستاذ منير البعلبكي صاحب المورد — القاموس الإنكليزي العربي — كلمة Mole بالخلد ، وهذا خطأ شائع كما أشرنا ، على حين

أن المرحوم الأستاذ الياس أنطون الياس صاحب القاموس العصري ترجمها: خلد . طوبين ، وهذه تعمية مماثلة لما تقوله بعض المعاجم العربية والمؤلفات العلمية . وحتى الكتب المدرسية : قاضم . قارض بشكل مترادف ، مع أن هاتين الكلمتين مختلفتان في المعنى - كما سنبين

وأصاب صاحبا المنهل - القاموس الفرنسي العربي - الدكتوران سهيل إدريس وجبور عبد النور حين ترجما كلمة Taupe بالطوبين وكلمة Spalax بالخلد .

وفي المعجمات والمؤلفات العربية ما يلي :

جاء في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي :

الخلد : نوع من الجرذان خلقت عمياء تسكن الفلوات (ومن المعروف أن الجرذ أو الفأر الكبير حيوان قارض) .

وفي القاموس المحيط للفيروزابادي :

الخلد : ضرب من القُبَّرة أو الفأرة العمياء .

وقال الجاحظ : الخلد : دويبة عمياء لا تعرف بين يديها إلا بالشم .

وقال غيره : الخلد : فأر أعمى لا يدرك إلا بالشم .

وورد حالياً في المنجد : الخلد حيوان من القواضم .

وهذه اللفظة الأخيرة - القواضم - من الأخطاء الشائعة للرتبة كما سنوضح .

الدَّلْدَل أو النِّيْص والقُنْفُذ .

وثمة حيوان آخر من رتبة القوارض كثيراً ما يرد خطأ في غير رتبته ومغايراً في تسميته لما عناه العرب ، هو الدَّلْدَل أو النِّيص . إذ

يسمى خطأ بالقنفذ مع أن القنفـذ هو ذلك الحيوان الصغير من آكلات الحشرات يسكن جحوراً في الأرض بين الأحجار ، خارج المدن ، في الحقول والبساتين .

وفي حياة الحيوان لكمال الدين الدّميري من علماء القرن الثامن الهجري تعريف الدلدل بالقول إنه « عظيم القنافذ » ، ولا يؤخذ على المؤلفين القدامى عـدم معرفتهم وتسميتهم الرتبة Ordre إذ أن التصنيف Classification للحيوان لم يعرف قبل العالم السويدي لينّي Linné (١٧٠٧ – ١٧٧٨) .

ويقول الدّميري : الدلْدل : وهو كثير ببلاد الشام والعراق وبلاد المغرب في قدر الثعلب القلطي . وقال الإمام الرافعي : الدلدل على حدّ السخلة . وقال الجاحظ : الفرق بين الدلدل والقنفـذ كالفرق بين البقر والجواميس والبخاتي والعراب والجرذ والفأر .

وحين جاء الدميري بلفظة القنفذ قال : « يكون بأرض مصر ، قدر الفأر . ودَلْدل يكون بأرض الشام والعراق في قدر الكلب القلْطي - أي القصير - والفرق بينهما كالفرق بين الجرذ والفأر » .

وقد أورد ابن سيده مرادفاً آخر للقنفذ هو الدّارم .

وفي العصر الحديث جاء في معجم الحيوان المعلوف :

« الدلدل . الشّيْهَم . النّيص (ز) Porcupine (ف) Hystrix . Porc - épic » . والشيهم : ذكر القنافذ ، وهذا ما ورد في المعاجم وفي حياة الحيوان ، وغريب أنه لم ترد في هذا الكتاب – حياة الحيوان – كلمة « نيص » مع أنه جاء في بعض المعاجم النيص : القنفذ الضخم .

وحدث منذ نحو من ربـع قرن أنني كنت في ناحية من النواحي القريبة من الأردن فرأيت صبية يتحلقون حول دلدل قتيل ومر أحـــد الشيوخ فقال لي : إن هذا هو النيص .

وفي عجائب المخلوقات للقزويني حين الكلام عن القنافذ : « ومنها صنف يقال له الدلدل هو أكبر جسماً من القنفذ وأطول جسماً ، نسبته إلى القنفذ كنسبة الجاموس إلى البقر . قالوا : أي موضع أراد أن يرمي إليه شوكة من شوكه يرميه كرمي النشاب ولا يخطىء شيئاً فتمر الشوكة كمر السهم المسدد وتلبث فيه » .

وهذا ما يشـاع عنه ولعله بحساسيته العصبية المفرطة تنقـذف بعض أشواكه حين يهتاج .

أما القنفذ (ز) Hedgehog (ف) Herisson فهو حيوان صغير لا يتجاوز وزنه الكيلو غرام الواحد ، بينما الدّلدل يزن نحواً من عشرين كيلو غراماً . والقنفذ حيوان ليلي ، غالباً ما يدب ليلًا في البحث عن طعامه ، وفي هذا يقول الشاعر مشبهاً بعض الأشخاص :

قنافذ هدّاجون حول بيوتهم بما كان إياهم عطية عـوّدا

وكثيراً ما يرد هذا البيت كشاهد نحوي .

ولئن اتفقت المعيشة الليلية في حياة الاثنين فالقنفذ يختلف في أنه يكون بحالة استكنان - بيات شتوي Hibernation خلال فصـل الشتاء . ثم إنه باتفاق جميع المؤلفين مولع بأكل الأفاعي وليس هـذا من شأن الدلدل أو النيص الذي ليس من أنياب له . وأخيراً فالقنفـذ يدافع عن نفسه بالتكوّر ولا يحدث هذا في النيص .

وفي جميع هذا ينبغي لنا أن نغاير في التسمية حين إيراد اللفظ العربي لكل منها .

القوارض :

في عام ١٩٦٦ ، في مجلة المعرفة الدمشقية [١] وقد أسهمت في الكتابة فيها في « باب لغة العلوم » ، أخذت على العلامة الأمير مصطفى الشهابي استعماله لفظة قاضم في كتابه « معجم الألفاظ الزراعية » حيال بعض حيوانات الرتبة ، وقلت : إن القضم أكل الشيء اليابس ، وقد مثّلت لهذا بعضُ المعاجم بقولها : قرض الفأر الثوب ، وتقضم الدابة الشعير . وذكرت هذا في مجلة العربي بعد بضعة أعوام في مقالي عن مصطفى الشهابي [٢] وقلت في التعليق :

صوابها : القوارض ، والقضم : أكل الشيء اليابس .

وكما أشرت ، فبعض المؤلفين العلميين تذكر : قاضم . قارض ، حيال حيوانٍ من تلك الرتبة .

ولئن التبس الأمر على الفيروزابادي في اللفظتين : قرض وقضم فمجدالدين يخطىء في آرائه العلمية خلال شرح بعض الكلمات .

وقد لاحظ هذا اللبس الرائد اللغوي أحمد فارس الشدياق (١٨٠٥- ١٨٨٥) فألف كتابه الجاسوس على القاموس وتتبع الفيروزابادي حتى كلمة قضم فقال معترضاً : والقضم أكل الشيء اليابس .

وجاء في لسان العرب لابن منظور وفي شرح مطول لكلمة قضم

(١) مجلة المعرفة العدد الثامن والخمسون .

(٢) مجلة العربي العدد ١٣٨ مايو – أيار ١٩٧٠

جاء ما يلي : « القضيم شعير الدابة وقضِمت الدابة شعيرها بالكسر تقضَمه قضماً أكلته وأقضمتُها إياه أي علفتها القضيم ، قال ابن بري : يقال قَضِم الرجل الدابة شعيرها ، فيعديه إلى مفعولين ، كما تقول كسا زيد ثوباً وكسوته ثوباً . واستعار عدي بن زيد القضم للنار فقال :

رُبَّ نارٍ بتُّ أرمقها تقضِم الهنديَّ والغـارا

وقبيل هذا أورد صاحب اللسان لابن سيده قوله : القضم : أكل بأطراف الأسنان والأضراس ، وقيل : هو أكل الشيء اليابس قَضِم يقضَم قضماً ، والخضْم الأكل بجميع الفم ، وقيل : هو أكل الشيء الرطب ، وفي قول بعض العرب ، وقد قدم عليه ابن عم له بمكة فقال : إن هذه بلاد مَقْضَم وليست ببلاد مَخْضَم » .

وجاء هذا الشاهد أيضاً في المزهر للسيوطي .

وفي التهذيب للتبريزي : الخضم : الأكل بجميع الفم ، والقضم: دون ذلك.

وأورد صاحب اللســـان حديث علي : « كانت قريش إذا رأته قالت : احذروا الحُطَم ، احذروا القُضَم ، أي الذي يقضم الناس فيهلكهم ».

والبيت المشهور :

خيْلٌ صيامٌ وخيل غير صائمةٍ تحت العجاج وأخرى تعلك اللُّجُما

ذكر بعض شراحه : وفي روايةٍ أخرى تقضم اللُّجُما .

وحديثاً مثّل العلامة المرحوم عبد الله البستاني صاحب معجم البستان نقلاً عمن سبقه من المؤلفين : قرض الفأر الثوب وتقضم الدابة الشعير .

والدابّة عُرفاً لما هو مركوب من الفصيلة الخيلية equidés ومن رتبة وترية الأطراف Artiadactyle .

نخرج من جميع هذا بأنه ينبغي أن لايقال للفأر : قاضم . ويراد وصفه برتبته ، إذ أن هذه صفة آكل الشعير لأن القضم أكل الشيء اليابس.

إن حرف الضاد ، وهو يتوسط لفظة قضم ، يليه حرف الميم يدلان على الأخذ بجمع الأسنان حالة أن الراء المرققة في قرض تشير إلى أخذ النبات بشيء من الأطراف ؛ ولا يكون هذا إلا بالقواطع التي تتميز بها كافة أفراد أنواع هذه الرتبة ـ القوارض

ولئن أعجّب فللمرحوم الأستاذ إسماعيل مظهر عضو المجمع اللغوي ، ترجم وعرّب كثيراً من أنواع الحيوان فقد استعمل خلال ترجمته لكتاب « أصل الأنواع » في طبعته الأخيرة تارة القوارض وتارة أخرى القواضم « للرتبة ذاتها » رغم أنه قال وأخطأ في حكمه ، في أحد تعاليقه على الكتاب المذكور : « والقواضم أدل على الصفة التي أخذ منها لأن القضم هو الأكل بأطراف الأسنان وهي هكذا تفعل » .

وما لنا ولجميع هذا وابن المقفّع وقد عاش أكثر حياته في العهد الأموي خير شاهد على ما نرى ، فهو يستعمل القرْض للجرذ في ثلاثة مواضع من كليلة ودمنة في باب الحمامة المطوّقة : « ثم إن الجرذ أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت المطوقة وحمامها معها » .

وفي باب الجرذ والسّنّوْر : « وأخذ في تقريض حبائله » .

وفي مكان آخر من هذا الباب : « وجهد الجرذ نفسه في القرض حتى إذا فرغ وثب السنور إلى الشجرة » .

ومما يلاحظه الباحثون أن أكثر معجمات اللغة تقول في القضم : الأكل

بأطراف الأسنان ، وتقوله أيضاً في القرض ، ولا شك في أنه لبس لغوي يزيله فقه اللغـة والمشاهدة الحسية حيث نحكمهما ونلتجىء إليهما فيما يعسر علينا وخاصة في المسميات العلمية .

أحسب أن ما ذكرته ضروري للغة وللعلم ، فمتى ثبت الشيء لغوياً وضح علمياً . ولعل لنا عودة إلى أمثاله .

علي حيدر النجاري

تقرير عن أعمال المجمع

في دورة ١٩٧٤ - ١٩٧٥

١ — مجلس المجمع

عقد مجلس مجمع اللغة العربية في دورته الماضية ١٩٧٤ — ١٩٧٥م إحدى عشرة جلسة ، بحث فيها عدة شؤون مجمعية في طليعتها النظر فيما رفع إليه من أعمال اللجان الفرعية التي تولت دراسة ما قدم إليها من مصطلحات جديدة ، وأقر الإشراف على طبع ثلاثة معاجم في علوم الجيولوجية والنبات والفيزياء ، وهي بعض المعاجم الموحدة التي أقرت في المؤتمر المنعقد أواخر سنة ١٩٧٣ في الجزائر ، وعهدت المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم إلى وزارة التربية في القطر العربي السوري تولي الإنفاق عليها بعد أن تعهدت بعض الأقطار العربية ومنها سورية بتولي كل واحد منها طبع قسم مما أقر .

كما أقر المجلس المبادرات التي قام بها الأستاذ الرئيس بوساطة السيد وزير التعليم العالي لتنسيق جهود جامعات القطر وتعاونها في سبيل توحيد جميع المصطلحات العلمية في مختلف الأقسام فيها تمهيداً لوضع معجم علمي موحد .

وبمناسبة مرور مائة عام على ولادة الأستاذ الرئيس المرحوم محمد

كرد علي قرر المجلس الاحتفال بهذه الذكرى في عام ١٩٧٦ اعترافاً بفضل أول رئيس للمجمع على النهضة العربية المعاصرة وإحياء لذكراه .

٢ ــ اللجنة الإدارية

عقدت اللجنة الإدارية للمجمع خلال هذه الدورة المجمعية جلساتها الاسبوعية ودرست فيها مختلف الشؤون الادارية التي أولتها النصوص القانونية النظر فيها واتخذت فيها القرارات الملائمة لمصلحة المجمع .

٣ ــ لجنة المجلة والمطبوعات

عقدت لجنة المجلة والمطبوعات خلال هذه الدورة جلساتها الاسبوعية درست فيها المواد التي وردت إلى مجلة المجمع والكتب التي يراد طبعها مقرةً نشر ما رأته صالحاً للنشر منها ورافضة غير الصالح .

٤ ــ لجنة المخطوطات وإحياء التراث

عقدت لجنة المخطوطات وإحياء التراث (٤٢) اجتماعاً تدارست فيها ما عرض عليها من كتب محققة فاستبعدت بعضها وأقرت بعضها وفي الفقرة التالية عرض للكتب التي ارتأت نشرها .

٥ ــ مطبوعات المجمع خلال الدورة الماضية

أ ــ المجلة : ستتم مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً) في نهاية عام ١٩٧٥ مجلدها الخمسين ملتزمة بالمنهج القويم الذي سارت عليه في نشر البحوث الأصيلة والموضوعات القيمة التي يحقق نشرها غايات المجمع وأهدافه .

وقد تم خلال الدورة الماضية طبع الأجزاء الثلاثة الأولى من المجلة وبوشر في طبع تمام المجلدة الخمسين .

ب ـ كتب التراث : نشر المجمع من كتب التراث ما يلي :

١ ـ مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (الجزء الأول والثاني) تحقيق الأستاذ ياسين السواس .

٢ ـ كتاب الاختيارين ـ صنعة الأخفش الأصغر . تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة .

٣ ـ ديوان الأبيوردي (الجزء الأول والثاني) لأبي المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق . تحقيق الدكتور عمر الأسعد .

٤ ـ كتاب « المحمدون من الشعراء وأشعارهم » لجمال الدين علي بن يوسف القفطي . تحقيق الأستاذ رياض عبد الحميد مراد .

٥ ـ رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن عبد النور المالقي . تحقيق الأستاذ أحمد محمد الخراط .

٦ ـ تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد . للحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي . تحقيق الدكتور إبراهيم محمد السلقيني .

٧ ـ أدب القضاء لشهاب الدين إبراهيم بن عبد الله . تحقيق الدكتور محمد مصطفى الزحيلي .

أما الكتب التي بوشر بطبعها وتوشك أن تصدر فهي :

١ ـ نضرة الإغريض في نصرة القريض للمظفر بن الفضل العلوي الحسيني. تحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن .

٢ ـ الملمع للحسين بن علي النمري . تحقيق الآنسة وجيهة السطل .

٣ ـ ديوان طرفة بن العبد . شرح الأعلم الشنتمري . تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب .

٤ ـ شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي . تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني .

٥ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري . تحقيق الدكتور محمد يوسف .

٦ ـ سؤالات الحافظ السلفي . تحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي .

ومن المتوقع أن ترسل إلى الطبع في الدورة القادمة الكتب التالية :

١ ـ التعازي والمراثي للمبرد . تحقيق الأستاذ محمد الديباجي .

٢ ـ إعراب الحديث لأبي البقاء العكبري. تحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان

٣ ـ معجم المصطلحات الحديثية . وضعه الدكتور نور الدين العتر . ترجمه وصاغه بالفرنسية الدكتور عبد اللطيف الشيرازي الصباغ والأستاذ داود عبد الله كوبل .

٤ ـ الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري. تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي.

٥ ـ فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية : الفقه الحنفي للأستاذ محمد مطيع الحافظ .

٦ ـ فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية: التصوف للأستاذ رياض المالح.

٧ ـ تاريخ المنصوري . تحقيق الدكتور أبو العيد دودو .

٦ ـ مشاركات المجمع العلمية داخل القطر

١ ـ حقق عضو المجمع الدكتور ميشيل الخوري مقدمة كتاب الصيدنة في الطب لأبي الريحان البيروني . وقد نشر التحقيق في الكتاب الذي أصدره المجلس الأعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية عن البيروني .

كما أنه شارك في المهرجان الخطابي الذي أقامه المجلس في أسبوع العلم الرابع عشر إحياء لذكرى البيروني فألقى فيه محاضرتين عن كتاب الصيدنة للبيروني .

٢ ـ ترجم عضو المجمع الدكتور ميشيل الخوري مقالاً عن البيروني

من قاموس الأعلام الأميركي ، ونشر المقال في الكتاب التذكاري الذي أصدره المجلس الأعلى للعلوم بمناسبة الذكرى الألفية لمولد أبي الريحان البيروني .

٣ ـ شارك المجمع في جناح الكتب الخاص بوزارة التعليم العالي في معرض دمشق الدولي .

٤ ـ شارك المجمع في معرض الكتاب العربي الذي أقيم بمناسبة أسبوع العلم .

٥ ـ اشترك السيد نائب الرئيس في الاحتفال الذي أقيم في كلية الآداب بجامعة حلب بمناسبة افتتاح قاعة باسم عضو المجمع المرحوم الدكتور سامي الدهان وذلك بتاريخ ٨ أيار سنة ١٩٧٥ وألقى فيه كلمة عن مزايا الزميل الراحل .

٦ ـ اشترك نائب رئيس المجمع الدكتور عدنان الخطيب في حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ عارف النكدي الذي أقيم في بلدة عبيه بلبنان في ٢٥ أيار سنة ١٩٧٥ حيث ألقى كلمة تأبينية عدد فيها مزايا الفقيد .

٧ ـ عقد مجلس المجمع جلسة علنية استقبل فيها عضو المجمع المنتخب الدكتور شاكر الفحام وذلك في ٥ حزيران ١٩٧٥ .

٨ ـ تم عقد ندوات واجتماعات متعددة مع رؤساء الجامعات الثلاث في القطر العربي السوري وأساتذتها المتخصصين من أجل التمهيد لتوحيد المصطلحات العلمية .

٧ ـ النشاط العلمي خارج القطر

١ ـ شارك الأستاذان رئيس المجمع ونائب الرئيس في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الحادية والأربعين ، والمنعقد في

المدة بين الرابع والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٧٥ والعاشر من آذار من السنة نفسها .

وقد وضعا تقريراً موجزاً عما عرض على المؤتمر وعما تم الانتهاء إليه من مقررات نشر في الجزء الثـــاني من المجلد الخمسين لمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

٢ ـ شارك الأستاذان رئيس المجمع ونائب الرئيس في الجلسة الثامنة لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية المنعقد في القاهرة في الثالث من آذار سنة ١٩٧٥ .

٣ ـ اشترك الأستاذ رئيس المجمع الدكتور حسني سبـح في لجنة المعجم الطبي الافرنسي العربي التابعة لاتحاد الأطباء العرب والمنعقـدة في القاهرة ما بين ١٩ و ٢٦ من نيسان ١٩٧٥

٨ ــ أعضاء المجمع

أ ـ استقبل المجمع خلال الدورة الماضية في جلسة علنية عقدها بتاريخ ٥ حزيران سنة ١٩٧٥ الزميل الجديد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام . وافتتح الجلسة الأستاذ الرئيس بكلمة موجزة عرض فيها أوضاع المجمـع مرحباً بالزميل الجديد . ثم ألقى الأستاذ عبد الهادي هاشم كلمة الاستقبال ورد عليه الزميل الجديد بخطاب مجمعي تحدث فيه عن سلفه الراحل الأمير مصطفى الشهابي .

وتنشر وقائع هذه الجلسة في الجزء الرابع من المجلد الخمسين من مجلة المجمع.

ب ـ صدر عن السيد رئيس الجمهورية مرسوم برقم ١٣٧٧ بتاريخ ٥ تموز سنة ١٩٧٥ يعتمد فيه انتخاب الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة عضواً عاملاً في المجمع .

ويؤمل أن تعقد جلسة علنية لاستقبال الزميل الجديد في الدورة القادمة .

ج ـ فجع المجمع بعضو من أعلامه العاملين هو المرحوم الأستاذ عارف النكدي وقد وافاه الأجل يوم ٢٤ آذار سنة ١٩٧٥ .

وقد شارك المجمع في حفل تأبين أقيم له بتاريخ ٢٥ أيار سنة ١٩٧٥ في بلدة عبيه في جبل لبنان .

نشرت المجلة في عدد نيسان ١٩٧٥ مقالاً تضمن موجزاً لحياة الفقيد بقلم الدكتور عدنان الخطيب واستلت منه كمية في كتاب مستقل .

٩ ـ مكتبة المجمع

١ ـ الكتب

بلغ عدد الكتب التي زودت بها المكتبة ، شراء وإهداء (٣٧٠) كتاب.

٢ ـ المجلات

لا يزال العاملون عليها يتابعون أمر تنظيمها واستكمال الأعداد الناقصة منها .

١٠ ـ دار الكتب الظاهرية

أ ـ دائرة المطبوعات :

١ ـ أحدث مستودع جديد للمطبوعات وتم تجهيزه بخزائن حديثة .

٢ ـ استكملت فهرسة المطبوعات وفاقاً لعنوان الكتاب ولمؤلفه ولموضوعه .

٣ ـ بلغ عدد الكتب التي زودت بها الدار ، شراء وإهداء ، ١٤٨٥ كتاب منها ٩١٣ كتاب عربي ، ٥٧٢ كتاب أجنبي والمشترى منها ٣٧٦ وما تبقي فإهداء .

٤ ـ بلغ عدد المطبوعات المعارة ١٨٥٨٤ كتاب .

ب ـ دائرة المخطوطات

١ ـ تم تصوير ١٣٠٠ مخطوطة .

٢ ـ بلغ عدد المخطوطات المعارة داخلياً ٣٠٠٠ مخطوطة .

٣ ـ وضـــع خطة لاعداد نسخة ثانية مصورة للمخطوطات التي يكثر تداولها .

ج ـ الرواد

بلغ عدد رواد قاعة المطالعة ٥٠٥٨٤

ورواد قاعة الباحثين ٧٠٠

د ـ بناء دار الكتب الظاهرية

١ ـ استكمل ترميم داخل قبة الملك الظـــاهر وظاهرها ويجري رصف الباحة .

٢ ـ جهز الطابق الأرضي من الدار بالتدفئة المركزية .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع		تاريخ دخول المجمع
الدكتور حسني سبح «رئيس المجمع»	١٩٤٦	الدكتور شكري فيصل	١٩٦١
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٢٣	الأستاذ محمد المبارك	١٩٦١
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٢٣	الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الأستاذ شفيق جبري	١٩٢٦	الأستاذ وجيه السمان	١٩٦٨
الدكتور جميل صليبا	١٩٤٢	الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨
الدكتور حكمة هاشم	١٩٥٢	الدكتور ميشيل الخوري	١٩٧١
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٥٨	الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١
الدكتور عدنان الخطيب «نائب الرئيس»	١٩٦٠		

الأعضاء المراسلون في البلدان العربية [١]

المملكة الأردنية الهاشمية		جمهورية تونس	
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩	الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٦٧

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي ، والأسماء حسب الترتيب الزمني .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ خير الدين الزركلي ١٩٣٠
الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١

الجمهورية العربية السورية

الأستاذ محمد سليمان الأحمد ١٩٤٥
الأستاذ عمر أبو ريشة ١٩٤٨
الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤

الجمهورية العراقية

الشيخ محمد بهجة الأثري ١٩٣١
الأستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٤٨
الأستاذ كوركيس عواد ١٩٤٨
البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث ١٩٦٩
الأستاذ ناجي معروف ١٩٦٩
الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ١٩٧٣
" أحمد عبد الستار الجواري "
" إبراهيم شوكة "
" عبد اللطيف البدري "
الدكتور جميل الملائكة ١٩٧٣
" عبد العزيز الدوري "
" محمود الجليلي "
" فاضل الطائي "
" جميل سعيد "
" سليم النعيمي "
" عبد العزيز البسام "
" صالح أحمد العلي "
" يوسف عز الدين "
الأستاذ محمد تقي الحكيم "
الأستاذ كمال إبراهيم "
الأستاذ طه باقر "
الدكتور صالح مهدي حنتوش "

فلســـطين

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ أنيس المقدسي ١٩٤٥
الدكتور صبحي المحمصاني ١٩٤٨
الدكتور عمر فروخ ١٩٤٨
الأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٦٦
الأستاذ أمين نخلة ١٩٦٦
الدكتور فريد الحداد ١٩٧٢

الجمهورية العربية الليبية

الأستاذ علي الفقيه حسن ١٩٥٧

جمهورية مصر العربية

الأستاذ حسن كامل الصيرفي ١٩٧٢
الأستاذ محمد عبد الغني حسن ١٩٧٢

المملكة المغربية

الأستاذ عبد الله كنون ١٩٥٦

الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

إسبانية

الأستاذ غومز (إميليوغارسيا) ١٩٤٨

إيران

الدكتور علي أصغر حكمة ١٩٥٧

إيطالية

الأستاذ جبريلي (فرانشيسكو) ١٩٤٨

باكستان

الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ١٩٢٨
الأستاذ يوسف البنوري ١٩٥٥
الأستاذ محمد صغير حسن معصومي ١٩٦٦

البرازيل

الأستاذ رشيد سليم الخوري ١٩٥٧
(الشاعر القروي)

الدانيمرك

الأستاذ بدرسن (جون) ١٩٢١

السويد

الأستاذ ديدرنغ (س) ١٩٥٦

فرنسة

الأستاذ كولان (جورج) ١٩٣١
الأستاذ لاوست (هنري) ١٩٤٢

فنلاندة

الأستاذ كرميسكو (اهتن) ١٩٢٣

المجــر

الدكتور عبد الكريم جرمانوس ١٩٦٦

النمسا

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٢٨
الدكتور أشتولز كارل ١٩٥٤

الهنـد

الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٦
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٥٧

الولايات المتحدة الأميركية

الدكتور فيليب حتي ١٩٢٣

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

آ ـ الأعضاء العاملون

الاسم	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
السيد محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي « رئيس المجمع »	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي « نائب الرئيس »	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك « رئيس المجمع »	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي « نائب الرئيس »	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي « رئيس المجمع »	١٩٦٨
الأستاذ الأمير جعفر الحسني « أمين المجمع »	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من الأقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية

الأستاذ محمد الشريقي ١٩٧٠

الجمهورية التونسية

الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب ١٩٦٨
« محمد الفاضل بن عاشور ١٩٧٠
« محمد الطاهر بن عاشور

الجمهورية الجزائرية

الشيخ محمد بن أبي شنب ١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الابراهيمي ١٩٦٥

جمهورية السودان

الشيخ محمد نور الحسن

الجمهورية العربية السورية

الدكتور صالح قنباز ١٩٢٥
الأب جرجس شلحت ١٩٢٨
الأب جرجس منش ١٩٢٧
الأستاذ جميل العظم ١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي ١٩٣٣
الأستاذ ميخائيل الصقال ١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي ١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد ١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني ١٩٤٣
الأستاذ ادوار مرقص ١٩٤٨
« راغب الطباخ ١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري ١٩٥١
« عبد الحميد الكيالي ١٩٥٦
« محمد زين العابدين
الشيخ محمد سعيد العرفي ١٩٥٦
الأستاذ جبرائيل رباط
المطران ميخائيل بخاش
البطريرك ماراغناطيوس افرام ١٩٥٧
الأستاذ نظير زيتون ١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي ١٩٦٩

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي ١٩٢٤
« جميل صدقي الزهاوي ١٩٣٦
« معروف الرصافي ١٩٤٥
« طه الراوي ١٩٤٦
الأب أنسطاس ماري الكرملي ١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي ١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي ١٩٦١

الأستاذ محمد رضا الشبيبي ١٩٦٥
« ساطع الحصري ١٩٦٩
« منير القاضي ١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد ١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي ١٩٧١
الشيخ كاظم الدجيلي ١٩٧٢

فلســـطين

السيد خليل السكاكيني
الأستاذ نخلة زريق
الشيخ خليل الخالدي ١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص ١٩٤٧
« محمد إسعاف النشاشيبي ١٩٤٨
« عادل زعيتر ١٩٥٧
الأب ا.س مرمزجي الدومنيكي ١٦٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان ١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم ١٩٢٥
الاب لويس شيخو ١٩٢٧
الشيخ عبد الله البستاني ١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط ١٩٣٠
« عبد الباسط فتح الله ١٩٢٩
الشيخ مصطفى الغلاييني ١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري ١٩٤٦
« بولص الخولي
« أمين الريحاني ١٩٤٠

الاستاذ جرجي يني ١٩٤١
الأمير شكيب أرسلان ١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر ١٩٥١
الشيخ أحمد رضا العاملي ١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرازي ١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب ١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض ١٩٥٨
الشيخ سليمان ضاهر ١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود ١٩٦٢
« بشارة الخوري ١٩٦٨
« الأخطل الصغير »
« عباس الأزهري

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي ١٩٢٤
« رفيق العظم ١٩٢٥
« يعقوب صروف ١٩٢٧
« أحمد تيمور ١٩٣٠
« أحمد كمال ١٩٣٢
« أحمد زكي باشا ١٩٣٤
« حافظ إبراهيم ١٩٣٢
« أحمد شوقي ١٩٣٢
« محمد رشيد رضا ١٩٣٥
« أسعد خليل داغر ١٩٣٥
« أحمد الاسكندري ١٩٣٨

الأستاذ داود بركات ١٩٣٣
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ١٩٣٧
الدكتور أمين المعلوف ١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري ١٩٤٣
الأمير عمر طوسون ١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى ١٩٤٦
الشيـخ مصطفى عبد الرازق ١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل ١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران ١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة ١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين ١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي ١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين ١٩٥٨

الدكتور عبد الوهاب عزام ١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي ١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد ١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد ١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت ١٩٦٤
الأمير يوسف كمال ١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات ١٩٦٨
الدكتور طه حسين ١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي ١٩٧٥

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي ١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني ١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي ١٩٧٣

ج ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من البلدان الأخرى

الاتحاد السوفييتي

الأستاذ كراتشكوفسكي (أ) ١٩٥١
الأستاذ برتلز (ايفيكين) ١٩٥٧

اسبانية

الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) ١٩٤٤

ألمانيـــة

〃 هارتمان (مارتين) ١٩١٨
〃 ساخاو (ادوارد) ١٩٣٠
〃 هورو فيتز (يوسف) ١٩٣١
الأستاذ هوميل (فريتز) ١٩٣٦

الأستاذ ميتفوخ (اوجين) ١٩٤٢
» هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨
الأستاذ فيشر (اوغست) ١٩٤٩
» بروكلمان (كارل) ١٩٥٦
» هارتمان (ريشارد) ١٩٦٠
الدكتور ريتر (هلموت) ١٩٧١

إيران

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني ١٩٤١
الأستاذ عباس إقبال

إيطاليـة

» غريفيني (اوجينيو) ١٩٢٥
» كاتياني (ليون) ١٩٢٦
الأستاذ جويدي (اغنازيو) ١٩٣٥
» نالينو (كارلو) ١٩٣٨

البرازيل

الأستاذ سعيد أبو جمرة ١٩٥٤

البرتغال

الأستاذ لوبس (دافيد) ١٩٤٢

بريطانية

» براون (ادوارد) ١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني) ١٩٣٣
الأستاذ مرجليوث (د. س.) ١٩٤٠
» كرنيكو (فريتز) ١٩٥٣
» غليوم (الفريد) ١٩٦٥
» اربري (ا. ج) ١٩٦٩
» جيب (هاملتون ا.ر) ١٩٧١

بولونيـة

الأستاذ كوفالسكي ١٩٤٨

تركيـة

الأستاذ زكي مغامز ١٩٣٢
» أحمد أتش

تشيكوسلوفاكية

الأستاذ موزل (ألوا) ١٩٤٤

الدنيمرك

الأستاذ بوهل (ف.م.ب.) ١٩٣٢
» استروب (ج) ١٩٣٨

السـويد

الأستاذ سترستين (ك.ف.) ١٩٥٣

سويسـرة

الأستاذ مونته (ادوارد) ١٩٢٧
» هس (ح.ح) ١٩٤٩

فرنســة

» باسيه (رينه) ١٩٢٤
» مالنجو ١٩٢٦
» هوار (كليان) ١٩٢٧
» كي (ارتور) ١٩٢٨
» ميشو (بلتّير) ١٩٢٩
» بوفا (لوسيان) ١٩٤٢
الأستاذ فران (جبرائيل) ١٩٥٣
» مارسيه (وليم) ١٩٥٦
» دوسو (رينه) ١٩٥٨
» ماسينيون (لويس) ١٩٦٢
» ماسيه (هنري) ١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس) ١٩٧٣

المجــر

الأستاذغولد صهير (اغناطيوس) ١٩٢١
» ماهلر (ادوارد)

الهنــد

الحكيم محمد أجمل خان

هولندة

الأستاذ غور غوينه (سنوك) ١٩٣٦
» اوراندوك (ك .)
» هوتسما (م . ت) ١٩٤٣
» شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الأميركية

الأستاذ ماكدونالد (د . ب) ١٩٤٣
» هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨
» سارطون (جورج) ١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
إثبات النبوة	أحمد فاروقي سرهندي	استانبول	١٩٧٤
حجة الله على العالمين	يوسف النبهاني	»	»
خلاصة الكلام في بيان أمـراء البلد الحرام	أحمد بن زيني دحلان	»	»
الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية	سليمان النجدي	»	١٩٧٥
علماء المسلمين والوهابيون	محمـود المفتي	»	١٩٧٢
المتنبي القادياني (نبذة من أحواله)	» »	»	١٩٧٤
مفتاح الفلاح	سليمان اسلامبولي	»	١٩٧٤
المنتخبات من المكتوبات	حسين استانبولي	»	»
المنحة الوهبية في رد الوهابية	حسين استانبولي	»	»
آثار آل الوتري العلمية	الدكتور منير محمود الوتري	»	»
التعليم في الصين	د. مولود كامل عبد	بغداد	»
توضيح أصول قواعد الشفع في نشر علم القراءات السبع	تحقيق عبد المجيد الخطيب	بغداد	١٩٧٤
جراحات قلب	طارق الطاهري	»	١٩٧٣
الدرس النحوي في بغداد	د مهدي المخزومي	»	١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
الدورة التدريبية الثانية للعاملين	بديع القاسم-عدنان رزوقي	»	»
في وحدات التخطيط التربوي	لطفي أحمد - مآرب جواد	بغداد	١٩٧٤
القانون	منير محمود الوتري	»	»
أربعون عاماً في الحياة العربية والدولية	أحمد الشقيري	بيروت	١٩٦٩
أسرار الخلقة وإبداعها	د. إحسان حقي	»	١٩٦٨
أفريقيا الحرة بلاد الأمل والرخاء	» »	»	١٩٦٢
باكستان ماضيها وحاضرها	» »	»	١٩٧٣
تونس العربية	» »	»	١٩٦٩
حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء	أحمد الشقيري	»	١٩٧٢
العرب والقوات الأجنبية	محمد سعيد مسعود	»	١٩٦٩
على طريق الهزيمة	أحمد الشقيري	»	١٩٧٢
مسلم الغد	د. إحسان حقي	»	١٦٦٩
معارك العرب	أحمد الشقيري	»	١٩٧٥
المغرب العربي	د. إحسان حقي	»	١٩٦٩
من القمة إلى الهزيمة	أحمد الشقيري	»	١٩٧١
منوسمرتي كتاب الهندوس المقدس	د. إحسان حقي	»	١٩٦٨
الهزيمة الكبرى «جزءان»	أحمد الشقيري	»	١٩٧٣
فضائل الأنام من رسائل حجة الإسلام الغزالي	ترجمها عن الفارسية د. نور الدين آل علي	تونس	١٩٧٢
الإسلام أو الشيوعية	د. إحسان حقي	جدة	١٩٧٠
مأساة كشمير المسلمة	» »	»	»

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
اللغة العربية ومقوماتها بالجزائر	محمد الطاهر فضلاء	الجزائر ١٩٧٤
ديوان الفيض	فيض الحسن	حيدرآباد ١٣٣٤ هـ
فنون الأفنان في عيون علوم القرآن	ابن الجوزي . تحقيق أحمد الشرقاوي إقبال	الدار البيضاء ١٩٧٠
أبو العلاء المعري ولوقيانوس السميساطي	إلياس سعد غالي	دمشق ١٩٧٥
تالي كتاب وفيات الأعيان	فضل الله الصقاعي	» ١٩٧٤
تقرير عن حالة الأمن العام	قيادة قوى الأمن الداخلي	» ١٩٧٤
الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث	محمد عزة دروزة	» ١٩٧٥
المجموعة الإحصائية	جامعة دمشق	» »
المرسوم التشريعي رقم ٥٨ والنظام الداخلي لاتحاد الصحفيين	اتحاد الصحفيين	» »
مصرف سورية المركزي (النشرة الربعية) .	دائرة الدراسات والمراجع	» »
مواقف مع الصحافة العربية	ياسر الفهد	» »
توثيق مقالات مجلة العرب	المكتبة والوثائق في دارة الملك عبد العزيز	الرياض ١٩٧٤
الأسئلة والأجوبة	أبو الريحان البيروني	طهران ١٣٣٤هـ
تاريخ اليمن في الدولة الرسولية	حققه هيكويشي ياجيما	طوكيو ١٩٧٤
تعليق على نقد كتاب الفسر	د. صفاء خلوصي	القاهرة ١٩٧٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
مشروع ريادي لتطوير تدريس العلوم البيولوجية في المرحلة الثانوية	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٧٤
نشرة الإعلام	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	» ١٩٧٥
التربية والتعليم في الإسلام	سعيد الديوه جي	الموصل »
تقاليد الزواج في الموصل	» »	» »
التربية الإسلامية ومصادرها العربية	عبد الرحيم محمد علي	النجف ١٩٧٥
شرح أبيات سيبويه	أبو جعفر النحاس . تحقيق زهير غازي زاهد	» ١٩٧٤
الكاظمي في ذكراه الأربعين	عبد الرحيم محمد علي	» ١٩٧٥
مؤيد الدين بن العلقمي وأسرار سقوط الدولة العباسية	محمد الشيخ حسين الساعدي	» ١٩٧٢

الأخطاء المطبعية في المجلد الحادي والخمسين — الجزء الأول

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٩	١٨	بحُمْرة	٦٥	١٥	ذلك
١٦	٢	أَن	٨٥	١٤	رثاء
١٨	٤	هندباءُ	٩١	٧	السماوات
٢٨	١٨	كَدْخُدا	١٠٥	١٥	ظهرته وظاهرته
٣٤	٧	سآلة	١١٤	٥	موسوم
٤٤	٧	تمّ	١٢٨	١٩	مراجع
٥٦	١٦	اكتفى	١٣١	٩	المطوى
٥٩	٧	بهذا	١٣٣	٣	إذا ورد
٦٥	١٣	ألى	١٣٩	٥	حيثُ
٦٥	١٤	ذانك	١٦٣	١٣	خَصرهُ

تصويبات لأخطاء في الأعداد السابقة — في المجلد الخمسين

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٦١٨	٧	رقم ١ ، ص٦٢٢	٦٢٢	٢٢	الكَرَجي
٦٢٢	١١	رقم ١ ، ص٦١٨	٦٢٤	٥	رودلف زلهايم
٦٢٢	٢١	الكَرَجي			جامعة فرانكفورت-ألمانيا الغربية

فهرس الجزء الأول من المجلد الحادي والخمسين

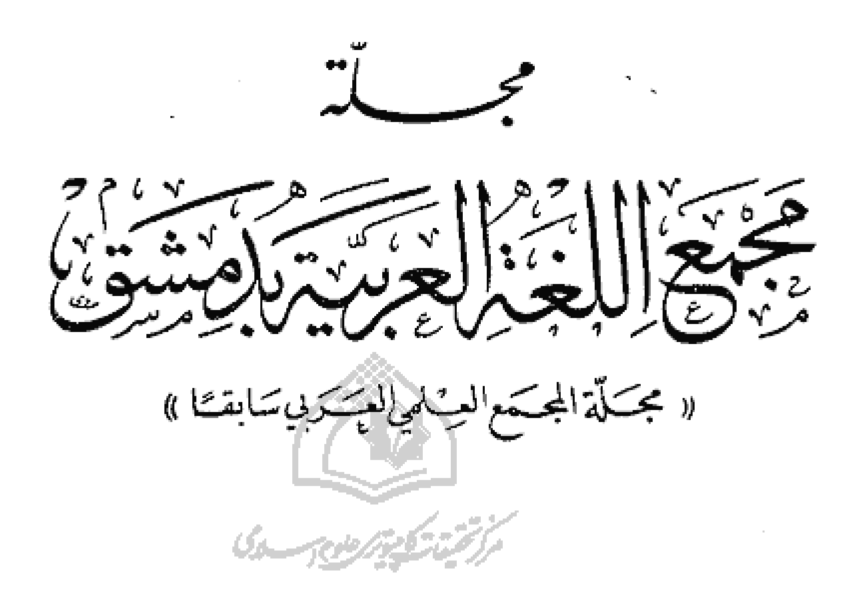
المقـــالات

التعريف والنقـــد

الآراء والأنبـــاء



١٢٩٣
١٨٧٦
١٣٩٦هـ
١٩٧٦م





ربيع الآخر سنة ١٣٩٦ هـ
نيسان « إبريل » سنة ١٩٧٦ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إنصاف

الأستاذ شفيق جبري

رحم الله الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أوسع رحمة ، كان في بعض الأحيان شديداً في حكمه على الرجال ، ولست أقصد بقولي هذا أنه كان متحاملاً وإنما كان ينظر إلى الأمور من جهة واحدة ويهمل النظر إليها من جهتها الثانية ، وقد تكون الأمور التي ينظر إليها من جهة واحدة تشتمل على بعض السوء ، والأمور التي لا ينظر إليها من الجهة الثانية تشتمل على بعض الحسن ، وإذا وازنّا بين النظرتين تبيّن لنا أن الحسن قد يزيد على السوء حتى يكاد يمحوه .

في كتابه الخالد : (أمراء البيان) فصل عن ابن العميد ، لا يهمنا في هذا المقال رأيه في الذين توسعوا في تصوير سيرة ابن العميد وبالغوا في أدبه وأكثروا ولا تهمنا الأسباب التي يراها الأستاذ الرئيس أنها زادت في شهرته ، وقد يكون حكمه في هذا الباب معتدلاً ، أما حكمه على سيف الدولة وعلى شاعره المتنبي فقد كان يحتاج إلى بعض الاعتدال ، فقد جاء في خلال كلامه على ابن العميد مقطع أوحى إلينا هذا المقال ، وهذا هو المقطع :

« وبعد الذي رأينا من مبالغات الشعراء في كل عصر ملنا إلى التوقف في الحكم على الرجال بالمدح أو بالقدح الذي قيل فيهم ؛ شهدنا شعراء مدحوا

رجالاً وهجوهم في آنٍ واحد ، فأيّ أقوالهم نصدّق ؟ هذا سيف الدولة ابن حمدان قد خلع عليه المتنبي من الأماديح ثياباً فضفاضة فخلد ذكره في العالمين ، ولو بحثنا في سيرة سيف الدولة ما زدنا في تعريفه على ما نصف به ملكاً جائراً مستبداً ، يستحلّ أكل أموال الناس بالباطل ، ويخرب البلاد لينفق مايسلب في أبهته ويفرط في الإفضال على مادحيه وبذخه . وإذا تأملنا هجوه كافوراً الإخشيدي بعد أن مدحه ورفعه نسجل له أنه ظلمه كثيراً فإن سيرته كانت أزكى من سيرة سيف الدولة ، والملك به يصلح أكثر مما يصلح بابن حمدان وأمثال ابن حمدان من ظَلَمة الملوك والأمراء ، وهكذا يقال في أكثر ما نسجه الشعراء من أماديح العظماء والأمراء ، فلما قصروا في العطاء تراجع الشعر وذهبت بهجته » .

لا ريب في أن الشعراء يبالغون في تصويرهم وهذه المبالغة قد تكون في بعض الحالات من خصائص الشعر ، فإذا قال الشاعر في فلان إنه جواد كانت صورته إلى النثر أقرب منها إلى الشعر فلابدّ للشاعر من أن يصور الجود في صورة شعرية تكاد العين تراها وتكاد الأذن تسمع صداها وتكاد النفس تحسّ بقوتها ، وقد يكون للمبالغة حدّ يجب أن تقف عنده فإذا زاد هذا الحدّ ضعف تأثير المبالغة ، ولذلك مدحوا الأمم ذات الخيال المصقول كاليونان في القديم . ومبالغة المتنبي في أماديح سيف الدولة قد تخرج في بعض الأحيان عن الحدّ ، ولكنها قد تكون في بعض الحالات معتدلة لا اعتراض عليها ، والأبيات المعتدلة كثيرة في هذه الأماديح لا حاجة بنا إلى الاستشهاد بها . إني لا أرمي في هذا المقال إلى الكلام على شعر المتنبي وإنما أرمي فيه إلى إنصاف المتنبي وإنصاف ممدوحه سيف الدولة .

لقد مدح المتنبي سيف الدولة ولكنه مدح أيضاً حروبه وهذه الحروب لم تخلد سيف الدولة وحده وإنما خلدت العرب بأجمعهم ، فإذا بالغ المتنبي في وصفها ووصف صاحبها فلم يكن في مبالغته شيء من الضرر. على أن في وصف معارك سيف الدولة شيئاً آخر يهم رجال الحرب في عصرنا فإن كتب التاريخ قد يجوز أنها تكلمت على حروب سيف الدولة وأهملت الكلام على أساليبه في تلك الحروب ، وفضل المتنبي واضح في هذا المعنى ، فقد صوّر تلك الأساليب تصويراً يستطيع رجال الحرب في عصرنا أن يدركوا أسرارها وأن يقابلوا بينها وبين أساليب الحروب في هذه الأيام ، فلم يخطىء ابن الأثير لما قال في المتنبي : « إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى يُظن أن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا ، فطريقه في ذلك يضل بسالكه ، ويقوم بعذر تاركه ، ولاشك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أدّاه عيانه » .

لقد مثل أبو الطيب في وصف المعارك جهة من جهات عصر سيف الدولة فكأن شعره في هذا الوصف مرآة مصقولة تعكس تلك الجهة ، فقد حفظ لنا المتنبي لوحاً ناطقاً يفصح عما رسم عليه من غزوات سيف الدولة وغاراته ، فلم يغادر أمراً من أمور تلك الحروب إلا وضّحه حتى تجلت لنا مهابة سيف الدولة في العيون ومقادير فضله في دفع الروم عن ديار الشام ، ومهما يصف رجال التاريخ هذه الغزوات والغارات فلا يستطيع وصفهم أن ينطق بما نطق به شعر المتنبي المشتمل على صور شتى ، فإننا لانشاء أن نعرف شيئاً عن جيش سيف الدولة وعن سفنه وعن مخافة الروم منه وعن

شدة غزواته وعن صباغها القومي وصباغها الديني وعن تحريق منازل الروم وتخريب ديارهم إلاّ عرفناه .

فإذا نظرنا إلى مبالغة المتنبي من جهة الاشتطاط فلا يجوز لنا أن نهمل النظر إليها من جهتها الحسنة التي تغطي على كل اشتطاط .

وكما لم يخل المتنبي من حكم الأستاذ الرئيس الذي كان شديداً فكذلك لم يخل سيف الدولة نفسه من هذا الحكم ، فقد يجوز أن سيف الدولة كان جائراً ، مستبداً ، قد استحلّ أكل أموال النـــاس بالباطل وأفرط في الإفضال على مادحيه وبذخه ، كل هذا قد يجوز أن بعض رجال التاريخ قد تعرضوا له في تاريخهم ، ولكن على الرغم من هذا الجور وهذا الاستبداد وهذا الأكل للأموال بالباطل أفلا يحق لنا أن ننظر إلى الذي فعله سيف الدولة ؟ ولا يحتاج هذا الفعل إلى كلام طويل ، حسبنا أن نعرف أن سيف الدولة قد وقف في وجه الروم وحال دون زحفهم إلى بلادنا ، فلو تمّ لهم هذا الزحف أفكانوا يعفّون عن تخريب البلاد وعن أكل أموال الناس بالباطل ، أفمـــا كان تخريبهم لو تمّ لهم ذلك الزحف أعظم من تخريب سيف الدولة ، أفما كان أكلهم لأموال الناس أعظم من أكل سيف الدولة!؟ معاذ الله أن نرى في أعمال سيف الدولة ، إذا صحّت هذه الأعمال ، وجهاً من الحق ، ولكن يجب علينا أن ننظر إلى سيف الدولة من ناحيته المشرقة كما نظرنا إليه من ناحيته المظلمة فإذا فعلنا ذلك تبيّن لنـا أن الإشراق يغطي على كل ظلمة ، إذا فعلنا ذلك تبين لنا أننا قد أنصفنا سيف الدولة فلم نحكم عليه من جهة واحدة ، وهي الجهة السوداء ، دون أن نعترف بجهته البيضاء .

لنرجع الآن إلى هجاء المتنبي لـكافور الاخشيدي ، إننا لا ننفي

عن كافور الصفات الحسنة التي يراها الأستاذ الرئيس فيه ولكنّا نبحث عن السبب في هذا الهجاء فقد أساء كافور إلى أبي الطيب من أول اتصاله به ، فقد أظهر له التهمة أول يوم . ولم يسمح له بأن ينشده وهو قاعد ، ولم يسمح له بأن يجلس في مجلسه ، ووعده أن يوليه فأخلف الميعاد ، وفي خاتمة الأمر نوى أن يقتله ، أفنريد من المتنبي أن يكون متصلاً بأفق الملائكة حتى يعفّ عن هذه الأمور كلها ، وهو من هو ، رجلٌ كله عصب هائج مائج !.

إني أكتفي بهذا القدر من الكلام على إنصاف سيف الدولة وشاعره راجياً ألاّ يكون في هذا الكلام انحراف عن الحق ، ورحم الله مرّة ثانية الأستاذ الرئيس محمد كرد علي الذي هيأ لنا فرصة لتقليب النظر في كتابه الخالد : أمراء البيان .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٠ -

الدكتور حسني سبح

10412 plaie par arme à feu, le projectile demeurant inclus dans le corps

١٠٤١٢ جُرْح بِسلاح ناري ، القذيفة منطمرة في الجسد

وأفضل جُرْح بِسلاح ناري مع بقاء المَرْمي في البدن

10414 plaie contuse, par instruments contondants

١٠٤١٤ جُرْح رَضّي بآلات راضِخَة أو راضّة

وأرجح جُرْح رضّي بآلات راضِحة (بالحاء) أو راضّة ، أو آلات أو أسلحة كالّة ، كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة .

10415 plaie cutanée, par frottement

١٠٤١٥ جُرْح جِلْدي بالاحتكاك

وأرجح خَدْش جِلْدي بالحك أو بالفَرْك

10417 plaie, blessure par écrasement

١٠٤١٧ جُـــرْح أو جَرِيحة بالهَرْس

جَرْح بالهرْس أو بالسَحْق

10419 plaie par instrument tranchant, coupure

١٠٤١٩ جُرْح بآلة قاطِعة ، شجَّة

وأرجح جُرْح بآلة جارحة ، قَطَع(١) وشَق ، كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10420 plaie par morsure, morsure ١٠٤٢٠ جُرْح عَضِّي ، عَضَّة

وأفضل جُرْح بالعَض ، عَضّة ، لَدْغة ، لَسْعة

10422 plaie en séton ١٠٤٢٢ جُرْحٌ ذو خِلال

وأرجح جُرْح على هيئة الخِلال ، إذ المقصود أن يكون الجُرح ثاقباً أو خارقاً من الجانب الواحد إلى الآخر ، كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي(٣)

10426 plan visuel ١٠٤٢٦ سَطْحٌ نَظَري

وأفضل سَطْح النَظَر والإبْصار

10432 plaque ١٠٤٣٢ صَفْحة ، لَوْحة

---

(١) في لسان العرب : والشَّجَّة الجُرح يكون في الوجه والرأس فلا يكون في غيرهما من الجسم ، وجمعها شِجاج .

(٢) (perforating or transpiercing wound)

(٣) (incised wound, cut, incision)

وبُقْعَة ، ورُقْعة وصَفيحة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10433 plaque de culture, boite de Petri, boite à culture

١٠٤٣٣ صَفْحة زَرْعِيّة ، عُلْبة بتْري عُلْبَة الزَرْع

وصَحْن أو طَبَق بتري وحوجلة الزرع ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10434 plaque d'ébullition de Babo ١٠٤٣٤ لَوْحَة بابو للغليان

ولَوْح التَسْخين للبابو ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

10436 plaque fibreuse ١٠٤٣٦ صَفْحة أو لَوْحَة ليفيّة

وأرجح لَوْحة ليفيّة ، وغطاء النسيج الضام ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٤)

10437 plaque fibreuse du cœur (post-infractoïde)

١٠٤٣٧ صَفْحة أو لَوْحة القَلْب الليفيّة (في عقب الاحتشاء)

وأفضل جُسْأة القلب وتَصَلُّب عَضَلَةِ القلب ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٥)

(١) (patch, plaque, speck, spot, plate)

(٢) (culture plate, Petri dish, culture flask)

(٣) (Babo's heating plate)

(٤) (connective tissue coating)

(٥) (cardiac callosity, sclerosis of the cardiac muscle)

١٠٤٣٨ صَفْحة أو لَوْحة لِيفِينِيَّة 10438 plaque fibrineuse

وأفضل لوحة ليفينية والطلاء الليفيني أو التكثف الليفيني ، كما جاء في الترجمة الإنكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٤٣٩ صَفْحة التأمور اللَّبنية 10439 plaque laiteuse du péricarde

وأفضل لَوحة التأمور اللبَنية والبقعة اللَّبنية على التأمور ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10440 plaque motrice ou terminale motrice (des nerfs musculaires)

١٠٤٤٠ صَفْحة مُحَرِّكة أو صَفْحة انتهائية مُحَرِّكة (للأعصاب العضلية)

وأفضل لَوْحة مُحَرِّكة أو لَوْحة انتهائية مُحَرِّكة (لأعصاب العضل) واللوحة المحركة الانتهائية واللوحة الانتهائية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

10442 plaque neurale ou médullaire

١٠٤٤٢ لَوْحة الوَحْدة العَصَبيّة أو لَوحة نُخاعية

وأرجح لَوْحة عَصَبيّة أو نُخاعية

١٠٤٤٤ لَوْحة جَناحِيَّة 10444 plaque ptérygoïdienne

وتقرح بارو (Parrot) ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٤)

---

(١) (fibrinous coatiug or thickening)

(٢) (milk spot of the pericardium)

(٣) (motor endplate, terminal plate)

(٤) (Parrot's ulceration)

10445 plaquettes sanguines , hématoblastes, globulins , thrombocytes

١٠٤٤٥ لُوَيحات دَمَوية ، صُفَيْحات دَمَوِيّة خلايا الخثرة

وأرجح الصُفَيْحات الدموية ، الأرومات الدموية ، الغلوبينات وخلايا التخثر

10446 plasma

١٠٤٤٦ هَيُولى

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[١] . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة بلازما وجاء في الشرح : الجزء السائل من الدم

10447 plasma musculaire

١٠٤٤٧ هَيُولى عَضَلية

والأفضل بلازما عضلية

10448 plasma normal humain citraté

١٠٤٤٨ هَيُولى نِظامية بَشَرية مُلَيْمتَنة (مُستَتْرَتة)

وأرجح بلازما انسانية طبيعية مع سترات الصوديوم

10449 plasma sanguin

١٠٤٤٩ هَيُولى دَمَوية

وأرجح بلازما دَمَوية

10450 plasmocytes, plasmazellen de Unna

١٠٤٥٠ خَلايا هَيُولِيّة خلايا أونا الهيولية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الخلايا البلازمية ، وجاء في الشرح : نوع من خلايا النسيج الضام ويكثر في الالتهاب المزمن

(١) الصفحة ٣٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

10451 plasticité, capacité de configuration

١٠٤٥١ مُرونة ، لَيان ، سَعَة التكيّف

وأرجح لَدانة ولُدونة وشَكوليّة أو قابلية التشكل والتقوْلب، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10452 plastique

١٠٤٥٢ مُهَيْكِل ، مُصوِّر

وشَكول أو قابل التشكل والتكوّن والتقولب وبلازمي ، كما جاء في معجم ستدمان(٢)

10453 plat, plate

١٠٤٥٣ مُسَطَّح ، مُسْتَوٍ

ومُنبَسِط أيضاً ، كما جاء فى اللفظة ١٠٤٥٥

10454 plateau d'une courbe

١٠٤٥٤ صَرْدُ مُخَطَّط

وأفضل سَطْح الخط البياني ، ولا أرى لفظة صَرْد تفي بالمعنى(٣)

10455 plathelminthes, vers plats

١٠٣٥٥ ديدانٌ مُنْبَسِطة ، ديدانٌ مُسَطَّحة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الشريطيات ، وهي الأفضل

10457 platine chauffante

١٠٤٥٧ صَفْحة أو لَوْحة مُسَخِّنة

وأفضل لوح التسخين أو لوح مُسَخِّن

10458 platine de microscope

١٠٤٥٨ رَفُّ المِجْهَر

---

(١) (plasticity, capability of being formed or moulded).

(٢) لفظة (plastic) في معجم ستدمان الطبي (Stedman's Medical Dictionary).

(٣) في تاج العروس : الصَرْد البَحْت (الخالص من كل شيء) الصَرْد مكانٌ مرتفع من الجبال وهو أبرزها .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مِنَصَّة المِجْهَر[١]

10459 pléiade ganglionnaire de l'aine

١٠٤٥٩ جُمْلة المُقَد الإربيّـــة

وأرجح كَوْكَبة عُقَـد الأُربيَّة (بالضم) والوَرْدِيَّة (أو المسْبَحة الوَرْدِيَّة) الأفرنجيَّة أو السفلسية في الأُربيّة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢]

10460 pleine, pregnante (chez les animaux)

١٠٤٦٠ لاقِح ، شامِذ (في الحَيْوانات)

وأرجح حامِل وحامِلة والجمع حَوامِل ، ولا أرى في لاقِح ولا شامِذ المعنى المطلوب[٣]

---

(١) في تاج العروس : والرَّف شِبْه الطَّاق يُجعل عليه طرائف البيت كالرفوف كما في اللسان، هذا هو الأصل في اللغة وأما الآن فإن الرف في عرفهم ما يجعل في أطراف البيت من داخل زيادة من ألواح الخشب تُسمر بمسامير من الحديد يوضع عليه الطرائف .

نَص يَنصها نصاً أقعدها على المِنَصَّة وهي تنتص عليها لتُرى من بين النساء ونص الشيء أظهره وكل ما أُظهر فقد نُص ، قيل ومنه مِنَصَّة العروس لأنها تظهر عليها .

(٢) (syphilic rosary of the groin) .

(٣) في لسان العرب : والحَمْل بالفتح ما يُحمل في البطن من الأولاد في جميع الحيوان والجمع حِمال وأحمال إلى أن قال امرأة حامِل وحامِلة .

١٠٤٦١ مِقْراع (آلة القَرْع) 10461 plessimètre

والصحيح مِقْياس القَرْع ، لأن ماتعنيه هذه اللفظة كما جاء في معجم كييه الموسوعي[1]، هي صَفيحة من العاج تطبق على أحد أجزاء البدن المراد فحصه ، ويقرع عليها (أي صَفيحة العاج) بِمِطْرَقة صغيرة بغية إجراء القــرع بالواسطة (percussion médiate) . أقول ويصح إطلاق المِقْراع على المطرقة المذكورة .

١٠٤٦٢ إمتِلاء دَمَوي 10462 pléthore

وأرجح إمتلاء ، وامتلاء دموي دوراني

١٠٤٦٤ ذَاتُ الجَنْب ، بَرْسام 10464 pleurésie, pleurite

وأرجح ذات الجنب في اللفظة الأولى والتهاب الجَنَبة في الثانية ، وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة البَرْسام - ذات الجنب بين مصطلحات علم الطب الباطني معرفاً اللفظة : التهاب في الغشاء المحيط بالرئة ، كما أنه أقر بين (مصطلحات في علم الأمراض ومتفرقاتها) الكَشَح وجاء في التعريف : داء يصيب الكَشْح أو هو ذات الجنب .

= واللَقاح للإبل ثم استعير من النساء فيقال لَقَحت إذا حَملت اللّقاح، مصدر قولك لَقِحت الناقة تلقح إذا حَملت فإذا استَبان لقَاحهـا ناقة لاقح وقارح يوم تَحمِل فإذا استبان حملها فهي خَلِفة .

الشَمَذ رفع الذَنَب ، شَمِذت الناقةُ تَشمِذ بالكسر شَمْذا وشِماذا وشُموذا وهي شامِذ والجمع شوامذ. وشَمِذت أي لقحت فشالت بذَنبها لتري اللَقاح بذلك وربما فَعَلت ذلك مَرَحاً ونَشَاطاً .

(١) لفظــة (plessimétse) في (Quillet Dictionnaıre Encyclopédique)

10465 pleurésie des culs - de - sac de la plèvre

١٠٤٦٥ ذاتُ رُتُوج الجَنْب

وأرجح ذات الجَنْب الرتّجية والتهاب رتّجيّ الجَنَبة أو ذات الجنب الجيبية أو إلتهاب جيبي الجَنَبة، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٤٦٦ ذاتُ جَنْب جافّة — 10466 pleurésie sèche

١٠٤٦٧ ذاتُ جَنْب مَصْليّة ليفينيّة — 10467 pleurésie sérofibrineuse

وأرجح ذات الجنب الجافة في الأولى، ذات الجنب المصلية الليفينية في الثانية، وذات الجنب النتْحية وذات الجنب الرّطبة، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

١٠٤٦٧ بِرْسامي — 10467 pleurétique

وأرجح مصاب بذات الجنب أو مَجْنوب، وبذات الجنب

١٠٤٧٦ غِشاء الجَنْب — 10476 plèvre

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة(٣) كما أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أقر التعريب (البلورة) بين مانشره من مصطلحات في علم الأمراض ومتفرقاتها

10477 plèvre cervicale, dôme pleural

١٠٤٧٧ غِشاء جَنْب رَقَبي، قُبّة غِشاء الجنب

---

(١) (pleurisy of the pleural sinus) .

(٢) (serofibrinous, exudative, wet pleurisy) .

(٣) الصفحة ٢٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح الجَنَبة الرَقَبية وقُبَّة الجَنَبة أو قُبَّة جوف الجنب (وهو المقصود هنا)

10487 plexus choroïde, toile choroïdienne

١٠٤٨٧ ضَفيرة مَشيمية ، شِباك مَشيمي

وأفضل الضفيرة المشيمية ، والشَّبكة المشيمية

10490 plexus panpiniforme corps panpiniforme

١٠٤٩٠ ضفيرة عنَمِيَّة ، جِسْم عنَمي (ضفيرة الأوردة المَنَوية)

وما يعنى باللفظة كما جاء في معجم كييه[١] مايشبه غصن الكرم والغصن وما يحمله من ورق وعنقود عنب ، ويعرف بالفرنسية بـ (pampre) وترجمت بالسَّرَعْرَع في معجم الألفاظ الزراعية[٢] كما أن للسَرَع الدلالة ذاتها[٣]

١ لذلك أفضل ترجمة اللفظة بالضَّفيرة السَّرعية الشكل والجسم السَّرَعيّ. هذا مع الإقرار أن ليس للفظتين كلتيهما المعنى المطلوب وليس للفظة العَنَم الدلالة المطلوبة ، ولعلها أبعد من السَّرع والسَّرَعْرَع[٣]

---

(١) لفظة (pampre) في معجم (Quillet, Dictionnaire Encyclopédique) .

(٢) سَرَعرع قضيب الكرم الغض الرطب .

(٣) في لسان العرب : والسَّرع والسِّرع القضيب من الكرم الغض والسوَّعرع القضيب ما دام رطباً غضاً طرياً لسنته وكل قضيب رَطْب سَرْع وسَرَعْرع .

في معجم الألفاظ الزراعية: بنتومة عَنَم(loranthus) loranthe المفردات. جنس نباتات طفيلية من الفصيلة العنمية تمتص نسغ الشجر وهي قريبة من الدبق (gui)=

١٠٤٩٣ ضَفيرة عَجُزِيَّة عُصْعُصِيَّة 10493 plexus sacro - coccygien

والضَفيرَة الحيائية أو الفَرْجِية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٤٩٤ ضَفيرة شَمْسِيَّة 10494 plexus solaire

وكذلك الضّفيرة الجوافية(٢) كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

١٠٤٩٥ ضَفيرَة وَرِيدِيَّة 10495 plexus veinux

والشَّبكة الوريدية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٤)

10496 plexus veinux de conjugaison
١٠٤٩٦ ضفيرة أوردة ما بين الفِقار

وأرجح الضفائر الوَريدية الفِقارية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٥) والضفائر الوريدية للإتصال كما وردت بالفرنسية

= في لسان العرب : العَنَم شجر لين الأغصان لطيفها يشبه به البَنان كأنه بَنان العذارى ، واحدتها عَنَمة وهو مما يستاك به . وجاء في اللسان أيضاً : العَنَم الخيوط التي يتعلق بها الكرم في تعاريشه والواحدة من كل ذلك عَنَمة .

(١) (pudenal plexus) .

(٢) الصفحة ٨٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (celiac plexus) .

(٤) (venuous network) .

(٥) (vertebral venuous plexuses) .

10497 pli de l'aine, pli inguinal

١٠٤٩٧ ثِنْيٌ إرْبي ، ثِنْيى مَغْبِني ، ثُنِيّ رُفْغي

وأرجح ثِنْيى الأُربية (بالضم) وثِنْيى مَغبنى ، مع حذف ثُنْبي رُفْغي[1] ، أو طية الأربية

10498 pli bucco - gingival ١٠٤٩٨ ثِنْيٌ فَوْهي لِثَوي

وأفضل ثِنْيٍ فمي لِثَوي ، دفعاً للالتباس بالنسبة إلى أية فوهة

10501 plis falciformes du gros intestin

١٠٥٠١ أثناء المِعى الغَليظ المِنْجلِيّة

وكذا أثناء المِعى الغَليظ الهِلالية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2]

10504 plomb (acétate basique de) dissous, extrait de Saturne sous - acétate de plomp liquide

١٠٥٠٤ الرَّصاص (خلات) الأساسية المُنحلة خلاصة زُحَل ، تحت خلات الرصاص المائعة

---

(١) في لسان العرب : الرَّفغ والرُّفغ أصول الفَخْذين من باطن، وهما ماا كتنفا أعالي جانبي العانة عِنْد مُلتقى أعالي بواطن الفخذين وأعلى البطن، وهما أيضاً أصول الإبطين . وجاءَ فيه أيضاً: المرافغ أصول اليدين والفخذين ولا واحد لها من لفظها، والأرفاع المغابن من الآباط وأصول الفخذين والحوالب وغيرها من مطاوي الأعضاء وما يجتمع فيه الوَسخ والعرَق، والرُفْغ وَسَخ الظُّفُر وقيل الوَسَخ الذي بين الأنملة والظُّفْر .

(٢) (semilunar, crescerntic folds of the large intestine) .

وكذلك خلاصة غولار وخَلّ الرصاص ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١]

10516 pneumatose intestinale, kyste gazeux de l'intestin

١٠٥١٦ استهْواء مِعَوي ، كِيْس المِعْي الغازي

والصحيح داء الكُيَيْسات المعـوي ، لأنه يمتاز بوجود الكُيَيْسات في جدار المعي تحت الطبقة المصلية أو المخاطية[٢]، وكيسة المعي الغازية

١٠٥١٨ فَتْق رِئوي 10518 pneumocèle

وأرجح قيلة غازيّة أو رئوية

١٠٥١٩ تَغَبُّر الرئة 10519 pneumoconiose

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الغُبارِيَّة - تغبر الرئة ، وجاء في التعريف : اضطراب رئوي مزمن ينتج عن استنشاق الغبار . وأرى الاكتفاء بتغبر الرئة ، كما جاء في ترجمة اللجنة ، لأن لفظة الغُبارية لاتدل على إصابة الرئة بالغبار

١٠٥٢٠ مُكَوَّرات رِئوية 10520 pneumocoque

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مكورات الرئة : مكورات الرئة نيموكوك ، وأفضل المكورة الرئوية وحدها بصيغة المفرد ، وهي عامل ذات الرئة الفصية وقد تحدث

(١) (Goulard's extract, vinegar of lead).

(٢) لفظة (pneumatosis) في معجم درلان المذكور .

التهاباً في مواضع أخرى كالسحايا مثلاً فهي ليست خاصة بالرئة

10525 pneumonie caséeuse, phtisie aiguë pneumonique

١٠٥٢٥ ذاتُ الرئة الجُبْنية ، سُحاف رِئوي حاد

وأرجح ذات الرئة المتجبنة ، وسل الرئة الحاد

10529 pneumonie graisseuse, stéatose plumonaire

١٠٥٢٩ ذاتُ رِئة شحْمية ، انشِحام الرِئة

وأفضل ذات الرئة الشحْمية أو التهاب الرئة الشحْمي والشُحام الرِئوي أو تنكس الرئة الشحمي

10530 pneumonie infectieuse du cheval

١٠٥٣٠ ذات رِئة خمَجية في الخيل

وذات الرئة السارية في الخيل وذات الجنب والرئة في الخيل ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10535 Pneumopéricarde, pueumatose péricardique

١٠٥٣٥ ريح التأمور ، إستهواء تأموري

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : استرواح التأمور

10540 pneumothorax extrapleural

١٠٥٤٠ استرواح صدْري خارج الجنب

وأفضل استرواح الصدر خارج الجنبة(٢)

---

(١) (pleuropneumonie of horses) .

(٢) الصفحة ٢٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

10541 pneumothorax instable ١٠٥٤١ إسترواح صَدْري جَشِيع
وأرجح استرواح الصَدْر غَيْر المستقر

10542 pneumothorax spontané ١٠٥٤٢ استرواح صَدْري عَفْوي
وأفضل استرواح الصدر التلقائي

10543 pneumo-ventricule ١٠٥٤٣ رِيحٌ بُطَيْنية
وأرجح استرواح البُطَيْنيات ، لأن الأمـــر عائد إلى بطينات الدماغ

10545 poche des eaux ١٠٥٤٥ حِوَلاء (جيب المياه)
وكذلك حُولاء بضم الحاء ، والسابياء وغيرها مما يستدعي الاتفاق على تخصيص الألفاظ ، وربما دلت لفظة السِقي على المعنى المطلوب أيضاً[١]

10547 poche de Rathke ١٠٥٤٧ جَيْب رَتْك
والصحيح جَيْب رَتْكه كما يلفظ باللغة الألمانية

10552 poids, (d'un) insuffisant
١٠٥٥٢ بِوَزنٍ غيرِ كافٍ ، بثقل غير كافٍ
وأفضل بوزن ناقِص

10553 poids atomique ١٠٥٥٣ وَزْنٌ جَوْهَري
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الوزن الذَرّي[٢] وصرف

(١) في لســان العرب : والسِقي جلدة فيها ماء أصفر تنشق عن رأس الولد عند خروجه .

(٢) سبقت الإشارة إلى هذه اللفظة في الصفحة ٢٩٥ من المجلد ٣٦

الذرة : هي أصغر جزء في عنصر ما يصح أن يدخل في التفاعلات الكيميائية

١٠٥٥٥ أوزان طبيَّة — 10555 poids médicinaux

والصحيح أوزان دَوائية كما جاء في معجم لاروس (١) والأوزان الصيدلانية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

١٠٥٥٨ وَزْنٌ نَوْعي — 10558 poids spécifique

وأفضل ثِقَل نَوْعي

١٠٥٦٠ تَشَوُّه الكريات — 10560 Poïkilocytose

والصحيح كثرة الكريوات الحمر المتبدلة أو المتغيرة ، وازدياد الكريوات الحمر المتبدلة في الدم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

١٠٥٦١ متغير الحرارة — 10561 Poïkilotherme

وأفضل الحيوان المتغير الحرارة بالتخصيص

١٠٤٦٣ شَعْر (نُسُج) — 10563 Poil (hist.)

(١١) مخ الشعرة — (11) moelle du poil

وأفضل نخاع الشَعْر أو الشَعْرة

للبحث صلة

---

(١) لفظة (medicinal) في معجم لاروس (Larousse) .

(٢) (apothecaries weight) .

(٣) (poikilocytemia) .

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمّد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحّام

ج ـ مخطوطات الدلائل

إن ما اطلعنا عليه من مخطوطات الدلائل في خزائن الكتب ثلاث مخطوطات : مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ، ومخطوطة الرباط بالمغرب ، ومخطوطة استانبول . وكلها قد فقد منها قسمها الأول ، والأمل المرجو أن تكشف لنا الأيام عن مخطوطات أخرى ما تزال خبيئة في بعض الخزائن ، نكمل بها ما فقد ، ونتمّ ما نقص ، لنعيد الكتاب إلى صورته الأولى التي أبرزه بها مؤلفه الأول القاسم بن ثابت السرقسطي .

١

مخطوطة الظاهرية بدمشق ـ تقع مخطوطة الظاهرية في ١٨٠ ورقة من الرق (١) ، تسبقها ورقة من الرق نفسه ، أثبت في ظهرها ،

---

(١) رقمت أوراق الكتاب في زواياها العليا اليسرى حديثاً بقلم الرصاص .

بخط مشرقي قديم ، فهرس بأسماء الصحابة والتابعين الذين سرد المؤلف أحاديثهم في المخطوطة . أما وجه الورقة فقد كتب فيه بخط حديث ، وبحبر أسود : « هذا الكتاب يعرف بالدلائل لقاسم بن ثابت » وتحته بخط حديث ، وبحبر أحمر : « كتبه عبد العزيز الميمني بخطه سنة ١٩٣٦ » ، وفي أسفل الصفحة بخط أسود مغاير للخط السابق : « ملك الفقير عبد الكريم بن عمارة » . وجاء في الورقة الخارجية الرقيقة التي أضيفت إلى الكتاب حين حفظ في المكتبة الظاهرية ، رقما المخطوطة في الظاهرية : « لغة رقم ٤١ ، عام ١٥٧٩ » ، وتعليق لأحد القراء نصه : « فائدة — من شيوخ شيوخ المصنف الذين يكثر عنهم : عليّ ، وهو ابن شعيب بن عدي السمسار (١) ، وهو ثقة » ، وإشارة إلى رقم الورقة التي تبدأ بها أحاديث التابعين في المخطوطة : « ١٠٤/١ حديث التابعين ».

ونقرأ في وجه الورقة الأولى من المخطوطة بخط أندلسي جميل :

« السفر الثاني من كتاب غريب حديث رسول الله ﷺ ، والصحابة والتابعين رحمهم الله ، وما جاء في ذلك من اللغات والأمثال والمصادر والشاهد .

---

(١) هو أبو الحسن علي بن شعيب بن عدي بن همام السمسار البغدادي ، روى عنه النسائي . توفي سنة ٢٥٣ هـ . (تاريخ بغداد ١١ : ٤٣٥ - ٤٣٦ ، تذكرة الحفاظ : ٥٤٨ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٣٣١ - ٣٣٢)

تأليف : القاسم بن ثابت بن عبد الرحمن (١) العوفي السرقسطي (٢) رحمه الله » .

وتحته : « لمحمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن شـهبون (٣) بن قاسم التميمي نفعه الله به » ، وبعده بخطٍ مغـاير رديء كتب كلمـة « عمرية » مرتين ، ثم ضرب على اليسرى منها . يلي ذلك بخط المخطوطة الأندلسي : « لأبي الفتح البستي (٤) :

يقولون : كم تشقى بدرسٍ تديمه وتمعن فيه دائباً كل إمعانِ
فقلت : ذروني ، إنما أنا كادحٌ لأكمل ذاتي أو لأجبر نقصا[ني]
إذا لم يكن نقصان عمري زيادةً لعلمي ، فإني والبهيمة سِيَّانِ » (٥)

---

(١) عبد الرحمن : هو جد ثابت بن حزم بن عبد الرحمن . وقد أضاف أحد قراء المخطوطة من أهل العصر بقلم الرصاص كلمة (حزم بن) بعد (ثابت بن) كما أضاف بقلمه نفسه تحت اسم مالك المخطوطة ، محمد بن عبد الملك : (القاسم ابن ثابت : ٢٥٥ - ٣٠٢ هـ) .

(٢) أثبت فوقها كلمة : « صح » .

(٣) غمت الكلمة عليّ ، فقد طمس جزؤها الأول طمساً يكاد يكون تاما . ورجحت هذه القراءة ، يليها قراءتان هما : شبون ، ونسبون .

(٤) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي ، شاعر عصره وكاتبه ، وصاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس ، ارتفعت مكانته عند سبكتكين ، وابنه محمود الغزنوي . توفي عام ٤٠٠ هـ (انظر مصادر ترجمته في حاشية وفيات الأعيان ٣ : ٣٧٦ ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، وفي الأعلام للزركلي ٥ : ١٤٤) .

(٥) طبع ديوان البستي في مطبعة جمعية الفنون ببيروت سنة ١٢٩٤ هـ ، بتصحيح =

ثم يأتي بعده ، وبالخط الأندلسي نفسه :

« أعلى إسناد في البخاري ، وأقربه عن النبي ﷺ[1] :

البخاري عن مكي بن إبراهيم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع عن النبي ﷺ .

والبخاري عن أبي عاصم النبيل عن يزيد أيضاً عن سلمة عن النبي ﷺ .

والبخاري عن محمد بن عبد الله الأنصاري عن حميد عن أنس عن النبي ﷺ .

والبخاري عن خلاد بن يحيى عن عيسى بن طهمان عن أنس عن النبي ﷺ .

والبخاري عن عصام بن خالد عن حريز بن عثمان عن عبد الله بن

= إبراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي ، فجاء في ٨٥ صفحة . وورد اسم الشاعر في عنوان الديوان : أبا الفتح علي بن الحسين بن عبد العزيز البستي ، باسقاط اسم ابيه محمد ، أما في خطبة الديوان فقد ذكر اسم الشاعر واسم ابيه : علي بن محمد (ص : ٢) . ولم ترد الأبيات الثلاثة في الديوان المطبوع .

(١) تعرف هذه الأحاديث بثلاثيات البخاري، والمراد بها ما اتصل إلى رسول الله صلى الله وسلم من الحديث بثلاثة رواة . وتنحصر الثلاثيات في صحيح البخاري في اثنين وعشرين حديثاً ، جمعها الحافظ ابن حجر وغيره ، وشرحها غير واحد (كشف الظنون ١ : ٥٢٢ ، الرسالة المستطرفة : ٩٧ ، بروكلمان ٣ : ١٧٧ - ١٧٨ ، تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ١ : ٣٣٧ - ٣٣٨ ، مجلة دعوة الحق ٥/١٧ : ٤٢ - ٤٣)

بسر عن النبي ﷺ ، (١) .

(١) مكي بن إبراهيم . توفي سنة ٢١٥ هـ (تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٩٣ - ٢٩٥) .

- أبو خالد يزيد بن أبي عبيد الحجازي ، توفي سنة ١٤٧ هـ (تهذيب التهذيب ١١ : ٣٤٩)

- سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي . توفي سنة ٧٤ هـ (تهذيب التهذيب ٤ : ١٥٠ - ١٥٢ ، الاصابة ٣ : ١١٨)

- أبو عاصم النبيل هو الضحاك بن مخلد الشيباني البصري . توفي سنة ٢١٤ هـ (تهذيب التهذيب ٤ : ٤٥٠ - ٤٥٣)

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري البصري القاضي . توفي سنة ٢١٤ هـ (تهذيب التهذيب ٩ : ٢٧٤ - ٢٧٦)

- أبو عبيدة حميد الطويل . توفي سنة ١٤٣ هـ (تهذيب التهذيب ٣ : ٣٨ - ٤٠)

- أبو حمزة أنس بن مالك الانصاري المدني نزيل البصرة . توفي سنة ٩٣ هـ (تهذيب التهذيب ١ : ٣٧٦ - ٣٧٩)

- ابو محمد خلاد بن يحيى السلمي الكوفي ، سكن مكة . توفي سنة ٢١٣ هـ (تهذيب التهذيب ٣ : ١٧٤ - ١٧٥)

- أبو بكر عيسى بن طهمان البصري . سكن الكوفة . توفي قبل سنة ١٦٠ هـ (تهذيب التهذيب ٨ : ٢١٥ - ٢١٦)

- أبو إسحاق عصام بن خالد الحضرمي الحمصي . توفي سنة ٢١٤ هـ (تهذيب التهذيب ٧ : ١٩٤ - ١٩٥)

- حريز بن عثمان الرحبي الحمصي . توفي سنة ١٦٣ هـ (تهذيب التهذيب ٢ : ٢٣٧ - ٢٤١)

- أبو بسر عبد الله بن بسر المازني القيسي . سكن حمص . توفي سنة ٨٨ هـ (تهذيب التهذيب ٥ : ١٥٨ - ١٥٩)

وجاء في أعلى الصفحة بخط مشرقي قديم : « وقفه والأول قبله الفقير إلى عفو الله تعالى ورحمته ، علي بن سالم بن سلمان الحصني ، رحمه الله تعالى ، على جميع المسلمين ، وجعله مع كتبه مقروراً بالمدرسة الضيائية بسفح قاسيون ، ظاهر [دمشق] ، (فمن بدله بعد ما سمعه ، فإنما إثمه على الذين يبدلونه ، إن الله سميع عليم)[1] . وفي أسفل الصفحة بالخط المشرقي نفسه : « وقف علي بن سالم الحصني رحمه الله و ع [ـفا عنه] . وفي حاشية الصفحة ذات اليسار بالخط نفسه صاعداً إلى أعلى الورقة : « وقف علي بن سالم بن سلمان الحصني بن الفريابى[2] رحمه الله تعالى » . ثم أثبت في الحاشية نفسها بخط حديث توقيع الأستاذ عز الدين التنوخي ورقم الكتاب في المكتبة الظاهرية : ١٥٧٩ ، ووسمت الصفحة بخاتمين : كان نقش أولهما : « المكتبة العمومية بدمشق الشام ، ١٢٩٧ »[3] ، وكان نقش الثاني : « دار الكتب الظاهرية الأهلية بدمشق »[4] .

ويبدأ المخطوط في ظهر الورقة الأولى :

---

(١) سورة البقرة ، آ : ١٨١

(٢) الكلمة غير منقوطة ، وقد رجحنا هذه القراءة .

(٣) وسم بهذا الخاتم أيضاً وجها الورقتين : ٨٨ ، ١٨٠

(٤) وسم بهذا الخاتم ايضاً ظهر الورقة ٥ ، والأهلية : تعني بلغة العصر : الوطنية أو القومية (جميع الأهلين) ، وقد أصبح نقش خاتم المكتبة الجديد : « دار الكتب الوطنية الظاهرية — دمشق » .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وعلى أهله .

حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال القاسم بن ثابت : في حديث علي رضي الله عنه أنه قال في الأضاحي : « لا يضرُّ الشاة ما كان من شَطْرٍ ، أو شقٍّ بأُذنها ، أو صَمَعٍ » .

حدثناه عبد الله بن علي قال : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا عمرو بن خالد قال : حدثنا ابن لهيعة عن عقيل أنه سمع ابن شهاب يخبر عن عطاء بن أبي رباح عن علي بن أبي طالب(١) ، وذكر الحديث .

---

(١) أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري . له كتاب المنتقى ، والجرح والتعديل ، والاسماء والكنى ، والآحاد في أسماء الصحابة . توفي سنة ٣٠٧ هـ (تذكرة الحفاظ ٣ : ٧٩٤ — ٧٩٥ ، فهرست ابن خير : ١٢٢ — ١٢٣ ، ٢١١ — ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥) ، سمع منه القاسم بن ثابت وأبوه بمكة (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥١٦)

— أبو عبد الله محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري الحافظ ، له كتاب علل حديث الزهري . توفي سنة ٢٥٨ هـ (تهذيب التهذيب ٩ : ٥١١ — ٥١٦ ، العبر للذهبي ٢ : ١٧ ، فهرست ابن خير : ٢٠٣)

— أبو الحسن عمرو بن خالد بن فروخ التميمي الحنظلي ، نزيل مصر ، توفي بها سنة ٢٢٩ هـ (تهذيب التهذيب ٨ : ٢٥ — ٢٦)

— أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمي الحافظ ، لم يكن بمصر مثله في كثرة حديثه ، وضبطه ، واتقانه . توفي سنة ١٧٤ هـ (تهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ — ٣٧٩ ، العبر للذهبي ١: ٢٦٤ — ٢٦٥) =

قال أبو زيد(١) : إذا يبس أحـــد خلفيها فهي شطور ، وقال غيره : شاةٌ شطور ، وقد شطُرت ِشطارا . وهو أن يكون أحد ُطبيها أطول من الآخر . وإن حلبا جميعا ، والخلقةُ كذلك(٢) ،

= — أبو خالد عقيل (بضم العين) بن خالد . مات بمصر سنة ١٤١ هـ (تهذيب التهذيب ٧ : ٢٥٥ — ٢٥٦)

— أبو بكر محمد بن مسلم : ابن شهاب الزهري القرشي الحافظ المدني ، وعالم الحجاز والشام ، توفي سنة ١٢٤ هـ (تهذيب التهذيب ٩ : ٤٤٥ — ٤٥١ ، وانظر مراجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٧ : ٣١٧)

— أبو محمد عطاء بن أبي رباح المكي ، فقيه الحجاز ، مات سنة ١١٤ هـ (تهذيب التهذيب ٧ : ١٩٩ — ٢٠٣ ، العبر ١ : ١٤١ — ١٤٢)

(١) هو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري من ائمة اللغة والنحو ، توفي عام ٢١٥ هـ (انظر مراجع ترجمته في حاشية وفيات الأعيان ٢ : ٣٧٨ - تحقيق الدكتور احسان عباس ، وحاشية انباه الرواة ٢ : ٣٠ ، والاعلام للزركلي ٣ : ١٤٤ ، ومعجم المؤلفين ٤ : ٢٢٠ ، وانظر فهرست ابن خير : ٣٧٠ — ٣٧١)

(٢) اثبت في المخطوطة فوق كل من كلمتي : « والخلقة كذلك » رأس صاد . قال الإمام أبو عمرو عثمان ابن الصلاح في كتابه : علوم الحديث (ص : ١٧٤ — ١٧٦) : « من شأن الحذاق المتقنين العناية بالتصحيح والتضبيب والتمريض . أما التصحيح فهو كتابة : « صح » على الكلام أو عنده ، ولا يفعل ذلك الا فيما صح رواية ومعنى ، غير أنه عرضة للشك أو الخلاف .... وأما التضبيب ، ويسمى أيضاً التمريض ، فيجعل على ما صح وروده كذلك من جهة النقل ، غير أنه فاسد لفظاً أو معنى ، أو ضعيف أو ناقص .... فيمد على ما هذا سبيله خط أوله مثل الصاد ، ولا يلزق بالكلمة المعلم عليها كيلا يظن ضرباً .... وأما تسمية ذلك : =

سميت حضونا(١) . وأما في الإبل فإن الشطور التي يبس منها خلفان ، لأن لها أربعة أخلاف .

حدثنا ابن الهيثم عن داود بن محمد عن يعقوب قال : أنشد الأصمعي(٢) يذكر أخلاف الناقة :

= « ضبة » ، فقد بلغنا عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد اللغوي المعروف بابن الافليلي أن ذلك لكون الحرف مقفلاً بها لايتجه لقراءة ، كما أن الضبة مقفل بها » . وانظر أيضاً : جذوة المقتبس : ١٤٣ ، بغية الملتمس : ١٩٩ ، الالماع للقاضي عياض : ١٦٦ — ١٦٩ ، معجم الأدباء ٢ : ٥ — ٦ ، وقد اورد صاحب لسان العرب في مادة (شطر) مايشبه عبارة الدلائل قال : « وشاة شطور وقد شطَرت وشطُرت شطارا ، وهو ان يكون أحد طبييها أطول من الآخر ، فإن حلبا جميعاً ، والخلفة كذلك ، سميت حضونا » . وصحفت كلمة : « والخلقة » في اللسان ، فجعلت بالفاء بدل القاف ، وأورد ابن سيدة في المخصص (٧ : ١٨٣) مثل عبارة الدلائل منسوبة الى صاحب العين ، مع تصحيف قاف « الخلقة » إلى فاء .

(١) في لسان العرب (حضن) : والحضون من الابل والغنم والنساء : الشطور وهي التي أحد خلفيها أو ثدييها أكبر من الآخر . وقد حضنت حضانا . والحضون من الابل والمعزى : التي قد ذهب احد طبييها ، والاسم : الحضان .

(٢) — أبو الحسن محمد بن أحمد بن الهيثم التميمي المصري (تاريخ بغداد ١ : ٣٧٠ — ٣٧١ ، لسان الميزان ٥ : ٦٤ ، طبقات القراء لابن الجزري ٢ : ٩٠) ، سمع منه القاسم بن ثابت وأبوه بمصر (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥١٧)

— أبو الفوارس داود بن محمد بن صالح النحوي المروزي ، قدم مصر ومات بها سنة ٢٨٣ هـ (طبقات الزبيدي ، ط ٢ : ٢٠٨ ، البلغة للفيروزابادي : =

وجناء ، مقورّة الألياط ، يحسبها من لم يكن قبل راها رأية (١) ، جملا
حتى يدل عليها خَلْقٌ (٢) أربعة في لاحقٍ (٣) لحق الأقراب فانشملا (٤)

= ٨٠ ، بغية الوعاة : ٢١٠ ، ٢٤٦ ، كتاب القلب والابدال – مجموعة الكنز اللغوي – : ٣ ،)

— أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت النحوي اللغوي ، مات في رجب سنة ٢٤٦ ﻫ (انظر مصادر ترجمته في حاشية انباه الرواة ٤ : ٥٠ ، وفي الأعلام للزركلي ٩ : ٢٥٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣ : ٢٤٣ – ٢٤٤)

— أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ، راوية العرب ، توفي بالبصرة سنة ٢١٦ ﻫ (انظر مصادر ترجمته في حـــاشية انباه الرواة ٢ : ١٩٧ ، وفي الأعلام للزركلي ٤ : ٣٠٧ – ٣٠٨ ، ومعجم المؤلفين ٦ : ١٨٧ – ١٨٨ ، وانظر فهرست ابن خير : ٣٧٤ – ٣٧٥)

(١) أثبت فوقها كلمة « صح » واثبت في يسارها إلى الأعلى قليلا في بياض الصفحة كلمة : « ناقة » ، وعليها كلمة : « صح » وكأنها رواية ثانية في البيت .

(٢) أثبت فوقها كلمة « صح » .

(٣) اثبت فوق كلمة « لاحق » شبه ضبة ، عطف خطها إلى اليمين ، وجاء في الحاشية ذات اليمين كلمة : « لازق » ، وفوقها : « صح » أي أن الرواية الصحيحة في البيت هي كلمة : « لازق » . انظر كتاب علوم الحديث لابن الصلاح : ١٧٣ – ١٧٤ ، والالماع للقاضي عياض : ١٦٤

(٤) قال في لسان العرب (رأي) « أنشد ثعلب :

وجنـــاء مقورة الأقراب يحسبها . . . . . . (البيتان)

خَـلْـقٌ أربعة : يعني ضمور أخلافها ، وانشمل : ارتفع كانشمر ، يقول : من لم يرها قبلُ ظنّها جملاً لعظمها ، حتى يدل عليها ضمورُ أخلافها فيعلم حينئذ =

ويروى : « مقورة الأقراب » ، والأقراب : الخواصر ، واحدها : قُرب ، يقال : لأوجعنَّ قُربيك ، والمقورّةُ : الضامرة . خَلَنْقُ [١] أربعة : أي أربعة أخلاف ، في لازق : أي في ضرع لازق ، وانشمل مثل انشمر ، فإن كان يبس منها ثلاثة [أخلاف] فهي ثلوث .

وحدثنا الجارودي [عبد الله بن علي بن الجارود] قال : حدثنا محمد بن يحيى عن عمرو بن خالد قال : الشَّطَرُ : أن تكون ناحية من ضرعها يابساً [٢] ، والأخرى يحلب منها . والصَّمَعُ : الصغيرة [٣] الأذنين .... »

واختتم الكتاب (ظ ١٧٩) بقوله : « نا [٤] أحمد بن عمرو

= أنها ناقة ، لأن الجمل ليس له خلف » .

(١) أثبت فوقها كلمة : « صح » .

(٢) لعل الصواب : يابسة .

(٣) أثبت فوقها كلمة : « صِغَرُ » .

(٤) غلب على كتبة الحديث الاقتصار على الرمز في قولهم : حدثنا ، وأخبرنا ، فهم يختصرون : حدثنا ، إلى : (نا) ، أو (ثنا) ، أو (دثنا) ، ويقتصرون في : أخبرنا ، على : (أنا) أو (أرنا) . وللرواة الحفاظ مذاهب في اطلاق لفظي : حدثنا وأخبرنا ، (علوم الحديث لابن الصلاح : ١١٨ - ١٢٩ ، ١٨٠ – ١٨١ ، الالماع : ١٢٢ – ١٣٤ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١ : ٢١ – ٢٢ ، ٣٨ ، فهرست ابن خير : ٢١ – ٢٢) ، وقد اختار ناسخ المخطوطة أن يرمز للفظ حدثنا بـ : نا ، وللفظ أخبرنا بـ : أرنا ،

البزار (١) قال : نا يوسف بن موسى قال : نا خالد بن يزيد المقرىء ، ويعرف بالطبيب قال : نا مندل عن ابن جرير عن عبد الله بن محمد ابن (١) عقيل عن جابر بن عبد الله (٢) عن النبي ﷺ قال : ألا عسى أحدكم أن يتخذ الصبة من الغنم فلا يأتي الجمعة ثلاثاً فيطبع على قلبه ».

---

(١) أثبت فوقها كلمة « صح »

(٢) أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار له المسند في حديث النبي صلى الله عليه وسلم بعلله والكلام عليه ، في نيف على خمسين جزءاً ، وكتاب الاشربة وتحريم المسكر ، توفي سنة ٢٩٢ هـ (تاريخ بغداد ٤ : ٣٣٤ ، الاكمال لابن ماكولا ١ : ٤٢٥ ، تذكرة الحفاظ : ٦٥٣ ، العبر ٢ : ٩٢ ، الوافي بالوفيات ٧ : ٢٦٨ ، المنتظم ٦ : ٥٠ ، شذرات الذهب ٢ : ٢٠٩ ، فهرست ابن خير : ١٣٨ - ١٣٩ ، ٢٦٢) ، سمع منه القاسم بن ثابت وأبوه بمصر (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥١٧)

- أبو يعقوب يوسف بن موسى الكوفي . مات في صفر سنة ٢٥٣ هـ (تهذيب التهذيب ١١ : ٤٢٥)

- أبو الهيثم خالد بن يزيد بن زياد الأسدي الكاهلي الطبيب الكحال المقرىء الكوفي . توفي سنة ٢١٥ هـ (تهذيب التهذيب ٣ : ١٢٥ ، طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٢٦٩ - ٢٧٠)

- أبو عبد الله مندل بن علي العنزي الكوفي ، توفي سنة ١٦٧ هـ (تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٩٨ - ٢٩٩ ، طبقات ابن سعد ٦ : ٣٨١ ، ميزان الاعتدال ٤ : ١٨٠)

- ابن جرير : لم أتبين من هو

- أبو محمد عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي المدني ، مات بعد سنة ١٤٠ هـ . (تهذيب التهذيب ٦ : ١٣ - ١٥)

- أبو عبد الله جابر بن عبد الله الخزرجي ، مات سنة ٧٧ هـ (تهذيب التهذيب ٢ : ٤٢ - ٤٣) .

(قال أبو زيد [الأنصاري] : الفزر من الضأن : مابين العشر إلى الأربعين ، والصبة من المعز : مثل ذلك ، فجعل الصبة في المعز خاصة . قال أبو علي البغدادي (١) : تكون في الناس والإبل وغيرهم) (٢)

وجاء في أثره : « تمّ كتاب جميع الدلائل ، والحمد لله كثيراً على عونه ، وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى أهله وسلم . وكان تمامه بمدينة قرطبة في شهر جمادى الأولى الذي من عام تسعة وتسعين وأربعمائة . قرأتُ جميعه على الفقيه الوزير أبي جعفر بن عبد العزيز » .

---

(١) أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي من كبار أئمة اللغة . رحل من بغداد إلى الأندلس ودخل قرطبة سنة ٣٣٠ هـ ، وتوفي بالأندلس سنة ٣٥٦ هـ (انظر مراجع ترجمته في حاشية انباه الرواة ١ : ٢٠٤ ، وفي كتاب الاعلام للزركلي ١ : ٣١٩ — ٣٢٠ ، ١٠ : ٤١ ، المستدرك الثاني : ٤١ ، ومعجم المؤلفين ٢ : ٢٨٦ - ٢٨٧ وانظر فهرست ابن خير : ٣٩٥ - ٤٠٠)

(٢) مابين القوسين ليس من كلام القاسم بن ثابت ، وقد كتب بخط أدق من خط الأصل تمييزاً له منه ، ولذلك جاءت الحكاية فيه عن أبي علي البغدادي المتوفى سنة ٣٥٦ هـ أي بعد وفاة القاسم بن ثابت بأربع وخمسين سنة . إنها واحدة من تلك الحواشي والطرر الثمينة الكثيرة التي زينت المخطوطة بأبدع تزيين ، فأوضحت وجلت وأكملت ، أو نبهت وصححت واقامت السقط والزلل ، بنقول عن العلماء الثقات الأثبات . وقد ادرجت هذه الفوائد النوادر — وهي كثيرة كثيرة - في حواشي الكتاب في الأعم الأغلب ، وقد تدرج في صلب الصفحة إن وجد بياض ، كما تمّ هنا . على أن جميع هذه الطرر قد ميزت عن الأصل بدقة حروفها ، وقد كتب بعض هذه الحواشي بالحبر الأسود ، وكتب بعض آخر منها بالحبر الأحمر ، واكتفي في بعض بكتابة مفتتحها بالحبر الأحمر وسائرها بالحبر الأسود الذي كتبت به المخطوطة .

وكتب في حاشية الصفحة ذات اليمين إزاء الحديث السابق أربعة سطور صغيرة باتجاه طول الصفحة وبخط نازل إلى أسفل : « هذا الحديث ليس عند / الفقيه أبي علي [الغسـاني] رحمه الله [سطران صغيران بالحبر الأسود] .

ولا عند الفقيه أبي الوليد وهذا / بلـغ سماعي له عليه ، والحمد لله [سطران صغيران بالحبر الأحمر] » .

يلي ذلك في وجه الورقة ١٨٠ : « كتبتُ جميعه من كتاب قوبل بكتاب ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي الذي بخطه ، وكان كتبه للحكم أمير المؤمنين ، من الكتاب الذى عمل فيه أبوه قاسم ابن ثابت » . ثم أتبع ذلك ذكر ترجمة قاسم بن ثابت وأبيه ثابت ، رواية عن ثابت بن قاسم . ثم أورد خبر الحكم المستنصر في استقصاء نسبهم ، وأنهى الترجمة في منتصف الورقة ١٨٠ ، بذكر وفاة ثابت بن قاسم نقلاً عن ابنه سعيد .

وكان آخر ما جاء في ظهر الورقة ١٨٠ التعليق التالي : « وقوله في حديث وكيع [١] في آخر هذا السفر [٢] : وسئل عن الرجل يقتُل بعصا ، فقال : ليس يُقتل الا بحديدة أو بعصا . يقتله في مكانه ذلك ،

---

(١) أبو سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي الحافظ ، توفي سنة ١٩٦ هـ (تهذيب التهذيب ١١ : ١٢٣ — ١٣١)

(٢) جاء حديث وكيع المذكور في كتاب الدلائل (و ١٧٧) : « وسئل عن الرجل يقتل بعصا ، قال : ليس يقتل الا بحديدة أو بعصا ، يقتله في مكانه ذلك بكذين قصار أو شبهه » .

بكذين (١) قصّار . معنى قوله : أو بعصا ، معناه أنه يقتله بمثل مرزبة القصّار (٢) ، ولا يطوّل عليه كالذي فعل هو » .

« تمثلت عائشة رضي الله عنها بعد وفاة النبي :

قد كنتَ لي جبلاً ألوذ بظله فتركتني أمشي بأجرد ضاحِ
قد كنتُ ذات حمية ما عشت لي أمشي البراز، وكنت أنت جناحي

(١) جاء في الدلائل (و ١٧٧) : « قال عبد الله بن علي [بن الجارود] : كذين : فارسية عربت . قال غيره : وهو المرزبة » وعلق في المخطوطة على كلمة « كذين » التي جاءت في حديث وكيع تعليقان : جاء في الحاشية ذات اليمين : « مخفف عنده » ضبطاً لكلمة « كذين » بالتخفيف . وجاء في الحاشية ذات اليسار : « والمعروف كذينة ، والجمع كذين ، بالتخفيف . أنشد أبو تمام في الحماسة (شرح المرزوقي ٤ : ١٨٧٥) :

قامة الفصعل الصغير ، وكفٌّ خنصراها كذينتا قصّارِ »

وقال الجواليقي في المعرب : ٢٩٤ : « والكذينقُ : الذي يدقّ به القصار ، ليس بعربي ، وهو الذي تدعوه العامة : كوذينا » . وقال في تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة : ٣٧ : « ويقولون لمدق القصار : الكوذين ، والكلام : الكذينق ، قال الشاعر :

قامة الفصعل الضئيل ، وكف خنصراها كذينقا قصار »

وانظر : لسان العرب (كذنق) ، وشفاء الغليل للخفاجي : ٢٢٣ .

(٢) المرزبة ، بكسر الميم وتخفيف الباء ، والإرزبة بكسر الهمزة وتشديد الباء : المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد .

والقصار : الذي يدق الثياب بالقصرة وهي القطعة من الخشب ، وحرفته القصارة — انظر لسان العرب (رزب ، قصر) .

فاليوم أخضعُ للذليل ، وأتقي منه ، وأدفــع ظالمي بالراحِ
وإذا دعت قمرية شجناً لهــا يوماً على فَنَنٍ دعوتُ صباح[ي]
وأغضُّ من بصري وأعلم أنه قـ [ـدبان حدُّ فوارسي ورماحي](١)

★ ★ ★

قصة المخطوطة لم نتبين قصة المخطوطة كاملة ، وكان لفقدان السفر الأول منها أثر في ذلك كبير ، فقد ضاع بفقده أســانيد الرواة الذين رووا الكتاب وتناقلوه ، وغمَّ علينا ماتعنيه رموز الأسماء التي وردت في بعض الحواشي الــتي علقت على نص الكتاب . وها نحن أولاء نعرض فيما يلي ما تلمسناه من قصة هذه المخطوطة ، بما تجمع لنا من نقول :

. كتبت المخطوطةُ بقرطبة في سـفرين اثنين سـنة ٤٩٩ هـ (٢) ، نسـخها كاتبها من كتاب قوبل بكتاب ثابت بن قاسم بن ثابت الذي كان كتبه بخطه الجميل للحكم المستنصر أمير المؤمنين ، من الكتاب الذي عمل فيه أبوه قاسم بن ثابت (٣) . ثم قرأ الكاتب جميع الكتاب على

---

(١) الأبيات في الحماسة لأبي تمام ، انظر شرح المرزوقي ٢ : ٩٠٩ - ٩١٢ ، وفي أمالي القالي ٢ : ١ — ٢ ، والتنبيه لأبي عبيد البكري : ٨٧ ، وسمط اللآلي ٢ : ٦٢٦ — ٦٢٧ .

(٢) كانت الأندلس تعيش آنذاك في ظلال دولة الملثمين المرابطين ، قد انتظمت في ملك يوسف بن تاشفين الذي قضى على ملوك الطوائف ، واستولى على العدوتين ، ومات عام ٥٠٠ هـ ، ليقوم بالأمر من بعده ابنه علي بن يوسف (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ)

(٣) مخطوطة الدلائل (و ١٨٠) .

الفقيه الوزير أبي جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي [1] (٤٥٨ - ٥٣٣ هـ) وكان أبو جعفر من أكابر الرواة ، عاش في اشبيلية ، وقرأ على الشيوخ من أهل عصره ، وصحب أبا علي حسين بن محمد الغساني واختص به ، وأخذ عنه معظم ما عنده . وكان أبو علي يصفه بالمعرفة والذكاء ويرفع بذكره [2] . وأخذ أبو جعفر أيضاً عن ثلاثة من أبرز شيوخ أستاذه أبي علي الغساني ، وهم : أبو الحجاج الأعلم الأديب [3] (٤١٠ - ٤٧٦ هـ) ، وأبو مروان بن سراج ، وأبو بكر المصحفي [4] (٣٩٣ - ٤٨١ هـ) . وقد جمع أبو جعفر إلى المعرفة بالحديث ، وأسماء رجاله ورواته ، والتقدم في إتقانه وضبطه ، التمهر في اللغة والأدب والأخبار ، ومعرفة أيام الناس . ومن أشهر طلابه المتأدبين به :

---

(١) انظر ترجمته في كتاب الصلة ١ : ٨٢ - ٨٣ ، وبغية الملتمس : ١٥٥

(٢) رفع بذكره : من تعابير أهل الأندلس (الصلة ١ : ٨٢ ، ٣٢٨)

(٣) هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان النحوي ، يعرف بالاعلم من أهل شنتمرية الغرب ، كان عالماً باللغات والعربية ومعاني الأشعار ، كثير العناية بها ، حسن الضبط لها . (الصلة ٢ : ٦٤٣ - ٦٤٤ ، وانظر مراجع ترجمته في حاشية انباه الرواة ٤ : ٥٩ - ٦٠ ، والأعلام للزركلي ٩ : ٣٠٨ ، المستدرك الثاني : ٢٦٤ ، ومعجم المؤلفين ١٣ : ٣٠٢ - ٣٠٣)

(٤) هو ابو بكر محمد بن هشام المصحفي ، كان من المتحققين بالأدب ، الدائبين على طلبه مدة عمره ، قرأ على أبي العلاء صاعد اللغوي ديواني ابن حجاج وابن سكرة (الصلة ٢ : ٥٢٦ - ٥٢٧ ، بغية المتمس : ١٣٠ ، فهرست ابن خير ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٢٩ - ٤٣٠)

أبو القاسم خلف بن عبد الملك : ابن بشكوال [1] (٤٩٤ — ٥٧٨ هـ) صاحب كتاب الصلة ، فقد أخذ عن أبي جعفر وجالسه وأفاد منه [2] ، وأبو بكر محمد بن خير بن خليفة الاشبيلي [3] (٥٠٢ — ٥٧٥ هـ) صاحب الفهرست ، وقد ذكر في فهرسته مروياته عنه ، ووصفه بأنه الشيخ الفقيه المشاور المحدث [4] ، وكان كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت أحد الكتب التي رواها عنه [5] .

---

(١) ترجمته في : معجم ابن الأبار : ٨٢ — ٨٥ ، والتكملة ١ : ٣٠٤ — ٣٠٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٤٠ — ٢٤١ ، وتذكرة الحفاظ ٤ : ١٣٣٩ — ١٣٤١ ، والعبر ٤ : ٢٣٤ ، والديباج المذهب : ١١٤ ، والاعلام للزركلي ٢ : ٣٥٩ ، ١٠ : ٨٣ ، المستدرك الثاني : ٧٥ — ٧٦ ، وأعلام العرب للدجيلي ١ : ٣٠٤ — ٣٠٥ ، ومعجم المؤلفين ٤ : ١٠٥ — ١٠٦

(٢) الصلة ١ : ٨٣

(٣) ترجمته في : التكملة ٢ : ٥٢٣ — ٥٢٥ ، وبغية الملتمس : ٦٥ ، وكتب الامام الذهبي : معرفة القراء الكبار ٢ : ٤٤٥ ، وتذكرة الحفاظ ٤ : ١٣٦٦ ، والعبر ٤ : ٢٢٥ ، وكتاب الوافي بالوفيات للصفدي ٣ : ٥١ ، وطبقات القراء ٢ : ١٣٩ ، وبغية الوعاة : ٤١ ، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة : ١١٢ ، والأعلام للزركلي ٦ : ٣٥٤ ، المستدرك الثاني : ١٩٣ ، ومعجم المؤلفين ٩ : ٢٩٤

(٤) فهرست ابن خير : ٩٧ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٣ — ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٤٥٨

(٥) فهرست ابن خير : ١٩٢

ولعل في العودة إلى كتب التراجم والبرامج ، وإلى فهرست ابن خير خاصة ، ما يكشف لنا عن بعض الطرق التي روى بها أبو جعفر اللخمي كتاب الدلائل .

يذكر ابن خير في فهرسته [١] أن أبا جعفر قد روى كتاب الدلائل عن طريق شيخه أبي علي الحسين بن محمد الغساني الجياني [٢] (٤٢٧ — ٤٩٨ هـ) . وأبو علي من أعظم رجال عصره علماً ، وأوسعهم رواية ، عني بالحديث وكتبه وروايته وضبطه ، وكان له بصر باللغة والاعراب ، ومعرفة بالغريب والشعر والأنساب ، وجمع من ذلك كله ما لم يجمعه أحد في وقته . رحل الناس إليه ، وعوّلوا في الرواية عليه ، وكان كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي من الكتب التي عني بها أبو علي الغساني ، رواه من عدة طرق تثبتاً وتحققاً :

١ — قرأه على أبي مروان عبد الملك بن سراج [٣] (٤٠٠ - ٤٨٩ هـ)

---

(١) فهرست ابن خير : ١٩٢

(٢) ترجمته واخباره في : الصلة ١ : ١٤١ — ١٤٣ ، وبغية الملتمس : ٢٤٩ ، والمعجم لابن الأبار : ٧٧ — ٨٠ ، وفهرست ابن خير : ١٠٢ ، ١٠٣ — ١٠٤ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٩٨ — ١٩٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ — ٢٢٢ ، ٣٣٥ — ٣٣٦ ، ٤٢٥ ، ٤٤٨ ، والذيل والتكملة ٤ : ٦١ ، ووفيات الاعيان ٢ : ١٨٠ ، والالماع : ١٩٢ — ١٩٣ ، وتذكرة الحفاظ ٤ : ١٢٣٣ ، والعبر ٣ : ٣٥١ ، وأزهار الرياض ٣ : ١٤٩ — ١٥١ ، والديباج المذهب : ١٠٥ ، والاعلام للزركلي ٢ : ١٧٩ ، ١٠ : ٧٦ ، المستدرك الثاني : ٦٩ ومعجم المؤلفين ٤ : ٤٤ - ٤٥ .

(٣) ترجمته في : الصلة ١ : ٣٤٦ — ٣٤٧ ، وبغية الملتمس : ٣٦٧ — =

إمـــام اللغة بالأندلس غير مدافع ، مصححاً لألفاظه ولغاته ، وغريبه وشاهده ، في شهر ذي القعدة من سنة ٤٧٦ هـ[1] . وقد حضر المجلس وسمع الدلائل على أبي مروان بن سراج ، بقراءة أبي علي الغساني ،

= ٣٦٨ ، والعبر ٣ : ٣٢٥ ، وبغية الوعاة : ٣١٢ ، والمغرب ١ : ١١٥ — ١١٦ ، والذخيرة ١/٢ : ٣٠٧ — ٣١٨ ، وقلائد العقيان : ١٩٠ — ١٩١ ، وخـــريدة القصر (ط ، الدار التونسية) ٣ : ٤٧٤ — ٤٧٥ ، والديباج المذهب : ١٥٧ ، وانباه الرواة ٢ : ٢٠٧ — ٢٠٨ ، والاعـــلام للزركلي ٤ : ٣٠٤ .

أورد ابن خير في فهرسته أسماء جملة من الكتب رواها أبو علي الغساني عن شيخه أبي مروان عبد الملك بن سراج (فهرست ابن خير : ١٨٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٩ — ٢٤٠ ، ٣٧٨ — ٣٧٩ ، ٣٩٧ — ٣٩٨ ، ٣٩٩ — ٤٠٠) .
وقد أقرأ أبو علي الغساني كتاب شرح غريب الحديث لابي سليمان حمد بن محمد الخطابي في شوال سنة ٤٩٤ هـ ، حدث به عن أبي مروان عبد الملك بن سراج (فهرست ابن خير : ١٩٠) . وروى ابن خير عن شيخه ابن مكي فهرست أبي مروان بن سراج وتواليفه (الفهرست : ٤٣٢ ، ٤٤٩)

(١) فهرست ابن خير : ١٩٢ ، وجاء في الفهرست : « سنة ٤٩٦ هـ » ولايعقـــل ، لأن أبا مروان بن سراج توفي سنة ٤٨٩ هـ ، فرجحنا تصحيفه عن ست وسبعين ، لأن هذين العددين : سبعين وتسعين ، كثيراً مايصحف أحدهما بالآخر على أيدي النساخ ، حتى ان بعض العلماء المدققين ، مثل ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة واللغويين ، كانوا يتوقون التصحيف فيضبطون سبعين بقولهم : بتقديم السـين على البـاء الموحدة ، ويضبطون تسعين بقولهم : بتقديم التـاء .

الشيخُ أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث[1] (٤٤٧ — ٥٣٢ هـ) .
وكان أبو مروان عبد الملك بن سراج ، كما وصفه بحقٍ أبو الوليد أحمد ابن عبد الله بن طريف[2] (٤٣٢ — ٥٢٠ هـ) قد « أحيا كثيراً من الدواوين الشهيرة الخطيرة ، التي أحالتها الرواة ، الذين لم تكمل لهم الأداة ، ولا استجمعت لديهم تلك المعارف والأدوات ، واستدرك فيها أشياء من سقط واضعيها ، ووهم مؤلفيها ، ككتاب البارع لأبي علي البغدادي ، وشرح غريب الحديث للخطابي ، وقاسم بن ثابت السرقسطي ، وكتاب أبيات المعاني للقتبي ، وكتاب النبات لأبي حنيفة ، وغير ذلك من الكتب »[3] .

روى أبو مروان كتاب الدلائل عن القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث[4] (٣٣٨ — ٤٢٩ هـ) قاضي الجماعة بقرطبة ، وصاحب

---

(١) فهرست ابن خير : ١٩٢ ، وترجمة أبي الحسن في : الصلة ٢ : ٦٤٩ — ٦٥٠ ، بغية الملتمس : ٤٩٩ ، معجم اصحاب القاضي أبي علي الصدفي لابن الأبار : ٣١٩ — ٣٢١ ، العبر ٤ : ٩٠ ، بغية الوعاة : ٤٢٦ ، وهو من شيوخ القاضي عياض (أزهار الرياض ٣ : ١٦١)

(٢) كان أبو الوليد بن طريف شيخاً سريا ، اديبا ، نحوياً ، لغويا ، كاتباً ، بليغا ، كثير السماع من الشيوخ ، قرأ عليه أبو القاسم بن بشكوال صاحب الصلة ، وروى عنه ابن خير فهرسته اجازة (الصلة ١ : ٧٩ — ٨٠ ، بغية الملتمس : ١٧٥ ، فهرست ابن خير : ٤٢٧ ، ٤٥٧)

(٣) الذخيرة ١/٢ : ٣٠٩

(٤) ترجمته في جذوة المقتبس : ٣٦٢ ، وبغية الملتمس : ٤٩٨ ، والصلة =

الصلاة والخطبة بجامعها ، عن أبي الفضل عباس بن عمرو الصقلي الوراق الزاهد ، عن ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه قاسم بن ثابت إجازة ، وعن جده ثابت قراءة منه عليه [1] .

٢ – وأجازه له القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن الحذّاء التميمي[2] (٣٨٠ – ٤٦٧ هـ) عن أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى

= ٢ : ٦٤٦ – ٦٤٧ ، والمغرب ١ : ١٥٩ ، والمرقبة العليا للنباهي : ٩٥- ٩٦ ، والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٩ ، وشذرات الذهب ٣ : ٢٤٤ ، والعبر ٣ : ١٦٩ ، والديباج المذهب : ٣٦٠ – ٣٦١ ، والأعلام للزركلي ٩ : ٣٤٥ – ٣٤٦ ، وانظر فهرست ابن خير : ٢٨٧ ، ٤٢١ ، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥٢٥ – ٥٢٦

(١) فهرست ابن خير : ١٩١ ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥٢٥ – ٥٢٦

(٢) ترجمته وأخباره في : بغية الملتمس : ١٥٢ ، والصلة ١ : ٦٥ - ٦٦ ، فهرست ابن خير : ٤٣٥ ، وقد سرد ابن خير في فهرسته جملة من الكتب التي رواها أبو علي الغساني عن أبي عمر أحمد بن محمد بن الحذاء (فهرست ابن خير : ٢٤ ، ٤٤ – ٤٥ ، ٥٥ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٤ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٣٣ ، ٢٥١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٣٩٠) ، وقرأ أبو علي على شيخه أبي عمر مصنف مسلم بن الحجاج سنة ٤٥٧ هـ ، وجزءاً فيه تسمية رجال عبد الله بن وهب سنة ٤٦٤ هـ (فهرست ابن خير : ١٠١ ، ٢٢٣) . روى ابن خير فهرست القاضي أبي عمر ، حدثه بها شيخه ابن مغيث (فهرست ابن خير : ٤٣٥)

ابن فطيس القاضي[١] (٣٤٨ — ٤٠٢ ﻫ) عن أبي الفضل عباس بن عمرو الصقلي الزاهد ، بالسند المتقدم[٢] .

٣ — وحدثه به أبو عبد الله محمد بن غالب بن محسن ، وأبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز الطبني[٣] قالا : حدثنا به القاضي أبو الوليد

---

(١) ترجمته في الصلة ١ : ٢٩٨ — ٣٠٠ ، وبغية الملتمس : ٣٤٣ ، والمرقبة العليا للنباهي : ٨٧ — ٨٨ .

(٢) فهرست ابن خير : ١٩١ ، ١٩٢

(٣) هكذا جاء الاسمان في فهرست ابن خير (ط ، ١٩٦٣) : ١٩٢ ، وهو تصحيف من النساخ ، أو سبق قلم في الثاني . والصواب : أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن (٣٨٣ — ٤٦٢ ﻫ) ، وأبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني التميمي (٣٩٦ — ٤٥٧ ﻫ) ، وترجمة الأول منهما وأخباره في بغية الملتمس : ١٠٥ ، والصلة ٢ : ٥١٥ — ٥١٧ ، والعبر ٣ : ٢٥٠ ، وجاء في فهرست ابن خير : ٨٢ ، أن أبا علي الغساني قد قرأ الموطأ على أبي عبد الله محمد بن عتاب الفقيه سنة ٤٥٣ ﻫ ، ومنه ماقرأ عليه أيضاً قبل ذلك سنة ٤٤٨ ﻫ ، وانظر بقية الكتب التي رواها أبو علي الغساني عن أبي عبد الله محمد بن عتاب في فهرست ابن خير : ٤٩ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ٢٤٢ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، وكان أبو عبد الله محمد بن عتاب من أهل التيقظ والتحرز والتحفظ في الرواية (فهرست ابن خير : ١٥) . روى ابنه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب فهرسته (فهرست ابن خير : ٤٢٧)

وترجمة الثاني منها وأخباره في : جذوة المقتبس : ٢٦٥ — ٢٦٦ ، وبغية الملتمس : ٣٦٦ — ٣٦٧ ، والصلة ١ : ٣٤٣ — ٣٤٥ ، وفهرست =

يونس بن عبد الله بن مغيث قال : حدثنا أبو الفضل عباس بن عمرو الوراق الصقلي عن ثابت بن قاسم عن جده ثابت بن حزم[١] .

٤ - وأخبره به أيضاً أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي[٢] (٣٧٨ - ٤٦٩ هـ) قال : أخبرنا أبو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي

= ابن خير : ٤٠٥ ، والمغرب في حلى المغرب ١ : ٩٢ ، والالماع ١٠٦ - ١٠٧ ، والذخيرة ٢/١ : ٥٢ - ٦١ ، ومطمح الأنفس : ٥٠ ، وبغية الوعاة : ٣١٢ ، ونفح الطيب ٢ : ٤٩٦ - ٤٩٧ ، ٧ : ٤٨ - ٤٩ ، وانظر الكتب التي رواها أبو علي الغساني عن أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني (فهرست ابن خير : ١١٦ ، ١١٧ ، ١٣٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٦) .

(١) فهرست ابن خير : ١٩٢

(٢) ترجمته في : الصلة ١ : ١٥٤ - ١٥٧ ، وبغية الملتمس : ٢٥٤ ، والعبر ٣ : ٢٦٩ - ٢٧٠ ، والديباج المذهب : ١٠٩ - ١١٠ ، سمع أبو علي الغساني الموطأ على أبي القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي سنة ٤٤٧ هـ ، وكان قد قرأه عليه برواية أخرى سنة ٤٤٥ هـ ، وأعاد قراءتها سنة ٤٥٨ هـ ، وقرأ عليه الملخص لمسند موطأ مالك ، ومسند حديث مالك بن أنس للنسائي سنة ٤٤٤ هـ (فهرست ابن خير : ٨٢ ، ٨٣ - ٨٤ ، ٩٠ ، ١٤٥) ، وانظر بقية الكتب التي رواها أبو علي الغساني عن أبي القاسم حاتم الطرابلسي (فهرست ابن خير : ٤٥ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ٢٠٦ ، ٢٣٣ ، ٢٤٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩) . وقد روى ابن خير عن شيخيه ابن عتاب وابن مغيث فهرست أبي القاسم حاتم (الفهرست : ٤٣١)

المعروف بابن التياني[١] (ت ٤٣٦ هـ) قال : أخبرني أبي [٢] قال : أخبرنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه اجازة ، وعن جده قراءة عليه [٣] .

- وأقرأ أبو علي الغساني كتاب الدلائل طلابه والآخذين عنه ، ولعله يحسن هنا أن نورد ماورواه ابن الابار في كتابه : معجم أصحاب أبي علي الصدفي ، فقد ذكر أن أبا بكر محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي الاشبيلي [٤] (٤٦٨ - ٥٣٦ هـ) نزيل قرطبة ، كان قد لزم

---

(١) ترجمته وأخباره في : جذوة المقتبس : ١٧٢ ، والصلة ١ : ١٢٢ - ١٢٣ ، وبغية الملتمس : ٢٣٦ ، والمغرب ١ : ١٦٦ ، وبغية الوعاة : ٢٠٩ ، والعبر ٣ : ١٨٥ ، ومعجم الأدباء ٧ : ١٣٥ - ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ١ : ٣٠٠ - ٣٠١ ، وإنباه الرواة ١ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ونفح الطيب ٣ : ١٧١ - ١٧٢ ، ١٩٠ ، والبلغة : ٤٤ - ٤٥ ، وفهرست ابن خير ٢٣٦ ، ٣٤٦ ، ٣٥٩ - ٣٦١ ، والأعلام للزركلي ٢ : ٧٠ ، ومعجم المؤلفين ٣ : ٩٢ وانظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥٢٥ .

(٢) هو غالب بن عمر المعروف بابن التياني . ترجم له في الصلة ٢ : ٤٣١ ، وكناه المقري في نفح الطيب (٣ : ١٣٥) بأبي تمام .

(٣) فهرست ابن خير : ١٩٢

(٤) ترجمته في معجم ابن الابار : ١٣٢ - ١٣٥ ، وبغية الملتمس : ٩٢ ، والصلة ٢ : ٥٥٥ - ٥٥٦ ، والمغرب ١ : ٣٠٧ - ٣٠٨ ، وقلائد العقيان : ١٦٣ - ١٦٥ ، وخريدة القصر (ط . الدار التونسية) ٣ : ٤٣٣ - ٤٣٧ ، والمطرب : ١٨٩ - ١٩٠ ، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة : ١٧٤ قرأ على شيخه أبي عبيد البكري كتبه : تهذيب المؤتلف والمختلف لمحمد بن حبيب ، والتنبيه على أوهام أبي علي البغدادي في =

أبا علي الغساني يأخذ عنه ويفيد منه . وقرئ كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطي على أبي علي الغساني ، وأبو بكر محمد بن عبد الملك في حلقة الدرس يسمع . فلما قرئ :

يتلو نعاماً وارداً وما درا (١) أين وقعْ

قال أبو بكر : هذا تصحيف ، وإنما هو :

يتلو نعاماً وارداً وصادراً أين وقعْ

وهو شعر حسن ، فيه :

حتى إذا ما الحوت في حوض من الدلو كرع

ووازن الكف التي فيها خضاب قد نصع

قال الدليلُ : عرّسوا فليس في صبح طمع

= كتابه النوادر ، واللآلى في شرح الامالي ، وصلة المفصول في شرح أبيات الغريب المصنف لأبي عبيد ، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد ، وكتاب النبات (فهرست ابن خير : ٢١٩ ، ٣٢٥ - ٣٢٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٣٧٧) وقرأ على شيخه أبي علي الغساني كتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وكتاب الأشربة وتحريم المسكر لأحمد بن عمرو البزار ، وكتاب فضائل التابعين لسعيد بن أسد بن موسى ، ومجموعة من دواوين الشعر (فهرست ابن خير : ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٣٩٧ - ٣٩٨ ، ٣٩٩ - ٤٠٠) وقد أخذ ابن خير صاحب الفهرست عن أبي بكر محمد بن عبد الملك ، وروى عن طريقه جميع تواليف أبي عبيد البكري (فهرست ابن خير : ٤٤٧ ، ٤٥٨)

(١) درج كثير من الكتاب الأقدمين على رسم آخر الفعل : درى ، وأضرابه ألفاً ، مما هيأ للتصحيف فيه .

فسرّ به أبو علي الغساني وقال : يكفينا هذا في يومنا (١) .

(١) المعجم لابن الأبار : ١٣٢ — ١٣٣ ، وعقب ابن الأبار بأن الشعر للحصني أبي الأصبغ محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، أنشده ابن قتيبة في كتاب الأنواء له ، وذكره أيضاً غيره ، وأنه انما قيل له الحصني لأنه كان ينزل حصن مسلمة جده بديار مضر ، فنسب اليه . وكان شاعرا محسنا مدح المأمون . ثم ذكر ابن الأبار أن المرزباني في معجم الشعراء قد ترجم له ، وأنه منه نقل .

— جاء في مخطوطة الدلائل (ظ ٣) : « وقال الحصين يذكر نجماً يعرف بسهم الرامي حيال القلادة ، والقلادة من البلدة ، وربما نزل بها القمر :

أمامها رام إذا أغرق ذا فُوق نزعْ
يتلو نعاماً وارداً ومادرا حيث سكع »

وأثبت فوق كلمة : « الحصين » وكلمتي : « ومادرا » ضبة تصحيح (انظر علوم الحديث لابن الصلاح : ١٧٣ - ١٧٤) ، أما الحصين فصححت في الحاشية ذات اليمين إلى : « الحصني » ، وأثبت فوقها كلمة : « صح » ثم أكمل المصحح في الحاشية بقوله : « واسمه : محمد بن يزيد ، (وأثبت بعد كلمة : يزيد ، « صح ») ومن ولد مسلمة بن عبد الملك نسب إلى حصن مسلمة . وقال ابن قتيبة : رجل من أهل الشام ، كان حسن المعرفة بمناظرة النجوم ، وأنشد في كتاب الأنواء له من هذا الشعر :

حتى إذا ما الحوت في حوض من الدلو كرع
ووازن الكف التي فيها خضاب قد نصع
قال الدليل : عرّسوا فليس في الصبح طمع ».

(وأبيات الحصني في كتاب الأنواء لابن قتيبة : ٣٣ ، ٦١ ، ٧٥ ، وفي كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢ : ٢٣٦ — ٢٣٨ ،)

أما كلمتا : « ومادرا » فصححتا في الحاشية ذات اليسار إلى : « وصادراً » وجاء في الحاشية نفسها أيضاً : « خ (أي في نسخة) سكع : يقال سكع الرجل : إذا مشي متعسفاً » .

=

روى كتاب الدلائل عن أبي علي الغساني طلابه ، والراوون عنه ، وكان منهم الفقيه الوزير أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي ، الذي أقرأ بدوره كتاب الدلائل ، وكان من أشهر رواته عنه أبو بكر محمد بن خير الاشبيلي صاحب الفهرست [١] ، وكان منهم ناسخ مخطوطة الدلائل ، الذي أتم نسخ كتابه بمدينة قرطبة في شهر جمادى الأولى من عام ٤٩٩ هـ ، وقرأه جميعه عليه [٢] .

في المدرسة الضيائية – وتقلبت النسخة في أيدي قرائها ومالكيها حتى بلغت المشرق ، وانتهت إلى علي بن سالم بن سلمان الحصني ابن الفرياني الذي وقف النسخة ، مع كتبه ، بالمدرسة الضيائية [٣] . والمدرسة الضيائية المحمدية من مدارس الحنابلة الشهيرة ، كانت تقوم بسفح جبل قاسيون [٤] ، شرقي الجامع المظفري ، بناها الشيخ ضياء الدين أبو عبد الله

= – انظر نسبة الحصني في الأنساب للسمعاني ٤ : ١٧٥ ، ومعجم البلدان (حصن مسلمة) ، وانظر ترجمة محمد بن يزيد بن مسلمة وأخباره في : الأغاني ١٢ : ١٠٤ – ١٠٦ ، ومعجم الشعراء للمرزباني : ٩٤ ، ٣٥٥ – ٣٥٦ ، والوافي بالوفيات ٥ : ٢١٨ – ٢١٩ ، وجاء في جمهرة ابن حزم : ١٠٤ ، أنه محمد بن يزيد بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك .

(١) فهرست ابن خير : ١٩٢

(٢) مخطوطة الظاهرية (و ١٥٨ ، ظ ١٧٩)

(٣) مخطوطة الظاهرية (و ١)

(٤) قاسيون : (بفتح القاف ، وبعد الألف سين مهملة مكسورة وياء مثناة من تحتها ، مضمومة ، ثم واو ساكنة ، وبعدها نون) وهو الجبل المطل على مدينة دمشق ، في شماليها ، فيه المنازل المليحة ، والمدارس ، والربط ، والبساتين ، وفيه نهر يزيد ، ونهر ثورى في ذيله ، وفيه جامع كبير بناه مظفر الدين بن زين الدين أبو سعيد (٥٤٩ – ٦٣٠ هـ) صاحب اربل . وفي قاسيون ، يقول ابن عنين ، محمد بن نصر (٥٤٩ – ٦٣٠ هـ) شاعر الشام ، في قصيدة من غر قصائده يتشوق فيها إلى الشام ومتنزهاتها :

وفي كبدي من قاسيون حزازة   تزول رواسيه وليس تزول

محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي الحافظ (١) ، أحد العلماء الأعلام فنسبت إليه (٢) .

بنى الإمام ضياء الدين المدرسة الضيائية التي سميت باسمه ، وأعانه عليها بعض أهل الخير ، وجعلها دار حديث ، ووقف عليها كتبه وأجزاءه ،وقد ضُمّ إليها كتبٌ من وقف الشيخ موفق الدين أبي محمد عبد الله بن قدامة (٦٢٠ هـ) ، والبهاء عبد الرحمن ، والحافظ عبد العزيز (٣) ، وابن الحاجب ، وابن سلام ، ومحمد بن عبد المنعم بن هـامل الحراني (٦٧١ هـ) ، والشيخ علي الموصلي (٤) .

---

(١) ولد ضياء الدين بدمشق سنة ٥٦٩ هـ وسمع الحديث على الشيوخ من أهل دمشق ، ثم رحل في طلب الحديث إلى مصر وبغداد واصفهان وخراسان وغيرها ، وعاد إلى بلده بعلم غزير ، وحصل أصولاً نفيسة ، وأكبّ على التصنيف والنسخ ، فألف كتباً حسنة الفوائد ، تدل على كثرة حفظه ، وسعة اطلاعه ، وتضلعه من علم الحديث متناً واسناداً . انتفـع الناس بتصانيفه ، والمحدثون بكتبه ، وتوفي بدمشق سنة ٦٤٣ هـ تلك السنة التي توفي فيهـا بدمشق خلق كثير من الأعيان والشيوخ . ودفن بجبل قاسيون (تذكرة الحفاظ : ١٤٠٥ — ١٤٠٦ ، العبر ٥ : ١٧٤ ، ١٧٩ — ١٨٠ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٦٥ — ٦٦ ، فوات الوفيات ٣ : ٤٢٦ — ٤٢٧ ، البداية والنهاية ١٣ : ١٦٩ — ١٧٠ ، الأعلام للزركلي ٧ : ١٣٤ ، ١٠ : ٢١٢ ، معجم المؤلفين ١٠ : ٢٦٣ — ٢٦٤) .

(٢) تجد تفصيل أمر المدرسـة الضيائية المحمدية في الأعلاق الخطيرة ١ : ٢٥٨ ، والدارس في تاريخ المدارس ٢ : ٩١ — ٩٩ ، والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ١ : ٧٦ — ٨٣ ، ومنادمة الأطلال ومسامرة الخيال : ٢٤٢ —٢٤٣

(٣) في فوات الوفيات ٣ : ٤٢٧ : « والحافظ عبد الغني » .

(٤) الاعلاق الخطيرة لابن شداد ١ : ٢٥٨ ، الدارس ٢ : ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، منادمة الأطلال : ٢٤٢ — ٢٤٣ ، فوات الوفيات ٣ : ٤٢٧ .

– ثم كانت الواقعة الكبرى التي نكب فيها الملك الناصر نكبته المشؤومة ، في المعركة التي لقي فيها قازان ملك التتار بوادي الخزندار بين حمص وسلمية عام ٦٩٩ هـ ، وتفرق جيشه وتشتت . فدخلت جيوش التتار مدينة دمشق ونهبوا وصادروا ونالوا الصالحية بأذاهم ، وسطوا على المدرسة الضيائية ونهبوها ، فذهب منها شيء كثير (١) .

في المدرسة العمرية – وانتقلت النسخة بسفريها ، أو بسفرها الثاني إلى المدرسة العمرية الشيخية من مدارس الحنابلة الكبيرة ، وهي مدرسة الشيخ أبي عمر الكبير (٢) ، فنسبت إليه ، وكان قد بناها بسفح جبل

(١) العبر ٥ : ٣٩١ – ٣٩٢ ، البداية والنهاية ١٤ : ٦ – ٩ ، ووهم صاحبا الدارس ومنادمة الاطلال حين جعلا المنكوب الملك الصالح بدل الناصر (الدارس ٢ : ٩٤ ، منادمة الاطلال : ٢٤٢)

(٢) ولد الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي سنة ٥٢٨ هـ بقرية جماعيل (جماعيل : بفتح الجيم وتشديد الميم ، والف ، وعين مهملة مكسورة ، وياء ساكنة ، ولام : قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين – معجم البلدان) وهاجر إلى دمشق ، وسمع الحديث ، وكتب الكثير بخطه . وكان اماماً فاضلا ، قرأ القرآن على رواية أبي عمرو بن العلاء ، وغزا مع السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ولي الخطابة في المسجد الجامع بجبل قاسيون ، وكان كثير التهجد والعبادة . وافته المنية عام ٦٠٧ هـ ، وله من العمر ثمانون عاماً ، ودفن بجبل قاسيون (البداية والنهاية ١٣ : ٥٨ – ٦١ ، منادمة الاطلال : ٢٤٧ – ٢٤٨ ، الدارس ٢ : ١٠٠ – ١٠٤ ، الاعلام للزركلي ٦ : ٢١٤)

قاسيون وسط دير الحنابلة[١] .

« ثم انتابت الخطوب المدرسة العمرية ، فاضمحل أمرها ، وسطا عليها النظار ، يتصرفون في كتبها وكنوزها تصرف السفهاء ، كان ذلك في غفلة من الزمن ، حين هانت تلك المدارس ، وأخذ المتولون لها يعبثون بها ، ويعيثون في ذخائرها فساداً ، لايرقبون فيها إلاّ ولا ذمة »[٢] .

في حمى الظاهرية – وشاء الله للعرب أن ينهضوا من كبوتهم ، وهبّ المصلحون الغير من أعضاء الجمعية الخيرية بدمشق ، فأحيوا المدرسة الظاهرية[٣] ، لتكون مقرّ دار الكتب الظاهرية (وسميت آنذاك بالمكتبة العمومية) وقد ضمت بادىء ذي بدء كنوز عشر مكتبات ، إحداها المكتبة العمرية ، فحفظوا على الأمة البقية الباقية من تراثها ، وقد كادت تأتي عليه أيدي الجشعين المختلسين ، وسلم السفر الثاني من كتاب الدلائل فيما سلم من كتب العمرية ، وأوى إلى قبة الملك الظاهر ، ينعم بالأمن ،

(١) تجد أخبار المدرسة العمرية الشيخية في الاعلاق الخطيرة ١ : ٢٥٩ ، والدارس ٢ : ١٠٠ – ١١٢ ، وتاريخ الصالحية ١ : ١٦٥ – ١٨٣ ، ومنادمة الاطلال : ٢٤٤ – ٢٤٨

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٤٨ : ٧٥٨ ، وانظر منادمة الأطلال : ٢٤٤ ، ٢٤٦

(٣) تقع المدرسة الظاهرية (وتسمى الآن دار الكتب الظاهرية) شرقي المدرسة العادلية الكبرى (وهي الآن مقر مجمع اللغة العربية) ، باباهما متواجهان ، يفصل بينهما الطريق . وانظر أخبار المدرسة الظاهرية في : الدارس ١ : ٣٤٨ – ٣٥٩ ، ومنادمة الأطلال : ١١٩ – ١٢٣ ، وفي كتاب : المدرسة الظاهرية ، لأسماء الحمصي .

وأدرج في سجل الظاهرية الأول ، الذي صنعه القائمون على المكتبة من أعضاء الجمعية الخيرية في القسم المخصص لكتب علم اللغة برقم ٤١ ، واكتفى في صفته بأنه « السفر الثاني من غريب الحديث لقاسم بن ثابت ، من كتب المكتبة العمرية ، مخطوط بخط مغربي »[1] .

ولما ألّف حبيب الزيات كتابه : « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » لم يزد في صفة الكتاب على قوله : « الجزء الثاني من كتاب الدلائل في الحديث ، تأليف القاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي »[2] ثم يتاح بعد ذلك للأستاذ الكبير عبد العزيز الميمني أن يطالع في الكتاب عام ١٩٣٦ م ، وجاء من بعده الأستاذ عز الدين التنوخي فراعه الكتاب وتملك عليه لبه ، فكتب عنه في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق كلمته الأولى في مقالته : « من ذخائر قبة الملك الظاهر » التي تحدث فيها عن ثلاث مخطوطات نوادر ، كان الدلائل إحداها ، ويذكر الأستاذ التنوخي

(١) سجل المكتبة العمومية : ٧١ ، وكان القائمون على دار الكتب الظاهرية (المكتبة العمومية آنذاك) قد صنعوا فهرساً (سجلاً) باسماء الكتب التي ضمتها المكتبة الظاهرية من المكتبات العشر بدمشق : العمرية ، وعبد الله باشا ، وسليمان باشا ، والملا عثمان الكردي ، والخياطين ، والمرادية ، والشميصاتية ، والياغوشية ، والأوقاف ، وبيت الخطابة ، ومن كتب أخرى وقفت حديثاً (سجل المكتبة العمومية : ٥) وطبع الفهرس بمطبعة الجمعية الخيرية بدمشق عام ١٢٩٩ هـ ، فجاء في (١٠١) صفحة وصنفت فيه الكتب تسعة وعشرين نوعاً حسب موضوعاتها .

(٢) خزائن الكتب في دمشق وضواحيها (مطبعة المعارف بمصر ١٩٠٢ م) : ٦٢ .

أن الميمني قد حثه على نشر الدلائل [١] . ثم عاد ، والعود أحمد ، فتحدث في مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة المجمع العلمي العربي) عن كتاب الدلائل ، وقيمته اللغوية ، ليصل ذلك بالحديث عن مخطوطة الدلائل ، وكان قد حفزه إلى الكتابة مرة أخرى عثوره على نسخة خطية ثانية من كتاب الدلائل في الرباط (المغرب) [٢] . وبدأ الأستاذ التنوخي العمل في تحقيق كتاب الدلائل ، بعد أن أصبح بحوزته نسختان من الكتاب ، ناقصتا القسم الأول . وذكر لي أخي وصديقي الأستاذ أحمد راتب النفاخ أن التنوخي قطع في التحقيق شوطاً بعيداً ، وأنه اطلع على كراريس من عمله، ولكن المنية لم تمهل الأستاذ الكبير حتى يحقق أمنيته ، وفُقد ما صنع ، ولم يقع إلى أحد علم ما قام به في هذا الباب [٣] . ثم أشار إلى مخطوطة الدلائل بآخرة الأستاذ حمد الجاسر في كتابه (أبو علي الهجري) ، ذلك بأن قاسم بن ثابت وأباه قد رويا عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري بمكة ، فكان لابد من أن يتطرق الأستاذ الجاسر إلى ذكر قاسم وكتابه الدلائل [٤] .

(١) مجلة المجمع ، مج ٣٧ (١٩٦٢ م) : ٣٦٢ — ٣٦٦ ،

(٢) مجلة المجمع ، مج ٤١ (١٩٦٦ م) : ٣ — ٢٠ ،

(٣) توفي الأستاذ عز الدين التنوخي صباح يوم ٢٤ حزيران ١٩٦٦ (مجلة المجمع ، مج ٤١ : ٥٣٩ - ٥٤١) ، وتجد ترجمة له في كتاب : مجمع اللغة العربية بدمشق في خمسين عاماً ، للأستاذ الدكتور عدنان الخطيب ، ١ : ٩٣ — ١٠٤

(٤) أبو علي الهجري (ط ١ ، ١٩٦٨) : ١٩ ، ٦٦ — ٦٧ ، ووهم الصفدي حين ذهب إلى أن لقاء القاسم بن ثابت بالهجري قد تم في المغرب (أبو علي الهجري : ١٦٩) .

صفة النسخة خطاً وضبطاً وتدقيقاً ـــ كتبت النسخة بخط أندلسي جيد ، وضبطت بالنقط والشكل المتمدين في الأندلس كأحسن ما يكون الضبط : التزم الكاتب إثبات الضم والفتح والكسر والسكون يضبط بها حروف الكلمات ويدل على إعرابها ، لايكاد يهمل منها إلا ما لا بال له في النادر النادر . وكانت علامة السكون دارة صغيرة فوق الحرف فعل أهل المدينة [1] ، ونقطت القاف بنقطة من فوق الحرف ، والفاء بنقطة من تحت الحرف فعل أهل المغرب [2] ، وكانت علامة التشديد دالاً فوق الحرف إذا كان مفتوحاً ، وتحته إذا كان مكسوراً ، وأمامه إذا كان مضموماً . وهو الوجه الذي ذهب إليه نقاط أهل المدينة من سلفهم وخلفهم ، وعليه عامة أهل الأندلس قديماً وحديثاً [3] . والتزم الكاتب مع الشدة الحركات تأكيداً في الدلالة على حقيقة إعراب الكلم ، وحركات الحروف ، وهو مذهب بعض أهل النقط في الأندلس : أن يجعل مع الشدة الحركات [4] . ويضع الكاتب إشارة هاء في نهاية كل فقرة ، وهي كما ترى : ﻫ ، وكان يعنى بتبيين الحروف المهملة وضبطها ، فيجعل تحت الحاء المهملة حاء صغيرة (حديث ، أحيحة ، ما أطيحه ، أبو الحسين النحوي : ظ ٦ ، و ٨ ، ظ ٨١) ، وتحت العين عيناً صغيرة شبه الهمزة (الذعلبة ، مشعّباً : و ١١ ، ظ ٣١) وتحت السين شبه همزة (سمي القبر رمسا ، تميس ، ولم أغتسل ،

(١) المحكم في نقط المصاحف : ٥١

(٢) المحكم : ٣٧

(٣) المحكم : ٥٠

(٤) المحكم : ٥٠

نفس : ظ ٨١ ، و ٨٢) على ما جرى عليه عمل بعض أهل المشرق والأندلس [١] . ولكنه لا يلتزم ذلك . أما الياء في آخر الكلمة فتنقط نقطتين في وسطها (تنقضي ، لانلتقي ، وهي ، عليّ ، بالمعاصي : و ٧ ، ظ ٧ ، و ١١ ، ظ ٩٢) أو تحتها (أبي ، الذي ، في : و١١)، وقدتنقط الألف في آخر الكلمة، المصورة بصورة الياء (نوى ، أردى ، وافى ، إحدى : و ١١ ، ظ ٣٥ ، و ١٥٣) . ويمثل للأمرين معاً : (أغضي على القذى بعيني : ظ٧٥) ويستعيض عن همز الياء بنقطتين (حايـكا : و ٨) وإذا كانت لام الفعل المضارع واواً ألحقها الكاتب بألف (يدعوا ، أشكوا : ظ ٥ ، ظ ٨١) ويرسم الـكاتب الهمزة المضمومة أو المفتوحة في أول الـكلمة ألفاً فوقها همزة ، ويرسم الهمزة المكسورة في أول الكلمة ألفاً تحتها همزة (إنْ أدعُه ، أغضب ، أحابي ، إذا أتاها : ظ ٢١ ، ظ ٨١) .

ولم يلتزم طريقة واحدة في رسم الألف في آخر الكلمة التي تكتب بصورة الياء ، فكتب أمثال : (أبا ، ترا ، يرا ، ولاً : ظ ٥ ، و ٨ ، ظ ١٠، ظ ٢٧) بالألف تارة ، وكتبها بصورة الياء تارة أخرى كما سبق . ويرسم الكاف في آخر الـكلمة معراة من : (ذلك ، مُلْك : ظ ١٠) ، أما المـــدة في أول الكلمة التي تتأتى من اجتماع همزة ساكنة في أعقاب همزة مفتوحة فقد رسمها همزة تليها ألف : (ءادم ، ءاخر : ظ ٧ ، و ١١) .

– وورق المخطوط أبيض مصفر قليلًا ، وقياس الصفحة (٢٧×٢٠) سم تقريباً ، أما المخطوط منها فهو (٢٠ × ١٤) سم تقريباً . وحاشية الصفحات الخارجية في حدود ٥ سم ، وعدد أسطر الصفحة ٢٥ سطراً . وتمتلىء أكثر

---

(١) الألماع : ١٥٧

حواشي الكتاب بالتعليقات والنقول المفيدة ، عن العلماء الثقات الاثبات ، ويصدق فيها إنشاد أبي الوليد بن حجاج :

كذا المبهمات بوسط الكتاب فمفتاحها أبداً في الطرر (١)

مما يدل على ما حظي به الدلائل من القراءة المتقنة المتأنية ، وما حبا به العلماء الأندلسيون نسخة الدلائل من عناية وتدقيق ، فمحصوهـا قراءة ودراسة ، وتعقبوها إيضاحاً وإكمالاً ، أو تصحيحاً وتقويماً . وليس من همي أن أحيط بهذه الحواشي ، فموضع ذلك يوم يتم تحقيق الكتاب ، ولكن لا بد من إشارات عابرة تدل على هذه الثروة التي تحلت بها صفحات الكتاب.

١ - حرص العلماء ، والمحدّثون منهم خاصة ، على ضبط ماينسخون من الكتب ، ووضعوا لذلك آداباً التزموها ، وأخذوا بها طلابهم والراوين عنهم ، وبالغوا في الاحتياط والتوقي ، يبغون من ورائها أن تكون النسخة صورة صحيحة للكتاب المنسوخ عنه ، وأن يتم لهم استدراك السقط والوهم ، ونفيُ التصحيف والتحريف ، لتبلغ كتبهم الغاية التي أرادوها لها من الاتقان والتجويد ، وشرطوا على الناسخ من طلاب العلم مقابلة النسخة بأصل سماعه ، ومعارضتها به ، ورووا عن الأخفش قوله : « إذا نسخ الكتاب ولم يعارض ، ثم نسخ ولم يعارض ، خرج أعجمياً » . وذكروا أن عروة قال لابنه هشام : أكتبت ؟ قال : نعم . قال له : قابلت ؟ قال : لا . فقال له : لم تكتب يا بنيّ (٢) . وقد تقيد العلماء

(١) التكملة لابن الأبار ١ : ١٨٤ ، وطرر الكتاب : حواشيه (أساس البلاغة وتاج العروس) . وانظر ماسبق ص : ٢٤٤ ، هـ ٢ ، واختار الخدب الاشبيلي لتعليقه على كتاب سيبويه اسم : الطرر (طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة : ٤٠)

(٢) الالماع : ١٥٨ - ١٦٢ ، علوم الحديث : ١٦٨ - ١٧١

المحققون بتلك الآداب ، وأبوا أن يتخففوا منها ، ونظروا بعين السخط إلى المتهاونين بها : كانوا يجهدون في التحري لينقلوا عن أصل صحيح ، قد حظي بالضبط ، ومن أمثلة تدقيقهم في هذا الباب قول أبي علي الغساني في صفة نسخة نقل عنها : « وأضبط من كتب المصنف [مصنف أبي داود] عن أبي سعيد بن الأعرابي من أهل بلدنا أبو عمر أحمد بن سعيد ابن حزم ، وليس من رجل بعده ضبط كضبطه ، وبكتابه الذي بخطه قابلت كتابي[١] » . ويقول في موضع آخر : « وقابلت كتابي بنسخة أبي محمد الشنتجالي عن أبي ذر[٢] » . ويقول في موضع ثالث : « . . . وبالكتابين قابلت كتابي من أوله إلى آخره . وأصلي من كتاب أبي داود كتابُ أبي حفص عمر بن عبد الملك بن سليمان الخولاني ، وكان قد قرأه على أبي سعيد بن الأعرابي بمكة سنة تسع وثلاثين وسنة أربعين وثلاثمائة ، وقابله بأصل ابن الأعرابي[٣] ...... » ويقول ابن خير : « ونقلت كتابي منه بخطي من خط مؤلفه أبي عبيد[٤] » . ويقول أبو

---

(١) فهرست ابن خير : ١٠٣ — ١٠٤

(٢) فهرست ابن خير : ١٠٥ ، وشنتجالة ، في طرف كورة تدمير بالأندلس ، مما يلي الجوف (الروض المعطار : ١١٢ ، معجم البلدان - شنتجالة) . وانظر ترجمة أبي محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالي (ت ٤٣٦ هـ) في كتاب الصلة ١ : ٢٦٣ — ٢٦٥ ، وبغية الملتمس : ٣٣١ — ٣٣٢ ، ومعجم البلدان — شنتجالة .

(٣) فهرست ابن خير : ١٠٦

(٤) فهرست ابن خير : ٢١٩

الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني : « قابلت كتابي هذا من الفصيح بخط ابن الكوفي . وكان نسخ كتابه من خط ابن الأنباري ، وقابله به[١] » . فعلوا كل ذلك تحرزاً من الخطأ ، وبلغ من تدقيقهم أن ذكروا في جملة أوصاف علمائهم مَنْ كان منهم ضابطاً لما كتب ، ممن لم يكن بالضابط المتقن[٢] .

٢ – ولقد عني ناسخ مخطوطة الظاهرية أن يوفر لنسخته كل ضروب التدقيق والضبط : جاء في ختام كتاب الدلائل : « قرأت جميعه على الفقيه الوزير أبي جعفر [أحمد بن محمد] بن عبد العزيز » . ثم جاء في حاشية الصفحة نفسها : « وهذا بلغ سماعي له عليه ، والحمد لله » . ويعني بذلك سماع الكتاب على الفقيه الوزير أبي جعفر[٣] . وثلث ذلك بقوله : « كتبتُ جميعه من كتابٍ قوبل بكتاب ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي الذي بخطه ، وكان كتبه للحكم أمير المؤمنين ، من الكتاب الذي عمل فيه أبوه قاسم بن ثابت[٤] » .

٣ – ومن هنا تجلى في النسخة هذا الجهد وهذا التشدد اللذان أخذ بهما الكاتبُ نفسه ، يتوقف عند الحرف المشكل ، وينبّه إلى الوهم والسقط ، ويقيم الزيغ والزلل ، مما طغى فيه القلم ، أوسها القلب ، ويثبت اختلاف الرواية في النسخ ، ولا يهمل أقلّ الأشياء وأهونها شأناً ، رعاية لحق الضبط :

(١) فهرست ابن خير : ٣٣٨

(٢) فهرست ابن خير : ١٨٨ ، الصلة ١ : ٧٨

(٣) أما إذا كان التعليق لأبي جعفر نفسه ، لأن التعليق غفل ، فيعني ذلك سماع أبي جعفر الكتاب كله على الفقيه أبي الوليد .

(٤) مخطوطة الظاهرية (ظ ١٧٩ – و ١٨٠)

أ – نبّه أكثر من مرة إلى الرواية التي جاءت في النسخة المقروءة على ثابت (الأصل) ، من أمثال : « كذا في الأصل المقروء على ثابت » أو « وقع في النسخة المقروءة على ثابت » أو « وكذلك عند ثابت » أو « في الأصل لثابت ، وصحح عليه » (و ١٧ ، ظ ٦٠ ، ظ ٦١ ، ظ ٦٢ ، و ٧٨ ، ظ ٨٥ ، و ١١٨ ، ظ ١١٩) وقد يذكر الرواية التي قرأ بها : « كذا أقرأنيه وقال : يعني الواسعة » (و ١٦٢) .

ب – واستدرك في الحاشية ما سقط في أثناء النسخ ، مشيراً إلى ذلك بمثل قوله : « صح ، من الأصل » أو « صح ، من الأم » (ظ ٢٧ ، ظ ١٠٥) .

ج – وذكر اختلاف الرواية في النسخ وإن قل شأنه ، وهان أمره :

– جاء في النص : « وقال غيره : قال الكسائي » فلم يهمل الكاتب أن يضع تحت كلمة : قال : « خ ، عن » يعني بذلك أن النص قد جاء في نسخة أخرى : « وقال غيره عن الكسائي » (ظ ١٠) .

– ولما استشهد قاسم بن ثابت ببيت ذي الرمة :

وألحن لحاً عن خدود أسيلة رواءٍ خلاما أن تشفَّ المعاطسُ(١)

أثبت في الحاشية : « خ ، ما إن تشفُّ المعاطسُ » أي أنه قد جاءت الرواية في البيت في نسخة أخرى : « ما إنْ » بكسر همزة إن المخففة (ظ ٦٠) .

– ولما فسر قاسم كلمة الفند فقال : « وأصل الفند : قطعة من جبل » أثبت الكاتب في الحاشية : « خ ، القطعة من الجبل » مشيراً بذلك إلى ما جاء في نسخة أخرى (و ٤٨) .

(١) ديوان ذي الرمة ٢ : ١١٢٧ .

- وفي كلمة ثابت بن عبد الله بن الزبير : « ... لعن الله ... محمد ابن أبي حذيفة ، الرامي أمير المؤمنين عثمان برؤوس الأقانيز »(١) .

وجاء التعليق في الحاشية : [الأقانيز] يعني الكيزان . وفي بعض النسخ : الأفانين : جمع أفنونٍ ، وهي الحية(٢) (و ١٠٥) .

والشواهد كثيرة لن نفيض في سردها (ظ ٣٨ ، و ٦٠ ، ظ ١٥٣) .

وهذا غاية الغايات في توخي الدقة ، والأمانة في النقل ، والصدق في المقابلة ، وإثبات كل اختلاف مهما قل .

٤ - وكان من حظ نسخة الدلائل أن تداولها الجلة من العلماء ، قراءة وتصحيحاً وإكمالاً ، وزيّنوها بطرر كالغرر ، يكمل لاحق مابدأه سابق . فاستوعب الناسخ ما كتبوه ، وما قالوه ، في حواشي كتابه . فجمع بذلك علماً كثيراً ، غالى بقدر نسخته ، ورفع من قيمتها : كان من تلك الطرر ما جاء لشرح لفظة ، أو فقرة ، أو إيضاح معنى ، أو كشف عن وجه من وجوه الإعراب ، أو إكمال شاهد شعر بأبيات تردفه أو تسبقه ، أو بيان مذهب نحوي ، أو نسبة بيت من الشعر لصاحبه ، أو

(١) رويت كلمة ثابت بن عبد الله بن الزبير في نسب قريش للمصعب : ٤٨ ، وفي جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار (تحقيق الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر) ١ : ٨٥ . وحديث ثابت بن عبد الله قد رواه قاسم بن ثابت السرقسطي في الدلائل عن محمد بن القاسم الجمحي عن الزبير بن أبي بكر [بكار] .

(٢) في لسان العرب (قنز) : قال ابن الأعرابي : أقنز الرجل : إذا شرب بالإقنيز طرباً ، وهو الدن الصغير ، ومثله في التكملة للصاغاني ٣ : ٢٩٥ . والأفنون : الحية (لسان العرب - فنن) .

تصحيح نسبته ، أو إزالة التباس ، وأشباه ذلك [١] :

- يروي قاسم قول الحصين بن الحمام المري :

ولما رأيت الصبر ليس بنافعي   وإن كان يوماً ذا كواكب أشهبا

فيأتي التعليق ليزيل التباساً قد يقع فيقول : « وقع هذا البيت في قصيدتين كلاهما للحصين بن الحمام المري : إحداهما على قافية الباء، والثانية على قافية الميم . ووقع في القصيدة البائية : « أشهبا » ، وفي القصيدة الميمية : « مظلما » . وبعد هذا البيت :

صبرنا وكان الصبر منا سجية   بأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما

ووقع في القصيدة البائية :

. . . . كفاً ومنكبا

والقصيدة الميمية أشهر [٢] ، وإنما ذكرت هـذا لئلا يراه من رأى فيظن أنه غلط » (و ٥) .

- وورد في بيت الكميت لفظ « أراب » فيكون التعليق في

(١) كان العلماء يعنون بهذه الحواشي التي تطرز بها صفحات الكتب عناية بالغة ، ويكبون عليها قراءة ودراسة ، لجليل فوائدها . يقول أحدهم في ذكر الموطأ : « وقرأت أنا عليه ما في جوانب الكتاب من كلام ابن وضاح ، ومن كلامه » . (فهرست ابن خير : ٨٠) .

(٢) انظر ميمية الحصين بن الحمام المري في : المفضليات بشرح الأنباري : ١٠٠ - ١٢١ ، والمفضليات بشرح التبريزي ١ : ٣٢١ - ٣٤٨ ، والحماسة بشرح المرزوقي ١ : ١٩٧ - ١٩٩ ، ٣٨٦ - ٣٩٢ ، وخزانة الأدب ٢ : ٧-٨ ، ٣ : ٣٥٢-٣٥٥ ، والأغاني ١٤ : ٦-٨ ، الشعر والشعراء ٢ : ٦٣

الحاشية : « رابني الشيءُ : علمتُ منه الريبة ، وأرابني : ظننتُ بـه الريبة[1] » (و ٦١) .

— ويورد قاسم فصلاً في اللغة ، فيكون التعليق عليه في الحاشية: « هذا الفصل المعلم عليه إلى آخره ، قد تقـــدم في حديث أبي موسى الأشعري » (و ٦٣) ، ومثله تعليق الحاشية (ظ ٣٥) : « هـذا الفصل كله قد تقدم إلى آخره في حديث النبي عليه السلام » .

ـ وينشد قاسم قول الطرماح يذكر خشفا :

أو كأسباد النصية لم تجتدل في حاجر مستنام

فيذكر المعلق في الحاشية ذات اليسار : «لم تجتذل ، وقع في ديوان شعره ، بمعنى تستأصل . والحاجر : الذي يمسك الماء » ويروي في الحاشية ذات اليمين البيت الذي يسبقه فيقول : « وقبله :

مغزلاً تحنـو لمستـوسنٍ ماثل لون القضيم التهام[2]

والقضيم : الصحيفة ، شبهه بها في بياضه . وينسب القضيم إلى تهامة. قـال أبو عمرو الشيباني : مستنـام : تركته أمه نائماً في الحاجر » (ظ ٤٥) .

— ويروي قاسم في الصفحة نفسها شعراً للدهيقين مولى امرىء القيس ، فيستدرك المعلق بقوله : « غيره يرويه لسحيم عبـــد بني الحسحاس » (ظ ٤٥) .

---

(١) في لسان العرب (ريب) : رابني : علمت منه الريبة ، وأرابني : أوهمني الريبة ، وظننت ذلك به .

(٢) ديوان الطرماح : ٣٩٦ — ٣٩٧ ، المعاني الكبير لابن قتيبة : ٧٠٦

– ويقول الامـام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبته : « أمهلنا ، يسبّخ عنـا القيظ ... أمهلنا ينسلخ عنا القُرّ » فيجيء في الحاشية : « كـذا الرواية : يُسَبِّخْ ، وينسلخْ ، بالجزم على جواب الأمر ، وهو كلام من مجاز . لأن الامهال ليس بسبب لتسبيخ الحر ، وانسلاخ الشتاء . إنهما أمران واقعان أمهلهم أو لم يمهلهم ، ولكنه لما كان إمهاله إياهم مما يفضي بهم إلى الغزو عند تسبيخ الحر وانسلاخ القُرّ جعلها جواباً الأمر ، إذ كانا مقارنين للغزو والذي هو الجواب في الحقيقة ، وما قارن الشيء وصاحبه جرى في بعض أحواله مجراه » (و ١٠) .

– ويتحدث قاسم عن حذف الهاء فيجيء التعليق في الحاشية : « هذا كله مخالف لمذهب سيبويه » (ظ ١٤٠) .

– ويستشهد قاسم ببيت ذي الرمة :

إذا الأروع المشبوب أضحى كأنه   على الرحل، مما منّه السيرُ ، أحمق (١)

فيستدرك المعلق في الحاشية بقوله : « قبله :

فأصبحتُ أجتابُ البلاد كأنني   حسام جلت عنه المداوس مخفق

وقع هذا البيت أيضاً في قصيدة أخرى لذي لرمة دالية :

. . . . ، مما منّه السيرُ، عاضدُ (٢)

وقبله :

أقمتُ له صدر المطيّ وما درى   أجائرة أعناقهـــا أم قواصدُ »

(ظ ١٢٨) .

---

(١) ديوان ذي الرمة ١ : ٤٨٤ – ٤٨٧

(٢) ديوان ذي الرمة ٢ : ١١١٢

– وينشد قاسم :

فأي النـــاس لم نسبق بوتر وأي الناس لم نعلك لجامـا

فيأتي التعليق في الحاشية : « هو لجذل الطعان الكنـاني ، واسمه عمير بن قيس ، وقال أبو عبيد : اسمه علقمة بن فراس ، وقبله :

لقد علمت معدٌّ أنَّ قومي كرام الناس ، إن لهم كراما (١)

(و ١٣١) .

– ويروي قاسم كلمة إبراهيم النخعي : أنه كره المخمـور من النبيذ ، ثم يفسـر المخمور والخمرة والخمير ، فيستطرد المعلق إذ يقول : « وأما قوله عليه السلام : وخمّروا شرابـكم ولو بعود ، فمن قولك : خمَّرتُ الإناء : إذا غطيته ، ومنه قولهم : اختمرت المرأة بالخمار خمرة واختمارا ، والمختمرةُ من الضأن : هي السوداء ، ورأسها أبيض ، وكذلك من المعز . ويروى في الحديث : لا يوجد المؤمن إلا في إحدى ثلاث : في مسجد يعمره ، أو بيت يخمرُه ، أو معيشة يدبرها . قال أبو زيد : يخمره : يلزمه ، ويقال : خامر الرجلُ بيتَه يخامره ، ويخمّره تخميرا : إذا لزمه . وهذا مكانٌ خَمِرٌ : إذا كان يواري كل شيء . ومنه قول الشاعر :

فلا تدفنوني إن دفني محرّمٌ عليكم ، ولكن خامري أمَّ عامرِ (٢)

---

(١) أمالي القالي ١ : ٤ ، وسمط اللآلى ١ : ١٠ – ١١ ، والأوائل للعسكري ١ : ٦٨ – ٦٩ وانظر تخريج البيت في حاشية السمط ١ : ١١ ، وحاشية الأوائل ١ : ٦٨ .

(٢) الحماسة بشرح المرزوقي ٢ : ٤٨٧ – ٤٩١ ، وذيل الأمالي : ٣٦ ، وسمط اللآلي ٣ : ٢٠ ، وتجد في حاشية السمط تخريج البيت .

– المحفوظ : أبشري – أي القوني إلى الضبع . وذلك أن الصائد إذا هجم عليها قال : خامري أمَّ عامرٍ ، أي اسكني واهدئي ، فتسكن حتى تصاد ، وذلك لحمقها (و ١٥٣) .

– ويسرد قاسم حديث مروان بن الحكم في جملة التابعين ، ليكون التعليق في الحاشية : « هذا إنما يجب أن يكون في الصحابة ، وكذلك هو في بعض النسخ ، بعد حديث الحكم[1] أبيه » (ظ ١٥٣) ومثل ذلك ما ذكره في حاشية ثانية حين أورد حديث : عمرو بن معدي كرب فقال : « كان ينبغي أن يكون هذا الحديث في الصحابة » (ظ ١٢٣) وقريب منه قوله تعليقاً على خبر : « هذا مقدّم عند أبي علي [الغساني] في أول الحديث » (و ٢٨) .

٥ – وكان من تلك الطرر تعليقات العلماء على الرواية وصوابها . فقد علق أحدهم على بيت ذي الرمة :

وألحن لحاً عن خدود أسيلة ... رواء خلا ماأن تشفّ المعاطسُ

بقوله : « أراد خلاءً أن تشف . ولكن كذا الرواية » (ظ٦٠).

– وكان التعليق الثاني على شاهد ثان رواه القاسم :

وهمٌّ يشف الحزن مني مكانه ... وأحداثُ دهرٍ مايُعزّى بلاؤها

قوله : « الصواب : يشف الجسم مني مكانه ، ولكن كذا الرواية » (ظ ٦٠) .

– وجاء في حديث كعب أنه قال لمحمد بن أبي حذيفة : يا بنيّ ، أجد في كتاب الله أن رجلًا أبشّ الثنايا ، يحجل في الفتنة كما يحجل الحمار في القيد ، فاحذر أن تكون أنت هو .

(١) جاء حديث الحكم بن أبي العاصي في مخطوطة الدلائل : و ٨ ٤

فكان التعليق في الحاشية : « الصواب : فاحذر أن تكون أنت إياه ، ولكن كذا الرواية » (ظ ١٠٤) .

٦ – وتمضي تعليقات العلماء إلى أبعد من ذلك :

– فإذا روى القاسم بيت حاتم الطائي :

وأسمرُ خطيٌّ كأن كعوبه نوى القسب ، قد أردى ذراعاً على العشرِ

جاءت الحاشية ذات اليسار تذكر أن هناك روايتين أخريين في البيت بدل أردى ، وهما : أرمى ، وأربى ، ثم تورد جملة تمثل فيها لاستعمال أردى فتقول : « ومثله : أردى على الخمسين ، وأرديتُ عليها . قال الأصمعي : فإن كان دنا لها ولم يبلغها قال : زنأتُ على الخمسين ، وحبوتُ لها » لتجيء الحاشية ذات اليمين تصحح بقولها : « الصواب : وأسمرَ خطياً ، بالنصب ، لأن قبله :

متى ما يجيء يوماً إلى المال وارثي يجد جمع كف غير ملأى ولا صفرِ
يجد فرساً ملء العنان ، وصارماً حساماً ، إذا ما هز لم يرض بالهبر[1]

والشعر لحاتم طيّىء » . (و ١١)

– وينشد قاسم :

---

(١) ديوان حاتم الطائي (ط . لندن ١٨٧٢) : ٤٣ ، والقصيدة برواية ابن الكلبي ، ديوان حاتم (خمسة دواوين العرب) : ١٠ ، ولأوس ابن حجر بيت يقرب صدره من صدر بيت حاتم (ديوان أوس : ٨٣) ومن هنا نسب بعضهم بيت حاتم لأوس (انظر لسان العرب : قسب ، زجج ، ردى ، رمى) قال ابن برى : (اللسان – قسب) : هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي ، ولم أجده في شعره .

حتى إذا أجرس كل طائر
قامت تعنظي بك سمع الحاضر

لتقول الحاشية : « وقع في النسخ : بكَ ، بفتح الكاف ، والصواب : بكسرها ، لأن قبله :

وقد خشيتُ أن يكبَّ قابري
ولم تمارسك من الضرائر
[ذاتُ شذاة جمة الصرائر]
تصر إصرار العقاب الكاسر (١)

والرجز لجندل بن المثنى [الطهوي] ، وقيل لمدرك بن حصن الأسدي » (ظ ٢٧) .

– ويذكر قاسم أن للعرب في الإبل وجهين : فتارة تصفها بالقسوة والجلادة ، ومرة تصفها بالرقة والحنين ، فيأتي تعليق أحد العلماء على ذلك: « وليس هذا الاختلاف مذهبين ، بل هو لاختلاف حالين ، فاعلمه » (و ٧٦) .

– ويستشهد صاحب الدلائل بالمثل : ما أشاءك الى مخة عرقوب ،

---

(١) جاء الرجز في لسان العرب (جرس ، عنظ) ، وقال في اللسان: تعنظي بك : أي تغري وتفسد وتسمع بك وتفضحك بشنيع الكلام ، بسمع من الحاضر ، وتذكرك بسوء عند الحاضرين ، وتندد بك ، وتسمعك كلاماً قبيحاً . وانظر التكملة للصاغاني (جرس ، عنظ) ٣ : ٣٣١ ، ٤ : ٢٠٠ ، والقلب والابدال : ٢٤ ، وتهذيب الألفاظ : ٢٦٣ – ٢٦٤ وأمالي القالي ٢ : ٦٨ ، وسمط اللآلي ٢ : ٦٨٠ ، ٧٠٢ – ٧٠٣ ، والمخصص ٨ : ١٣٥ ، وتجد تخريج الرجز في حاشية السمط ٢ : ٧٠٢

فيعلق عليه أحد الأئمة العلماء من دارسي كتابه بقوله : « ليس المثل هكذا ، إنما المثل : شرٌّ ما أشاءك إلى مخة عرقوب »[1] (و ٩١) .

— ويروي قاسم بيت ذي الرمة :

ترى خلفها نصفين : نصفٌ قويمة ونصفٌ نقاً يرتجُّ أو يتمرمرُ

ليأتي التعليق : « الرواية المعروفة :

ترى خلفها نصفاً قنـــاة قويمة ونصفاً نقا . . . .[2]

ويروى :

. . . نصفٌ قناة قويمة ونصف نقا . . . .

وهذا الذي رواه قاسم غير معروف ، وتقديره على روايته : نصفٌ قويمةٌ ، فحذف الموصوف ، وأقام الصفة مقامه » (ظ ١٠٦) . وانظر أمثلة أخر في تقويم الوهم واستدراك الغلط (و ٧٩ ، و ١١٥ ، و ١١٨ ، ظ ١١٩ ، ظ ١٢٣ ، ظ ١٦٥ ، ظ ١٧١) .

٧ وإلى جانب الحواشي الغفل ، تذكر درن أن يردّها المعلق إلى مصدر يستمدّ منه ، فإن النسخة تزخر بحواش تنسب إلى أئمة اللغة والإعراب والأدب ، وقد تأتي معزوة إلى كتاب بعينه من كتبهم . وهي ، لكثرتها واستفاضتها وسعة الرواية فيها ، تنبيء بالجهد الذي أحاط به علماء الأندلس كتاب الدلائل . وهذا غيض من فيض مما حفلت به مخطوطة الظاهرية :

نجد النقول عن الأصمعي (ظ ٩ ، و ١١ ، ظ ٧٠ ، و ١٢٧ ، ظ ١٤٤ ، و ١٦٣) ، وعن أبي عبيدة (و ١٢٧) ، وعن أبي حاتم (ظ ٦٢ ، و ٦٧ ، ظ ٩٠ ، و ١٠٧ ، و ١١٠) ، وعن كتاب

(١) مجمع الأمثال للميداني ١ : ٣٧٢

(٢) ديوان ذي الرمة ٢ : ٦٢٣ – ٦٢٤ ، ٣ : ١٩٨٢

العين مرة ، وصاحب العين مرة (ظ ٣ ، و ١٨ ، ظ ٦١ ، ظ ٨٧ ، و ٩٣ ، و ١٣٣ ، و ١٤٩ ، و ١٥٤) ، وقد يذكر الخليل (و ٥٨ ، ظ ٧٢ ، ظ ١٠٢ ، ظ ١١٠ ، ظ ١٤٢) ، والنضر بن شميل (و ٩٥ ، ظ ١٦٧) ويونس (ظ ١٣٠) وسيبويه (و ٥ ، ظ ١٠٦) .

ويروي قاسم عن ابن الأعرابي أن الرقة : أول خروج النبت رطباً ، لتقول الحاشية : « في كتاب المفضليات والأصمعيات : الرقّ ، ما سهل على الماشية من الأغصان . ذكره في تفسير قول جبيهاء الأشجعي يصف عنزاً :

ولو أنها طافت بطنب معجم نفى الرق عنه جذبها فهو كالح »[1]

(و ١٤٣)

ولا تبخل النسخة بالنقل في حواشيها عن الحماسة (ظ ٢١) .

وتأتي النقول عن أبي عمرو الشيباني (ظ ٤٥) وعن الكسائي (و ٢ ، و ٦٩ ، ظ ١٠١) والفراء (ظ ٢٧ ، و ٦٧ ، ظ ١٥٣) وأبي زيد الأنصاري (و ٤٩ ، و ٩٥ ، و ١٥٣ ، ظ ١٦٦) وابن الكلبي (و ١٢٣) ، وابن الأعرابي (و ٥٨ ، و ٧٧) ، وأبي عبيد القاسم بن سلام (و ١١ ، و ٣٣ ، ظ ٧٦ ، ظ ٨٧ ، و ١١٨ ، ظ ١٣٦ ، ظ ١٤٤) وعن كتابه الغريب المصنف (ظ ٦٧ ، ظ ١٣٢ ، و ١٧١) وعن أبي حنيفة (ظ ٧٣ ، و ١٣١ ، ظ ١٣٦ ، و ١٣٧) ويعقوب ابن السكيت (و ٣٣ ، ظ ٤٥ ، و ٦٢ ، و ٦٧ ، و ٦٨ ، و ٨٣ ،

---

(١) المفضليات بشرح الأنباري : ٣٣٣ ، والمفضليات بشرح التبريزي ٢ : ٧٨٦ ، ولسان العرب : (ظنب ، شرر ، قسر) .

و ١١٨ ، و ١٤٢ ، ظ ١٤٨ ، و ١٦٣) وعن كتابه الألفاظ (و ١٦٩) وكتابه الاصلاح (ظ ١٦٦) ، وعن ابن قتيبة (و ٨ ، و ١٣٢ ، ظ ١٣٧ ، ظ ١٣٩ ، و ١٤١) وعن كتابه الأنواء (ظ ٣) وكتابه المسائل (و ٩١) وكتابه غريب الحديث (ظ ١٢٥) وعن أبي العباس المبرد (ظ ١٦ ، ظ ٣٥ ، و ٤٩ ، و ٦٧ ، و ٦٨ ، و ٧٠ ، ظ ٧٦ ، ظ ١٠١) وكتابه الكامل (ظ ٨٦) وعن ثعلب (ظ ١٦ ، و ٦٨ ، ظ ١٠١) ، وأبي بكر بن دريد (ظ ٣٥ ، و ٤٨ ، ظ ١٠٩ ، و ١٢٥ ، و ١٤٤ ، و ١٤٥ ، ظ ١٤٧) وكتابه الجمهرة (ظ ١٦٠) والزبير بن بكار (و ٨٣) ، والأثرم (و ١٦٩) ، والحامض (ظ ١٦٧) ، والمطرز (و ٢ ، ظ ١٢ ، ظ ١٦ ، ظ ٦٧ ، ظ ٧٦ ، ظ ١٤٠ ، و ١٦٩) ، وأبي اسحاق الزجاج (و ١٢٨) ، وأبي علي القالي البغدادي (و ٤ ، و ١٧ ، ظ ٢٩ ، و ٣٢ ، و ٤٤ ، و ٤٩ ، و ٦٦ ، و ٧١ ، ظ ٨٤ ، ظ ٨٥ ، و ٩٣ ، و ٩٥ ، و ١٠٧ ، ظ ١٠٩ ، و ١٢٦ ، ظ ١٢٧ ، و ١٢٨ ، و ١٣٢ ، ظ ١٣٣ ، و ١٣٨ ، ظ ١٤٤ ، ظ ١٧٣) وكتبه : المقصور والممدود (ظ ٣٧) والبارع (و ٩١ ، ظ ١٣٩ ، ظ ١٤٦ ، و ١٦٣) ، والنوادر (ظ ١٣٠) والهمز (و ١٧٨) ، وعن السيرافي (ظ ١٣٨) وابن خالويه (و ٢٨) ، ونقابلك نقول عن الأصفهاني (و ٣) ، وابن ولاد (ظ ٨٥) ، وابن القوطية (و ٦٨) ، والزبيدي (و ١٥٤) ، وأحمد بن فارس في كتابه المجمل (و ١٦٩) ، وابن جني (و ٤٨) ، وأبي رياش (و ١٦٢) ، وابن الفرضي (و ١٠٢) والهروي في الغريبين (و ٧٩ ، ظ ١٢٥) ، والدارقطني (ظ ١٧ ، ظ ١٧١) والحافظ عبد الغني (ظ ١٧١).

٨ – وأشارت التعليقات ، فيما أشارت ، إلى تصحيح ما وقع في النسخة المخطوطة ، أو في بعض النسخ من تصحيف (و٨٣ ، و١٠١ ، و ١١٠، و ١٣٢) . تقول جليلة حين قتل أخوها جساس زوجها كليباً :

تحمل العين قذى العين كما تحمل الأم أذى من تفتلي

فيكون التعليق في الحاشية : « تريد أذى ولدها الذي تفليه ، أي تفطمه عن الثدي ، يقال : فلوت المهر عن أمه ، وافتليته (١) ، فاستعارته في الانسان . وفي بعض النسخ : يعتلي ، وهو تصحيف » (و ١٠٩).

– وينقل قاسم عن الأصمعي أنه أنشد :

. . . . . . كأنهامثلٌ من يمشي على رود

ليأتي التعليق في الحاشية : « البيت بكماله :

يكاد لا تثلم البطحاء وطأته كأنه ثملٌ يمشي على رُود (٢)

والذي وقع في الكتاب تصحيف » (و ١٦٧)

٩ – وتتردد في حواشي الكتاب رموز ثلاثة : س ، ع ، غ ، وجرت عادة النساخ أن يثبتوا في مطالع كتبهم دلالات الرموز . ولكن فقدان النصف الأول من الكتاب قد ذهب بذلك التفسير ، فضاع علينا

(١) في لسان العرب (فلا) : فلا الصبي والمهر ، وأفلاه ، وافتلاه : عزله عن الرضاع وفصله، وقد فلوناه عن أمه : أي فطمناه ، وفلوته عن أمه وافتليته: إذافطمته.

(٢) لسان العرب وتاج العروس (رأد ، رود) وأساس البلاغة (روي د) وشرح القصائد السبع للأنباري : ٤٠٣ ، وشرح أشعار الهذليين : ٨٧٢

معرفة أسماء أصحابها . مهما يكن فإن تتبعنا لسلسلة الرواة الذين خالطوا كتاب الدلائل وتدارسوه ووطّئوه للناس ، وإن مراجعتنا حواشي الرموز الثلاثة يجعلاننا نرجح أن تكون س رمزاً لأبي مروان عبد الملك بن سراج ، وأن تكون ع رمزاً لأبي عليّ الغساني . أما الرمز غ فلم يبد لي مما بين يديّ ما يتيح لي أن أحدس باسمه . كل ما انتهيت إليه بشأنه أنه أحد العلماء الرواة عن الخولاني . وها نحن أولاء نثبت مقتطفات مما نسب لهؤلاء الثلاثة في الدلائل :

أ ــ من تعليقات الامام أبي مروان عبد الملك بن سراج[1] :

ــ س : الدعدعة : تحريك الإناء حين تملؤه ، بالدال غير معجمة . تقول : دعدعت الكأس : إذا ملأتها . قال :

فدعدعا سرة الركاء كما دعدع ساقي الأعاجم الغربا[2]

(ظ ٧)

ــ س : ويروى : بسهم الأخيب ، أي بسهم الخيبة (و ١٠)

ــ يقول قاسم بن ثابت : نا ابن الهيثم عن داود بن محمد عن يعقوب قال : البذّ : القطع ، وأنشد للبيد :

لوردٍ تقلص الغيطان فيه يبذ مفازة الخمس المغالي

---

(١) ذكر اسم أبي مروان صراحة في عدة حواش ، مثل « قال أبو مروان بن سراج : لاحاجة به إلى شيء من هذا ، الأطلم والأدلم بمعنى واحد ...» (ظ ١٧١)، ومثل : « قال ابن سراج : بالحاء كلها » (ظ ١٧٦) .

(٢) البيت من قصيدة للبيد ، انظر ديوان لبيد : ٣٢ ، والمحكم لابن سيده ١ : ٣٩ ، ولسان العرب (غرب ، دعع ، ركا) ، وانظر بقية مصادر تخريج البيت في ديوان لبيد : ٢٧٠ ، وقد عرضت الدلائل للدعدعة مرة أخرى (و ٦٢) .

يقول : تقصر هذه الغيطان إذا سارها ، من سرعته ، وشدّة شدّه ، كأنها تطوى له . وجاء في الحاشية : « خ ، كأنما » أي أنه ورد في نسخة أخرى : كأنما بدل كأنها . أما الحاشية الأساسية فقد جاء فيها تعليقاً على بيت لبيد : « قبله :

فأقبلها النجاد ، وشايعته هواديها كأنضية المغالي

لوردٍ تقاص الغيطان عنه يبذ مفازة الخمس الكمالِ

كذا رواه الأصمعي : الكمال ، بكسر الكاف ، وروي عن الأصمعي : الكمال ، بفتحها ، وهو الكامل . تقاص : تشمر من شدة السير .

— س : الخمس الكمال : يعني خمس ليال بأيامهنّ ، الكمال : الكاملة ، والكمال مصدر وصف به . كذا هو في ديوان شعره » (١) (ظ ٢٢) .

— يبحثن بالأيـدي وقد وجينا

بحث المضلات لما يبغينــا

دمالجــاً ضيّعن أو برينـا

— س : من روى : ضُيعن ، نصبَ الدمالج بالمضـلات ، والوجه الآخر : ضَيَّعن دمالجاً (ظ ٢٥) .

— وقال الراجز : آدم معروف بامهاته .

— س : يعني فحلا (ظ ٣٣)

— تقول العرب : تركت فلاناً بملاحس البقر .

(١) ديوان لبيد : ٨٣ ، وانظر مصادر تخريج البيتين في ديوان لبيد : ٣٧٤

ـ س : أولادها (ظ ٤٠) أي أن العرب تقول : تركت فلاناً بملاحس البقر أولادها [١] .

ـ وإني لكما قال الشاعر :

شجاعٌ إذا ما أمكنتني فرصةٌ وإلا تكن لي فرصةٌ فجبانُ

ـ س : يقال : فُرصة ورفصة (و ٤٤)

وعلى هذا النمط تمضي تعليقات أبي مروان بن سراج في اللغة والنحو والإعراب والرواية (انظر : و ٤٩، و ٦٦، و ٧٦، ظ ٧٧، و ٧٨، و ٨٣، و ٨٤، ظ ٨٧، ظ ٩٥، و ١١٠، و ١١٧، و ١٣٦، ظ ١٣٦، ظ ١٣٧، و ١٣٩، ظ ١٣٩، و ١٤١، ظ ١٤٣، ظ ١٤٨، ظ ١٦٥، و ١٦٧، ظ ١٦٧ و ١٧٤) .

ب ـ ومن تعليقات الامام أبي علي الغساني [٢] :

ـ قال ابن أحمر :

وافيت لما أتاني أنهـا نزلت إن المنازل مما تجمع العجبا [٣]

ـ ع : وافيت : حججتُ ، وأنشد لابن أحمر :

. . . . إن الناس حجوا قابلًا أن أوافيا

(ظ ٣٥)

ـ : أراه عن سعيد أبي سعد البقال ، عن ع ، واسمه سعيد

(١) في اللسان (لحس) : وقولهم : تركت فلاناً بملاحس البقر أولادها ، هو مثل قولهم : بمباحث البقر ، أي بالمكان القفر ، بحيث لا يُدرى أين هو .

(٢) ذكر اسم أبي علي صراحة ، أكثر من مرة ، في حواشي المخطوطة مثل قوله : « معاً عند الفقيه أبي علي » (و ١٦٦) ، ومثل : « هذا الحديث ليس عند الفقيه أبي علي » (ظ ١٧٩) .

(٣) ديوان عمرو بن أحمر الباهلي : ٤٤ ، لسان العرب (نزل) ، وانظر بقية تخريجات البيت في ديوان ابن أحمر : ١٩٤

ابن المرزبان (١) (و ٧٣) .

— ع : معضت ، بالضاد المعجمة ، ذكره الحديث ، وعليه فسره فقال : معض من الشيء وامتعض : أي شق عليه ، وغضب له ، وأنف منه (ظ ١٠٩) .

— : ناه إبراهيم قال : نا محمد بن إدريس قال : نا الحميدي ، عند ع (و ١١٢) .

— ع : نا أبو عمر ، نا ابن أسد ، نا ابن فراس ، نا محمد بن علي ، نا سعيد بن منصور ، نا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق (٢) قال : تردّى فالج في بئر ، فلم يقدروا على منحره ، فأتى مسروقٌ فقال : ذكّوه من قبل شاكلته . الفالج : البعير ذو السنامين ، والشاكلة : الخاصرة (ظ ١٣٢) .

---

(١) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ : ٧٩ — ٨٠

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) انظر مراجع ترجمته في الأعلام ٩ : ٣١٧ ، ١٠ : ٢٥٤ ، المستدرك الثاني : ٢٦٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣ : ٣١٥ - ٣١٦

— أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد الجهني

— أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فراس

— محمد بن علي بن زيد الصائغ ، سمع عليه قاسم بن ثابت وأبوه بمكة . توفي سنة ٢٩١ هـ (العبر ٢ : ٩٠ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٥٩ ، الوافي بالوفيات ٤ : ١٠٧)

— أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي . سكن مكة ومات بها سنة ٢٢٧ هـ (تهذيب التهذيب ٤ : ٨٩ — ٩٠ فهرست ابن خير : ١٣٥) وبالسند المتقدم إلى سعيد بن منصور ، روى أبو علي الغساني مصنف سعيد بن منصور البلخي (فهرست ابن خير : ١٣٥ - ١٣٦)

ـــ ع : يقال : عشب محلس ومستحلس : إذا صار النبات عليها كالحلس لها . ويقال : أحلس النبتُ : إذا اخضرّ بعضه واسود بعضه. أخلس : وقع في الحديث وفي التفسير ، والحاء فيه أعرف ، ويجوز فيه الخاء المعجمة (و ١٣٩) .

ـــ : حرفتها ، بالخاء ، عند ع (و ١٣٩)

ـــ ع عن س : قال سيبويه : وسألت الخليل عن مقتوي ومقتوين، فقال : هو بمنزلة : الأشعري والأشعرين ، يعني أنك حذفت ياء النسبة ثم جمعت الكلمة على حالها على غير قياس . وكان القياس إذ حذفت الياء فوقعت الواو طرفاً أن تنقلب ألفاً فيصير مقتى مثل ملهى ، فتقول : مقتون كما تقول : ملهون . إلا أن العرب استعملته على خلاف هذا ، وكأنهم قد جاءوا به في الواحد على أصله ، فقالوا : هذا مقتو ، ورأيت مقتوا ، ثم جمعوه على ذلك . قال سيبويه : وقد قالوا : المقاتوة كما قالوا : المسامعة والمهالبة(١) (ظ ١٤٦) .

ـــ ع : بعدان : بكسر العين ، موضع ، وهو الذي ذكره لبيد وبفتح للعين ، قوم من بني أسد ، ثم من بني نصر بن قصين قالها أبو رياش (و ١٦٢) وانظر : و ١٦٦ .

ـ فإن نغبر فإن لنا لماتٍ وإن نغبر فنحن على نذور

---

(١) كتاب سيبويه ٢ : ١٠٣ – ١٠٤ ، الخصائص لابن جني ٢ : ٣٠٣ – ٣٠٤ ، شرح القصائد السبع للأنباري : ٤٠٣ – ٤٠٤ ، شرح القصائد العشر للتبريزي : ٣٤٦ . قال عمرو بن كلثوم في معلقته :

تهددنا وأوعدنا رويدا متى كنا لأمك مقتوينا

(انظر الأنباري : ٤٠٢ – ٤٠٤ ، والتبريزي : ٣٤٥ – ٣٤٦)

– ع عن س : كذا أقرأنيه : تغبّر ، في الأول والثاني . وقال: هما من الأضداد ، والأولى بمعنى الذهاب ، والثانية بمعنى البقاء (و١٦٩)

– : البتيارة بالتاء عند ع (ظ ١٧٦)

ج – ومن تعليقات غ :

– غ : وترمّح : إذا وثب (ظ ٢٢)

– نا غ : نا الخولاني عن أبي ذر عن أبي بكر بن شاذان عن أبي بكر بن [أبي] داود قال : نا جعفر بن مسافر ، نا الفريابي نا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن طارق بن شهاب [1] قال طارق : الربيل :

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن غلبون الخولاني (٤١٨ – ٥٠٨ ﻫ) ترجم له في الصلة ١ : ٧٦ ، وفي بغية الملتمس : ١٥٥

– أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري المالكي نزيل مكة (ت ٤٣٤ ﻫ) ترجم له في تاريخ بغداد ١١ : ١٤١ ، والعبر ٣ : ١٨٠ – ١٨١ ، والبداية والنهاية ١٢ : ٥٠ – ٥١ ، وذكر ابن خير جملة من كتبه (فهرست ابن خير : ٧٠ ، ٨٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ – ٢٨٧ ، ٣٠٣)

– أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان ، محدث بغداد في عصره (ت ٣٨٣ ﻫ) . ترجم له في تاريخ بغداد ٤ : ١٨ – ٢٠ ، المنتظم ٧ : ١٧٢ – ١٧٣ ، وانظر : العبر ٣ : ٢٢ وتذكرة الحفاظ : ١٠١٧

– أبو بكر بن [أبي] داود : هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث (٢٣٠ – ٣١٦ ﻫ) . ترجم له في تاريخ بغداد ٩ : ٤٦٤ – ٤٦٨ ، تذكرة الحفاظ : ٧٦٧ – ٧٧٣ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٤٣٣ – ٤٣٦ ، لسان الميزان ٣ : ٢٩٣ – ٢٩٧ ، طبقات الحنابلة ٢ : ٥١ – ٥٥ ، المنتظم ٦ : ٢١٨ – ٢١٩

=

الذي يغزو القوم وحده[(١)] (و ٣٩)

غ : ورواه أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن شريح[(٢)] من

= — أبو صالح جعفر بن مسافر (ت ٢٥٤ هـ) — انظر تهذيب التهذيب ٢ : ١٠٦ — ١٠٧

— أبو عبد الله محمد بن يوسف بن واقد الفريابي (١٢٠ — ٢١٢ هـ) صدوق ثقة من أفضل أهل زمانه (تهذيب التهذيب ٩ : ٥٣٥ — ٥٣٧ ، الجرح والتعديل ٤/١ : ١١٩ — ١٢٠ ، التقريب ٢ : ٢٢١)

— أبو يوسف اسرائيل بن يونس السبيعي الهمداني الكوفي (ت ١٦٠ هـ) ، انظر تهذيب التهذيب ١ : ٢٦١ — ٢٦٣ ، الجرح والتعديل ١/١ : ٣٣٠ — ٣٣١ ، تاريخ بغداد ٧ : ٢٠ — ٢٥ ، التقريب ١ : ٦٤

— أبو إسحاق إبراهيم بن مهاجر البجلي الكوفي ، انظر تهذيب التهذيب ١ : ١٦٧ — ١٦٨ ، الجرح والتعديل ١/١ : ١٣٢ — ١٣٣ ، ميزان الاعتدال ١ : ٦٧ — ٦٨

— أبو عبد الله طارق بن شهاب الأحمسي الكوفي (ت ٨٢ هـ) ، انظر تهذيب التهذيب ٥ : ٣ — ٤ ، الاصابة ٣ : ٢٨١ — ٢٨٢ ، الجرح والتعديل ١/٢ : ٤٨٥ ، تاريخ الاسلام ٣ : ٢٥٩ ، طبقات ابن سعد ٦ : ٦٦

(١) جاء في نهاية ابن الأثير (ربل) : الربيل : اللص الذي يغزو القوم وحده .

(٢) أشعث بن سوار الكوفي (ت ١٣٦ هـ) ، انظر تهذيب التهذيب ١ : ٣٥٢ — ٣٥٤

— أبو بكر محمد بن سيرين البصري ، إمام وقته (ت ١١٠ هـ) ، انظر تهذيب التهذيب ٩ : ٢١٤ — ٢١٧ ، العبر ١ : ١٣٥ — ١٣٦ ، وتجد مراجع ترجمته في الأعلام للزركلي ٧ : ٢٥ ، ومعجم المؤلفين ١٠ : ٥٩

— أبو أمية شريح بن الحارث الكندي الكوفي (ت ٨٥ هـ) ، انظر تهذيب التهذيب ٤ : ٣٢٦ — ٣٢٨ ، وأخبار القضاة لوكيع ٢ : ١٨٩ — ٣٩٨ ، وتجد مراجع ترجمته في الأعلام ٣ : ٢٣٦

قوله (ظ ١٠٩)

- غ : هو مغيث بن سُمي القاص الأعمى أبو أيوب [١] عن عبد الله بن عمرو وكعب (و ١١٢)

جاء في سند حديث مجاهد : نا الحسن بن بشر .

- غ : هما أخوان : الحسين والحسن ، لكن الحسين أشهرهما (و ١٢٨) .

كان هذا تعليقاً على اسم الحسن بن بشر الذي جاء في سند حديث مجاهد .

- : لم يسمع شعبة من الحسن غير هذا الحديث . قاله لنا غ (و ١٥٤) .

- غ : ثبتت الواو عند ابن الحاج ، والصواب سقوطها (و ١٧٩)

١٠ - ونثبت فيما يلي ماتضمنه السفر الثاني من مخطوطة الدلائل الظاهرية :

من حديث الصحابة [٦٤ صحابياً]

- حديث علي بن أبي طالب (ظ ١)
- حديث الزبير بن العوام (و ١٦)
- حديث طلحة بن عبيد الله (ظ ١٧)
- حديث سعد بن أبي وقاص (ظ ١٨)
- حديث أبي عبيدة بن الجراح (و ٢١)
- حديث عبد الرحمن بن عوف (و ٢٢)
- حديث أبي بن كعب (و ٢٣)
- حديث أبي موسى الأشعري (و ٢٣)
- حديث المقداد بن الأسود (ظ ٢٥)
- حديث العباس بن عبد المطلب (و ٢٦)
- حديث زيد بن ثابت (و ٢٩)
- حديث عبد الله بن أنيس (ظ ٣٠)

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٥٥

- حديث معاذ بن جبل (ظ ٣٠)
- حديث عمار بن ياسر (و ٣١)
- حديث سلمان الفارسي (ظ ٣١)
- حديث أبي أيوب الأنصاري (و٣٢)
- حديث خوات بن جبير (و ٣٢)
- حديث زيد بن خالد الجهني (ظ٣٢)
- حديث عبد الله بن سلام (ظ ٣٢)
- حديث أبي ذر جندب بن جنادة(و٣٣)
- حديث عبد الله بن بسر (و ٣٦)
- حديث حسان بن ثابت (ظ ٣٦)
- حديث عمرو بن العاصي (ظ ٣٩)
- حديث عبد اللهبن عمرو بن العاصي (ظ ٣٩)
- حديث معاوية بن أبي سفيان(ظ٤٠)
- حديث يزيد بن أبي سفيان (ظ٤٧)
- حديث الحكم بن أبي العاصي(و ٤٨)
- حديث عبد الله بن مسعود(و ٤٩)
- حديث زيد بن أرقم (و ٥٦)
- حديث عمران بن حصين (ظ ٥٦)
- حديث حذيفة بن اليمان (و ٥٧)
- حديث أبي الدرداء (ظ ٥٩)
- حديث كعب بن مالك (و ٦١)
- حديث البراء بن عازب (ظ ٦١)
- حديث عمرو بن سلمة الجرمي (و٦٢)
- حديث أبي برزة الأسلمي (و ٦٣)
- حديث عوف بن مالك الأشجعي(و٦٤)
- حديث وائل بن حجر (ظ ٦٤)
- حديث أبي حذيفة بن عتبة (ظ٦٤)
- حديث عمارة بن رويبة (و ٦٥)
- « المغيرة بن شعبة (ظ ٦٥)
- « الضحاك بن قيس (٦٥)
- « عقيل بن أبي طالب (ظ ٦٥)
- « أبي مسعود الأنصاري(ظ٦٥)
- « النعمان بن بشير (و ٦٦)
- « أبي سعيد الخدري (و ٦٨)
- « أبي هريرة (ظ ٦٨)
- « عقبة بن عامر (ظ ٧٠)
- « حذيفة بن أسيد الغفاري(ظ٧٠)
- « جابر بن عبد الله (و ٧١)

حديث التابعين [٨٧ تابعياً]

شاكر الفحام

— للبحث صلة —

ثقافة اليونان والرومان
وأثرهما في طه حسين

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

— ٢ —

وأخذ طه حسين بعد ذلك يبين مرامي توفيق الحكيم من قصته ، وهي في حق مرام واضحة لم تكن في حاجة إلى تفسير ...

وبلغ من إعجاب الدكتور طه حسين بالثقافة اليونانية أنه كان يستحضر حوادثها ومروياتها ومأثوراتها في الاستشهاد بها في معرض الرد على خصومه حين يخاصمونه على القضايا التي كانت تشغل الناس في وقته . فحين ناقشه المرحوم المؤرخ الجليل رفيق العظم على صفحات صحيفة « السياسة » سنة ١٩٢٣ حول آرائه حول الشاعر أبي نواس ومن في طبقته من شعراء المجون بأنهم كانوا مثالاً صادقاً للعصر العباسي الذي عاشوا فيه ، وأن أخبارهم صحيحة لا غبار عليها ، وأكد له أن هذا التصديق المطلق لكل خبر لا يصح للمؤرخ الممحص أن يسلم به ، أو يسكت عليه ، — حين نشر رفيق العظم هذا الكلام ردّ عليه طه حسين بمقال في السياسة أيضاً يذكر له فيه رسالة صغيرة قرأها للمؤرخ اليوناني « بلوتارك » — وقد رسمه طه

حسين هذه المرة على هذه الصورة بدلاً من : فلوترخس ، الذي رسمه عليها في كتابه : قادة الفكر — يقول فيها : (ولقد أذكر رسالة صغيرة قرأتها للمؤرخ اليوناني « بلوتارك » « Plutarque » قصد بهـا إلى نقد « هيرودوت » « Herodote » ، واتهمه فيها بالكذب والافتراء . وكان لهذه الرسالة في العصر القديم شهرة أساءت إلى « أبي التاريخ » فظن فيه الناس الظنون ؛ لأنه اتهم قدماء اليونان وأبطالهم في الحرب الفارسية اليونانية بالنقائص المختلفة ، فوصف بعضهم بالخيانة ، وبعضهم بالغدر ، وبعضهم بالجبن ، وبعضهم بالرشوة . ونهض بلوتارك للدفاع عن هؤلاء الأبطال ، فزعم أن « أبا التاريخ » كاذب ، وأن هؤلاء الأبطال أرفع مكانة ، وأعلى منزلة ، وأجل خطراً من أن يقعوا في مثل هذه الآثام . وفتن اليونان بهذا النقد ، لأنه يبرىء الآباء والأجداد من هذه النقائص . فلما كان العصر الحديث ، وكان استكشاف الآثار اليونانية ، وكان استكشاف مناهج النقد الحديثة في التاريخ ، ظهر أن « هيرودوت » لم يكذب ، ولم يتكلف ، وأن « بلوتارك » هو الذي تكلف تقديس الناس وتبرئتهم مما لا يبرأ منه الناس . وليس هذا بغريب ؛ فقد عاش « أبو التاريخ » في أيام مجد اليونان وعزتهم ، فلم يكن يؤذيه ، ولم يكن يؤذي اليونان ، أن يصف أبطالهم بما لا يسلم منه الناس من العيوب . وعاش « بلوتارك » أيام ذلة اليونان وانحطاطهم السياسي ، فكانت هذه النقائص تؤذيهم ، وكانوا محتاجين إلى المبالغة في مجدهم التليد حين أعوزهم المجد الطريف ..)[1] .

ونحن هنا لا نثير هذه القضية لنكشف عن صواب ما ذهب إليه طه حسين من رأي أو خطئه ، فلذلك مقام غير هـذا المقام ، وقد تولاها

(١) حديث الأربعاء لطه حسين — جزء ٢ ص ٦٥ ، ٦٦

المرحوم رفيق العظم بك بالدفاع المجيد عن وجهة نظره التي اتفق الناس في حينها على أنها وجهة صحيحة . ولكننا سقناها هنا للتدليل على استفادة الدكتور طه حسين من مسائل الفكر اليوناني والتاريخ اليوناني ، ليدافع بها عن وجهات نظره أمام خصومه في الرأي .

وليس أدلّ على سلامة وجهة نظر المرحوم المؤرخ رفيق العظم من أن المرحوم إبراهيم عبد القادر المازني دخل طرفاً آخر في القضية المثارة بين الرجلين ، وحمل على طه حسين حملة شديدة غير هينة ولا رفيقة ، وتساءل لماذا يحاول الدكتور طه أن يجسم فضائح عصر من أزهى عصور الحضارة العربية الإسلامية بدعوى أنه يجري على نحو من أنحاء الأدب الغربي – بالغين المعجمة – ولماذا يختار هذه الجوانب المنحطة من الحياة العربية ، ويترك الجوانب المشرقة الوضيئة ، إلا إذا كان ذلك عن عمد مقصود لا مجال فيه للتأول والإحالة على مجرد المصادفات والاتفاق (١) .

وكثيراً ما بلغ إعجاب الدكتور طه حسين بالثقافة اليونانية واللاتينية حداً نادى فيه نداء عالياً مجلجلا بوجوب تعليم لغة اليونان والرومان القدماء ، لا في المعاهد العالية والجامعات وحسب ، بل في التعليم العام ، ويعني به التعليم الثانوي . وفي هذا الشأن صرح بقوله : (أنا مؤمن أشدّ الإيمان بأن مصر لن تظفر بالتعليم الجامعي الصحيح ، ولن تفلح في تدبير مرافقها الثقافية الهامة ، إلا إذا عُنيت بهاتين اللغتين ، لا في الجامعة وحدها ، بل في التعليم العام قبل كل شيء ؛ لأن اللاتينية أساس من أسس العلم والتخصص ولأن التعليم العالي الصحيح لا يستقيم في بلد من البلاد الراقية إلا إذا اعتمد

(١) قبض الريح – لأبراهيم عبد القادر المازني .

على اللاتينية واليونانية ، على أنها من الوسائل التي لا يمكن إهمالها والاستغناء عنها ...) [١] .

والدكتور طه حسين — رحمه الله — حرّ في أن يرى من وجوب تعليم اللغات الأجنبية ، القديمة والحديثة ما يشاء ، ولكنه غير حرّ حين يرى أن يزحم التلاميذ في التعليم العام ، والطلاب في الجامعات العربية بلغتين قديمتين فوق زحمتهم بالانجليزية والفرنسية ، مع إمكان التخصص لمن يشاء من الطلاب .

وبالطبع لم تقابل وجهات نظر طه حسين في هذا المجال بالقبول عند كثرة من الباحثين والمثقفين العرب ، فقد تصدّى للردّ عليه ومناقشة آرائه جماعة منهم المرحوم الأستاذ ساطع الحصري ، مؤسساً ردّه على أن اللغتين اليونانية واللاتينية قد سادتا أوربا حتى بعد انقراض حضارة الأغريق وحضارة الرومان - لعوامل كثيرة ليس لها مجال في بلادنا العربية ، ولا ضرورة لها ، ومن تلك العوامل أن (اللاتينية كانت لغة روما في القرن الأول ، غير أنها صارت بعد ذلك لغة الطبقة المديرة المستنيرة في جميع أنحاء أوربا الغربية عندما دخلت تحت حكم روما ، كما أصبحت لغة الدين والصلاة في تلك البلاد عندما اعتنقت الديانة المسيحية ، وأخيراً صارت من دعائم الكنيسة الكاثوليكية عندما تكونت الكنيسة المذكورة ، وأخذت تبسط سلطتها على جميع الدول والدويلات التي تدين بها . أما اليونانية فقد حافظت على كيانها في معظم البلاد التي انتشرت فيها بالرغم من استيلاء الرومان عليها ، كما أنها أصبحت لغة الدولة بعد انفصال الشرق

(١) طه حسين بين أنصاره وخصومه ص ١٩٩

من الغرب ، وتكوّن الامبراطورية الشرقية مستقلة عن الامبراطورية الرومية الغربية ، كما أصبحت لغة الدين والصلاة في العالم الأرثوذكسي عندما اعتنقت الأمبراطورية المذكورة الديانة المسيحية ، وأخيراً ، وبهذه الصورة ، تقاسمت اللغتان اللاتينية واليونانية السيطرة على الحياة الدينية في أوربا المسيحية ، فأصبحت الطقوس والصلاة المسيحية تحت احتكار اللاتينية في أوربا الغربية في جميع البلاد التي اعتنقت المذهب الكاثوليكي ، وتحت احتكار اليونانية في أوربا الشرقية في جميع البلاد التي اعتنقت المذهب الأرثوذكسي . أما الحياة الأدبية في القرون الوسطى فمن المعلوم أنها لم تجد من يزاولها ويهتم بها إلا من بين رجال الدين ، فعاشت وترعرعت تحت ظلال الكنائس ..)[١].

ولم يسكت الدكتور طه حسين عن المطالبة مرة ومرة بتعليم اللغتين اليونانية واللاتينية ودرسها في المعاهد،فحين أصدر كتاب (نظام الأثينيين) الذي ترجمه عن أرسطو كتب له مقدمة طويلة أبدى فيها أسفه وخجله لأن الأصل المخطوط لهذا الكتاب اكتشف في مصر سنة ١٨٩١ م مكتوباً على البردي باللغة اليونانية القديمة ، ولكن قراءة هذا الأصل غير ميسورة ولا نافعة إذ ليس من طلبة الجامعة المصرية من ألمّ بهذه اللغة .. (فمالي لا أفسر لهم ترجمته العربية ، إذا كان الشقاء قد قضى علينا ألا نعنى باللغات القديمة ، ولا نحفل بدرسها) [٢] .

وهكذا نرى الدكتور طه حسين يعد عدم تعليم اليونانية واللاتينية في معاهد مصر شقاء يدعو إلى الخجل والحسرة .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠

(٢) نظام الأثينيين ص ٨

ولم يقف طه حسين عند اليونانية واللاتينية بالقدر الذي بلغه في أثناء دراسته بجامعتي باريس ومونبيليه ، ولم يجعل لما درسه منهما نهاية يقف عندها ؛ بل أخذ منذ عودته من فرنسة يصل متابعاته القرائية لما استجد من الدراسات والكتب في هذا الميدان . ففي سنة ١٩٢٥ - أي بعد عودته من أوربا بست سنوات — يكتب كتابه « قادة الفكر » — كما سلف القول - ونقرأ نحن في سطور هذا الكتاب أنه مشغول بكتاب ظهر في تلك الأيام موضوعه تاريخ الفكر اليوناني لأستاذ من علماء هذا الميدان في فرنسة اسمه المسيو « ليون روبان » ، ويعلن أن (هذا الكتاب الضخم القيّم ليس أول كتاب ظهر في هذا الموضوع ، ولن يكون آخر كتاب بل ليس هو الكتاب الوحيد الذي ظهر في هذه الأيام من نوعه . وإنما هناك كتب كثيرة ظهرت ، وتظهر ، وستظهر في هذا الموضوع ، لأن الأوربيين يتخذون هذه القاعدة قانوناً لهم ، وهي أن ليس إلى فهم الحياة الحديثة على اختلاف وجوهها من سبيل إلا إذا فهمت مصادرها الأولى . ومصادرها الأولى هي الحياة اليونانية من جهة ، والرومانية من جهة أخرى أو قل : هي الحياة اليونانية ، لأن حياة الرومان كانت — من أكثر وجوهها — متأثرة بالحياة اليونانية) [١] .

وقد يقول قائل ، أو يعترض معترض ، بأنه ما لنا ـ نحن المصريين أو العرب — بالحياة الحديثة التي تأثرت بمصدرها الأول في الحياة اليونانية؟ وقد فطن الدكتور طه حسين إلى أن سؤالاً مثل هذا قد يقوم في نفس

(١) قادة الفكر ص ٥٣

القارىء فقال مرسلا الحديث : (وإذ كنا قد أخذنا في هذا العصر الحديث نسلك سبيل الأوربيين ، لا في حياتنا العقلية وحدها ، بل في حياتنا العملية على اختلاف فروعها أيضاً ، فليس لنا بدٌ من أن نسلك سبيل الأوربيين في فهم هذه الحياة التي استعرناها . أقول : إننا أخذنا في هذا العصر الحديث نسلك السبيل الأوربية في جميع فروع الحياة ، ونعدل عن حياتنا القديمة عدولاً يوشك أن يكون تاماً . وأحسب أنك لن تطالبني بالدليل على ذلك ، فأنت في المدرسة تتعلم العلم الأوربي ، وأنت إذا قرأت تقرأ العلم الأوربي ، وإذا فكرت فعلى النحو الأوربي . وأنت في بيتك وفي صلاتك المختلفة تسلك المسلك الأوربي ، وأنت في حياتك السياسية وفي نظامك الإداري والاجتماعي تنهج المنهج الأوربي . وما أحسب أننا نكتفي من هذه الحياة بتقليد القردة ، وإنما أعلم أننا نريد أن نتخذها حياة لنا عن فهم وبصيرة . وإذن فلنفهمها قبل كل شيء ، ولنتبين — إذا كان الأمر كذلك — كيف كانت حالة الفكر في تلك العصور اليونانية الخصبة ، وكيف كانت قيادة الفلسفة إياه . ولنبدأ من هؤلاء الفلاسفة الذين أشرفوا على قيادة الفكر اليوناني ، ولا يزالون يشرفون على قيادة الفكر الإنساني ، بأبيهم وزعيمهم جميعاً : سقراط) (١) .

وبمناسبة الحديث عن (قادة الفكر) ، وموضوعه قادة الفكر عند اليونان والرومان ، نستطرد قليلاً ، ونستأذن القارىء الكريم في هذا الاستطراد ، لنتحدث عن المنهج الذي اتبعه الدكتور طه حسين في الترجمة

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٤ ، ٥٥

لقادة الفكر ، فهو لم يسلك المذهب الفردي الذي يتصل بحياة الأشخاص والأفراد اتصالاً مطلقاً ، ويهمل نواحي المجتمع الذي أنجبهم وعاشوا هم فيه ، لأن الآراء والآداب على اختلافها ظواهر اجتماعية أكثر منها ظواهر فردية ، أي أنها أثر من آثار الجماعة التي نبتت فيها أكثر من أن تكون أثراً من آثار الفرد الذي اتخذها .

وهو لم يسلك المذهب الجماعي الذي يغالي في تقدير الجماعة والمجتمع ويضيف كل أثر إليها وحدها ، حتى ليكاد « الفرد » يضيع أو ينسى في خلال الجماعة نسياناً تاماً .

ولكن طه حسين سلك مذهباً بين الاثنين ، فلم يهمل المجتمع على حساب الفرد ، ولم يغفل عن الفرد على حساب الجماعة .

وكان من الفضل لطه حسين في هذا المجال أنه تأثر به قوم من كتاب التراجم والسير المعاصرين ، فاعتدلت كفتا الميزان في أيديهم بين تقدير الفرد وتقدير المجتمع .

ومن الحق أن نقول إن الدكتور طه حسين في مؤلفاته التي عالجت موضوعات الفكر والأدب والثقافة اليونانية على العموم قد أثار كثيراً من المسائل التي تتصل بهذا المجال ، وخاصة في ميدان الشعر وتطوره إلى غناء وقصص وتمثيل ، وفي تحول الفكر اليوناني من عبادة الأشياء ورهبتها إلى محاولة فهمها ، وفيما أخذته اليونان عن الشرق القديم من حضارة واعترافها بجميله ، وفي فضل الحكام الفاتحين من أمثال الاسكندر المقدوني ، ويوليوس قيصر الروماني على الفكر العالمي بمحاولة التقريب بين الشرق والغرب ، وفي التعرض للحديث عن شخصية هوميروس صاحب الألياذة ،

وهل هو شخصية حقيقية أم خرافية ، وغير ذلك من أمثال هذه المسائل التي شغف بها القارىء العربي الذي لم يكن يعرف عنها شيئاً .

ففي مجال الحديث عن الشاعر اليوناني هوميروس يعرض لنا طه حسين عن صنوه في العاهة صورتين : أولاهما يونانية ، تمثل لنا هوميروس بطلاً أسطورياً من الأبطال نشأ من علاقة زواج بين نهر من أنهار آسيا الصغرى وبين امرأة من عامة النساء ، وتقص علينا من أخباره قصصاً تثير الإعجاب، ولكنها لا تحمل على التصديق بها . وثانيتها صورة أخرى صوّرتها أوربا في القرن التاسع عشر لهذا الشاعر ، تمثله رجلاً عادياً من الرجال ، وواحداً من البشر ، لا مجال للأسطورة فيه . على أن آخر ما تمثلته أوربا من الصور لهوميروس هو إنكار شخصيته تماماً ، وأنه ما هو إلا تجسيد الأمة اليونانية كلها في مرحلة بداوتها . وأن الألياذة ، والأوديسة ليسا من عمله وإنما من عمل الأمة اليونانية كلها .

وفي مجال الحديث عن بداوة اليونان وبداية الشعر فيها يحدثنا الدكتور طه حسين في كتابه (قادة الفكر) عن نشأة الشعر في اليونان وعن الشعراء الذين كانوا قادة الفكر في أثناء البداوة اليونانية ، كما كانوا في بلاد العرب قبـــل الإسلام . وكيف كان الشاعر في قصصه يغنّيه ويلحنه ، وكيف كان الناس يستمعون إليه في لذة واستمتاع ، وكيف كانوا يروون عنه أناشيده الجميلة الرائعة وهم في مرحلة البداوة من حياتهم ، إلى أن تحضرت البلاد ، فأخذت حكوماتها المنظمة تعنى بهذه الأشعار الملحنة المغناة وتهتم بتدوينها . . .

وتطور الشعر القصصي في بلاد اليونان إلى شعر غنائي يتغنى بالعواطف

الانسانية المختلفة ، ولا يقتصر على القصص ، ثم تطور القصص والغناء في الشعر وبالشعر إلى التمثيل في الملاعب . ولم يجد الناس صعوبة في إيجاد شعر جديد يصلح للتمثيل على المسارح ، فلجأوا إلى الشعر القصصي القديم ووجدوا فيه استجابة لمطالبهم .

وتطور الشعر والغناء والتمثيل بتطور الأمة إلى فلسفة وحكمة ، ولكن هذه الفلسفة لم تطرد الشعر القصصي القديم ، ولم تجعل الناس ينصرفون عنه ، لأنه كان مستودع المثل العليا في الأخلاق والحياة الإنسانية الساذجة البريئة . . .

وما زال الناس في الغرب إلى يومنا هذا يلتمسون نماذجهم عند شعراء اليونان ، فإذا هم ينشئون قصصهم وقصائدهم على نحو ما كان يفعل اليونان ، متأثرين بالألياذة والأوديسة . ولم يكتف الأوربيون في زماننا هذا بهذا التقليد والأخذ ، بل أخذوا يترجمون القصص اليونانية القديمة إلى لغاتهم ويمثلونها على مسارحهم [١] .

ولم يفت الدكتور طه حسين في معرض الحديث عن هذه المسائل اليونانية والرومانية ، أن يتحدث عن العلاقة بين اليونان والشرق المتحضر . فقرر أن الشرق كان قد بلغ درجات عالية ، من الحضارة الراقية ، في الوقت الذي كانت فيه اليونان أمة بدوية ساذجة تستمع إلى الشعر القصصي والغنائي وتعجب به ، وتطرب له .

وكان تبادل الأفكار والعلوم والثقافات متبادلاً بين الشرق القديم

(١) قادة الفكر ص ٢٢ إلى ص ٢٨

وبلاد اليونان القديمة وخاصة حين أخذت هذه في أسباب الحضارة والمدنية ، على سنة الأمم دائماً حين تأخذ من غيرها وتعطي . (فأخذ اليونان عن الشرقيين أشياء كثيرة ، ولكنها عملية مادية كما قلنا . أخذوا عنهم - مثلاً - نظام النقد ، وأخذوا عنهم نظام المقاييس ، وأخذوا عنهم شيئاً من الموسيقى وتعلموا منهم فنوناً عملية كالحساب والهندسة . ولكنهم لم يأخذوا عنهم شيئاً عقلياً يذكر . فلئن كان البابليون قد رصدوا النجوم ووصلوا من ذلك إلى نتائج قيمة ، فهم لم يضعوا علم الفلك ، وإنما هذا العلم يوناني ، لم ينشأ عن النتائج البابلية ، وإنما نشأ عن البحث اليوناني والفلسفة اليونانية . ولئن كان المصريون قد وصلوا إلى نتائج قيمة من الهندسة العملية والآلية ، فليس المصريون هم الذين وضعوا علم الهندسة ، وإنما اليونان هم الذين ابتكروه ابتكاراً ..) [١] .

ولكن كان عند اليونان شيء آخر غير الفنون العملية ، امتازوا به ، وخُصوا به وحدهم من دون أمم الأرض جميعاً . كان عندهم (المذاهب الفلسفية المختلفة التي حاولت منذ القرن السادس قبل المسيح فهم الكون وتفسيره وتعليله ، ثم نجد عندهم هذه الفلسفة : فلسفة ما بعد الطبيعة ، وما نشأ عنها من أنواع البحث التي نظمت العقل الإنساني ، ولا تزال تنظمه إلى الآن . ثم نجد عندهم هذه الفلسفة الخلقية التي أنشأت علم الأخلاق ، والتي لم يعرفها العالم القديم من قبل ..) [٢] .

(١) المصدر نفسه ص ٤٨ ، ٤٩

(٢) المصدر نفسه ص ٤٩ ، ٥٠

ويضيف الدكتور طه حسين إلى ما عند اليونان من أشياء لا توجد في الشرق القديم (هذا التطور السياسي الخصب ، الذي أحدث النظم السياسية المختلفة في المدن اليونانية من ملكية وجمهورية وارستقراطية وديمقراطية معتدلة أو متطرفة ، والذي لا يزال أثره قوياً في أوربا إلى اليوم ، والذي أخذ الشرق يتأثر به في نظمه السياسية أيضاً ..)(١) .

وعلى حين كانت هذه النظم السياسية المختلفة متعاقبة على بلاد اليونان أو سائدة فيها كان الشرق القديم يسوده نظام سياسي واحد يخضع له تمام الخضوع لم يتغير ولم يتبدل ، وهو نظام الملكية المطلقة المستبدة الذي لا ابقاء معه لحرية الأفراد والجماعات ، بل تذوب فيه قدرة المحكوم ومقدّراته في سلطان الحاكم .

والحق أن اليونان وثقافتها المتنوعة وأدبها وتاريخها وفنونها ظلت تراود فكر الدكتور طه حسين منذ دراسته للتاريخ القديم في فرنسة وحتى عودته منها ، وبعد عودته واستقراره فيها بزمان طويل . وقد لا نعدو الحق إذا قلنا إنها ظلت تراوده طول حياته .

ففي رحلة الدكتور طه حسين إلى أوربا في ربيع سنة ١٩٤٨ طاف ببلاد كثيرة في طريقه إلى فرنسة وإيطاليا . وفي جوازه ببلاد اليونان وقف عند القلعة في مدينة أثينا عاصمة تلك البلاد وقضى فيها ساعتين استحضر فيها كثيراً من الذكريات عن ماضي اليونان خلال ثلاثة قرون من عمر الزمان . وخشية أن يفسد الاقتباس ما نريد أن نرويه من كلام طه حسين

(١) المصدر نفسه ص ٥١ ، ٥٢

في هذا الصدد ، فاننا نؤثر نقله كامـلًا بنص عبارته ، حتى يبقى للقارىء وجه الاستمتاع به . وما أرقّ الدكتور طه حسين وهو يحدثنا عن هذه الأطلال اليونانية قائلًا : (... وقضينا في القلعة ساعتين ، عشنا فيها ثلاثة قرون كاملة . فاعجب إن شئت لثلثمائة سنة تختصر في ساعتين ، فهـذه خصلة خص بها الإنسان ، تتيح له أن يختصر الزمان إن شاء أن يختصره ، وأن يتجاوز الزمان إن أراد أن يتجاوزه ، وأن يخلص للماضي أو لقطعة من الماضي إن أحب أن يخلص لها ، وأن يمضي في المستقبل إلى غير غاية ، وعلى غير هدى ، وأن يقف في الحاضر لايعدوه إلى أمام ، ولا إلى وراء ، وأن يجمع إن شاء بين هذا كله فيغرق نفسه تغريقاً . وقد تركنا المستقبل لمن بيده المستقبل ، وتركنا الحاضر للذين يشغلون بالحاضر ، وألغينـا من الماضي ثلاثة وعشرين قرناً ، وأهملنـا من الماضي قروناً أخرى لا تحصى سبقت هذا العصر الذي اخترناه ووقفنا عليه هاتين الساعتين . وألغينا من آماد المكان مثل ما ألغينا من آماد الزمان ، فتركنا الأرض القريبة والبعيدة ، وتركنا البحر والمحيط ، وتركنا الجو الذي يغمر البر والبحر ، ووقفنا عقلنا وشعورنا وحسنا على هذه القطعة الصغيرة من الأرض ، في هذه القطعة الصغيرة من الدهر . وجعلنا نسعى مبطئين مترفهين ، ونقف متأملين متفكرين بين هذه الأطلال اليونانية ، لا نعرف غيرها ، ولا تكاد هي تعرف غيرنا ، فقد سبقنا إليها أهل السفينة جميعاً ، وبلغناها قبل أن يبلغها أحد ، فخلونا إليها ، وخلت إلينا ، وقلنا لها وقالت لنا ، وملأنا منها قلوبنا ، وانصرفنا عنها وقد ملأت علينا آفاق الأرض والسماء ، فذكرناها وسنذكرها ما امتدت لنا أسباب الحياة ، ونسيتنا هي وستنسانا كما نسيت أجيالاً كثيرة وكما

ستنسى أجيالاً كثيرة ما امتدت لها أسباب البقاء . وكان الذين يكتنفونني من الأهل والرفاق يسعون من حولي ، وقد أخذت أبصارهم ، وسحرت عقولهم ، واستهويت قلوبهم . وجعلت أفواههم وألسنتهم تنقل إليّ بعض ما يجدون بهذه الآهات الطويلة المتصلة ، وهذه الألفاظ القليلة المتقطعة التي ينطق بها المبهورون المسحورون حين يأخذ الإعجاب عليهم طريق الإبانة والإفصاح . وكنت أسمع لهم بأحدى أذني ، أو بجزء يسير من إحدى أذني . أعرض عنهم بعقلي كله ، وقلبي كله ، وضميري كله . أتركهم لما يرون ، وأفرغ لما أجد ، وما أكثر ما كنت أجد ! وما أشد اختلاف ما كنت أجد ! فليس بالقليل على الإنسان المحدود أن يعيش في هذه القرون الثلاثة ، فيشهد نشأة العقل ، ونمو الفن ، وحياة الشعور ، ويقظة الضمير . ويرى طريق الحضارة والرقي ترسم الأجيال ، وتقام فيها الأعلام تدفع إليها الإنسانية دفعاً ، ويقال لها هذه هي الطريق التي ستسلكينها راضية أو كارهة ، راغبة أو راهبة ، لا تخرجين منها ، ولا تتحولين عنها ، مهما تلقي فيها من الخير والشر ، ومهما يعترضك فيها من النعيم والبؤس ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وحتى تطوى السماء كطي السجل للكتاب . . .

في هذه القرون الثلاثة ، وفي هذه القطعة الضيقة من الأرض التي يحيط بها الطرف في أيسر الجهد ، ويطوف بها الإنسان في أقصر الوقت ، عرف الإنسان أن له عقلاً وشعوراً وضميراً ، وأن له — من أجل ذلك كله — حقاً في أن يكون حرّاً كريماً ، وأن عليه من أجل ذلك واجباً أن يرعى لنظرائه حقهم في الحرية والكرامة والامتناع على الضيم .

في هذه القرون الثلاثة من الدهر ، وفي هذه الرقعة الضيقة من الأرض ، نشأت الديمقراطية ، فعرف الإنسان أن سلطان الحاكم لا يتنزل من السماء ، وإنما يخرج من الأرض ، وأن بين الحاكم والمحكوم عقداً اجتماعياً تصدره القوانين المكتوبة ، والدساتير التي تنقش في القلوب أولاً ، ثم تكتب في الصحف بعد ذلك .

وعرفت الانسانية أن الناس سواء أمام القانون ، لا يمتاز منهم فرد من فرد ، ولا تتفوق منهم طبقة على طبقة ، ولا يتفاوتون فيما بينهم إلا بالعمل الصالح والبلاء الحسن . واستطاع (سولون) أن يتغنى في شعره الرائــع بأنه حرس الأرض ، فلم تصبــح وقفاً على فريق من الناس دون فريق .

في هذه القرون الثلاثة من الدهر ، وفي هذه الرقعـة الضيقة من الأرض نظمت القوانين ما يكون من الصلات بين الحاكمين والمحكومين، وردت القوانين إلى الشعب أمور الشعب ، وجعلت القوانين حكام الشعب خداماً للشعب ، وفرضت القوانين على حكام الشعب أن يؤدوا إلى الشعب حساباً دقيقاً عما نهضوا به من المناصب ، وما استقلوا به من الأعبـاء ، وما قاموا به من الأعمال .

في هذه القرون الثلاثة من الدهر ، وفي هذه الرقعة الضيقـة من الأرض ، نما الفن الرائع ، وزها الشعر البارع ، وأزهر الأدب الرفيع ، وطوف « سقراط » بفلسفته في الشوارع والأزقة ، يعلم الناس — وهو يحاورهم — أن عليهم أن يعرفوا أنفسهم وأن يثقفوها وأن يهذبوها ، وأن يرفعوها من الصفو والعفو إلى حيث تطهر من دنس المنافـع الوضيعة ،

وتبرأ من أوضار الحياة الخسيسة ، وتعيش في جو من الفضيلة لاتجد الرذيلة إليه سبيلا . ويعلم الناس — وهو يحاورهم — أن للإنسان ضميراً حرّاً ليس لأحد سلطان عليه ، ولا ينبغي أن يكون موضوعاً للمساومة ، ولا سلعة تعرض للتجارة . وأن حرية الضمير ، وحرية التفكير ، وحرية التعبير هي التي تجعل الانسان إنساناً . فلما امتحن سقراط في فلسفته هذه صبر للمحنة ، وثبت للفتنة . وعلم تلاميذه — وهو يحاورهم — كيف يستقبل الانسان الحر إلمام الخطب حين يلمّ ، وزيارة الموت حين يزور ، مبتسماً للخطب لأنه زائل ، وساخراً من الموت لأنه عارض من ورائه الخلود . وفي هذا الوقت نفسه كان « سوفوكل » يُنطق « أنتيجونا » في ملعب التمثيل بأن هناك قوانين خالدة وجدت قبل الإنسان ، وستوجد بعد الانسان ، وهي قوام الخلق ، وملاك العقل ، فليس لأحد عليها سلطان ، وليس للمخلوق على الناس طاعة إن خالف عن هذه القوانين .

نعم ! في هذه القرون الثلاثة من الدهر ، وفي هذه الرقعة الضيقة من الأرض ، عرف الإنسان عقله وقلبه وضميره ، ورسمت له فلسفة سقراط وأفلاطون وارسطاطاليس مناهج التفكير والشعور والسيرة ، وشقت له طريق الرقي ، وعلمته الطموح إلى الكمال والارتفاع عن النقص ، والتنزه عما يشين .

في هذا كله وفي أكثر من هذا كنت أفكر ونحن نسعى في هذه الأطلال اليونانية مستحضراً تلك الحقبة من الدهر ، متمثلاً ما كان فيها من خير كثير وشر كثير ، وما كان فيها من صراع بين الحق والباطل ، وما كان فيها من اختصام بين العدل والجور ، وما كان فيها من جهاد بين الرفعة

والضعة ، وما كان فيها من ثورة على باطل الحياة وزخرفها ومن سمو إلى المثل العليا . وكنت أسمع خطباء الاثينيين ينافح بعضهم عن الحق ناصحاً ، ويموه بعضهم على الجماهير مضللاً . وكنت أشهد ملاعب التمثيل ، وأرى أصحاب المأساة يرفعون الإنسان إلى صف الآلهة ، وأصحاب الملهاة يضعون الانسان إلى منزلة الحيوان ... وكنت أسمع حوار سقراط ، وأرقى مع أفلاطون إلى مثله الأعلى ، وأعود مع أرسطاطاليس إلى بحثه المتواضع الرفيع ، وأشهد الأحداث الكبرى تحدث بعيداً عن أثينا ، وتحدث قريباً من أثينا ، وتحدث في قلب أثينا . وأرى جماعة الشعب تحاور في هذا كله ، وتقضي في هذا كله ؛ تصيب حيناً ، وتخطىء أحياناً ، ولكنها مستمسكة دائماً بحقها في السيادة والسلطان والاستئثار بتدبير أمرها من دون الطغاة ...) (١) .

لقد أطلنا هنا نقل كلام طه حسين في ذكرياته عن اليونان القديمة وثقافتها وحضارتها في أثناء إلمامه بأثينا في ربيع عام من الأعوام ، بعد أكثر من ثلاثين عاماً منذ إحكام الودّ العلمي بينه وبين التاريخ القديم لليونان . ولم نشأ أن نخرم من هذا الكلام حرفاً ، أو ننقص منه عبارة حتى لا يضيع بهاؤه ورواؤه واتصال حلقات التفكير فيه . وهو يؤكد لنا شغف طه حسين الباقي بثقافة اليونان وأدبها وفنونها وسياستها وفلسفتها ، مما كان ظاهراً فيه على مدار عمره .

ولعل وقفة الدكتور طه حسين هذه على أطلال اليونان وبقايا آثارها

---

(١) رحلة الربيع ـ لطه حسين ـ عدد ٦٩ من سلسلة « اقرأ » ص ٥ إلى ص ١١

العظيمة التي كانت تموج بالحياة والرجال ، تحضر في بالنا وقفة الشاعر البحتري على إيوان كسرى حين زاره وألم به في القرن الهجري الثالث ، كما تذكرنا بوقفة الشاعر أحمد شوقي على آثار روما في قصيدته التي يقول فيها :

قف بروما وشاهد الأمر واشهد أن للملك مالكاً سبحانه
دولة في الثرى ، وأنقاض ملك هدم الدهر في العلا بنيانه
مزقت تاجه الخطوب ، وألقت في التراب الذي أرى صولجانه
طلل ، عند دمنة ، عند رسم ككتاب محا البلى عنوانه
وتماثيل كالحقائق تزدا د وضوحاً على المدى وإبانه
من رآها يقول هذي ملوك الد هر ، هذا وقارهم والرزانه
وبقايا هياكل وقصور بين أخذ البلى ودفع المتانه
عبث الدهر بالحواريّ فيها وبيوليوس لم يهب أرجوانه
وجرت ههنا أمور كبار واصل الدهر بعدها جريانه
راح دين ، وجاء دين ، وولى ملك قوم ، وحل مُلك مكانه

ويبدو أن الدكتور طه حسين قد قصد من الفصل الخاص بوقفته على أطلال أثينا واليونان في خلال رحلة الربيع أن يكون قصيدة منثورة فيها من الخيال والشعور والعاطفة شيء كثير ، وفيها من الحقائق والمعارف عن اليونان شيء موجز كثير .

ويبدو أيضاً أن طه حسين تذكر في وقفته بأطلال اليونان سينية البحتري التي نظمها في وقوفه على إيوان كسرى ، فذكرها في الفصل الثاني من « رحلة الربيع » وأشار إليها قائلاً : (وأتغنى في نفسي بسينية البحتري :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

ولكني أضع « يونان » مكان « ساسان » ، وتتغنى نفسي الكئيب ببيت البحتري على هذا النحو :

أتسلى عن الخطوب ، وآسى لمحل من آل « يونان » درس)

وإذا كانت وقفة طه حسين على أطلال اليونان قد امتازت بمعارفها كما امتازت بالبيان المشرق الذي عرضها فيه ، فإن هذا يذكرنا في ختام هذا البحث بإعجاب الدكتور طه حسين بأدب أرسطو الخالد ، ويقصد به قوانين البيان التي استكشفها هذا الفيلسوف المظيم في العبارة والشعر والخطابة ؛ فإن هذه القوانين باقية خالدة ، لأنها تمثل الصور الطبيعية لتعبير الانسان عن آرائه وأفكاره ، كما أن قوانين المنطق ، التي وضعها أرسطو أيضاً ، هي الصور الطبيعية لتكوين هذه الآراء[1] .

● ● ●

وبعد ! فقد عرضنا لموضوع ثقافة اليونان والرومان وأثرهما في طه حسين وموقفه منها ، ومشاركته فيها بالتأليف تارة ، والترجمة أخرى . ولا شك أن الدكتور كان مغالياً في انحيازه لهذه الثقافة وتعصبه لها ، مما أثار عليه مخالفين كثيرين ، وفتح عليه أبواباً من النقد لم تزحزحه عن موقفه . ولقد شارك في مخاصمته حول هذه القضية حفنة من كرام العلماء والباحثين منهم رفيق العظم ، وساطع الحصري كما سلف القول ، ومنهم الأمير شكيب أرسلان ، والدكتور زكي مبارك .

(١) قادة الفكر ١٩١ ، ١٩٢

ولقد حملت مجلة الرسالة في سنة ١٩٤٣ لواء مناقشة طه حسين متمثلة في المقالات التي كتبها الدكتور زكي مبارك ملتمساً العذر للدكتور طه فيما ذهب إليه من أن الثقافة اليونانية هي مصدر الثقافة الإنسانية ، وأن الناس في الشرق والغرب وفي جميع الأجيـــال والعصور مدينون للثقافة اليونانية ، وتمنى الدكتور زكي مبارك لو أن طه حسين تريث قليلاً ليعرف أن هناك كتباً أجنبية أخرى غير التي قرأهـا ولخصها الدكتور طه ترى أن المعارف اليونانية منقولة عن مصر ، وأن فلاسفة اليونان لم يكونوا إلا تلاميذ لفلاسفة مصر القدماء .

وعلى الرغم من هذه المناقشات وهـذا الحوار ، فإن الأدب العربي الحديث ، والفكر العربي الحديث ، والمكتبة العربية الحديثة قد أثرى بما كتبه الدكتور طه حسين عن الثقافة اليونانية ، وما نقله إلى العربية من أدبها وشعرها وتمثيلياتها ونظام الحكم فيها .

وإذا كان طه حسين قد غلا في ما ذهب إليه من تقـــدير للثقافة اليونانية ، فإنه لاشك صاحب فضل لا يُجحد في تنبيه أهل جيله إلى روائع الفكر اليوناني ومدى مشاركاته في الفكر الإنساني .

القاهرة محمد عبد الغني حسن

نظرات في ما أخذه ابن الشجري
على مكّي في كتاب «مشكل إعراب القرآن»

- ٢ -

الدكتور أحمد حسن فرحات

١٦ - في إعراب «القريةِ الظالمِ أهلُها» :

قال ابن الشجري (١) : وقال - أي مكي - في قوله تعالى :

« ربَّنا أخرِجْنا من هذه القريةِ الظالمِ أهلُها » : (٢)

« إنما وُحِّد الظالم لجريانه على مُوَحَّد (٣) » . انتهى كلام مكي .

« قوله : وُحِّد لجريانه على موحد ، قول فاسد ، لأن الصفة إذا ارتفع بها ظاهر وُحِّدتْ ، وإن جرت على مُثنى أو مجموع ، نحو : مررت بالرجلين الظريف أبواهما ، وبالرجال الكريم آباؤهم ، لأن الصفة التي ترفع الظاهر تجري مجرى الفعل الذي يرتفع به الظاهر ، في نحو : خرج أخواك ، وينطلق غلمانك » انتهى كلام ابن الشجري .

ونلاحظ - هنا - أن ابن الشجري اجتزأ من كلام مكي ولم يذكره

---

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٣

(٢) النساء ٧٥ (٣) مشكل إعراب القرآن ١٩٧/١

كاملاً ، ولو ذكره لتغيّر مفهوم الكلام ، ولا بأس أن نذكر قول مكي بتمامه لتتضح المسألة :

يقول مكي : « الظالم أهلها : نعت للقرية ، وإنما جاز ذلك والكلام ليس لها ، للعائد عليها من نعتها ، وإنما وحد لجريانه على موحد ، ولأنه لا ضمير فيه ، إذ قد رفع ظاهراً بعده ، وهو « الأهل » ، ولو كان فيه ضمير لم يجز استتاره ولظهر ، لأن اسم الفاعل إذا كان خبراً أو صفة أو حالاً لغير من هو له لم يستتر فيه ضمير ألبتة ، ولا بد من إظهاره . وكذلك إن عطف على غير من هو له . والفعل بخلاف ذلك يستتر الضمير فيه لقوته ، وإن كان خبراً أو صفة أو حالاً لغير من هو له الفعل ، فافهمه ، فإنه مشكل لطيف غريب المعنى » .

وأقول : إن ما قاله ابن الشجري ليس مسلّماً ، كما أنه ليس على إطلاقه ، وقد ذكر علماء النحو هذه المسألة وفصلوا فيها القول ، ولابأس أن نذكر ما قيل فيها مختصراً :

قال في حاشية الصبان على شرح الأشموني (١) :

« التنبيه الثالث : أفهم قوله : كالفعل — أي حكم الوصف المسند إلى السبي — جواز تثنية الوصف الرافع للسبي وجمعه الجمع المذكر السالم على لغة أكلوني البراغيث ، فيقال : مررت برجل كريمين أبواه ، وجاءني رجل حسنون غلمانه » .

---

(١) ج ٣ ص ٦١ — ٦٢ طبع دار إحياء الكتب العربية .

وقال صاحب « النحو الوافي » (١) :

« . . . أما من جهة إفراده وتثنيته وجمعه – أي النعت السببي – فيجب إفراده إن كان السببي مفرداً أو مثنىً ، إذ لا تتصل بالنعت السببي علامة تثنية ، وشأنه في هذا أيضاً شأن الفعل الذي يصلح لأن يحل محله .

أما من جهة جمعه ، فإن كان السببي مجموعاً جمع تكسير جاز في النعت : الإفراد ، ومطابقته للسببي نحو : هؤلاء زملاء كرام آباؤهم ، أو هؤلاء زملاء كريم آباؤهم . فإن كان مجموعاً جمع مذكر سالماً ، أو جمع مؤنث سالماً ، فالأفصح إفراد النعت وعدم جمعه ، نحو : هؤلاء زملاء كريم والدوهم ، هؤلاء زميلات كريمة والداتهن » .

ومما تقدم نرى أن صاحب الحاشية يجيز التثنية والجمع على لغة أكلوني البراغيث ، وأن صاحب النحو الوافي : « يوجب المطابقة حتماً في الإفراد والتثنية ، ويجيز في جمع التكسير المطابقة وعدمها ، وأما في غيره فالأحسن الإفراد » .

وإذن فالمسألة فيها تفصيل ، وليست مسلّمة كما ذكر ابن الشجري ، ولهذا فإن الزمخشري في الكشاف قال (٢) :

فإن قلت : هل يجوز : مِن هذه القرية الظالمين أهلُها ؟ قلت : نعم ، كما تقول : التي ظلموا أهلها ، على لغة من يقول : « أكلوني البراغيث » ، ومنه : « وأسروا النجوى الذين ظلموا » (٣) .

---

(١) النحو الوافي لعباس حسن ج ٣ ص ٣٦٦ – ٣٦٧
(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٣٥ (٣) طه ٣

وإذن فكلام مكي « وإنما وحـد لجريانه على موحّد » ليس كلاماً فاسداً كما قال ابن الشجري ، وإنما هو في مقابل هذا التفصيل الذي ذكر في حالة الجمع المكسر والجمع المذكر السالم ولغة « أكلوني البراغيث ».

١٧ – في إعراب « الصابئون » :

قال ابن الشجري : (١) وحكى – أي مكي – عن الفراء أن « الصابئون » من قول الله تعالى :

« إنّ الذينَ آمنُوا والذين هادُوا والصابئُون والنصّارى . . » (٢) :

« معطوف على المضمر في هادوا (٣) » فنَسب إليـه ما لم يقله عن نفسه ، وإنما حكاه عن الكسائي . وأبطله الفراء من وجه غير وجه أبطله به مكي ، فقال في كتابه الذي ضمّنه معاني القرآن : قال الكسائي :

تَرْفعُ « الصابئون » على إتباعه الاسم الذي في « هادوا » ، وتجعله من قوله : « إنا هدنا إليك » (٤) أي : تبنا ، ولا تجعـله من اليهودية . قال الفراء : وجـاء التفسير بغير ذلك ، لأنه أراد بقوله : الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم . ثم ذكر اليهود والنصارى والصابئين ، فقال : من آمن منهم بالله واليوم الآخر فله كذا وكـذا ، فجعلهم منافقين ويهوداً ونصارى وصابئين . انتهى كلام الفراء .

يعني به ، إذا صار معنى « هادوا » : تابوا هم والصابئون بطل ذكر اليهود في الآية .

---

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٣
(٢) المائدة ٦٩ (٣) مشكل إعراب القرآن ١/٢٣٧
(٤) الأعراف ١٥٦

وأما الوجه الذي أبطل به مكي قول الكسائي وعزاه إلى الفراء فقوله: « وقد قال الفراء في « الصابئون » : هو عطف على المضمر في « هادوا » . وأيضاً فإن العطف على المضمر المرفوع قبل أن يؤكد أو يفصل بينها بما يقوم مقام التوكيد قبيحٌ عند بعض النحويين . ثم ذكر وجوهاً في رفع « الصابئين » .

« وأقول — أي ابن الشجري :

إنك إذا عطفت على اسم « إن » قبل الخبر ، لم يجز في المعطوف إلا النصب ، نحو : إن زيداً وعمراً منطلقان ، ولا يجوز أن ترفع المعطوف حملًا على موضع « إن » واسمها ، لأن موضعها رفعٌ بالابتداء ، فنقول : إن زيداً وعمرو منطلقان ، لأن قولك : « عمرو » رفع بالابتداء ، ومنطلقان : خبر عنه ، وعن اسم « إن » . فقد أعملت في الخبر عاملين : الابتداء ، و « إن » .

وغير جائز أن يعمل في اسم عاملان . وإن لم تثنّ الخبر فقلت : إن زيداً وعمرو منطلق ، ففي ذلك قولان . أحدهما : أن يكون خبر « إن » محذوفاً دل عليه الخبر المذكور ، فالتقدير : إن زيداً منطلق وعمرو منطلق ، وإلى هذا ذهب أبو الحسن الأخفش ، وأبو العباس المبرد .

والآخر : قول سيبويه : وهو أن يكون الخبر المذكور خبر « إن » ، وخبر المعطوف محذوفاً ، فالتقدير : إن زيداً منطلق وعمرو كذلك .

فالتقدير في الآية على المذهب الأول : إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله ، أي : من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم . فحذف الخبر الأول لدلالة الثاني

عليه . وعلى المذهب الآخر وهو أن يكون الخبر المذكور خبر « إن » ، وخبر الصابئين والنصارى محذوف ، كأنه قيل : والصابئون والنصارى كذلك » .

وكلام ابن الشجري - هنا - ذو شقين :

الشق الأول : وهو ما يتعلق بنسبة قول الكسائي إلى الفراء كما نقل ذلك مكي ، واتهمه ابن الشجري بأنه نسب إلى الفراء ما لم يقله ، وإنما نقله عن الكسائي وأبطله بوجه غير الوجه الذي أبطله به مكي .

وقد رجعت إلى كتاب الفراء لأتأكد من صحة النقل فوجدت أن نقل ابن الشجري صحيح ، وأنه يردّ رأي الكسائي . غير أنني رجعت إلى كتاب السمين « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » ، فوجدته يقول معلقاً على رأي الكسائي :

« . . . وردّه أبو البقاء ومكي بن أبي طالب بوجه آخر ، وهو عدم تأكيد الضمير المعطوف عليه » . قلت - أي السمين - : هذا لا يلزم الكسائي ، لأن مذهبه عدم اشتراط ذلك ، وإن كان الصحيح الاشتراط . نعم يلزم الكسائي من حيث أنه قال : « تردّه الدلائل الصحيحة ، والله أعلم ».

ثم يتابع السمين قوله :

وهذا القول قد نقله مكي عن الفراء ، كما نقله غيره عن الكسائي وردّه عليه بما تقدم ، فيُحتمل أن يكون الفراء يوافق الكسائي ثم رجع، ويُحتمل أن يكون مخالفاً له ثم رجع إليه ، وعلى الجملة فيجوز أن يكون في المسألة قولان - أي في ردها ،

ومن كلام السمين نرى أنه لا بدّ لمكي من أن يكون قد وقع على قول منسوب إلى الفراء غير ما هو وارد في كتابه « معاني القرآن » ، وبناء عليه نسب هذا القول إليه .

أما الشق الثاني من الكلام ، وهو قوله : « وأقول : إنك إذا عطفت على اسم « إن » قبل الخبر لم يجز في المعطوف إلا النصب .. » . فلا أدري من يقصد بهـــذا الكلام ، وعلى من يردّ فيه ، والذي يبدو أنه مجرد تفصيل لتمام الفائدة كما هي عادة ابن الشجري في التطوع بالتفصيل والتوضيح ، ولا يمكن أن يكون يريد بكلامه مكياً أبداً لأن مكياً حينما أعرب الآية قال :

« قوله : « والصابئون » : مرفوع على العطف على موضع « إن » وما عملت فيه . وخبر إنّ مَنْويّ قبل الصابئين ، فلذلك جاز العطف على الموضع ، والخبر هو : آمن ، يُنوى به التقديم ، فحق « والصابئون » ، « والنصارى » : أن يقع بعد يحزنون ، وإنما احتيج إلى هذا التقديم ، لأن العطف في « إن » على الموضع لا يجوز إلا بعد تمام الكلام وانقضاء اسم « إن » وخبرها ، فتعطف على موضع الجملة » .

ويلاحظ هنا أن ابن الشجري لم ينقل كلام مكي هذا . إذ هو أول ما بدأ به إعراب هذه الآية ، ثم انتقل إلى رأي الفراء .

١٨ — في إعراب « ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المجرمين » :

قال ابن الشجري [١] : المجلس الحادي والثمانون ، يتضمن ما لم نذكره

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٥٥٤

من زلات مكي : فمن ذلك غلطه في قوله تعالى في سورة الأنعام : « وكذلك نُفصّلُ الآياتِ ، ولِتَستَبينَ سبيل المجرمين » (١) .

« قال – أي مكي – : من قرأه بالتاء ، ونصب السبيل ، جعل التاء علامة خطاب واستقبال ، وأضمر اسم النبي في الفعل . ومن قرأه بالتاء ورفع السبيل جعل التاء علامة تأنيث واستقبال ، ولا ضمير في الفعل ، ورفع السبيل بفعله . وحكى سيبويه : استبان الشيءُ ، واستبنتُه أنا . فأما من قرأه بالياء ، ورفع السبيل فإنه ذكّر السبيل لأنه يذكّر ويؤنث ، ورفعه بفعله . وأما من قرأه بالياء ونصب السبيل أضمر اسم النبي في الفعل ، وهو الفاعل ، ونصب السبيل ، لأنه مفعول به . واللام في لتستبينَ متعلقة بفعل محذوف تقديره : ولتستبين سبيل المجرمين فصّلناها » (٢) .

« وأقول : أي ابن الشجري :

إنه غلط في قوله : « واستقبال » بعد قوله : « جعل التاء علامة خطاب ، وجعل التاء علامة تأنيث ، لأن مثال تستفعل لا شَبَه بينه وبين مثال الماضي ، فتكون التاء علامةً للاستقبال ، فقولك : تستقيم أنت وتستعين هي ، لا يكون إلا للاستقبال ، تقول : أنت تستقيم غداً ، وهي تستعين بك بعد غد ، ولا تقول : تستقيم أمس ولا تستعين أول من أمس ، فهو بخلاف تفعل ، لأنك إذا قلت : أنت تبيَّن حديثها وهي تبيَّن حديثك ، أردت : تتبيّن ، فحذفت التاء الثانية استثقالاً للجمع بين مثلين

---

(١) الأنعام ٥٥ (٢) مشكل إعراب القرآن ١/٢٦٩

متحركين كما حُذفت من قوله : « تَنزّل الملائكةُ والروحُ فيها (١) » الأصل: تتنزل ، ففعل فيه ما ذكرنا من حذف الثانية ، ولما حذفت التاء من قولك « تتبين » صار بلفظ الماضي من قولك ، قد تبينْ الحديث . وفي قوله تعالى : « قد تبيّن الرشدُ من الغيّ (٢) » ، فحصل الفرق بين الماضي والمستقبل باختلاف حركة آخرها ، ففي هذا النحو يقال : التاء للخطاب والاستقبال ، أو التأنيث والاستقبال .

السبيل : مما ذكّروه وأنثوه ، فالتأنيث في قوله تعالى : « قل هذه سبيلي » (٣) . والتذكير في قوله تعالى : « وإن يرَوْا سبيلَ الرُّشْدِ لا يتّخذوه سبيلاً وإن يَرَوْا سبيل الغَيّ يتّخذُوه سبيلا » (٤) . انتهى كلام ابن الشجري .

وأقول : إن ما قاله ابن الشجري فيه نظر ، ويحسن بنا قبل أن نقول شيئاً في هذه الآية أن نرجع إلى كتب اللغة حيث نجد فيها :

قال صاحب لسان العرب (٥) :

« والاستبانة : يكون واقعاً ، يقال : استبنتُ الشيء إذا تأملتَه حتى تبيّن لك ، قال الله — عز وجل — : « وكذلك نفصّل الآيات ولِتستبِينَ سبيلَ المجرمين » . المعنى : ولتستبين أنت يا محمدُ سبيلَ المجرمين، أي : لتزداد استبانة وإذا بانَ سبيلُ المجرمين فقد بان سبيل المؤمنين .

---

(١) القدر ٤
(٢) البقرة ٢٦٥
(٣) يوسف ١٠٨
(٤) الأعراف ١٤٦
(٥) اللسان ج ١٦ ص ٢١٦

وأكثر القراء قرؤوا : « ولتستبين سبيلُ المجرمين » . والاستبانة ـ حينئذ ـ يكون غير واقع » .

وقال صاحب تاج العروس :[1]

« وقال الأزهري : الاستبانة : قد يكون واقعاً ، يقال : استبنت الشيءَ إذا تأملْتَه حتى يتبينَ لك ، ومنه قوله تعالى : « ولتستبين سبيلَ ـ أي بالنصب ـ المجرمين » . المعنى : لِتستبينَ أنت يامحمد ، أي : لتزداد إجابة . وأكثر القراء قرؤوا : « لتستبين سبيلُ ـ أي برفعه ـ المجرمين » ، والاستبانة حينئذٍ غير واقع » .

ولدى تأملنا في هذين النصين المأخوذين من أصح كتب اللغة وأكثرها اعتماداً ، نرى أن الاستبانة : تكون لما هو واقع كما في قراءة النصب وإضمار اسم النبي ﷺ ويكون المعنى : لتزداد استبانةً أو إجابة ، وعلى هذا تكون التاء للاستقبال . وعلى القراءة الثانية ، أي قراءة رفع السبيل ، تكون الاستبانة غير واقع ، أي ستقع فيما بعد البيان في المستقبل ، فيكون معنى التاء الاستقبال أيضاً .

والحق أن ما قاله ابن الشجري لا يغير من الواقع شيئاً ، لأن المعنى في كلتا الحالتين ينصرف إلى المستقبل . كل ما هنالك أن مكياً يعتبر استفادة الاستقبال من التاء ، بينما يعتبرها ابن الشجري من الصيغة نفسها ، وليس هناك حاجة للنص على أنها من التاء . وإذا كان هذا واضحاً من الأمثلة التي ضربها ابن الشجري . فإن الالتباس قائم في الكلمة التي نحن

---

(١) تاج العروس ج ٩ ص ١٤٩

بصددها « تستبين » بناء على كون الاستبانة واقعة أو غير واقعة كما تقدم، فكان النص على ذلك لدفع مثل هذا الالتباس ، ولعل هذا ما دفع السمين أيضاً إلى أن يقول مثلَ قول مكي .

قال السمين في كتابه « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون »: « فالتاء في « تستبين » مختلفة المعنى ، فإنها في إحدى القراءات للخطاب، وفي الأخرى للتأنيث . وهي في كلا الحالين للمضارعة » .

١٩ — في إعراب « جنات من أعناب » :

قال ابن الشجري : (١) وقال — أي مكي — في « جنات » من قوله عز وجل :

« وهو الذي أنزلَ منَ السماءِ ماءً فأخرجْنا بهِ نباتَ كلِّ شيءٍ فأخرَجنا منه خَضِراً نُخرجُ منه حَبّاً مُتراكباً ومن النَّخْلِ من طَلْعِها قِنوانٌ دانيةٌ وجناتٌ من أعناب » (٢) :

قال مكي : « من نصب « جنات » عطفها على نبات ، وقد رُوي الرفع عن عاصم على معنى : ولهم جنات ـ على الابتداء ـ ولايجوز عطفها على قنوان لأن الجنات لا تكون من النخل » (٣) .

قال ابن الشجري : « أراد أنك لا ترفع جنات بالعطف على «قنوان» من قوله : « قنوان دانية » ، لأن القِنوان جمع : قِنْو ، وهو العِذْق التام ، ويقال له أيضاً الكِباسة . فلو عطفت « جنات » على « قنوان » صار المعنى :

---

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٧

(٢) الأنعام ٩٩

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢٨١/١

ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب .

فقوله : لأن الجنات لا تكون من النخل ، فيه لَبْس ، لأنه يوهم أنها لا تكون إلا من العنب دون النخل ، وليس الأمر كذلك ، بل تكون الجنة من العنب على انفراده ، وتكون من النخل على انفراده ، وتكون منها معاً . فدلالة كونها منها معاً قوله : « أو تكونَ لكَ جَنَّةٌ من نَخيلٍ وعِنَبٍ [1] » ، ودلالة كونها من النخل على انفراده قول زهير :

كأنَّ عَيْنَيَّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ   من النواضِحِ تَسْقي جنةً سُحُقا

قوله : سحقاً : صفة لمضاف محذوف ، فالتقدير : تسقي جنة نخل سحقاً ، لأن السُّحُق جمع سَحوق ، وهي النخلة الباسقة ، فكان الصواب أن يقول : لأن الجنات التي من الأعناب لا تكون من النخل » .

قول زهير : كأن عيني في غربي مقتلة : الغَرْبان : الدلوان الضخمان . والمقتلة : المذلَّلة ، وإنما جعلها مذللة لأن المذللة تُخرج الغَرب ملآن يسيل من نواحيه . والصعبة تنفر فتُهَريقه فلا يبقى منه إلا صُبابة . وكل بعير استُقي عليه فهو ناضح ، والرجل الذي يستقي عليه ناضح » ـ انتهى كلام ابن الشجري .

ويلاحظ ـ هنا ـ كذلك تكلُّف ابن الشجري حيث ينصبّ انتقاده على قول مكي : « لأن الجنات لا تكون من النخل » ، وكان يجب عليه أن يقول ـ كما يقرر ابن الشجري ـ : لأن الجنات التي من الأعناب

---

(١) الإسراء ٩١

لا تكون من النخل . هكذا !! كأن مكياً في هذه الآية — في نظر ابن الشجري - يتكلم على اللغة لا على الإعراب متجاهلاً للقرائن القائمة التي تمنع اللبس والإيهام الذي يدّعيه ، لأن مكياً يتكلم في آية معينة وفي كلمات بذاتها ، فحينما يطلق الكلام ، إنما يطلقه على ما يبحث فيه؛ و«الجنات» التي يتكلم فيها مكي ، وهي الجنات الواردة في الآية ، هي من العنب ؛ فإذا قال : « الجنات » إنما يريد بها : الجنات المعهودة التي يتكلم فيها ، والتي هي من الأعناب . والقرينة توضح هذا وتُجليّه ، وهو أن المقام مقام عطف على « قنوان » ، والقنوان من النخيل ، فلو جاز هـذا العطف لصارت الجنات من الأعناب من النخيل ، أي جزءاً منه ، وهذا ما يفهم من كلام مكي ، ولا يفهم منه ما فهمه ابن الشجري ، أو أراد أن يفهمه .

ولو أننا جارينا ابن الشجري فيما يقول وذهبنا نبحث عن معنى الجنة عند مكي في تفسيره فماذا نجد ؟

يقول مكي في كتاب « الهداية إلى بلوغ النهاية في تفسير القرآن وأنواع علومه » في معرض تفسيره لقوله تعالى : « . . وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ أنّ لهم جناتٍ تجري من تحتِها الأنهار . . »[1] :

« . . . وسُميت الجنة جنةً ، لأنها تُجِنُّ من دخلها ، أي تستره أشجارُها وثمارها . والجنة ـ عند العرب : البستان والنخل والشجر ... » .

وهذا كله فيما لوسلّمنا أن عبارة « لأن الجنات لاتكون من النخل »

(١) البقرة ٢٥

من كلام مكي ، وهي في الحقيقة من كلام أبي حاتم الذي حكاه مكي ، ويمكن التأكد من ذلك بالرجوع إلى كتاب « إعراب القرآن للنحاس » .

يقول أبو جعفر النحاس [١] : وجناتٍ من أعناب : بالنصب عطفاً على « فأخرجنا به نباتَ » وهي قراءة العامة . وقرأ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى والأعمش ، وهو الصحيح من قراءة عاصم : «وجناتٌ» بالرفع ، وأنكر هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم ، حتى قال أبو حاتم : هي محال ، لأن الجنات لا تكون من النخل .

قال أبو جعفر : والقراءة جائزة ، وليس التأويل على هذا ، ولكنه رفع بالابتداء ، والخبر : محذوف ، أي : ولهم جنات ، كما قرأ من القراء جماعة : « وحور عين » ، وأجاز مثل هذا سيبويه والكسائي والفراء ، ومثله كثير ، وعلى هذا أيضاً : « حوراً عيناً » ـ حكاه سيبويه وأنشد:

جئني بمثلِ بني بدرٍ لقومِهِمُ أو مثلِ أسرةِ منظورِ بنِ سيّارِ

ـ من شعر جرير ـ

فأما : « والزيتون والرمان » فليس فيه إلا النصب بإجماعٍ على ذلك .

٢٠ ـ في وزن « ادّاركوا » :

قال ابن الشجري [٢] :

ومن أغاليطه ـ أي مكي ـ قوله في قوله تعالى في سورة الأعراف :

(١) إعراب القرآن ـ ورقة ٦٩ نسخة مكتبة فاتح التركية .

(٢) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٨

« حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً ، قالَتْ أخراهم لأُولاهم »[١] .

قال مكي : أصـــل « اداركوا » : تداركوا — على تفاعلوا ، ثم أدغمت التاء في الدال فسكن أول المدغم ، فاحتيج إلى ألف الوصـل في الابتداء بها ، فثبتت الألف في الخط ، ولا يستطاع وزنها مـع ألف الوصل ، لأنك ترد الزائد أصلياً ، فتقول : وزنها : افّاعلوا ، فتصير تاء « تفاعلوا » فاء الفعل لإدغامها في فاء الفعل وذلك لايجوز ، فإذا وزنتها على الأصل جاز ، فقلت « تفاعلوا »[٢] ـ انتهى الكلام .

« وأقول ـ أي ابن الشجري :

إن عبارته في هذا الفصل مختلة ، ورأيت في نسخة من هذا التأليف : « لا يستطاع على وزنها » ، لأن « استطعت » مما يتعدى بنفسه ، كما جاء : « فلا يستطيعون توصية[٣] » ، وتستطاع ـ بالتاء ـ جائز ـ على قلق فيه ، وكان الأَوْلى أن يقول : ولا يسوغ وزنها مع التلفظ بتاء « تفاعلوا » فاءً . ثم إن منعه أن توزن هذه الكلمة وفيها ألف الوصل غير جائز ، لأنك تلفظ بها مع إظهار التـاء فتقول : وزن « اداركوا » : اتفاعلوا ، وإن شئت قلت : « ادفاعلوا » ، فلفظت بالدال المبدلة من التاء » .

ولدى تأملنا فيما قاله ابن الشجري نجد :

١) ملاحظته على تعدية الفعل « استطاع » ، حيث قال : إنه وجد في نسخة : « ولايستطاع على وزنها » وكان الأَوْلى أن يقول : ولايسوغ وزنها .

---

(١) الأعراف ٣٨

(٢) مشكل إعراب القرآن ٣١٥/١ (٣) يس : ٥٠

وهكذا قد اعتبر ابن الشجري هذه النسخة التي فيها « يستطاع على وزنها » ، هي الأصل وترك النسخ الأخرى الصحيحة التي فيها « ولا يستطاع وزنها » ، وهو في هذا يريد تصيُّد السقطات ، ولو كان ذلك من خطأ ناسخ أو وهم كاتب . ورحم الله مكياً ، فقد كان دائماً يطلب من قارىء كتبه أن يغض طرفه عن خطأ ناسخ أو وهم كاتب ، ولكن ابن الشجري يريد أن يعتبر ذلك هو الأصل ، ليجد مادة يتكلم فيها .

ثم يقترح ابن الشجري على مكي لفظاً بدل لفظه ، فيقول ، وكان الأولى أن يقول : « ولا يسوغ وزنها بدلاً من : ولا يستطاع وزنها » ، ولاشك أن كلمة « ولا يستطاع وزنها » أفضل هنا وأدلّ على المقصود من كلمة « ولا يسوغ وزنها » ، وأي ضير في أن تبقى الكلمة على أصلها الذي جاء به مكي .

٢) ملاحظته على وزن « ادّاركوا » ، حيث يمنع مكي أن توزن إلا على الأصل ، في حين يجيز ابن الشجري وزنها على « اتفاعلوا » أو « ادفاعلوا » معللاً ذلك بقوله : « فلفظت بالدال المبدلة من التاء » .

ولا شك أن ابن الشجري لم يعلل وزنه تعليلاً واضحاً ، وقد حاولت أن أعرف رأي المفسرين فيها قبل أن أناقش ابن الشجري في قوله ، فوقعت على قول للسمين في كتابه « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » يؤيد رأي ابن الشجري ، بل يعلله ويوضحه ، ولا بأس من أن نذكر رأي السمين حتى تتضح المسألة ويسوغ نقاشها . يقول السمين :

« قال مكي : ولا يستطاع اللفظ بوزنها مع ألف الوصل ، لأنك تردّ الزائد أصلياً فتقول : افاعلوا ، فتصير تاء « تفاعلوا » فاءَ الفعل ، لإدغامها

في فاء الفعل ، وذلك لا يجوز ، فإن وزنتها على الأصل ، فقلت : « تفاعلوا » جاز .

قلت : هذا الذي ذكره من كونه لا يمكن وزنه إلا بالأصل ، وهو « تفاعلوا » ممنوع قوله : « لأنك تردّ الزائد أصلياً ، قلنا : لا يلزم ذلك ، لأنا نزنه بلفظه مع همزة الوصل ، ونأتي بتاء التفاعل بلفظها ، فنقول وزن « اداركوا » : اتفاعلوا ، فنلفظ بالتاء اعتباراً بأصلها ، لأنها صارت إليه حال الإدغام .

ثم يقول السمين : وهذه المسألة نصّوا على نظيرها ، وهو أن تاء الافتعال إذا أبدلت إلى حرف متجانس لما بعدها ، كما تبدل طاء أو دالاً في نحو : اضطر واضطرب ، وازدجر ، وادكر ، إذا وزن ما هي فيه ، قالوا : يلفظ في الوزن بأصل تاء الافتعال ، ولا يلفظ بما صارت إليه من طاء أو دال ، فتقول وزن : اصطبر : افتعل ، لا : « افطعل » ووزن « ازدجر » : افتعل ، لا : افدعل ، فكذلك تقول - هنا : وزن « اداركوا » : اتفاعلوا ، لا افاعلوا ، فلا فرق بين تاء الافتعال والتفاعل في ذلك » .

وأقول : إن القاعدة التي اعتمد عليها السمين وابن الشجري في أحكامها صحيحة ، ولكن تطبيقها للقاعدة لم يكن صحيحاً ، وذلك لأن القاعدة في الإبدال ، والحالة التي نحن بصددها ليس فيها إبدال ، وإنما فيها إدغام ، وهناك فرق بين الإبدال والإدغام . فالإبدال : يعني أن نبدل حرفاً بحرف آخر . أما الإدغام فهو إدخال حرف في حرف بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً ، والتشديد في الحرف يدل على أنها حرفان ، وليسا بحرف واحد ، وحينما نفك الإدغام يعودان حرفين كذلك .

وبناء على هذا لا يصح قياس ابن الشجري والسمين للإدغام على الإبدال وتوضيح ذلك كما يلي :

إن السمين يقول وزن « اصطبر » : افتعل وذلك أنه ردّ الطاء إلى تاء باعتبار أنها مبدلة عنها ، وهذا صحيح ، لأن أصل الفعل « صبر » ووزنه « فعل » فتكون تاء الافتعال الزائدة توازي الطاء المبدلة عن تاء ، وكلاهما حرف زائد ، وبقيت الصاد التي هي فاء الفعل في مكانها فاءً للفعل . بخلاف « اداركوا » ، فإذا قلنا وزنها : « اتفاعلوا » . أصبحت التاء الزائدة تقابل فاء الفعل الذي هو الدال وهو حرف أصلي ، لأن أصله : «درك» ، وهذا هو الذي يمنع منه مكي ، لأن الأصلي يجب أن يقابل الأصلي ، والزائد ينبغي أن يقابل الزائد ، فظهر الفرق بين الكلامين .

وقد قال ابن الأنباري - تلميذ ابن الشجري - في « البيان في غريب إعراب القرآن »(١) مثل قول مكي :

[قوله تعالى : « حتى إذا اداركوا فيها جميعاً » :

ادّاركوا : أصله : تداركوا على وزن « تفاعلوا » إلا أنه أبدلت التاء دالاً وأدغمت الدال في الدال فسكنت الدال الأولى ، والابتداء بالساكن محال ، فاجتلبت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن . ونظيره : « ادّاراتم » و « اطّيّرنا » . ولا يجوز أن يوزن مع ألف الوصل فتقول « اتّاعلوا » لأنه يصير الزائد أصلياً ، لأن التاء الزائدة صارت فاء الفعل لإدغامها فيها وذلك لايجوز] .

(١) ٣٦٠/١

وبذلك يقف ابن الأنباري – تلميذ ابن الشجري – إلى جانب مكي يؤيد رأيه ويؤكده . ويعتبره القول الصحيح الذي لا يجوز العدول عنه إلى غيره .

٢١ – في إعراب « ساء مثلًا القوم » :

قال ابن الشجري : (١) وقال – أي مكي – قوله تعالى :

« ساء مثلًا القومُ الذين كذَّبوا بآياتنا وأنفسَهم كانوا يظلمون » : (٢)

في « ساء » : ضمير الفاعل . ومثلًا : تفسير . والقوم : رفع بالابتداء . وماقبلهم : خبرهم ، أو رفع على إضمار مبتدأ ، تقديره : ساء مثلًا هم القوم الذين كذبوا ، مثل نِعمَ رجلًا زيد . وقال الأخفش : تقديره : ساء مثلًا مثلُ القوم (٣) .

« قلت – أي ابن الشجري .

« ساء بمنزلة « بئس » ، وهذا الباب لايكون فيه المقصود بالذم أو المدح إلا من جنس الفاعل ، فلايجوز « بئس مثلًا غلامك » ، إلا أن يراد : « مثل غلامك » ، فحذف المضاف . فقول الأخفش : هو الصواب . ومن زعم أن التقدير : ساء مثلًا هم القوم فقد أخطأ خطأً فاحشاً » .

وأقول : إن ما قاله ابن الشجري – هنا – فيه نظر ، وذلك أن مكياً حينما قدر : ساء المثل مثلًا هم القوم ... مثّل له بقوله : نعم رجلًا زيد . ولم يتكلم ابن الشجري على هذا المثل ، لأنه صحيح . ولو قلنا بدلاً منه :

---

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٩

(٢) الأعراف ١٧٧ (٣) مشكل إعراب القرآن ٣٣٥/١

ساء مثلًا زيد ، لكان جائزاً أيضاً ، بحيث يصبح المعنى : ساء مثلا لغيره زيد ، أي إنه مثل سيء لغيره . وكذلك يصبح المعنى على تقدير مكي : ساء المثل مثلًا هم القوم . . . أي إنهم أصبحوا مثلًا سيئاً لغيرهم ، وليس المراد سوء مثلهم الذي ضرب لهم . وعلى هذا يصح المعنى ، ولا يرد كلام ابن الشجري ، فعلى التقدير الأول : يكون القوم مثلًا سيئاً لغيرهم ، وعلى التقدير الثاني : يكون مثلهم الذي سبق أن ضرب لهم وهو « مثل الكلب » هو المثل السيء .

٢٢ – في إعراب « كما أخرجك ربك » :

قال ابن الشجري (١) :

ومن الأغاليط الشنيعة أقوال حكاها في سورة الأنفال في قوله تعالى : كما أخرجَكَ ربُّكَ مِنْ بيتِكَ بالحقِّ وإنَّ فريقاً من المؤمنين لكارِهون » (٢).

« قال – أي مكي : الكاف من « كما » في موضع نصب نعت لمصدر محذوف « يجادلونك » أي : جدالاً كما . وقيل : هي نعت لمصدر دل عليه معنى الكلام ، تقديره : قل الأنفالُ ثابتة لله والرسول ثبوتاً كما أخرجك . وقيل : هي نعت لحقٌّ ، أي : هم المؤمنون حقاً كما . وقيل : الكاف : في موضع رفع ، والتقدير : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فاتقوا الله . فهو ابتداء وخبر . وقيل : الكاف : بمعنى الواو للقسم ، أي : الأنفال لله والرسول والذي أخرجك (٣) » – انتهى .

(١) أمالي ابن الشجري ج ٢ ص ٤٥٩

(٢) الأنفال ٥

(٣) مشكل إعراب القرآن ٣٤٠/١

« وأقول — أي ابن الشجري :

وهذه أقوال رديئة منحرفة عن الصحة انحرافاً كلياً ، وأوغلها في الرداءة القول الرابع والخامس ، فقوله : الكاف ، من « كما » في موضع رفع بالابتداء ، وخبره : فاتقوا الله ، قولٌ ظاهر الفساد من وجوه :

أحدها : أن الجملة التي هي : « اتقوا الله » مع تقديمها على الكاف ، بينها وبين الكاف فصل بثلاث آيات وبعض آية رابعة ، وهذا الفاصل مشتمل على عشر جمل ، وليس في كلام العرب ، ولا في الشعر الذي هو محلّ الضرورات ، خبر قدم على المخبر عنه مع الفصل بينهما بعشر جمل أجنبية .

والثاني : دخول الفاء في الجملة التى زعم أنها الخبر ، والفاء لا تدخل في خبر المبتدأ إلا أن يغلب عليه شبه الشرط بأن يكون اسماً موصولاً بجملة فعلية ، أو يكون نكرة موصوفة ، كقولك : الذي يزورني فله درهم ، وكل رجل يزورني فله درهم ، أو يكون خبر المبتدأ الواقع بعد « أما » .

والثالث : أن الجملة التي هي قوله : « فاتقوا الله » خالية من ضمير يعود على الكاف الذي يزعم أنه مبتدأ ، وهى مع ذلك جملة أمرية ، والجمل الأمرية لا تكاد تقع أخباراً إلا نادراً ، وتمثيل هذا الذي قد قدّره قائله — وهو تقدير باطل - قولك : فاتق الله كما أخرجك زيد من الدار ، وأي فائدة في انعقاد هذين الكلامين .

والقول الآخر التابع لما قبله في الرذالة والأخذ بالحظ الوافر من الاستحالة قول من زعم أن الكاف للقسم ، بمنزلة الواو ، وهذا مما لا تجوز حكايته فضلًا عن تقبّله . وما علمت في مذهب أحد ممن يوثق بعلمه في

النحو بصري ولا كوفي ، أن الكاف تكون بمنزلة الواو في القسم ، فلو قال قائل : كالله لأخرجن ، لاستحق أن يبصق في وجهه .

ثم إنه جعل هذا القسَم واقعاً على أول السورة ، وجعل « ما » التي في قوله : « كما أخرجك » بمعنى « الذي » وجعلها واقعة على القديم — تعالى جده — مع جعله الكاف بمعنى الواو ، فقال في حكايته : الأنفال لله والرسول والذي أخرجك . وهذا لو كان على ما تلفظ به لوجب أن يكون فاعل أخرجك مضمراً عائداً على « الذي » وكيف يكون في « أخرجك » ضمير ، والفاعل : ربك . ثم تعليقه لهذا الذي زعم أنه قسم بأول السورة يجري مجرى القول الذي قبله في تباعد المتعاقدين .

وأما قوله : إن موضع الكاف نصب على أنها نعت لمصدر « يجادلونك في الحق » ، معناه : في إخراجك من بيتك وخروجهم معك ، فلهذا قال : كأنما يساقون إلى الموت ، فيكون المعنى — على هذا التأويل : يجادلونك في إخراجك من بيتك جدالاً مثلما أخرجك ربك من بيتك ، فهذا تشبيه الشيء بنفسه ، لأنه شبّه إخراجه من بيته بإخراجه من بيته .

وقوله : إن الكاف تكون نعتاً لمصدر يدل عليه معنى الكلام ، تقديره : قل الأنفال ثابتة لله والرسول ثبوتاً كما أخرجك ، فهذا أيضاً ضعيف لتباعد ما بينهما . وأقرب هذه الأقوال إلى الصحة قوله : إن الكاف تكون نعتاً للمصدر الذي هو « حقاً » لأمرين :

أحدهما : تقارب ما بينهما .

والآخر : أن إخراجه من بيته كان حقاً بدلالة وصفه له بالحق في

قوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، وإيراد مكي لهذه الأقوال الفاسدة ، من غير إنكار شيء منها ، دليل على أنه كان مثل قائلها في عدم البصيرة .

ثم يقول ابن الشجري : والقول في تحقيق إعراب هذا الحرف أن قوله تعالى : « يسألونك عن الأنفال » - الآية نزلت في أنفال أهل بدر ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رأى قلة أصحابه وكراهيتهم للقتال قال ليرغبهم في القتال : « من قتل قتيلاً فله كذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا » . فلما فرغ من أهل بدر قام سعد بن معاذ ، فقال : يا رسول الله ، إن نفلت هؤلاء ما سميتَ لهم بقي كثير من المسلمين بغير شيء . فأنزل الله : قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله في قسمة الغنائم فهي له يصنع فيها ما يشاء ، فسكتوا وفي أنفسهم من ذلك كراهية ، وهو قوله : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره منهم - من المسلمين - فامض لأمر الله في المغانم كما مضيت على مخرجك وهم له كارهون .

فموضع الكاف - على هذا - رفع بأنها مع ما اتصلت به خبر مبتدأ محذوف ، فالتقدير : كراهيتهم اقسمتك الأنفال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون .

فقوله : كما أخرجك ، معناه : مثل إخراجك ، وإن قدرت المبتدأ هذا وأشرت به إلى كراهيتهم لقسمة النبي ﷺ للأنفال : فأردت : « هذا كما أخرجك » معناه : مثل إخراجك ربك من بيتك بالحق ، فحسن وبالله التوفيق » انتهى كلام ابن الشجري .

ولا بد لنا قبل أن نعلق بشيء على ما قاله ابن الشجري من أن نبين أصحاب هذه الأقوال ، لنعرف على من تقع هـذه الشتائم التي قذف بها ابن الشجري .

أما القول الأول الذي ناقشه ابن الشجري ، والذي قال فيه : « .. وأوغلها في الرداءة القول الرابع والخامس فقوله : الـكاف من كما : في موضع رفع بالابتداء ، وخبره : فاتقوا الله . قول ظاهر الفساد من وجوه .. » أقول : إن هذا القول ذكره الطبري وعزاه إلى عكرمة : قال الطبري (١): حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبـد الوهاب قال : حدثنا داود عن عكرمة : « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » . الآية ـ أي أن هذا خير لكم ، كما كان إخراجك من بيتك بالحق خيراً لك .

وأما القول الثاني الذي ناقشه ابن الشجري فهو القول بأن الـكاف بمعنى « الواو » للقسم ، والذي قال فيه : « .. وهذا لا تجوز حـكايته فضلاً عن تقبله ... » .

نقول : إن هذا القول حكاه الطبري أيضـاً عن جماعة بقوله (٢) : وقال آخرون منهم ــ أي أهل العربية ــ هي بمعنى القسم . قال : ومعنى الكلام : والذي أخرجك ربك .. ، وقد نسب هذا القول غير واحد من المفسرين إلى أبي عبيدة ، وقد حكاه معظم المفسرين في كتبهم إن لم نقل

---

(١) تفسير الطبري ج ٩ ص ١٨١ ــ طبعة الحلبي

(٢) المصدر السابق ١٨٢

كلهم . وعلى هذا فكلام ابن الشجري ، وسبه وقذفه يسري على الجميع .

على أني قد رجعت إلى كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ، لأتأكد من صحة نسبة القول إليه ، فإذا هو يقول : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » :

« مجازها مجاز القسم » كقولك : والذي أخرجك ربك لأن « ما » في موضع « الذي » وفي آية أخرى : « والسماء وما بناها » (٩١/٥) أي : والذي بناها ، وقال :

دعيني إنما خطئي وصوبي   عليّ وإن ما أهلكت مال

أي وإن الذي أهلكت مالٌ ، وفي آية آخرى : « إن ما صنعوا كيد ساحر » (٢٠/٦٩) : إن الذي فعلوه كيد ساحر فلذلك رفعوه [١]

وأما القول الثالث الذي ناقشه ابن الشجري فهو أن الكاف نصب على أنها نعت لمصدر يجادلونك في الحق ، معناه : جدالاً كما . وهذا القول قال به الألوسي [٢] ونسب ذلك إلى الكسائي .

وأما القول الرابع الذي ضعفه ابن الشجري وهو « أن تكون نعتاً لمصدر يدل عليه معنى الكلام ، تقديره : قل الأنفال ثابتة لله والرسول ثبوتاً كما أخرجك » وهذا القول نسبه أبو حيان في البحر المحيط [٣] إلى

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي المتوفى سنة (٢١٠ هـ) تحقيق فؤاد سزكين ، نشر محمد سامي أمين الخانجي الكتبي بمصر ١٣٧٤ — ١٩٥٤ ج ١ ص ٢٤٠ — ٢٤١

(٢) روح المعاني ج ٩ ص ١٥١

(٣) البحر المحيط ج ٤ ص ٤٦٢

الزجاج ، وعلق عليه أبو حيان بقوله : وهذا الفعل أخذه الزمخشري وحسنه».

وأمـا القول الخامس الذي اعتبره ابن الشجري أقرب الأقوال إلى الصحة وهو : « أن تكون الكاف نعتاً للمصدر الذي هو حقاً » فهو قول الأخفش كما نقله أبو حيان أيضاً (١) .

ومن هذا النقل نرى أن هذه الأقوال أقوال أئمة اللغة والتفسير تناقلوها في كتبهم خلفاً عن سلف ، ولم يجدوا في ذلك غضاضة ولا مطعناً ، ولقد ذكر أبو حيـان في تفسير هذا الحرف خمسة عشر قولاً ، منها هذه الأقوال ، كما ذكر السمين فيهـا عشرين قولاً تشتمل على الأقوال الخمسة التي نقلها مكي . وقد قال أبو حيان في تفسيره (٢) : اضطرب المفسرون في قوله : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » ، واختلفوا على خمسة عشر قولاً . ثم أخذ يعدد هذه الأقوال ويورد الاعتراضات على كل واحد منها ، ولم يسلم من ذلك القول الذي أخذ به ابن الشجري ــ وهو قول الفراء ــ حيث علق عليه أبو حيان وعلى قول الكسائي بقوله (٣) : « وقد كثر الكلام في هاتين المقالتين ولا يظهران ، ولا يلتئمان من حيث دلالة العاطف » . وبعد أن يورد أبو حيان الخمسة عشر قولاً » (٤) يقول : « وقد انتهى ذكر هذه الأقوال الخمسة عشر التي وقفنا عليها ، ومن دفـع إلى حوك الكلام ، وتقلب في إنشاء أفانينه وزاول الفصاحة والبلاغة لم يستحسن

(١) البحر المحيط ج ٤ ص ٤٦٢

(٢) البحر المحيط ج ٤ ص ٤٥٩

(٣) البحر المحيط ج ٤ ص ٤٦٢

(٤) المصدر السابق صفحة ٤٦٢ ــ ٤٦٣

شيئاً من هذه الأقوال ، وإن كان لبعض قائليها إمامة في علم النحو ورسوخ قدم ، لكنه لم يحتط بلفظ الكلام ، ولم يكن في طبعه صوغه أحسن صوغ ، ولا التصرف في النظر فيه من حيث الفصاحة وما به يظهر الإعجاز. ثم يذكر قولاً له خرّجه في منامه . قال أبو حيان (٣) :

« وقبل تسطير هذه الأقوال ـ هنا ـ وقعت على جملة منها ، فلم يلق لخاطري منها شيء ، فرأيت في النوم أنني أمشي في رصيف ، ومعي رجل أباحثه في قوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » فقلت له : مامرّ بي مشكل مثل هذا ، ولعل ثَمّ محذوفاً يصح به المعنى ، وما وقفت فيه لأحد من المفسرين على شيء طائل ، ثم قلت له : ظهر لي الساعة تخريجه ، وإن ذلك المحذوف هو : نصرك ، واستحسنت أنا وذلك الرجل هذا التخريج ، ثم انتبهت من النوم وأنا أذكره ، والتقدير : فكأنه قيل : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أي بسبب إظهار دين الله وإعزاز شريعته ، وقد كرهوا خروجك تهيباً للقتال وخوفاً من الموت ، إذ كان أمرُ النبي ﷺ لخروجهم بغتة ولم يكونوا مستعدين للخروج ، وجادلوك بالحق بعد وضوحه ، نصرك الله وأمدك بملائكته ، ودل على هذا المحذوف الكلام الذي بعده ، وهو قوله تعالى : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم » الآيات.

ثم يقول أبو حيان : ويظهر أن الكاف في هذا التخريج المنامي ليست لمحض التشبيه ، بل فيها معنى التعليل ، وقد نص النحويون على أنها

---

(١) البحر المحيط ج ٤ ص ٤٦٢ — ٤٦٣

(٢) الأنفال ٩

قد تحدث فيها معنى التعليل ، وخرّجوا عليه قوله تعالى : « واذكروه كما هداكم[١] »

فكأن المعنى : إن خرجت لإعزاز دين الله وقتل أعدائه نصرك الله وأمدك بالملائكة . والواو في « وإن فريقاً » واو الحال .

ومن كل ما تقدم نرى أن هذا الحرف مشكل ، وقد اضطرب فيه المفسرون واللغويون والنحويون ، وليس فيه قول إلا وعليه إيراد ، بما في ذلك رأي الفراء الذي رجحه ابن الشجري ومن أخذه بنص كاملاً دون أن ينسبه إليه[٢] .

وأما ادعاء ابن الشجري بأن مكياً أورد هذه الأقوال دون أن يعقّب على واحد منها فهو ادعاء غير مسلم ، ويبدو أن النسخة التي اطلع عليها ابن الشجري فيها نقص ، كالنسخة التي رأيتها في المدينة ، حيث لم يذكر فيها سوى خمسة أوجه في إعراب هذا الحرف ، ويبدو أن هناك نسخاً تزيد أربعة أوجه أخرى على الأوجه السابقة ، وفيها تعقيب على بعض الأقوال السابقة وبيان لضعفها ، كما ورد في نسخة دار الكتب المصرية[٣] حيث جاء فيها :

ويجوز أن يكون في موضع رفع ، نعتاً لـ « رزق » ـ الآية ـ ٤ فيكون نعتاً بعد نعت ، أي رزق يماثل الإخراج .

---

(١) البقرة ١٩٨

(٢) انظر معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ٤٠٣ – طبعة دار الكتب – تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار .

(٣) مشكل إعراب القرآن ـ مخطوطة دار الكتب ـ رقم (٢٣٢ تفسير تيمور).

ويجوز أن يكون في موضع رفع خبر مبتدأ محذوف ، أي : ذلك.

كما يجوز أن يكون في موضع نصب متعلق بفعل أمر ، أي : امض كما أخرجك ، كما تقول : افعل كما أمرك . واخرج كما أخرجك، وإلى هذا أشار قطرب .

ويجوز أن يكون أمر النبي ﷺ بإمضاء قسمة أمر الغنائم على كره من السائلين ، كما أمر بإمضاء الخروج للقتال ، على كره من مفارقة بيوتهم .

وإلى هذا المعنى أشار الفراء. فتكون الكاف في موضع نصب على الحال ، أي : كرهاً كما أخرجت على كره من فريق .

وأما القسم الذي ذكر ، فهو قول أبي عبيدة ، لأن الناس يقولون : كما تصدقت علي بالعافية لأتوبن ، لأفعلن ، فخرج مخرج القسم ، وهو غريب .

فهذه تسعة أوجه .

كذلك نلاحظ هنا أن مكياً قد ذكر قول الفراء الذي اختاره ابن الشجري ، كما ضعف رأي أبي عبيدة بالقسم ، بقوله : وهو غريب وبذلك تتساقط مغالطات ابن الشجري واحدة واحدة .

— للبحث صلة — **أحمد حسن فرحات**

أبو يوسف الكندي
ورسالته في الشعاعات

الدكتور مختار الدين أحمد

يعد الكندي أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة ، وهو أول علمائه في ميدان العلوم الإنسانية ، النظرية منها والعملية ، ولذلك كانت آثاره جديرة بعناية الباحثين .

وقد احتل هذا الفيلسوف العربي مكانة مرموقة لدى العلماء في الشرق والغرب ، فأهل الشرق يعرفونه كمؤسس للفلسفة الإسلامية ، أما شهرته في الغرب فقد بلغت إلى حيث يعده الفيلسوف الايطالي « كاردانوس » المتوفى عام ١٥٧٦ / م ، من الرجال الاثني عشر المبرزين في التفكير النافذ . وفي السطور الآتية نحاول إلقاء الضوء على حياته وبعض جوانبه العلمية المهمة التي عرف بها بين العلماء في الشرق والغرب ، ثم نعرف برسالته في الشعاعات التي توجد مخطوطتها الوحيدة في مكتبة بانكيبور (بتنة) ، الهند .

اسمه وحياته :

اتفق أصحاب التراجم على ن الكندي عربي صميم ، وأحد أبناء

ملوك العرب ، يكنى أبا يوسف ، واسمه يعقوب بن إسحاق بن الصباح . ونسبته إلى قبيلة كندة ، وهي قبيلة ذات مجد مؤثل ومكانة عالية بين قبائل العرب .

وكتب التراجم لاتعطينا الكثير عن حياة فيلسوف العرب ، ولم يعيّن أحد منهم عام مولده ولا عام وفاته . على أن الأستاذ مصطفى عبد الرزاق رحمه الله يرى أنه ولد في أواخر حياة أبيه حوالي عام ١٨٥ ﻫ خمس وثمانين ومائة ، وأن أباه تركه طفلا فنشأ في الكوفة في أعقاب تراث من السؤدد ومن الغنى ، وفي حضن اليتم وظل الجاه الزائل .

وعلى هذا فلا سبيل لمعرفة ظروف حياة الكندي ونشأته وتعليمه إلا استنباطاً وقياساً ، أما تحديد تاريخ وفاته فعلى رأي المغفور له مصطفى عبد الرزاق أنه قد توفي في أواخر سنة ٢٥٢ ﻫ اثنتين وخمسين ومائتين من الهجرة .

ثقافته :

لانعرف شيئا عن تحصيل الكندي ولا عن أساتذته ، ولانجد عند بعض المترجمين سوى أنه نشأ في البصرة ، وان تأدبه كان في بغداد . غير أننا نستطيع أن نستنبط مما كان له من مجد قديم مستمر ، ومما كان لأبيه من منصب وثروة وكرم مذكور ، أنه قد أتيحت له فرصة تعليم وتثقيف منظمين ، ثم إنه قد استفاد من الجو العلمي الذي يسود بيوت الكبراء والذي ينشأ من تردد العلماء والمفكرين وأهل النظر على مجالس الولاة الذين لم يكونوا قط – بحسب ظروف الدولة الإسلامية الأولى – مجرد موظفين إداريين ، بل كانت تربطهم بالعلم وأهله الروابط الوثيقة .

وإذا لاحظنا أن الكندي قد تأدب ببغداد وأقام بها في أثناء ازدهار ملكاته وتفتحها حيث بلغت حركة ترجمة الفكر الأجنبي ذروتها بفضل

تشجيع الخلفاء ، استطعنا أن ندرك قوة الجو الفكري الذي فيه نبغ وفيه تفتحت مواهبه وتكامل نضجها .

ولا شك أن بدء حياة الكندي ، مع ترعرع علم الكلام الناشىء وازدهاره وسط حركة فكرية قوية وعناية بالعلم ، وضعت أمهات كتب الفكر الفلسفي تحت نظر المسلمين ، وقد أتاح للكندي تحصيل معارف واسعة ، فيها كثير من العناصر المتمازة . وكان عقله يتغذى من قراءة الكتب المنقولة على اختلافها ، ومن الصلة المباشرة بكبار المترجمين الأولين ، ومن المشاركة في المناظرات والأبحاث الكلامية والفلسفية المتنوعة التي لم تكن تخلو منها مجالس الخلفاء . وتدل مؤلفات الكندي على تبحرٍ في أنواع العلوم ، وعلى شمولٍ لكل ما كان يعني مفكري عصره من علوم كلامية أو فلسفية بالمعنى الواسع . ويقول القفطي عن الكندي : إنه المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ، المتخصص بأحكام النجوم وأحكام سائر العلوم .

والحقيقة أن استعراض أسماء كتبه يدل على شمول لميادين المعرفة منقطع النظير ، وعلى أنواع من الاهتمام بكل الاتجاهات والتيارات الفكرية في عصره لا تتهيأ إلا للعقول الكبيرة .

مؤلفاته :

كان الكندي غزير التأليف ، وقد أورد له ابن النديم ٢٣١ واحداً وثلاثين ومائتي كتاب ، موزعة على ١٧ سبعة عشر نوعاً ، غير أن كثيراً من هذه المؤلفات تناولتها يد الضياع ، فلم يبق لدينا إلا بضعة وخمسون كتاباً طبع منها بالفعل أربعون ، ولايزال الباقي مخطوطاً .

إن أقدم ثبت بمؤلفات الكندي هو ذلك الذي أورده ابن النديم ،

وعنه أخذ القفطي وابن أبي أصيبعة . ويبلغ عدد مؤلفاته بحسب ابن النديم ٢٤١ واحداً وأربعين ومائتين ، وبحسب القفطي وبحسب ابن أبي أصيبعة ٢٨١ واحداً وثمانين ومائتين . وللأب مكارثي بحث أورد فيه المصنفات المطبوعة والمخطوطة والمترجمة ، نشره سنة ١٩٦٢ م ، وهو بحث أولي نافع يعد أساساً صالحاً لمتابعة البحث ، وخاصة لأنه ذكر المكتبات التي توجد فيها مخطوطات الكندي .

وهذا العدد لرسائل ومقالات الكندي غير هائل — كما يبدو لنا أول ما يبدو — ذلك لأن قصار مقالاته لاتزيد أحيانا على ثلاث صفحات أو أربع ، بينما أطول رسائله التي وصلت إلينا لاتبلغ عشرة الآف كلمة .

وإذا نحن اعتبرنا ما نشر للكندي من الرسائل في المدة الأخيرة وجدنا أنه قد نال حظاً كبيراً من العناية ، على أن دراسة أوجه فلسفة الكندي لا تزال بحاجة إلى عناية أوسع وأعمق ، ذلك لأن الكندي أقدم المفكرين العرب الذين يستحقون لقب فيلسوف على الحصر .

تصنيفه في العلوم :

لم يبتدع الكندي تصنيفاً للعلوم ابتداعاً ، ولم يضعه ابتداء ، فقد سبقه إلى ذلك فلاسفة اليونان وبخاصة أرسطو وفلاسفة مدرسة الاسكندرية ، ولكنه حينما تكلم عن كتب أرسطو وعِدّتها ومراتبها وضرورتها لطالب الفلسفة وأغراض المعلم الأول فيها في رسالته المسماة «كمية كتب أرسطو وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة» أضاف إلى ذلك تفصيل القول في العلوم الرياضية ، وبين أهميتها وجعل لها السبق في التعلم على العلم الطبيعي ، بل على المنطق نفسه . ثم إنه أضاف إلى تصنيف أرسطو للعلوم القائمة على المشاهدة الحسية من جهة ، وعلى البرهان العقلي من جهة أخرى ، علمَ

المسلمين الخاص بهم والقائم على القرآن المنزل على نبيه وحياً من عند الله تعالى . وهكذا نرى أن الكندي كان أول من وضع لمفكري الإسلام التخطيط العام لتصنيف العلوم ، وقسمه قسمين أساسيين : علوم فلسفية ، وأخرى دينية . والعلوم الفلسفية تشمل عنده الرياضيات والمنطق والطبيعيات والميتافيزيقيا والأخلاق والسياسة .

الفلســـفة :

قد اشتهر الكندي في الفلسفة أكثر من أي فن آخر ، وشهرته هذه قد وصلت بحيث لقب فيلسوف العرب ، ولا شك أن هذه الناحية من حياته هي أبرز من الأخرى ، وآثاره في هذا المجال أكثر من آثاره في سائر الفنون .

وكان الكندي قد ورث الفلسفة عن مدارس مختلفة المذاهب ، متعارضة النزعات ، والغالب على فيلسوف العرب أنه على رأي أرسطو في الزمان والمكان والصورة والمادة والحركة والطبيعة والسببية والعقل والنفس ، غير أن ميله الشخصي إلى رأي الدين وتأثره بما كان قد تسرب إلى الفلسفة المنسوبة إلى أرسطو من الآراء الأفلاطونية والاسكندرية قد جعلاه يجانب أرسطو في بعض تفاصيل هذه المدارك . إنه يجيز مثلاً أن يكون العلم متناهياً في الواقع وإن كنا نحن نستطيع أن نتخيله غير متناهٍ . ثم إنه يجيز أيضاً أن يكون الزمان متناهياً من أوله .

ويرى الكندي أن الرياضيات لا تكون بالاقتناع بالبراهين ، فإذا أخذنا بالاقتناع كانت ظناً من الظنون . والأعداد عند الكندي متناهية في نفسها ، أي أن كل عدد مهما يكن كبيراً فإنه متناهٍ ، غير أن سلسلة الأعداد يمكن

أن تكون في خيالنا غير متناهية لأن بإمكاننا أن نزيد عدداً بالجمع أو بالتضعيف بلا نهاية .

علوم الطب :

يدل على تربع الكندي على عرش الشهرة في صناعة الطب ، بل ابتكار العلاج أيضاً بما يناسب حالة المريض ، القصة التي أوردها القفطي عن إصابة ابن التاجر الذي كان جاراً له ، وأنه قد برأ بعلاجه . وقد أورد ابن النديم عند ذكر تآليف الكندي الطبّيات أسماء بضع وعشرين رسالة ، لم يبق منها مع الأسف شيء نستطيع أن نعرف به مذهبه في الطب والعلاج ، ولكنها بلا شك تدل على شهرة الكندي في الطب ورسوخ قدمه في هذه الصناعة .

وللكندي رسالة عن الأدوية المركبة ، مفقودة في اللغة العربية ، ولها ترجمة لاتينية طبعت سنة ١٥٣١ إحدى وثلاثين وخمس مائة بعد الألف من الميلاد في ستراسبرج . ويعد هذا الكتاب أول محاولة لتقدير الأدوية على أساس رياضي . والنظرية التي يذهب إليها الكندي في هذا التقدير أن وزن الدواء يتناسب تناسباً هندسياً مع تأثيره على البدن . وعارض الكندي أطباء آخرون ، أو معظم الأطباء ، فقالوا إن هذا التناسب حسابي ، ومن الفريق المعارض ابن رشد الذي أورد مذهبه في كتاب الكليات مصرحاً بنقد الكندي .

عنايته بالرياضيات :

إن نزعة الكندي الحقيقية كانت إلى الرياضيات التي نبغ فيها وعني بها ، وآية ذلك وفرة تآليفه عنها ، وكذلك كانت له معرفة وثيقة بالعلوم اليونانية ، ولكننا لا نعلم متى تعلم الكندي الرياضيات وعلى يد مَنْ من الأساتذة

أخذها ، وهل بدأ يتعلمها في الكوفة ثم انتقل بعد ذلك إلى بغـداد أم أنه لم ينهل من معين الفلسفة والعلوم الرياضية إلا في دار السلام ؟ والأرجح أن يكون الكندي قد تعلم الفلسفة ومايتصل بها من علوم طبيعية ورياضية في بغداد .

ويذكرون من خصائص الكندي البارزة دقته في تحديد الألفاظ الفلسفية وفي وجوه استعمالها ، ثم إنه يبني البحث في الفلسفة على أساس الرياضيات .

والعلوم الرياضية التي أوجب فيلسوف العرب تحصيلها حتى قبل تعلم المنطق ، ليتسنى لطـالب الفلسفة أن يفهم علومها من طبيعيـات وما بعد الطبيعات ، أربعـة : الحساب والهندسة والموسيقى والفلك . والفلك هو الاسطرونومية ، ويسميه « التنجيم » . إنه المصطلح الذي شاع في عصر الكندي ، فكان الفلكي يسمّى المنجم .

علم الفلك :

عرف العرب علم الفلك معرفة عملية لم تتجاوز سد الحاجة إلى الاهتداء بالنجوم ليلاً ، والعلم بعدد السنين والشهور ، فعرفوا عدداً من الكواكب الثابتة مع مواضع مطالعهـا ومغاربها ، ولكنهم ذهبوا في جعلها أشكالاً وصوراً مذهباً يختلف عن غيرهم من الأمم الأخرى .

وفي أواخر الدولة الأموية نقلت علوم الكيمياء والطب والأحكام وعني الأمير خالد بن يزيـد المتوفى سنة ٨٥ هـ خمس وثمانين ، بإخراج كتب اليونان القدماء فترجمت له كتب الطب والنجوم والكيمياء . وأكبر الظن أن ما نقل له من كتب علم الفلك كان في علم أحكام النجوم لا في علم الهيئة .

وتأثر العرب في علم الفلك بمذاهب الفرس ، كما تأثروا بمذاهب الهند ،

ولم يكد يطلع القرن الثالث حتى أخذ منجمو العرب يبتدعون علماً جديداً للفلك ، لاهو هندي ولا فارسي ولا يوناني ، ولكنه يميل نحو الحساب اليوناني لسهولته .

وقد عاش الكندي في الفترة التي أخذ علم الفلك يتحول فيها من طرائق الهند والفرس إلى طريقة بطليموس . ولم يكن فيلسوف العرب هو الذي جدد وحده هذا العلم وطوّره ، بل شارك في هذا التجديد عدد من المنجمين وأصحاب الحساب المعاصرين له .

وليست بين أيدينا رسائل الكندي الفلكية لمعرفة مدى مساهمته في وضع الأسس الجديدة لعلم الفلك العربي ، ومع ذلك توجد إشارات في كتب المتأخرين . وبعض رسائله المترجمة إلى اللاتينية يستفاد منها منزلة فيلسوف العرب في علم الهيئة وأحكام النجوم . من ذلك أنه يذهب في رسالته المسماة « في علل القوى المنسوبة إلى الأشخاص العالية الدالة على المطر » إلى قسمة فلك البروج أقساماً متساوية ، وفي كل برج منزلتان وربع منزل من منازل القمر ، فكان بذلك أول من اتبع هذا المنهج الذي سلكه من جاء بعده .

ولا شك أن الكندي قد شق في علم الفلك طريقاً جديداً ، سلكه خلفاؤه وبلغوا فيه النهاية ، فانتزعوا من فيلسوف العرب عرش الشهرة . ولكن شهرته في أوربا في العصر الوسيط فاقت شهرته عند أهل وطنه والناطقين بلغته حتى كان يُسلك في أوربا أحد ثمانية هم أئمة العلوم الفلكية وترجمت له رسائل كثيرة في علم الفلك إلى اللغة اللاتينية ولا يزال بعضها موجوداً على الرغم من ضياع الأصل العربي . وتوجد كذلك بعض رسائله بالعربية لا تزال خطية ومتناثرة في مكتبات العالم لم يتوفر أحد بعد على نشرها .

رسالته في الشعاع :

قد أورد ابن النديم للكندي ضمن كتبه النجوميات ثلاث رسائل : الأولى كتاب رسالته في الشعاعات ، والثانية كتاب رسالته في طرح الشعاع ، والثالثة كتاب رسالته في فصل ما بين التسيير وعمل الشعاع . وقد ذكر الأب مكارثي في مصادر الرسالة الأولى : الفهرست وعيون الأنباء ، وفي مصادر الثانية : الفهرست وأخبار الحكماء ، وفي مصادر الثالثة : الفهرست وأخبار الحكماء وعيون الأنباء .

مخطوطة رسالة الشعاعات توجد في مكتبة خدا بخش بانكيبور (بتنة) رقم ٢٠٤٨ ، وترجمتها في اللاتينية بكيمبردج والمتحف البريطاني . وفيما يخص هذه الترجمات اللاتينية لا أعرف هل هي ترجمات للرسالة في مطرح الشعاع أم الرسالة في الشعاعات ، إذ أن هذه المعرفة تقتضي مراجعة المخطوطات ذاتها . (التصانيف المنسوبة ص ٧٢ - ٧٣) .

محتوى الرسالة :

نسبة الرسالة :

قد سبق أن أشرنا إلى أن معظم المترجمين للكندي قد نسبوا إليه رسالة الشعاعات حينما ترجموا له ، وهذا دليل واضح على صحة انتساب الرسالة إليه . بصرف النظر عن ذلك هناك أدلة أخرى تصحح هذه النسبة .

منها أن مخطوطة بانكيبور تحمل العنوان الآتي : « كتاب يعقوب ابن إسحاق الكندي في الشعاعات » .

ومنها أن من عادة الكندي أنه يوجه تصانيفه إما للخليفة ، وإما لابنه أحمد الذي كان مؤدباً له ، وإما لأحد إخوانه من العلماء ، وإما

لأحد تلاميذه . فحينما يكتب للخليفة المعتصم يصفه بنعوت تليق به ، ويدعو له بالخير والسعادة . وبناء على ذلك نقطع بأن رسالة الشعاعات من تصانيف الكندي ، وأنه وجهها إلى أمير المؤمنين المعتصم بالله ، لأنه يقول فيها :

« أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه وتأييده وفضائله وكمل سعادته وأباد عدوه » .

ومنها أن المترجمين للكندي ذكروا له بعض التصانيف في موضوع الشعاعات ومايتصل بذلك ، وهذا يدل على أنه كان قد ألف فيه كتباً ورسائل، وأن الموضوع كان من ضمن اختصاصه وعمله . وهذا القدر يكفي في رأيي لتأكيد صحة نسبة الرسالة إلى الكندي .

موضوعها :

والكندي يشير إلى أهمية موضوع الرسالة فيقول : « إنه ليس بصغير الخطر علم مخارج الشعاعات الشمسية وانعكاساتها عن الأجرام العاكسة لها والزوايا الحادثة عنها ونسب أبعاد النقطة التي تنعكس إليها من الأجرام العاكسة في تزكية الأنفس الإنسانية وتهذيبها ، الخ » .

وصف المخطوطة :

يبدو أن مخطوطة بانكيبور لرسالة الكندي في الشعاعات ناقصة ، فإننا نجد في الصفحة الثانية منها العبارة الآتية عن موضوع الكتاب « فإن هذه خاصة جنس العلم المحيط به أعني » . في حين تبدأ الصفحة الثالثة بقوله « أحرق مراكب المحاربين له بشعاع الشمس ، وجب من هذه الجهة إثبات ذلك » .

ومن الواضح أنه لا يوجد ارتباط بين العبارتين ، ولذلك نضطر إلى

فرض أن هذه المخطوطة التي يرجح تاريخ نسخها إلى سنة ٨٩٠ ﻫ تسعين وثمان مائة من الهجرة ، قد نقلت من نسخة ناقصة ، وقد شعر الناسخ بهذا النقص فترك الصفحة الثانية تنتهي عند قوله « أعني » وبدأ الصفحة الثالثة بقوله « أحرق » رجاء أن يظفر في المستقبل بما يكمل به الصفحة الثانية. وهكذا نشعر بنقص في الصفحة الرابعة والثلاثين أيضاً ، ولكن القطع بقدر الناقص يبدو عسيراً .

قصة إحراق المراكب وتحقيقها :

والكندي حينما يذكر في الصفحة الثالثة « إحراق مراكب المحاربين بشعاع الشمس » يشير بذلك إلى القصة المشهورة التي تقول : إن الروم حينما هاجموا في سنة ٢١٢ ق.م. اثنتي عشرة ومائتين قبل الميلاد « سيراكوز » بلد الحكيم أرشميدس فأحرق الحكيم مراكبهم قبل رسوها على ساحل البحر .

وهذه القصة تصدقها القرائن كما تؤيدها التصريحات التاريخية . ومن جملة القرائن أن هجوم الروم على سيراكوز في سنة ٢١٢ ق.م . وجهود أرشميدس الدفاعية حينذاك من الحقائق التاريخية فيقول المؤرخ الشهير بولي بيوس Polybuis : « وما كيناته كانت تستعمل بتأثير قوي ضد الروم في محاصرتهم لسيراكوز . وكان اختراعها قد تم بحيث يمكن استعمالها للمسافة القريبة والبعيدة على السواء ، وتلك الماكينات كانت تمطر الصواريخ بواسطة المنافذ في الجدران وبواسطة الأعمدة الطويلة المتنقلة . . . التي كانت ترمي أوزاناً ثقيلة على مراكب الأعداء ، وكانت تمسك مساطيلها ثم تفلتها في الهواء حتى تسقط فيما بعد (ت . ل . هيلث : تاريخ الرياضة اليونانية ٢/ ١٦ – ١٧) .

وهكذا كان مهندس الجيش الروماني يعنف ويلوم المهندسين التابعين له ، وهو مفزوع ، كما يذكر ت.ل. هيلث : « نحن لا نستطيع إنهاء الحرب ضد الأعداء الذين يستخدمون مراكبنا مثل الفناجين لتناول الماء من البحر ، ويجذبون .... باستخفاف .... ثم يمطرون علينا الصواريخ كأنها تأتي من قبل مئات العفاريت المذكورة في الأساطير . . . (أيضاً ص ١٧) .

وتصريحات المؤرخ بولي بيوس هذه تدل على أن أرشميدس كان قد أرهق المهاجمين الروم بتدابيره الميكانيكية وخاصة المجانيق .

والأمر الثاني الذي يستلفت انتباهنا هو اطلاع ارشميدس على علم المرايا ، لأن « ثاؤن » قد أحال على كتاب له باسم Catoptrica الذي أثبت فيه بمسألة انعطاف الشعاع الشهيرة في البصريات ، أن شيئاً لو ألقي في الماء ليبدو أكبر ، وكلما ازداد عمق الماء كبر حجم الشيء .

وهذان الأمران يؤيدان أن أرشميدس كان قد أباد المهاجمين الروم بمساعدة المرايا المحرقة . ويؤيده تاريخياً ما ذكره ت . ل . هيلث في كتابه المسمى بـ « تاريخ الرياضة اليونانية » : « وقصة إحراق أرشميدس المراكب الرومية بالمرايا المحرقة له تذكر في أي مصدر قديم قبل لوشيان » (تاريخ الرياضة اليونانية) .

وهذه القصة كانت قد وصلت إلى الكندي أيضاً ، ولكن لا عن طريق لوشيان ، بل بواسطة مصدر آخر سماه في مخطوطة الرسالة بـ « اثناميوس » ولعله « اثنائيوس » Athinaeis وكان قد عاش ، حسب تصريح هيلث ، في قرن المائتين الميلادي .

وكان اثنانيوس قد نظر إلى القصة نظرة انتقاد ، وحصل على مقدمات علميـة لترتيب المرايا حسب مقدرته ، كما ينقل عنه الكندي « فنحن ناظرون في ذلك بقدر ما يمكننا ، وواصفون لتهيئة ذلك مقدمات أشياء يسيرة نحن إليها مضطرون فيما نريد من تهيئة المرايا ، فهـذا قول اثنانيوس » ص ٣

وقد انتقد الكندي قول اثنانيوس هذا انتقاداً شديداً فقال : « وقد كان يجب على اثنانيوس أن لا يقبل خبراً بغير برهان في التعاليم وفي صناعة الهندسة خاصة ولا يوجب أيضاً شيئاً بغير برهان » .

والأغلب أن اثنانيوس كان قد ذكر مثالاً لكيفية صنع المرآة التي تنعكس منها أربعة وعشرون شعاعاً على نقطة واحـدة ، ولكنه لم يبين كيف تعين النقطة التي تجتمع عليها الأشعة بعد وصولها : « وقد مثل كيف يعمل مرآة تنعكس منها أربعة وعشرون شعاعاً على نقطة واحدة ، ولم يبين كيف كون النقطة التي يجمع عليها الشعاع على أي بعد شئنا من وسط سطح المرآة » ص ٣

وقد تولى الكندي بنفسه أداء هذه المسؤولية العلمية فقال : « ونحن ممثلون ذلك على أوضح ما يمكننا وأقربه ، ومبينوه بالبراهين الهندسية ، والجهة الأخرى التي ذكر على أوضح ما يبلغه طاقتنا ، ونتمم من ذلك ما كان ناقصاً فإنه لم يذكر بعداً مفروضاً » ص ٣

ثم إن الكندي قد أدى هذه المسؤولية العلمية بالأشكال الهندسية ، منها أشكال إثباتية ، ومنها عملية ، ويبلغ عدد هذه الأشكال عشرين شكلاً .

والكندي كان يرى في بعض الحيل الهندسية بأنها أفضل التدابير

والحيل التي تم اكتشافها إلى عصره ، فيقول بعد شرح طريقة إعداد المرايا المحرقة : « وبهذه الحيلة يسهل علينا الإحراق على أي بعد شئنا ، لأن هذه المسطوة أسهل اتقاناً من غيرها مما عملنا أو عمل أحد من قدماء اليونانيين ممن انتهى إلينا خبر عمله » ص ١١

ثم يذكر الكندي المرآة التي تخرج منها الأشعة الأربع والعشرون وترتكز على نقطة واحدة فيقول : « فإذ قد قدمنا من موضوعاتنا ما فيه كفاية في علم هذه الصناعة فلنذكر ما وعدنا ذكره مما قال انثائيوس في ذات الأربعة وعشرين شعاعاً على أقصد المسالك إلى علم ذلك وإيضاحه بتوفيق ذي القدرة » ص ٢٦

ويقول بعد ذلك : « نريد أن نعمل مرآة تنعكس منها أربعة وعشرون شعاعاً إلى علامة واحدة » ص ٢٦

إلى أن يقول : « وقد يمكننا أن نعمل مرآة تنعكس منها كم شعاع شئنا من العمود الخارج من مركزها اتقن مما عمل انثائيوس » ص ٣٠

وبعد ذلك يأتي بياض في الرسالة ، لا ندري ما قدر الناقص في الرسالة . ويقول الكندي في ختام المخطوطة : « وبهذا التدبير تحد السطوح الباقية التي ينعكس منها الشعاع الذي في جهة ص ب » ص ٣٦

وبعد هذا العرض الموجز أرى أن أشير إلى أن ابن النديم قد ذكر ضمن مؤلفات الكندي ، رسالته في عمل المرايا المحرقة (ص ٣٦٥ ، طبعة مصر) ونحن لا ندري عن هذه الرسالة وعن موضوعها شيئاً ، ولكن العنوان يدل على أن الكندي قد تناول فيها موضوع إحراق الأشياء بمساعدة المرايا . وفي ختام هذا الحديث أود أن أوضح نقطة تهمني بهذا الصدد ،

وهي أني حاولت التنويه بهذه المخطوطة بها في موضوع الشعاعات وانعكاساتها ، وأنا لست من رجال هذا الفن ، فلا يمكن لي أن أسلط ضوءاً كاملاً على موضوع الرسالة وأنتقد نظريات الكندي وآراءه فيه ، فإن لذلك علماء مختصين ، وكل ماقصدت هو أن أقدم هذا الأثر إلى العلماء وأمكّنهم من الاطلاع على الرسالة حتى يستطيعوا معرفة منزلة الكندي في علم الشعاعات ومدى إسهامه فيه ، ثم يقوموا بالتعريف بالكندي ورسالته هذه التي نجحت في الحصول على صورتها والكلام عن محتوياتها في هذه المقالة .

الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد
رئيس قسم العربي وعميد كلية الآداب بجامعة
علي كره (الهند)

كتاب الفرق

لثابت بن أبي ثابت

ونسخته الثانية

الأستاذ محمود محمد الطناحي

الفرق بين أسماء جوارح الإنسان وبين أسماء جوارح ذوات الأربع من السباع والبهائم والطير وغير ذلك ، من الموضوعات التي انتدب لها اللغويون الأوائل ، وأكثروا من التصنيف فيها ، كالأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي حاتم السجستانيّ ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى وابن السِّكِّيت وأبي إسحاق الزّجاج ، ومن جاء بعدهم ونسج على نَوْلهم .

وقد صارت هذه المصنَّفات مع غيرها من الكتب المؤلفة في شتى الموضوعات الروافدَ التي أمدّت المعجمات الكبرى بذلك الفيض الزاخر من المفردات والتراكيب والشواهد .

ولم تغن هذه المعجمات الكبرى مع طولها وتشعب القول فيها عن تلكم التآليف الصغيرة التي سبق بها الأوائل . ومهما يُقلْ من أن « لسان العرب » قد جمع الكتب الخمسة ، وأن « تاج العروس » قد استاق كتب الصاغانيّ وغيرَها مما لم يرد عند ابن منظور ، فستظل الحاجة ماسّةً إلى

تطلّب هذه التصانيف الصغيرة والكشف عنها وإذاعتها ، لما تفيده في توثيق النقول وتحرير الروايات وجمع الشعر ، بل إنك واجدٌ في بعض هذه التصانيف من اشتقاق المادة اللغوية مالا تجده في أمهات المعاجم ، ومن شعر الشعراء مالا تراه في دواوينهم ذات الأصول المخطوطة أو المجموعة . وهذا « كتاب الفَرْق » فيه من هذا وذاك ما تراه حين تأتي قراءتك عليه .

* * *

وثابت بن أبي ثابت واحد من ذلك النفر الكريم الذين صنفوا في الفَرْق . ولم تُعرف له ترجمة كاشفة تعين على معرفة نشأته وتصرّف أحواله وتقلّبه في العالَمين ، وكل ما قاله مترجموه أنه من كبار الكوفيين ، وقد لقي فصحاء الأعراب وأخذ عنهم ، ثم أجمعوا على أنه صحب أبا عبيد القاسم ابن سلاّم المتوفى سنة (٢٢٤) ، وعرف بصاحب أبي عبيد ، وورّاق أبي عبيد . وحسْبه بهذا الاعتزاء والانتساب تعريفاً وتوثيقاً وقبولاً . وكم من العلماء عُرف بنسبته إلى شيخ لازمه وتلقّى عنه ، كأبي عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد ، غلام ثعلب ، وأبي نصر أحمد بن حاتم ، غلام الأصمعيّ ، وأبي عبد الله الفِهريّ ، غلام أبي علي القالي ، وأبي الفوارس المروزيّ داود بن محمد بن صالح ، صاحب ابن السكيت .

ويقول الوزير جمال الدين القِفطي ، عن ثابت : « من أصحاب أبي عبيد القاسم بن سلاّم ، وثابت أثبت أصحابه فيما أخذه عنه ، وله كتاب في خلق الإنسان ، أجاد فيه حقّ الإجادة ، وأحسن فيه ما شاء ، وأربى على من تقدّمه ، وأحسنُ حالات المتأخرين الأخذُ عنه » (١) .

---

(١) إنباه الرواة ١/٢٦١

ولثابت من التصانيف : خلق الإنسان . الفرق . الزجر والدعاء ، خلق الفرس . الوحوش . مختصر العربية . العروض .

وقد سلم من هذه الكتب من عوادي الناس والأيام كتابان : خلق الإنسان والفرق . ثم تقاسم عالمان جليلان من المشرق والمغرب فضلَ إذاعة هذين الأثرين الباقيين لثابت .

أما « خلق الإنسان » فقد نشره الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ، في سلسلة التراث العربي التي تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت ، عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م . و « كتاب الفرق » نشره الأستاذ محمد الفاسي بالرباط عاصمة المغرب الأقصى ، عام ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م ، من مطبوعات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط .

ومن الاتفاقات أن كلا الكتابين نشر عن نسخة وحيدة . فالأول نشر عن نسخة محفوظة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية ، والثاني عن نسخة خزانة القرويين بفاس .

ثم كان من صنع الله لي وتوفيقه إياي أني زرت المغرب الأقصى ، في العام الفائت ، مشاركاً في بعثة معهد المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم[1] . وفي أثناء عملي بخزانة القرويين العامرة بمدينة فاس - حرسها الله - وقفت على نسختين أخريين من كتاب « خلق الإنسان » . النسخة الأولى كاملة ، وهي بخط أندلسي صحيح مضبوط ، كتبت سنة (٦٠٠) وتقع

(١) كتبت كلمة عن أنفس ما عرفته من مخطوطات المغرب ، وعن جهود المغاربة قديماً وحديثاً في حفظ التراث وصيانته ، في مجلة الثقافة المصرية - عددي ديسمبر ١٩٧٥ ، ويناير ١٩٧٦

في ٧٦ ورقة ، ومسطرتها ٢٢ سطراً ، ومقاسها ١٩ × ٢٢ سم ، وتحمل في الخزانة الرقم ٥٣٩/٤٠

والنسخة الثانية مبتورة البداية والنهاية ، والناقص منها في الموضعين نحو ورقتين . وأول الموجود منها : « أي لم تحمل ولداً ، ويقال : وُضِعَتْ فلانةُ عندَ فلانة تُقرِّئها تقريئاً : أي تكون عندها حتى تنقضي عِدَّتُها ». وآخر الموجود منها : « وقال الراجز :

خَزْعِلَةَ الضَّبْعانِ راحَ الْهَنْبَلَهْ

فإذا مرَّ يضطرب في خلقه كلِّه مسترخياً في مشيه قيل : مَرَّ ».

وهذه النسخة بقلم أندلسي قديم متقن ، من خطوط القرن السادس ظنّاً ، وهي مقابلة ، وسقط من وسطها شيء قليل . وتقع في ٧٧ ورقة ، ومسطرتها ٢٠ سطراً ، ومقاسها ١٦٫٥ × ٢٥ سم . وتحمل في خزانة القرويين رقم ٨٣٤/٤٠

هذا ما كان من أمر كتاب « خلق الإنسان » . أما « كتاب الفرق » فقد أظهرني اللهُ على نسخة ثانية منه ، وقد خفي مكانُ هذه النسخة على الأستاذ محمد الفاسي ناشر الكتاب ، بل إن النسخة خفيت أيضاً على العلاّمة الجليل المرجوّ له الرحمة الأستاذ محمد العابد الفاسي (١) . ولهما العذر كل

(١) كان رحمه الله ورضي عنه آية في معرفة المخطوطات والبصر بما تضمه خزانة القرويين من الغرائب والنوادر ، وكم رأيت له من تعليقات على أغلفة بعض المخطوطات أبانت عن علم جم ، وقد آل أمر الخزانة من بعده إلى أخ كريم هو الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة ، وهو من عرفت خلقاً وعلماً وبصراً ، ولعله مكمل إن شاء الله ما صنعه الفقيد الجليل من بطاقات لمحتويات الخزانة ، بالمأثور من علمه والمأمول من فضله .

العذر ، فقد جاءت أوراق هذه النسخة مبثوثة ومفرقة في ثنايا النسخة الثانية من كتاب « خلق الإنسان » ذات الرقم ٨٣٤/٤٠

وقصة اكتشاف هذه النسخة تتلخص في أني قد جريت فيما أعالج من فهرسة المخطوطات على أن أتصفح المخطوط ورقة ورقة ، لإثبات ما قد يكون على حواشيه من قراءات أو تصحيحات أو مقابلات . وأثناء تصفحي لنسخة « خلق الإنسان » الثانية وجدت أوراقاً دخيلة على مادة الكتاب ، وإن كانت بالقلم نفسه ، وقطع الورق عينه ، وأخذت هذه الأوراق تكثر وتكثر ، ولما كنت حديث عهد بقراءة مطبوعة « كتاب الفرق » فقد ذهب ظني إلى أن هذه الأوراق ربما كانت من « كتاب الفرق » . وفي اليوم التالي صحبت معي النسخة المطبوعة من الكتاب ، ثم عكفت على تلك الأوراق أقابل بينها وبين المطبوعة . وما هي إلا ساعة من زمان حتى استقر عندي أن هذا هو « كتاب الفرق » اختلطت أوراقه بأوراق « خلق الإنسان » . وقد أمكنني عونُ الله وتوفيقُه أن أميز هذا من ذاك ، وسلمت لي نسخةٌ ثانية من « كتاب الفرق » دفعتها جذلانَ فرحاً إلى مصور البعثة الأخ الأستاذ محمود سامي الشاهد ، حفظه الله وجزاه خير الجزاء عما يبذله هو وزملاؤه مصورو المخطوطات من عناية وإتقان . وهؤلاء مصورو المخطوطات يقاسموننا شرف الحفاظ على التراث وصيانته .

ونسخة « الفرق » هذه مكتوبة بالقلم الاندلسي المتقن الذي كتبت به نسخة « خلق الإنسان » الثانية ، والذي قدرت أنه من مخطوط القرن السادس . وتقع في ٢٨ ورقة ، وقد ذهب من أولها وآخرها نحو ورقة . ويبدأ الموجود منها بقول رؤبة :

كالحوت لا يرويه شيءٌ يلهمُهْ يصبحُ ظمآنَ وفي البحرِ فَمُهْ

وآخرها من باب أوصاف المشي » فقال له : وكيف علمت ذلك ؟ قال : إنها مشت فكتفت وخبت » .

وجاء في أعلى الورقة التاسعة بقلم دقيق : « ثانية من كتاب الفرق لثابت » . وفي أعلى الورقة التاسعة عشرة : « ثالثة من الفرق » .

وحين عدت إلى القاهرة فرغت للنسخة أقابل بينها وبين المطبوعة ، وقد كشفت هذه المقابلة عن أسقاط كثيرة في المطبوعة ، إلى زيادة في الشروح والشواهد ، وتصويبات للأسماء ، ونسبة لشواهد الشعر . وقد صححت هذه النسخة أشياء نسبها المحقق إلى الخطأ ، وأبانت عن أشياء خفي صوابُ قراءتها عليه . وضبط النسخة في جملته صحيح ، وقد وضعت حروف صغيرة علامات للإهمال تحت الحروف المراد التأكيد على إهمال نقطها ، كما هو الشأن في الكتب الجيدة النَّسْخ .

ومن أكبر هذه الأسقاط التي أثبتتها النسخة ما جاء في « باب نعوت الناس في السرعة والعَدْو واختلافه) فقد سقط من المطبوعة من هذا الباب قدرٌ كبير ، بلغ ثلاثين سطراً ، سأذكره في موضعه إن شاء الله .

وقد رأيت من الخير أن أذكر فروق ما بين المطبوعة وبين هذه النسخة المكتشفة . وسبيلي أن أورد أولاً قراءة المطبوعة ، مشيراً إلى الصفحة والسطر ، ثم أتبع ذلك بقراءة النسخة ، مشيراً إليها بالحرف (ب) وإذا كان لي من تعليق صدرته بعبارة (قلت) ، على أني لم استقص كل ما وجدت من أسقاط وأخطاء ، فإن ذلك محوجٌ إلى صفحات كثيرة ، وما أريد أن أعرض لعمل المحقق الجليل بنقد أو تعقّب ، فما إلى هذا قصدت ، والرجل من جيل أساتذتي ، ولست ممّن يذهبون عن أنفسهم لفضل ساقته المقادير إليهم ، وحسب الرجل أنه نشر أثراً عزيزاً نادراً ، وحسبي أن أؤدّيَ زكاة العلم .

وهذا أوان الشروع في المقصود :

١ - ص ٤ س ٢ : قال الأصمعي : هي من الإنسان الشفة

ب : قال الأصمعي : ومن الإنسان الشفة

٢ - ص ٤ س ١١ : وذلك أنها تقتم بها وترتم بها : أي تطلب ما تأكل . وحكى لي أبو نصر

ب : وذلك لأنها تقتم بها وترتم : أي تطلب ما تأكل .

قال : وحكى لي أبو نصر

٣ - ص ٥ س ٦ : والمخصف : الإشفى التي يُخصَف بها النعل .... ويقال له من الطير : منقار

ب : والمخصف : الإشفى التي تخصف بها النعال .... ويقال لها من الطير : منقار .

٤ - ص ٦ س ٤ : وقال عدي بن زيد :

شَوْذنيقٍ خاضبٍ أظفارَه   أحْجَنِ العرنين لم يخطىء نظارُ

ب : لم يخطىء نظاري

قلت : لم يرد هذا البيت في ديوان عديٍّ بن زيد العبادي ، الذي نشره الأستاذ محمد جبار المعيبد ، ببغداد سنة ١٣٨٥ - ١٩٦٥ ، والبيت من وزن وقافية القصيدة التي يقول فيها عديٌّ :

أبلغ النعمانَ عني مألُكاً   أنه قد طال حبسي وانتظاري

لو بغير الماءِ حلقي شَرِقٌ   كنت كالغَصّان بالماء اعتصاري

وفي القصيدة بيت ألصقُ بهذا الذي أنشده ثابت ، وهو قوله :

لِثق الرِّيشِ تدلَّى غُدوةً   من أعالي صعبة المرقى طهارِ

راجع صفحة ٩٥ من الديوان .

هذا وقد أورد أبو منصور الأزهري في ترجمة (نظر) من التهذيب

٣٧١/١٤ ، وما يشهد لرواية النسخة ويقوّيها . قال : « وقول عديّ : لم تخطىء نظارتي : أي فراستي » وحكاه صاحب اللسان .

٥ — ص ٦ س ٧ : ويقال : نَقَره نَقْرةً

ب : ويقال : نقره ينقره نقرةً

٦ — ص ٦ س ٩ : إذا ضربه بظُفره ومِنقاره

ب : إذا ضربه بظفره ومنقاره ومِنْسَره

٧ — ص ٨ س ٤ : قال الحطيئة :

وقلَّص عن بَرْدِ الشراب مشافِرَه

ب : مشافِرُه

قلت : ضم الراء في النسخة « ب » صحيح ، فإن البيت من قصيدة مرفوعة القافية ، في ديوان الحطيئة صفحة ١٨٤ ، تحقيق الأستاذ نعمان أمين طه .

٨ — ص ٨ س ٦ : والعيمة في اللبن مثل القَرَم إلى اللحم

ب : مثل القرم في اللحم

٩ — ص ١٠ س ١٣ : يقال : أنفُ الرجل وآنُفٌ لأدنى العدد

ب : يقال : أنف الرجل وآنُفٌ أدنى العدد

١٠ — ص ١٣ س ٧ : ويقال له من ذي البراثن : هرثمة الكلب

ب : ويقال له من ذي البراثن : الهرثمة ، ومنه يقال : هرثمة الكلب

١١ — ص ١٣ س ١٢ : قال الأصمعي : ظفر الإنسان

ب : قال الأصمعي : يقال منه : ظفر الإنسان

١٢ — ص ١٤ س ١٠ : من قول زهير :

لدى أسدٍ شاكي السلاح مقاذف له لبـدٌ أظفاره لم تـُقلَّمِ

ب : مُقذَّفٍ

قلت : هذا الذي في « ب » جاء في حاشيتها وفوقه « صح » وهما روايتان راجع شرح القصائد السبع ، لأبي بكر بن الأنباري ص ٢٧٧، وديوان زهير ص ٢٣

١٣ ـ ص ١٥ س ١ : ويقال له من ذي الحافر ومن ذي الخُفّ : المَنْسِم ، وهو طرف الخف . قال علقمة

ب : ويقال له من ذي الحافر : الحافر ، ومن ذي الخُفّ : المنسم ، وهو طرف الخف ، وكذلك هو من النعامة . قال علقمة

١٤ ـ ص ١٦ س ١ : قول الطرماح :

تزلّ عن الأرض أزلامُه كما زلّت القدمُ الأزجَه

ب : تزلّ على الأرض أزلامُه كما زلّت القدمُ الآزحَه

قلت : رواية « على الأرض » جاءت في أصل ديوان الطرماح المخطوط ، واللسان (زلم) كما أشار الدكتور عزة حسن ، محقق ديوان الطرماح ص ٧٩ . و « الآزحه » بالحاء المهملة هي التي في الديوان .

١٥ ـ ص ١٦ س ٣ : شبهها بأزلام الأقداح

ب : القِداح

١٦ - ص ١٨ س ١ : والمِخْلب : ظفر البرثن

ب : والمخلب : طَرف البرثن

١٧ ـ ص ١٨ س ٣ : من قول النابغة الذبياني :

فقلت يا قوم إن الليث منقبض على براثنه للوثبة الضاربة

ب: وقلت يا قوم إن الليث منقبض على براثنه لِعَدْوة الضاري

قلت : وكذا جاءت الرواية الصحيحة للبيت في ديوان النابغة صفحة ٨١ تحقيق الدكتور شكري فيصل .

١٨ – ص ٢٠ س ٤ : يقال له من الإنسان : الصدر والبَرْك

ب : يقال له من الإنسان : الصدر والبِرْكة والبرك .

١٩ – ص ٢١ س ٣ : كأن ذراعيه بلدة نحره

ب : وبلدة

قلت : وبهذه الواو استقام المصراع على البحر الطويل

٢٠ – ص ٢١ س ٦ : قال ذو الرمة :

أنيخت فألقت كلكلا فوق بلدةٍ قليل بها الأصوات إلاّ بغامُها

ب: أنيخت فألقت بلدة بعدَ بَلْدةٍ

قلت : والرواية في ديوان ذي الرمة ص ١٠٠٤ ، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح :

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة

٢١ – ص ٢١ س ٩ : وقال المتلمس :

جاوزته بأمُورٍ ذات معجمة تنجو بكلكلها والرأس معكوسُ

ب: جاوزته بأمونٍ ذات معجمة

قلت : وكذلك جاءت الرواية على الصواب في ديوان المتلمس ص ١٠٢ ، تحقيق الأستاذ حسن كامل الصيرفي . وناقةٌ أمُون : موثّقة الخَلْق يؤمن عثارُها .

٢٢ – ص ٢١ س ١١ : في شرح قول المتلمس السابق : « والرأس معكوس: أي محذوف » .

ب : أي مجذوب

قلت : وهو الصواب . والمعكوس : الذي قد جذبه الراكب إليه. والعكس : أن يعكس رأس البعير إلى يده بخطام ، يضيق بذلك عليه.

٢٣ — ص ٢١ س ١٢ : السمدانة والرَّحا

ب : السعدانة والرَّحى

قلت : و « الرحى » يكتب بالياء ، على ما في المقصور والممدود ، لابن ولاّد صفحة ٤٦

٢٤ — ص ٢٢ س ٨ : وقال رؤبة لابنه عبدٍ يعاتبه :

وكنت واللهِ الأعزّ الأمجدِ ... أدْنيك مِن قصّي ولمّا تقعُدِ

ب : لابنه عبد الله

قلت : وكذا جاء الاسم في ديوان رؤبة صفحة ٤٩ (مجموع أشعار العرب) . وهو المعروف . راجع الشعر والشعراء ، لابن قتيبة صفحة ٥٩٤

٢٥ — ص ٢٥ س ٢ : يقال : أطباء الكلبة

ب : ويقال : أطباء الفرس وأطباء الكلبة

٢٦ ص ٢٦ س ١٧ : وأنشد :

لئيم الوالدين بعوف سوءٍ ... من الحيّ المقيم على قنانِ

ب : وأنشد الأخطل : لئيم الوالدين ... البيت

قلت : والبيت في ديوان الأخطل ص ١٩٣ ، من قصيدة يهجو بها النابغة الجعدي . وروايته :

أزبّ الحاجبين بعَوف سوءٍ ... من الحيّ الذين على قنانِ

٢٧ — ص ٢٧ س ١٤ ، في شرح الخنذيذ : ويقال : الخطّيّ

ب : الخصيّ

٢٨ — ص ٢٧ س ١٦ : وقال خفاف بن عبد قيس البرجمي :

جمعوا من نوافل الناس سَيْباً وخناذيذ خصية وفحولا

ب : سَيْباً

قلت : وهو هكذا بتقديم الياء التحتية على الباء الموحدة في اللسان (خنذ) . والبيت ملفّق من بيتين للنابغة الذبياني ، هما :

جمعوا من نوافل الناس سَيْباً وحميراً موسومةً وخيولاً
وبراذينَ كابياتٍ وأتناً وخناذيذ خصية وفحولا

ديوانه ص ١٤٢ ، بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

وقد ينازعه خفاف في شيء من البيتين . انظر كلاماً لابن بري في اللسان ، وحواشي الأضداد لأبي الطيب ١/٢٣٣ ، بتحقيق الدكتور عزة حسن .

٢٩ ـ ص ٢٩ س ١ : قال الأثرم : قال أبو عبيدة : للضبّ نَيزكان ، وللأنثى فرجان .

تفرّقتُمُ لا زلتمُ قرنَ واحدٍ تفرّقَ أيرِ الضّبّ والأصل واحدُ

ب : وقال الأثرم : قال أبو عبيدة : للضبّ نِزْكان وللأنثى فرجان . قال : وأنشد : تفرقتم .... البيت

قلت : قوله : « فرجان » مكانه في اللسان (نزك) : قرنتان . ورواية « أير الضب » في المطبوعة ، والنسخة (ب) لا شاهد فيها ، وصواب الاستشهاد : « نزك الضّبّ » كما في اللسان . وينظر تهذيب الأزهري ١٠ / ١٠٢

٣٠ – ص ٢٩ س ٩ : المتك : طرف الذباب من كل شيء

ب : طرف الزّبّ ...

٣١ - ص ٣١ س ١٠ : * ملصقة السَّرْج بخاقباقِها *

يعني فرَجها . ويقال في مثل ذلك من ذوات الحافر : ظبية الفرس

ب : يعني فرجها . والشيباء : التي لاتمتنع ليلة زفافها .

يقال : باتت بليلة شيباء ، وإذا منعت نفسها يقال :

باتت بليلة حُرّة . وقال النابغة :

شُمْسٌ موانعُ كلَّ ليلة حُرَّةٍ يُخْلِفْنَ ظَنَّ الفاحشِ المِغيارِ

ويقال في مثل ذلك من ذوات الحافر : ظبية الفرس

قلت : « الشيباء » التي ورد شرحها في أثناء هذا السقط سبقت في بيت لعروة بن الورد . وبيت النابغة الذبياني في ديوانه صفحة ١٠٣ ، وأنشده ثابت في خلق الانسان صفحة ٣٤

٣٢ - ص ٣٢ س ٨ : كما قيل للحبشي مشافر ، وإنما هي للبعير

ب : كما قيل لشفاه الحبشي : مشافر ، وإنما هي للبعير

٣٣ - ص ٣٢ س ١٠ :

على البكرِ أمْرِيه بساقٍ وحافرِ

ب : على البكرِ يَمْرِيه

قلت : وكذلك جاء في اللسان (حفر) ، أورده شاهداً على استعمال الحافر بمعنى القدم . والبيت بتمامه :

فما رقد الولدانُ حتى رأيتُه على البَكْرِ يمريه بساقٍ وحافرِ

ونسبه مع بيت قبله لجبيهاء الأسدي . ويقال : جبهاء . وانظر ترجمته في المؤتلف والمختلف للآمدي صفحة ١٠٤ ، تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج.

٣٤ - ص ٣٢ س ١٣ ، في قول النابغة الجعدي :

بريذنة بلّ البراذين ثغرهـا وقد شربت من آخر الليل أيّلا

ب: بُرَيْذِيَّة بلّ البراذين ثغرها وقد شربت من آخر الصيف أيَّلا

قلت : والرواية في ديوان النابغة صفحة ١٢٤ ، نشر المكتب الإسلامي بدمشق :

بريذينة بلّ البراذين ثغرها وقد شربت في أوّل الصيف أيّلا

٣٥ ص ٣٣ س ٤ ، في قول الشاعر :

وما عمرو إلاّ نعجةٌ ساجسيّةٌ تَخزّلُ تحت الكبش والثغْرُ وارِمُ

ساجسيّة : منسوبة . وهي غَنَمٌ شآميّة .

ب : ساجسيَّة منسوبة إلى ساجس : من أرض الشام ، وهي غنم شآمية .

قلت : لم أجد « ساجس » هذه في معجم ياقوت ومعجم البكري . وقد أورد صاحب اللسان البيت الشاهد في ترجمة (ثغر) وقال عقبه : « ساجسية منسوبة ، وهي غنم شآمية » كما في مطبوعة « الفرق » . وعبارة التاج : « ساجسية غنم منسوبة ، وهي غنم شآمية » . وفي ترجمة (سجس) من اللسان ، قال : « وكبشٌ ساجسي : إذا كان أبيض الصوف فحيلاً كريماً . والساجسية : غنم بالجزيرة لربيعة الفرس » .

٣٦ ــ ص ٣٤ س ٣ : وقال الراجز :

ادعُ فُعيلَ باسمها لا تَنسَه إن فُعيلاً هي صئبان السّه

ب : ادعُ فُعَيْلاً

قلت : وكذلك جاء في خلق الإنسان لثابت ، صفحة ٣٠٩

٣٧ ــ ص ٣٦ س ١٠ : يقال : أسوأ الرجل وخرىء . هذا إذا أحدث .

ب : وخرىء يا هذا : إذا أحدث

٣٨ ــ ص ٣٦ س ١٥ : وجاء في الحديث « لا الطّوفَ تدافعوا في الصلاة »

وكذلك ورد في فهرس الأحاديث صفحة ١٨٧

ب : لا تدفعوا الطوف في الصلاة

٣٩ - ص ٣٧ س ١ : وجاء في الحديث : « لا يتحدث اثنان على طوفهم».
وكذلك ورد في فهرس الأحاديث ، صفحة ١٨٧

ب : لا يتحدثنَّ اثنان على طوفهما

٤٠ - ص ٣٧ س ٤ :

عشّيتُ جابان حتى اشتدّ معرضه ... وكاد يَهلِك لولا أنــه اطافا

ب: عشيتُ جابان حتى استدّ مَغْرِضُه ... وكاد يهلك لولا أنه الطــافُ

قلت : المغرض ، بالغين والضـاد المعجمتين : جانب البطن أسفل الأضلاع . وكذلك جاء البيت في اللسان ، ترجمة (غرض - طوف) .
وقوله : « الطاف » برفع الفاء - على ما فيه - هو الذي يتفق مع قافية البيت الثاني :

قولا لجابان فليلحق بطيّتــه ... نومُ الضحى بعد نوم الليل إسرافُ

لكن الذي في اللسان في الموضعين : « اطافا » موافقاً لما في مطبوعة الفرق . ولم ينشد البيت الثاني .

٤١ - ص ٣٧ س ٩ : وإنما سمّي رجيعاً لأنه رجع على حاله الأولى

ب : رجع عن حاله الأولى

قلت : وكذلك جاءت « عن » في النهاية لابن الأثير ٢ / ٢٠٣ ، بتحقيقي .

٤٢ - ص ٣٨ س ١ : وما نجا المرض شيئاً

ب : وما نجا المريض شيئاً

٤٣ - ص ٣٨ س ١١ : وقال الأعشى :

يا زخمـا فاظ على مطلوب ... يُعجل كفّ الخرىء المطيب

ب : كفّ الخارىء

قلت : وكذلك جاء في ديوان الأعشى ، صفحة ٢٦٥ ، تحقيق الدكتور محمد حسين ، وقد أشار إليه المحقق الفاضل .

٤٤ - ص ٣٨ س ١٧ : أخذته خِلَّة وَهيْضة

ب : أخذته خِلْفة وهيضة

٤٥ ص ٣٩ س ١٤ : وأنشد :

مُثَلٌ على آريِّه مِنْثَلُ

ب : مِثَلٌ على آريِّه الرَّوثُ مِنْثَلُ

قلت : وكذلك جاء صواب الإنشاد في اللسان (ثلل ونثل) ، وأورد صدره في (نثل) :

ثقيلٌ على مَن ساسَهُ غير أنّه

٤٦ – ص ٣٩ س ١٨ : ويقال : ثلط البعير يثلط ثَلَطاً : إذا ألقاه سهلًا رقيقاً . قال ابن الأعرابيّ . ويقال : هَرّ بسَلْحِه

ب : إذا ألقاه سهلًا رقيقاً . وقال :

يا ثَلْطَ حامضةٍ تروّحَ أهلُها عن ماسطٍ وتَنَدّت القُلّاما

التّندية : الرّعيُ بعد السّقْي . حامضة : تأكل الحَمْض . قال : وقال ابن الأعرابي : ويقال : هرّ بسَلْحه .

قلت : البيت لجرير ، كما في اللسان (ثلط) ، وهو في ذيل ديوانه ص ٩٧٧ ، تحقيق الدكتور نعمان طه .

٤٧ - ص ٤٠ س ١٧ : وجاء في الحديث : « كنا عند ابن مسعود فمرّتْ علينا فستَفْستق داءُ بطنه ، فسألنا ابن مسعود عن غسله فرخّص في ذلك .

ب : « فمرّ علينا طائر فستفْسق داء بطنه .... » .

قلت : علّق المحقق الفاضل على قوله : « فمرّت علينا » قال : « سقط في الأصل هنا لفظ كطيور أو نحوها » . وصوابه في النسخة (ب) كما ترى . والحديث في النهاية ٣٧٨/٢ ، بتحقيقي : « أن ابن مسعود كان جالساً إذ سَفْسَق على رأسه عصفور فنكته بيده » . وحكاه ابن منظور في اللسان (سفسف) .

٤٨ - ص ٤٢ س ٥ : وقال اليزيديّ : أرجع الرجلُ : من الرَّجيع والمِيرَفق . قال : فلمّا قدمنا الشام وجدنا مرافقهم وقد استقبل بها القبلة فكنا نتحرّف ونستغفر الله .

ب : وقال اليزيدي : أرجع الرجل : من الرجيع ، وقال في المرفق : فلما قدمنا الشام وجدنا مرافقهم قد استقبل بها القبلة ..

قلت : وقع خلطٌ في هذا السياق بين كلام اليزيدي وبين حديث أبي أيوب الأنصاري القائل : فلما قدمنا الشام . انظره في غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام ١٤٣/٣ ، والنهاية ٢٤٧/٢

٤٩ - ص ٤٢ س ٨ : وقال أبو عمرو الأمويّ : الدّبوقاء : العذرة

ب : وقال أبو عمرو والأمويّ : الدبوقاء : العذرة

قلت : الأمويّ هو : أبو محمد عبد الله بن سعيد .

أما أبو عمرو فهو الشيباني ، إسحاق بن مِرار ، وقد يكون أبا عمرو ابن العلاء ، لكن الشيباني هو الأكثر وروداً في النقول اللغوية .

٥٠ - ص ٤٢ س ١٨ : ومنه قول طلحة بن عبد الله : دخلت الحَشّ فوضعوا اللُّجّ على قَفَيّ .

ب : ومنه قول طلحة بن عبيد الله : إني أُدخِلْتُ الحَشّ فوضعوا اللُّجّ على قَفَيّ .

قلت : راجع قول طلحة في غريب الحديث ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ٤/١٠ ، والفائق ٣/٤٣١

٥١ – ص ٤٧ س ١ : الرعام من النعجة ثم يستعار للإنسان والرؤال للخيل

ب : الرعام من النعجة ثم يستعار للإنسان . والذّنين والذّنان للإنسان ، والرؤال للخيل .

٥٢ – ص ٤٨ س ٥ : وكل قاطر فهو رَذَمٌ

ب : وكل قاطر من الأنف فهو رذم

٥٣ – ص ٥٢ س ٤ : وجاء في الحديث : « أيّما امرأةٍ ماتت بجُمْعٍ لم تُطمث دخلت الجنة » ومنه حديث العجّاج حين استعدت عليه الدّهناءُ إبراهيمَ بن عديّ والي اليمامة فقالت : « إني منه بجُمع » .

ب : وجاء في الحديث : « أيما امرأةٍ ماتت بجُمْع لم تُطمث دخلت الجنة» يعني لم تُمْسَسْ . والجُمْع : الذي ولدُها في بطنها إذا ماتت . في غير هذا . ومن الأول حديث العجاج حين استعدت عليه الدهناء.

قلت : راجعت ما أعرف من كتب غريب الحديث ، فلم أجد أحداً صرّح باسم امرأة العجاج ، ولا اسم الوالي الذي استعدته ، مع ذكرهم لحديثها .وهذا من فوائد « كتاب الفرق » التي أشرت إليها في صدر مقالتي .

٥٤ – ص ٥٣ س ١ : وقال ابن الحرادية يصف ناقتين

ب : وقال ابن الحدادية الخزاعي يصف ناقتين

قلت : هذا هو الصواب ، بالدال المهملة ، وهو : قيس بن منقذ ابن عمرو ، من خزاعـة . و « الحدادية » أمّه . انظر معجم الشعراء

المرزباني ، صفحة ٢٠٢ ، تحقيق الأستاذ عبد الستار فراج ، ومَن نسب إلى أمّه من الشعراء ، وألقاب الشعراء ، كلاهما لابن حبيب . (نوادر المخطوطات) ١/٨٦ ، ٧/٣٢٣ ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

٥٥ — ص ٥٣ س ٦ : يقال : بعيرٌ لم يطمثه حبل : أي لم يَمْسَسْه

ب : يقال : بعير لم يطمثه حبل : أي لم يُذْلِلْه ولم يمسه

٥٦ — ص ٥٤ س ١ : دَسَم الجَرْحَ : إذا أدخل فيه الـيلة

ب : دسم الجرح : إذا أدخل فيه الفتيلة

قلت : علق المحقق الفاضل على كلمة « اليلة » بأن الحرف الوسط من الكلمة ممحو في الأصل من أثر الرطوبة .

٥٧ — ص ٥٤ س ٣ : ورطأها يرطؤها رطأً وَقنَها

ب . ورطأها يرطؤها رطأً وَمخَنَها

قلت : علق المحقق الفاضل على كلمة : « وقنها » تعليقاً شبيهاً بتعليقه السابق . وانظر اللسان (مخن) .

٥٨ — ص ٦٠ س ٣ : وقال حسان بن ثابت :

فلستَ بخيرٍ من أبيـك وخـالدٍ ولستَ بخير من معاظلة الكلب

ب : من أبيك وخالك

قلت : والرواية في ديوان حسان ، رضي الله عنه ، ١/٤٠٠ ، بتحقيق الدكتور وليد عرفات : « من أبيك وخاله » . وأفـاد أنه في البارع والعمدة : « من أبيك وخالكا » على الإكفاء ، وقد رأيتـه في العمدة ١/١٧٦ ، بتحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

٥٩ — ص ٦٨ س ٩ : والخليّة التي تُعطَف على ولدٍ واحـد من غير أن يكون لها ولد فهي يِسْط .

ب : والخليّة التي تعطف على ولدٍ واحد من غير أن يكون لها ولد ، فإن عُطِفت على ولد غيرها ولها ولدٌ فهي بِسْط .

٦٠ – ص ٧٠ س ١٩ : ويقال له من ذوات الأخفاف : السابياء ، والجمع سوابٍ . والغِرْس والجمع أغراس .

ب : والجمع سوابٍ ، وقال ذو الرُّمَّة :

يَحُلُّون من يَبْرِين أو من سُوَيقةٍ مَشَقَّ السَّوابِي عن أنوفِ الجآذرِ

وقال الطرماح في الحولاء :

بأغنَّ كالحُوَلاء زان جَنابَهُ نَوْرُ الدَّكادِكِ سُوقُه تتخضَّدُ

والغِرْس والجمع أغراس .

قلت : جاء بيت ذي الرمة في المطبوعة بعد ثلاثة أسطر ، وهذا موضعه كما ترى . وهو في ديوانه صفحة ١٦٩٧ . وبيت الطرماح في ديوانه ص ١٣٢ ، بتحقيق الدكتور عزة حسن .

٦١ – ص ٧٢ س ١ : فرسٌ مُفْلٍ ومُفْلية : أي ذات فَلُوٍ ، فإذا مشى مع أمه فهي مُشْبِلٌ .

ب : فرس مُفْلٍ ومُفْلية : أي ذات فَلُوٍ ، والأتان مِثْلُها . وفرسٌ مُمْهِرٌ : ذات مُهْر ، وناقةٌ مُسْقِبٌ : ذات سَقْب ، فإذا قوى ولدُها ومشى فهي مُرْشِحٌ ، فإذا مشى مع أمه فهي مُشْبِلٌ .

٦٢ ـ ص ٧٢ س ٤ : والمشدن الذي شدن ولدُها وتحرّك . ويقال : ناقة مجنى ومجنية .

ب : والمشـدن التي شدن ولدُها وتحرك . وقال رؤبة ابن العجاج :

يا دار عفراء ودار البَخْدَنِ   بها المَهى من مُطْفِلٍ ومُشْدِنِ

ويقال : ناقة محنىٍ ومحنية .

قلت : البيت في ديوان رؤبة صفحة ١٦١ (مجموع أشعار العرب) وروايته : « بكِ المها » .

٦٣ ـ ص ٧٤ س ٤ : وقال الشاعر يصف عقابا :

فما تَنْفَكُّ بين عُوَيْرِضاتٍ   تَجُرُّ برأسِ عِكْرِشةٍ زَمُوعِ

ب : وقال الشّمّاخ يصف عقابا .... البيت

قلت : والبيت في ديوان الشماخ ، صفحة ٢٣١ ، بتحقيق الأستاذ صلاح الدين الهادي ، وهو من القصيدة التي يقول فيها بيته السيّار :

لَمالُ المرءِ يُصْلِحُه فيُغني   مَفاقِرَه أعفُّ من القُنُوعِ

٦٤ ـ ص ٧٤ س ٧ : والزّفّافة : الفارة ، وهي عمياءُ تكون في الرمل ، والجمع زِفافٌ . وقال الشاعر :

فهُم ربابٌ جـــائرٌ   لا تسمع الآذان رعدا

ب : والزّبابة : الفأرةُ : وهي عمياء تكون في الرمل ، والجمع زِبابٌ . وقال الشاعر :

فهُمْ زَبابٌ حـائرٌ   لا تسـمع الآذانُ رعدا

قلت : هذا الذي في النسخة (ب) هو الصواب . والبيت الشاهد

في الحيوان للجاحظ ٤/٤١٠ ، ٥/٢٦٠ ، وقائله الحارث بن حلزة ، على ما في حواشي الحيوان .

وقد علق محقق « الفرق » على « الزفافة » فقال : « هذه اللفظة لم يوردها لا صاحب الصحاح ولا الفيروزابادي في قاموسه ، ولا شارحه ، ولا صاحب اللسان ، فكأن ابن أبي ثابت انفرد بها ، ثم إن البيت الذي أورده كشاهد لا علاقة له بالزفافة ، فلعل بتراً وقع في هذا المحل من مخطوطنا الفريد . والرباب في هذا البيت معناه السحاب المتراكم » .

٦٥ - ص ٧٨ س ٢ : قال الفراء : العفى مقصور

ب : قال الفراء : ويقال له : العفا مقصور

قلت : وكذلك جاء « العفا » بالألف عند الفراء ، في كتابه المنقوص والممدود ، صفحة ٢١ ، بتحقيق العلامة عبد العزيز الميمني .

٦٦ - ص ٨٣ س ٦ : فإذا كبر فهو عود ، والأنثى عودة ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو قَحْرٌ .

ب : فإذا كبر فهو عود ، والأنثى عودة . يقال : عوّد البعيرُ تعويدا : إذا صار عودا ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو قحر .

٦٧ - ص ٨٩ س ١١ : وقال بعض الأعراب : الخشف بعد الطّلى ، ثم هو شَصْـــر والأنثى شَصْرة ، والجمع خشفة ومُشيبٌ وشَبَبٌ .

ب : وقال ابن الأعرابي : الخشف بعد الطلى ، ثم هو شصر والأنثى شصرة ، والجمع خِشَفةٌ وشِصَرةٌ

وأشصـار ، ثم يُثْني فلا يزال ثنياً حتى يموت ، لا يزيد عليه ، ويقال لذكر المسنّ من الظبـاء : تَيْسٌ وشَبُوبٌ ومُشِبٌ وشَبَبٌ .

٦٨ - ص ٩٨ س ٣ : وأنشد :

لنعم ساقي الدّهدهان ذي العَدَدْ

والكور : الإبل الكثيرة

ب : وأنشد :

لنعم ساقي الدهدهان ذي العَدَدْ

وقال أبو عمرو الشيباني : الدّهدان لغة في الدّهْدهان ، والدّهدهان أفصحُ وأعربُ . والكور : الإبل الكثيرة .

٦٩ - ص ٩٨ س ٥ : والجمع أكوار . وقال أبو ذؤيب :

أولا مُشِبٌ من الثيران أفرده عن كوره كثرة الإغراء والطردُ

ب : والجمع أكوارٌ . وقال الراجز :

وبَركتْ كأنها الأمارُ في عَطَنٍ دَعْثَرهُ الأكوارُ

وقد يكون الكورُ القطيعَ من الإبل والبقر ، والجمع أكوار . وقال أبو ذؤيب :

ولا مُشِبٌ من الثيران أفرده عن كوره كثرة الإغراء والطّردُ

قلت : البيت في شرح أشعار الهذليين ، صفحة ٦٠ ، بتحقيق الأستاذ عبد الستار فراج ، برواية : « ولا شَبُوبٌ » .

٧٠ - ص١١٢س١٢ : وقال : أصله في الناس

ب : وقال الأصمعي : أصله في الناس

٧١ - ص١١٢س ١٤ : قال الأصمعي : يقال سعابيب وثغابيب

ب : قال الأصمعي : يقال : سال فَمُ الرجل سعابيب وثعابيب

٧٢ - ص١١٤س ١٠ : هذا هو موضع السقط الكبير الذى أشرت إليه في صدر كلمتي . ويبدأ السقط عقب (باب ما يقال في مثل الموت في الإنسان والحيوان) . وهذا نَصُّه :

باب نُعوت الناس في الشِّرعة والعَدْوِ واختلافِه

يقال : مشى الرجلُ يمشي مشْياً ، وعَدا يَعدُو عَدْواً . قال الأصمعيُّ : ومن المشي : الهَميمُ والدَّبيبُ . والهَدْجُ : المشْيُ الرُّوَيْدُ، وقد يكون من الشِّرعة ، وهو مُشْتَرَكٌ ، وقد يكون للنَّعام أيضاً .

والذَّألانُ : المشْيُ الخفيفُ ، ومنه سُمِّي الذئبُ ، ذُؤالة . يقال منه : ذألتُ أذْأل .

والدَّألانُ ، بالدال : مشيٌ الذي كأنه يَبْغي في مِشْيَته من النَّشاط . يقال : دألْتُ أدألُ دَألاناً ، فهذان مشتركان يكونان لذوات الحافر أيضاً .

والثَّألانُ : مِشْيةُ الذي كأنه ينهض برأسه إذا مشى يُحرِّكه إلى فوق مثل الذي يَعدُو وعليه حِمْلٌ ينهض به .

والتَّرَهْوُكُ : [مَشْيُ](١) الذي كأنه يموج في مِشْيَته ، وقد تَرَهْوَكَ .

والأوْنُ : الرُّوَيْدُ مِن المشي والسَّير . يقال : أُنْتُ أوونُ

(١) تكملة من اللسان (رهك) .

أوْناً (١) ، مثل : قلت أقول قولاً .

والكَتَفُ : المشيُ الرُّوَيْدُ . يقال : مَشَتْ فكَتَفَتْ (٢) ، وهو أن تُحرِّك كتفيها . قال لبيد (٣) :

قَرِيحُ سِلاحٍ يَكتِفُ المشيَ فاترُ

قال الأمويّ : الضَّكْضَكة : سرعة المشي .

وقال أبو عمرو : الدَّلْحُ : مشي الرجل بحِمْله وقد أثقله . يقال : دَلَح يَدْلَحُ .

والقَطْوُ : تقارب الخطو من النشاط . يقال : قطا يَقطُو ، وهو رجلٌ قطوانُ .

والإرزاف : الإسراع . ويقال : أرزف الرجلُ إرزافاً .

والقبْضُ مثلهُ . يقال : رجلٌ قَبيضٌ بيِّنُ القَباضة .

والإحصاف : أن يعدُوَ الرجل عَدْواً فيه تقارُبٌ ، أخذه من المُحْصَف . والإحصاف : أن يثيرَ الحصا في عَدْوِه .

---

(١) في النسخة : « أوماً » أثبت صوابه من اللسان (أون) .

(٢) في التهذيب (كتف) ١٠/١٤٥ : « وقولهم : مشت فكتفت : أي حركت كتفيها . يعني الفرس » .

(٣) ديوانه صفحة ٢١٨ ، تحقيق الدكتور إحسان عباس .

والبيت بتمامه :

فأفحمته حتى استكان كأنه قريح سُلال يكتف المشي فاترُ

و « السلال » : الداء . ورواية الفرق مثلها في الموضع السابق من التهذيب ، واللسان (كتف) .

والكَرْدَحة (١) والكَمْتَرة : كلتاهما من عَدْوِ القصير المتقارِب الخُطا ، المجتهدِ في عَدْوِه .

والهَوْذَلة : أن يضطربَ في عَدْوِه ، ومنه قيل للسِّقاء إذا تمخَّض : هو يُهوْذِل هَوْذَلةً .

والفَدَيان والذَّمَيان : الإسراعُ . يقال : فَدَى يَفْدِي وذَمى يذْمي .

والحُصاص : حِدّةُ (٢) العَدْوِ . يقال : مرَّ بِنا وله حُصاصٌ .

الفراء : أمْتَل : يعدو ، وأجْلَى : يعدو ، وأضرَّ واسْكَنْدَر وعبَّد : كلّ هذا إذا أسرع بعد الإسراع . والأَتَلان : أن يقاربَ خطوَه في غضب . يقال : قد أَتَلَ يأتِلُ ، ومثله : أَتَن يأتِنُ . وأنشد :

أراني لا آتيك إلا كأنّما أسأتُ وإلا أنت غضبانُ تأتِلُ (٣)

وقال أبو زيد : الضَّيَكان والحَيَكان : أن يُحرِّك مَنكِبيه وجسدَه حين يمشي ، مع كثرة لحم .

والضَّفْر والأَفْر : العَدْوُ . يقال : ضَفَر يضْفِر ، وأَفَر يأفِرُ .

وقال الأصمعيّ : الحَتْكُ : أن تقاربَ الخطوَ وتسرعَ رفعَ الرجل ووضعَها .

---

(١) جاء في النسخة : « الكرذحة » بالذال المعجمة ، وأثبته بالدال المهملة من اللسان . ترجمة (كردح) وأعاده في ترجمة (كمتر) .

(٢) في اللسان : « شدة » .

(٣) نسبه في اللسان لثروان العكلي .

والزَّوْزاةُ : أن ينصبَ ظهرَه ويسرعَ ويقاربَ الخطوَ . يقال : زَوْزَى يُزَوْزِي زَوْزاةً .

واللَّبَطة والكَلْطَة : مَشْيُ الأفْزَل ، والقزَلُ : أسوأ العرَج .

والتَّفيُّد : التَّبَخْتُر ، والتَّبَهْنُس مثلُه .

والرَّسَفُ والمطابقة : مشيُ المُقيَّد .

والدَّليفُ والدَّهمجة : مِشْية الكبير .

والخَنْدَفة والنَّعْثَلة : أن يمشيَ مُفاجاً ، ويقليبَ قدميه كأنه يَغرِفُ بها شيئاً .

وقالوا في مثل ذلك من ذوات الحافر : قال الأصمعيُّ : من المشي: العَنَقُ . . . .

٧٣ - ص ١١٤ س ١٧ : ومنه الدَّألان ، وهو خفيف سريع .

ب : ومنه الدَّألان ، وهو مَرٌّ خفيف سريع

٧٤ - ص ١١٤ س ١٨ : فإذا راوح بين يديه فذلك الخبَبُ ، فإذا رفع ووضعها معاً فذلك التقريب .

ب : فإذا راوح بين يديه ووضعها معاً فذلك الخبَبُ ، وإذا رفع يديه ووضعها معاً فذلك التقريبُ .

٧٥ - ص ١١٦ س ١٧ : هذا أشدُّ منها وأجود ، ولكنها وَديقٌ ، وستجيء واضعاً جحفلته على قطاتها ، فقال له : وكيف علمت ذلك ؟

ب : هذا أشدّ منها وأجود، ولكنها وَدِيقٌ ، وسيجيء واضعاً جحفلته على قطاتهـا ، فأُرْسِلت الخيلُ فسبقت ، وجاء الفحلُ واضعاً جحفلته على قطاتها .

فقال له : وكيف علمت ذلك ؟

* * *

وهذا ما رأيت ذكره من فُروق ما بين مطبوعة « كتاب الفرق» وبين النسخة المكتشفة منه . ولعله يبعث همة ناشر الكتاب إلى إعادة تحقيقه وتحريره . والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة .

محمود محمد الطناحي

القاهرة ـــ معهد المخطوطات

التعريف والنقد

الأرقام العربية

ورحلة الأرقام عبر التاريخ

تأليف : سالم محمد الحميده

١٤١ صفحة من القطع الكبير . بغداد ١٩٧٥ م

الدكتور عدنان الخطيب

قرأ الأستاذ سالم محمد الحميده ، وهو ضابط متقاعد من خريجي مدرسة الأركان ، ماكتبته المستشرقة الألمانية dr Sigrid Honké ولفت انتباهه قولها :

[. . كل الأمم المتحضرة تستخدم اليوم الأرقام التي أخذها الجميع عن العرب ، ولولا تلك الأرقام لما وجد اليوم دليل هاتف ولا قائمة أسعار أو تقرير مصفق ، ولما وجد هذا الصرح الشامخ من علوم الرياضة والطبيعة والفلك ، بل لما وجدت الطائرات التي تسبق الصوت ، أو صواريخ الفضاء .

لقد كرّمنا هذا الشعب الذي منّ علينا بذلك الفضل الذي لايقدّر، حين أطلقنا على أرقام الأعداد عندنا اسم « **الأرقام العربية** » . ولكن العرب

أنفسهم يؤكدون أنهم قد أخذوا أرقامهم عن الهنود ، وهم يسمونها بـ « **الأرقام الهندية** » [1]] .

ورأى الضابط الركن نفسه مندفعاً ، باعتزاز عربيّ متأجج ، للتحرك نحو جبهة من البحث والاستقصاء ، بقصد كشف مواقع جديدة من المجد والفخار ليعلن عنها ويتشبث بها ، فأخذ يسلط الأضواء على مادّونه التاريخ عن أصل الأرقام وأشكالها والتطور الطارىء على صورها عبر القرون ، مقتفياً آثارها في هجراتها من بلد إلى بلد ، متماً بحثه الطريف بشيء من تاريخ الترقيم عند الأمم الخالية التي استعملت الأعواد ثم الحبال ثم الصور فالرموز الدلالة على العدد ، **إلى أن قدسم العرب إلى العالم هذه الأرقام المنتشرة في جميع أصقاع الأرض محتفظة بنسبتها إليهم لدى الناس كافة.**

قام المؤلف بعرض لكل ما وجده في المصادر التي أمكنه الحصول عليها ، عن نظام الترقيم عند الهنود خلال القرون التي مضت قبل ميلاد السيد المسيح ، وانعطف على تاريخ العرب القديم ليؤكد أن هذا التاريخ لم يسجل ما يعرّف بنظام الترقيم لدى الشعوب العربية البائدة ، أمّا في العصر القريب من ظهور الإسلام فجميع المدونات التي عثر عليها الآثاريون حتى اليوم ، **إنما تعود إلى مجتمعات بدائية ولا تعطي أية فكرة عن**

---

(١) انظر كتاب المستشرقة المذكورة المعنن :

« Allahssonne Uber dem abendland unser Arabisches erbe »

نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكال دسوقي تحت عنوان « شمس العرب تسطع على الغرب » بيروت ١٩٦٤

وجود **نظام معروف للترقيم** ، والدراسات على تلك المدونات لم تكشف عن أرقام بل كانت الإشارات فيها إلى الأعداد مسجلة **بالكلمات** .

لقد استخدم العرب بعد قيام الدولة الإسلامية الأسلوب الشائع لدى الشعوب المتحضرة في ذلك الزمان ، المتمثل **باعطاء كل حرف من حروف الأبجدية قيمة عددية** تفي بحاجاتهم إلى استعمال الأعداد ، وكان هذا الأسلوب عند العرب يسمّى **بحساب الجمل** .

وقامت الدولة العباسية في العراق ، ومع بدء نقل معارف وعلوم الأمم الأخرى اطلع علماء العربية على الأسلوب الذي كان الهنود يتبعونه في الحساب فراق لهم ، فانكبوا – على حد قول الأستاذ سالم – على الأشكال التي نقلت إليهم : « بالدرس والتهذيب واستخرجوا منها سلسلتين من الأرقام ، اختاروا الأولى مبدئياً ، وهي المسماة **بسلسلة الأرقام الغبارية** ... وهي التي سادت في أول الأمر المشرق العربي ، ثم انتقلت من هنا إلى سائر البلاد العربية الأخرى ، وقد ذكر أشكالها العالم العربي القلصادي (١) الأندلسي في كتابه « رفع الستار عن علم الغبار » ... كما ذكر أشكالها أيضاً ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج الأوزني المعروف بابن الياسمين المتوفى عام ٦٠١ هجرية (٢) » .

---

(١) ورد اسم القلصادي في كتاب الأستاذ الحميده بالواو تصحيفاً وصححته كما ذكرنا ، والقلصادي هو علي بن محمد المتوفى سنة ٨٩١ هـ (١٤٨٦ م) انظر أعلام الزركلي ٥ : ١٦٣

(٢) ورد اسم الأوزني مصحفاً في ص ٩١ ، والكلام منقول عن مقال =

ا ح ج عو ع ٥ ٦ ٨ ٩ ٥

الف وحاء جيم عو عين ها — مخطاف صفران وواو بعدها

ببعض هذه اوبما اخذ منها واشكاله الهندية هذه

التسعة ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ فاول كل واحدة

صورة وثانيه صورة الوثاني وهكذا على التوالي

او هذه ا ح ج عو ع ٥

و ٩ ٥ وقد نظمت هذه الأشكال

في بيت وهو

الف وحاء جيم عو عين ها

مخطاف صفران وواو تسعها

حروف علماء المشرق

احرف الغبار

على قلة

استعمالها

فيه

عن علم الغبار

عبد القادر السخاوي المتوفى حوالي ١٠٠٠ هـ في مقدمته

الف وحا ثم جيم بعده	عو وبعد العوعين ترسم
هاء وبعد الها حرف ظاهر	يبدو كخطاف لدى من يفهم
صفران ثامنها وقد ضما معا	والواو تاسعها بذا للتختم

شاعت احرف الغبار في المغرب العربي وعنه نقلها الافرنج وتطورت الى الشكل التالي

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

ويقول الأستاذ سالم الحميده أخيراً : « . . أما السلسلة الثانية فهي التي أطلق عليها العرب أنفسهم اسم **الأرقام الهندية** ... ومن الجدير بالذكر أن أول من ألف كتبه بأرقام هذه السلسلة من العلماء العرب هو العلامة محمد ابن موسى الخوارزمي (١) » .

قال المؤلف الفاضل هذا الكلام ، وهو يعرف أن كثيرين ممن درسوا هذا الموضوع أو بحثوا فيه أو عرضوا له لايقرونه عليه ، فسارع إلى عرض آراء عدد من العلماء حول سلسلتي الترقيم الغبارية والهندية ، إذ يرى بعض هؤلاء أن كل سلسلة منهما نشأت مستقلة ثم تطورت إلى أن أخذت الصورة التي انتهت إليها ، ويرى آخرون منهم **أن السلسلتين كانتا رتقاً فتق بينهما التعديل والتهذيب** ، حتى أصبحتا وكأنها سلسلتان مختلفتان في منشئهما ، ويدعم هؤلاء رأيهم بهذا **التشابه الكبير في أعداد السلسلتين** (٢) .

وانتهى المؤلف إلى أن الرأي الأخير هو السليم المقبول قائلاً : « إن

= للمرحوم محمد السراج نشرته مجلة اللسان العربي في الرباط سنة ١٩٦٥ . وفي الأعلام ٤ : ٢٦٩ : « ورد اسمه في فهرست الكتبخانة : عبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسميني المتوفى سنة ٦٠٠ »

(١) انظر ص ٩٨

(٢) إن نظرة واحدة تلقى على الجدول رقم ٤ المنشور مع هذا البحث تثبت صحة الرأي المذكور ، وتؤكد أن منشأ أرقام السلسلتين كان صور حروف الأبجدية العربية وليس الأشكال والرموز التي كان الهنود يستخدمونها ، كما يزعم الباحثون في هذا الموضوع دون دليل واضح ، كما أنه ليس من دليل يثبت نظرية تقول بأن أرقام الغبار قامت على تعداد الزوايا التي تحتويها صورة كل حرف .

أخذ علماء العربية في الحساب منذ القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) يستبدلون بحساب الجمل اسلوب حساب الهند الغباري

وتطورت صور الحروف التي ترمز الى الأعداد التسعة على خلاف بين المشرق والمغرب تناهت الى شكلين متباينين – وعنها أخذ لاوربيون ... (الأرقام العربية)

ما ناظرها من صور الأرقام التسعة والصفر في المشرق	صور عرفت بـ «الأرقام الهندية» كما وردت في (1): مخطوطات مختلفة	الجبر والمقابلة (٩) لنصير الطوسي ٦٥٧ هـ	المختصر (١٠) للبغدادي ٦٢٩ هـ	حساب الهند (١١) لابن لبان ٢٥٠ هـ	طرائف الحساب (٤) لشجاع المصري ٢٤٤ هـ	الفصول (٣) للإقليدسي ٢٤١ هـ	الجبر والمقابلة (٢) للخوارزمي ٢٣٢ هـ	الحروف الأبجدية: ما يقابلها من الأرقام في حساب الجمل	صور عرفت بـ «الأرقام الغبارية» كما وردت في: تلقيح الأفكار (٥) لابن الياسمين ٦٠١ هـ	التذكار في الحساب (٦) لابن البناء ٧٢١ هـ	مرشدة الطالب (٧) لابن الهائم ٨١٥ هـ	مفتاح الحساب (٨) للقلصادي ٨٦٨ هـ	علم الغبار (١٢) للسنوسي ١٠٠٠ هـ	الأرقام الغربية والأوروبية	مخطوطات مختلفة	ما ناظرها من صور الأرقام التسعة والصفر في المغرب
١		١	١	١	١	١	١	ا . ا . ا	1	1	1	1	1	1	1	1
٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢	ب . ب . ب	2	2	2	2	2	2	2	2
٣	٣ ٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣	ج . ج . ج	3	3	3	3	3	3	3 3	3
٤	٤ ٤	٤	٤	٤	٤	٤		د . د . د	4	4	4	4	4	4		4
٥	٥ ٥	٥	٥	٥	٥	٥	٥	هـ . هـ . هـ	5	5	5	5	5	5		5
٦		٦	٦	٦	٦	٦		و . و . و	6	6	6	6	6	6		6
٧		٧	٧	٧	٧	٧		ز . ز . ز	7	7	7	7	7	7		7
٨		٨	٨	٨	٨	٨		ح . ح . ح	8	8	8	8	8	8	8 8	8
٩		٩	٩	٩	٩	٩		ط . ط . ط	9	9	9	9	9	9		9
٠	٠ ٠	٠	٠	٠	٠	★		صفر	0	0	0	0	0	0		0

(١) [illegible]
(٢) محمد بن موسى الخوارزمي ... ٢٣٢ ... القاهرة ١٩٣٧
(٣) احمد بن ابراهيم الإقليدسي ... ١٩٧٣
(٤) ابو كامل شجاع بن أسلم ... ١٩٦٤
(٥) ابن الياسمين ... ١٩٦٦
(٦) ابن البناء ... ١٩٦٥
(٧) ابن الهائم ... ٤٨٩
(٨) القلصادي ... ٥٧٦
(٩) نصير الدين الطوسي ... ١٧٢
(١٠) عبد اللطيف البغدادي ... ١٩٧
(١١) كوشيار بن لبان ... ١٩٦٥
(١٢) عبد القادر ... السنوسي ... ٤٨٢

هذه النظرية تعيد سلسلة الأرقام الهندية إلى أصلها العربي المشتقة منه ، وهي مقاربة بدرجة كبيرة إلى واقع هذه السلسلة وأقرب إلى الصحة من غيرها من النظريات ، وبذلك تظهر **الأصالة العربية لهذه السلسلة** رغم تسميتها بسلسلة **الأرقام الهندية** [١] » .

توصل المؤلف إلى الحقيقة المشار إليها ، رغم أنه فوّت على نفسه الاطلاع على مصادر هامة غير التي أثبتها في نهاية كتابه ، منها المطبوع والكثير ما زال مخطوطاً ينتظر ، وقد يكون في مقدمة المطبوع كتاب « **الفصول في الحساب الهندي** » ألفه في دمشق سنة ٣٤١ هـ (٩٥٣ م) أبو الحسن أحمد بن إبراهيم الأقليدسي [٢] ، وهو أقدم كتاب في علم الحساب بعد كتاب محمد بن موسى الخوارزمي المتوفى بعد سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٧م) [٣] .

إن كتاب الفصول في الحساب الهندي نشر عام ١٩٧٣ ، مع مقدمة قيمة كتبها محققه **الدكتور أحمد سعيدان** ، وهو يعتبر اليوم في طليعة المشتغلين بتاريخ علوم الرياضيات عند العرب ، وسبق له أن حقق عدداً من المخطوطات في علم الحساب ونشرها في مجلة معهد المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفي غيرها من المجلات [٤] .

ومن **العجب العُجاب** أن الضابط الركن الذي انتصر في البحث عن

---

(١) انظر ص ١٠١ من الكتاب .

(٢) صدر الكتاب في عمان ضمن منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والنشر والترجمة.

(٣) نشر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي بالعربية علي مصطفى مشرفة وأحمد مرسي بدر سنة ١٩٣٧ بالقاهرة .

(٤) انظر المقدمة المشار إليها ومجلة معهد المخطوطات لسنتي ١٩٦٣ و ١٩٦٧

الحقيقة وكشف عنها لقارئيه ، استسلم دون مقاومة لفكرة **الاعتزاز** بنسبة **الافرنج الأرقام الغبارية التي يستخدمونها إلى صانعيها العرب** ، فوقع أسير إغرائها وأنهى كتابه بدعوة غريبة قال فيها :

« .. ومن حق هذه السلسلة من الأرقام التي تحمل اسم العرب ، أن تعود للاستعمال في بلدنا لتكمل سفارتها بين ظهرانينا ، كما هي قائمة بهذا الواجب خير قيام في الأماكن الأخرى من العالم . فإذا **أعيد استعمال هذه الأرقام في بلادنا** ، نكون قد وفينا حقاً علينا لهذا الوليد الذي رأى النور في ربوع بلادنا (١) » .

فات المؤلف الفاضل أن أمنيته الأخيرة تناقض ما انتهى إليه بحثه القيم في إثبات **أن كلاً من الأرقام الهندية والأرقام الغبارية عربية النجار على حد سواء** ، ومن الواضح لكل ذي عينين أن أشكال الأرقام في كلتا السلسلتين مغايرة للإشكال الهندية الأصلية المتوهمة ، مما يؤكد حقيقة لا يشوبها شك في : « **أن العرب هم الذين وضعوا هذه الأشكال وهي بالنتيجة عربية تخص العرب وحدهم** (٢) » .

أنا لست أدري كيف سمح الأستاذ سالم لنفسه بأن يسجل في ختام كتابه أمنية ملؤها الاعتزاز بما صنع الأجداد ، ولكن لا ينجم عنها إن تحققت إلا استبعاد مجد عربي دان أثيل ، ليحل محله شقه البعيد المغترب ؟!

إن الأرقام هنديها وغباريها عربية في مولدها وفي نشأتها ، ولكن

---

(١) انظر ص ١٣٤

(٢) انظر ص ١٣٢

الأولى منها أكثر عراقة ، وأبعد انتشاراً ، وأشد التصاقاً بالتراث العربي والإسلامي ، وأوضح أثراً في كنوز الخط العربي .

أخذت الأرقام الهندية تنتشر وتتطور في بلاد العرب والإسلام منذ **القرن الثالث للهجرة** (التاسع الميلاد) وكانت كشقيقتها الغبارية وليدة الحروف الأولى للأبجدية العربية ، غير أن الغبارية لم تنتشر في المغرب العربي **إلا بعد مئات من السنين** ثم تسربت عن طريق الأندلس إلى بلاد الفرنجة وفيها انتهت إلى صورها الحاضرة .

ظلت أحرف الأرقام المشرقية سائدة في مجملها جميع بلاد المشرق العربي والإسلامي **وتطورت مع تطور الحرف العربي** وأنواع الخطوط العربية والفارسية والعثمانية مسايرة بذلك **ليونة هذا الحرف وميزاته الانسيابية في مختلف الخطوط المعروفة** ، حتى أنها أصبحت اليوم وبعد ألف سنة من عمرها المديد جزءاً من التراث العربي الإسلامي في كتابة العربية ولغات الشعوب الإسلامية من فارسية وعثمانية وأردية وأفغانية وشعوب أخرى ما زالت تكتب لغاتها بالحرف العربي ، **وإن** اختلفت صور بعض الأرقام من بلد إلى بلد .

أما أحرف الأرقام الغبارية ، فلا شك في أصالتها وجمال بعض الصور التي انتهت إليها في مختلف بلدان العالم ، **وهي تتلاءم كثيراً مع الخطوط المزواة وغير اللينة** ، وقد يعطينا انتشارها في دول العالم الكبرى عدة فوائد زمنية واقتصادية ، ونحن في عصر التقنية الإلكترونية ، إذا ما عدنا إلى استعمالها بدل الأرقام التي نسميها بالهندية ، وهذا ما يتحمس في الدعوة إليه كثير من **إخواننا في المغرب العربي ، اعتزازاً بأصلها العربي .**

ولكن الدعوة إلى استبدال الأرقام الغبارية بالأقام الهندية **دعوة لاتقوم على أساس سليم** ، لأن هذه الأرقـام جميعها عربية متطورة عن الحرف العربي نفسه ، كما يتضح بإلقاء نظرة واحدة على الجدولين المنشورين مع هذه الكلمة (١) . وكل دعوة يكون هدفها هذا الاستبدال سوف لاتنجح، مهما كانت بواعثها ، **لأنها تنافي منطق الأرقام وواجب الحفاظ على التراث العربي الإسلامي** ، وهو من مفـــاخر الحضارة الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها .

عدنان الخطيب

(١) هذان الجدولان جزء من بحث لمّا ينشر .

حول معجم المؤلفين

الأستاذ إسماعيل بن علي الأكوع

من الكتب التي نالت شهرة واسعة في عالم المؤلفات العربية الحديثة وتبوأت مكانة عالية في المكتبة العربية، كتاب معجم المؤلفين للأستاذ عمر رضا كحالة الذي صدر مابين سنتي (١٣٧٦ و ١٣٨١ هـ) في خمس عشرة مجلدة، فهو مرجع يفي بالحاجة لمن يريد الاقتصار على أبرز صفات المؤلفين، مع ذكر عدد من مؤلفاتهم . ثم أضاف إلى ذلك مراجع كل ترجمة للرجوع إليها عند الحاجة لمن أراد التوسع والاستزادة . وقد كتب ذلك بأسلوب سهل المنال قريب المأخذ مما جعله جمَّ الفائدة عظيم النفع . يشهد لمؤلفه بعلمه، وسعة اطلاعه . فقد بذل في سبيل استخراج مادة الكتاب المبعثرة في بطون الكتب الكثيرة التي لايجمعها موضوع، ولا تؤلف بينها وحدة، جهداً عظيماً لايقدره حق قدره إلا من اطلع على الكتاب اطلاع فاحص خبير .

وكنت أود لو أن الأستاذ الجليل أشار عند ذكره مؤلفات المترجم لهم إلى أماكن وجود المخطوطات التي لم تطبع، لاسيما النادرة، كما فعل بروكلمان ثم فؤاد سزكين، إذن لكانت الفائدة من معجم المؤلفين أعظم

وأوسع . كما كنت أتمنى لو وضع فهرساً عاماً للمؤلفات ثم فهرساً مفصلاً للمراجع بأسماء مؤلفيها الكاملة .

وهناك بعض الملحوظات التي عثرت عليها عند قراءتي لتراجم علماء اليمن المذكورين في الكتاب ، إذ أنني لم أعن إلا بهم لمعرفتي بهم معرفة تمكنني من المشاركة في إثبات القول الفصل فيها . فقد وجدت أخطاء في بعض التراجم إما في تاريخ المولد ، أوفي تاريخ الوفاة ، أوفيهما معاً ، وإما في اسم المترجم له أو في نسبه أو نسبته ، أو في تكرار اسم المترجم له ، وإما في أسماء بعض المؤلفات . وقد جمعت ذلك على حسب تسلسل التراجم ، وأبنت فيه وجه الصواب . وهي أخطاء يسيرة لاتذكر بجانب قيمة الكتاب العلمية العظيمة ، ولن تقلل من شأنه إطلاقاً .

* في ترجمة إبراهيم الوزيري ١ / ١٠١ . ذكر في نسبه أنه إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الهادي . والصحيح فيه : إبراهيم بن محمد بن عبدالله ابن الهادي الوزير ، من دون إضافة (عبد) في الهادي ، وبحذف ياء النسبة في الوزيري . ثم ذكر من مؤلفاته (القصيدة الباسمة) والصحيح فيها : (البسامة) واسمها الكامل (البسّامة الجامعة لأخبار من قام من أهل البيت بالإمامة والاحتساب) كما نسي ذكر مرجع الترجمة (البدر الطالع) للشوكاني ، ولعله سقط الاسم عند الطبع ولم يذكر سوى الشوكاني والصفحة ١ / ٣١ .

* في ترجمة إبراهيم جحاف ١ /١٢٧ . وردت نسبته إلى الزبيدي ، والصحيح في النسبة : الزيدي ، نسبة إلى المذهب الزيدي .

* أحمد بن سعيد المسوري ١ /٢٣٣ . والصحيح في اسمه : أحمد بن سعد

المسوري ، ولم يذكر سنتي ولادته ووفاته ، فولادته سنة ١٠٠٧ ووفاته سنة ١٠٧٩ ، ترجم له إبراهيم بن القاسم في طبقات الزيدية الكبرى ، وابن أبي الرجال في مطلع البدور ، وعبد الله بن علي الوزير في جامع المتون ، وأحمد بن محمد الحيمي في طيب السمر ، والسيد عامر في بغية المريد ، والشوكاني في البدر الطالع ١ / ٥٨ .

* أحمد بن عبد اللطيف الشرجي ١ / ٢٨٢ . ذكر أن وفاته سنة ٧٣٥ والصحيح : سنة ٨١٢ ، كما أفاد ذلك ابنه أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف في كتابه طبقات الخواص ١٣٧ ، ويراجع في ذلك إنباء الغمر ٢/٤٣٧ ، بغية الوعاة ١ / ٣٣٠ ، الضوء اللامع ١ / ٣٥٤

* أحمد الصنعاني ١ / ٢٨٧ . ذكر أن اسمه : أحمد بن عبد الله بن حبش نقلاً عن هداية العارفين . والصحيح فيه : أحمد بن عبد الله حنش . من مؤلفاته التي لم يذكرها « النور المشرق في فتح المشرق ، وما به ألحق » .

* أحمد اليمني ١ / ٢٨٢ . ذكر أنه وزير مع أنه لقب لأسرته .

* أحمد الداوري ١ / ٢٨٧ . والصحيح فيه : الدواري .

* أحمد بن بُصَيْص ١/ ٣١٠ ذكر أنه زيدي ، والصحيح أنه زَبيدي ، نسبة إلى مدينة زَبيد .

* أحمد بن فُليتة ٢ / ٢٠ . ذكر اسمه : أحمد بن علي بن محمد بن علي . والصحيح : أحمد بن محمد بن علي . ثم ذكره باسمه الصحيح في الجزء نفسه ص ١٣٦ ولكنه أخطأ في تاريخ وفاته ، فقد ذكر أنه سنة ٢٣١ والصحيح سنة ٧٣١ كما في ص (٢٠) من مصادر ترجمته : طراز أعلام الزمن .

* أحمد بن مقبل بن عثمان العابي ٢ / ١٨٢ . والصحيح في النسبة

العُلَهي نسبة إلى جدٍ له اسمه عُلَه . من مراجع ترجمته التي لم تذكر : ثغر عدن ٢ / ١٥، طراز أعلام الزمن ، السلوك ، العطايا السَّنيّة ، تحفة الزمن .

* أحمد بن محمد الأُنْسي ٢/٨٣ . والصحيح في ضبطه أحمد بن محمد الآنسي .

* أحمد بن محمد الحيمي ٢ / ٨٩ . ذكر من مصنفاته : (طيب السر في أوقات في مجلدين ضخمين) هكذا . والصحيح فيه : (طيب السمر في أوقات السحر في تراجم علماء القرن الحادي عشر) من مراجع ترجمته : زهر الكمائم ، طيب السمر ، نسمة السحر ، نفحات العنبر .

* أحمد بن محمد بن الحسن الرصاص ٢ / ٩٠ . والصحيح في اسمه : أحمد ابن الحسن بن محمد الرصاص ، ومن مؤلفاته : (التذكرة لفوائد التحصيل في التوحيد والتعديل) ، (الجوابات المرضية عن اعتراضات القدرية) . من مراجع ترجمته : طبقات الزيدية الصغرى .

* أحمد بن محمد الذماري ٢ / ١٠١ . من مراجع ترجمته : عقود الدرر لعاكش ، ونيل الوطر ١ / ٢١٠

* أحمد محمد الشرفي ٢ / ١١٢ ذكر أن وفاته في ذي الحجة . والصحيح في ذي القعدة وقال : من مؤلفاته : شرح الأساس وشرح الأزهار . والصحيح في اسميها : (عدة الأكياس شرح الأساس)و (ضياء ذوي الأبصار على الأزهار).

* أحمد قاطن ٢ / ١٢٥ . هو الحبابي بالحاء المهملة ، وليس بالجيم ، وذلك نسبة إلى قرية حَبابة ، والشبامي نسبة إلى شبام ، وليس الشباني ، كما جاء في الترجمة .

* أحمد بن محمد الشوكاني ٢/١٣٤ . من مؤلفاته : السموط الذهبية واسمها الكامل : (السموط الذهبية شرح الدرر البهية) في فقه الحديث .

* أحمد بن محمد لقمان ٢ / ١٤٦ . ورد أنه دفن بقلعة غمار من جبل دازح . والصحيح في اسم المكان : رازح بالراء . ثم ذكر من مؤلفاته : مرقاة الأصول للإمام القاسم ، وليس كذلك .

* أحمد بن ناصر بن عبد الحفيظ المهلا ٢ / ١٩٢ ذكر في نسبه النسائي . والصحيح : النيسائي نسبة إلى نَيْسَة من بلاد حَجَّة . يضاف إلى مراجع ترجمته : طبقات الزيدية الكبرى ، زهر الكمائم ، طيب السمر .

* أحمد بن يحيى بن حابس الصعدي ٢ / ٢٠٢ . يضاف إلى مراجع ترجمته : مطلع البدور ، وطبقات الزيدية .

* أحمد المهدي ٢ / ٢٠٦ (أحمد بن يحيى بن المرتضى الإمام المهدي) لم يذكر من مؤلفاته (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) وهو أعظم وأكبر مؤلفاته حتى صار به يعرف فيقال : قال صاحب البحر .

* أبو بكر الزبيدي ٣ / ٥٦ . قال في سياق نسبه : أبو بكر بن أحمد ابن أبي بكر بن أحمد بن رعين المتوفى ٨٤٣ . والصحيح : ابن دَعْسَيْن ، وقد توفي بحَيْس سنة ٨٤٢ ونقل جثمانه إلى بلده الُخُوهَة (الخوخة) مسكن أهله . من مراجع ترجمته : تاريخ البُرَيهي ، وورد في الصفحة نفسها : أبو بكر بن أحمد بن رعين المتوفى ٧٥٢ والصحيح : ابن دَعْسَيْن أيضاً .

* أبو بكر الضحاعي ٣ / ٦٠ . ذكر من مؤلفاته : مقدمة للقراء السبعة في ثلاثين جزءاً كتبها بالذهب والفضة ، ووقفها بمسجد الأشاعرة بزبيد . فقد التبس عليه الأمر واعتقد أنها مؤلف له . وهي — أي المقدمة — أجزاء القرآن الكريم . وتكون في ثلاثين جزءاً — كل جزء مستقل عن الآخر ، والمعني أنه كتبها بقلمه .

* أبو بكر السقاف ٣ / ٦٣. كرر ترجمته باسم آخر في صفحة ٦٤ من الجزء نفسه باسم: أبو بكر العلوي، في حين أنهما اسمان لشخص واحد.

* جعفر بن أحمد بن عبد السلام ٣ / ١٣٢. يضاف إلى مراجع ترجمته: مطلع البدور، طبقات الفقهاء لابن سمرة ١٧٤.

* جعفر الخاني ٣ / ١٤٠. ضبطها بالخاء المعجمة، وجرى في ذلك مجرى الأستاذ فؤاد سيد في ضبط الكلمة عند تحقيقه لطبقات الفقهاء لابن سمرة. والصحيح بالحاء المهملة، نسبة إلى قرية المحَـايِيّة من أعمال ذي السفال. من مراجع ترجمته: طبقات الفقهاء لابن سمرة (٩٤)، شذرات الذهب ٣/١٥٨ طراز أعلام الزمن، تحفة الزمن، السلوك.

* الحسن بن أحمد الشبيبي ٣ / ١٩٨. ذكر أن له مؤلفاً اسمه: شرح غاية العناية، وليس الأمر كذلك. وإنما هذا وصف لما عمله في نسخته الخاصة به من شرح الأزهار لابن مفتاح. إذ قال زبارة في ترجمته في ملحق البدر الطالع ٦٨: بتذهيب[1] نسخة شرحه غاية العناية. أي اعتنى غاية العناية بنسخته من شرح الأزهار. من المراجع: نشر العرف ١/ ٤٢٠

* الحسن اليمني (الحسن بن أحمد الجلال) ٣ / ٢٠٢ لم يذكر من مؤلفاته: ضوء النهار شرح الأزهار، مع أنه أعظم مؤلفاته شأناً.

* الحسن الهمداني ٣/ ٢٠٤. لم يذكر تاريخ مولده، وذكر أن وفاته سنة ٣٣٤، وهذا خطأ وقع فيه كثير من المؤرخين. فمولده، كما ذكر الهمداني نفسه في المقالة العاشرة من كتابه (سرائر الحكمة)

---

(١) التذهيب: وضع علامة المذهب على المسائل الفقهية التي أقرها علماء المذهب الزيدي.

يوم الأربعاء ١٩ صفر سنة ٢٨٠ ، وإن لم يشر إلى اسمه نصاً ، ولكن ذلك واضح من عبارته . أما تاريخ وفاته فلم يكن معروفاً معرفة حقيقية . ولكنه مات بعد سنة ٣٦٠ ، إذ يقول الهمداني نفسه في كتابه الإكليل الجزء الثاني ص (٣٧١) : قال محمد بن عبد الله بن سليمان الحكمي : رويت عن محمد هذا سنة ٣٥٦ ، وهو من عمره في الثمانين ، وكتبت عنه . وقتل سنة ٣٦٠ رحمه الله . وهذا يؤكد أن الهمداني عاش إلى هذا التاريخ أو بعده بقليل . ثم ذكر الأستاذ عمر رضا كحالة بعض مؤلفاته فقال : من تصانيفه : (الإكليل في مفاخر قحطان وذكر اليمن) هكذا ، مع أن الإكليل كما هو معروف يقع في عشرة أجزاء . وكل جزء منه يختص بموضوع مستقل ، فالأول في المبتدأ وأصول أنساب العرب والعجم ونسب ولد حمير ، الثاني في نسب ولد الهميسع ، الثالث في فضائل قحطان ، الرابع في السيرة القديمة من عهد يعرب بن قحطان إلى عهد أبي كرب أسعد الكامل ، الخامس في السيرة الوسطى من عهد أبي كرب إلى عهد ذي نواس ، السادس في السيرة الأخيرة من عهد ذي نواس إلى عهد الإسلام ، السابع في التنبيه على الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة ، الثامن من محافد اليمن ومساندها ، التاسع في أمثال حمير وحكمها ، العاشر في معارف همدان وأنسابها . ثم ذكر الأستاذ كحالة من مؤلفات الهمداني : الكواكب وتبيين علم أحكام النجوم واستيفاء ضروبه . وهذا الكتاب لا علم لنا به في مؤلفات الهمداني . ولكن له كتاباً في هذا الموضوع اسمه (المطالع والمطارح) و (زيج الهمداني) .

* الحسن الصنعاني (الحسن بن إسحاق ابن الإمام المهدي أحمد بن

الحسن) ٣ / ٢٠٥ . ثم أعاد ترجمته مرة أخرى باسم الحسن المهدي وقال : فاضل من أهل جنوبي شبه جزيرة العرب . هكذا استعمل الأستاذ كحالة هذا التعبير محاكاة لتعبير بروكلمان . وهو مايستعمله المستشرقون والغربيون ، فإنهم يصرون على عدم ذكر اليمن في كثير من الأحيان مستعملين (جنوب الجزيرة العربية) أو (جنوب شبه الجزيرة العربية) بدلاً من ذكر اليمن لحاجة في نفس يعقوب .

الحسن اليمني (الحسن بن محمد بن أبي عقامة) ٣ / ٢٨٦ . قال : له الملطف في علم المساجد . والصحيح في ذلك (الملطف في علم المساحة) من مراجع ترجمته : طبقات فقهاء اليمن (٢٤١)، ثغر عدن ٢/٤٧، تاج العروس في مادة عقم ، المفيد (تاريخ عمارة) ٣٠٨-٣١٦ .

الحسين السياغي ٣ /٣٠٨ . ذكر من تصانيفه : الروض النفير شرح المجموع الفقهي الكبير . والصحيح في اسم الكتاب : الروض النضير .

الحسين العرشي ٣/٣١٢ . قال : مؤرخ من أهل قفلة عِذَر من بلاد حاشد . والصحيح : من الأعروش من خَوْلان العالية كما تدل على ذلك النسبة ، ولكنه أقام في قفْلة عذر .

حسين الأهدل ٤ /١٣ . ذكر من آثاره (ارتياح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتاح) استناداً إلى مصدره الضوء اللامع ٣/١٤٤، وبعد الرجوع إلى هذا المصدر ، وإلى مصادر أخرى بين أيدينا وهي النور السافر ٢٦، والفضل المزيد على بغية المستفيد لابن الديبع لم نجد له شيئاً من المؤلفات على الإطلاق .

الحسين الأهدل ٤/١٥ . لم يذكر له (تحفة الزمن في سادات اليمن)

وهو من أهم كتبه وأعظمها شأناً .

* حمزة الناشري ٧٩/٤ . ذكر من مؤلفاته : البُستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر ، اعتماداً على ما في البدر الطالع ٢٣٨/١ للشوكاني ، وليس له وإنما هو لعفيف الدين عثمان بن عمر الناشري ٨٠٥ - ٨٤٨

* حموده اليمني ٨٢/٤ . هكذا ، والصحيح في اسمه : حمود من دون هاء ، وذكر أن وفاته سنة ١٣٣٨ ، والصحيح : سنة ١٣٤٤ ولم يذكر تاريخ ميلاده وهو سنة ١٢٦٧

* زيد العنسي ١٨٩/٤ . والصحيح في اسمه : عبد الله بن زيد العنسي ، وذكر أن وفاته سنة ٦٠٠ والصحيح : سنة ٦٦٧ ، ولم يذكر تاريخ مولده وهو سنة ٥٩٣ ، من المراجع : مطلع البدور لابن أبي الرجال ، طبقات الزيدية الكبرى لإبراهيم بن القاسم .

* صالح الأَنيسي ٦/٥ . ذكر من مؤلفاته مختصر شرح العلفي للجامع الصغير تبعاً لزبارة في ملحق البدر الطالع ١٠٣ . والصحيح : مختصر شرح العَلْقَمي ، وهو محمد بن عبد الرحمن العَلْقمي أحد تلاميذ السيوطي الذي شرح الجامع الصغير بالكوكب المنير في ثلاث مجلدات (الأعلام للزركلي ٦٨/٧) .

* صالح الخزرجي ٧/٥ . سماه : صالح بن الصديق بن علي بن أحمد التاري. والصحيح في نسبته النمازي بالنون والزاي . له شرح على الأثمار في الفقه لم يذكره الأستاذ كحالة .

* صالح بن أبي الرجال ١١/٥ . هكذا ورد اسمه . والصحيح في اسمه : أحمد بن صالح بن أبي الرجال . ثم ذكره مرة أخرى في ٢٠/٥ باسم

صفي الدين بن أبي الرجال ، وصفي الدين ليس علماً ، بل هو لقب لمن اسمه أحمد ، ولكنه وقع في الخطأ الذي سبق إليه المحبّي في خلاصة الأثر ٢٢٠/١ ، ثم ذكر الأستاذ كحالة آثاره : (مطلع البدور ومجمع البحور في سبع مجلدات) وهو في أربع فقط .

* صالح المقبلي ٥/١٤ . ذكر أن مولده سنة ١٠٤٠ والصحيح أنه سنة ١٠٣٨

* صديق السوادي ٥/١٩ قال في نسبته : الصعيدي . والصحيح الصَعْدي نسبة إلى مدينة صَعْدَة .

* الطيب با مخرمة ٥/٤٥ . أسماه : الطيب بن عبد الله بن أحمد با مخرمة . والصحيح في اسمه كما هو في كتابه (ثغر عدن) : أبو محمد عبد الله الطيب ابن أحمد أبي مخرمة . وأما في شذرات الذهب ٨/٢٦٨ فقد ذكره باسم الطيب بن عفيف الدين عبد الله بن أحمد مخرمة ، وقد جرى الأستاذ كحالة في الخطأ مجرى البغدادي في هدية العارفين ، إذ ذكره باسم طيب ابن عبد الله ، مع أن الأستاذ كحالة قد ذكره مرة أخرى باسمه الصحيح في ٦/٦٥

* عباس بن علي ٥/٦١ . ذكر من تصانيفه العطايا السنية في طبقات فقهاء اليمن وأعيانها . والاسم الصحيح للكتاب : « العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية يحتوي على طبقات فقهاء اليمن وكبرائها وملوكها ووزرائها » .

* عباس السكسكي ٥/٦٥ . ذكر في نسبته أنه التريمي . والصحيح البُرَيْهي .

* عبد الجبار بن أحمد الهمداني ٥/٧٨ والصحيح في نسبته : الهمذاني بالذال المعجمة لا بالدال المهملة . لم يذكر من مؤلفاته (المغني) في

أصول الدين ، وهو أعظم مؤلفاته شأناً . وقد صُور من مكتبة الجامع الكبير في صنعاء ، وطبع الموجود منه تحت إشراف الدكتور طه حسين في نحو عشرين جزءاً .

*عبدالحفيظ المهدوي ٨٩/٥. والصحيح في نسبته : عبد الحفيظ بن عبد الله ابن المهلا النيسائي . لم يذكر له في ترجمته مصنفاته وهي : إكمال كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري . كتاب في الفقه ابتدأه بباب اللباس ، لأنه أول ما يباشره المكلف في يومه . ويراجع خلاصة الأثر ٣٠٦/٢ ، وملحق البدر الطالع ١١٢ ، طبقات الزيدية الكبرى ، بغية المريد ، مطلع البدور .

*عبد الخالق الزبيدي ٥/ ١١٠ . عبد الخالق بن علي بن محمد بن باقي المرجاجي . والصحيح فيه : عبد الخالق بن أبي بكر بن الزين بن محمد المزجاجي ويراجع في ذلك : نشر العرف لزبارة ١٩/٢ ، وتاج العروس مادة زجج .

*عبد الرحمن الزبيدي ١١٢/٥. ألحق بالتاريخ الهجري (الولادة والوفاة) حرف (م) والصواب حرف (ﻫ) . وهذا خطأ من قبل المطبعة .

*عبد الرحمن الحضرمي ١٧٨/٥ . ذكر في نسبته أنه الشامي نقلاً عن العقود اللؤلؤية ٢٣ بينما ذكره البغدادي في هدية العارفين ٥٢٦/١ : الشيباني . والصحيح في ذلك أنه الشبامي نسبة إلى مدينة شِبام حضرموت .

*عبد الرحمن الزبيدي ١٩٣/٥ . ذكر من آثاره بديعية وشرحها . واسمها الصحيح (الكامل الجوهر الرفيع ودوحة المعاني في معرفة أنواع البديع) من مراجع ترجمته : ثغر عدن ١٢٠/٢ ، وإنباء الغمر ، والعقد الفاخر .

*عبد اللطيف الشرجي ٨/٦. ذكر ، أنه ولد بالشريجة. والصحيح الشَّرْجة ،

ثم قال : من آثاره الإعلام بمواضع السلام في الكلام . والصحيح : الإعلام بمواضع اللام في الكلام .

*عبد الله الدواري ٦/ ٤٤ . جاء في ذكر نسبه : عبد الله بن الحسن اليماني الصعدي الزيدي الدواري . وكان الأصوب في ذلك : عبد الله بن الحسن الدواري الصعدي اليماني الزيدي ، ولكنه جرى على أسلوب الشوكاني في تعبيره في البدر الطالع ٣٨١/١

*عبد الله المنصور (عبد الله بن حمزة) ٥٠/٦ . ذكر أنه توفي بكوكبان ونقل إلى يريم ، ثم إلى ظفار ، وقد اعتمد على ما في الأعلام ٢١٣/٤ والصحيح أنه مات في كوكبان ونقل إلى بُكُر ثم إلى ظفار . وقد نبهت الأستاذ الزركلي إلى هذا في مجلة العرب الجزء ٧ و ٨ السنة ٨/محرم وصفر سنة ١٣٩٤ شباط وآذار سنة ١٩٧٤ في مقالي (حول الأعلام) .

*عبد الله العريقي ٥٥/٦ . ذكره باسم عبد الله بن زيد مهدي العريقي وذكر له عدة مصنفات في الفقه والأصول ، وهي لم تكن من تصنيفه ، وإنما هي لعبد الله بن زيد العنسي المذحجي الزيدي المتوفى بكحلان سنة ٦٦٧ ، ومولده ٥٩٣ . ولكنه تبع البغدادي في هدية العارفين ٤٦٠/١ في الخطأ الذي وقع فيه . أما عبد الله بن زيد بن مهدي العريقي ، فلم يكن زيدياً وإنما هو شافعي له كتاب المهذب ، يراجع في ترجمة عبد الله ابن زيد العَنْسي : مطلع البدور ، طبقات الزيدية الكبرى ، طبقات الزيدية الصغرى ، أنباء الزمن ، الجامع الوجيز للجنداري ، أئمة اليمن ١٨٩/١ . ويراجع في ترجمة عبد الله بن زيد بن مهدي : السلوك للجندي ،

وطبقات الفقهاء لابن سمرة ٢١٨ ، والعقد الفاخر للخزرجي ، وكذلك العقود اللؤلؤية ١ / ٧١

* عبد الله الغالي ٥/٩١ . ذكر من تصانيفه (المقد المنظوم في أسانيد العلوم) نقلاً من نيل الوطر لزبارة . والصحيح في اسم الكتاب : (العسجد المنظوم في أسانيد العلوم) المرجع : شرح أجود المسلسلات لزبارة ، وعقود الدرر للضمدي .

* عبد الله بن مفتاح ٦ / ١٠٤ . قال : كانت إقامته في غفران نقلاً عن الأعلام . والصحيح غَضْران . وقد سبق أن نبهت عليه في تعقيبي في مجلة العرب على مافي الأعلام من أخطاء .

* عبد الله الحيمي ٦ / ١٠٦ . ذكر أن وفاته سنة ١٢٤٠ ، وذكر أن مصدره نيل الوطر ٢ / ٩٥ ، مع أن مؤلفه يقول في هذا المصدر إن وفاته بعد ١٣٤٠ ، يضاف إلى مراجع ترجمته : البدر الطالع ١ / ٣٩٥ .

* عبد الله بن أبي عقامة ٦ / ١٣٣ . يضاف إلى مراجعه : عمارة اليمني في كتابه المفيد ٢١٠ ، طبقات الشافعية للسبكي ٧ / ١٣٠ .

* عبدالهادي الصنعاني ٦/٢٠٢. اسمه الصحيح : الهادي بن إبراهيم ، ويستدرك عليه ذكر الولادة ٧٥٨ . وقد ذكره باسمه الصحيح مرة أخرى في حرف الهاء : الهادي الوزير ١٣ / ١٢٥ ، ثم ذكر من مؤلفاته (طراز العلمين في فضائل الحرمين المحترمين) . واسمه الصحيح : (كتاب الطرازين المُعْلَمَيْن في فضائل الحرَمَيْن المحَرَّمَيْن) . يضاف إلى مراجعه : البدر الطالع ٢ / ٣١٦ ، الضوء اللامع ١٠ / ٢٠٦ .

* عبد الواسع العَلَفي ٦ / ٢١٥ . هكذا ضبطه بفتح العين واللام ،

والصحيح الملفي بضمها ، ذكر أنه ولد ببـلاد حيدان من أرض خولان ابن عامر .

*عثمان الناشري ٦ / ٢٦٥ . ذكر من مؤلفاته : در الناظم لرواية حفص من رواية عاصم ، والصحيح في اسمه (الدر الناظم في رواية حفص عن عاصم) .

*عز الدين الهادي ٦/٢٨٠ . ذكر من مؤلفاته : شرح المنهاج للقرشي في الأصول ، والصحيح في اسمه (المعراج شرح المنهاج في أصول الدين) ، والعناية التامة في شرح مسائل الإمامة ،والصحيح في الاسم (العناية التامة بتحقيق مسائل الإمامة) ، كنز الرشاد ، واسمه الكامل (كنز الرشاد وزاد المعاد) . يضاف إلى مراجعه : البدر الطالع ٤١٥/١ ، أنباء الزمن ، طبقات الزيدية الكبرى ، مآثر الأبرار ، مطلع البدور .

*عطاء بن أبي رباح ٢٨٣/٦ . قال : ولد في جند باليمن . والصواب : في الجند .

*علي الهمداني ٤٤/٧ . يستدرك عليه تاريخ الولادة ٤٧٤

*علي الصنعاني ٩٦/٧ . ذكر من مؤلفاته : التذكرة في فروع الفقه المالكي . ولا أعرف من أين أتى الأستاذ كحالة بقوله في فروع الفقه المالكي ، مع أن مصدره الوحيد في ترجمة المذكور هو ملحق البدر الطالع (١٦٤) وليس فيه ذلك بتاتاً وعبارته هكذا : التذكرة في الفروع .

*علي الكوكباني ١١١/٧ . من مؤلفاته : درر الأصداف. والاسم الكامل له (درر الأصداف ، المنتقاة من سلك جواهر الاسعاف) .

*عمر بن عاصم ٢٨٧/٧ . عمر بن عاصم بن عيسى اليعلي . والصحيح: التغلبي ، وقد نقل الخطأ من العقود اللؤلؤية المطبوعة .

عمر الفتى ٣١٣/٧ . سماه عمر بن محمد بن عبيد ، والصحيح: ابن مُعَيْبِد.

* عيسى الربعي ٨/١٨ . قال : توفي ببلدة احاطة . والصحيح : أحاظة بالظاء المعجمة .

* عيسى الكوكباني ٨/٣١ . يضاف إلى مراجعه : البدر الطالع ١/٥١٧

* القاسم الجرموزي ٨ / ٩٧ . يضاف إلى ترجمته : تاريخ مولده في الخاء بعد ١٠٨٠

* محمد الحُرضي ٨/١٩٦ . ضبطه الحُرْضي بضم الحاء وسكون الراء . والصحيح : الحَرَضي بفتحها .

* محمد الوزير ٨/٢١٠ . قال : ولد في رجب بهجر الظهراوين من شطب . والصحيح بهجرة الظَهْراوَيْن من شظب . ثم قال : من مؤلفاته : نصر الأعيان على سر العميان . والأصح في الاسم (نصر الأعيان على شر العميان) . ثم ذكر من مؤلفاته : القواصم في الذب عن سنة أبي القاسم . والصحيح فيه: (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) .

* محمد بن المفضل ٨/٢١٩ . ذكر من تصانيفه : الأصول الذهبية في السيرة المتوكلية . والصحيح في اسمها (السلوك الذهبية) .

* محمد مشحم ٨/٢٤٥ . ذكر أنه ولي الخطابة والقضاء في بعض المدن أيام (المنصور الحسن) وابنه المهـــدي العباس . والصحيح في الاسم (المنصور الحسين) .

* محمد اليمني ٨/٢٥١ . (محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن داود) ذكر أنه حنفي ، اعتماداً على ما ذكره البغدادي في هدية العارفين ٢/٢٨٦ وليس كذلك فهو زيدي .

* محمد الأهدل ٨/٢٧٣ . ذكر أن ولادته سنة ١٢٤١ ، والصحيح : سنة ١٢٤٢

* محمد النهرواني ٩/١٧ . والصحيح : النهروالي .

* محمد الصنعاني ٩/ ٢٢ . محمد بن أحمد بن المظفر . ثم ذكره مرة أخرى في ٩/٢٨ باسم محمد بن المظفر وقال : محمد بن أحمد بن يحيى الصنعاني . وذكر أن وفاته سنة ٩٧٠ وهو خطأ . والصحيح : سنة ٩٢٥ ، كما هو مذكور في ترجمته الأولى .

* محمد الكبسي ٩/٦٢ . ذكر من تصانيفه (النبذة اليسيرية في الأخبار والسيرة) . والأصح فيه (النفحات المسكية والإجازات السنية والسيرة المتوكلية) .

* محمد الأشخر ٩/١٠٦ . قال : ولد في قرية بيت الشيخ بقرب الضحى ، بينما يقول الشوكاني في البدر الطالع ٢/١٤٦ وهو من مصادر ترجمة محمد الأشخر : وبنو الأشخر بيت علم وصلاح يسكنون قرية قريب بيت الشيخ قريباً من الضحى وبها قبر صاحب الترجمة .

* محمد الديلمي ٩/١٩٠ . ذكر أنه توفي بوادي (مرو) . والصحيح : وادي (مُرّ) كما في ملحق البدر الطالع ١٩٤

* محمد الشجني ٩/٢٠١ . آثاره الاقتصار في التراجم . والصحيح (التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار) .

* محمد بن التائه ١٠/١٧ . والصحيح في ذلك ابن البانه . ويراجع في ذلك : العقد الفاخر للخزرجي ، والعطايا السنية للملك الأفضل .

* محمد الحبيشي ١٠/١٤٧ . ذكر أن وفاته سنة ٧٨٦ اعتماداً على البغدادي في هدية العارفين وهو خطأ . والصحيح أن وفاته سنة ٧٨٢ كما في تاريخ البريهي ، والعطايا السنية ، والعقد الفاخر .

* محمد الريمي ١٠/٢٠٣ . يستدرك عليه تاريخ الولادة سنة ٧١٠ ويصحح تاريخ الوفاة سنة ٧٩٢ بدلاً من ٧٩١ ،ويراجع إنباء الغمر ٣/٤٨ ،شذرات

الذهب ٦/٣٢٥ ، العقد الفاخر ، تاريخ البريهي ، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ١٧٩

* محمد بن عبد الله ١٠/ ٢١٥ . ثم ذكره مرة أخرى تحت اسم محمد الكوكباني ١٠/٢١٩ والاسمان هما لرجل واحد . والأصح في تاريخ ولادته سنة ٩٣٠ ووفاته سنة ١٠١٦ ، ولم يكن صوفياً .

* محمد الآنسي ١٠/٢٣٠ . ذكر أنه توفي بجهيمة بني الزواد . والصحيح بجميمة بني الذواد .

* محمد السودي ١٠/٣٠٢ . وهو الشهير بعبد الهادي . ثم قال : نسبة إلى سودة شضب . والصحيح في نسبته إلى بني سَوْد من تهامة .

* محمد العيزري ١٠ /٢٢٩ . كرر ترجمته مرة أخرى في ١١ / ١٠٢ بالاسم نفسه .

* محمد المؤيد بالله ١١/١٤٨ . يستدرك عليه ذكر ميلاده سنة ٩٩٠ ، ويضاف إلى مرجعه : البدر الطالع ٢/٢٣٨

* محمد المزجاجي ١١/١٣٩ . أورد نسبه هكذا : (محمد بن محمد بن عبد الله) . والصحيح (محمد بن محمد بن أبي القاسم) يراجع في ذلك : تاريخ البريهي ، طبقات الخواص للشرجي ١٥١ ، الضوء اللامع ٩/١٨٨

* محمد الكاشغري ١١/١٤٩ . ساق من تصانيفه : مختصر أسد الغابة ، واسمه (أعلام الصحابة المختصر من أسد الغابة) .

* محمد المهدي ١٢/٣٧ . يستدرك في ترجمته ذكر سنة ميلاده ، وهي ٦٦٠ وقيل ٦٦٥ ، ذكر من تصانيفه : المنهاج الجلي في فقه زيد بن علي . واسمه الصحيح : المنهاج الجلي شرح مجموع الإمام زيد بن علي ، النكتة في الفرائض واسمها الكامل (النكتة الكافية والبغية الشافية) .

* محمد الدُوَّالي ١٢/٦٧ . والصحيح في النسبة : الذُؤالي بالذال المعجمة .

* محمد بن حنش ١٢/٩٨ . قال إنه الزيدي الهروي ، ولم أدر من أين جاء بالهروي . ذكر من مؤلفاته : (القاطعة في الرد على الباطنية) والاسم الكامل : (الرصاصة القاطعة في الرد على الباطنية) .

* محمد الجندي ١٢ / ١٤١ . ذكر وفاته سنة ٧٣٢ وليس بصحيح ، فالخزرجي المؤرخ يقول في ترجمة الجندي في العقد الفاخر : إن الجندي ساق أخبار الدولة المجاهدية عاماً بعد عام وشهراً بعد شهر إلى أثناء شهر ربيع الآخر سنة ٧٣٠ ولعلها السنة التي مات فيها . ثم ذكره مرة أخرى في ١٣/٣٤٤ باسم والده يوسف الجندي وهو خطأ .

* مسعود اليماني ١٢ / ٢٢٨ . قال : مسعود بن علي بن مسعود الأشرقي الفري ، وقال : الأشرقي نسبة لذي شرق . والصحيح : ذي أشرق . وقال : الفري : موضع باليمن . والصحيح في النسبة : المقري .

* مصطفى بن علي بن نعمان الضمدي ١٢/٢٦٦ كما في خلاصة الأثر . والصحيح في الاسم : مطهر بن علي بن محمد . ويستدرك في الترجمة ذكر الوفاة سنة ١٠٤٨ وقيل ١٠٤٩ ، من المراجع : البدر الطالع ٢/٣١٠ ، وإيضاح المكنون ٢/١٨١ ، هدية العارفين ٢/٤٦٢ ، وقد أعاد ترجمته في الجزء ١٢/ ٢٩٥ باسمه الصحيح .

* المطهر الصعدي ١٢/٢٩٥ وسماه : المطهر بن محمد بن حسين بن محمد ابن يحيى تريل . والأصح : تُرَيْك تصغير ترك ، كما في ملحق البدر الطالع .

* المطهر بن محمد بن سليمان ١٢/٢٩٦ . لم يذكر تاريخ مولده وهو أول المائة التاسعة .

* المطهر بن يحيى ٢٩٦/١٢ . لم يذكر تاريخ ميلاده وهو سنة ٦١٤ المرجع : أئمة اليمن ١٩٥/١

* موسى بن أحمد ٣٥/١٢ . لم يذكر تاريخ ميلاده وهو في ربيع الأول سنة ٥٧٧

* الهادي الصنعاني ١٢٥/١٣ . أسماه : الهادي بن أحمد بن محمد الرباعي . والصحيح في نسبته : الهادي بن أحمد الجلال . وهو أخو الحسن بن أحمد الجلال ، كما هو مذكور في البدر الطالع ٣١٨/٢ وهو من مصادر ترجمته .

* يحيى بن مظفر ١٨٤/١٣ . من آثاره (البيان) واسمه الكامل : (البيان الشافي والدر الصافي المنتزع من البرهان الكافي) في الفقه .

* يحيى المتوكل ١٨٥/١٣ . الصحيح في نسبه : يحيى بن شمس الدين ابن أحمد بن يحيى بن المرتضى ، الملقب بالإمام شرف الدين المتوكل على الله . ذكر أنه توفي سنة ٩٦٧ والصحيح سنة ٩٦٥ ومن المصادر التي أغفلها الأستاذ كحالة : البدر الطالع ٢٧٨/١ . ثم أعاد ترجمته مرة أخرى في الجزء ٢٠٣/١٣

* يحيى الأهدل ٢١٦/١٣ . لم يذكر تاريخ ولادته وهو سنة ١٠٧٣

هذا ماوقع لي ، أحببت نشره حتى يستفيد منه الذين يقتنون نسخة من معجم المؤلفين إلى أن يتم إعادة طبع الكتاب مرة أخرى ، إن شاء الله ، في عهد مؤلفه حفظه الله ، فتضاف تلك الملحوظات إلى مواضعها من الكتاب . والله ولي التوفيق .

صنعاء

إسماعيل بن علي الأكوع

رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب

قاموس عربي - إنكليزي

للغة الفصحى المعاصرة

جمع وترتيب معن زلفو مدينة

ARABIC—ENGLISH DICTIONARY
of the Modern Literary Language, Compiled and Arranged
by Maan Z. Madina Columbia University, Published
by. Pocket Books, U. S. A. , 1974

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

هـذا معجم آخـر يضم ثمانين ألف كلمة في حوالي ثمانمائة صفحة . وليس هـو بالتصنيف الجـديد ، إنما هو طريقة بارعة في نقل معجم فـير Wehr العربي الإنكليزي بتغيير حجمه وتحويره هنا وهناك لتلافي مشكلات حقوق الطبـع ، وتقديم المعجم القديم بسعر مخفض بعد أن ارتفع سعـر الأصل المنقول عنه إلى نحو أربعـة عشر جنيهاً استرلينياً ، في حين أن الشكل الأميركي الجـديد الذي أخرجه معن زلفو مدينة الأستاذ المساعد بجامعة كولومبيا لايتجاوز الجنيه والربـع . والذي جرأه على هذا قول الدكتور بييركاكيا المقدم للطبعة الجديدة : « إن كل صانع معجم يقف على كتفي أسلافه ، ومن موقعه الممتاز هذا يستعرض الأفق المترامي الأطراف المتسع

لخدمة حاجة خاصة وغرض خاص ، والأستاذ البروفسور مدينة ليس ببدع في هـذا »[١] .

ولقد سبق لكاكيا نفسه أن وقف على كتفي « رايت » و « هاول » وجاءنا بـ « معجم في مصطلحات النحو العربي »[٢] فما نقع غلةً ولا شفى غليلاً ، فلننعم النظر لنرى ما إذا كان صاحبه الأستاذ معن أوفـــرَ حظاً وأكثر توفيقاً بعد أن وقف على كتفي العملاق الألماني « فير » الذي وضع معجمه الموسوم بـ Arabisches Wörterbuch für die Schriftsprache der Gegenwart « معجم للغة العربية الحديثة المدوّنة»[٣] سنة ١٩٥٢ .

وقبل أن نخوض في الرد على مثل هذا السؤال علينا أن نستعرض معجم فير ونبيّن خصائصه الأساسية ليتبين لنا وجه المفاضلة فيما بعد ، لأنه ذو ارتباط وثيق بمعجم « مدينة » .

إن هذا المعجم المترجم عن الألمانية أكثر دقة من الأصـل الألماني وأشمل من ذلك ، لأن الأخير أصدر في ظروف الحرب العالمية الثانيـة والفترة المضطربة التي أعقبتها .

---

(١) مستهل الصفحة الأولى من مقدمة بيير كاكيا ، تموز (يوليه) ١٩٧٣

(٢) راجعناه في « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » انظر الجزء الثالث المجلد التاسع والأربعين (تموز ١٩٧٤) ص ٦٦٢ — ٦٧٧

(٣) وقد قام بتصنيف « المعجم العربي ـ الألماني » بالانكليزية ملتن كاون J. Milton Cowan في نيـويورك سنة ١٩٦٠ وجاءت الترجمـة في ١١١٠ صفحات بعـد الزيادة والتنقيح اللذين أدخلا على نسخة هانز فير Hans Wehr فضلاً عن التكملة التي نشرها المؤلف الألماني بعد ظهور معجمه ، وقـد حظيت الترجمـــة بالتشجيع والتمويل السخي من لدن المجلس الأميركي للجمعيات العلمية .

ويضـم معجم « فير » فضلاً عن المفردات ، العبارات ذات المعنى الاصطلاحي في العربية المعاصرة التي تمتد من البصرة إلى الدار البيضاء ، وخلافاً لكانتا رينو الذي يرتئي الاعتماد على الكتب الأدبية الحديثة حسب[1] فإن « فير » يعتمد على الصحف والمجلات وحتى الرسائل الشخصية ، فضلاً عن الكتب المعاصرة ، وهو يشير إلى هذه اللغة بأنها اللغة المتداولة في الإذاعة والتلفزيون ، والاحتفالات الرسمية وقاعات المحاضرات منذ انتقالها من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين .

ولكننا نعتقد أن الفترة الزمنية التي يتصورها « فير » هي أطول من ذلك .

وعلى رأي المصنف أن هناك قوتين متضادتين أثرتا على تطور المعاجم العربية الحديثة هما : حركة إصلاحية بدأت في أواخر القرن الماضي في سوريا ولبنان تزعم أن العربية الجاهلية أفضل من العربية التي ظهرت في العصور التي تلتها ، وحركة أخرى متأثرة بالثقافة الغربية تدعو إلى تطـوير العربية تحت تأثير اللغات الأجنبية واللغة المتعارف عليها اليوم .

وقد صنف المعجـم على أسس علمية وصفية وعلى ماوجـد في المدونات الحديثة ، لا على ماينبغي أن يكون .

ولكن الغريب أن الرجل الذي برع في اللغات الثلاث : الألمانيـة والانكليزية والعربية وهو « كارل شتوفاسر Karl Stowasser » وأنجز ترجمة المعجم في ظرف أربع سنوات لم يوضع اسمه على غلاف المعجم ، إنما اكتفي بشكره في مضامين المقدمة[2] .

---

(١) انظر كتابه « نحو النثر العربي الحديث Syntax of Modern Arabic Prose » ، وقد راجعناه لمجلة مجمـع اللغة العربية بدمشق ، انظر الجزء الثالث من المجلد الخمسين (تموز ٧٥) ص ٦٦٢ - ٦٧٣

(٢) انظر أسفل الصفحة ١٢ من المقدمة .

ويفوتني أن أفهم – مع الأسف – إدراك قصد المصنف حين يقول : « ومع أن المعجم قائم في أساسه على ماهو متداول في الأقطار المحاذية لشرقي البحر الأبيض المتوسط فإن التعابير الرسمية والإدارية قد أدرجت الأقطار العربية كافة »[1] فما المقصود بشرقي البحر الأبيض المتوسط : سوريا ولبنان وفلسطين ومصر ؟ إذا كان ذلك كذلك فهو واهم ، لأن عنوان الكتاب يدحض دعواه ، فهو معجم للغة الكتابة ، لا لغة الحديث ، ليزعم وجود لهجات وإمالات متباينة ، فالمعجم ، كما هو مفهوم واضح ، مستقىً من لغة العرب من الخليج إلى المحيط .

وقد ساعفتني الظروف لأن أقابل بين الأصل العربي – الألماني والنسخة العربية الإنكليزية فوجدت في الأخيرة زيادة ١٢٤ صفحة مع إضافات كثيرة من حيث (المداخل) و (المصطلحات) ، على أن بعضها غير ذي جدوى ، فهو مثلاً في النسخة الانكليزية[2] يضيف مادة (آبار) غير الموجودة في الألمانية ليقول : (بئر see) « انظر لفظة بئر » ، وهو مخالف لقاعدة مراعاة الترتيب الأبجدي في المعجم ، إذ الأصل الاكتفاء بالألفاظ المفردة دون جموعها ، فالجمع وجمع الجمع يذكران في سياق شرح المفردات ، لا لكلمات رئيسة في المعجم .

والمشكلة التي يزعم « فير » أنها قد جابهته هي المصطلحات العلمية والفنية الحديثة التي أخذت تتراكم في المعجمات الأوربية وليس ثمَّ مايقابلها في العربية على وجه التحديد والضبط .

---

(١) ص ٨ من المقدمة .
(٢) ص ١ س ٤ (من الأسفل) .

أعتقد أن المجامع العربية لم تألُ جهداً في هذا المضمار وأن مراجعة، ماتوصل إليه مجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق وبغداد يخرج المصنف المعجمي من حيرته .

ولا يجد « فير » صعوبة في استيعاب لغة الصحافة العربية الحديثة ومعالجة مفرداتها لأنها تكاد تكون ترجمة حرفية للصحافة الغربية ، ومفرداتها محدودة ، ولا تتزايد بنفس السرعة كالتعابير والمصطلحات الفنية الحديثة التي لم يتم الاتفاق التام عليها بعد حسب رأيه . غير أنني لا أوافقه على دعواه في أن هناك مُدْرَكاتٍ وأفكاراً غربيـة جديدة تعجز العربية عن إيجاد مايقابلها ، فهل راجع أمهات المصادر العربية من لغوية وغير لغوية ، فضلاً عن المعجمات ؟ إن العجز ليس في اللغة بل في أبنائها الذين لم يستطيعوا حتى الآن أن يلموا بكل مافيها من كنوز ، ذلك لأن نهضتهم جاءت متأخرة وهم بحاجة إلى المزيد من الوقت للإلمام بكل تشعباتها وأطرافها .

و« فير » غير مقتنع بجهود المجامع اللغوية العربية ، فحجته أن مجرد وضع ألفاظ تقابل مصطلحات الحضارة الغربية لايضمن قبولها من لدن الجمهور العربي وتداولها ، وفي الوقت ذاته لايقدم بديلاً لهذه الطريقة التي هي الوحيدة الناجعة في الوقت الحاضر ، وقد نجحت في إدخال مفردات عديدة في معجماتنا بينها السيارة والطيارة والقاطرة والهاتف والمذياع ... أما التي استنبطت حديثاً فتحتاج إلى وقت لتصبح مألوفة متداولة.

ولعدم قناعة « فير » بجدوى ما استنبطته المجامع العربية فقد أعرض عن درجها في معجمه ، واكتفى بما تردد في الكتب المقروءة التي اتخذها مصادر لجمع مفرداته .

وقد وضع رمزاً للحالات التي يشك في سيرورتها في البلاد العربية جميعاً،

و « فير » في حيرة من أمره إزاء العرب المعاصرين فهم لايفتأون ، حتى في لغتهم الحديثة ، يرجعون الفينة بعد الأخرى ، إلى لغتهم الكلاسيكية فيقتبسون منها ويحشرونها في لغتهم الحديثة ، ومن العجيب بالنسبة لـ « فير » أن مثل هذا الأمر قد يحدث وسط مقالة صحفية عابرة ، ولا سيما في المقالات التي تهدف إلى التأثير الانطباعي أكثر من الإعلام الإخباري .

إن هذا اعتراف صريح بعـــدم جدوى تقسيم العربية إلى قديمة ووسيطة وحديثة ومعاصرة ، فهذه اللغة السماوية وحدة لا تتجزأ ولن تتجزأ ، ولا يمكن الركون إلى جزء منها دون جزء ، وقد آن الأوان للمستشرقين أن يطوروا معجماتهم في ضوء هذه الحقيقة .

أنا لا أرى ضيراً في أن ينشر معجمٌ كلَّ عامٍ للألفاظ الرائجة المتداولة وما جدّ فيها من جديد بطـريق الاقتباس والتعريب والنحت ، ولقد حاول الأستاذ « مدينة » القيام بمثل هـــذه المهمة بعد أن صعد على كتفي « فير » وغيره من المعجميين الذين سبقوه ، فالرجل يعترف في مقدمة معجمه بأنه اعتمد ، فيما يتعلق بالتعابير العصرية ، على الطبعة التاسعة من من القاموس العربي – الإنكليزي لالياس أنطوان الياس (١٩٦٢) وفيما يتعلق بتعابير القرن التاسع عشر ، على جَي° جي° هافا (والصواب « حاوى » فالرجل عراقي الأصـــل من الموصل وأسـرة « حاوى » معروفة فيها) J. G. Hava: Arabic - English Dictionary (١٩٥١) وعلى معجمات عربية ومصادر لغوية كلاسيكية وموسوعات ، للتأكد من بعض التفـاصيل وعلى إحصائيات رواج بعض الألفاظ دون بعض للإبقاء عليهـا وشطب ماعداها . واستشير عـدد من الطلاب فيما يحتاجون إليه من ألفاظ وما لايحتاجون . وكان بدء عمله بإشارة من الأستاذ شارل عيساوى سنة ١٩٥٩ وبمساعدة العديد من طلابه في جامعة كولومبيا بنيويورك .

وقد اتبع الأستاذ « مدينة » في ترتيب الألفاظ ماهو متبع عادة في المعجمات الأوربية مع إجراء بعض التحويرات الضرورية ، وبما أنه قد أدمج طريقة الاستعانة بالأصل الثلاثي أو ما يعبر عنه الأوربيون بالجذر الأساسي مشفوعاً بالطريقة الأبجدية فقد يسر الرجوع إلى المعجمات التقليدية في حالة الاشتباه ومحاولة التيقن من دقة المعنى مما يحتم على مستعمل المعجم أن يكون ملماً بقواعد اللغة العربية ، واهتم كذلك بحركة عين المضارع وهي من أصعب الأمور للأجانب فأشار إليها في حالة الضم بالحرف (u) وفي الفتح بـ (a) وفي الكسر بـ (i) . ومع أنه يزعم بأن المعجم للغة العصرية وحاول جاهداً التخلص من الألفاظ القديمة التي أوردها (فير) في معجمه ، فإنه يفعل أحياناً الشيء ذاته فيورد ألفاظاً من نحو (دَعْثَرَ to waste) « ص ٢١٧ العمود الأيمن »[1] و(ديجوج .Pl دياجيج dark, darkness, gloom ص ٢٠٩ « أسفل العمود الأيمن »[1] . وأورد ألفاظاً أعجمية من أسماء الأعلام بالرسم العربي واللاتيني مما لاضرورة له إطلاقاً في معجم موجز صغير نسبياً ، فأي جدوى من إيراد (اكتوبر October) و (اكسترا extra) و (إكسبريس express train) (ص ١٨) وأنا أشك فيما إذا كان بين العرب من يستعمل اللفظة الثانية أو حتى الثالثة في كتاباته ، فنحن نستعمل « إضافي » بدلاً من « اكسترا » و « القطار السريع » بدلاً من الاكسبريس ، باستثناء قلة من المتحذلقة غير الجادة في كلامها . ومن هذا الطراز أيضاً « نيكل ، ونيكوتين nicotine » (ص ٧٠٢ العمود الأيسر) ، وشأنه في ذلك كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء .

(١) غير موجودة عند « فير » .

وكنا نوّد أن يُنزه المعجم من الكلمات البذيئة ولكن مؤلفه أبى إلا أن يحشرها متفصلّاً فيها بإعطاء أصلها الثلاثي وصيغتها الماضية والمضارعة وما يلزم لها من ضمائر ، بل وجعل بعضها عنواناً لبعض صفحاته (انظر مثلاً أعلى الصفحة ٧٠٢) فهو مما يندى له جبين الطلاب الذين يستعملونه خجلاً .

وينحط إلى درك العامية المقتبسة من التركية(١) فيضع لفظة « بُويه » لكلمة paint (٢) .

على أن من محاسن معجم « مدينة » المقتبسة من « فير » استعمالَ نظام الأرقام الرومانية المزيدات من الأفعال للرجوع إليها عند الضرورة ، وهي مهمة بالنسبة للطلبة الأوربيين الذين يدرسون المجرد والمزيد حسب أرقام متسلسلة يحفظونها عن ظهر غيب ، وهو مع ذلك لاينسى أن المعجم للعرب والأوربيين معاً ، فيضع الصيغة الفعلية كما يفهمها العرب إلى جنب الرقم الروماني الذي اعتاد عليه المستشرقون ومن درس على يدهم . فيضع مثلاً في مادة (ختم) ص ١٨٣ الرقم الروماني VIII الذي يفهمه الأوربيون وإلى جنبه الصيغة « اختتم » التي يفهمها العرب ، ويفسرها بقوله: « to conclude, finish » مشفوعاً بالحرف « ه » بمعنى أن الفعل متعدٍ ، فإذا كان المفعول غير عاقل وضع الهاء الاستهلالية (ه) أما إذا كان عاقلاً وضع الهاء المستقلة (ه) .

وإذا كانت اللفظة أعجمية وضع لها رسماً لاتينياً إلى جنب الرسم العربي من نحو « Burtugāl Portugal بُورْتُوغـال » (ص ٧٩ منتصف العمود الأيسر) ولا ندري من أين جاء بهذا الرسم العربي غير المألوف ، فالمعروف

(١) Redhouse : Turkish - English Lexicon, p. 412 top .

(٢) مدينة : ص ٨١ (أسفلها) .

عند العرب أن « البرتغال » رسمها الصحيح بإسقاط الواوين اللتين أضافها الأستاذ « مدينة » عنوة وإقحاماً من دون داعٍ . ثم كيف ساغ له أن يستهل الرسم اللاتيني بدون حرف التاج « B » مادام الاسم من الأعلام الجغرافية ؛ ويفعل الشيء ذاته مع « بومباي » (ص ٧٣) فيرسمها « بُمباي » على نحو مايحلوله، ويستهل رسمها اللاتيني بحرف اعتيادي غير حرف التاج المتوقع .

ويضع الكلمات المتشابهة اللفظ المختلفة المعنى Homonymous Words مستقلة بعضها عن البعض الآخر ، مع وضع رقم مرفوع بعض الشيء قبلها .

ورغم ما في المعجم من نواقص وهنات فإنه باعتقادي من أفضل المعجمات العربية الانكليزية التي ظهرت حتى الآن ، وقد ضم من المزايا والفوائد ما يندر وجوده في معجم بمثل حجمه .

اكسفورد :

د. صفاء خلوصي
الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

آراء وأنبـاء

تقـــرير

عن مؤتمر مجمع اللغة العربية

في دورته الثانية والأربعين

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الثانية والأربعين ، في المدة الواقعة بين تاريـخ ٢٣ صفر سنة ١٣٩٦ هـ ، الموافق ٢٣ شباط ١٩٧٦ م ، وتاريخ ٧ ربيـع الأول ١٣٩٦ هـ ، الموافق ٨ آذار ١٩٧٦ م . وعقد خلالها تسع جلسات علمية بالإضافة إلى جلستي الافتتاح والختام وفيما يلي موجز لأهم ما عرض على المؤتمر وما انتهى إليه .

أولاً : جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتـاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين الثالث والعشرين من صفر سنة ١٣٩٦هـ الموافق ٢٣ شباط سنة ١٩٧٦ م ، واستمـع المؤتمرون والمدعوون إلى هذه الجلسة من رجال الفكر والأدب إلى كلمات كل من : وزير الثقـافة بالنيابة ، ورئيس المجمع الدكتور إبراهيم مدكور . والأمين العام الأستاذ

عبد الحميـد حسن ، وعضو المجمع من الأردن الدكتور ناصر الدين الأسد ممثلاً لأعضاء المجمع الوافدين من الأقطار العربية .

وختمت الجلسة على أن تعقد جلسات المؤتمر العلميـة في مبنى المجمع نفسه .

ثانياً : المصطلحات العلمية

درس المؤتمر وناقش خلال جلساته الطويلة المصطلحـات العلمية التي رفعت إليه من قبل اللجان المختصة عن طريق مجلس المجمع في القاهرة ، وقد أقر المؤتمر بالإجماع حيناً وبالأكثرية حيناً ، أكثرها كما عـدل بعضاً منها وأعاد بعضاً آخر لاستيفاء دراسته .

وفيما يلي عدد المصطلحـــات التي أقرها المؤتمر في كل من العلوم والفنون المختلفة :

أ – ١٦٠ مصطلح في الفيزياء (الفيزيقا) النووية .
ب – ٤٣ مصطلحاً من ألفاظ الحضارة .
جـ – ١٥٥ مصطلح في علم النبات .
د – ٩٥ مصطلحاً في التاريخ الحديث .
هـ – ١٣٧ مصطلح في علم الجغرافية .
و – ١٠٨ مصطلح في جيولوجية النفط .
ز – ١٤٦ مصطلح في علوم الجيولوجية .
ح – ٩٥ مصطلحاً في علمي الكيمياء والصيدلة .
ط – ٤٣ مصطلحاً في كيمياء النفط .
ي – ١٣٥ مصطلح في علم الماهيات (الهيدرولوجيا) .
ك – ١٠٣ مصطلح في علم طب الأسنان .

ثالثاً : البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون إلى البحوث والدراسات اللغوية والعلمية والأدبية والتاريخية ، التي ألقاها أعضاء المؤتمر وناقشوها وعلّقوا عليها مقرين نشر أكثرها ، ومحيلين بعضاً منها على اللجان المختصة لإبداء الرأي فيها . والبحوث التي استمع المؤتمرون إليها هي :

١ — علمٌ من بيت المقدس : بحث تاريخي ألقاه الدكتور إسحاق موسى الحسيني عضو المجمع من فلسطين وصف فيه مخطوطة لحسن الحسيني ترجم فيها لبعض أعيان القدس في القرن الثاني عشر للهجرة .

٢ — أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي : بحث أدبي ألقاه الأستاذ محمد الفاسي عضو المجمع من المغرب وصف فيه مخطوطة عن رحلة تمت من فاس إلى مكة في القرن الثاني عشر للهجرة . وأهميتها تكمن في أن المؤلف كان عمدة الشيخ مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس .

٣ — شعر المديح النبوي : بحث أدبي ألقاه الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان عرض فيه تاريخ المديح النبوي من خلال وصفه لديوان مخطوط للشاعر عبد الرحيم البرعي .

٤ — العمل فيما له روايتان من الشواهد : بحث لغوي ألقاه الأستاذ سعيد الأفغاني عضو المجمع المراسل من سورية ، وأعقب البحث مناقشات حادة بين الأعضاء وقد اختلف بعضهم مع الباحث في أمور عرض لها واتفق معه أكثرهم شاكرين له جهده ونبيل غاياته .

٥ — المفاهيم الاصطلاحية لكلمات : المعرب والدخيل والمحدث والمولد : بحث لغوي ألقاه الأستاذ محمد شوقي أمين عضو المجمع من مصر

وجرى بعد إلقاء البحث حوار بين الأعضاء حول الخلاف على بعض المفاهيم انتهى بإحالة البحث على لجنة الأصول للنظر فيه .

٦ — مقترحات من أجـل قاموس فلسفي جديد : بحث فكري فلسفي ألقاه الدكتور محمد عزيز الحبابي عضو المجمـع المراسل من المغرب ، وقد علّق كثير من أعضاء المؤتمر على البحث وعارضه بعضهم .

٧ — أثر اللغة العربية في اللغـة الأردية : بحث لغوي مقارن ألقاه الدكتور حسين علي محفوظ عضو المجمع المراسل من العراق .

٨ — الزيادة في القرآن الكريم : بحث لغوي تاريخي ألقاه الأستاذ علي النجدي ناصف عضو المجمع من مصر .

٩ — مزاعم بناء اللغة على التوهم : بحث لغوي ألقاه الأستاذ محمد بهجة الأثري عضو المجمع من العراق ، وقد أثار البحث حواراً لغوياً مفيداً اشترك فيه أعضاء كثر .

١٠ — نظرية قُدامة بن جعفر في طبيعة الشعر : مصدرها ومدى صحتها : بحث أدبي ممتع ألقاه الأستاذ إبراهيم عبـد المجيد اللبان عضو المجمع من مصر .

١١ — الشعر الحر ومكانه في الشعر العربي : بحث أدبي قيم ألقاه الدكتور عبد الرزاق محيي الدين عضو المجمع من العراق .

١٢ — أعراب وبادية : بحث لغوي أدبي ألقاه الدكتور ناصر الدين الأسد عضو المجمع من الأردن .

١٣ — الفصح بين اللغة والتاريخ : بحث لغوي ألقاه الأستـاذ عبد السلام هارون عضو المجمع من مصر .

رابعاً : المعجم الكبير

قدم للمؤتمر ما انتهى إليه مجلس المجمع من مواد المعجم الكبير تشتمل على مواده بدءاً من أول حرف التاء والميم وما يثلثهما حتى آخر الثاء والباء وما يثلثهما وقد أبدى كثير من الأعضاء رغبتهم في إبداء ملاحظاتهم كتابة مما حمل المؤتمرين على إقرار تأجيل النظر في مواد المعجم الكبير إلى دورة قادمة .

خامساً : أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب المحالة على المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة ، ودار بينهم نقاش شديد حول بعضها ، فمنها ما قبل ومنها ما رفض أو أعيد إلى مصدره لإعادة البحث فيه مجدداً .

وفيما يلي عرض موجز لما طرح على المؤتمر وما انتهى إليه :

أ — الألفاظ

١ — تصويب كلمة « **نوايا** »

كان مجلس المجمع وافق على قرار يتضمن : « تقبل كلمة « النوايا » في معنى النيات ، حملا لها على نظيرة لها بمعناها وهي « الطوايا » ، أو باعتبارها جمعاً لنية حملا على نظائر من الكلمات جمعت فيها فعلة على « فعائل » . وذلك على دراسة قرار لجنة الألفاظ والأساليب وقد جاء فيه : « شاع في الاستعمال المعاصر لفظ « النوايا » جمعاً لنية ، على خلاف ما يسمح به الظاهر من القواعد الصرفية في جمع النية وهو أن يكون على نيات .

وقد درست اللجنة هذا اللفظ وانتهت إلى إجازته على أحد الأسس الآتية :

الأول : شاعت قديماً وحديثاً كلمة « الطوايا » جمعاً لطوية التي

ترتبط بكلمة النيـة في الدلالة ، وقد أدى هذا الارتباط الدلالي إلى أن النوايا في جمع نية حملًا لها على صيغة طوايا في جمع طوية .

الثاني : أن السماع هو الأساس الغالب في جمـع التكسير ، وعلى هذا تكون « النية » في جمعها على « نوايا » مثل كلمات أخرى كثيرة جمعت على فصائل ، ومن ذلك : الجزة ، والجنة ، والكنة ، والضرة ، والحوة . . . الخ .

الثالث : أن يكون استعمال اللفظ جاء من طريق الاشتقاق بأن يصـــاغ من « نوى » اسم مفعول تلحقه التاء ، ثم يحول إلى فعيلة ، فتخلص لنا « نوية » بمعنى منوية والجمع نوايا ، والمحققون على صحة هذا الجمع ، مع أن فعيلة هنا بمعنى مفعول .

ولهذا كله ترى اللجنة إجازة النوايا في جمع نيـة وترجو إضافته إلى معجمنا العربي الحديث » .

وجرى نقاش طويل حول قرار المجلس بين مؤيد له ورافض ،وبعد استعراض حجج كل فريق ، أعلن الأستاذ محمد بهجة الأثري عدم موافقته على القرار كما ورد إلا إذا كان تعليله حمل الكلمة على أنها جمع نوية ، وتمت بهذا الموافقة على القرار بالإجماع .

٢ - إجازة كلمة « **الجدولة** »

كان مجلس المجمع وافق على قرار يتضمن : « تجاز كلمة الجدولة ، أخذاً بجواز الاشتقاق من أسماء الأعيـان ، ويستبقى الحرف الزائد وهو الواو من الاشتقاق أخذاً بتوهم أصـالة الزيادة في الحرف » ، وذلك بعد دراسة قرار لجنة الألفاظ والأساليب وقد جاء فيه : « يشيع في الاستعمال

المعاصر لفظ الجدولة في معنى عرض التفاصيل لموضوع ما وفق نظام معين في جدول . وقد درست اللجنة هذا اللفظ ثم انتهت إلى إجازته ، بدليلين:

الأول : أنه مأخوذ من الجدول اتباعاً لمبــدأ الاشتقاق من أسماء الأعيان الذي أخذ به المجمع من قبل .

الثاني : أنه جاء على أساس الأخذ بمبدأ توهم أصالة الحرف الذى سبق للمجمع إقراره . وعلى هذا تكون الواو في الجدول أصليـة والفعل منها « جدوَل يجدوِل » . هذا إلى أن الفعل (جدول) قد جاء في عبارات لبعض المتأخرين من علماء النحو كالأشموني والصبان » .

وبعد نقاش حول قرار المجلس ولفظة التوهم الواردة فيه أجمع المؤتمرون على إجازة القرار بعد تعديله على الصيغة التالية : « تجاز كلمة الجدولة ، أخذاً بجواز الاشتقاق من أسماء الأعيان ، ويستبقى الحرف الزائد . وهو الواو في الاشتقاق أخذاً بجواز اعتبار الزيادة أصلية » .

٣ ــ إجازة كلمة « المنهجة »

كان مجلس المجمع وافق على قرار لجنة الألفاظ والأساليب المتضمن : « يقال منهج الباحث بحثه : رسم له طريقاً معينة . ولفظ الفعل هنا يوحي بأنه رباعي على « فعلل » ، ويقتضي ذلك أن تكون الميم أصلية .

ولكن المادة اللغوية لهذه الكلمة هي « نهج » فهي ثلاثية والميم زائدة . وقد توقف بعض اللغويين في قبول الفعل منهَجَ على أساس أنه غير جار على قواعد التصريف .

وقد درست اللجنة هذا الفعل ومصدره (المنهجة) وانتهت إلى أن استعمالها جائز على مبدأ توهم أصالة الحرف تطبيقاً لما سبق للمجمع إقراره من قبول ما يشيع من الكلمات على هذا النحو مثل تمذهب وتمركز » .

وقد جرى جدال حول (الميم) في الكلمة وإمكان الاستغناء عنها والقول بنهج المشددة أقر المؤتمرون في ضوء الموافقة السابقة على إجازة كلمة « المنهجة » .

٤ – إجازة كلمة « البرمجة »

كان مجلس المجمع أحال إلى المؤتمر مع الموافقة قرار لجنة الألفاظ والأساليب المتضمن « يشيع في الاستعمال الحديث كلمة البرمجة مراداً بها جعل الموضوعات في خطة .

وترى اللجنة جواز استعمال هذه الكلمة في معناها المصدري الذي تستعمل فيه ، طوعاً لقرار المجمع الذي يجيز الاشتقاق من أسماء الأعيان عند الحاجة » .

وبعد المناقشة قبل المؤتمرون إجازة الكلمة في ضوء البحوث التي دارت حول الكلمتين السابقتين .

٥ – إجازة كلمتي « **الإرفاق والموفقات** »

كان مجلس المجمع أحال إلى المؤتمر مع الموافقة قرار لجنة الألفاظ المتضمن « شاع في هذه الأيام قول بعض الكتاب : ومع كتابي هذا كل المرفقات . وترون أن المذكرات مرفقة بكتابي هذا . . أو مع كتابي هذا » .

والملاحظ على هذين الاستعمالين أن اللفظ (مرفق) مشترك بينهما ، وهو في صورة اسم المفعول من فعل (أرفق) .

غير أنه بالبحث في المعاجم لم نجد ذكراً لأرفق بهذا المعنى ، على حين وجدنا أن في قوله تعالى : « وحسن أولئك رفيقاً » وصفاً الرفاقة بمعني المصاحبة .

وفي المعاجم القديمة : رفاقة بمعنى مصاحبة ، وفيها أيضاً : رافقه بمعنى صاحبه ، وترافقا بمعنى تصاحبا .

وهذه النصوص تجعلنا نفترض فعلاً من هذه المادة على وزن أفعل ، وهو (أرفق) بمعنى صاحب وعلى أساس هذا الفرض يمكن إعمال قرار المجمع القائل بقياسية تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة ، فنقول حينئذٍ : أرفق بمعنى جعله رفيقاً أي مصاحباً .. ومن (أرفق) نشتق المرفق والإرفاق والمرفقات . وربما يستأنس لذلك بورود هذا الفعل : رفق صار رفيقاً في كل من أقرب الموارد والوسيط .

ولهذا كله ترى اللجنة جواز التعبيرات المتقدمة في المعنى الذي يستعملها المعاصرون فيه » .

وقد جرى نقاش بين بعض المؤتمرين حول القرار وكان من رأي الأستاذ محمد بهجت الأثري أن اللفظ الشائع سقط منه حرف فقد أرادوا (المرافق) فأسقطوا الألف فإذا لجيء إلى الأصل (المرافق) أو (المرافقة) استغني عن التكلف وإقرار الخطأ الشائع .

واعترض الأستاذ عباس حسن على الافتراض الوارد في قرار اللجنة ثم بناء أشياء لاحقيقة لها على الافتراض .

وبسط الأستاذ محمد شوقي أمين الموضوع بالقبول بأن الفعل اللازم يعدّى بالهمزة قياساً ونريد أن نجيز القول : أرفق الشيء : أي جعله مصاحباً .

وبعد عرض الموضوع على التصويت أجيز قرار اللجنة بالأكثرية بعد تعديل التعليل الوارد فيه باستبدال جملة (تسمح لنا بإجازة تكملة هذه المادة بوزن أفعل . .) بجملة (تجعلنا نفترض فعلاً من هذه المادة على وزن أفعل) .

٦ – إجازة كلمة « **المواصفات** »

كان مجلس المجمع أحال على المؤتمر مع الموافقة قرار لجنـة الألفاظ والأساليب المتضمن : « مما يشيع في مصطلحات التجارة والصناعة قولهم : « المواصفات » بمعنى بيان الصفات التي يجب توافرها في الشـيء المطلوب الحصول عليه . والباحثون في المعجمات يفتقدون هذه الصيغة وما تدل عليه في استعمال المعاصرين لها .

درست اللجنة هذا وانتهت إلى أمرين :

الأول : أن اشتقاق صيغة « المواصفة » من مسموع اللغة في عصر الرواية والاستشهاد .

الثاني : أن دلالة « المواصفة » على معنى صفة الشيء دلالة جرى بها الاستعمال في فصيـح العربية الخالص .

ولهذا ترى اللجنة إجازة استعمال « المواصفات » في معناهـا الذي يستعملها المعاصرون فيه » .

ووافق المؤتمرون بعد سماع تقرير الأستـاذ محمد شوقي أمين على إجازة الكلمة .

٧ – إجازة كلمة « **التوصيف** »

كان مجلس المجمع أحال مع الموافقة إلى المؤتمر قرار لجنـة الألفاظ والأساليب المتضمن : « مما يشيـع في استعمال المعاصرين قولهم : « التوصيف » بمعنى تصنيف الأشياء وبيان أنواعها أو صفاتهـــا . وهو استعمال لم تثبته معجمات اللغة في القديم أو الحديث .

وقد درست اللجنة هـذا وانتهت إلى أن التضعيف فيه مقصود به

التفصيل الدقيق (الكثير) . ولهذا ترى أنه لا مانع من استعمال «التوصيف» بمعناه العصري الذي يستعمل فيه .

وقد وافق المؤتمرون على هذا القرار .

ب : الأساليب

١ – إجازة : فصلت هذا أول أمس

سافر الوفد أمس الأول

كان مجلس المجمع أحال على المؤتمر مع الموافقة قرار لجنة الألفاظ والأساليب المتضمن :

« يخطّىء بعض النقاد ما تجرى به أقلام المعاصرين من قولهم : أول أمس وأمس الأول في التعبير عن اليوم الذي قبل أمس ، على أساس أن المأثور عن العرب في مثل ذلك أن يقال : أول من أمس .

درست اللجنة هذا وانتهت إلى : أن التعبيرين صحيحان إستناداً إلى أمرين :

الأمر الأول : شيوع الدلالة وكثرة استعمالها في اللغة المعاصرة للتعبير عن اليوم السابق لأمس .

الأمر الثاني : دراسة مدلول (أول) ومدلول (أمس) .

وقد وجدت اللجنة أن (أول) قد وردت في الاستعمالات الصحيحة بمعنى سابق ، وعلى ذلك يكون تخريج قولهم (أول أمس) مبنياً على تفسيره بسابق أمس ، على حذف موصوف أي يوم سابق أمس ، وبذلك يصح التعبير من الناحية اللغوية .

كما وجدت اللجنة أن كلمة أمس – مع كثرة استعمالها محدودة

باليوم السابق علماً عليه — وقد ورد في نصوص اللغويين الثقات ما يجيز استعمالها على وجه المجاز دالةً عليه وعلى سابقه أيضاً ، كما هو صريح نص صاحب المصباح ، وكما يستنتج من حوار سيبويه مع الخليل في تخريج قول العرب : لقيته أمس الأحدث بوصف أمس بالأحـــدث . ووصفه بالأحدث يدل على جواز وصفه بالأقدم وبالأول أيضاً ، وهو ما أريد الوصول إليه من إجازة وصف أمس بالأول ، ليدل على اليوم السابق لأمس ، إذ معنى الأول هنا هو السابق وقد سبقت الإشارة إلى أن (أول) تأتي بمعنى السابق .

لهذا ترى اللجنة إجازة استعمال هذين التعبيرين بمدلولهما المعاصر ، وهو اليوم الذي يسبق اليوم السابق .

وقد وافق المؤتمرون على إجازة هذا الأسلوب بعد سماع شرح للمذكرات المرافقة للقرار .

٢ — إجازة : حضـــر ما يقرب من عشرين — وتخلف ما يزيد على أربعين .

كان قرار لجنة الألفاظ والأساليب المحال على المؤتمر من قبل مجلس المجمع يتضمن :

« يشيع هذا الأسلوب في كتابات المعاصرين ، وهو ما يعترض عليه بأن (ما) فيهما للعاقل على حين أن الشائع في استعمال (ما) أن تكون لغير العاقل .

وقد درست اللجنة هذا ، وانتهت إلى قبول الأسلوب بالأدلة الآتية :

الأول : أن النحاة يجيزون استعمال (ما) للعاقل على سبيل الندرة .

الثاني : (وهو أفضل الوجهين في رأي اللجنة) أن (ما) في التعبيرين نكرة موصوفة معناها — وهنا (عدد) ، ويكون المعنى حينئذٍ : حضر عدد يقرب من كذا أو يزيد عليه . ومثله ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى : « ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من قرنٍ مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم » إذ يرى جمهور المفسرين أن (ما) في الآية نكرة موصوفة ، أي مكناهم تمكيناً لم نمكنه لكم .

الثالث : أن تكون (ما) موصولة صفة لغير عاقل ، والتقدير : حضر العدد الذي يقرب أو يزيد من كذا .

ولهذا كله ترى اللجنة إجازة هذا الأسلوب في المعنى الذي يستعمله المعاصرون » .

وبعد أن تداول المؤتمرون الأمر وافقوا على إجازة الأسلوب .

٣ إجازة : أكرم الضيف بوصفي عربياً
أو بصفتي عربياً

وافق مجلس المجمع على إحالة قول لجنة الألفاظ والأساليب المتضمن : « يشيع استعمال مثل هذا الأسلوب في اللغة المعاصرة ، وهو أسلوب محدث يبدو في توجيهه بعض الغموض ، كما يعترض عليه بأنه على غير المأثور عن العرب في التعبير عن هذا المعنى من قولهم مثلاً : أنا — عربياً — أكرم الضيف ونحو ذلك .

وقد درست اللجنة هذا ، وانتهت إلى أن كلًا من (وصفي) و (صفتي) مصدر للفعل (وصف) وهو فعل يتعدى إلى مفعول واحد. ثم أضيف هذا المصدر إلى فاعله وحذف مفعوله ، والمعنى : بوصفي أو صفتي لنفسي عربياً .

ويمكن أن يكون كلا المصدرين مضافاً إلى المفعول ، وأن يكون المحذوف هو الفاعل فيكون المعنى : بوصف غيري أو بصفتي إياي ، وتكون كلمة « عربياً » حالاً على كلا الفرضين .

ولهذا ترى اللجنة إجازة الأسلوب في المعنى الذي يستعمل فيه . واعترض الأستاذ محمد بهجة الأثري على هذا الأسلوب وقال إنه لا يطمئن إلا إلى القول بوصف أو بصفة كوني عربياً ، ودافع آخرون عن الأسلوب وأنه لا يناقض العربية مطلقاً . وانتهت أكثرية المؤتمرين إلى إجازته .

سادساً : أعمال لجنة الأصول

نظر المؤتمرون فيما أحيل عليهم من مجلس المجمع من أعمال لجنة الأصول وقراراتها ، ويمكن تلخيص المناقشات وما انتهي إليه بعدها فيما يلي :

١ — اسم المصدر : مدلوله وضابطه

كانت لجنة الأصول اتخذت القرار التالي : « يعرف اسم المصدر بأنه اسم مشتمل على أحرف المصدر الأصول ، يجيء من الثلاثي وغيره ، فهو من الثلاثي ما ساوت حروفه حروف فعله ، دالاً على عين أو هيئة أو حال أثر ، كالرزق بكسر الراء لما يرزق به المرء ، والضر ، بضم الضاد ، لما يصاب به المضرور ، وهو على غير الثلاثي ما لم يجر على فعله بخلوه من بعض حروف الزوائد ، دالاً كذلك على عين أو هيئة أو حال أو أثر ، كالعطاء لما يعطى ، والثواب لما يثاب به ، والكلام لما يتفوه به . وقد يصطبغ اسم المصدر بمعنى المصدر ، وهو الحدث ، كما في قوله تعالى « ثواباً من عند الله » بمعنى الإثابة ، وحينئذٍ يعمل عمله بنصب مفعوله ، وقد أثر ذلك عن العرب في منثور ومنظوم » . ووافق مجلس المجمع على إحالة

القرار إلى المؤتمر بعد أن ذيله بقوله : « وخلاصة ذلك أن المصدر هو مادلّ على حدث فإذا دل على عين أو هيئة سمي اسم مصدر » .

وجرت مناقشات حول القرار فاقترح الدكتور عبد الرزاق محيي الدين إلغاء مصطلح (اسم المصدر) ما دام لا يدل على حدث وهو مصدر على غير قياس ، وقال الأستاذ عباس حسن إنه مصدر سماعي ، وبعد المناقشة أعلنت موافقة المؤتمرين بالأكثرية على قرار اللجنة .

٢ - قياسية جمع فعيلة بمعنى مفعولة على فعائل

أحال مجلس المجمع على المؤتمر مع الموافقة قرار لجنة الأصول المتضمن: « أقر المجمع من قبلُ لحوق التاء لفعيل بمعنى مفعول سواء أذكر معه الموصوف أم لم يذكر ، ولمّا كان من النحاة من أطلق القول بإجازة جمع مثل هذه الصيغة على فعائل ، ومنهم من صرح باجازة ذلك ، ولو كانت فعيلة بمعنى مفعولة ، فالمجمع يقر قياسية جمعها وصفاً جمع تكسير على زنة فعائل مثل : حبيبة على حبائب وسليبة على سلائب » .

ووافق المؤتمرون بعد سماع التقرير على هذا القرار بالإجماع .

٣ — مجيء (أفعله) مهموزاً بمعنى (فعله) ومجيء فعّل مضعفاً بمعنى (فعله) .

أقرت لجنة الأصول ووافق المجلس على رأيها المتضمن :

أ — « أن الصرفيين يقولون إنّ أفعله قد يكون بمعنى فعله ، وقد علل الرّضي الزيادة بأنها لمعنى وإن لم يكن إلا التأكيد ، وفي اللغة عشرات من الأفعال المتعدية بنفسها داخلة عليها الهمزة دون أن يتغير أصل المعنى في الفعل ، ولذلك تجيز اللجنه ما يشيع استعماله من ذلك ، على أن تكون الهمزة لتقوية المعنى وإفادة التأكيد .

ب — ينص الصرفيون على أن فعّله المضعف يجيء بمعنى فعله ، مثل قطب وجهه وقطّبه ، وقدر الشيء وقدّره ، وزان البيت وزيّنه ، ونظراً لهذا ولأن المعجمات تذكر أفعالاً مضعفة يقول اللغويون إن دلالتها وهي مضعفة كدلالتها وهي مجردة ، تجيز اللجنة مايشيع استعماله من ذلك » .

وحمي وطيس الحوار حول هــذا القرار وهوجم من عدد من المؤتمرين في مآله وفي صياغته مما حمل اللجنة صاحبته على استرداده لإعادة النظر فيه .

٤ — جواز الانفعال

كان مجلس المجمع وافق على قرار لجنة الأصول المتضمن : « ترى اللجنة أن « الانفعال » مصدر قياسي لا نفعل ، وهو مطاوع فعله لاستيفائه شروط المطاوعة ، وذلك إلى جانب ورود « فعله فانفعل » في صحيح اللغة ، وفي استعمال اللغويين » .

وهاجم بعض المؤتمرين هذا القرار لخطورته على قواعد اللغة وصرفها وانتهى المؤتمرون بالأكثرية إلى نص جديد للقرار كما يلي :

« إن كلمة « الانفعال » مصدر قياسي لا نفعل ، وهو مطاوع فعله لاستيفائه شروط المطاوعة » .

٥ — جواز مثل قول الكتّاب : أنا كباحث أقر هذا الرأي .

قررت لجنة الأصول ووافق المجلس على : « تجيز اللجنة قولاً مثل قول الكتّاب : أنا كباحث أقرر كذا . على أحد وجهين :

أن تكون الكاف للتشبيه ، أو أن تكون الكاف زائدة » .

وبعد حوار بين معارضين للقرار ومتحمسين له أجيز بالأكثرية .

٦ — إجازة قول الكتاب : وحدوي ووحدوية

كانت لجنة الأصول قررت ووافق مجلس المجمع على قرارها المتضمن : يجاز استعمال الوحدوي والوحدوية على أن ذلك نسب إلى وحدات ، وأن الوحدي أو القائل بالوحدوية ينزع إلى اعتبار النسب إلى الوحدات دون تفرقة أو تعدد » .

وجرى نقاش بين المتمسكين بالقياس ومحاربة الشذوذ وبين من يودون إجازة الكلمة لشيوعها وعدم إمكان إحلال كلمة (وحدي) القياسية محلها ، وانتهت المناقشة إلى قبول القرار بعد تعديله على الصورة التالية : « يجاز استعمال الوحدوي والوحدوية ، نسباً على غير قياس إلى الوحدة » .

سابعاً : اقتراحات مختلفة

نظر المؤتمرون في عدد من الاقتراحات المقدمة إليهم وقرروا إحالتها إلى اللجان المختصة ، وأهم هذه الاقتراحات هي :

١ — محاولة للأستاذ جرجيس بني لتيسير الكتابة العربية .

٢ — اقتراح الأستاذ يحيى بلعباس بتيسير الكتابة العربية .

ثامناً : انتخاب أعضاء مراسلين

تلي على المؤتمرين قرار مجلس المجمع بترشيح أعضاء مراسلين للمجمع من مختلف البلاد العربية والإسلامية والأجنبية ، وبعد التداول في الأسماء المعروضة وافق المؤتمرون عليها .

تاسعاً : ختام المؤتمر ومقرراته

عقدت جلسة المؤتمر الختامية صباح يوم الاثنين في السابع من ربيع

الأول سنة ١٣٩٦ هـ ، الموافق الثامن من آذار ١٩٧٦ م ، واستمع المؤتمرون خلالها إلى بعض المقترحات وكلمات الشكر وإلى تقرير السيد الأمين العام في تلخيص أعمال المؤتمر في هذه الدورة ، ثم اتخذوا التوصيات التالية :

١ — يوصي المؤتمر بأن يقتصر التعليم في المرحلة الابتدائية على اللغة العربية وحدها ، وأن يعدل عن الثنائية اللغوية في هذه المرحلة .

٢ — يوصي المؤتمر أيضاً بمزيد من العناية بكتب المطالعة والقراءة السهلة الملائمة للنشء في مراحل نموه المختلفة ، ويأمل أن يزود كل فصل بمكتبة خاصة تحبب التلاميذ في القراءة الحرة وتملأ فراغهم وتمدهم بزاد لغوي وثقافي متصل .

٣ — يرحب المؤتمر بجهود المجمع في إحياء التراث اللغوي ، ويأمل أن يتابع ذلك في اتصال ، وفي اللغة كنوز لم تنشر بعد .

٤ — لوسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة أو مرئية شأن كبير في خدمة اللغة ونشرها في البيئات المختلفة وفي تضييق مسافة الخلف بين اللهجات المعاصرة ، ويحرص المؤتمر على أن يؤكد ضرورة العناية بموضوعها وأساليبها .

٥ — ينعقد المؤتمر المقبل في الأسبوع الأخير من شهر شباط لعام ١٩٧٧ .

٦ — تبلغ قرارات المؤتمر لجامعة الدول العربية ، وللمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات التعليم والثقافة والإعلام في العالم العربي جميعه ، والمجامع اللغوية والعلمية واتحاد المجامع والجامعة .

ثم أعلن الرئيس ختام المؤتمر .

عدنان الخطيب
نائب الرئيس

حسني سبح
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

عقد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية جلسته التاسعة يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة ١٣٩٦ هـ ، الموافق ٢ آذار سنة ١٩٧٦ في مبنى مجمع اللغة العربية ، واعتذر عن الغياب الأستاذ صابر محيي الدين المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مندوب الجامعة العربية في مجلس الاتحاد .

وبعد افتتاح الجلسة من قبل رئيس الاتحاد الدكتور إبراهيم مدكور عرض على الأعضاء أن كلًا من مجامع القاهرة وبغداد ودمشق قد جدد الثقة بمندوبيه في الاتحاد مقترحاً النظر مجدداً في وظائف الإتحاد .

اقترح الدكتور عدنان الخطيب إبقاء وظائف الاتحاد في عهدة الزملاء الذين انتخبوا في الجلسة السابقة فوافق الجميع على الاقتراح .

عرض الرئيس ميزانية الاتحاد الختامية عن عام ١٩٧٥ وبعد التداول أقرت الميزانية كما عرضت .

سأل الرئيس الزملاء عما تم بالمصطلحات الأجنبية في الرياضة والفلك المحالة من قبل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على المجامع ، فأفاد كل من الدكتور حسني سبح رئيس مجمع دمشق والدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس مجمع بغداد بأن المصطلحات المذكورة أحيلت إلى المختصين وعند الانتهاء منها ستعاد إلى مصدرها .

عرضت على الأعضاء نماذج معجم مصطلحـات إدارة الأعمال المرسلة من قبل المنظمة العربية للعلوم الإدارية وبعد المداولة تقرر طلب جميـع مواد المعجم ليقول اتحاد المجامع كلمته .

عرض الرئيس كتاب لجنة الرياضة في مجمع القاهرة المحال على مجلس الاتحاد من قبل مؤتمر المجمع والمتعلق باقتراح إحلال الأرقام الغبارية المستعملة في المغرب العربي محل الأرقام الهندية المنتشرة في جميـع بلاد المشرق العربي بحجة أن الأولى هي الأرقام العربية الأصل .

ذكر الدكتور عدنان الخطيب أن الأبحاث دلت على عربية ما يسمى بالأرقام الهندية مثل الأرقام الغبارية فضلاً عن أن تلك الأرقام أصبحت جزءاً من تراثنا المجيد متلائمة مع أنواع الخطوط العربية الشائعـة في مختلف بقاع العالم العربي .

وبنتيجة التداول تقرر تأجيل البت في الاقتراح إلى جلسة قادمة ثم تداول الأعضاء الشؤون المتعلقة بالندوة التي ينوي الاتحاد عقدها في الجزائر لبحث موضوع سبل تيسير النحو ، وأجمعوا على ترك أمر تحديد زمان الندوة ومكانها وجدول أعمالها على أن يقتصر موضوعها على تيسير تعليم النحو إلى السيد الرئيس بالاتفاق مع السادة أمناء الاتحاد .

ثم ختمت الجلسة .

إجابة عن سؤالين

الأستاذ صبحي البصام

نشر الأستاذ محمد العدناني ، في الجزء الثالث من المجلد الخمسين من هذه المجلة ، الصادر في شهر تموز من سنة ١٩٧٥ الميلادية ، كلمة عنوانها « سؤالان لغويّان » ، سأل فيها سؤالين لغويين ، وقد رأيت أن أجيبه عنها ، مدلياً دلوي في الدلاء ، عسى أن يكون جوابي ذا خدمة للغتنا المجيدة .

سأل الأستاذ العدناني قائلاً « فهل يعني قولنا (كتب عديدة) أنها كثيرة أم يعني أنها معدودة ، أم يعني كلتيها ؟ » .

فأجيب قائلاً : إن « عديدة » معناها كثيرة لاغير ، يؤيد ذلك ما ذكره الأستاذ السائل ، وهو أن الراغب الأصفهاني قال : إن الجيش العديد هو الكثير العدد . وقد استعمل ابن هانىء الأندلسي « العديد » وحده بمعنى الجيش الكثير ، بحذف الموصوف وإبقاء صفته دالّةً عليه مع القرينة ، قال :

أما والجواري المنشآت التي سرت   لقد ظاهرتها عُـدّة وعديدُ

وذكر الراغب الأصفهاني : العديد بالتذكير لأن الجيش مذكر ، ومؤنث « عديد » : « عديدة » . وقد استعمل ابن خلكان « عديدة » بمعنى « كثيرة » في كلامه على أبي القاسم عبد الواحد المعروف بالمطرّز ، قال : « قلتُ :

ثم بعد هذا بسنين عديدة رأيت بدمشق المحروسة ديوان شعر أبي القاسم(١) ، ولم تأت « عديدة » في كلام العرب بمعنى « معدودة » ، ولذلك لم ترد في هذا المعنى في المعجمات ، كأنهم أبَوا أن يُحمّلوا « عديداً » أكثر من معنيين هما « عَدَد » و « كثير » تحاشياً للّبس ، فاستغنَوْا بمعدود على زنة مفعول وهو أصل ، عن عديد على زنة فعيل وهو فرع ، كقول الله تعالى « وما نُؤخّرُه إلا لأجل مَعْدُود »(٢) وكقوله جلّ جلاله « وقالوا لن تمسَّنا النارُ إلا أياماً مَعْدُودَةً »(٣) . ومما استظهرته قديماً رسالة لعبد الرحمن الداخل بعث بها إلى مولاه بدر جاء فيها : « فشرّك مكتوب في مثالبنا ، وخيرك معدود في مناقبنا » .

إن قول ابن هانىء الأندلسي « . . . وعديدُ » ، وورود مؤنث عديد وهو « عديدة » في كلام ابن خلكان ، دليلان على أن العديد معناه الكثير ، ولكننا لم نزل محتاجين إلى نصّ لعديد بمعنى كثير أكشف وأبين .

٢ – وسأل الأستاذ المذكور ، إتماماً لسؤاله الأول قائلاً « وهل يحق لنا أن نقول (عدّة كتب ، وكتب عدّة) ? » . فأقول ليس لي دليل على جواز استعمال « كتب عدّة » إلا شاهد مسجوع دونته ، ثم بحثت عنه إبان تدوين مقالتي هذه فلم أظفر به ، وهو قريب من قولي الآن على جهة التوضيح « فلما انقضت أشهر عدت ، عادت السفينة إلى

(١) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٥٧ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨

(٢) سورة هود ، الآية ١٠٤ (٣) سورة البقرة ، الآية ٨٠

جدة » وإلاّ ماذكره العلامة دوزي في « مستدرك المعجمات » من جواز استعمالها بقوله ما مؤداه أن « مدائن عدة معناها مدائن كثيرة » والرجل نظر في كتبنا العربية القديمة نظر متدبر متفكر لينقل منها ما سها عن نقله مؤلفو معجماتنا العربية ، على أن الأولى أن يظل أمر « كتب عدة » موقوفاً حتى نقف على شواهد مقبولة [1].

وأما « عدة كتب » فصحيحة على جهة التأكيد ، وقد وردت في مختار الصحاح بنصها ، قال « وأنفذ عدة كتب ، أي جماعة كتب » وممن قال نظير ذلك ياقوت الحموي فإنه قال في إسماعيل بن علي الخضيري « رحل إلى الموصل وأقام بها دار الحديث عدة سنين » [2] ، وقال في الحسن بن رشيق القيرواني « وصنف في الرد عليه عدة تصانيف » [3] ، وقال في هبة الله القاضي السعيد ، وهو ابن سناء الملك « وكان بينه وبين الفاضل ترسل ، ومدحه بعدة قصائد » [4] ، وقال ابن العديم « ولد لي عدة بنات وكبرن ، ولم يولد لي غير ولد واحد ذكر » [5] ، وقال أبو علي التنوخي في علي بن الحسين بن هندو « وشاهدت عدة كتب كتبها عنه بخطه » [6].

(١) بعد وصول هذه الكلمة كتب إلينا صاحبها يستدرك هذه الإضافة الجديدة : (وجدت شاهداً هو نظير «كتب عدة»، وهو قول لابن بطوطة في كتابه « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » وهو « ... فحنث في يمين بالطلاق ، ففارقها على ضنانته بها ، وراجعها الفقيه خليل بعد سنين عدة ... » ج ١/ص ٩٣ ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ١٩٣٨ م - ١٣٥٨ هـ .

(٢) معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٣ مطبعة دار المأمون في القاهرة ١٩٣٦

(٣) الكتاب المذكور نفسه ج ٨ ص ١١١

(٤) « « « ج ١٩ ص ١٦٥

(٥) « « « ج ١٦ ص ٣٩

(٦) « « « ج ١٣ ص ١٣٦

٣ ـ وسأل الأستاذ قائلاً « هل يحق لنا أن نقول : هذه هي دعوته الحقة إلى الجهاد ، أم يجب أن نقول : دعوته الحق إلى الجهاد » ؟ وقال إن الأستاذين مصطفى الغلاييني وعباس حسن لا يجيزان تأنيث المصدر الموصوف به ، ونشر نصاً لكل منهما في كتاب له في النحو . وقبل أن أجيبه عن سؤاله أقول : الأستاذان المذكوران آنفاً ، وهما من علماء هذا العصر ، إنما ثبّتا فيما قالاه ما أجمع عليه علماء النحو القدامى ، وقد أشار إليه ابن مالك بقوله :

ونعتوا بمصدر كثيراً فالتزموا الإفراد والتذكيرا

وقال ابن عقيل في هذا المصدر « وهو مؤول إما على وضع عدل موضع عادل ، أو على حذف مضاف ، والأصل مررت برجل ذي عدل ثم حذف ذي وأقيم عدل مقامه ، وإما على المبالغة ... » (١).

وأجيب عن سؤاله قائلاً : « يجوز له الوجهان ، أي أن يقول : « دعوته الحقة » و « دعوته الحق » لأن الحق والحقة مصدران معناهما واحد ، وقد استعمل رؤبةُ « حقة » مصدراً في قوله « وحَقّةٌ ليست بقول التُرّه » (١) ، وعندي أن الأَوْلى أن يقال « دعوته الحقّ » لكي

(١) ألفية ابن مالك . شرح ابن عقيل . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ج ٢ ص ١٦٠ و ١٦١

(٢) هذا الشطر في « أساس البلاغة » للزمخشري في مادة « ح ق ق » ولم أجده في مجموع شعر رؤبة في كتاب « مجموع أشعار العرب » ، ج ٣ المعتني بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي . طبعة ليبسيغ ١٩٠٣

لا يظن ضعيف بصر في النحو أن « الحقة » مصدر أنّث من أجل «دعوة» فيقول من بعدُ ، قياساً على ذلك « الشاهدة العدلة » ونحوه ممـا يخالف الكلامَ الفصيح الصحيح ، ويأباه علم النحو كما قدمنا من بيت ابن مالك وشرحه ، وقد أخبر الله عز وجل عن « الساعة » وهي مؤنث بـ « الحق» وهو مذكر ، وذلك في قوله « ... والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحقُّ ... » (٢) .

وقال الأستاذ العدناني « وأنا أرى أن المصدر (حقة) يجيز لنا أن نقول (الدعوة الحقة) . . . » فأقول قاطعاً قوله لأستأنفه بعـدُ : قوله « يجيز » صحيح ، ولكنه أعرض بعد بضع عبارات عن « يجيز » وركن إلى « يفرض علينا » ، فقال متمماً قوله من حيث قطعته « لأننا لسنا في حاجة إلى الاتيان بالصفة مذكرة لموصوف مؤنث ما دام لدينـا مصدر مؤنث أيضاً يفرض علينـا أن نقول الدعوة الحقة والقول الحق » ، وهو بقوله « يفرض علينـــا » نقض قوله « يجيز » وهو لا يدري ، وخالف ما اتفقت عليه كلمة النحويين .

هذا ما تهيأ لي من جواب ، فإن أخذ عليّ استشهـادي بابن هانىء الأندلسي وغيره من متأخرين في أزمانهم ، فذلك اضطرار أدّاني إليه منأى كثير من دفاتري اللغوية وكتبي المهمة عني ، ولعمري لئن كانت لغتهم لدى ذوي التوثق والتحرُّز بضاعةً مُزْجاةً في الاستشهاد اللغوي ، لهي عندي بضاعة قيمة جداً حين أعارضها بلغتنا في هذا العصر ، التي أفسدتها الترجمة

(١) سورة الشورى ، الآية ١٨

الحرفيـة عن اللغات الأعجمية ، وزاد في إفسادها سوء مناهجها في معاهد التعليم ، ونزورة علم كثير من معلميهـا ، وطماح الناشئة من حاملي لواء التجديد إلى نشر ما يسطرون ، ليجيء أغلب ما ينشرونه مرذول الأسلوب ضعيف التأليف ، لا يستند إلى الأسس التي أقامها الفصحاء البلغاء .وعجيب أن يعد أكثر المثقفين ، هذا الضرب من الأدب ، مع عواره ، الفاخر المجتبى ، والمثال المحتذى .

وعسى أن يوافي غيري هذه المجلة بشواهد أوثق وأقدم ، وفوائد أصدق وأقوم ، ففي ذلك تيسير لعمل الأستاذ محمد العدناني في خدمة لغتنا العربية ، أيده الله ، وسدد خطاه .

بغداد

صبحي البصام

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الفارابي في المراجع العربية	الدكتور حسين علي محفوظ	بغداد ١٩٧٥
الملاح الشاعر	محسن الحبيب	« ١٩٧٥
الملحق الثامن لجاميع الكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد	المكتبة المركزية	« ١٩٧٥
رسائل فلسفية للكندي والفارابي وابن باجة وابن عدي	حققها الدكتور عبدالرحمن بدوي	بنغازي ١٩٧٥
الإسلام منهج حياة	الدكتور فيليب حتي نقله إلى العربية الدكتور عمر فروخ	بيروت ١٩٧٢
تاريخ الفلسفة في ليبيا (١ - ٢)	الدكتور عبد الرحمن بدوي	« ١٩٧١
كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي	تحقيق محسن مهدي	« ١٩٧١
مشروع تحديد اللغة العربية الأساسية	وزارة التربية اللبنانية	« ١٩٧٣
أعلام الاصلاح في الجزائر، الجزء الأول	محمد علي دَبّوز	الجزائر ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الجبر والتحليل الرياضي	أحمد علوظي	جامعة حلب ١٩٧٥
حساب أحواض خزانات المياه	جورج إلياس	» » ١٩٧٥
حساب الجيزان المستمرة	» »	» » ١٩٧٥
الرياضيات : الجزء الأول	د . إلهام حمصي	» » ١٩٧٥
الرياضيات : الجزء الثاني	» » »	» » ١٩٧٥
الرياضيات : الجزء الثالث	» » »	» » ١٩٧٥
أصول التفكير النحوي	د . علي أبو المكارم	الجامعة الليبية ١٩٧٣
أفلاطون	د . عبد الله حسن المسلمي	» » ١٩٧٢
تاريخ العرب في الأندلس	د . خالد الصوفي	الجامعة الليبية
تاريخ الرومان : الجزء الأول	د . إبراهيم نصحي	» » ١٩٧١
تاريخ الرومان : الجزء الثاني	د . » »	» » ١٩٧٣
تاريخ طرابلس الغرب	محمود ناجي ـ ترجمة عبد السلام أدهم ومحمد الأسطى	» » ١٩٧٠
تاريخ ليبيا الإسلامي	د . عبد اللطيف محمود البرغوثي	» » ١٩٧٣
دراسات في تاريخ ليبيا القديم	د . مصطفى كمال عبد العليم	» » ١٩٦٦
تربية الموهوبين	كمال السيد درويش	» » ١٩٧٠
التمهيد في النحو والصرف	د . محمد مصطفى رضوان والدكتور عبد الله درويش والدكتور محمد التونجي	» » ١٩٧٣
التنظيم القضائي في ليبيا	د . عبد المنعم عبد العظيم جيره	» » ١٩٧٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
دراسات في فلسفة مابعدالطبيعة	محمد محمد بالروين	الجامعة الليبية١٩٧٣
علم النفس الاجتماعي	د . سعد جلال	» » ١٩٧٢
الفكر : طبيعته وتطوره	د . نوري جعفر	» » ١٩٧٠
الفن الحديث في التنقيب عن الآثار	د . توفيق سليمان	» » ١٩٧٢
كاليماخوس القوريني شاعر الاسكندرية	د . عبدالله حسن المُسْلمي	» » ١٩٧٣
ليبيا في التاريخ	المؤتمر التاريخي	» » ١٩٦٨
مبادىءالكيمياءاللاعضويةالحديثة	د . عبد الرزاق جعفر	» » ١٩٧٣
منطق المعرفة العلمية	د . ياسين خليل	» » ١٩٧١
النقود والمصارف	د . عبد المنعم البيه	» » ١٩٧٠
نوعية التربية في البلاد النامية	س . ا . بيبي - ترجمة كمال السيد درويش	» »
النمو النفسي للطفل والمراهق	د . محمد مصطفى زيدان	» » ١٩٧٢
أبو الفداء	المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية	دمشق ١٩٧٥
الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية: المجلد الأول والثاني	اليونسكو	» ١٩٧٦
الترموديناميك الهندسية وانتقال العمل والحرارة	تأليف ج.ف.س روجوز ي . ر مايهيو ترجمة الأستاذ برهان داغستاني	» ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
دمشق واحة جمالية وقلعة قومية وسوق اقتصادية	بشير زهدي	دمشق ١٩٧٥
دور الجهاز المصرفي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية	ياسين اصطيف	» ١٩٧٥
العالم الثالث في مواجهة البلاد الغنية	انجلوس بولس. ترجمة د. مصطفى عدنان السيوطي	» ١٩٧٥
عصر التحليل فلاسفة القرن العشرين	مورتون وايت . ترجمة أديب يوسف	» ١٩٧٥
المخابز الآلية وإمكانية تعميمها في سورية	ياسين اصطيف	» ١٩٧٥
مشاركة المرأة في الحياة العامة في سورية	نبيلة الرزاز	» ١٩٧٥
مصرف سورية المركزي	دائرة الدراسات والمراجع	» ١٩٧٥
مقالات في الشعر الجاهلي	يوسف اليوسف	» ١٩٧٥
نحو نماء آخر	روبير لاتي. ترجمة أديب يوسف مشيش	» ١٩٧٥
دراسة حول أصول الأربعمئة	محمد حسين الحسيني الجلالي	طهران ١٩٧٣
عشيات وادي اليابس	مصطفى وهبي التل	عمان ١٩٧٣
المراسلات التاريخية (١ - ٢)	سليمان موسى	عمان ١٩٧٣-١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
التقرير النهائي وتوصيات اجتماع الخبراء العرب المتخصصين في البحوث التربوية	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	القاهرة ١٩٧٤
حلقة الخدمات الصحية والنفسية والاجتماعية للطلاب العرب	» » » »	» ١٩٧٤
مشروع ريادي لتطوير تدريس البيولوجية في المرحلة الثانية	» » » »	» ١٩٧٤
مصطلحات الإعلامية(انجليزي ـ فرنسي ـ عربي)	» » » »	» ١٩٧١
إنية وأصالة	مولود قاسم نايت بلقاسم	قسنطينة ١٩٧٥
الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي: المجلد الرابع والخامس	وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية في الجزائر	» ١٩٧٥

الأخطاء المطبعية في المجلد الحادي والخمسين ـ الجزء الثاني

ص	س	الصواب
٢٣٧	٨	ابن الفرياني
٣٨٠،٢٤٠	١ــ	الفيروزباذي
٢٥٧	١ -	هيأ
٢٨٨	٨	الجرمي (بالجيم)
٢٩٣	١٠	خثيم
٣٢٤	٦	ليتستبين
٣٤٤	١٦	أن
٣٥٧	٥	الأربعة
٢٥٧	٨	الأربعة والعشرين
٣٥٨	١	بهذه المخطوطة
٣٧٤	١٢	الأعرابي
٣٩٤	١٢	للأشكال
٤١٤	١٩	تُريْك
٤١٩	١٦	ككلمات

آ ـ تصويبات لأخطاء في الجزء الأول من المجلد الحادي والخمسين

ص	س	الصواب
١١٤	٢	الساريسي وكذلك في رأسي الصفحتين ١١٥، ١١٧ ونهاية المقال
١٥٧	١٢	الرُّقاد
١٦٠	٩	مودّته
١٨١	١٦	١٨٠٥ - ١٨٨٧
١٨٢	٥	أرمقُها .. تقضَم
»	١٦	تملك
»	٢١	الأظلاف
»	٢١	Perissadactyles
١٨٣	٥	بشيءمنأطرافالأسنان

ب ـ تصويبات لأخطاء في المجلد الخمسين

ص	س	الصواب
٦٢٢	٢١	الكرخي(١)

(١) وهذا يصحح ماورد في ص ٢٠٦ من المجلد الحادي والخمسين .

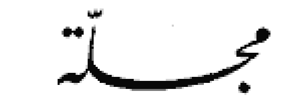
فهرس الجزء الثاني من المجلد الحادي والخمسين

المقـــالات

التعريف والنقد

آراء وأنبـــاء


مجمع اللغة العربية
ذكرى مرور مائة عام على ميلاد
الأستاذ الرئيس
محمد كرد علي
مؤسس
المجمع العلمي العربي
١٢٩٣
١٨٧٦
١٣٩٦ هـ
١٩٧٦ م



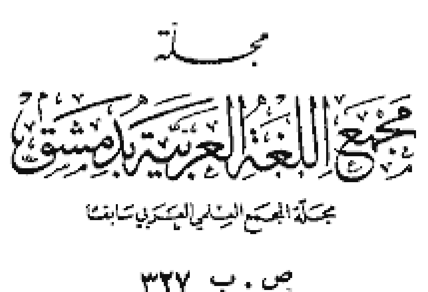


« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



رجب سنة ١٣٩٦ هـ

تموز « يوليو » سنة ١٩٧٦ م



انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي:

في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري
أو ما يعادلها جنيه وعشرة شلنات
» » ثلاثة دولارات

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته الى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

بقايا الفصاح

الأستاذ شفيق جبري

من طرائف الأمور أن تعيش في لغة العامّة لفظة وهي غاية في الغرابة ، وأن تموت هذه اللفظة الغريبة في لغة الخاصّة أي في لغة الأدب ، فإن لفظة : فلان مبرطم تستفيض في أحاديثنا ونكاد لانرى لها أثراً في كتابات هذا العصر . ماذا تريد العامة بقولها : فلان مبرطم ؟. إذا قال أحدنا : ذهبت إلى فلان فوجدته مبرطماً أراد بذلك معاني كثيرة ، فالمبرطم العابس ، المنقبض ، الغضبان ، إذا حيّاه أحد فلا يردّ عليه التحيّة . أفرأينا خصب معاني هذه المادّة في لغتنا ؟ فلنبحث الآن عن بعض معانيها في معجم الفيروزابادي .

يقول صاحب القاموس المحيط : « البرطمة الانتفاخ غضباً ، وتبرطم تغضّب من كلام ، وبرطمه غاظه » . أفلا نرى تشابهاً بين معنى هذه المادّة في اللغتين الفصحى والعامّة ؟ ولكنها في لغة العامة أخصب دلالةً وأفسح آفاقاً ، ولا أبالغ إذا قلت : إن هذه المادة في لغة العامّة لاتكاد تقوم مقامها مادة أخرى في الدلالة على معناها في مصطلحات العامّة ، ولكن من الذي يستعملها في كتابته إذا كان كاتباً ، أو في شعره إذا كان شاعراً

وإذا استعملها أحد فلا ينجو من ناقدٍ يرميه بالميل إلى استعمال الغريب الذي يحتاج إلى شرح وتفسير ، وقد تكون لفظة المبرطم شائعة في دمشق مثلاً ولا تكون شائعة في بلدٍ آخر من بلاد العرب ، ففي كل بلدٍ مصطلحات خاصة للعامة في لغتها يفهمها أهل البلد ولا يفهمها أهل بلد آخر .

وقد وردت لفظة المبرطم في أبيات رواها صاحب الحماسة البصرية ونقلها الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه « الحياة الجنسية عند العرب » :

مبرطماً برطمةَ الغضبان

من هذا كله نستنبط أن مادة البرطمة تنطوي على الغضب وما يصحب هذا الغضب من عبوس وانقباض وتجهّم وما شابه ذلك .

وإذا انتقلنا من الألفاظ الدالّة على ظواهر النفس كالغضب مثلاً فقد نستطيع أن نمرّ بألفاظٍ تدلُّ على الملابس . ونحن نعلم أن الملابس قد تتغير من عصرٍ إلى عصرٍ ، ففي الأيام التي نعيش فيها ملابس لم يعرفوها في الماضي ولذلك لانعلم لها أسماءً في لغتنا لأن الأسماء توضـــع عادةً لمسمّيات معروفة ، وفي الأيام التي عاشوا فيها في الماضي ملابس لانعرفها في الحاضر ، وقد تبهم علينا أسماء بعضها وإن كنا نجـــد لها تفسيراً في كتب اللغـة .

من الألفاظ الشائعة في لغة العامة لفظة : الشاشيّة ، فقـــد يحتاج أحدنا إلى تغطية إبريق ماءٍ بغطاءٍ خفيف أو شيء آخر من بعض المآكل أو قد يحتاج إلى أن يضع على رأسه مثل هذا الغطاء بعـد أن يبلّه بالماء أو بالخلّ ، والأمثال في ذلك كثيرة . والخلاصة قد يحتاج أحدنا إلى مانسميه : الشاشية ، وكلنا يعرف ماهي الشاشية ، ولكن قد يجوز أنّا لانعرف أن هذه المادة فصيحة ، فقد وردت في شعر البحتري في هجائه الحارثي :

يامَنْ رأى الدامورَ يختال في شاشيَّةٍ شَوْهاءَ مُغْبَرَّة

وإذا تركنا الملابس وجئنا إلى المآكل عثرنا على ألفاظٍ تعيش في بعض القرى ، ففي القرية التي أعيش فيها تنانير يخبزون فيها الخبز ، وإن كانت هذه التنانير أخذت تقل يوماً بعد يوم ، وأخذ أهل القرية يشترون خبزهم من الأفران وشتان ما جودة خبز التنانير وجودة خبز الأفران ، فمن خبز أهل القرية ما يسمونه : الفرنية ، وهي لجودتها تؤكل بعد خروجها من التنور بلا أدم . وقد وجدتُ هذه اللفظة في بعض كتب الأدب القديمة ولكني آسف على أنني لم أدوّن في دفتري مكانها ، على أنا نجد في القاموس المحيط : « الفرن بالضم : المخبز يخبز فيه الفُرْني ، لخبز غليظ مستدير » . وقد استعملت هذه اللفظة على المجاز ، فالفرني أيضاً الرجل الغليظ .

أفرأينا كيف تعيش في لغة العامّة طائفة من الألفاظ الدالة على المآكل وهي فصيحة مثل الفرنية ، وكيف تموت في لغتنا ألفاظ قديمة تدلُّ على المآكل ونحن لانعرفها على حقيقتها مثل اللوزينج وهي معرّبة .

وإذا فرغنا من المآكل والملابس فلننتقل إلى لغة العيون .

من أقوال العامّة : فلان عينه تغزل ، وهم يريدون بذلك على ما أعتقد كثرة حركتها وقلّة استقرارها . فالعين التي تغزل هي العين الحائرة التي وصفها المتنبي في قـــوله :

أدرنَ عيوناً حائراتٍ كأنّها مركّبةٌ أحداقها فوق زئبقِ

وقد جاءت هذه المادة في شعر البحتري في هجائه لابن المغيرة :

مالعينيك تغـــزلان إذا ما رأتا في الرؤوس رأساً صليعا

ولم أهتد إلى الصلة بين المعنيين : الفصيح والعامي ، فلم أجد في

اللغة غزل بمعنى حار أو تحرّك أو ما ماثل ذلك، وإنما الغزالة: الشمس لأنها تمدّ حبالاً كأنها تغزل. ومغازلة النساء محادثتهن والاسم الغـزل، فهل من صلةٍ مجازية بين هذا الغزل وبين العين التي تغزل، ولا ريب في أن للعين شأناً كبيراً في مغازلة النساء، وعلى كل حالٍ فلنترك لعلماء اللغة تعليل هذا الأمر.

وما دمنا نشير إلى العين التي تغزل فلا نرى بأساً بالإشارة إلى العين التي تبصبص. فهذه المادة: بصبص، شائعة في لغة العامة، وقد يجعلون لها معنى خاصاً فإذا قالوا: فلان يبصبص فكأنهم يريدون بذلك أنه يسترق النظر إلى شيء، إمّا إلى مجتمع نساء وإما إلى غير ذلك، ولا يبعد معنى هذه المادة العامي عن المعنى الفصيح في اللغة، فالبصّاصة العين لأنها تبصّ ومعنى بّص يبّص بصيصاً برق ولمع. ومن معاني بصبص يقال: بصبص الجروُ فتح عينيه والكلبُ حرّك ذنبه.

وقد جاءت هذه المادة في شعر البحتري في بعض قصائده في مدح المهتدي بالله.

وبَصْبَصَ أهل العَيْث حين هداهم أخو سَطَوات ما يُبِلّ سليمُها

والخلاصة ان بصبص العامية أصلها فصيح والمعنيان الفصيح والعامي متشابهان أو متقاربان، وفي بعض بلاد العرب كفلسطين ومصر يقولون: بُصّ بالأمر أي انظر.

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣١ -

الدكتور حسني سبح

10566 point d'applicatlon, point d'attaque

١٠٥٦٦ نُقْطَة تَطبيق ، نُقْطة صَوْلة

وأرجح المُنْطَلَق في اللفظة الثانية .

10568 point blanc pultacé des cryptes amygdalienne, amas caséeux blanchâtre dans les cryptes des amygdales .

١٠٥٦٨ نُقْطة بَيْضاء مَلبُوبة لسِيهاء اللوزة ، رُسُوبٌ مَتَهَوي ، كُوَم جُبْنية مُبَيَّضَة في سِيهاء اللوزتين .

وأفضل بُقْعَة بيضاء حَرِيرَوية أو تلبينية[١] لمغاور[٢] اللوزتين ، راسب مغاري ، كتل متجبنة مبيضة في مغاور اللوزتين ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣] .

---

(١) ان المقصود من (pultacé) ما كان على هيئة الحريرة أو التلبينة (bouillie) لا على شكل اللُب . ففي لسان العرب الحريرة الحسا من الدسم والدقيق، وقيل هو الدقيق الذي يطبخ بلبَن ، والتَلْبينَة حساء يعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل ، سميت تلبينة تشبيهاً باللبن لبياضها ورقتها .

(٢) الصفحة ٢٨٧ من المجلد الخامس والثلاثين الصفحة ٦٠٧ من هذه المجلة.

(٣) exsudate filling the cryptes of the tonsils, plug of caseous matter in the cryptes of the tonsils .

10574 point névralgique ١٠٥٧٤ نقطة الألم العَصَبي

والنقطة المؤلمة، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

10577 point de rosée ou de condensation

١٠٥٧٧ نُقْطَةُ نَدى أو نُقْطَة تكاثف

وأفضل نقطة النداوة أو نقطة التكاثف. لأن ما تعنيه اللفظة (٢) : درجة الحرارة التي يتكاثف فيها بخار الماء ليكوّن الندى.

10578 point de solidification, point de prise

١٠٥٧٨ نُقْطة التَّصلب ، أو تجمّد ، نقطة تماسك

وأفضل نقطة التصلب ، نقطة التماسك

10508 Pointé, ée couvert de pointes ١٠٥٧٩ذو رُؤوس ، ذو بَرْزات

وأرجح ذو شَوْك أو شوكة وشاك (٣) .

10580 pointe du pied ١٠٥٨٠ ذُرْوَة القَدَم

وأفضل طرَف القدم (٤) أو نهايتها أو طرف أصابع القدم أو نهايتها ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٥).

---

(١) (painful point).

(٢) لفظة (dew point) في معجم وبستر Webster's Third New International Dictionary .

(٣) في تاج العروس. الشَوْك من النبات مايَدق ويصلب رأسه، الواحدة بهاء. وأرض شاكة كثيرة الشوك وشجرة شاكة كثيرة الشوك .

(٤) في لسان العرب : طرف كل شيء منتهاه .

(٥) (the tips of the toes, tip toe) .

١٠٦١١ لَقَح ، غُبار الطَلْع 10611 Pollen

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة لِقاح . وفي معجم الألفاظ الزرعية لَقاح ولَقَح ، وأرجح لَقاح (بالفتح) ولَقَح والطَّلْع .

١٠٦١٦ عِيادة عامّة 10616 Polyclinique, policlinique

أو عيادة شاملة في اللفظة الأولى وعيادة البلدية أو المدينة في اللفظة الثانية ، وقد أهملتها اللجنة .

10617 Polydactylie, plydactilisme
١٠٦١٧ زَمَع (زيادة عَدَدِ الأصابع)

وقد أقر مجمع اللغة العربية اللفظة ، ودرجت على ترجمتها بالعَنَش[1] وأفضل تخصيص لفظة الزَمَعان ترجمة للمشي المتقارب الخطى ، أو بخطى قصيرة (démarche à petits pas) .

١٠٦١٨ سُهاف ، شِدّة العَطَش 10618 Polydipsie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : العُطاش في مصطلحات علم الطب الباطني وجاء في الشرح : داء يصيب الانسان فيشرب

(١) في القاموس المحيط : الأعنَش من له ست أصابع .

(٢) في القاموس المحيط : الزَمع شبه الرعدة تأخذ الانسان والزيادة في الأصابع وهو أزمع ، والدهش الخوف ، وقد زمع كفرح والأزمع الداهية والأمر المنكر ج أزامع ، وككتف من إذا غَضِب سَبَقه بوله أو دمعه .

الماء ولا يرتوي . كما أن مجمع القاهرة أقر الشُهاف ـ البَحَر(١)
بين مصطلحات علم الأمراض ومتفرقاتها وجاء في الشرح :
عَرَض لا يُروى صاحبه من العطش .

10619 Polygala de Virginie

١٠٦١٩ بُوليغالة فرجينيا مُسْتَدِرَّة فرجينيـــا
وفي معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي
بُولِغالُن ، مستدرة ، وجاء في الشرح : (الأولى معربة
قديماً في المفردات ، قـــال ابن البيطار معناه مكثر
اللبن ، والثانية من وضعي وهي مترجمة تشير إلى مااشتهرت
به هذه النباتات من اكثار الدر في الضأن والبقر . جنس
نباتات عشبيـة من فصيـلة المستدرات فيها أنواع كلئيـة
وأنواع للتزيين) .

10620 Polynévrite, névrites multiples

١٠٦٢٠ التهابُ أعصابٍ كثيرة ، التهاب أعصاب مُتَعَدِّدة
التهاب أعصاب متعددة والتهابات عصبية متعددة (بصيغة الجمع)

10625 Polyol

١٠٦٢٢ كَثِير الغَوْل ، غَوْلٌ كثير القِيَم
وأفضل تعريب اللفظة بوليول

(١) في لسان العرب : وأما البَحَر فهو داء يورث السل ، وأبحر الرجل إذا أخذه السل ، ورَجُلٌ بَحِيرٌ وبَحِر مسلول ذاهب اللحم . وجاء في اللسان في موضع آخـــر : ويقال أيضاً بَحِرَ إذا اشتد عطشه فلم يَرْوَ من الماء والبَحَر أيضاً داء في الابل .

10628 Polypnée thermique

١٠٦٢٨ وَشْك التّنفّس الحروري
بُهْـــر حروري

وأفضل تواتر التّنفّس الحروري

10529 Polypose

١٠٦٢٩ داء سَليلي أو مُرْجِلّي

وأفضل داء السُلَيلات أو الاعتلال السَّليلي

10630 Polyradiculite

١٠٦٣٠ التهاب جُذور كثيرة

وأفضل التهاب عِدّة جذور أو التهاب الجذور المتعددة .

10631 Polyradiculonévrite, syndrome de Guillain et Barré, cellulo - radiculo - névrite, plexite aiguë, Schwannite

١٠٦٣١ التهاب جُذور وأعصابٍ عَديدة ، تناذر غيلن وباره ، التهاب جذور وخلايا وأعصاب،التهاب ضفيرة حاد، التهاب غمد شوان.

وأرجح التهاب عدة جذور وأعصاب ، أو التهاب الجذور والأعصاب المتعددة، لزمة غيلن وباره ، التهاب الخلايا والجذور والأعصاب ، التهاب الضفيرة الحاد ، التهاب غمد شوان .

10632 Polysarcie

١٠٦٣٢ فَرْط السِّمَن ، انفِضاج

وأفضل الضّخم[1] أو الجسامة والتّحامة ، إذ أن ماتعنيه

(١) في لسان العرب : الضَّخم الغليظ من كل شيء ، والضُخام بالضم العظيم من كل شيء ، وقيل هو العظيم الجرم الكثير اللحم .

في لسان العرب : وقد جَسُم الشيء أي عظم فهو جسيم وجُسام .

اللفظة كما جاء في معجم دُرلان(١) كثرة اللحم لاالسِّمن
أو البدانة(٢)، وللفظة انفضاج معانٍ أخرى(٣)

١٠٦٣١ كَثير الكِبْريتور 10933 Polysulfure
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة متعدد الكبريتور

١٠٦٣٣ زَبَب ، غزارة الشَّعر 10634 Polytrichie, politrichose
وأفضل كَثْرة الشَّعر أو كَثاثته (٤) تاركاً الزَّبَب (٥)
ترجمة لِـ (hirsutisme).

١٠٦٣٥ بُوالة (غزارة البول) 10635 Polyurie
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بُوال

١٠٦٣٦ كَثير القِيَم 10636 Polyvalent, ente
متعدد التكافو كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة.

---

(١) Dorland's Illustrated Medical Dictionary (twenty — fifth edition) .

(٢) الصفحة ١١٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : انفضجت القَرْحة : انفتحت وانفضج بَطْنه استرخت مَراقّه، وكل ماعَرُض كالمشدَوخ فقد انفضج،رجل عِفْضاج ومِنْضاج وهو العظيم البطن المسترخيه، إلى أن قال : وتفضج بَدَنه بالشَّحم تَشَقق ، وهو أن يأخذ مأخذه فتنشق عُروق اللحم في مداخل الشحم بين المضابع .

(٤) في لسان العرب : كثَّ الشيء كَثاثة أي كثف وكثَّت اللحية تكث كثًا وكثاثة وكثونة ، لحية كثة وكثاء كثرت أصولها وكثفت .

(٥) الصفحة ٨٦ من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة .

10643 pomme d'Adam

١٠٦٤٣ تُفّاحة آدم

والصّحيح الحَرْقَدة(١)

10644 pomme de pin

١٠٦٤٤ تُفاحة الصّنوبر ، مخروط الصّنوبر

والشائع كُوز الصّنوبر ، وهو الأفضل

10645 Pommelière, tuberculose des bovidés, ou bovine

١٠٦٤٥ سُل البقريات ، سُل بَقَري

والداء اللؤلؤي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10651 Ponction, piqûre v. paracentèse

١٠٦٥١ بَزْل ، وَخْز ، أنظر ثَقْب

وأرجح ، بَزْل ، وَخْز ، بَط ، شَق(٣) تاركاً ثَقب

ترجمة لِ (perforation) اللفظة (١٠٠٣٧) .

10660 ponction thoracique, pleurale

١٠٦٦٠ بَزْلْ صَدْري ، بَزْلْ جَنْبي

وأرجح بَزْل جَوْف الصدر وبَزْل الجَنْبَة أي جَوْف الجَنْبَة

10663 ponctionner

١٠٦٦٣ بَزَلَ ، وَخَزَ

بَزَل فقط ، تاركاً وخز ترجمة لِ (piquer) .

10666 pondérable

١٠٦٦٦ وَزون ، وازِن ، يمكن وزنه

أفضل الاقتصار على وَزون ووازن

---

(١) في لسان العرب : الحَرْقَدة عُقْدة الحنجور والجمع الحراقد .

(٢) (pearl disease) .

(٣) الصفحة ٨ من المجلد الخمسين من هذه المجلة .

10670 Pontage (chirurgie des nerfs)

١٠٦٧٠ تجسير (في جراحة الأعصاب)

وأرجح الجسْر أو الوَصْل لا التجسير(١) لأن المقصود

وصل بين قطعتي العصب أو بين عصبين

10674 Pore, v. canal sudoripare ١٠٦٧٤ مَنْتَح ، انظر قناة عرقية

وأرجح سُم (بصيغة المفرد)

10674 pore de la peau ١٠٦٧٥ مَسام الجلد ، مناتِح

وأرجح سُم الجلد

10676 pore gustatif, du gout ١٠٦٧٧ مَسام ذَوْقية ، مَسام الذوق

سُـــم الذوق

10677 Porencéphalie ١٠٦٧٧ تَجوّف الدِماغ ، تَوَهّد الدِماغ

وأفضل تجوف الدماغ(٢)

10681 Porphyrinurie, hématoporphyrinurie

١٠٦٨١ بيلة بُرْفينيّه ، بيلة دَمَوية بُرْفينية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (porphyrin)

---

(١) في تاج العروس : جَسّر الرجل يُجَسِّر عقد جسراً . وجَسَّره تجسيرا شجعه .

(٢) في لسان العرب : الوَهْدة الهوّة تكون في الأرض ومكان وَهِد وأرض وَهْدة كذلك والوهدة النقرة المُنْتَقِرة الأرض أشد دخولاً في الأرض من الغائط ، وليس لها حرف عرضها رمحان وثلاثة لاتُنبت فيها شيئاً .

بالفرفيرين ، وجاء في التعريف : خضاب ينتج عن تحلل الهيموجلوبين المرضي ، وتصبح ترجمة اللفظة بيلة فرفيرينية دموية ، فرفيرينية .

١٠٦٨٢ بَرْفَرَة ، رَهْك 10682 Porphyrisation

وأفضل السَحْق والدَّق والرَهْك وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٦٨٣ كُرّاثي 10683 Porracé, ée

وأفضل أخضر كُراثي كما جاء الترجمـــة الألمانية من المعجم الأصلي(٢) .

10690 portée visuelle, étendue de la vue

١٠٦٩٠ مَدى البَصَر ، مُتَّسع الرُؤية

وأفضل مَدى البَصَر ، مَجال الرؤية

١٠٦٩١ حامِل العِصابة أو العِصاب أو الرِّبَق 10691 porte - lacs

وأرجح حامل الأنشوطة أو الحبالة(٣)

10691 porter (se)

١٠٦٩١ ثَقِل ، إنتَقَل ، بدَّل حالة الصحة من جيد أو ردىء

وأفضل نَقَل ، أقَلَّ ، تَمَتَّع بصحة (جيدة أو سيئة)

(١) (porphyrisation, tritumation) .

(٢) (lauchgrün) .

(٣) الصفحة ٦٥ من المجلد الخامس والأربعين من هذه المجلة .

10692 Porter à terme

١٠٦٩٢ حَمْل تامّ (قِبالة)

وأفضل حمل التمام (قبالة)

10693 porte - tampon

١٠٦٩٣ حامِل السَّبيخة

وأرجح حامل القَطيلة، شأن مافعلته اللجنة في لفظة (tompon) اللفظة (١٣١٤٦) وليس للسبيخة هذه الدلالة (١).

10695 porteur de germes actif

١٠٦٩٥ حامِل جراثيم فاعِل، مُؤَثِّر

وأرجح ناقل الجراثيم الناشط أو النشيط(٢)

10696 porteur de germes passif

١٠٦٩٦ حامِل جَراثيم مُنْفَعِل، مُتَأثِر

وأفضل ناقل الجراثيم المُتَقَبِّل

10697 porteur de germes permanent

١٠٦٩٧ حامِل جراثيم دائم أو مُسْتَمِر

وناقل الجراثيم المزمن كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣).

---

(١) في لسان العرب: والقَطيلة قطعة كساء أو ثوب ينشف بها الماء، والسبيخ من القطن مايسبخ أي يلف لتغزله المرأة.

(٢) سبقت اللجنة أن استعملت حامل ترجمة لـ(enceinte)(اللفظة ٤٨٥٩).

(٣) (chronic germ carrier).

10699 porteur hôte intermédiaire

١٠٦٩٩ حامِل الثَّوِي الوسيط

ناقل ، حاضِن[١] لأنه ثمة خطأ مطبعي والصحيح : porteur, hôte intermédiaire وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢] أيضاً .

10700 Poser des ventouses (sèches), ventouser

١٠٧٠٠ وَضع مَحاجِم (جافة) حَجَّمَ

وأفضل حجامة جافة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣] .

10701 position cadavérique des cordes vocales

١٠٧٠١ وَضْع جيفي للأوتار الصَوْتية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الوَضْعة ترجمة لِ (position) وهي الأفضل . وتكون الترجمة : الوَضْعة الميتة أو الهامدة لأوتار الصوت .

10703 position de Crouzat Walcher (les jambes pendantes)

١٠٧٠٣ وَضْع كروزا ــ والشر (الساقان مدلاتان)

والصحيح وضعه كروزات - والحر (كما تلفظ بالألمانية) والاقتصار على وضعة والحر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية

(١) الصفحة ٨٩ من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة .

(٢) (intemediary carrier) .

(٣) (dry cupping) .

من المعجم الأصلي وكما هو وارد في المعاجم الأخري(١)

10704 position de déflexion (obs.) présentation en déflexion

١٠٧٠٤ وَضْع اِنبساط (قبالة) اِعتلان انبساطيّ

وَضْعة الانبساط وجيئة انبساطية كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

10705 postion génu - cubitale

١٠٧٠٥ وَضْعٌ رُكْبي زَنْدي

ووَضْعة الركبة والمرفق كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢) .

10706 position génu - pectorale

١٠٧٠٦ وَضْع رُكْبي صَدري (وَضْع السُّجود)

ووضعة الرُكْبة والصدر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣) .

10707 position (dite) obstetricale

١٠٧٠٧ وَضْعٌ قِبالي

الوَضْعة القِبالية (المسماة أو كما يطلق عليها) وكذلك وضعـــة الظهر والمصالبة للسرير ، وشق الحصاة في أثناء المخاض، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٤)

---

(١) (Walcher position) .

(٢) (knee- elbow position) .

(٣) (knee - chest position) .

(٤) (dorsal, cross - bed or lithotomy in labour) .

10708 position de relâchment

١٠٧٠٨ وَضْعُ استِرْخاء

وضعة الارتخاء أو الفتور

10709 position de la taille

١٠٧٠٩ وَضْع الخزْع المثاني

وَضْعة خزْع المثانة أو الشقّ الحصوى ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، أو الوَضعة الظَهْرية العجُزية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١).

10711 position ventrale, décubitus abdominal ou ventral

١٠٧١١ وَضْع بَطْني ، استلقاء على البَطْن ، انبطاح ، انكباب

وأفضل الوَضْعة البَطْنية ، انبطاح لا الاستلقاء(٢)

10714 Poste de secours, ambulance

١٠٧١٤ مَرْكز إسعاف ، مَسْعَف ، مُسْتَشْفى سيَّار

مَرْكز إسعاف ، نَقّالة ، مَرْكز الاسعاف الأوّلي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

10717 Posthypophyse

١٠٧١٨ فَص النُخامَة الخلفي

وأفضل الفَص الخلفي للغدة النخامية ، وكما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة

10718 Post mortem (après la mort)

١٠٧١٨ في عَقِيب الموت (بعد الموت)

---

(١) (lithotomy or dorso - sacral position) .

(٢) في لسان العرب : واستلقى نام على ظهره .

(٣) (first - aid station, first - aid post) .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بعد الوفاة

١٠٧٢٠ بَعْد البَضْع ، عَقِب البَضْع 10720 Post - opératoire

وأفضل بَعْد الجراحة

١٠٧٢٤ ما يُطبَخ في قِدْر ، طَبيخ ، طَبْخة 10724 pot - au - feu

والصحيح السُلاقة وبخاصة سُلاقة اللحم[١]

١٠٧٢٥ شَروب ، شَريب 10725 Potable

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة شَريب

10726 Potage à la farine de céréales, soupe à la farine

١٠٧٢٦ حِساء بدقيق الحبوب ، حساء بالدقيق

حِساء بدَقيق الحبوب حِساء بالطّحين أو حَريرة[٢]

١٠٧٢٧ حِساءٌ بدَسَم 10727 Potage au gras

ولعلها الخَزيرة [٣]

١٠٧٢٨ حِساء بالخُضَر 10728 Potage aux herbes

وأرجح بالبقول

١٠٧٢٧ حِساء بدون دسم 10727 Potage maigre

وأفضل حِساء غير دسم

---

(١) معجم لاروس .

(٢) في لسان العرب : والحَريرة الحسا من الدَسم والدقيق .

(٣) في لسان العرب : والخزيرة والخزير الحسا من الدسم والدقيق وقيل الحسا من الدسم .

10734 potassium (carbonate acide de) bicarbonate de potassium

١٠٧٣٤ البوتاسيوم (فَحْمات) الحامِضة ثاني فَحْمات البوتاسيوم

وأرجح البوتاسيوم (كربونات) الحامضة ثاني كربونات البوتاسيوم

10735 Potassium (carbonate neutre de)

١٠٧٣٥ البوتاسيوم (فحمات) المعتدلة

وأرجح بوتاسيوم (كربونات) الحامضة وثاني كربونات بوتاسيوم في الأولى ، بوتاسيوم (كربونات) المعتدلة في الثانية[1]

10749 potentiel d'action consécutif ou tardif (courbe oscillo graphique) .

١٠٧٤٩ متكْنون العَمَل التالي أو المتأخر (منحني المخطط النَّوَّساتي)

وأفضل الفعل أو الأثر الكامن التالي أو المتأخر كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2] (المخطط الذبذبي)[3]

10750 potentiel d'action de plaque motrice

١٠٧٥٠ متكْنون عمل اللوحة المُحَرِّكة

الأثر الكامن أو الفِعل الكامل للوحة المحركة

10751 potentiel d'action de pointe (courbe oscillographique)

١٠٧٥١ متكنون عَمَل الأسنة أو الأسنان (منحني المخطط النوساني)

الذَرْوة أو القِمة الارتفاع الرئيسي في المخطط الذبذبي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1] .

---

(١) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (after potential oscillographic tracing) .

(٣) الصفحة ٤٩٣ من المجلد التاسع والاربعين من هذه المجلة .

(٤) (spike main deflection of the oscillographic tracing) .

10752 potentiel hydrogène, pH, symbole de la concentration d'iones acides H

١٠٧٥٢ مكنون الهدرجين : أ. ه.

رمز التركيز من شوارد الهيدروجين الحمضية

الهيدروجين الفعّال ب. ه رمز التركيز للهيدروجين الحامض الأثر هـــذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة لِـ (potency) بالفعالية وجاء في التعريف : هي قوة تأثير المادة للحصول على نتائج خاصة مثل فعالية الدواء.

10753 Potion, mixture

١٠٧٥٣ جَروع ، مَزيج

والشائع ترجمـــة اللفظة الأولى بشراب وأفضل شراب جروع يُشرب بجرعات .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة الثانية بمزوج . وقد جاء في الترجمـــة الانكليزية من المعجم الأصلي (draught, draft) وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة الثانية بشَربة ، وجاء في الشرح : مقدار كبير من الدواء يؤخذ دفعة واحدة ، هذا وتطلق الشَربة في بلاد الشام على الدواء المسهل .

10754 potion gazeuse

١٠٧٥٤ جَروع غازي

وأفضل شراب غازي أو شَربة غازية لأنه لايتجرع عادة بل يُشرب دفعه واحده ، وشراب فوّار كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١) .

للبحث صلة

---

(١) (saturation or effervescing potion or draft) .

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

مخطوطة الرباط – لم تصل إلينا مخطوطة الرباط سليمة تامة الأجزاء ، فقد أبت يد الحدثان إلا أن تذهب بسفرها الأول ، وبقي لنا سفراها : الثاني والثالث ، وجدا في مكتبة الزاوية الناصرية بمدينة تمكروت[1] . ثم نقلا إلى الخزانة العامة بالرباط (مخطوطات الأوقاف) .

خط النسخة مغربي ، يجمع بين الصحة والوضوح والجمال ، وضبطت كلماتها بالنقط والشكل المغربيين فأتقن ضبطها ، وتضم كل صفحة في المخطوطة (٢١) سطراً ، وقد جعل الناسخ بين كل فقرتين دارة تفصل بينهما ،

---

(١) الزاوية الناصرية : أنشئت بمدينة تمكروت (تامكروت) ، من وادي درعة ، جنوبي المغـــرب الأقصى ، وعرفت لذلك بزاوية تمكروت . وكانت تشتمل على نحو عشرة آلاف مخطوط ، كلها من غريب الكتب ونفيسها ، ثم عبث بها العابثون ، فتمزقت شرَّ ممزّق ، وعثر على أشلائها تعرض في الأسواق بأيدي الوراقين والسماسرة (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١ : ٩ – ١٠ م ، ٢١ م ، الزاوية الدلائية لمحمد حجي : ٥٦ – ٦١) .

ونقطت الدارة في وسطها ، اشعاراً بمعارضة النسخة ومقابلتها بالأصل(١) . وتدل التعليقات في حواشي المخطوطة على أن النسخة منقولة عن أصل جيد ، مقروء ، مقابل بعدة نسخ أصول . وتلك التعليقات نوعان : فإذا كان التعليق استدراكاً لكلمة أو كلمات سقطت ـ ويسمى ذلك المستدرك : اللحق (بفتح اللام والحاء المهملة) ـ أثبت الناسخ في موضع السقط من السطر خطاً صغيراً صاعداً إلى فوق ، ثم يعطفه بين السطرين عطفة يسيرة إلى جهة الحاشية التي يكتب فيها اللحق ، ثم يكتب عند انتهاء اللحق المثبت في الحاشية كلمة : « صح » صغيرة . وتلك هي الطريقة المختارة في تخريج الساقط(٢) . أما إذا كان التعليق في الحاشية شرحاً وتفسيراً ، أو فائدة ، أو تنبيهاً على غلط ، أو اختلاف رواية ، أو نسخة ، أو ضبط ، أو نحو ذلك مما ليس في الأصل ، فقد أثبت الناسخ على الكلمة المقصودة في النص علامة كالضبة أو التصحيح ، ايذاناً بذلك(٣) . فكانت العلامة (ــص) المثبتة فوق الكلمة تدل على التخريج في الحاشية اليمنى ، وكانت العلامة (صــ) للتخريج في الحاشية اليسرى .

(١) علوم الحديث لابن الصلاح : ١٦٥ - ١٦٦ ، فتح المغيث ٢ : ١٥٧ - ١٥٨

(٢) الالماع : ١٦٢ - ١٦٤ ، علوم الحديث : ١٧١ - ١٧٣ ، فتح المغيث ٢ : ١٧٢ - ١٧٣ ، وقد يثبت الناسخ أحياناً عند انتهاء اللحق كلمتي : « صح ، أصل » (٢ : ١٠٤ ، ١١٤ ، ٢٨٥ ، ٣ : ٤ ، ٢٣ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٦٤ ، ٢٣٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦) أو : « أصل ، صح » (٢ : ١٠٧ ، ٣ : ٢٣٩) ، أو : « أصل » (٢ : ٣٠١ ، ٣ : ١١٩) .

(٣) الالماع : ١٦٤ ، علوم الحديث : ١٧٣ — ١٧٤ ، فتح المغيث ٢ : ١٧٤ — ١٧٥

فكأنّ التخريج في طرّتيـــه طرر صفّفت ببيض الخدود(١)

ويظهر التعقيب في أسفل الصفحات اليمنى ، لضبط أوراق المخطوطة ، خشية أن تزيح عن مواضعها ، ويبدو أن التعقيب في النسخة متأخر عن وقت النسخ ، قام به قارىء خشي على النسخة أن تختل أوراقها ، يدل على ذلك أن التعقيب جاء في أوراق زاحت عن مواضعها (٢ : ٣٠١ - ٣٠٤ ، ٣ : ١١ - ١٢) ، والتزم الناسخ عند ختام أحاديث الصحابي أوالتابعي التي شرح غريبها ولغاتها ألا ينتقل إلى أحاديث من يليه حتى يفصلها عن سابقتها بمثل قوله : « انتهى حديث أبي بكر رضي الله عنه ، يتلوه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه » .

السفر الثاني من المخطوطة - عدد صفحات السفر الثاني (٣٠٦) صفحة ، وقد جاء في أول صفحة منه : « كتاب شرح الحديث ، بلغاته ، وأمثاله ، وشاهـــده ، تأليف : أبي محمد قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي ، رواية ابنه ثابت [بن] قاسم ، رضي الله عنهـــم »(٢) ، وتحته : « ملك لله تعالى ، بيد سيد محمد بن ناصر ، بقرش »(٣) . وجاء في جانب الصفحة الأيسر:

---

(١) الالماع : ١٦٥ ، فتح المغيث ٢ : ١٧٦

(٢) كتب العنوان بخط كاتب مشرقي غير محسن ، لذلك حرفت كلمـــة : « بلغاته » إلى : « بلغاة » وأضيف إلى : « حزم » كلمة : « حازم » .

(٣) محمد بن ناصر الدرعي : ينتهي نسبه إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، هاجر أجداده إلى درعة في صدر القرن العاشر الهجري ، وولد محمد بن ناصر ونشأ بقرية اغلان في درعة ، ثم انتقل إلى تامكروت في عام ١٠٤٠ هـ وأقام في زاويتها فنسبت إليه . كان مشاركاً في فنون من العلم كالفقه والعربية والكلام والتفسير =

« مصنف الكتاب من تلامذة الامام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي ، صاحب السنن[١] ، يظهر ذلك من مطالعة كتابه هذا ، إذ يخرج عنه الحديث فيقول : حدثنا أحمد بن شعيب النسائي » . ووسمت الصفحة الأولى في أعلى الجانب الأيسر بختم نقشه : « مخطوطات الأوقاف – الخزانة العامة بالرباط » وفي وسط الختم رقم : « ١٩٧ ب »[٢] .

أما الصفحة الثانية التي يبدأ بها الكتاب ، ففيها في الحاشية اليمنى ختمان : واحد منها : ختم خزانة الرباط السابق ، والثاني ختم منقوش فيه : « مكتبة الزاوية الناصرية – تمكروت » وفي وسطه رقم : « ٣٢٣ ص » ، وقد وسمت به الصفحة الرابعة أيضاً في حاشيتها اليمنى[٣] .

= والحديث والتصوف ، توفي سنة ١٠٨٥ هـ ، وإليه ينتسب الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري مؤلف كتاب : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الاستقصا ١ : ٩ م، ٧ : ٤٣ ، ١٠٥ – ١٠٦ ، الزاوية الدلائية : ٥٦ – ٦١) .

(١) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الحافظ ، كان امام عصره في الحديث ، استوطن مصر ، له من المصنفات : السنن الكبرى ، والصغرى ، وهي أحد الكتب الستة ، وله خصائص علي ، ومسند علي ، ومسند مالك ، توفي بمكة ، وقيل : بالرملة ، في سنة ٣٠٣ هـ (وفيات الأعيان ١ : ٧٧ – ٧٨ ، العبر ٢ : ١٢٣ – ١٢٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٩٨ – ٧٠١ ، حسن المحاضرة ١ : ١٦٣ ، فهرست ابن خير : ٥٨ ، ١٠٧ ، ١١٠ – ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٤٥ – ١٤٨ ، ٢٠٩ ، وانظر مصادر ترجمته الأخرى في الاعلام للزركلي ١ : ١٦٤ ، المستدرك الثاني : ٢٣ ، ومعجم المؤلفين ١ : ٢٤٤ – ٢٤٥) ، قرأ عليه قاسم بن ثابت وأبوه بمصر (ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، بغية الملتمس : ٤٣٤ ، نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥٠ : ٥١٧) .

(٢) أثبت الختم نفسه ، ولكن دون ترقيم ، في الصفحات : ١٥ ، ٥٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦٧ ، ٢٠٧ ، ٢٢٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٦) ،

(٣) أثبت الختم نفسه ، دون ترقيم ، في الصفحات : ١٦٤ ، ٢٥٠ ، ٣٠٦

ويبدأ المخطوط في مطلع الصفحة الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

وقال : في حديث النبي ﷺ أنه أتي بعلالة شاة ، فأكل منها ثم صلّى ، ولم يتوضأ[1] .

يرويه سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر[2] .

قوله : بعلالة شاة ، يريد : بشيء يسير كان قد فضل منها . قال الراجز :

أحمل أُمي وهي الحمّاله
ترضعني الدرة والعلاله
ولا يجازى والد فعاله[3]

قال أبو زيد : العلالة : اللبن بعد حلب الدرة تنزله الناقة[4] ، والأمّ تعلّل صبيّها بشيء من المرق واللبن[5] . وأنشد :

---

(١) الفائق للزمخشري ٢ : ٤١ ، النهاية في غريب الحديث والأثر (علل)٣ : ١٤٠

(٢) ذكر في تهذيب التهذيب (٤ : ١١٢ ، ٦ : ١٤) أنّ السفيانين : سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، قد رويا عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، وذكر في لسان الميزان (٣ : ٥٣) أن سفيان بن عبد الله بن زياد بن حدير قد روى عنه . ونرجح أن المراد هنا هو سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) — انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ : ١١١ - ١١٥ ، وسبقت الترجمة لعبد الله بن محمد بن عقيل ، وجابر ابن عبد الله (مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥١ : ٢٤٣)

(٣) ورد الرجز في كتاب العين ١ : ١٠٠ ، والمحكم لابن سيده ١ : ٤٥ ، ولسان العرب وتاج العروس (علل) .

(٤) أورد العبارة صاحب التاج (علل) ، وجاء في كتاب الابل للأصمعي (الكنز اللغوي : ٨١ - ٨٢) : « وأما العلالة فلبن ينزل بعد لبن ، وأصل ذلك من قولك : نهل البعير وعلّ » .

(٥) قال صاحب العين (١ : ١٠٠) : « والأم تعلل الصبي بالمرق والخبز ليجتزيء =

وقال الذي يرجو العلالة وَرَّعوا عن الماء ، لايطرق وهن طوارقُه
فما زلن حتى عاد طرْقاً ، وشيَّبْنه بأصفرَ تذريه سجالاً أيانقُـه(١)

وأخبرنا أبو الحسين عن أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابي(٢) قال : التعلة والتعلل واللهو : واحد ، وأنشد :

= به عن اللبن ... والعلالة : بقية اللبن ، وبقية كل شيء ... » ونقله ابن سيده في المخصص (١ : ٢٨) وكان قاسم بن ثابت وأبوه أول من أدخل كتاب العين للخليل ابن أحمد إلى الأندلس (مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥٠ : ٥١٩) ، وفي المحكم ١ : ٤٥ ، واللسان (علل) قريب مما في كتاب العين .

(١) قال في اللسان (ورع) : وَرَّع الابل عن الحوض : ردَّها فارتدت ، قال الراعي :

وقال الذي يرجو العلالة ورَّعوا عن الماء ، لايطرق وهن طوارقه

وتجد الشاهد نفسه في المحكم ٢ : ٢٥١ - ٢٥٢ والتاج (ورع) . ولم يرد البيتان في شعر الراعي المجموع (ط. دمشق) . والطرق : هو الماء الذي يكون في الأرض ، فتبول فيه الابل وهـو مستنقع . يقال له : طرق ومطروق (غريب الحديث لأبي عبيد ٤ : ٤٣٥) . والأيانق : جمع الجمع ، المفرد : ناقة وجمعها أينق وجمع الجمع أيانق .

(٢) أبو الحسين محمد بن ولاد التميمي ، أخذ عن أبي علي الدينوري وعن محمود ابن حسان وغيرهما بمصر ، ثم رحل إلى العراق ، وأقام بها ثمانية أعوام ، ولقي المبرد وثعلبا . وكان حسن الخط ، صحيح الضبط . قـرأ على المبرد كتاب سيبويه ، وله كتاب المنمق ، والمقصور والممدود . وعدَّه الزبيدي في الطبقة الثانية من النحويين واللغويين المصريين . توفي سنة ٢٩٨ ﻫ (طبقات الزبيدي : ٢١٧ ، ط ٢ ، بغية الوعاة : ١١٢ ، معجم الأدباء ١٩ : ١٠٥ - ١٠٦ ، الاعلام للزركلي ٧ : ٣٥٩ ، معجم المؤلفين ١٢ : ٩٥) وقد صرح القاسم بن ثابت باسمه في كتابه الدلائل حين قال : « وكان أبو الحسين محمد بن ولاد النحوي يقول في قول خنساء :

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه : يالهف نفسي على عمرو =

غنينا فأفنينا النهار تعلة ... بإرقاص مرقال تخبّ وتعنق

لها من رديف كان لدنا ردافه ... وذو رقع من خمر عانة متأق

لها : أي من اللهو ، وذو رقع : يريد زقاً ، وألهاه ذو رقع أيضاً . وقال الأسود بن يعفر :

ألا هل لهذا الدهر من متعلّل ... على الناس مهما(١) شاء بالناس يفعل

وهـذا ردائي عنده يستعيره ... ليسلبني نفسي ، أمالِ بن حنظلِ(٢)»

واختتم السفر الثاني منه (ص : ٣٠٦) بقوله : « وفي قول أبي مسعود [عقبة بن عمرو الأنصاري] : كراهية أن يعلم ، ثلاث لغات : كراهية وكراهة وكراهين ، قال أبو زيد : سمعت أعرابياً من بني تميم يقول : أتيتك

= قال : معناه : قد فات خطوها الذي كانت تخطوه لتدركه ، أي لكي تدركه ..» (مخطوطة الظاهرية ، ظ ٨١) .

— أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، كان من الحفظ والعلم وصدق اللهجة ، والمعرفة بالغريب ، ورواية الشعر القديم ، ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين ، على ماليس عليه أحد ، نظر في النحو ، وله ثمان عشرة سنة ، وصنف الكتب وله ثلاث وعشرون — انظر مراجع ترجمته في حاشية : انباه الرواة ١ : ١٣٨ ، وحاشية : وفيات الأعيان ١ : ١٠٢ (تحقيق د. إحسان عباس) وفي الأعلام للزركلي ١ : ٢٥٢ ، ومعجم المؤلفين ٢ : ٢٠٣ - ٢٠٤

— أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ، كان نحوياً ناسباً كثير السماع راوية لأشعار القبائل ، كثير الحفظ ، ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه — انظر مراجع ترجمته في حاشية : انباه الرواة ٣ : ١٢٨ ، وحاشية : وفيات الأعيان ٤ : ٣٠٦ ، وفي الاعلام ٦ : ٣٦٥ — ٣٦٦ ، ومعجم المؤلفين ١٠ : ١١ — ١٢

(١) رسمها الكاتب في النسخة : « مهمى » .

(٢) أنظر البيتين وتخريجها في : ديوان الأسود بن يعفر (صنعة د. نوري حمودي القيسي - بغداد ، ١٩٧٠) : ٥٦ - ٥٧ ، ٨١

كراهين أن تغضب »[١] . وجاء في أثره : « تم الشرح بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد نبيّه وعبده ، وعلى آله وسلم تسليماً ، وزادهم شرفاً وتعظيماً . يتلوه في السفر الثالث ، إن شاء الله تعالى ، وقال : في حديث النعمان بن بشير رحمه الله » ، وجاء في الحاشية اليمنى : « بلغت بالمقابلة بالأصل المنقول منه ، والحمد لله »[٢] .

السفر الثالث من المخطوطة ـ عدد صفحات السفر الثالث (٣٠٨) صفحة ، وقد جاء في أول صفحة منه : « كتاب الدلائل في معاني الحديث » وتحته : « ملك لله تعالى ، بيد سيد محمد بن ناصر بقوش » ، يلي ذلك : « الحمد لله وحده . مؤلف هذا الكتاب ، على ما في اختصار نفح الطيب المسمى بتغريد المنادليب على غصن الأندلس الرطيب ، هو : قاسم بن ثابت أبو محمد العوفي السرقسطي ، رحل مع أبيه ، فسمع بمصر من أحمد بن

---

(١) ورد الحديث في مخطوطة الظاهرية (و ٦٦) ، وعلق عليه في الحاشية : « قال الحطيئة شاهداً على الكراهين :

وبكرٍ فلاها عن نعيم ، غريرةٍ مصاحبةٍ على الكراهين فاركٍ »

قال السكري : « يريد بكراً سباها ، فقطعها عن نعيم أهلها ، فصارت لغير بعلها ، مصاحبة له على الكراهية ، فاركاً له . يقال : كراهة وكراهية وكراهين ، بمعنى واحد » (ديوان الحطيئة : ٦٦) وجاء الشاهد في اللسان والتاج (كره) .

(٢) أشير إلى المقابلة في تضاعيف السفر بعبارات متقاربة مثل : بلغت بالمقابلة ، بلغت بالمقابلة فالحمد لله على ذلك ، بلغت بالمقابلة فصح والحمد لله وصلواته على محمد وعلى آله وسلم تسليماً ، بلغت بالمقابلة بالأصل (ص : ١٢ ، ٥٠ ، ٧٧ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ٢٠٣ ، ٢٢٨ ، ٢٥٠ ، ٢٨٧) .

شعيب النسائي ، والبزّار ، وبمكة من [عبد الله بن][1] علي بن الجارود . والجوهري ، واعتنى بالحديث واللغة هو وأبوه فأدخلا للأندلس علماً كثيراً ، ويقال : إنهما أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس . وألّف[2] قاسم هذا في شرح الحديث كتاباً سماه : الدلائل ، بلغ فيه الغاية من الاتقان ، ومات قبل إكماله ، فأكمله أبوه ثابت بعده . وقد رُوي عن أبي علي البغدادي أنه كان يقول : كتبت كتاب الدلائل ، وما أعلم أنه وضع بالأندلس مثله . وكان قاسم عالماً بالحديث والنحو والشعر ، وكان ، مع ذلك ، ورعاً ناسكاً[3] ، وأريد للقضاء بسرقسطة ، فامتنع من ذلك ، فأراد أبوه اكراهه على ذلك ، فسأله أن يتركه ينظر في أمره ثلاثاً [فمات في هذه الثلاثة الأيام] فيرون[4] أنه مات في تلك الثلاث لأنه دعا لنفسه بالموت ، وكان مجاب الدعوة . توفي في سنة اثنتين[5] وثلاثمائة بسرقسطة ، رحمه الله تعالى ، آمين ، آمين »[6] ، وفي زاوية الصفحة اليسرى ختمٌ

---

(١) زيادة لابد منها — انظر : نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، وابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، وبغية الملتمس : ٤٣٤

(٢) كتبت في المخطوطة : « واللف » بلامين ، وكذلك جاءت بلامين في تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ هـ ١ .

(٣) كتبت في المخطوطة : « نسكا » بغير ألف .

(٤) جاءت في المخطوطة بواو واحدة ، وكذلك جاءت في أصل ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ هـ ١ ، وفي بغية الملتمس : ٤٣٥ ، وهي صحيحة المعنى ، ولكن ناشر ابن الفرضي جعلها : فيروون ، بواوين . وكذلك جاءت بواوين في نفح الطيب ٢ : ٤٩

(٥) جاءت في المخطوطة : « اثنين » .

(٦) انظر : نفح الطيب ٢ : ٤٩ — ٥٠ ، وابن الفرضي ١ : ٤٠٢ — ٤٠٣ ، فقد تابع المقري في الترجمة التي عقدها لقاسم ما جاء في كتاب ابن الفرضي .

نقشه : « مخطوطات الأوقاف - الخزانة العامة بالرباط » وفي وسط الختم رقم « ١٩٧ ج » ، ووسمت الصفحة الثانية من المخطوطة بختمين ، أحدهما : ختم الخزانة العامة نفسه ، دون ترقيم[1] ، والثاني : نقش فيه : « مكتبة الزاوية الناصرية - تمكروت » وفي وسط الختم رقم : « ٣١٨ ص » ووسمت به أيضاً الصفحة الرابعة[2] .

ويبدأ السفر الثالث في الصفحة الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على النبي الكريم محمد ، وعلى آله وسلم تسليماً .

وقال : في حديث النعمان بن بشير رحمه الله قال : استعملني عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان على صدقات سعد هـــذيم ، وهم : عذرةُ ، وسلامانُ[3] ، وضنّةُ ، والحارث ، وهم من قضاعة ، فلما قبضت الصدقة قسمتها بين أهلها ، وأقبلت بالسهمين الباقيين إلى عمر أو عثمان ، فلما كنتُ ببلاد عذرة في حيّ منهم يقال لهم : بنو هند ، إذا أنا ببيت حريد ، جاحش عن الحي[4] ، فملت إليه فإذا عجوز جالسة عند كسر البيت ، وإذا شاب نائم في ظل البيت ، فلما قعدتُ فسلمت ترنم بصوت له ضعيف فقال :

جعلتُ لعرّاف اليمامة حكمه ... وعراف حَجْر إن هما شفياني

---

(١) وجاء مثله دون ترقيم في الصفحات : ٤٦ ، ٤٧ ، ١٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨

(٢) ووسمت بالختم نفسه دون ترقيم الصفحات : ٨٦ ، ١٨٦ ، ٢٦٨ ، ٣٠٨

(٣) أثبت فوقها كلمة « صح » صغيرة .

(٤) جاء في المحكم (٣ : ٢٩) واللسان (جحش) : « وجحش عن القوم : تنحّى ، ومنه قول النعمان بن بشير : فبينا أنا أسير في بلاد عذرة إذا ببيت حريد جاحش عن الحي » زاد في اللسان : « والحريد ، في قول النعمان بن بشير : الذي تنحّي عن قومه وانفرد » .

فقالا : نعم ، نشفي من الداء كله وقاما مـع العـــواد يبتدران
نعم وبلى قالا : متى كنت هكذا ليستخبراني ، قلت : منذ زمان
فما تركا من رقيـــة يعلمانها ولا سلوة إلا بهـــا سقياني[١]
فقالا : شفاك الله ، والله مالنا بما حُمِّلتْ منك الضلوعُ يدان[٢]

ثم شهق شهقة خفيفة فنظرت ، فإذا هو قد مات ... »[٣] .

وكان ختام السفر الثالث (ص : ٣٠٨) : « وفي حديث لعبد الملك ابن مروان أن رجلًا وصف له ظبية صادها وشواها ، قال : ثم كشطت عنها جلدها كالقُبطية البيضاء ، واستخرجت سُرتها كالفرنيّة الحمراء .

الفُرنيّةُ : خبزة مسلّكةٌ مصعنبةٌ ، تشوى ثم تروّى لبناً وسمناً وسكراً . وأهل الشام يتخذون الفرنية على صنعة كير الزجاجين ، يختبزون فيه الفرنية »[٤] . ثم يليه : « كمل كتاب الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل ، تأليف أبي محمد قاسم بن ثابت رحمه الله ، والحمد لله على عونه وتأييده ، وصلى الله على محمـــد نبيه المصطفى ، وعلى أهله وذريته ، وسلم وشرف

(١) اثبت فوقها علامة التنبيه على اختلاف النسخ ، ليذكر في الحاشية : « شفياني » فوقها « خ » صغيرة ، أي أن الرواية قد جاءت في نسخة ثانية : شفياني ، بدل : سقياني ، لأن الخاء المعجمة رمز النسخة (فتح المغيث ٢ : ١٧٥) .

(٢) انظر الخبر والقصيدة وتخريجها في نوادر القالي : ١٥٧ – ١٦٢ ، وسمط اللآلى ٣ : ٧٣ – ٧٤

(٣) يقع الحديث في مخطوطة الظاهرية (و ٦٦) .

(٤) يقع الحديث في مخطوطة الظاهرية (ظ ١٧٩) .

وكرم». وتحت ذلك: «بلغت بالمقابلة بالأصل المنتسخ منه[١]، والحمد لله على ذلك، وصلواته على محمد رسوله، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً كثيراً».

– وإذا تجاوزنا ماجاء في الحواشي من استدراك يتصل بالسقط، فلعله يحسن أن نختار بعض الحواشي الأخرى التي لاتخلو من دلالة خاصة:

– جاء في (٢ : ٦١): وقال: في حديث النبي ﷺ الذي يرويه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا إذا اشتد البأسُ، واحمرّت الحدقُ اتقينا برسول الله ﷺ، فلم يكن أحد منا أقرب الى العدوّ منه» فكان التعليق في الحاشية: «تكرر هذا الحديث في حديث علي»[٢].

– عرض قاسم بن ثابت (٢ : ٦٧) لقول رسول الله ﷺ: اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه[٣]، وذكر وجهين في تفسيره، ثم قال: «وأما العامة فإنهم يأبون إلا الوجه الأول، وقال فيه شاعرهم:

ودعاني اليك قول رســول الـ ... ـله، إذ قال مفصحاً إفصاحاً:

إن أردتم حـوائجاً من أناس ... فتوخوا بها الوجوه الصباحـا

فلعمري، لقـد تخيرتُ وجهاً ... مـا به خاب من أراد نجاحاً»

فكتب أحد القراء في الهامش: «حاشية - ومنه أيضاً، لله درّه:

---

(١) أشير إلى المقابلة في أضعاف السفر (ص: ٣، ٣٤، ٥٤، ٧٨، ٩٨، ١١٨، ١٥٨، ١٧٨، ١٩٨، ٢١٨، ٢٣٨، ٢٥٨).

(٢) انظره في حديث علي - المخطوطة ٢ : ١٩٧

(٣) رواه السيوطي في الجامع الصغير: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» وانظر طرقه ورواياته في شرح المناوي: فيض القدير ١ : ٥٤٠ - ٥٤١

لقد قال الرسول وقال حقاً : ، وخير القول ماقال الرسولُ ،
اذا الحاجات . . . فاطلبوها الى من وجهه حسن جميلُ
وكتبه أحمد بن سربه[١] » .

ـ وذكر قاسم بن ثابت (٢ : ١٧٦) كلمة سماك بن حرب[٢] في أبي زبيد الطائي[٣] : أنه لقيه أسد بثني الفرات فسلّحه ، فصار شعر أبي زبيد كلـه في الأسد ، فجاء التعليق في الحاشية اليمنى : « قال أبو جعفر بن النحاس[٤] في طبقات الشعراء له : في بعض الأخبار أن شعبة قال : قلت

(١) جاءت الكلمة مهملة في المخطوطة .

(٢) أبو المغيرة سماك بن حرب الذهلي البكرى الكوفي . توفي سنة ١٢٣ ﻫ (تهذيب التهذيب ٤ : ٢٣٢ - ٢٣٤) .

(٣) أبو زبيد حرملة بن المنذر ، وقيل : المنذر بن حرملة ، من قبيلة طيّـىء ، كان جاهلياً قديماً ، وأدرك الاسلام ، فعدّ في المخضرمين ، وكان من المعمَّرين ، نادم الوليـد بن عقبة ، وكان مغرى بوصف الأسد . تجد ترجمته وأخباره في : طبقات فحول الشعراء (تحقيق أستاذنا الشيخ محمود محمد شاكر) ٢ : ٥٩٣ - ٦١٥ ، والشعر والشعراء ١ : ٢٦٠ - ٢٦٤ ، والأغاني ٥ : ١٣٣ - ١٤٠ ، ١٢ : ١٢٧ - ١٣٩ ، ومعجم الأدباء ١٠ : ١٩١ - ٢٠٩ ، وخزانة الأدب ٢ : ١٥٣ وما يليها ، وانظر بقية المراجع في حاشية : الشعر والشعراء ١ : ٢٦٠ ، وفي الاعلام للزركلى ٨ : ٢٢٨ ، المستدرك الثاني : ٢٤٨ ، وقد جمع شعره الدكتور نوري حمودي القيسي (بغداد ، ١٩٦٧) .

(٤) أبو جعفر أحمـد بن محمد بن اسماعيل المرادي النحاس النحوي المصري (ت ٣٣٨ ﻫ) ، كان عالماً بالنحو حاذقاً ، وخرج إلى العراق ، ولقي أصحاب المبرد ، وله تصانيف في النحو وفي تفسير القرآن جياد مستحسنة . توفي بمصر — =

للطرماح[١] : ماشأن أبي زبيد وشأن الأسد ، قال : انه لقيه أسد بالنجف ، فسلّحه ، وذكروا أن عثمان بن عفان كان يدنيه ويقربه ، وكان نصرانياً » .

– أورد القاسم (٢ : ١٨١) كلمة علي بن أبي طالب يوم الجمل التي يقول فيها : « ثم استُخلف عمر ، رحمه الله ، فأقام واستقام ، ثم ضرب الدين بجرانه ... » وعقّب بتفسير غريبه فقال : « قوله : ضرب الدين بجرانه : يعني أنه انتهى إلى ذلك ثم جثم ولم ينهض ، وسكن من غلوائه »[٢] فأثبت الناسخ شبه علامتي تضبيب في مبدأ قوله : وسكن من غلوائه ، ونهايته ، ليعلق على ذلك بقوله : « ثبت المعلّم ـ حاشية » .

– وحين روى القاسم (٢ : ١٨٢) كلمة الحصني يذكر فيها نجماً يعرف بسهم الرامي ، حيال القلادة ، جاء في الحاشية اليمنى تعريفاً بالشاعر الحصني : « قال الأصبهاني : اسمه محمد بن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك ، ينسب إلى حصنه ، وقال ابن قتيبة : هو رجل من أهل الشام ، كان حسن المعرفة بمناظر النجوم ، وأنشد له في كتاب الأنواء ، من هذا الشعر :

حتى إذا ما الحـــوت في حـــوض من الدلو كرع

ووازن الكف التي فيها خضاب قد نصـــع

= انظر مراجع ترجمته في حاشية : انباه الرواة ١ : ١٠١ ، والأعلام للزركلي ١ : ١٩٩ ، ١٠ : ٢٧ ، ومعجم المؤلفين ٢ : ٨٢ – ٨٣

(١) أبو بسطام شعبة بن الحجاج البصري (ت ١٦٠ هـ) ، لم يكن في زمنه مثله في الحديث ، وكان صاحب نحو وشعر ، قال فيه الأصمعي : لم نر أحداً أعلم بالشعر منه (تهذيب التهذيب ٤ : ٣٣٨ - ٣٤٦) .

– أبو نفر الطرماح بن حكيم ، من طيّىء ، من شعراء الدولة الأموية وكان يرى رأي الخوارج ، انظر مراجع ترجمته في حاشية الشعر والشعراء ٢ : ٥٦٦ والاعلام للزركلي ٣ : ٣٢٥

(٢) جاء الحديث في مخطوطة الظاهرية (و ٣) .

قال الدليل : عرّسوا فليس في صبحٍ طمع[1] »

– جاء في الدلائل (٢ : ١٨٣) : « قال الشاعر[2] :

تضحي وقد ضمنت ضراتها غرقاً من طيب الطعم حلو غير مجهود

فوضع الناسخ علامتي تنبيه : أولاهما فوق كلمة تضحي ، ليذكر في الحاشية اليمنى الرواية الصحيحة :

« تصبح وقد ضمنت

وتصبح : جـواب الشرط في البيت الذي قبله » ، والعلامة الثانية فوق كلمة : « غرقا » ليذكر في الحاشية اليسرى نقلاً عن : س : « في [كتاب] العين : اللبن : عرق يتحلب في العروق حتى ينتهي إلى الضرع . وأنشد بيت الشماخ بن ضرار :

تصبح وقد ضمنت ضراتها عرقا[3]

وسائر الغويين رواه غرقا ، جمع غرقة »[4] .

– ويروي قاسم (٢ : ٢٠٦) قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب : « أين درعك الحطمية ؟ » ويذكر أنها : « منسوبة إلى حطمة بن

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥١ : ٢٥٧ - ٢٥٩

(٢) هو الشماخ يصف الابل ، وقبله :

إن تمس في عرفط ، صلع جماجمه من الأسالق عاري الشوك مجرود

يقول الشماخ في صفة الابل : هي ، على قلة رعيها وخبثه ، غزيرة اللبن . وانظر : البيتين وتخريجها في : ديوان الشماخ بن ضرار الغطفاني (ط. دار المعارف بمصر) : ١١٧ ، ١٢٧

(٣) كتاب العين ١ : ١٧٣

(٤) في حاشية الظاهرية اليسرى (ظ ٣) تعليق قريب مما هنا .

محارب» فيعلق الناسخ في حاشية الصفحة اليسرى : «ابن حبيب : حطمة ، بفتح الحاء وسكون الطاء ، وعنه أيضاً : حطمة بتحريكها »(١).

– جاء في حاشية الصفحة (٢ : ٢٠٨) العليا تعليق لأحد القراء :

« ولله در القائل :

هـذا الكتاب لو يباع بوزنه ذهباً لكان البائـــع المغبونا

ومن الخسارة(٢) أن تراني آخذا ذهبـاً وأعطي لؤلؤاً مكنونا

ثم كَتَبَ المعلق على حاشية الصفحة اليمنى جدولاً ، وزع فيه الأعداد التسعة وفق ما يلي :

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

وهو توزيع يجعل مجموع كل ثلاثة أعداد من الجدول ، مذكورة في

(١) في حاشية مخطوطة الظاهرية (و ١٣) تعليق أكثر بسطا : « ابن حبيب : حطمة ، بفتح الحاء وسكون الطاء ، وعنه أيضاً : حطمة : بتحريكها بالفتح . ابن دريد : الحطم : رجل من عبد القيس تنسب إليه الدروع الحطمية ، عرفه ابن الكلبي ، وقال الأصمعي : لاأدري إلى [أي] شيء نسب » (مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ٣٩ ، وجمهرة اللغة لابن دريد ٢ : ١٧٢) ، وانظر : الفائق ١ : ٢٦٩ ، ولسان العرب والتاج (حطم) ، والأنساب للسمعاني ٤ : ١٩١ ، والاكمال لابن ماكولا ٣ : ١٦٦ - ١٦٧ مع حاشية الشيخ المحقق الأستاذ المعلمي اليماني .

(٢) كتبت في المخطوطة بالصاد بدل السين .

سطر أفقي ، أو سطر عمودي ، أو على أحد قطري الجدول ، خمسة عشر ، ثم كتب تحتها : « الله حفيظ لطيف قديم أزلي حي قيوم لاينام ».

— يذكر قاسم (٣ : ٣) قول أبي زيد الأنصاري : « ويقال عند الدعاء على الرجل : ألحق الله بك الحوبة » فيضع الناسخ علامة التنبيه فوق كلمة الحوبة ليذكر في الحاشية : « س : من المصنف لأبي عبيد : أصابتهم خوبة : إذا ذهب ماعندهم ، فلم يبق شيء ، كذا روي عنه : خوبة بالخاء المعجمة . ابن الاعرابي : خاب الرجل يخوب خوباً : إذا افتقر فقراً مدقعاً . والعرب تقول : اللهم إنا نعوذ بك من الخوبة ، قاله المطرز عن ثعلب »[1].

— يروي قاسم (٣ : ١٧٢) بيت الفرزدق في الصقيع :

وأصبح مبيض الصقيع كأنه ... على سروات النيب قطن مندف

فيعلم الناسخ على النيب ، ليذكر في الحاشية : « أجود هذه الروايات كلها : النيب من الابل ، قاله س » وهي حاشية لانجد مايماثلها في مخطوطة الظاهرية ، ثم تليها في الصفحة نفسها حاشية ثانية قالها : س ، أيضاً ، وشاركت فيها مخطوطة الظاهرية (و ١١٧) وهي أن النهل جمع ناهل .

— في (٣ : ١٧٥) حاشيتان ، أولاهما ، نجـــد مثلها في مخطوطة الظاهرية (ظ ١١٨) ، أما الثانية : فتنفرد بها مخطوطة الرباط ، تعليقاً على بيت نسب للبيد وهو :

بكى جزعاً من أن يموت وأجهشت ... إليه الجرشّى ، وارمغلّ خنينُها[2]

ليأتي التعليق : « أنشده ابن الاعرابي لمدرك بن حصن الفقعسي » .

---

(١) في مخطوطة الظاهرية (ظ ٦٧) الحاشية نفسها ، وانظر لسان العرب (خوب).

(٢) الجرشى ، كزمكى : النفس ، وارمعلّ الرجل ، بالعين المهملة والغين المعجمة : شهق ، انظر اللسان والتاج في (جرش ، رمعل ، خنن) .

— يروي قاسم (٣ : ١٨٣) قول النابغة :

إذا نطقت حـــذام فأنصتوها فإن القول ما قالت حـــذام

ليأتي التعليق في الحاشية : « البيت للجيم بن صعب بن علي ، يقوله لزوجه حذام بنت جسر بن تيم بن يقدم بن عنز ، قاله ابن الكلبي » وهو تعليق نجـــده في حاشية الظاهرية أيضاً (و ١٢٣) ، إلا أن البيت في الظاهرية يروى :

إذا نطقت حذام فصدقوها

ليشـار في الحاشية إلى أن رواية « فأنصتوها » وردت في نسخة . وهـــذا ، الى جانب أدلة أخرى ، يؤكد أن نسختي الرباط والظاهـــرية قد نقلتا عن أصلين مختلفين ، ولكن كلّا منها قوبل بعدة نسخ أصول . يؤيد ذلك مانجده في بعض تعليقات الحواشي ، كقوله : « المعلم عليه إلى آخر الحديث : ثبت في بعض الكتب ، ثم يقول في نهاية الحاشية : « لم يثبت الملحق في الأصل ، وثبت حاشيةً كما كتبته بخط غ » (٣ : ٢٤٣ ، ٢٤٤) والحاشية نفسها مثبتة في مخطوطة الظاهرية (و ١٥٣) ولكن دون تعليق . وجاء في حاشية للظاهرية (و ١٥٠) : « سقط عند ع إلى آخر الحديث » وهو ساقط حقاً في نسخة الرباط (٣ : ٢٣٧) .

— أورد قاسم (٣ : ٢٥٠) بيت حميد بن ثور :

وصهباء منهـا كالسفينة نضّجت به الحمل حتى زاد شهراً عديدها[1]

وعقّب بتفسيره فقال : « قـــوله : منها : يعني من الابل ، أضمرها ولم

(١) انظر البيت وتخريجه في : ديوان حميد بن ثور الهلالي (ط. دار الكتب ، ١٩٥١م) صنعة الأستاذ الكبير عبد العزيز الميمني .

يُجْر لها ذكراً(١) ، به : يعني بولدها ... » فجاء التعليق في الحاشية : « س : هذا البيت أول القصيدة » .

– وتتطابق أو تتقارب حواشي نسختي الرباط (٣ : ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧) والظاهرية (و ١٥٥ ، ظ ١٥٥ ، ظ ١٥٨) ، إلا أن نسخة الرباط تحتفظ أحياناً بالرمز : « س » أو الرمز : « غ » إزاء الحواشي .

– في (٣ : ٢٥٤) : « غ : نا ابن الهيثم عن داود بن محمد عن ثابت عن ابن الاعرابي » .

– في (٣ : ٢٥٥) : « غ : أبو عمر النمري ، نا عبد الوارث ، نا قاسم ، نا محمد بن عبد الله بن الغاز قال : نا أبو حاتم عن العتبي قال : حدثني أبو حفص قال : كتب عديٌّ إلى عمر يستأذنه ، وذكره » .

* * *

أشار إلى هـــذه المخطوطة الأستاذ الدكتور محمود علي مكي في

---

(١) وكذلك جاءت في مخطوطة الظاهرية (ظ ١٥٥) ، أما في مخطوطة استانبول (و ١٠٧) فجاءت : « ولم يَجْـر لها ذكر » . وكان تعليق الظاهرية في الحاشية على شرح القاسم : « قوله : ولم يجر لها ذكر ، لأن البيت هذا أول القصيدة» . قال في لسان العرب (نضج) : « ونضجت الناقة بولدها ونضجت وهي منضج : جاوزت الحق بشهر ونحوه ولم تنتج ، أي زادت على وقت الولادة » ثم أورد بيت حميد بن ثور شاهداً على ذلك . واستشهد الزمخشري في أساس البلاغة (نضج) بالبيت نفسه منسوباً إلى الحطيئة .

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد[١] وأعاد الحديث عنها في كتاب: المقتبس لابن حيان الأندلسي[٢]. ثم أشار الى المخطوطة الأستاذ عز الدين التنوخي في كلمته التي تحدث فيها عن كتاب الدلائل[٣].

وهذا ثبت ماتضمنه السفران الثاني والثالث من المخطوطة:

وقال في حديث النبي ﷺ (٢ : ٢) — حديث أبي بكر (٢ : ٨٩)
— حديث عمر بن الخطاب (٢ : ١٠٤) — حديث عثمان بن عفان (٢ : ١٤٨)
— حديث علي بن أبي طالب (٢:١٧٦)

وهنا تلتقي المخطوطة المغربية بمطلع السفر الثاني من المخطوطة الظاهرية.

- حديث الزبير بن العوام (٢:٢١٤) - حديث طلحة (٢ : ٢١٩)
- « سعد (٢ : ٢٢٢) - « أبي عبيدة بن الجراح (٢:٢٢٨)
- « عبدالرحمن بن عوف (٢:٢٣٠) - « أبي بن كعب (٢:٢٣٣)
- « أبي موسى الأشعري (٢:٢٣٤) - « حديث المقداد (٢ : ٢٤٠)
- « حديث العباس (٢:٢٤١) - « زيد بن ثابت (٢ : ٢٥٠)
- « عبد الله بن أنيس (٢:٢٥٣) - « حديث معاذ (٢ : ٢٥٣)
- « عمار (٢ : ٢٥٤) - « سلمان (٢ : ٢٥٦)
- « أبي أيوب (٢ : ٢٥٧) - « خوات (٢ : ٢٥٨)
- « زيد بن خالد (٢ : ٢٥٨) - « عبد الله بن سلام (٢ : ٢٥٩)

---

(١) المجلدان التاسع والعاشر (١٩٦١ - ١٩٦٢) : ٤٥٠
(٢) المقتبس (ط. القاهرة ، ١٩٧١) : ٣٣٥ ، (ط. بيروت، ١٩٧٣): ٤٩٣
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٢١ : ١٦ - ١٨ (كانون الثاني ، ١٩٦٦)

تم حديث الصحابة [٦٦ صحابياً] ، يتلوه حديث التابعين [٨٥ تابعياً]

(١) الصواب : سليمان بن موسى (تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٦ — ٢٢٧).

- حديث يحيى بن أبي كثير (٣ : ٢٧٢) - حديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٣ : ٢٧٤)
- « سالم بن أبي الجعد (٣ : ٢٧٩) - « حميد بن هلال (٣: ٢٨٠)
- « عمرو بن دينار (٣: ٢٨٠) - « أبي هاشم الرماني (٣: ٢٨١)
- « خصيف بن عبدالرحمن (٣: ٢٨٢) - « حسان بن عطية (٣ : ٢٨٢)
- « سفيان بن عيينة (٣: ٢٨٣) - « مالك بن أنس (٣: ٢٨٣)
- « سفيان بن سعيد الثوري (٣: ٢٨٨) - « شعبة بن الحجاج (٣ ٢٩٠)
- « محمد بن اسحاق بن يسار (٣: ٢٩٢) - « سلمة بن دينار (٣ : ٢٩٤)
- « عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة (٣ : ٢٩٥) - « مالك بن دينار (٣ ٢٩٥)
- « الضحاك بن مزاحم (٣: ٢٩٦) - « القاسم بن مخيمرة (٣ : ٢٩٨)
- « ابن أبي نجيح (٣ : ٢٩٨) - « عبد الله بن شبرمة (٣: ٢٩٩)
- « ابن الرهين (٣ : ٣٠٠) - « أبي بكر بن عياش (٣: ٣٠٠)
- « وكيع بن الجراح (٣: ٣٠١)

أحاديث منثورة

- باب في الدعاء (٣ : ٣٠٢)

— ٣ —

مخطوطة استانبول - تضم مكتبة الأوقاف باستانبول السفر الثاني من كتاب الدلائل برقم ١٦٨٢ ، وعدد أوراقه (١٢٨) ورقة ، يضم إليها ثلاث ورقات مزيدة . وهو بخط مغربيٍّ . عدد سطور الصفحة (٢٥) سطراً ، وكان الكاتب يفصل بين كل فقرتين بثلاث نقط (∴). وقد جاء في وجه الورقة الأولى بخط مشرقي : « السفر الثاني من كتاب الدلائل ، في تفسير

مشكل الأحاديث النبوية ، مما عُني بتأليفه : السرقسطي رضي الله عنه . وفي أسفل الصفحة إلى اليمين : « عدد أوراقه مائة وتسعة وعشرين ورقة ـ كذا ـ معها ثلاث ورقات صغار ، صح » . وفي أعلى الصفحة إلى اليسار : « ملكه من فضل الله تعالى عبده الفقير إليه : أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم ابن أحمد القيسي[1] » وتحت ذلك بخط أدق : « ملكه وما قبله من فضل الله تعالى : محمد بن محمد العمادي »[2] وبعده بخط مغاير جملة غير واضحة كتب بعدها : محمد بن علي .

تبدأ المخطوطة في (ظ١) ، وقد وسمت الصفحة بختم مرتين[3] ، ولم أتبين من نقشه إلا كلمتي : « صار ... محمد ... » وهذا مطلع المخطوطة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، [و] صلى الله على محمد رسوله الكريم وسلم تسليما .

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

وقال فيه : إنه وقف عند الجمرتين قدر سورة من السبع .

---

(١) أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي (٦٨٢ - ٧٤٩ هـ) ، من كبار النحاة ، أخذ النحو عن البهاء بن النحاس ، ولازم أبا حيان دهراً طويلا ، وله تصانيف حسان في اللغة والنحو – انظر مراجع ترجمته في الاعلام للزركلي ١ : ١٤٧ ، ومعجم المؤلفين ١ : ٢٧٨ - ٢٧٩ . وقد أثبت الزركلي في كتابه : الاعلام ، انموذجاً من خطه (الاعلام ١١ ، ق ١) .

(٢) لعله محمد بن محمد العمادي ، المولى أبو السعود (٨٩٨ - ٩٨٢ هـ) ، انظر ترجمته في الاعلام للزركلي ٧ : ٢٨٨ ، ومعجم المؤلفين ١١ : ٣٠١ - ٣٠٢

(٣) وسم به أيضاً وجه الورقة ٢ ، وظهر الورقة ١٢٨ من المخطوطة .

نا إسحاق بن موسى الخزاعي قال : نا أبو الوليد الأزرقي قال : أخبرني جدي قال : أخبرني مسلم بن خالد عن ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم قال : أخبرني سعيد بن جبير أنه رمى مع ابن عباس ، فوقف عند الجمرتين قدر سورة من السبع ... »[1] .

ويبدو أن الناسخ قد نقل عن نسخة تختلف في تجزئتها عما اتبعه ، فقد جاء في وجه الورقة ٤٣ : « هنا كمل الجـــزء الثالث ، وفيه من الأحاديث : ... » وقابل الناسخ بالأصل[2] ثم عاد فقابل النسخة بأكثر من أصل ، يدل على ذلك تعليقه على بياض وقع في الأصل الذي ينقل منه : « نظرت موضع البياض في أصل قرىء على البطليوسي فلم أجده فيه ...» وكذلك قوله : « نقصت هنا أحاديث تثبت في آخر الكتاب » (و ٨٩) ولما وفى الكاتب بما وعد واستدرك مانقص تم ذلك بعنوان : « أحاديث لم تقع في الرواية التي ابتدأت الكتب منها واستدركتها هاهنا » (و ١٢١).

بدأ السفر بأحاديث الصحابة فذكر أحاديث واحد وستين صحابياً ، ثم تلاها بأحاديث التابعين (و ٦٨) فعدد منها أحاديث لستة وثمانين تابعياً .

وكان ختام المخطوطة (ظ ١٢٠) ماجاء في حديث لعبد الملك بن مروان أن رجلاً وصف له ظبية صادها ... وجاء تحته : « كمل جميع كتاب

(١) وقع الحديث في مخطوطة الظاهرية في (ظ ٨٤) ، وفيها اسحاق بن محمد الخزاعي بدل : اسحاق بن موسى الخزاعي ، وفي الحاشية تعليقاً عليه : « الصواب : اسحاق بن أحمد » . وهو في مخطوطة الرباط (٣ : ٧٠) : اسحاق بن أحمد الخزاعي ، وهو أحد الشيوخ الذين أخذ عنهم القاسم بن ثابت وأبوه بمكة (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥١٦) انظر ترجمته في العبر ٢ : ١٣٦ ، والوافي بالوفيات ٨ : ٤٠٣ ، وطبقات ابن الجزري ١ : ١٥٦ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٥٢

(٢) كثر في الحواشي اثبات كلمة « بلغت » دلالة على المعارضـــة والمقابلة : « و ١٧ ، و ٢٠ ، ظ ٢٥ ، ظ ٣٠ ، ظ ٣٣ ، ظ ٣٦ ، و ٧١ ، و ٨٥ ، ظ ٨٩ ، و ٩٥ ، ظ ٩٩ ، و ١٠٥ ، و ١١٠ ، ظ ١١٦ »

الدلائل بحمد الله تعالى وحسن عونه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد سيد المرسلين ، وعليهم أجمعين ، وعلى آله وسلامه » . وجاء في حاشية الصفحة : « فيه من الأحاديث » ، وفوقها أحرف تدل على العدد لم أهتد إلى معرفتها . ثم استدرك في الورقات التالية (و ١٢١ - و ١٢٨) ما فاته من أحاديث أربعة عشر تابعياً سبق أن أورد قسماً من أحاديثهم . وأورد بعد ذلك في الورقة ١٢٨ ترجمة ثابت بن قاسم وترجمة أبيه قاسم مؤلف الكتاب ، وجده ثابت .

عورضت النسخة بالأصل ، واستدرك في حواشيها السقط ، يختم بكلمة « صح » صغيرة ، أو بكلمتي : « صح ، أصل » صغيرتين - وأثبت اختلاف النسخ ، وبعض التنبيهات ، مثل تعليقه على حديث مروان بن الحكم الذي ورد في أحاديث الصحابة : « تكرر وثبت في أحاديث التابعين » (و٥٦) والحديث قد تكرر حقاً في أحاديث التابعين (ظ ١١٥) . ومثل آخر : يقول قاسم : « والمعزقة : البيل أو المرُّ » (و ٦٩) فيعلق في الحاشية : « المرُّ : المسحاة ، وكذلك ... فأما البيل فغير معروف »[1].

وقد تجد في الحواشي فوائد لم ترد في مخطوطة الظاهرية مثل : « ويقال : إن عمرو بن عبيد قال بعد جواب أبي عمرو [بن العلاء] : ياأبا عمرو ، شغلك الاعراب عن الصواب[2] ، صح » (ظ ٧٠) .

(١) في الظاهرية (و ١٠٨) : « والمعزقة : البال أو المرُّ » ويقول الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ١٩) : « وكذلك أهل الكوفة فإنهم يسمون المسحاة : بال ، وبال بالفارسية » .

(٢) انظر مراتب النحويين ١٧ — ١٨

وهذا ثبت ماتضمنه السفر الثاني :

من أحاديث الصحابة : [٦١ صحابياً]

- حديث عبد الله بن عباس (ظ ١)
- » أنس بن مالك (ظ ١٣)
- » أبي موسى الأشعري (و ١٥)
- » العباس بن عبد المطلب (ظ١٧)
- » عبد الله بن أنيس (و٢١)
- » عمار بن ياسر (ظ ٢١)
- » أبي عبيدة بن الجراح (ظ٢٢)
- » خوات بن جبير (ظ ٢٣)
- » عبد الله بن سلام (ظ ٢٣)
- » عبد الله بن بسر (ظ ٢٦)
- » عبد الله بن مسعود (ظ٢٧)
- » عبد الله بن الزبير (ظ ٣٣)
- » عمران بن الحصين (ظ ٣٥)
- » أبي الدرداء (ظ ٣٧)
- » البراء بن عازب (ظ٣٩)
- » أبي برزة الأسلمي (ظ ٤٠)
- » وائل بن حجر (ظ ٤١)
- حديث عبد الله بن عمر (و ٨)
- » عبد الرحمن بن عوف (و ١٤)
- » المقداد بن الأسود (و١٧)
- » زيد بن ثابت (و ٢٠)
- » معاذ بن جبل (و ٢١)
- » سلمان الفارسي (و ٢٢)
- » أبي أيوب (و ٢٣)
- » زيد بن خالد (ظ٢٣)
- » أبي ذر (و ٢٤)
- » حسان بن ثابت (و ٢٧)
- » أيوب السختياني (ظ ٣٣)
- » زيد بن أرقم (و ٣٥)
- » حذيفة بن اليمان (ظ٣٥)
- » كعب بن مالك (و ٣٩)
- » عمرو بن سلمة الجرمي (و٤٠)
- » عوف بن مالك الأشجعي (ظ ٤١)
- » أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة (ظ ٤١)

ـ حديث عمارة بن رويبة (و ٤٢)	ـ حديث المغيرة بن شعبة (ظ ٤٢)
ـ » قيس بن الضحاك (ظ ٤٢)[1]	ـ » عقيل بن أبي طالب (ظ ٤٢)
ـ » أبي مسعود الأنصاري (ظ ٤٢)	ـ » النعمان بن بشير (و ٤٣)
ـ » أبي سعيد الخدري (ظ ٤٤)	ـ » أبي هريرة (و ٤٥)
ـ » عقبة بن عامر (ظ ٤٦)	ـ » حذيفة بن أسيد الغفاري (ظ ٤٦)
ـ » جابر بن عبد الله (ظ ٤٦)	ـ » معاوية بن أبي سفيان (و ٤٧)
ـ » عمرو بن العاص (و ٥٢)	ـ » عبد الله بن عمرو بن العاص (ظ ٥٣)
ـ » يزيد بن أبي سفيان (ظ ٥٤)	ـ » الحكم بن أبي العاص (ظ ٥٥)
ـ » مروان بن الحكم (و ٥٦)	ـ » الحسن بن علي (و ٥٦)
ـ » الحسين بن علي (ظ ٥٦)	ـ » عائشة (ظ ٥٧)
ـ » أم سلمة (و ٦٦)	ـ » أسماء بنت يزيد بن سكن (و ٦٦)
ـ » فاطمة بنت قيس (ظ ٦٦)	ـ » حفصة (ظ ٦٦)
ـ » صفية (ظ ٦٦)	ـ » سودة (و ٦٧)
ـ » أسماء بنت أبي بكر (ظ ٦٧)	

أحاديث التابعين [٨٥ تابعياً]

ـ حديث سعيد بن المسيب (و ٦٨)	ـ حديث نافع بن جبير (و ٦٩)
ـ » أبي الوقاص (و ٦٩)	ـ » سعيد بن جبير (و ٦٩)
ـ » أبي مسلم الخولاني (و ٧٠)	ـ » مطرف بن عبد الله بن الشخير (و ٧٠)

(١) صحته : الضحاك بن قيس . انظر مخطوطة الظاهرية (ظ ٦٥) ومخطوطة الرباط (٢ : ٣٠٠)

- حديث محمد بن سيرين (ظ ٧٠) - حديث محمد بن الحنفية (و ٧١)
- » ابن كعب بن مالك (و ٧١) - » القاسم بن محمد (و ٧١)
- » عروة بن الزبير (ظ٧١) - » أبي سلمة بن عبد الرحمن (و٧٢)
- » محمد بن علي بن الحسين (ظ٧٢) - » مغيث بن سمي (ظ ٧٢)
- » عبد الله بن شداد بن الهادي (و٧٣) - » إياس بن معاوية (ظ٧٣)
- » أبي مجلز (و ٧٤) - » الحسن بن الحسن البصري (و٧٤)
- » الأحنف بن قيس (ظ٧٧) - » أبي البختري (و ٧٩)
- » معاوية بن قرة (و ٧٩) - » بشير بن أبي مسعود (ظ ٧٩)
- » الأسود بن يزيد (و ٨٠) - » أبي وائل (و ٨٠)
- » عمرو بن شرحبيل (ظ ٨٠) - » الربيع بن خثيم (و ٨١)
- » أبي العلاء (و ٨١) - » أبي عثمان النميري (ظ ٨١)
- » عامر الشعبي (و ٨٢) - » مالك بن أنس (ظ ٨٩)
- » كعب الأحبار (ظ ٩١) - » شريح القاضي (ظ ٩٢)
- » مسروق (ظ ٩٥) - » عبيد بن عمير (و ٩٦)
- » طاوس (ظ ٩٧) - » سويد بن شعبة (ظ ٩٧)
- » عمرو بن معدي كرب (ظ٩٧) - » عطاء بن أبي رباح (و ٩٨)
- » أبي قلابة (و ٩٨) - » عطاء بن يسار (و ٩٨)
- » أبي الجوزاء (و ٩٨) - » مكحول (ظ ٩٨)
- » مسلم بن يسار (و٩٩) - » عبد الله بن عتبة (ظ ٩٩)
- » عبد الله بن الصامت (ظ٩٩) - » الزهري (ظ ٩٩)
- » سالم بن أبي الجعد (و١٠١) - » سفيان بن عيينة (و ١٠١)

- حديث مالك بن دينار (ظ ١١٦) - حديث الضحاك بن مزاحم (ظ١١٦)
- « أبي حازم (ظ ١١٧) - « القاسم بن مخيمرة (و ١١٨)
- « ابن شبرمة (و ١١٨) - « وكيع (و ١١٨)
- باب في الدعاء (ظ ١١٨)

أحاديث لم تقع في الرواية التي ابتدأ الناسخ الكتب منها

- من حديث الحسن بن أبي الحسن (و ١٢١) - حديث الربيع بن خثيم (و ١٢٣)
- من حديث الشعبي (و ١٢٣) - من حديث مسروق (و ١٢٣)
- من حديث طاوس (و ١٢٥) - من حديث عطاء (و ١٢٥)
- من حديث الزهري (ظ ١٢٥) - من حديث عمرو بن دينار (و١٢٦)
- من حديث قتادة (و ١٢٦) - من حديث ابراهيم النخعي (و١٢٦)
- من حديث عبدالملك بن مروان (ظ١٢٦) . من حديث سليمان بن عبدالملك (و١٢٧)
- من حديث عمر بن عبدالعزيز (و١٢٧) - من حديث الحجاج (ظ ١٢٧)

ولعل من الخير أن نختم مقالة الدلائل ، بذكر ترجمتي قاسم بن ثابت الواردتين في مخطوطتي الظاهرية واستانبول ، فقد انفردت كل من المخطوطتين بسرد فوائد في ترجمة قاسم لانجدها في التراجم المطبوعة .

ترجمة قاسم بن ثابت في مخطوطة الظاهرية

[و ١٨٠] / وقال ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن : ولد أبي قاسم بن ثابت سنة خمس وخمسين ومائتين ، وتوفي بسرقسطة في شوال سنة اثنتين وثلاثمائة . وتوفي جدي ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بسرقسطة

في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وهو ابن خمس وتسعين سنة أو نحوها ، ومولده سنة سبع عشرة ومائتين أو نحوها .

قال ثابت : خرج أبي مع جدي إلى الحج سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فسمعا بمكة : من أبي محمد عبد الله بن الجارود ، ومحمد بن علي بن زيد الصائغ ، وأبي العباس مكي بن محمد بن أحمد ، وأبي عمران موسى بن هارون الحمال ، وأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحميد السياري الهروي ، ومحمد بن القاسم بن عبد الرزاق الجمحي ، وجعفر بن محمد الفاريابي القاضي ، وأحمد بن زكرياء العابدي ، وإسحاق بن أحمد الخزاعي ، وأحمد بن عمرو ابن مسلم الخلال ، وأبي سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل بن سعيد ابن عامر الشعبي المعروف بالجندي ، وخلف بن عمرو العكبري ، وإبراهيم ابن سعيد بن عثمان بن مسلم بن الوليد بن رباح الحذاء المكي ، وسمعا بمصر من جماعة منهم : أبو بكر بن الامام ، ومحمد بن أحمد بن الهيثم التميمي ، وعبد الرحمن بن سليمان بن موسى بن مرداس أبو سعيد الجرجاني ، وأحمد ابن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار ، وأحمد بن حمزة بن محمد بن هارون ، وإبراهيم بن حميد بن العلاء الكلابزي البصري ، وغيرهم . وسمعا بالأندلس : من الخشني محمد بن عبد السلام ، وعبيد الله بن يحيى ، ومحمد ابن وضاح ، ومطرف بن قيس ، وعبد الله بن مسرة ، ومحمد بن عبد الله ابن الغاز ، وسعيد بن خمير .

وانفرد ثابت بن حزم بالرواية عن بقي بن مخلد ، ويحيى بن إبراهيم ابن مزين ، ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي .

وسمعا بالثغر : من محمد بن سليمان بن تليد ، وإبراهيم بن نصر ،

ومحمد بن أبي النعمان . وانفرد جدي بالرواية عن أحمد ويحيى ابني محمد بن عجلان وكان أحمد ممن روى عن مالك .

وانصرفا إلى الثغر سنة أربع وتسعين ومائتين .

وكان قاسم ورعاً فاضلاً عالماً . قال ابنه ثابت : إنه من بني عوف من غطفان . قال ثابت : أنا ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن ابن غانم بن يحيى بن سليمان العوفي . قال الحكم [المستنصر أمير المؤمنين] رحمه الله : سألته ، فقال : من بني عوف . قال الحكم : فذكرت ذلك لزكرياء بن الخطاب ، فقال : هم من البربر ، يتولون زهرة بن كلاب ، فوقع بينه وبين الذين كان يتولاهم كلام ، فحلف ألا ينمي إليهم ، ثم ندم وتذمم من ذلك فكتب العوفي ، فقلت له : يا أبا القاسم ، ماهذا ؟! فقال : أليس (ظ ١٨٠) / عبد الرحمن ابن عوف ، وانه من والى ولد عبد الرحمن ، فهو مولى عبد الرحمن ، قالت ثابت بن قاسم بن ثابت : سمعت جدي يقول : الولاء ولاءان ، ولاء عتاقة وولاء علاقة .

قال الحكم : فقال لي زكرياء بن خطاب : هو مولى بني زهرة مولى علاقة ، وهم من البربر . وانتماء البربر إلى ولاء زهرة في ذلك الثغر وذلك الشرق كثير جداً . لاترى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة ، إلا الشاذ ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف ، كان عندهم في الثغر ، وقت افتتاح الأندلس . وتوفي ثابت بن حزم السرقسطي يوم الاثنين لاربع خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة بجركش : قرية من قرى سرقسطة ، على عشرة أميال منها ،

بقبلها ودفن بسرقسطة يوم الأربعاء لست خلون من شوال المؤرخ ، وصلى عليه ابنه سعيد . ومولد ثابت سنة تسع وثمانين ومائتين ، فبلغ من السن ثلاثاً وستين سنة . أخبر بذلك ابنه سعيد عند قدومه من الحج سنة ست وخمسين وثلاثمائة في جمادى الآخرة . وكان حجه في موسم خمس وخمسين وثلاثمائة .

ترجمة قاسم بن ثابت في مخطوطة استانبول

(و ١٢٨ / ثابت : هو ابن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن ابن غانم بن يحيى بن سليمان العوفي السرقسطي . وكان كتب هذا الكتاب للحكم أمير المؤمنين من الكتاب الذي عمله أبوه قاسم بن ثابت .

قال ثابت : ولد أبي قاسم بن ثابت سنة خمس وخمسين ومائتين ، وتوفي بسرقسطة في شوال سنة اثنتين وثلاثمائة . وتوفي جدي ثابت بن حزم ابن عبد الرحمن بسرقسطة في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وهو ابن خمس وتسعين سنة أو نحوها . ومولده : سنة سبع عشرة ومائتين أو نحوها .

قال ثابت : خرج أبي مع جدي إلى الحج سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فسمعا بمكة من أبي محمد عبد الله بن الجارود في جماعة ، وسمعا بمصر من أبي نصر بن الامام في جماعة ، وسمعا بالأندلس من الخشني محمد بن عبد السلام ، وانصرفا إلى الثغر سنة أربع وتسعين ومائتين . وكان قاسم ورعاً فاضلاً عالماً . قال ابنه ثابت : إنه من بني عوف من غطفان ، وقال : أنا ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن غانم بن

يحيى بن سليمان العوفي . قال الحكم أمير المؤمنين : سألته ، فقال : من بني عوف ، وذكرت ذلك لزكريا بن خطاب فقال : هم من البربر يتولون زهرة بن كلاب . وتوفي ثابت بن قاسم بن حزم يوم الاثنين لأربع خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة بجوكش : قرية من قرى سرقسطة ، على عشرة أميال منها . ودفن بسرقسطة يوم الأربعاء لست خلون من شوال ، وصلى عليه ابنه سعيد . ومولد ثابت سنة تسع وثمانين . فبلغ من السن ثلاثاً وستين سنة . أخبر بذلك ابنه سعيد عند قدومه من الحج سنة ست وخمسين وثلاثمائة في جمادى الآخرة ، وكان حجه في موسم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

(ظ ١٢٨ » / ثابت بن حزم بن عبد الرحمن العوفي ، وهم بطن في قيس ، ذكره لنا القاسم . وكانت له رحلة وسماع في المشرق . وهو أول من أدخل كتاب العين الأندلس ، وكانت وفاته سنة أربع عشرة وثلاثمائة . وكان له ابن يسمى قاسماً ، غاية في العلم والورع . ورحل مع أبيه إلى المشرق ، فلقي رجال الحديث واللغة ، وتوفي سنة ست وثلاثمائة ، قبل أبيه . وألف قاسم هذا كتاباً في شرح حديث النبي ﷺ وسماه كتاب الدلائل ، بلغ فيه الغاية من الاتقان والتجويد ، حتى حسد عليه ونسب إلى غيره من أهل المشرق . ومات قبل إكماله ، فأكمله أبوه ثابت . قال أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي : لم يؤلف بالأندلس كتاب مثل كتاب ثابت في شرح الحديث . قال أبو علي إسماعيل : وأخذته عن ابن قاسم إعجاباً به ، ولقاسم هذا كتاب سماه كتاب الرطب ، جمع فيه من أشعار المتقدمين والمحدثين نحواً من أربعة آلاف قطعة في أنواع

شتى من المعاني . وتناول هذا الكتاب محمد بن أفلح مولى أمير المؤمنين الحكم المستنصر رضوان الله عليه ، فاحتمل فيه على طريقة إسحاق بن إبراهيم الموصلي في كتابه المعروف بالأغاني من تسمية شعراء تلك الأشعار ، ومواليدهم ، وبلدانهم ، وأخبارهم ، وما تضمنت تلك الأشعار من المعاني والآثار .

نا الوزير صاحب الصلاة يونس بن عبد الله قال : نا أبو الفضل عباس ابن عمرو الصفار عن القاسم[1] بن ثابت بن حزم السرقسطي من أهل الأندلس الذي ألف مع أبيه الشرح المعروف بشرح ثابت في الحديث ، أن الوالي بسرقسطة — وكان من العرب — بعث في ثابت بن حزم فقال له : قد استخرت الله عز وجل في تقديم ابنك القاسم إلى قضاء بلده هذا ، فاعرض عليه ذلك ، فعرض عليه أبوه هذا فأبى منه ، فأعلم الوالي بذلك فغضب وقال له : أنت إن لم يجبني ابنك إلى هذا فاخرجوا عن بلدي ، فانصرف إليه أبوه فقال له : يابني ، تكلفني في آخر عمرى أن أجلو عن وطني ، وأتطوف على البلدان ببنياتي ، فقال له ابنه القاسم : ياوالدي امهلني في هذا إلى نهار غد ، فلما أتى الليل صار القاسم بن ثابت في محرابه يصلي طول ليلته ، ثم أصبح في محرابه ميتاً ، رحمه الله .

وهذا الكلام فيه خلاف للكلام المتقدم في الصفح قبله .

شاكر الفحام

---

(١) لعل الصواب : عن ثابت عن القاسم بن ثابت لان الصفار لم يدرك القاسم بن ثابت فيحدث عنه فقد ولد عام ٢٩٥ هـ وقدم الاندلس عام ٣٣٦ هـ (انظر ابن الفرضي ١ : ٣٤٣)

نظرات في ما أخذه ابن الشجري
على مكّي في كتاب «مشكل إعراب القرآن»
- ٣ -

الدكتور أحمد حسن فرحات

٢٣ — في إعراب « والذين لايجدون إلا جهدهم » :

قال ابن الشجري[١] :

ومن أغاليطه - أي مكي - في سورة براءة ماقاله في قوله تعالى : « الذين يلمِزُون المُطَّوِّعين مِنَ المؤمنينَ في الصَّدَقات والذين لايجدون إلاَّ جُهْدهم فَيَسخَرون منهم[٢] » .

قال - أي مكي - : « والذين لايجدون » : في موضع خفض عطف على المؤمنين ، ولا يحسن عطفه على « المطوعين » ، لأنه لم يتم اسماً بعد ، لأن « فيسخرون » عطف على « يلمزون » ، هكذا ذكره النحاس في الإعراب له ، وهو عندي وهم منه »[٣] .

قال ابن الشجري :

يعني أن النحاس ذكر أن قوله : « والذين لايجدون » عطف على

---

(١) أمالي ابن الشجري ج/٢/ صفحة : ٤٦٣
(٢) سورة التوبة : ٧٩
(٣) مشكل إعراب القرآن ٣٦٨/١

« المطوعين » ومنع هو من هذا ، لأن المطوعين بزعمه لم تتم صلته ، وليس الأمر على ما قال ، بل صلة الألف واللام من « المطوعين » آخرها قوله : « في الصدقات » .

واحتـــج بأن « المطوعين » لم تتم صلته بعطف « يسخرون » على « يلمزون » ، وأي حجة في هذا ؟ و « يلمزون » قبل « المطوعين » . وزعم أن « الذين لايجدون » عطف على المؤمنين . وهذا غير صحيح ، لأن تقدير الكلام على قوله : يلمزون من تطوع من المؤمنين ومن الذين « لايجدون إلا جهدهم » فيكون « الذين لايجدون إلا جهدهم » غير مؤمنين ، لأن المعطوف يلزمه أن يكون غير المعطوف عليه . تقول : جاءني أصحابك والرجال النصارى ، فتكون النصارى غير أصحابك . وجاءني الرجال النصارى وأصحابك فيكون أصحابك غير نصارى .

والصواب عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » فالتقدير : يلمزون الأغنياء المطوعين ، ويلمزون ذوي الأموال الحقيرة الذين لايجدون إلا جهدهم ، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف أتى بصُرّة من الذهب تملأ الكف ، وأتى رجل يقال له أبو عقيل بصاع من تمر فعابه المنافقون بذلك فقالوا : رب محمد غني عن صاع هذا .

فالنحاس إذن مصيب ، والراد عليه هو المخطىء .

وقبل أن نناقش هذه المسألة يحسن أن نذكر ماقاله فيها المفسرون وأهل الاعراب :

ذكر السمين في كتابه « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون[1] » القول بنصب « الذين لايجدون » عطفاً على « المطّوّعين » ، والقول بجر

(١) نسخة مخطوطة في مكتبة عارف حكمة ـ غير مرقمة الصفحات .

« الذين لايجدون » عطفاً على « المؤمنين » ، ثم رَجّح القول بالنصب عطفاً على « المطوعين » فقال :

« قلت : الأمر فيه كما ذكر ، فإن المطوعين قد تم من غير احتياج لغيره ».

أما السفاقسي في كتابه « إعراب القرآن »[١] فقد أورد القولين ، وأيد ابن الشجري فيما ذهب إليه وذكر أقواله بعينها ، ثم علق على ذلك بقوله :

« والظاهر : اندراجه ، أي المعطوف ، في المعطوف عليه ، ويسميه بعضهم بالتجريد بالذكر للتشريف ، وكان أبو علي الفارسي يذهب إلى أن المعطوف في هـذا وشبهه لم يندرج فيما عطف عليه ، قال : لأنه لايسوغ عطف الشيء على مثله .

وقال الألوسي[٢] : عطف على « المطوعين » وهو من عطف الخاص على العام . وقيل عطف على المؤمنين ، وتعقبه الأجهوري بأن فيه إيهام أن المعطوف ليس من المؤمنين . وقال أبو البقاء : وهو عطف على « الذين يلمزون » وأراه خطأً صرفاً .

وجاء في « إعراب القرآن » المنسوب للزجاج :

وأما قوله تعالى « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » :

فالذين يلمزون : مبتدأ ، وخبره : سخر الله منهم . ومن نصب « زيداً مررت به » كان « الذين » : منصوباً عنده ، ولا يكون : « فيسخرون » : خبره ، لأن لمزهم للمطوعين لايجب عنه سخريتهم بهم . كما أن الإنفاق يجب عليه الأجر ، في قوله : « الذين ينفقون أموالهم » ، إلى قوله : « فلهم

---

(١) نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم النبوي – غير مرقمة الصفحات .
(٢) ج/١٠/ صفحة : ١٣١

أجرهم »[1] وإذا لم يجب عنه ، كان « فيسخرون » ، عطفاً على « يلمزون » أو على « يجدون » .

ثم يقـــول :

وموضع « والذين لايجدون » : جر تابع للمؤمنين ، أو نصب تابـع للمطوعين . والظرف ، أعني : « في الصدقات » : يتعلق بـ « يلمزون » دون « المطوعين » للفصل بين الصلة والموصول . أي : يعيبون في إخـــراج الصدقات لقلتهـا[2] ...

وقال أبو حيان في البحر المحيط[3] :

« والأحسن في الاعراب : أن يكون الذين يلمزون مبتدأ . وفي الصدقات : متعلق بـ « يلمزون » و « الذين لايجدون » : معطوف على المطوعين . كأنه قيل : يلمزون الأغنياء وغيرهم . و « فيسخرون » : معطوف على « يلمزون » .... قال : وقيل : « والذين لايجدون » : معطوف على « المؤمنين » وهذا بعيد جداً ... » .

وقال القرطبي[4] : « والذين » : في موضع خفض عطف على المؤمنين ولا يجوز أن يكون عطفاً على الاسم قبل تمامه » .

والذي يظهر لنا من أقوال المفسرين والمعربين أن بعضهم يرجح الجر

(١) البقرة ٢٧٤
(٢) إعراب القرآن ، المنسوب للزجاج جـ/٢/ صفحة : ٧٤٩ . تحقيق إبراهيم الابياري ، وانظر أيضاً : صفحة ٦٣٨ من نفس الجزء .
(٣) البحر المحيط جـ/٥/ صفحة : ٧٦
(٤) تفسير القرطبي جـ/٨/ صفحة ٢١٥

عطفاً على المؤمنين . والأكثر يرجح النصب عطفاً على « المطوعين » . والذي يرجح الجر يحتج بأن « المطوعين » لم تتم اسماً . في حين يقول الآخر : إن الكلام قد تم وليس بحاجة إلى الاسم ، ويورد على عطف « الجر » إيهام أن يكون « الذين لايجدون » غير مؤمنين .

ومنشأ الخلاف — فيما أرى — يعود إلى « المطوعين » هل هم فريق واحد أو فريقان ؟ فإذا كانوا فريقاً واحداً تم الكلام عنـــد قوله « في الصدقات » كما يقـول ابن الشجري وغيره ، ثم يعتبرون عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » من عطف الخاص على العام ، أو من التجريد بالذكر .

وإذا كان « المطوعين » فريقين وهم الأغنياء والفقراء ، لايتم الكلام عند قوله : « في الصدقات » لأن « الذين لايجدون » من صلة « المطوعين » ، وفي هذه الحالة لايحسن العطف على « المطوعين » بل يكون العطف على « المؤمنين ».

وبناء على هذا الأصل ، نرى أن الفريق الأول الذي عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » من باب التجريد أو من عطف الخاص على العام كما قال ، نجد هذا الفريق حينما يعمد إلى التقدير ينقض ادعاءه أنهما فريق واحد ويجعلهما فريقين ، حيث يقول ابن الشجري :

« والصواب : عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » فالتقدير : يلمزون الأغنيـاء المطوعين ويلمزون ذوي الأموال الحقيرة الذين لا يجدون إلاّ جهدهم » .

ويستدل ابن الشجري على تقديره — هذا — بما رُوي من أسباب النزول حيث يقول : « وذلك أن عبد الرحمن بين عوف أتي بصرّة من

ذهب تملأ الكف ، وأتى رجل يقال له أبو عقيل بصاع من تمر ، فعابه المنافقون بذلك ، فقالوا : لرب محمد غني عن صاع هذا » .

وبمثل ذلك قدر أبو حيان حيث قال : « كأنه قيل : يلمزون الأغنياء وغيرهم » .

فعلى هذين التقديرين المتشابهين ، لايمكن أن يكون الفقراء من الأغنياء ، أو داخلين فيهم وخُصّوا بالذكر تشريفاً ، كما لايمكن أن يكون « الأغنياء » : عاماً ، والفقراء : خاصاً .

ولا شك أن الذي ألجأهم إلى هذا التقدير « أسباب النزول » ، أما الآية فليس فيها مايشير إلى « الأغنياء » .

وإذا قلنا إنهما فريقان لايسوغ هذا العطف ، لأن معناه أن الفريق الثاني ليس متطوعاً وليس مؤمناً ، في حين قد تطوع بجهده الذي وجده ، وهو مؤمن لاشك في إيمانه .

إنما يسوغ أن نعطف « الذين لايجدون » على « المؤمنين » وبذلك يكون « المتطوعين » فريقين ، فريق « المتطوعين من المؤمنين » وفريق « المتطوعين من الذين لايجدون » .

أما اعتراض ابن الشجري وغيره بأن في ذلك إيهاماً حيث يكون « الذين لايجدون » غير مؤمنين « فهو غير وارد في رأينا » لأن كلمة « المؤمنين » ـ هنا ـ جاءت بدلاً من كلمة « الموسرين » لنكتة بلاغية ، وهي أن الموسرين حينما قدموا أموالهم الكثيرة ، لمزهم المنافقون ، فقالوا : لم يفعلوا ذلك إلا رياءً ، فجاءت كلمة « المؤمنين » لترد هذا اللمز الذي هو

في الحقيقة طعن في إيمانهم ، ومما يؤكد هذا أسباب النزول[1] التي تشير كلها إلى أن « الموسرين » لُميزوا في إيمانهم ، في حين لُميز الفقراء بمقدار ما تصدقوا به . ومن هنا جاءت كلمة « والذين لايجدون إلا جهدهم » بدلاً من كلمة الفقراء .

وأيضاً فإن « من المؤمنين » : حال من ضمير « المطوعين » . وهذا يعني أن القرآن لايريد أن يصف المطوعين بأنهم مؤمنون لمجـــرد البيان فذلك معروف من سياق الآيات السابقة ، وإنما قصد أن يذكر هذا ويعلنه حين تعرض هذا الوصف للخدش بلمز المنافقين واتهامهم الموسرين بالرياء ، فكان وصفهم « بالمؤمنين » . رداً لقيل المنافقين وطعنهم في إيمانهم .

وعلى هذا الأساس : يبدو لنا أن إعراب الجر عطفاً على « المؤمنين » ليس هناك مايرد عليه ، كما يرد على إعراب النصب عطفاً على « المطوعين ».

ثم إن مكياً لم يصرح بعدم جواز عطف « الذين لا يجدون » على « المطوعين » وإنما قال : ولا يحسن عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » لأن « المطوعين » لم تتم اسماً بعد ، غير أن القرطبي قد صرح بعدم الجواز .

وهذ كله إنما يجوز فيما لو صحّ فهم ابن الشجري لعبارة مكي في مشكل الإعراب غير أن الرجوع إلى كتاب النحاس يحسم المشكلة من أساسها ويغير طبيعة المعركة التي فتحها ابن الشجري حيث نرى أن رأي النحاس هو القول بإعراب الجر دون النصب ، وبذلك يكون الكلام الذي نقله مكي في كتابه هو عبارة النحاس نفسها ، ويكون معنى قول مكي :

---

(١) أنظر أسباب نزول الآية في تفسير ابن كثير : ج /٢/ صفحة ٤٠١ – ٤٠٢ مكتبة النهضة الحديثة (١٣٨٤ - ١٩٦٥) .

« هكذا ذكره النحاس في الإعراب له » يعود على الكلام السابق بتمامه لا على جزء منه كما أراد ابن الشجري أن يفهم . ويكون قول مكي « وهو عندي وهم منه » رداً لقول النحاس بإعراب الجر ، وهو الرأي نفسه الذي يذهب إليه ابن الشجري ، وبذلك يكون ابن الشجري متوهماً فهو لايخطّيء مكياً في الحقيقة وإنما يقف إلى جانبه ، ولا يدافع عن النحاس بل يهاجمه ، وهكذا تتغير طبيعة المعركة وطبيعة المواقع ، وبذلك لايستطيع ابن الشجري أن يقول : إن هذه من زلات مكي ، لكنها من زلات النحاس !!

٢٤ - في إعراب « استعجاله بالخير » .

قال ابن الشجري[1] .

وقال - أي مكي - في قوله تعالى في سورة يونس :

« ولو يُعَجِّلُ الله للناسِ الشَّر استعجالَهُم[2] » .

قوله : « استعجالهم » : مصدر ، تقديره : استعجالاً مثل استعجالهم ، ثم أقام الصفة وهو « مثل » مقام الموصوف ، وهو : الاستعجال . ثم أقام المضاف إليه ، وهو : « استعجالهم » مقام المضاف ، وهو مثل . هذا مذهب سيبويه .

وقيل : تقديره : في استعجالهم ، وقيل : كاستعجالهم ، فلما حذف حرف الجر نصب ، ويلزم من قدر حذف حرف الجر منه أن يجيز : زيد الأسد ، فينصب « الأسد » على تقدير : كالأسد[3] .

قلت - أي ابن الشجري :

لا يلزم من قدر الكاف في قوله « استعجالهم » أن يجيز « زيد الأسد »:

(١) أمالي ابن الشجري ج/٢/ صفحة ٤٦٥

(٢) يونس : ١١

(٣) مشكل إعراب القرآن ٣٧٥/١

لأن الكاف حرف شاعت فيه الاسمية ، حتى دخل عليه الخافض ، وأسند إليه الفعل ، وليس من الحروف الخافضة التي إذا أسقطتها نصبت مابعدها ، وانما هي أداة تشبيه ، إذا حذفت جرى مابعدها على إعراب ماقبلها ، كقولك : فينا رجل كأسد ، ورأيت رجلاً كأسد ، ومررت برجل كأسد . تقول إذا ألقيتها : فينا رجل أسد ، ورأيت رجلاً أسداً ، ومررت برجل أسد ، فلا يجوز زيد الأسد ـ بالنصب ـ لأن منزلتها منزلة مثل ، في قولك : زيد مثل بكر ، تقول إذا حذفت « مثل » : زيد بكر ، كما قال تعالى : « وأزواجه أمهاتهم[1] » . ولعمري ان قول سيبويه في الآية هو الوجه . ومن قدر الكاف وحذفها فنصب مابعدها ، فلأن ماقبلها منصوب » .

ونقول : إن الذين قدروا حذف الكاف إنما قدروها في مجال الاعراب . واعتبروا مابعدها منصوباً بنزع الخافض قال النحاس[2] : استعجالهم – على قول الأخفش والفراء – بمعنى كاستعجالهم ، ثم حذف الكاف ونصب . قال الفراء : كما تقول : ضربت زيداً ضربك ، أي : كضربك » ... ثم يقول النحاس : وحكي الأخفش : « زيد شرب الإبل » . ولو جاز ماقال الأخفش والفراء لجاز زيد الأسد ، أي : كالأسد ، فهذا بيّن جداً ، أما كون الكاف حرف تشبيه ، فهذا صحيح ، ولكن المجال ـ هنا ـ ليس مجال بحث في التشبيه ، وإنما هو مجال بحث في الإعراب ، أما القول بأنه إذا ألقيت الكاف جرى إعراب مابعدها على ماقبلها ، فمعنى ذلك أننا رجعنا إلى الإعراب الأول ، ولا يكون إذن في هذا التقدير وجه ثان للإعراب ، وإنما هناك وجه واحد فقط . وما حكاه مكي عن الذين قدروا الكاف وحذفها ،

(١) الأحزاب : ٦

(٢) إعراب القرآن للنحاس ـ مخطوطة تركية ـ ورقة : ٩٢

إنما قاله على أساس أنهم نصبوا ما بعد الكاف بنزع الخافض ، وعلى هذا كلامه سديد ولا اعتراض عليه .

٢٥ ـ في أصل كلمة « فزيّلنا » :

قال ابن الشجري[١] :

وقال ـ أي مكي ـ في قوله تعالى : « فزيّلْنا بينَهُم وقال شركاؤُهم ما كُنتُم إيانا تَعبُدون[٢] » .

(هو « فعّلنا » من زِلتُ الشيء عن الشيء ، فأنا أزِيلُه ، إذا نحيته . والتشديد للتكثير ، ولا يجوز أن يكون « فيعلنا » من زال يزول ، لأنه تلزم فيه الواو ، فيقال : زوّلنا . وحكى الفراء أنه قرئ « فزايلنا » من قولهم : لا أزايل فلانا ، أي : لا أفارقه ، فأما قولهم : لا أزاوله ، فمعناه لا أخايله . ومعنى « زايلنا » و « زيلنا » واحد[٣]) ـ انتهى كلامه .

ويقول ابن الشجري : أما قوله : « لا يجوز أن يكون « فيعلنا » من زال يزول ، لأنه يلزم فيه الواو ، فيقال : « زولنا » ، فغير صحيح ، من قِبَل أنه لو كان « فيعلنا » من زال يزول كان أصله « زيولنا » ثم تصبح الواو ياء ، لوقوع الياء قبلها ساكنة ، ثم تدغم الياء في الياء ، فيقال : « زيلنا » وذلك أن من شرط الياء والواو إذا تلاصقتا ، والأولى منها ساكنة أن تقلب الواو ياء ، ولا تقلب الواو ياء واواً ـ كما زعم مكي ـ .

فما تقدمت فيه الياء قولهم في « فَيْعَل » من الموت : « ميّت » ومن

---

(١) أمالي ابن الشجري ج /٢/ صفحة : ٤٦٦

(٢) يونس : ٢٨

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/٣٨٠

هان يهون ، وساد يسود : هيّن ، وسيّد . الأصل : ميوت ، وهيون ، وسيود . ففعل فيهن ماذكرنا . ومما تقدمت فيه الواو « الشيّ » و « الطيّ » و « الليّ » مصادر « شويت » و « طويت » و « لويت » أصلهن : شوى ، وطوى ، ولوى ، ثم صرن إلى القلب والإدغام » .

ونقـول : إننا لانريد أن ندخل في تفاصيل مغالطات ابن الشجري ونناقش في جزئياتها بل يكفي أن نناقش محل الشاهد ، لأنه يبتعد عن محل الشاهد ، ويأتي بأمثلته في نأي عنه ، ليوهم القارىء بصحة مغالطتـه وخطأ الآخـرين .

ولكن ماقصده ابن الشجري ـ هنا ـ لايستقيم ، ولو كان صحيحاً لصح أن نقول ـ في الأمثلة التي جاء بها في الصيغة التي نحن بصددها « فيعلنا » ـ ميّتنا بدلاً من موتنا ، وهيّنا ، بدلاً من هونا ، وسيّدنا بدلاً من سودنا ، وشيينا بدلاً من شوينا ، وطيينا بدلاً من طوينا ، وليينا بدلاً من لوينا . ولا ندري إن كان ابن الشجري يوافق على هذا أم لا ؟

وقد قال أبو حيان(١) : « وقال الواحدي : التزييل والتزيّل والمزايلة : التمييز والتفريق ـ انتهى ـ .

وزيّل مضاعف للتكثير وهو لمفارقة الحبث(٢) من ذوات الياء بخلاف زال يزول فمادتها مختلفة .

وزعـم ابن قتيبة أن زيّلنا من مادة زال يزول وتبعه أبو البقـاء . وقال أبو البقاء : « فزيّلنا » : عين الكلمة واو لأنه من زال يزول ، وإنما

---

(١) البحر المحيط ـ لأبي حيان : ٥/١٥٢
(٢) هكذا في الأصل .

قُلبت ياءً لأن وزن الكلمة فيعل أي : زيْوَلنا مثل : بيطر وبيقر، فلما اجتمعت الواو والياء على الشرط المعروف قلبت ياء ـ انتهى » .

ثم يعلق على ذلك أبو حيان قائلاً :

« وليس ذلك بجيّد لأن « فعّل » أكثر من « فيعل » ولأن مصدره تزييل ، ولو كان « فيعل » لكان مصدره فيعلة فكان يكون زيلة كبيطرة ، لأن « فيعل » ملحق بـ « فعلل » ولقولهم في قريب من معناه زايل ، ولم يقولوا : زاول ـ بمعنى فارق ـ إنما قالوه بمعنى : حاول وخالط ... » .

وقد اطلعت في كتاب السمين « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » على ماذكره في هذه الكلمة : قال السمين : قال مكي : ولا يجوز أن يكون « فعلنا » من زال يزول ، لأنه تلزم فيه الواو ، فيكون « زولنا » . قلت ـ أي السمين ـ هذا صحيح ، وقد تقدم تحرير ذلك في قوله : « أو متحيزاً إلى فئة » .

٢٦ ـ في إعراب « من غلٍّ إخواناً » .

قال ابن الشجري[١] :

وقال ـ أي مكي ـ في قوله تعالى في سورة الحجر :

« إنّ المتّقين في جنّاتٍ وعيُون . أدخُلُوها بسلامٍ آمنين . ونزعنا ما في صدورهم مِن غلٍّ إخوانا [٢] » :

« إخوانا » : حال من المتقين ، أو من المضمر المرفوع في « ادخلوها » ،

---

(١) أمالي ابن الشجري ج/٢/ صفحة : ٤٦٧
(٢) الحجر : ٤٥ — ٤٧

أو من الضمير الذي في « آمنين » ويجوز أن يكون حالاً مقدرة من الهاء والميم في « صدورهم » .

وأقول - أي ابن الشجري :

إن « إنّ » ليست من الحروف التي تنصب الأحوال ، كما تنصبها « كأن » في نحو كأن زيداً محارباً أسد ، لما في كأن من التشبيه الذي ضارعت به الفعل .

ولكن يجوز أن يكون قوله « إخواناً » : حالاً من الضمير في الظرف الذي هو خبر « إن » لأنه ظرف تام ، والظروف التوام تنصب الأحوال لنيابتها عن الاستقرار أو الكون ، فالتقدير : إن المتقين مستقرون في جنات ، وجاز أن يكون « إخواناً » حالاً من هذا الضمير - على ضعف - وذلك لبعد الحال منه ، لأن مجموع هذه الآيات تشتمل على ثلاث جمل :

الأولى : إن المتقين في جنات .

والثانية : ادخلوها بسلام .

والثالثة : ونزعنا ما صدورهم من غل .

فإن جعلت « إخواناً » حالاً من « الواو » في « ادخلوها » فهي في حال مقدرة ، لقوله : « على سرر متقابلين » ، لأنهم لا يدخلونها وهم متقابلون على سرر ، وإنما يكون ذلك بعد الدخول ، فالتقدير : مقدرين التقابل على سُرُر

وإن جعلت الحال من المضمر في « آمنين » فحسن .

وإن جعلتها من الضمير الذي هو الهاء والميم « في صدورهم » فالحال من المضاف إليه ضعيفة ، وقد بسطت القول في هذا النحو فيما تقدم . ولكن يُجَوِّز ويُحَسِّن أن يكون قوله « إخواناً » حالاً من هذا الضمير

شيئان : أحدهما : قربه منه ، والآخر : أن المضاف الذي هو الصدور بعض المضاف إليه . فكأنه قيل : ونزعنا مافيهم من غل . فليس هذا المضاف كالمضاف في قول تأبط شراً :

سلبت سلاحي بائساً وشتمتني

فاعرف الفرق بين الحالين .

ونلاحظ على قول ابن الشجري ـ هنا :

أنه لم يخطّىء[1] مكياً ولم يردّ عليه ، وإنما أضاف وجهاً جديداً زيادة على ماذكره مكي من الوجوه الثلاثة ، غير أنه وجّه إعراب مكي وأقواله وفصل القول فيها ، ولا شك أن ذكره لهذه الآية في عداد ماسماه زلات مكي خطأ كبير ، لايليق بابن الشجري ، لأنه يوهم القارىء السريع أن مكياً قد أخطأ في هذة الآية .

---

(١) نعم . قد يفهم من كلام ابن الشجري أنه لايجيز الوجه الأول من الاعراب للتعليل الذي ذكره وهو أن « إن » لاتنصب الأحوال كما تنصب « كأن » .

غير أن الذي قال بهذا الوجه من الاعراب له تعليل آخر ، وذلك كما ذكر صاحب كتاب « الفريد في إعراب القرآن المجيد » مخطوطة المكتبة الأزهرية تحت رقم ٣٢٥٨/٢١٢ ، حيث قال :

وقوله : إخواناً على سرر : حال من أحد خمسة أشياء : إما من المنويّ في « جنات » وهو ضمير المتقين . والعامل : الظرف نفسه . أو من الضمير العامل في « ادخلوها » . أو من المستكن في « بسلام » ؛ لأنه بمعنى : سالمين أو من المستكن في « آمنين » . أو من المضاف إليه في « صدورهم » ، والعامل فيها معنى الاضافة من الممازجة والملاصقة .

٢٧ – في إعراب « أيُّهم أشد على الرحمن عتيا » :

قال ابن الشجري(١) :

وقال – أي مكي – في قوله عز وجل في سورة مريم :

« ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا »(٢) :

« ذهب يونس إلى أن « أيُّهم » : رفع بالابتداء ، لا على الحكاية ، ويعلق الفعل وهو « لننزعن » فلا يعمله في اللفظ ، ولا يجوز تعليق مثل « لننزعن » – عند سيبويه والخليل ، وإنما يجوز أن يعلق مثل أفعال الشك وشبهها مما لم يتحقق وقوعه »(٣) .

قلت – أي ابن الشجري – :

« اختصاصه بالتعليق أفعال الشك وشبهها مما لم يتحقق وقوعه خطأ ، لأن أفعال العلم تعلق ولها في تحقق الوقوع القدم الراسخة ، فمما علق فيه الماضي منها عن لام الابتداء ، قوله تعالى : « ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق »(٤) . ومما علق فيه المستقبل منها عن الاسم الاستفهامي قوله : « ولتعلمن أينا أشد عذاباً » .

ونقول : إن ماذكره ابن الشجري – هنا – عن مكي فيه خطأ في النقل ، حيث سقط من كلامه كلمة « مثل » فعبارة مكي كما نقلها ابن الشجري : « وإنما يجوز أن يعلق أفعال الشك وشبهها مما لم يتحقق وقوعه » . ولو رجعنا إلى كتاب مكي وجدنا عبارته : « وإنما يجوز أن يعلق مثل أفعال الشك وشبهها من مالم يتحقق وقوعه » فلما سقط من كلام ابن الشجري كلمة « مثل » اختل الكلام واحتمل ماحمله ابن الشجري ليرد عليه بعد ذلك .

---

(١) أمالي ابن الشجري ج/٢/ صفحة : ٤٦٨

(٢) مريم : ٦٩

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/٦١

(٤) البقــرة : ١٠٢

فكلمة « مثل » قبل أفعال الشك تشير إلى أن هناك أفعالاً أخرى تعلق وليس المقصود بها شبه أفعال الشك بما لم يتحقق وقوعه ، بدليل أنه قال بعد ذلك : أفعال الشك وشبهها بما لم يتحقق وقوعه .

وأيضاً فإننا لو رجعنا إلى الآية : « ولقد علموا لمن اشتره » التي استشهد بها ابن الشجري على تعليق الماضي عن لام الابتداء ، فإننا نجد مكياً يعلقها ، وذلك حينما يقول :

قوله « لمن اشتراه » من : في موضع رفع بالابتداء . وخبره : ماله في الآخرة من خلاق . فخلاق : مبتدأ ، ومن : زيدت لتأكيد النفي . وله : خبر الابتداء . والجملة خبر من . واللام : لام الابتداء ، وهي لام التأكيد بقطع مابعدها بما قبلها ، ولا يعمل ما قبل اللام فيما بعدها كحرف الاستفهام وكالأسماء التي تجزم بها في الشرط إنما يعمل في ذلك مابعده . ومنه قوله تعالى « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون[١] » ، فأي : نصب بـ « ينقلبون » لا بـ « سيعلم » .

٢٨ - في إعراب « إما شاكراً وإما كفوراً » :

... وقبل أن أطلع على النسخة المخطوطة لأمالي ابن الشجري في دار الكتب المصرية - مكتبة تيمور - كنت قد رأيت النسخة المطبوعة في حيدر أباد الدكن عام ١٣٤٩ هـ ، وفيها يقول ابن الشجري[٢] :

وقال مكي بن أبي طالب المغربي في مشكل إعراب القرآن :

« أجاز الكوفيون في قوله تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما

(١) الشعراء ٢٢٧

(٢) أمالي ابن الشجري : جـ/٢/ صفحة : ٣٤٦ - طبعة حيدر أباد الدكن .

كفوراً[١] » ، أن تكون « إما »: إن « الشرطية زيدت عليها« ما » . قال : ولا يجوز هذا عند البصريين ، لأن « إن » الشرطية لاتدخل على الأسماء إلا أن تضمر بعد « إن » فعلاً وذلك في نحو : « وإن أحدٌ من المشركين استجارك »[٢] ، أضمر « استجارك » بعد « إن » ودل عليه الثاني فحسن لذلك حذفه ، ولا يحسن اضمار فعل بعد « إن » ـ ههنا ـ لأنه يلزم رفع « شاكر » بذلك الفعل . وأيضاً فإنه لادليل على ذلك الفعل المضمر في الكلام[٣] انتهى كلامه .

قال ابن الشجري : وهذا القول منه ليس بصحيح ، لأن النحويين يضمرون بعد إن الشرطية فعلاً يفسره ما بعده لأنه من لفظه ، فيرتفع الاسم بعد « إن » بكونه فاعلاً لذلك المضمر ، كقولك : إن زيد زارني أكرمته ، تريد إن زارني زيد ، وكذلك إن زيد حضر حادثه ، تريد : إن حضر زيد ، وكقوله تعالى : « إن امرؤ هلك »[٤] و « إن امرأة خافت »[٥] و « إن أحد من المشركين استجارك » .

هذه الأسماء ترتفع بأفعال مقدرة ، وهذه الظاهرة مفسرة لها ، وكما يضمرون بعد حرف الشرط أفعالاً ترفع الاسم بأنه فاعل ، كذلك يضمرون بعده أفعالاً تنصب الاسم بأنه مفعول ، كقولك : إن زيداً أكرمته نفعك ، تريد : إن أكرمت زيداً ، ومنه قول النمر بن تولب :

لاتجزَعي إن منفِساً أهلكتُه   وإذا هلكتُ فعِنْدَ ذلكَ فاجزَعي

أراد إن أهلكت منفساً . وإذا عرفت هذا فليس يلزم « شاكر »

---

(١) الانسان : ٣   (٢) التوبة : ٦
(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/٤٣٥
(٤) النساء : ١٧٥   (٥) النساء : ١٢٧

أن يرتفع في قول من قال: إن «إما» شرطية، وقوله لادليل على الفعل المضمر في الكلام يعني في قوله «إما شاكراً وإما كفوراً» قول بعيد من معرفة الإضمار في مثل هذا الكلام، لأن المضمر - ههنا - يشهد بإضماره القلوب وهو «كان» وذلك أن سيبويه لايرى إضمار «كان» إلا في مثل هــذا المكان، كقولك: أنا أزورك إن قريباً وإن بعيداً، تريد: إن كنت قريباً وإن كنت بعيداً، ومن ذلك البيت المشهور، وهو للنعمان ابن المنذر:

قد قيلَ ذلك إن حقاً وإن كذباً   فما اعتذارُك مِن شيء إذا قيلا

وقول ليلى الأخيلية:

لاتقرَبنَّ الدهرَ آلَ مطرفَ   إن ظالماً فيهم وإن مظلوما

أي: إن كنت ظالماً وإن كنت مظلوماً، وكذلك التقدير: هديناه السبيل إن كان شاكراً وإن كان كفوراً. وإضمار الفعل بعد حرف الشرط مخصوص به «إن» وربما استعمله الشاعر مع غيرها، كقوله:

صعــدة نابتـــة في حائر   أينما الريــحُ تميلها تَميل

الصعدة: القناة التي تنبت مستوية، فلا تحتاج إلى تثقيف، وامرأة صعدة: مستوية القامة شبهوها بالقناة. والحائر: المكان الذي يتحير فيه الماء.

ونقول: إن عبارة مكي في هذا المجال موهمة كما فهم ابن الشجري، ولعل عذر مكي في هذا هو الاختصار ولو أننا رجعنا نستنطق كتب مكي التي بين أيدينا، فإننا سنتعرف على حقيقة رأيه بوضوح.

وأقرب شيء بين يديَّ الآن كتابه «الهداية إلى بلوغ النهاية في تفسير القرآن وأنواع علومه» فماذا قال فيه:

قال مكي : « وأجاز الفراء أن يكون « ما » زائدة و « إن » للشرط ، والمعنى ـ على هذا ـ : إنا هديناه السبيل إن شكر وإن كفر . وفيه بعد ، لأن « إن » التي للشرط لاتقع على الأسماء إلا بإضمار فعل ، ولا يحسن ذلك هنا ، وقيل تقديره ـ على قول الفراء : إن كان شاكراً أو كان كفوراً » .

وهكذا نرى أن مكياً لم يغب عن باله أبداً أن « إن » الشرطية يمكن تقدير فعل بعدها ينصب الاسم ، كما يمكن تقدير فعل يرفع الاسم وأنه يعرف التقدير الذي جاء به ابن الشجري بعده بزمن بعيد وكل ماهنالك أن مكياً لايستحسن هـذا التقدير هنا ، لأنه بعيد في المعنى ، ولا ينسجم مع التفسير .

وعلى هذا فاعتراض ابن الشجري غير وارد ، لأن مكياً لم يصرح في في كتاب المشكل بعدم جواز تقدير فعل ينصب الفعل بعـد إن ، بل استبعده ، ثم هو في كتاب الهداية يصرح بأن هـذا الرأي للفراء ويأتي بتقديره على رأي الفراء ناصباً للاسم بعده ، دون أن يصرح بعدم جواز ذلك .

وبعد : أرجو أن تكون هذه الدراسة قد حققت ما كنت آمل من كشف ملابسات أحاطت بالحقيقة وغبشتها ، ورفعت حيفاً وظلماً عن عالم من علماء العربيـة توارى خلف ألف عام من السنين لم يكن باستطاعته أن يقول كلمة في الدفاع عن نفسه أو يرد ما نسب إليه من زلات وأخطاء سائلاً المولى ـ عز وجل ـ أن يأخذ بناصيتنا إلى مافيه رضاه ، وأن يجنبنا عثرات الطريق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أحمد حسن فرحات

نص مستدرك
من كتاب العبر

الأستاذ رياض عبد الحميد مراد

صدر الجزء الخامس من كتاب العبر في خبر من غبر للذهبي ضمن مطبوعات التراث العربي ، وهي السلسلة التي تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ، وذلك سنة ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

وكنت أبحث فيه عن ترجمةٍ لأبي إسحاق الثَّوْري في حوادث سنة ٦٨٥ هـ ، وعجبت إذ لم أقع له على ترجمة مع طول البحث ، وازداد عجبي حين رأيت أن هذه السنة كلها ، وسنوات أخرى ، ناقصة من هذا الجزء .

وقادتني المصادفة إلى نسخة مصورة من كتاب العبر محفوظة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وهي إحدى النسختين المعتمدتين في تحقيق هذا الكتاب . وحين قلّبتها وجدت فيها السنوات الناقصة من المطبوع ، كما لاحظت أن ثمة فروقاً كثيرة بين المطبوع والمصورة ، فعمدت إلى مقابلتها وانتهيت إلى جملة الملاحظات التالية ، وقد جملتها في قسمين :

١ ـ القسم الأول : النص المستدرك ، ويتضمن السنوات الناقصة من المطبوع ، وهو نص جديد .

٢ ـ القسم الثاني : الملاحظات على النص المطبوع .

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن الدكتور مصطفى جواد أشار حدساً ـ فيما كتبه عن هذا الجزء في مجلة المجمع العراقي المجلد ١٧/ص ٧٠ ـ إلى النقص الذي أستدركه فيما يلي : .

القسم الأول

السنوات الناقصة من المطبوع

[١٢١٨] سنة ست وثمانين وست مئة

(*) فيها قدم نائب السلطنة حسام الدين طرُنْطاي[١] ، وسار بالجيوش فحاصر صِيَهْيون[٢] وبُرْزَيْهْ[٣] ، وانتزعها من سُنْقُر الأشقر[٤] ، ونزل إليه بعد التوثُّق منه بالأيمان ، فأعطي مئة فارس بمصر .

(*) وفيها توفي البرهان السِّنْجاري قاضي القضاة أبو محمد الخَضِر بن

(١) الأمير حسام الدين أبو سعيد «طرنطاي» في العبر بفتح الطاء الأولى ، وفي النجوم بضمها » ابن عبد الله المنصوري . توفي بالتعذيب سنة ٦٨٩ هـ . انظر العبر د/٣٦١ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٨٥

(٢) صهيون « بكسر الصاد عند ياقوت وبفتحها عند أبي الفداء ، وسكون الهاء وضم الياء وسكون الواو » ، بلدة ذات قلعة حصينة من أعمال سواحل بحر الشام . انظر معجم البلدان « صهيون » ، وتقويم البلدان ٢٥٦

(٣) برزية «بضم الباء وسكون الراء وفتح الزاي وسكون الياء » قلعة حصينة قرب صهيون من جهة الشرق بينها مرحلة . تقويم البلدان ٢٦٠ . وانظر أيضاً معجم البلدان ففيه : « بَرْزُوَيه . والعامة تقول بَرْزَيه » .

(٤) الأمير سنقر بن عبد الله العلائي ثم الصالحي النجمي ،المعروف بالأشقر . توفي سنة ٦٩٢ هـ . انظر النجوم ٨/٣٧

الحسن بن علي الزّرزاري الشافعي[١]. وليَ قضاء مصر وحدها مدة في دولة الصالح ، ثم آذاه الوزير بهاء الدين[٢] ونكبه ، فلما مات وليَ الوزارة للملك السعيد ، فبقي مدة ثم عزل ، وضربه الشجاعي[٣] ، ثم وليَ الوزارة ثانياً ، ثم عزل وأوذي ،ثم وليَ قضاء القضاة بالإقليم فتوفي بعد عشرين يوماً. فيقال إنه سُمَّ . توفي في صفر ، وولي بعده تقي الدين ابن بنت الأعز .

(*) وابن بُلَيمان الأديب شرف الدين سليمان بن بُلَيمان بن أبي الجيش الإربلي[٤] الشاعر المشهور ، أحد ظرفاء العالم . توفي بدمشق في عاشر صفر وقد كمّل التسعين .

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام اللوحة ٦٠ من الجزء الأخير ، وفي الوافي ١٢٧/١٣ ، وطبقات السبكي ١٤٣/٨ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ ، وتاريخ ابن الفرات ٥٧/٨ ، والسلوك ج ١ / ق ٢ / ٧٣٨ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٣/٧ ، وحسن المحاضرة ١٦٤/٢ - ١٦٧ ، ٢٢١ ، ٣٢٢ ، والشذرات ٣٩٥/٥

(٢) هو علي بن محمد بن سليم الصاحب الوزير الكبير بهاء الدين بن حِنّا المصري . توفي سنة ٦٧٧ هـ . انظر فوات الوفيات - إحسان عباس - ٧٦/٣ ، والمشتبه ١٨٣ ، والعبر ٣١٥/٥ ، والتبصير ٤٧٣/١ ، والشذرات ٣٥٨/٥

(٣) هو الأمير علم الدين سَنْجَر بن عبد الله ،المعروف بأرجواش المنصوري الشجاعي . توفي سنة ٧٠١ هـ . انظر النجوم ١٩٨/٨ ، والبداية والنهاية ٣٣٤/١٣، وحسن المحاضرة ٢٢٣/٢

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام اللوحة ٦٠/ من الجزء الأخير ، والوافي ٨/ ١٦٥ ، وفوات الوفيات ٥٧/٢ ، والسلوك ج١/ق٢/٧٣٨ ، والنجوم ٣٧٢/٧ ، والشذرات ٣٩٥/٥ ، وقد ورد اسم أبيه في بعض هذه المصادر « بنيان » .

(*) وابن عساكر الإمام الزاهد أمين الدين أبو اليُمن ، عبد الصمد ابن عبد الوهاب بن عبد الصمد بن زين الأمناء الدمشقي[1] المجاور بمكة . روى عن جده[2] ، والشيخ الموفق[3] وطائفة ، وكان صالحاً خيّراً قويّ المشاركة في العلم ، بديع النظم ، لطيف الشمائل ، صاحب توجّهٍ وصدق . ولد سنة أربع عشرة وست مئة .

(*) وعبد العزيز بن عبـد المنعم بن علي بن الصّيْقل ، مسند الوقت عز الدين ، أبو العز الحرّاني[4] . روى عن أبي حامد بن جوالق ، ويوسف

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦١ ، وفوات الوفيات ٢/٣٢٨ ، ومرآة الجنان ٤/٢٠٢ ، والبداية والنهاية ١٣/٣١١ ، والسلوك ج١/ق٢/٧٤٦ ، والشذرات ٥/٣٩٥

(٢) هو زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ٥٤٤ هـ . روى عنه أمين الدين أبو اليمن حفيده . وانظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ١٣/١٩١ ، والعبر ٥/١٠٨ ، وطبقات السبكي ٨/١٤١ ، والبداية والنهاية ١٣/١٢٧ ، والنجوم الزاهرة ٦/٢٧٣ ، والشذرات ٥/١٢٣

(٣) هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ، الشيخ موفق الدين البغدادي . ولد سنة ٥٥٧ ، وتوفي سنة ٦٢٩ هـ . وانظر إنباه الرواة ٢/١٩٣ ، والعبر ٥/١١٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/١٩٩ ، والوافي ١٩/٦٥ ، وفوات الوفيات ــ إحسان عباس ــ ٢/٣٨٥ ، وطبقات السبكي ٨/٣١٢

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦٢ ، والوافي ١٩/٦ ، والبداية والنهاية ١٣/٣١٠ ، وتاريخ ابن الفرات ٨/٥٨ ، والسلوك ج ١/ق ٢ / ٧٣٨ ، وحسن المحاضرة ١/٣٨٤ ، والشذرات ٥/٣٩٦

ابن كامل[١] ، وطائفة . وأجاز له ابن كليب[٢] ، وكان آخر من روى عن أكثر شيوخه . توفي في رابع عشر رجب وقد نيّف على التسعين[٣] .

(*) وابن الحبوبي شهاب الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن حمزة بن علي الثعلبي الدمشقي الشاهد[٤] . روى عن ابن الحرستاني[٥] وغيره. وأجاز له المؤيد الطوسي[٦] ، وابن الأخضر[٧] . وتوفي في رجب .

---

(١) هو أبو الفتوح يوسف بن المبارك بن كامل بن أبي غالب البغدادي الخفاف المقرىء . ولد سنة ٥٢٧ هـ وتوفي سنة ٦٠١ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٩٦/١٣ ، والعبر ٢/٥

(٢) هو أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن خضر بن كليب الحرّاني البغدادي الحنبلي التاجر الآجرّي . ولد سنة ٥٠٠ هـ حدث عنه عبد العزيز بن الصيقل . توفي سنة ٥٩٦ . انظر سير أعلام النبلاء ٥٩/١٣ ، والعبر ٢٩٣/٤ ، والوافي ١١٠/١٩

(٣) ولد سنة ٥٩٤

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٦٣ ، والشذرات ٣٩٦/٥

(٥) هو جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الدمشقي الشافعي ، ابن الحرستاني . ولد سنة ٥٢٠ وتوفي سنة ٦١٤ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٣٦/١٣ ، والعبر ٥٠/٥ ، وذيل الروضتين ١٠٦ ، وطبقات السبكي ١٩٦/٨ ، والنجوم ٢٢٠/٦ ، وتاريخ ابن الفرات ٢٢٧/٥ ، والبداية والنهاية ٧٧/١٣ ، والشذرات ٦٠/٥

(٦) هو رضيّ الدين أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي بن حسن بن محمد ابن أبي صالح الطوسي النيسابوري . ولد سنة ٥٢٤ وتوفي سنة ٦١٧ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٤٢/١٣ ، والعبر ٧١/٥

(٧) هو أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن محمود الجنابذي البغدادي =

[٢١٨/ب] (*) وابن القسطلاني الإمام قطب الدين أبو بكر محمد ابن أحمد بن علي المصري ثم المكي(١) . ولد سنة أربع عشرة وست مئة . وسمع من علي ابن البنا(٢) ، والشهاب السهروردي(٣) ، وجماعة . وتفقّه وأفتى ، ثم رحل سنة تسع وأربعين ، فسمع ببغداد ومصر والشام والجزيرة وكان أحد من جمع العلم والعمل والهيبة والورع . طُلب من مكة ووَلِيَ مشيخة دار الحديث الكاملية(٤) بالقاهرة . وتوفي في المحرم .

= التاجر البزار ، ابن الأخضر . ولد سنة ٥٢٤ هـ وتوفي سنة ٦١١ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٢٤/١٣ ، والعبر ٣٨/٥ ، والوافي ٢١/١٩

(١) ترجمته في مجمع الآداب في معجم الألقاب ج٤/ق٦٨٦/٢ ، وفي تاريخ الإسلام ٦٤ ، والوافي ١٣٢/٢ ، وفوات الوفيات ٣١٠/٣ ، ومرآة الجنان ٢٠٢/٤ ، وطبقات الشافعية ٤٣/٨ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ ، وتاريخ ابن الفرات ٥٩/٨ ، والعقد الثمين ٣٢١/١ ، والسلوك ج١/ق٧٣٨/٢ ، والنجوم ٣٧٣/٧ ، وحسن المحاضرة ٤١٩/١ ، والشذرات ٣٩٧/٥

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم نصر بن المبارك بن أبي السيد بن محمد الواسطي البغدادي المكي الخلال ، ابن البنا . روى عنه قطب الدين محمد القسطلاني . توفي سنة ٦٢٢ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٨١/١٣ ، والعبر ٩٠/٥

(٣) هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله القرشي التيمي البكري السُّهرَوردي الصوفي البغدادي . ولد سنة ٥٣٩ ، وتوفي سنة ٦٣٢ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢١٣/١٣ ، والعبر ١٢٩/٥

(٤) المدرسة الكاملية : بناها الملك العادل في القاهرة سنة ٦٢١ ، وكان القطب القسطلاني ثامن من درّس فيها . انظر المقريزي ٢١١/٤ ، وحسن المحاضرة ٢٦٢/٢

(*) والدُّنَيْسِري الطبيب الحاذق عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس ابن أحمد الرَّبَعي(١) . ولد بدُنَيْسِر(٢) سنة ست(٣) ، وسمع بمصر من علي بن مختار(٤) ، وجماعة ، وتفقّه للشافعي . وصحب البهاء زهير(٥) مدّة ، وتأدّب به وصنّف . وقال الشعر ، وبرع في الطب . توفي في ثامن صفر .

(*) والبدر ابن مالك أبو عبد الله محمد بن العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني(٦) ثم الدمشقي شيخ العربية

---

(١) ترجمته في طبقات الأطباء ٣٦٧/٢ ، وتاريخ الإسلام - الجزء الأخير ٦٥ ، والوافي ٢٠٠/٣ ، وفوات الوفيات ٣٩٢/٣ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ ، والسلوك ج١/ق٢/٧٣٩ ، والنجوم ٣٧٣/٧ ، والشذرات ٣٩٧/٥

(٢) دُنَيسر بضم أوله . « بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينها فرسخان » معجم البلدان .

(٣) في تاريخ الاسلام : « سنة خمس أو ست وست مئة ».

(٤) هو جمال الملك أبو الحسن علي بن مختار بن نصر بن طُغان العامري المحلي الاسكندراني ، ويعرف بابن الجمل . ولد سنة ٥٤٨ هـ ، وتوفي سنة ٦٣٨ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٣ ، والعبر ١٥٨/٥

(٥) هو بهاء الدين أبو العلاء زهير بن محمد بن علي الأزدي المهلبي المكي القوصي ، الشاعر المشهور . ولد سنة ٥٨١ هـ ، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ.وانظر سير أعلام النبلاء ٣١١/١٣ ، والعبر ٢٣٠/٥

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام - الجزء الأخير ٦٥ ، والوافي ٢٠٤/١ ، وفوات الوفيات ٤٠٧/٣ ، ومرآة الجنان ٢٠٣/٤ ، وطبقات السبكي ٩٨/٨ ، والسلوك ج١ / ق٢ / ٧٣٨ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٣/٧ ، وبغية الوعاة ٢٢٥/١ ، ونفح الطيب ٢٢٢/٢

وقدوة أرباب المعاني والبيان كان ذكياً فهماً عارفاً بالمنطق والأصول والنظر . لكنه كان لعاباً معاشراً . توفي بالقولنج في ثامن المحرم ولم يكتهل .

(*) وأبو صادق جمال الدين محمد بن الشيخ الحافظ رشيد الدين أبي الحسين يحيى بن علي القرشي المصري العطار[١] . سمع من محمد بن عماد[٢]، وابن باقا[٣] ، وطائفة . وكتب وخرّج الموافقات . توفي في ربيع الآخر عن بضع وستين سنة .

سنة سبع وثمانين وست مئة

(*) وفيها توفي أبو العباس الفقيه شرف الدين أحمد بن أحمد بن عبيد الله ابن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي الفرضي[٤] ، بقية السلف .

---

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام اللوحة ٦٦ من الجزء الأخير ، والشذرات ٥ / ٣٩٩

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عماد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن أبي يعلى الجزري الحراني التاجر . ولد سنة ٥٤٢ ، وتوفي سنة ٦٣٢ هـ . انظر أعلام النبلاء ٢١٥/١٣ ، والعبر ١٩٠/٥

(٣) هو أبو بكر عبد العزيز بن أبي الفتح أحمد بن عمر بن سالم بن محمد ابن باقا السّيبي « نسبة إلى السّيب : قرية بالكوفة » البغدادي التاجر العدل المصري ولد سنة ٥٥٥ ، وتوفي سنة ٦٣٠ هـ . انظر تكملة الإكمال ٢٠٧، والعبر ١١٩/٥ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠٧/١٣

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام اللوحة ٦٧ من الجزء الأخير ، والوافي ٢٣٠/٦ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٧/٧ ، والشذرات ٣٩٩/٥

سمع من عم أبيه الموفق[١] ، وجماعة . وتفقه على التقي بن العز[٢] . توفي في المحرم عن ثلاث وسبعين سنة ، وكان يشغل بجامع الجبل[٣] بلا وظيفة وفيه زهد وعبادة وقناعة باليسير ويقظة المسير .

(*) والجمال ابن الحموي ، أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن سليمان بن علي الدمشقي[٤] . حضر ابن طَبَرْزَد[٥] ، وسمع من

(١) الشيخ موفق الدين المقدسي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب التصانيف ولد سنة ٥٤١ . وتوفي سنة ٦٢٠ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٥٨/١٣ ، والعبر ٧٩/٥ ، وذيل الروضتين ١٤٨

(٢) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عز الدين محمد بن عبد الغني المقدسي الصالحي . ولد سنة ٥٩١ هـ ، وتوفي سنة ٦٤٣ هـ .انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٤/١٣ والعبر ١٧٤/٥

(٣) هو المشهور بجامع الحنابلة وبالمظفري بسفح قاسيون . الدارس ٤٣٥/٢، وذيل ثمار المقاصد ٢٠٩

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٦٨ ، والوافي ٢٦٩/٦ ، والدارس ١٤٩/٢ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٨/٧ ، والشذرات ٤٠٠/٥

(٥) هو عمر بن محمد بن مُعمّر بن أحمد بن يحيى بن حسان البغدادي الدارَقزّي المؤدب ، ويعرف بابن طبرزذ . والطبرزذ بذال معجمة هو السُّكَّر . مولده سنة ٥١٦ هـ. روى عنه الجمال ابن الحموي وعبد الرحيم بن خطيب المزة ، وغيرهما . توفي سنة ٦٠٧ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ٢٣٣/١٣ ، والعبر ٢٤/٥

الكندي(١) وابن الحرستاني(٢) [٢١٩/ا] . افترى على الحاكم ابن الصائغ(٣) بشهادة فأسقط لأجلها . ومات بدُوَيْرة حَمْد(٤) في ذي الحجة ، وله سبع وثمانون سنة .

(*) وأبو إسحاق اللَّوْري(٥) إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى الرُّعيني الأندلسي المالكي المحدث . ولد سنة أربع عشرة ، وحجّ فسمع من ابن رَوَاج(٦) وطبقته . وسكن دمشق وقرأ الفقه وتقدم في الحديث مع الزهد والعبادة والإيثار والصفات الحميدة والحرمة والجلالة . ناب في القضاء ثم ولي

---

(١) هو تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد ابن عصمة الكندي البغدادي . ولد سنة ٥٢٠ هـ، وتوفي سنة ٦١٣ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٢٤/١٣ ، والعبر ٤٤/٥

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤١ هـ ٥

(٣) هو القاضي عز الدين ، أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق ابن خليل بن مقلد بن جابر الأنصاري ، المعروف بابن الصائغ. ولد سنة ٦٢٨ هـ،وتوفي سنة ٦٨٣ هـ. انظر الوافي ٢٧٠/٣ ، والعبر ٣٤٤/٥ ، وقضاة دمشق ٢٧٦ وطبقات الشافعية ٧٤/٨

(٤) ذكر الصفدي أنها بدمشق .

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦٨ من الجزء الأخير ، ومرآة الجنان ٢٠٤/٤ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٨/٧ ، والشذرات ٤٠٠/٥ وفيه وفي الأعلام ٤٠/١ : « اللوزي » وعند الذهبي أن نسبته إلى لوْرة ، وهي قلعة في الأندلس من أعمال إشبيلية .

(٦) هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي رشيد الدين أبو محمد بن رَوَاج . ولد سنه ٥٥٤ هـ. وتوفي سنة ٦٤٨ هـ.انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٩/١٣ ،والعبر ٢٠٠/٥

مشيخة دار الحديث الظاهرية . توفي في الرابع والعشرين من صفر بالمُنيبع[١].

(*) والشيخ إبراهيم بن مِعْضاد[٢] أبو إسحاق الجَعْبَري[٣] الزاهد الواعظ المذكِّر . روى عن السخاوي[٤] وسكن القاهرة . وكان لكلامه وقع في القلوب لصدقه وإخلاصه وصدعه بالحق . توفي في المحرم عن سبع وثمانين سنة وشهر .

(*) وسعد الخير بن أبي القاسم عبد الرحمن بن نصر بن علي ، أبو محمد النابلسي ثم الدمشقي الشاهد[٥] . سمع الكثير من ابن البُنِّ[٦] وزين

---

(١) في تاريخ الإسلام أنها بظاهر دمشق .

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦٩ من الجزء الأخير ، والوافي ١٤٧/٦ ، ومرآة الجنان ٢٠٤/٤ ، وطبقات السبكي ١٢٣/٨ ، وتاريخ ابن الفرات ٧٢/٨ ، والسلوك ٧٤٦/٢/١ ، والمنهل الصافي ١٦٣/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٤/٧ ، وحسن المحاضرة ٥٢٣/١ ، والشذرات ٣٩٩/٥

(٣) نسبته إلى جَعْبَر « بالفتح ثم السكون » وهي قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفّين « معجم البلدان » .

(٤) هو علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عطّاس المصري السّخاوي الشافعي نزيل دمشق . ولد سنة ٥٥٨ أو ٥٥٩ وتوفي سنة ٦٤٣ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٤٨/١٣ ، والعبر ١٧٨/٥ ، وطبقات الشافعية ٢٩٧/٨ وفيه سرد لمصادر أخرى .

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام اللوحة ٧٠ ، والشذرات ٤٠٠/٥

(٦) هو نفيس الدين أبو محمد الحسن بن علي بن أبي القاسم الحسين بن الحسن ، ابن البُنّ الأسدي الدمشقي الخشاب . ولد سنة ٥٣٧ هـ . حدث عنه سعد الخير ، وتوفي سنة ٦٢٥ وانظر سير أعلام النبلاء ١٨٩/١٣ ، والعبر ١٠٤/٥

الأمناء[١] وطبقتها . توفي في جمادى الآخرة وله سبعون سنة .

(*) وابن خطيب المزّة شهاب الدين عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى الموصلي ثم الدمشقي[٢] نزيل القاهرة ومسندها . سمع في الخامسة من حنبل[٣] وابن طَبَرْزَد[٤] وكان فاضلاً ديّناً ثقة . توفي في تاسع رمضان .

(*) والقطب خطيب القدس ، أبو الذكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي الزهري العوفي النابلسي الشافعي المفتي[٥] المفسّر . سمع من داود ابن ملاعب[٦] ، وأبي عبد الله بن البنا[٧] . وأجاز له أبو الفتح المندائي[٨]،

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٤٠ هـ ٢

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ٧١ ، والشذرات ٤٠١/٥

(٣) هو حنبل بن عبد الله الرصافي أبو علي وأبو عبد الله الواسطي البغدادي المكبّر راوي المسند كله عن هبة الله بن الحصين. توفي سنة ٦٠٤ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ٩٨/١٣ ، والعبر ١٠/٥ ، وذيل الروضتين ٦٢

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٥ هـ ٥

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٢ ، والوافي ١١٤/١٩ ، وتاريخ ابن الفرات ٧٤/٨ ، والسلوك ٧٤٦/٢/١ ، والشذرات ٤٠١/٥

(٦) هو ربيب الدين أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن منصور بن ثابت بن مُلاعب البغدادي الأزجي الوكيل عند القضاة . ولد سنة ٥٤٢ وتوفي سنة ٦١٦ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣٨/١٣ ، والعبر ٦٠/٥

(٧) هو نور الدين أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب ابن جامع بن عبدون البغدادي الصوفي ، ابن البنا . ولد سنة ٥٣٦ هـ وتوفي سنة ٦١٢ ، روى عنه القطب الزهري ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣١/١٣ ، والعبر ٤٣/٥

(٨) هو أبو الفتح محمد بن القاضي أبي العباس أحمد بن بختيار بن علي بن =

وطائفة . توفي في سابع رمضان وله أربع وثمانون سنة .

(*) وابن النفيس[١] العلامة علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي الدمشقي شيخ الطب بالديار المصرية وصاحب التصانيف وأحد من انتهت إليه معرفة الطب مع الذكاء المفرط والذهن الخارق والمشاركة في الفقه والأصول والحديث والعربية والمنطق[٢] [٢٢٠ ب] . توفي في الحادي والعشرين من ذي القعدة ، وقد قارب الثمانين . وقف أملاكه وكتبه على المارستان المنصوري ، ولم يخلف بعده مثله .

(*) والنجيب[٣] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد بن علي الهَمْداني ثم المصري المحدث . أجاز له ابن طبرزذ[٤] وعفيفة[٥] والكبار . وسمع

محمد المندائي الواسطي ولد سنة ٥١٧ وتوفي سنة ٦٠٥ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٠٠/١٣ ، والعبر ١٤/٥

(١) ترجمته في طبقات الأطباء ٢٤٩/٢ ، وتاريخ الإسلام ٧٢ ، والوافي ٢١/١٢ ، ومرآة الجنان ٢٠٧/٤ ، وطبقات السبكي ٣٠٥/٨ ، والبداية والنهاية ٣١٣/١٣ ، والسلوك ٧٤٦/٢/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٧/٧ ، وحسن المحاضرة ٥٤٢/١ ، والدارس ١٣١/٢ ، والشذرات ٤٠١/٥ ، والأعلام ٧٨/٥ ، وفي بعض هذه المصادر « ابن أبي الحزم » بالزاي . وفي الأصل إشارة إهمال فوق الراء .

(٢) يضطرب ترتيب الصفحات في الأصل إذ ترد حوادث سنة ٦٩٥ مقحمة ضمن حوادث سنة ٦٨٧

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٣ ، والشذرات ٤٠٢/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٥ هـ ٥

(٥) هي عفيفة بنت أحمد بن عبد الله بن محمد ، أم هانىء الفارفانية — نسبة إلى فارفان : من قرى اصبهان — الاصبهانية ولدت سنة ٥١٠ وتوفيت سنة ٦٠٦ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣ : ١١٠ ، و العبر ١٧/٥

من عبد القوي بن الجبّاب[١] . وقرأ بنفسه على ابن باقا[٢] ، ثم صار كاتباً[٣] في أواخر عمره ومات في ذي القعدة .

(*) ومحمد بن عبد الخالق بن طرخان ، شرف الدين أبو عبد الله الأُموي الاسكندراني[٤] . أجاز له أبو الفخر أسعد بن رَوْح[٥] وسمع من علي ابن البنا[٦] ، والحافظ ابن المفضل ، وطائفة كثيرة . عاش اثنتين وثمانين سنة .

---

(١) هو القاضي الأسعد صفي الملك أبو البركات عبد القوي بن القاضي الجليس أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن عبد الله بن الحسين ابن الجباب التميمي السعدي الأغلبي المصري المالكي ولد سنة ٥٣٦ هـ . حدث عنه النجيب محمد بن أحمد الهمداني . وتوفي سنة ٦١١ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٨٠ ، والعبر ٥/٨٣ والمشتبه ١٣٨

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٤ هـ ٣

(٣) في الأصل « كاتب » .

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٣/ب ، والوافي ٣/٢١٩ ، والشذرات ٥/٤٠٣

(٥) هو أبو الفخر أسعد بن سعيد بن محمود بن محمد بن رَوْح الاصبهاني التاجر ، ابن أبي الفتوح . ولد سنة ٥١٧ ، وتوفي سنة ٦٠٧ وانظر أعلام النبلاء ١٣/١١٣ ، والعبر ٥/٢١

(٦) هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم نصر بن المبارك بن أبي السيد بن محمد الواسطي الأصل البغدادي ثم المكي الخلال ، ابن البنا ، راوي الجامع للترمذي عن عبد الملك الكروخي ، حدث عنه محمد بن عبد الخالق بن طرخان الأموي . مات سنة ٦٢٢ انظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٨١ ، والعبر ٥/٩٠

(*) والحاج ياسين المغربي الحجام الأسود[1]. كان جرائحياً على باب الجابية . وكان صاحب كشف وحال . وكان النووي[2] رحمه الله يزوره ويتلمذ له . توفي في ربيع الأول وقد قارب الثمانين .

[٢١٩/ب] سنة خمس وتسعين وست مئة

(*) استهلت وأهل الديار المصرية في قحط شديد ووباء مفرط حتى أكلوا الجيف ، وأما الموتى فيقال أخرج في يوم واحد ألفٌ وخمس مئة جنازة ، وكانوا يحفرون الحفائر الكبار ، ويدفنون الجماعه الكثيرة . وبلغ الخبز كل رطل وثلث بالمصري بدرهم نُقرة .

(*) وفيها قدم علينا شيخ الشيوخ صدر الدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدين حمويه الجويني[3] طالبَ حديث ، فسمع الكثير . وروى لنا عن أصحاب المؤيد الطوسي[4] وأخبر أن ملك التتار غازان بن أرغون[5] أسلم

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٤ وفيه « ياسين بن عبد الله المغربي » ، ومرآة الجنان ٢٠٦/٤ ، والشذرات ٤٠٣/٥

(٢) هو الشيخ محيي الدين النووي أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الشافعي . ولد سنه ٦٣١ وتوفي سنة ٦٧٧ . وانظــر العبر ٣١٢/٥ ، وطبقات السبكي ٣٩٥/٨ ، ومعجم المؤلفين ٢٠٢/١٣ وفيها سرد لمصادر أخرى كثيرة

(٣) انظر مرآة الجنان ٢٣٧/٤ ، والشذرات ٤٢٨/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤١ ﻫ ٦

(٥) هو صاحب الشرق محمود غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو . تولى الملك سنة ٦٩٣ ﻫ ، وأسلم في السنة ذاتها وتوفي سنة ٧٠٣ ، انظر ذيول العبر ٢٦ ، والنجوم الزاهرة ٢١٢/٨

على يده بوساطة نوروز وكان يوماً مشهوداً .

(*) وأما دمشق فاستسقى الناس وبلغ الخبز كل عشر أواق بدرهم في جمادى الآخرة وارتفع فيه الوباء والقحط عن مصر ونزل الاردب إلى خمسة وثلاثين درهماً ، فرحلت إليها حينئذ بإذن والدي .

(*) وفي ذي القعدة قدم الملك العادل كَتْبُغا[1] دمشق وسار إلى حمص .

(*) وفيها في ربيع الآخر قتل جماعة من حراس دمشق ، فاختبط البلد ثم بعد أيام أخذ حرفوش ناقص العقل فاعترف أنه كان يأتي إلى الحارس، وهو نائم ، فيضربه على يافوخه بحجر يقتله حتى قتل عشرة ، فسَمّروه

(*) وفيها توفي أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان العلامة الكبير شيخ الفقهاء نجم الدين أبو عبد الله الحراني النميري الحنبلي[2] مصنف الرعاية الكبيرة . توفي في صفر بالقاهرة وله اثنتان وتسعون سنة . روى عن الحافظ عبد القادر الرهاوي[3] وفخر الدين ابن تيمية[4] ، وطائفة ، وانتهت إليه معرفة المذهب .

(١) هو الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي المغلي أصله من التتار من سبي وقعة حمص الأولى سنة ٦٥٩ هـ ، أخذه الملك المنصور قلاوون وأدبه ثم أعتقه ، وجعله من مماليكه ثم رقاه حتى صار من أكابر أمرائه واستمر على ذلك في الدولة الأشرفية إلى أن قتل سنة ٧٠٢ هـ . انظر الوافي ١٥١/٢٤ ، وذيول العبر ٢٢ ، والنجوم الزاهرة ٥٥/٨ ، والدرر الكامنة ٢٦٢/٣

(٢) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٧٣ ، والوافي ٣٦٠/٦ ، وتاريخ ابن الفرات ٢١٥/٨ ، والمنهل الصافي ٢٧٢/١ ، والشذرات ٤٢٨/٥ ، والأعلام ١١٦/١

(٣) هو أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحنبلي . ولد سنة ٥٣٦ هـ =

(*) وأحمد بن عبد الباري الشيخ أبو العباس الداري الصعيدي ثم الاسكندراني[1] المؤدب الرجل الصالح . قرأ القراءات على أبي القاسم بن عيسى[2] وأكثر عنه وعن الصفراوي[3] . توفي في أوائل السنة عن ثلاث وثمانين سنة .

(*) والمنقذي أبو الفضائل أحمد بن [٢٢٠/ا] عبد الرحمن بن محمد

= حدث عنه نجم الدين أبو عبد الله بن حمدان وهو آخر من روى عنه موتاً . توفي سنة ٦١٢ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣٣/١٣ ، والعبر ٤١/٥

(٤) وهو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ، ابن تيمية الحراني الحنبلي صاحب ديوان الخطب والتفسير الكبير . ولد سنة ٥٤٢ هـ . وتوفي سنة ٦٢٢ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٩٢/١٣ ، والعبر ٩٢/٥ ، والأعلام ٣٤٥/٥ وفيه سرد لمصادر أخرى كثيرة .

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٤ ، وفي الوافي ١٢/٧ ، وغاية النهاية ٦٥ ، والمنهل الصافي ٣١٠/١ ، والشذرات ٤٢٩/٥ .

(٢) هو أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى اللخمي الشريشي ثم الاسكندراني المقرىء . توفي سنة ٦٢٩ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٩٨/١٣ ، والعبر ١٢٦/٥

(٣) هو جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف بن الحسين بن حفص ، ابن الصفراوي – نسبة إلى الصفراء التي عند بدر – الاسكندري الفقيه المالكي المقرىء . ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٦٣٦ هـ ، وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣٠/١٣ ، والعبر ١٥٠/٥

الحسيني الدمشقي[١] خادم مصحف مشهد علي بن الحسين . روى عن ابن غسّان[٢] ، وابن صبّاح[٣] وجماعة . وله حضور على ذرع بن فارس . توفي في ذي الحجة .

(*) والشريف عز الدين نقيب الأشراف أبو العباس أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الحسيني الحلبي ثم المصري[٤] الحافظ المؤرخ ، روى عن فخر القضاة أحمد بن الجبّاب[٥] ، وأكثر عن أصحاب البوصيري[٦] ، وعني بالحديث وبالغ . توفي سادس المحرم .

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام : الجزء الأخير ١٧٤ ، والشذرات ٥/٤٣٠

(٢) هو الأمير سيف الدولة أبو عبد الله محمد بن غسان بن غافل بن نجار ابن غسان بن تامر الأنصاري الخزرجي الحمصي . ولد سنة ٥٥٢ هـ ، وقدم دمشق وهو صبي ، حدث عنه أحمد بن عبد الرحمن المنقذي وغيره . توفي سنة ٦٣٢هـ. وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢١٥ ، والعبر ٥/١٣١

(٣) هو أبو صادق الحسن بن يحيى بن صبّاح بن حسين بن علي المخزومي المصري الكاتب أحد شهود الخزانة بدمشق . مولده بمصر سنة ٥٤١ هـ . وتوفي سنة ٦٣٢ هـ ، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢١٣ والعبر ٥/١٢٨

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٧٥ ، والسلوك ١/٢/٨٣١ ، وحسن المحاضرة ١/٣٥٧ ، والشذرات ٥/٤٣٠

(٥) هو أبو الفضل أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي المعالي عبد العزيز ، ابن الجباب ، توفي سنة ٦٤٨ هـ وانظر العبر ٥/١٩٨ وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٩ ، وتوضيح المشتبه - مخطوطة الظاهرية - ١/١٧٥ ب ، والوافي ٨/٥٥ والشذرات ٥/٢٤٠ وفيها وفي النجوم ٧/٢٢ « ابن الحباب » .

(٦) هو أمين الدين أبو القاسم سيد الأهل هبة الله بن علي بن سعود =

(*) وقاضي الحنابلة الامام شرف الدين حسن بن الشرف عبد الله ابن الشيخ أبي عمر بن قدامة المقدسي[١]. ولي القضاء بعد نجم الدين ابن الشيخ[٢] وإلى أن توفي في شوال وله سبع وخمسون سنة.

(*) وبنت الواسطي الزاهدة العابدة أم محمد زينب بنت علي بن أحمد بن فضل الصالحة[٣]. روت عن الشيخ الموفق[٤] وتوفيت في المحرم، وقد قاربت التسعين.

(*) والتقي شبيب بن حمدان الحراني الطبيب الكحال الشاعر[٥]. له

= « في العبر وحسن المحاضرة: مسعود » بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي البوصيري المصري، ولد سنة ٥٠٦ هـ وتوفي سنة ٥٩٨ انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٩٠، والعبر ٥/٣٠٦، وحسن المحاضرة ١/٣٧٥

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٦ ب، والوافي ١٢/٣٧ ب، وتاريخ ابن الفرات ٨/٢١٦، والسلوك ١/٢/٨١٧، والشذرات ٥/٤٣٠، والمنهج الأحمد ٢/٤٠٦، وقضاة دمشق ٢٧٤

(٢) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس بن قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبي محمد بن الشيخ أبي عمر. ولد سنة ٦٥١ هـ وتوفي سنة ٦٨٩ هـ، انظر المنهج الأحمد ٢/٤٠٢، وقضاة دمشق ٢٧٣، والمنهل الصافي ١/٣١٠، والنجوم الزاهرة ٧/٣٨٥، والقلائد الجوهرية ٣٦٦

(٣) ترجمتها في تاريخ الإسلام ١٧٧، ومرآة الجنان ٤/٢٢٨، والشذرات ٥/٤٣٠

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٠ هـ ٣

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٧٨، والوافي ١٤/٢٨، وفوات الوفيات ٢/٩٨ وحسن المحاضرة ١/٥٤٣، والشذرات ٥/٤٢٩، والأعلام ٣/٢٢٨ « ووفاته فيه سنة ٦٧٥ »

نظم فائق وتقدم في الطب ، روى عن أبي الحسن بن روزبة[١] وغيره .
توفي في هذه السنة بمصر .

(*) وابن قوام العدل الصالح كمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد ابن نصر بن قوام بن وهب الرصافي ثم الدمشقي[٢] ثنا عن القزويني[٣] وابن الزبيدي[٤] . ومات فجأة في ذي القعدة ، وله ثمانون سنة رحمه الله .

(*) وابن رزين الامام صدر الدين عبد البر بن قاضي القضاة تقي الدين محمد[٥] . توفي في رجب . وولي بعده تدريس القيمرية إمام الدين

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن رُوزبة بن عبد الله البغدادي القلانسي العطار الصوفي . ولد سنه نيف وأربعين وتوفي سنة ٦٣٣ هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢١٧ ، والعبر ٥/١٣٤

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٢٨ ، والشذرات ٥/٤٣٠

(٣) هو مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين بن أبي المكارم أحمد بن حسين ابن بهرام القزويني الصوفي . ولد سنة ٥٤ بقزوين . حدث عنه الكمال عبد الله بن قوام . توفي سنة ٦٢٢ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/١٨٢ ، والعبر ٥/٩٢

(٤) هو سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى ابن مُسلّم الرّبعي الزّبيدي الأصل البغدادي الحنبلي . ولد سنة ٥٦٥ أو ٥٤٦ حدث عنه الكمال بن قوام ، توفي سنة ٦٣١ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٠٩ والعبر ٥/١٢٤

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٧٨ ، والوافي ١٨/٨ ، ومرآة الجنان ٤/٢٢٨ والشذرات ٥/٤٣١ ، والدارس ١/٤٤٤

القزويني[1] الذي ولي القضاء .

(*) وابن بنت الأعز* قاضي الديار المصرية تقي الدين عبد الرحمن ابن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب العلامي[2] الشافعي . وولي بعده ابن دقيق العيد[3] شيخنا . توفي في جمادى الأولى كهلاً .

(*) وابن الفاضل الشيخ سعد الدين عبد الرحمن بن علي بن القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل[4] ، سمع من عبد الصمد الغضاري[5] ..

---

(١) هو إمام الدين أبو المعالي عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسين بن علي بن أحمد بن خلف التميمي العجلي القزويني . ولد سنة ٦٥٣ هـ درس بالقيمرية بعد صدر الدين عبد البر بن تقي الدين بن رزين . توفي سنة ٦٩٩ هـ . انظر العبر ٤٠٢/٥ ، والدارس ١٩٦/١

(٢) ترجمته في الوافي ٦٤/١٨ ، وفوات الوفيات ٢٧٩/٢ ، وتاريخ الإسلام ١٧٩ ، ومرآة الجنان ٢٢٨/٤ « واسمه فيه عبد الرحيم » ، وطبقات السبكي ١٧٢/٨ ، والبداية والنهاية ٣٤٦/١٣ ، وتاريخ ابن الفرات ٢١٧/٨ ، والسلوك ٨١٧/٢/١ ، والنجوم الزاهرة ٨٢/٨ ، وحسن المحاضرة ٤١٥/١ ، ١٦٨/٢ ، والشذرات ٤٣١/٥

(٣) هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، ابن دقيق العيد المصري . ولد سنة ٦٢٥ هـ وتوفي سنة ٧٠٢ . ولي القضاء بعد تقي الدين عبد الرحمن بن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعـــز سنة ٦٩٥ هـ . انظر فوات الوفيات ٤٤٢/٣ ، والنجوم ٢٠٦/٨ ، والدرر الكامنة ٩٢/٤ ، وحسن المحاضرة ٣١٧/١ ، والشذرات ٦/٥

(٤) ترجمته في الوافي ٧٣/١٨ ، وتاريـخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٩ ، وحسن المحاضرة ٣٨٥/١ ، والشذرات ٤٣١/٥

(٥) بهذه اللفظة تنقطع حوادث سنة ٦٩٥ التي وردت مقحمة خلال حوادث سنة ٦٨٧

[٢٢٨ ب] سنة ست وتسعين وست مئة

(*) توجه الملك العادل[١] إلى مصر ، فلما كان باللجون[٢] وثب حسام الدين لاجين المنصوري[٣] على بُنْخاص وبكتوت الأزرق[٤] فقتلها وكانا جناحي أستاذهما العادل ، فخاف وركب سرّاً وهرب في أربعة مماليك ، وساق إلى دمشق ، فدخل القلعة ، فلم ينفعه ذلك . وزال ملكه وخضع المصريون لحسام الدين ولم يختلف عليه اثنان ولقّبه بالملك المنصور ، وأخذ العادل تحت الحَوطة فأسكن بقلعة صَرْخَد[٥] وقنع بها .

---

(١) هو كَتْبُغا بن عبد الله المنصوري زين الدين الملقب بالملك العادل . ولد ٦٣٩ هـ من ملوك المماليك البحرية في مصر والشام . أصله من سبي التتار ، وجعله الملك قلاوون من مماليكه ، وإليه ينسب . وحين تولى محمد بن قلاوون وكان صغيراً خلعه وتسلطن سنة ٦٩٤ ولكن لاجين اضطره إلى أن يخلع نفسه سنة ٦٩٦ هـ . توفي سنة ٧٠٢ هـ . وانظر الوافي ٢٤/١٥١ ، والفوات ٣/٢١٨ ، والسلوك ١/٨٠٦ — ٨٢٠ ، والنجوم ٨/٥٥ ، والدرر الكامنة .

(٢) اللجون : بفتح أوله وضم ثانيه : بلد بالأردن بين طبرية والرملة .

(٣) هو لاجين حسام الدين بن عبد الله المنصوري من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام وهو الحادي عشر . ولد سنة ٦٣٥ هـ . وتوفي سنة ٦٩٨ هـ . كان مملوكاً للمنصور قلاوون وإليه ينسب . ولي السلطنة سنة ٦٩٥ . انظر الوافي ٢٤/١٨١ ، والسلوك ١/٨٢٠ — ٨٦٥ ، والنجوم ٨/٨٥

(٤) انظر السلوك ١/٨٢٠

(٥) صَرْخَد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة . « معجم البلدان » .

(*) وفيها توفي ابن الأغلاقي أبو العباس أحمد بن عبد الكريم بن غازي الواسطي ثم المصري[١] . روى لنا عن عبد القوي بن الجَبّاب[٢] وابن باقا[٣] ، وكان إمام مسجد . توفي في صفر عن ست وثمانين سنة .

(*) وابن الظاهري الحافظ الزاهد القدوة جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الحلبي الحنفي المقرىء المحدث[٤] توفي بزاويته بالمقس[٥] بظاهر القاهرة في ربيع الأول ، وله سبعون سنة . كان أحد من عُني بهذا الشأن . وكتب عن سبع مئة شيخ بالشام والجزيرة ومصر . وحدّث عن ابن اللتي[٦] والإرْبلي[٧] فمن بعدَهما ، وما زال في طلب

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦١ ، وحسن المحاضرة ١/٣٨٥ ، والشذرات ٥/٤٣٤

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٠ هـ ١

(٣) تقدمت ترجمته . ص ٥٤٤ هـ ٣

(٤) ترجمته في الوافي ٨/٣٦ ، وتاريخ الإسلام ١٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦٠ ، وطبقات القراء ١/١٢٢ ، والسلوك ١/٢/٨٣٠ ، وحسن المحاضرة ١/٣٥٧ والدارس ١/١١٤ ، والشذرات ٥/٤٣٥ ، ومنادمة الأطلال ٦١

(٥) المقس : بالفتح ثم السكون وسين مهملة وهو بين يدي القاهري على النيل . معجم البلدان .

(٦) هو أبو المنجا عبد الله بن عمر بن علي بن زيد ، ابن اللَّتي البغدادي الحريمي القزاز . ولد سنة ٥٤٥ . روى عنه ابن الظاهري . توفي سنة ٦٣٥ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٢٣ ، والعبر ٥/١٤٣

(٧) هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سلمان الاربلي الصوفي . ولد سنة ٥٥٩ أو ٥٦٠ حدث عنه أبو العباس بن الظاهري . توفي سنة ٦٣٣ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢١٩ ، والعبر ٥/١٣٥

الحديث وإفادته وتخريجه إلى آخر أيامه .

(*) والنفيس إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحرّاني ثم الدمشقي[١] ناظر الأيتام وواقف النفيسيّة[٢] بالرصيف[٣] . روى عن مُكْرَم القرشي[٤] . وتوفي في ذي القعدة عن نحو سبعين سنة .

(*) والضياء جعفر بن محمد بن عبـــد الرحيم أبو الفضل الحسيني المصري الشافعي[٥] المفتي أحد كبار الشافعية . روى لنا عن سبط السلفي . ومات في ربيع الأول عن ثمان وسبعين سنة .

(*) والضياء دانيال بن منكلي الشافعي[٦] قاضي الكَرَك . قرأ

---

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٨٩ ، والشذرات ٤٣٥/٥

(٢) كانت تقع قرب حمام القيشاني ثم درست . انظر الدارس ١١٤/١، ومنادمة الأطلال ٦٠

(٣) كانت مع المدرسة تقع قرب مايعرف اليوم بحمام القيشاني ، وقد درسا قبل زمن بدران . انظر منادمه الأطلال ٦٠

(٤) هو مُكرَم بن محمد بن حمزة بن محمد بن أحمد بن سلامة بن أبي جميل بن أبي الصقر ، أبو المفضل نجم الدين القرشي الدمشقي التاجر . ولد سنة ٥٤٨ هـ . توفي سنة ٦٣٥ . انظر سير أعلام النبلاء ٤٥٤/١٣ ، والعبر ١٤٦/٥ « وفيه مكرّم ».

(٥) ترجمته في الوافي ٦٨/١١ « وفيه اسم جده : عبد الكريم بدل عبد الرحيم » وتاريخ الاسلام ١٨٩ ، والطالع السعيد ١٨٢ ، وطبقات الشافعية ١٣٧/٨ ، وحسن المحاضرة ٤٢٠/٦ ، والشذرات ٤٣٥/٥

(٦) ترجمته في الوافي ١٧٢/١٣ ، وتاريخ الاسلام ١٨٩ ، والشذرات ٤٣٥/٥

على السخاوي[١] . وسمع من ابن اللتي[٢] وابن الخازن[٣] وطائفة [١٢٩ أ] وكان له رُواءٌ ومنظر، ولديه فضائل . توفي في رمضان .

(*) والتاج عبد الخالق بن عبد السلام بن سعيد بن علوان ، أبو محمد البعلبكي القاضي[٤] . فقيه ، عالم، جيد المشاركة في الفنون ، ذو حظ من عبادة وتواضع . روى عن الشيخ المـــوفق[٥] ، والقزويني[٦] ، والبهاء عبد الرحمن[٧] . توفي في تاسع المحرم ، وله ثلاث وتسعون سنة .

(*) وقاضي الحنابلة بالقاهرة عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي[٨] . محمود القضايا ، عمدة في الأحكام ، متثبت ، مليـح

---

(١) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٧ هـ ٤ (٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٩ هـ ٦

(٣) هو أبو بكر محمد بن سعيد « في العبر : أسعد » بن أبي البقاء الموفق بن علي بن الخازن النيسابوري ثم البغدادي الصوفي . ولد سنة ٥٥٦ هـ وتوفي سنة ٦٤٣هـ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٤٩/١٣ ، والعبر ١٧٩/٥

(٤) ترجمته في الوافي ٣١/١٨ ب ، وتاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٠ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦١/٤ ، والشذرات ٤٣٥/٥

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٠ هـ ٣

(٦) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٧ هـ ١

(٧) هو بهاء الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن ابن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي شارح المقنع . ولد سنة ٥٥٥ ، روى عن التاج عبد الخالق . وتوفي سنة ٦٢٤ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨٨/١٣، والعبر ٩٩/٥

(٨) ترجمته في الوافي ١٨٩/٢٢ ، وتاريخ الاسلام ١٩١ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ ، والسلوك ٨٢٠/٢/١ ، وحسن المحاضرة ١٩١/٢ ، والشذرات ٤٣٦/٥

الشكل . روى عـــن ابن اللتي [١] حضوراً ، وعن جعفر الهمْداني[٢] توفي في صفر وله خمس وستون سنة .

(*) والضياء السَّبْتي أبو الهدى عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمـد الأنصاري الشافعي الصوفي المحدث[٣] . ولد سنة ثلاث عشرة وست مئة ، وقدم مع أبيه فحج ولبس الخرقة مع السهروردي[٤] وسمع وقرأ الكثير على يوسف بن المخيلي[٥] والصفراوي[٦] وابن المقيَّر[٧] . توفي بالقاهره فجأة

(١) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٩ هـ ٣

(٢) هو أبو الفضل جعفر بن علي بن هبة الله بن جعفر بن يحيى الهمداني الاسكندراني المالكي . مولده سنة ٥٤٦ ، ووفاته سنة ٦٣٦ . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢٨/١٢ ، والعبر ١٤٩/٥

(٣) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩١ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ ، وحسن المحاضرة ٣٨٥/١ ، والشذرات ٤٣٦/٥ «وفي المصدرين الأخيرين : « السَّبَتي » وفي الشذرات نسبته إلى موضع ، وفي معجم ياقوت أن الموضع سَبَن ، وإليه ينسب السَّبنية ضرب من الثياب يتخذ من الكتان أغلظ مايكون وهي مدينة قرب بغداد وانظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب لدوزي ١٦٥ .

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٢ هـ ٣

(٥) هو جمال الدين أبو الفضل يوسف بن عبد المعطي بن منصور بن نجا بن منصور الغساني الاسكندراني ابن المخيلي المالكي ، ومَخيل من بلاد برقة . ولد سنة ٥٦٨ هـ وتوفي سنة ٦٤٢ . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٤٧/١٣ ، والعبر ١٧٣/٥

(٦) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٣ هـ ٣

(٧) هو أبو الحسن على بن أبي عبيد الله الحسين بن علي بن منصور ، ابن المقيّر البغدادي الأزجي المقرىء الحنبلي النجار . ولد سنة ٥٤٥ وحدث عنه السبق وتوفي سنة ٦٤٣ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ٤٩٤/١٣ ، والعبر ١٧٨/٥

في رجب وله ثلاث وثمانون سنة .

(*) ومحمد بن بَلَغزا البعلبكي(١) . رجل مبارك . ثنا عن البهاء عبد الرحمن (٢) .

(*) والتلّعفري الشيخ محمد بن جوهر الصوفي المقرىء(٣) . قرأ على أبي إسحاق بن وثيق(٤) ، واقرّن مدة وكان عارفاً بالتجويد . روى عن يوسف بن خليل(٥) ، وغيره . توفي بدمشق في صفر .

(*) ومحمد بن حازم بن حامد بن حسن الشيخ شمس الدين المقدسي الصالحي الحنبلي(٦) . شيخ عالم صالح مهيب حسن السمت كثير العبادة .

---

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٢ وفيه : « محمد بن بلغزا بن محمد بن بلغزا بن داره بن رستم الشيخ قمر الدين البعلبكي الحنبلي . رجل عامي دّين مكثر عن البهاء عبد الرحمن . ولد في نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وسمع منه جماعة من الكبار ببعلبك وكتب إليّ بوفاته شيخنا أبو الحسين في المحرم » .

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٦١ هـ ٧

(٣) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٢ ، وفي الوافي ٢/٣١٤ ، والشذرات ٥/٤٣٦

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن وثيق الأموي مولاهم المغربي الاشبيلي المقرىء . مولده سنة ٥٦٧ ، تلا عليه محمد بن جوهر التلعفري وتوفي سنة ٦٥٤ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٧ ، والعبر ٥/٢١٧

(٥) هو يوسف بن خليل بن قراجا عبد الله أبو الحجاج شمس الدين الدمشقي الأدمي الاسكاف . ولد سنة ٥٥٥ هـ . حدث عنه محمد بن جعفر التلعفري . وتوفي سنة ٦٤٨ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥٧ ، والعبر ٥/٢٠١

(٦) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٢ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦٢ والشذرات ٥ / ٤٣٦

روى عن أبي القاسم بن صصرى[١] وابن غسّان[٢] . وحدث بالصحيح عن ابن الزّبيدي[٣] توفي في ذي الحجة عن ست وسبعين سنة .

(*) والضياء ابن النُّصيبي محمـــد بن محمد بن عبد القاهر الحلبي الكاتب[٤] . وزر لصاحب حماة . وحدث عن ابن رُوزبة[٥] ، والموفق عبد اللطيف[٦] . توفي في رجب .

(*) والرّضيّ محمد بن أبي بكر بن خليل العثماني المكي[٧] الشافعي المفتي النحوي الزاهد شيخ الحرم وفقيهه . روى عن ابن الجُمّيزي[٨] وغيره .

---

(١) هو شمس الدين أبو القاسم الحسين بن أبي الغنائم هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى الربعي التغلبي الجزري البلدي الدمشقي . ولد سنة بضع وثلاثين وخمس مئة وتوفي سنة ٦٢٦ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٩٠ ، والعبر ٥/١٠٥

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٤ هـ ٢

(٣) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٦ هـ ٤

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٢ ، والسلوك ١/٢/٨٣٠ ، والشذرات ٥/٤٣٧

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٦ هـ ١

(٦) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٠ هـ ٣

(٧) ترجمته في تاريخ الإسلام : الجزء الأخير ١٩٣ . والوافي ٢/٢٦٤ ، والعقد الثمين ١/٤٢٨ و ٢/٥٩ ، والشذرات ٥/٤٣٧

(٨) هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن مسلم اللخمي المصري الشافعي الجمّيزي . ولد سنة ٥٥٩ هـ روى عن الرضيّ الطبري . توفي سنة ٦٤٩ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٨٤ والعبر ٥/٢٠٣

[٢٢٩ ب] (*) ومحمد بن أبي بكر بن بطيخ أبو عبد الله الدمشقي[١] . روى لنا عن الناصح وكان ينادي ويتبلغ . توفي في صفر عن ثمان وسبعين سنة .

(*) وابن العدل محيي الدين يحيى بن محمد بن عبد الصمد الزّبداني[٢] مدرس مدرسة جَدّه . مابالزبداني عن ابن الزّبيدي[٣] وابن اللتي[٤] . توفي في المحرم .

(*) وابن عطاء أبو المحاسن يوسف بن قاضي القضاة شمس الدين عبد الله ابن محمد بن عطاء الأذرعي الحنفي[٥] . روى عن ابن الزّبيدي[٣] وغيره . توفي في ربيع الأول عن ست وسبعين سنة .

(*) وأبو تغلب بن أحمد بن أبي تغلب الفاروثي الواسطي[٦] . سمع

---

(١) ترجمته في الشذرات ٤٣٧/٥ وفي تاريخ الإسلام ١٩٣ وفيه : « محمد بن أبي بكر بن بركات بن يوسف بن بطيخ . شيخ متعفف رث الحال دلال في سوق الرحبة ، ولد بين سنجار ورأس عين في حدود العشرين . وكان أبوه معماراً للملك الأشرف وقدم دمشق في خدمته . وسمع محمد من ابن الزّبيدي وابن اللّتي والناصح ابن الحنبلي وكتب عنه الطلبة . وسمعت منه . ومات في صفر ، في أواخره . وكان ديناً مصلياً رحمه الله » .

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٩٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ ، وفيه « السلمي الزنداني » ، ومرآة الجنان ٢٢٨/٤ ، والشذرات ٤٣٧/٥

(٣) تقدمت ترجمته ٥٥٦ هـ ٤ (٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٩ هـ ٦

(٥) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ ، والشذرات ٥ / ٤٣٧

(٦) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٤ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ « وفيه أبو ثعلب بن أحمد بن أبي ثعلب » ، والشذرات ٤٣٧/٥

ابن الزُّبيدي[١] وابن باسويه[٢] . وتوفي بدمشق في المحرم وله إحدى وتسعون سنة .

سنة سبع وتسعين وست مئة

(*) فيها توفي الشهاب العابر أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي[٣] . فقيه إمام عالم لايُدرك شأوه في علم التعبير . روى عن ابن رواج[٤] وابن الجُمَّيزي[٥] . توفي في ذي القعدة بدمشق عن سبعين سنة .

(*) والصدر ابن عقبة الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عقبة البُصْروي الحنفي[٦] . مفتٍ مدرس . ولي إمرة قضاء حلب . وكان ذا همة وجلادة وسعي . توفي في رمضان عن سنٍّ عالية .

---

(١) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٦ ﻫ ٤

(٢) هو تقي الدين علي بن المبارك بن الحسن الواسطي الفقيه الشافعي المقرىء المعروف بابن باسويه . توفي سنة ٦٣٢ ﻫ . وانظر العبر ١٢٨/٥ ، وطبقات القراء ٥٦٢/١ ، والشذرات ١٤٩/٥

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٩٤ ، والوافي ٤٨/٧ ، وفوات الوفيات ٨٦/١ ، والسلوك ٨٥٠/٢/١ ، والشذرات ٤٣٧/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٦ ﻫ ٦

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٥٦٤ ﻫ ٨

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٩٥ ، والوافي ٣١١/٥ ، والجواهر المضية ٣٣/١ ، والسلوك ٨٥٠/٢/١ ، والدارس ٥١٢/١ ، والشذرات ٤٣٨/٥

(*) وجبريل بن إسماعيل بن جبريل الشارعي أبو الروح ابن الحطاب[١] شيخ مقرىء متواضع بزوري يؤم بمسجد . توفي في هذا العام ظناً . روى لنا عن ابن باقا[٢] وغيره . خرّج عنه الأبيوردي في معجمه .

(*) وعائشة ابنة المجد عيسى بن الشيخ موفق الدين المقدسي[٣] مباركة صالحة عابدة روت لنا عن جدها[٤] وابن راجح[٥] وعاشت ستاً وثمانين سنة .

(*) والكمال الفُوَيره[٦] مسند العراق أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد البغدادي الجبلي المقرىء[٧] [٢٣٠ ا] البزاز المكبر

---

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٦ وفيه « له دكان بالشارع للعطر والسدر وله مسجد يؤم به » ، والشذرات ٤٣٨/٥

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٤ هـ ٣

(٣) ترجمتها في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٧ ، ومرآة الجنان ٢٢٩/٤ ، والشذرات ٥ / ٤٣٨

(٤) تقدمت ترجمة الموفق المقدسي في ص ٥٤٥ هـ ١

(٥) هو نجم الدين أقضى القضاة أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف بن راجح ابن بلال المقدسي الصالحي الحنبلي الشافعي . ولد سنة ٥٧٨ وتوفي سنة ٦٣٨ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٣ ، والعبر ١٥٨/٥

(٦) ضبط الصفدي الراء بالفتح وقال إنها مشتقة من الفروهية بينما نص ابن حجر على كسرها وقال إنها تصغير فاره .

(٧) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٨ ، والوافي ٥٧/١٨ ، ومرآة الجنان ٢٢٩/٤ ، وغاية النهاية ٣٧٢/١ ، والشذرات ٤٣٨/٥

شيخ المستنصرية. قرأ القراءات على الفخر الموصلي[١] . وسمع من أحمد بن صرما[٢] ، وأبي الوفاء محمود بن منده[٣] وجماعة وأجاز له ابن طبرزذ[٤] وعبد الوهاب بن سُكينة[٥] . وانتهى إليه علو الإسناد في القراءات والحديث توفي في ذي الحجة وله ثمانٍ وتسعون سنة . وقد ضَمُف ووقع في الهرم .

(*) وابن المنيزل الصدر شرف الدين عبد الكريم بن محمد بن محمد بن نصر الله الحموي الشافعي[٦] . روى عن الكاشغري[٧] . وابن الخازن[٨] . وتوفي في المحرم وله إحدى وثمانون سنة .

---

(١) هو محمد بن أبي الفرج بن معالي بـن بركة بن الحسين أبو المعالي الفخر الموصلي . ولد سنة ٥٣٩ ، وتوفي سنة ٦٢١ وانظر العبر ٥/٨٦ ، وطبقات الشافعية ٨/١١٤ ، والوافي ٤/٣١٩ ، وطبقات القراء ٢/٢٢٨

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يوسف بن يوسف بن محمد بن أحمد بن صرما الأزجي . ولد سنة ٥٣٦ ، روى عنه الكمال الفُويره . توفي سنة ٦٢١ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٦٥ ، والعبر ٥/٨٢

(٣) هو أبو الوفاء جمال الدين محمود بن إبراهيم بن سفيان بن إبراهيم ، ابن منده العبدي الاصبهاني ولد سنة ٥٥٠ هـ وقيل سنة ٥٥٢ حدث عنه الكمال عبد الرحمن الفُويره توفي سنة ٦٣٢ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢١٦ ، والعبر ٥/١٣١

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٥ هـ ٥

(٥) هو ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله بن سُكينة البغدادي الصوفي الشافعي . ولد سنة ٥١٩ هـ حدث عنه الكمال عبد الرحمن توفي سنة ٦٠٧ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/١١٦ ، والعبر ٥/٢٣

(٦) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٩ ، والشذرات ٥/٤٣٨

(٧) هـو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف التركي الكاشغري ثم =

(*) وابن واصل قاضي حماة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم ابن نصر الله بن واصل الحمـــوي الشافعي[١] . توفي في شوال وقد بلغ التسعين . وكان من أذكياء العالم . وله يد طولى في العقليات . روى عن زكي الدين البرزالي[٢] .

(*) وابن المغربي بدر الدين محمد بن سليمان بن معالي الحلبي المقرىء[٣]. عبد خيّر صالح عالم . كتب العلم وقرأ بنفسه . روى عن كريمة[٤] ، وابن المقيّر[٥] وطائفة . توفي في ربيع الأول عن ثمان وسبعين سنة .

= البغدادي الزركشي . ولد سنة ٥٥٤ هـ وتوفي سنة ٦٤٥ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٥٦/١٣ ، والعبر ١٨٥/٥

(٨) تقدمت ترجمته في ص ٥٦١ هـ ٣

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام الجز الأخير ٢٠١ ، والوافي ٨٥/٣ ، والسلوك ٨٤١/٢/١ والشذرات ٤٣٨/٥

(٢) هو زكي الدين أبو عبـد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يدّاس البرزالي الاشبيلي . ولد تقريباً سنة ٥٧٧ . حـدث عنه جمال الدين ابن واصل ، توفي سنة ٦٣٦ وانظر سير أعلام النبلاء ٣ /٢٣٣ ، والعبر ١٥١/٥

(٣) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٢٠١ ، والشذرات ٤٣٩/٥

(٤) هي كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر بن عبد الله بن علي أم الفضـل القرشية الأسدية الدمشقية تعرف ببنت الحبقبق . ولدت سنة ٤٤٦ . وتوفيت ٥٤١ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٤٢/١٣ ، والعبر ١٧٠/٩

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٥٦٢ هـ ٧

(*) ومحمد بن صالح بن خلف الجهني ، أبو عبد الله المصري المقرىء[1] ثنا عن ابن باقا[2] . توفي في حدود هذه السنة .

(*) والأيكي العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفارسي[3] الشافعي الأصولي المتكلم الصوفي توفي في رمضان بالمزة وكان من أبناء السبعين . درّس مرة بالغزالية[4] ثم تركها .

فهرس أسماء التراجم المستدركة

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ٢٠١ .

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٤ هـ ٣

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢٠١ ، ومرآة الجنان ٢٢٩/٤ ، وطبقات السبكي ١١٤/٨ ، والسلوك ٨٥١/٢/١ ، وحسن المحاضرة ٥٤٣/١ ، والدارس ١٦٠/٢ ، والشذرات ٤٣٩/٦ .

(٤) المدرسة الغزالية إحدى مدارس الجامع الأموي ، تقع في الزاوية الشمالية الغربية منه . انظر الأعلاق الخطيرة ٨٤/٢ ، ٢٤٦ ، والدارس ٤١٣/١ ، ومنادمة الأطلال ١٣٤ .

دمشق **رياض مراد**

- للبحث صلة -

قصيدة من افريقية

الدكتور عمر الأسعد

(١)

جاء العرب إلى إفريقية مبكرين ، فقد وصلوا إليها قبل الإسلام . ووجد العرب السواحليين (أي سكان ساحل شرق إفريقية من مدغشقر في الجنوب إلى الصومال في الشمال) أناساً فيهم من الود الشيء الكثير . ونتيجة لذلك أقام كثير من العرب هناك . ووجد السواحليون العربَ أيضاً طيبين ، فلما انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ، وازداد مجيء العرب المسلمين إلى تلك الديار وتوضّعهم فيها لم يلبث أن دخل فيه السواحليون أفواجاً فأصبحوا مسلمين ، وأصبحت علاقتهم وصلاتهم بالعرب أقوى بوحدة الدين .

وتاريخ العرب في تلك الديار طويل حافل ، وخصوصاً عند ذكر استعمار البرتغال للمنطقة ، ومسارعة العرب لتخليص تلك البلاد من حكم البرتغال بدماء عربية .

(٢)

وعندما استقر العرب في تلك المنطقة وجدوا في اللغة السواحلية لغة سهلة مطاوعة للشعر والأدب كاللغة العربية. فاستُخدم كثير من النماذج الشعرية العربية في اللغة السواحلية الشعرية، فصرنا نجد فيها التخميس والتربيع والتثليث، وما إلى ذلك من فنون الشعر العربي. ومن علامات السهولة والمطاوعة في تلك اللغة كون أشعارها مقفاة كالعربية؛ فالشعر السواحلي المنظوم له قوافٍ متحدة، ونظام ثابت قريب الشبة بالعربية إن لم يكن مشابهاً له.

ونتيجة لهذا التقارب والتشابه بين الشعر السواحلي والعربي - الذي نمثّل له بعد - صرت تجد كثيراً من الشعراء السواحليين من أصل عربي، فهناك نسبة كبيرة منهم تزيد على ثمانين بالمئة احتفظوا - في نظم الشعر باللغة السواحلية - بأصول النظم العربي، بل احتفظوا كذلك بأصول أسمائهم العربية مثل: مويا كابن حاجي الغساني، ومحمد كجمعة البكري، وسعود المعمري، وسيد منصب بن عبد الرحمن الحسني، وهم شعراء سواحليون من أجيال مختلفة.

ولم يقتصر التشابه بين اللغتين السواحلية والعربية على تأثر تلك بأصول النظم الشعري المقفّى، بل تعدّاه إلى أن اللغة السواحلية نتيجة لوجود العرب وانتشار الإسلام في المنطقة امتصت كثيراً من المفردات العربية والمصطلحات الإسلامية. ويتبين ذلك بوضوح في الأبيات الشعرية السواحلية التالية ومقارنتها بترجمتها العربية:

بسم الله بَعْدَاتو نَحْمدي نَشْكُري

نسْـــلامو نصْـلاتو ز ِ محمدي رســـولي
محمـــدي أ ِليفُـوتو هكَدومو ندَهاري

معنـــاه :

بعـــد بســـم الله ، نحمـــده ونشـكره
ونســـلّم ونصـــلي على محمـــد الرسـول
محمـــد قد مـــات ، لم يـــدم في الدهر

وبما حملت اللغة السواحلية من ألفاظ عربية ، ومصطلحات إسلامية، ُعدّت لغةَ المسلمين هناك ، ووسيلةَ نشر الإسلام بين السكان ؛ فبهـــا تقام الصلاة ، ويقرأ القرآن الكريم ، وتتم ، دراسة الإسلام . واستخدمت اللغة السواحلية في إقناع الناس بمنطقية الإسـلام حتى اضطر المبشرون النصارى الذين يرتادون تلك الديار إلى أن يتحدثوا بلغة الإســـلام وبمصطلحات عربية وإسلامية ، فهم مثلاً عندما يحدثون أهل تلك البلاد عن الصيام يفهم هؤلاء صوم رمضان ، أو يحدثونهم عن الصلاة تنصرف أذهانهم إلى صلوات المسلمين المكتوبة وهكذا .

(٣)

كان الأدب السواحلي أدباً شفوياً ، إذ لم يكن القوم يكتبون من قبل . إلا أن الاتصال بين العرب والسـواحليين أعطى هؤلاء الكتابة والأدب المكتوب ؛ ذلك أن المسـلمين السواحليين عندما جعلوا يقرؤون القرآن ويكتبونه علّموا غيرهم الكتابة العربية ، فبذلك ُحفظ الأدب السواحلي بفضل الإسلام واللغة العربية . وتبعاً لذلك فقد كُتبت المخطوطات السواحلية حتى عام ١٩٣٠ بلغة عربية وحروف عربية . وكثير من تلك

المخطوطات القيمة نقلت إلى مكتبات أوربا ، فهي خسارة للغة السواحلية والعربية والإسلام . إلا أن لدى كثير من العائلات السواحلية بالمقابل مخطوطات تضن بها وتحافظ عليها ، ولكنها في حاجة إلى عناية الباحثين والمحققين وجهودهم في نشرها وإذاعتها .

والمخطوطة التي أقدمها للقراء واحدة من تلك المخطوطات العربية . وهي تنطوي على قصيدة من نظم أحد الشعراء العرب السواحليين الذين تقدم ذكرهم . وقد تفضل بتقديمها إليّ الأستاذ الفنان إبراهيم أبو نور شريف البكري ، مدرس اللغة السواحلية وعلم الفن في قسم اللغات بجامعة روتجرز Rutgers University بولاية نيوجرزي . والأستاذ إبراهيم السواحلي الجنسية ، والإفريقي اللون ، والعربي الأصل كما يدل اسمه ، حصل على هذه المخطوطة كما أخبرني ، من أحد أبناء والي ساحل كينيا المرحوم مبارك علي الحنائي .

(٤)

موضوع القصيدة التي تتضمنها المخطوطة الزهدُ والدعوة إلى التقوى والصلاح في الدنيا ، الذي يقود إلى النجاة والفوز في الآخرة ، وذكر يوم الحساب والمعاد ، وما يلقاه الإنسان فيه من عمل قدّمه لحياته .

ولن أقدم للقارىء شيئاً يتصل بالقصيدة من حيث جودة النظم وعلوّ الفن الشعري ، بل أترك ذلك له ليكوّن الانطباع الذي يتخيّره .

تقع المخطوطة في ثلاث وأربعين ورقة في كل منها سبعة أسطر بينها فراغات كتب فيها بالحروف العربية معاني الألفاظ بالسواحلية . والقصيدة منظومة على حروف الألف باء العربية ، بحيث جُعل كل حرف رويّاً

في خمسة أبيات ، بُدىء بالهمزة وانتهي بالياء ، فيكون مجموع أبياتها مئة وخمسة وأربعين بيتاً — ومترجمةٌ نظماً إلى اللغة السواحلية ، بحيث كتب البيت بالعربية وتلته ترجمته بالسواحلية .

تحمل ورقة العنوان اسم الناظم والناسخ ومكان النسخ . وكُرِّر اسم الناظم والناسخ في نهاية القصيدة في الورقة الأخيرة للمخطوطة ، مع ذكر مكان النسخ وهو « لامو » أحد بلدان كينيا ، وتاريخه وهو سنة ١٣٣٧ هـ . والذي عرفناه عن ناظمها أنه « عالم في بلاد لامو » كما أشارت حاشية الناسخ في نهاية المخطوطة .

والمخطوطة مكتوبة بالخط النسخي الواضح المقروء والمشكول . إلا أنه أصابها في مواقع كثيرة البلل والرطوبة فامّحى بعض كلماتها .

وفوق الصعوبة الناشئة عن إصلاح النص من البلل والطمس ، تمثلت صعوبة أخرى في طريقة الكتابة : فالناسخ لم يلتزم الطريقة الإملائية المعهودة . فهو يسقط كثيراً من الحروف في درج الكتابة . مثال ذلك ما جاء في الورقة (١٤) من المخطوطة :

وأين الأعظمون يدً وبأساً وأين سابقون ٓلدً الفخار

وصوابه :

وأين الأعظمون يداً وبأساً وأين السابقون لدى الفخار

ومثاله أيضاً من الورقة (١٥) :

كأن لم يخلقْ ولم يكُنُو

وصوابه :

كأن لم يُخلقوا أو لم يكونوا

ويضاف إلى ذلك وقوع خطأ في شكلٍ كثيرٍ من الكلمات والحروف .

وكان عملي في التحقيق :

- تقويم النص بتقدير ما تُرك بياضاً في الأصل أو سقط منه ، وإصلاح ما فسد نتيجة البلل والطمس ، ووضع ذلك كله بين معقّفات تدل عليه .

- كتابة النص بالطريقة الإملائية الحديثة المتعارف عليها ، وضبط بعض الكلمات التي تفتقر إلى ذلك ليستقيم المعنى بقراءتها على صورتها الصحيحة .

- تزويد الأبيات ببعض الحواشي الضرورية المعينة على جلائها وبيانها .

وأضع بين يدي القارىء القصيدة المخطوطة علّها تعطي فكرة عن أحوال النظم باللغة العربية في البلدان الإفريقية الساحلية إلى عهد قريب .

* * *

[قصيدة] تبارك ذو العلا ، نظم ... سيد موني منصب بن عبد الرحمن الحسني ، بقلم محمد بن أبي بكر بن عمر البكري ملقب محمد ابن كجوم ، في بلاد لامو . رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

تباركَ(١) ذو العلا والكبرياء ... تفرّد بالجلال وبالبقاء

وساوى الموت بين الخلق طراً ... فكلهمُ رهائن للفناء

[٢] ودنيانا - وإن ملنا إليها ... وطال بها المتاع - إلى انقضاء

---

(١) الأصل : أتبارك .

ألا إن الركون على [مرورٍ] إلى دار [الفناء] من العناء
وقاطنُها سريعُ الظعن [عنها] وإن كان الحريصَ على الثواء

حرف البـــاء

يحوّل عن قريب من قصور مزخرفة إلى بيت التراب
[٣] ويُسلِم فيه مهجوراً وحيداً أحاط به شحوب الإغتراب
وهول الحشر أفظع[1] كلَّ أمرٍ إذا دُعي ابن آدم [للحساب]
وألفى[2] كلَّ صالحةٍ أتاها وسيئةٍ جناها في الكتاب
[٤] لقد آن التزوّد لو عقلنــا وأخْذُ الحظّ من باقي الشباب

حرف التـــاء

وعقبى كل شيء نحن [فيه] من الجمع الكثيف [إلى] الشتات
وما حُزناه من حلٍّ وحرمٍ [يوزّع] في البنين وفي البنات
وفيمن لم يؤهّلْهم بفلسٍ وقيمةِ حبةٍ قبـــل الممات
[٥] وتنسـانا الأحبة بعد عشرٍ [وقد صرنا] عظاماً باليات
كأنّا لم نعاشرهم بـــودٍّ ولم يك فيهمُ [خيرُ اللّدات]

حرف الثـــاء

لمن يا أيهـا المغرور تحوي [من] المال الموفّر والأثاث
[٦] ستمضي غيرَ محمودٍ فريداً[3] [وتجلو من عرينك] بالتراث

---

(١) الأصل : أفضع .
(٢) الأصل : وألفى .
(٣) في الأصل : فريدٍ .

وبخذلك الوصي [فلا وفاء] ولا إصلاح أمرِ ذي انبثاث
لقد وقّرتَ وِزْراً مرجحناً يسدّ عليك سُبْلَ الإنبعاث(١)
فما لك غيرَ تقوى الله حِرْزٌ ولا وَزرٌ(٢) ومالك من غياث

[٧] ## حرف الجيم

تعالج بالتطبّب كل(٣) داءٍ وليس لداء ذنبك من علاج
سوى ضرعٍ إلى الرحمن [تدعو] بنيّة خائفٍ [ويقين راج]
وطولِ تهجّدٍ لطِلاب [عفوٍ] بليـــلٍ مدلهمّ السرّ داج
[٨] وإظهار الندامة كلّ وقت على ما كنت فيه من اعوجاج
لعلك أن تكون غداً حظيّاً ببُلْغة فائزٍ وسرور ناج

حرف الحـــاء

عليك بصرف نفسك عن هواها فلا شيءٌ ألذّ من الصـلاح
تأهّبْ للمنية حين تغـــدو كأنك لاتعيش إلى الرّواح
[٩] فكم من رائحٍ فينا صحيحٍ نعَتْه نُعاتُه قبل الصباح
وبادرْ بالإنابة قبـل فوتٍ على مافيك من [عِظَمِ الصّلاح]
فليس أخو الرزانة [من تجافى وجانب كل أسباب] الفلاح

[١٠] ## حرف الخـــاء

وإن صافيتَ أو خاللتَ خِلاً ففي الرحمن فاجعل من تؤاخي
[ولا] تعدلْ بتقوى [الله شيئاً] ودع عنك الملامة والتّراخي

---

(١) او ِزْر المرجحنّ : الحمل الثقيل .
(٢) الوَزَر : الملجأ والمعتصم . (٣) في الأصل : لكل .

فكيف تنال في الدنيا سروراً ... وأيامُ الحياة إلى انسلاخ ؟
وجلُّ سرورها ـ فيما عهدنا ـ ... مشوبٌ بالبكاء وبالصراخ
[١١] لقد عَمِيَ ابنَ آدم أن يراها ... عمىً أفضى إلى صمم الصِّماخ(١)

حرف الدال

أخي قد طال سعيك في الفساد ... فبئس الزاد زادك [للمعاد]
صبا منك الفؤاد فلم تَزَعْه ... [وحِدْتَ] إلى متابعة الفؤاد
[١٢] وقادتك المعاصي حيث شاءت ... فألفتْك امرأً سَلِسَ القياد
لقد نوديتَ للترحال [فاسعى](٢) ... ولا تتصامَمَنَّ عن المنادي
كفاك مشيبُ رأسك من نذير ... وغالبُ لونه لونُ السواد

حرف الذال

ودنياك التي غرّتْك منها ... [زخارفُها] تصير إلى انجذاذ(٣)
[١٣] تُزحزَح عن مهالكها بجهد ... فما أصغى إليها ذو نفاذ
لقد مُزِجتْ حلاوتُها بسمٍّ ... فما [للحذر](٤) فيها من ملاذ
عجبتُ لمعجَبٍ بنعيم دنيا ... ومفتونٍ بأيام اللذاذ
[١٤] ومؤثرِ المُقامَ بأرضِ قفرٍ(٥) ... على أرضٍ خصيبٍ ذي رذاذ

---

(١) الصماخ : الأذن نفسها ، أو القناة المفضية إلى طبلتها .
(٢) أثبت الألف لضرورة الوزن .
(٣) الانجذاذ : الانقطاع .
(٤) الأصل : فما كان الحذر .
(٥) في الأصل : بأرض فقر .

حرف الـــراء

[وما] الدنيا وما فيها جميعاً سوى ظلٍ يزول مع النّهار
تفكّر أين أصحابُ السّرايا وأربابُ الصوافن والعشار(١)
وأين الأعظمون يداً وبأساً وأين السابقون لدى الفخار
[١٥] وأين القرن بعد القرن منهم من الخلفاء والشمّ الكبار
كأن لم يُخلقوا[أو] لم يكونوا وهل حيٌ يصان عن [البوار]

حرف الـــزاي

أيعتز الفتى بالمال [زهواً] وما فيها يفوت من اعتزاز
[١٦] ويطلب [دولة] الدنيا جنوناً ودولتُها محالفة(٢) المخازي
فنحن وكلٌ من فيها كسفْرٍ [دنا] منّا الرحيل على وِفاز(٣)
جهلْناها كأنْ لم نختبرْها على طول التهاني والتعازي
[ولم نعلَمْ بأنْ لا لُبثَ فيها](٤) ولا [تفريج] غير الاجتياز

[١٧] حرف السين

أفي السبخات يامغرور تبني وهل يُبقي السباخ(٥) على الأساس
ذنوبك جمّةٌ تترى عظاماً ودمعُك جامدٌ [والقلب]قاس

(١) أرباب الصوافن والعشار : أصحاب الخيول والنوق ، كناية عن الأغنياء .
(٢) الأصل : مخالفة ، ولا ينسجم مع السياق .
(٣) الوفاز : العجلة . (٤) الأصل : ولم تعلم أنها لابث فيها .
(٥) السباخ : ما لم يحرث من الأرض أو يعمر لملوحته .

وأياماً عصيت الله فيهــا وقد حُفظت عليك وأنت ناس

[١٨] فكيف تطيقُ يومَ الدّين حملًا لأوزارٍ كبارٍ كالرواسي

هـو اليوم الذي لاودّ فيـه ولا نسبٌ ولا أحدٌ يواسي

حـرف الشين

عظيمٌ هَوْلُه والناس فيه حيارى مثل مبثوث الفراش

بـه تتغيَّر الألوان خوفاً [وتصطكّ] الفرائص بارتعاش

[١٩] هنالك كلُّ ماقدّمْتَ يبدو فعيبك ظاهرٌ والسرُّ فاش

تفقَّدْ نقص نفسك كل يومٍ فقد أردى بها طلب [المعاش]

إلى كم تبتغي الشهوات طوراً وطوراً تكتسي لين الرياش

[٢٠] ## حرف الصـــاد

عليك من الأمور بما يؤدي إلى سنن السلامة والخلاص

[وما ترجو]النجاة به[وشيكاً] وفوزاً يوم أخـذٍ بالنواصي

فليس تنال عفـــو الله إلا بتطهير النفوس عن المعاصي

وبرّ الوالدين بكل عرفٍ ونصحٍ للأداني والأقاصي

[٢١] وإن تشددْ يداً في الخير تفلحْ وإن تعدلْ فما لك من مناص

حرف الضـاد

وأصل الحزم أن تضحي وتمسي(١) وربك عنك في الحالات راض

---

(١) في الأصل : يضحي ويمسي .

وإن [تعتض عن][1] التخليط [رشداً]
فإن [الرشد] من خير اعتياض

[٢٢] ودع عنك الذي يغوي و يُردي ويورث طول حزنٍ وارتماض

[وجُدْ] بالنفس [حرّ] النفس [واطرد]
عن العينين محبوب الغماض

فإن الغافلين ذوي التواني نظائرُ للبهائم في الغياض

حرف الطاء

كفى [بالمرء] عاراً أن تراه من الشان الرفيع إلى انحطاط

[٢٣] على المذموم من فعلٍ [حريصاً] عن الخيرات منقطعَ النشاط

يشير بكفّه أمراً ونهياً إلى الخدّام من [صدر] البساط

يرى أن المعازف والملاهي تمكّنه الجوازَ على الصراط

[٢٤] لقد خاب الشقيُّ وضلَّ عجزاً وزال القلب منه عن النياط

حرف الظاء

[إذا] الإنسان [خان النفس يوماً] فما يرجوه راجٍ للحفاظ

ولا ورعٌ لديه ولا وفاءٌ ولا أصغى لنحو الاتعاظ

وما زهدُ التقيّ بحلق [رأس] ولا لبسٍ لأثواب غلاظ

[٢٥] ولكن بالهدى قولاً وفعلاً وإدمانِ التخشّع في اللحاظ

---

(١) الأصل : تعنظي بالتخليط .

(٢) الارتماض : شدة الحزن والقلق .

وَ الاَعْمَالِ (١) التي تنجي وتفني بوسعٍ ،والفرار من [الشواظ](٢)

حرف العين

لكلٍّ تفرق الدنيا اجتماعٌ [وما بعد المنون] من اجتماع
[٢٦] فراقٌ فاصلٌ ونوى شَطون(٣) وشغل لا يلبّث للوداع
وكلُّ أخوّةٍ لابدَّ يوماً وإن طال الوصال إلى انقطاع
وإنّ متاع [ذي] الدنيا قليلٌ وما يُجزي القليل من المتاع
وصار قليلها حرجاً عسيراً تشبّث بين أنياب السّباع

[٢٧] ## حرف الغين

ولم يطلب علوُّ القدر فيها وعزّ النفس إلاّ كلُّ طاغ
وإن نال النفيس من المعالي فليس لنيْلها طيبُ [المساغ]
إذا بلغ المراد علاً [وعزّاً] تولّى [عنه في يوم] البلاغ
[٢٨] كقصرٍ قد تهدّم(٤) حافتاه إذا صار البناء إلى الفراغ
أقول وقد رأيتُ ملوك عصرٍ ألا لا يبغينّ الملكَ باغ

حرف الفاء

أأقصد بالملامة قصد غيري (٥) وأمري كله بادي الخلاف
إذا عاش الفتى خمسين [عاماً] ولم [يرفل بأثواب] العفاف
[٢٩] فلا تستصحبنّ له رشاداً فقد أودى به سبب التجافي

---

(١) وصلت همزة القطع لضرورة الوزن .
(٢) الشواظ : لهيب النار .
(٣) شطون : بعيد .
(٤) في الأصل : تهدّ .
(٥) في الأصل : غيره .

ولِمْ لا أبذل الإنصاف مني وأبلغ طاقتي في الإتـّصاف
ليَ الويلاتُ إن نفعتْ عظاتي سواي، وليس لي إلا القوافي!

[٣٠] حــرف القاف

ألا إن السباقَ سباقُ زهد وما في غير ذلك من سباق
ويفنى ماحواه المرء [طرّاً] وفعْلُ الخير عند الله باق
ستبلغُكَ الندامةُ عن قريبٍ [وتُعْقِبُ] حسرةً يوم المساق
أتدري أيَّ يومٍ ذاك(١) فكِّرْ [وأيقنْ أنه] يومُ الفراق
[٣١] فراقٌ ليس يشبهــه فراق قد انقطع الرجاء عن التلاقي

حــرف الكاف

عجبتُ لذي التجارب كيف [يســهو ويأتي] اللهوَ بعد الإحتناك (٢)
وموبقٍ نفسه كسلاً وجهلاً [ومُوردِها] مَخُوفات الهلاك
[٣٢] ومرتهنٍ الفضائح والخطايا يقصّر في اجتهادٍ للفكاك
بتجديد المـآثم كلَّ يومٍ وقصدٍ للمـحارم بانتهاك
سيعلم حين تفجؤه(٣) المنايا ويكنف حوله جمْع البواكي

حرف الــلام

بأنْ سرورَه أمسى غموماً وحلّ بـه ملمّاتُ الزوال

---

(١) في الأصل : ذلك .
(٢) الاحتناك : التهذيب والحكمة .
(٣) في الأصل : يفجؤه .

[٣٣] وعُرّيَ عن ثيابٍ كان فيها | والبس بعدها ثوب انتقال
إلى قبرٍ يُغادَر فيه فرداً | نأى عنه الأقارب [والموالي]
وبعد ركوبه الأفراسَ تيهاً | يهادي بين أعناق الرجال
[٣٤] تخلىّ عن مروّته وولىّ | ولم تحجبْ مـآثره المعالي

حرف الميم

ويومُ بروزه يومٌ فظيع (١) | أشدُّ عليه من يوم الحِمام
ويومُ الحشر أفظع(٢) منه هولاً | إذا وقف الخلائق للمُقام
فكم من ظالمٍ يبقى ذليلاً | ومظلومٍ تشدّد للخصام
[٣٥] وشخصٍ كان في الدنيا حقيراً | تبوّأ منزلَ النُّجُب الكرام
وعفوُ الله أوسعُ كلّ شيءٍ | تعالى [الله] خلاّق الأنام

حرف النون

إلهٌ لا إله لنا سواه | [رؤوف] بالخلائق ذو امتنان
[٣٦] أوحّدُه بإخلاصٍ وحمدٍ | وشكرٍ بالضمير وباللسان
وأسأله الرضى عني فإني | ظلمتُ النفس في طلب الأماني
وأوتيت(٣) الحياة ولم أصنها | وزُغْتُ إلى البطالة والتواني (٤)
إليك أثوب من ذنبي [وجرمي] | وإسرافي وخلعي للعنان

---

(١) في الأصل : فصيح .
(٢) في الأصل : أفضح .
(٣) في الأصل : وأتيت .
(٤) في الأصل : التواني .

[٣٧] حــــرف الواو (١)

فــــإن الله توابٌ رحيمٌ ولِيٌ قبول توبةِ كلّ غاوِ (٢)
أؤمّل أن يعافيَني بعفوٍ ويسجنَ عين إبليس المناوي
وينفعَني بمـــوعظتي وقولي وينفعَ كلَّ مستمعٍ وراوِ
ذنوبي قد كوتْ جنبيْ كيّاً ألا إن الذنوب هي المكاوي
[٣٨] وليس لمن كواه الذنب عمداً سوى عفو المهيمن من مُداوِ

حرف الهـــاء

وقعنـا في البلايا والخطـايا وفي زمن(٥) انتقاصٍ واشتباه
تفانى الخير والصلحاء زلّوا وعزّ بذاتهمْ أهلُ السفاه
وباد الآمرون بكل عُرفٍ فما عن منكرٍ في الناس ناه
[٣٩] فهذا شغْله طمعٌ [وجمع] وهذا غافلٌ شبعانُ لاه
وصـار الحـرّ للمملوك عبداً فما للحرّ من قدرٍ وجـاه

حرف اللام ألف

يبـذّر مـــاجناه ولايبـالي [أسحتاً] كان ذلك أم حلالا
[٤٠] فلا تغترَّ بالدنيا وذرْهـــا فما تَسْوى لك الدنيا ذبالا
أتبخلُ تائهاً شرَهاً بمــالٍ يكون عليك بعد غدٍ وبالا
فلا كان الذي عقباه شؤم ولا كان النحيس لديه مالا (٤)

---

(١) في الأصل : حرف الياء ، خطأ .
(٢) في الأصل : عاوي .
(٣) في الأصل : زمان . (٤) كذا في الأصل .

[فَبَتِقْ](١) من الأمور فعالَ خيرٍ وأكملَها وأشرفَها خصالا

[حرف الياء]

[٤١] وكن بشاً كريماً ذا انبساط وفيمن يرتجيك جميلَ رأي
وَصولاً غير محتشمٍ زكيّاً حميد السعي في إنجاز وَأْي (٢)
مغيثاً للأرامل واليتــــامى أمين الجنب من قربٍ ونأي
بعيداً عن سبيل الشر ممحاً نقي [النفس] عن عيبٍ وثأي(٣)
[٤٢] تلق مواعظي بقبول صدقٍ تفزْ بالأمن عند خلوْ لأي(٤)

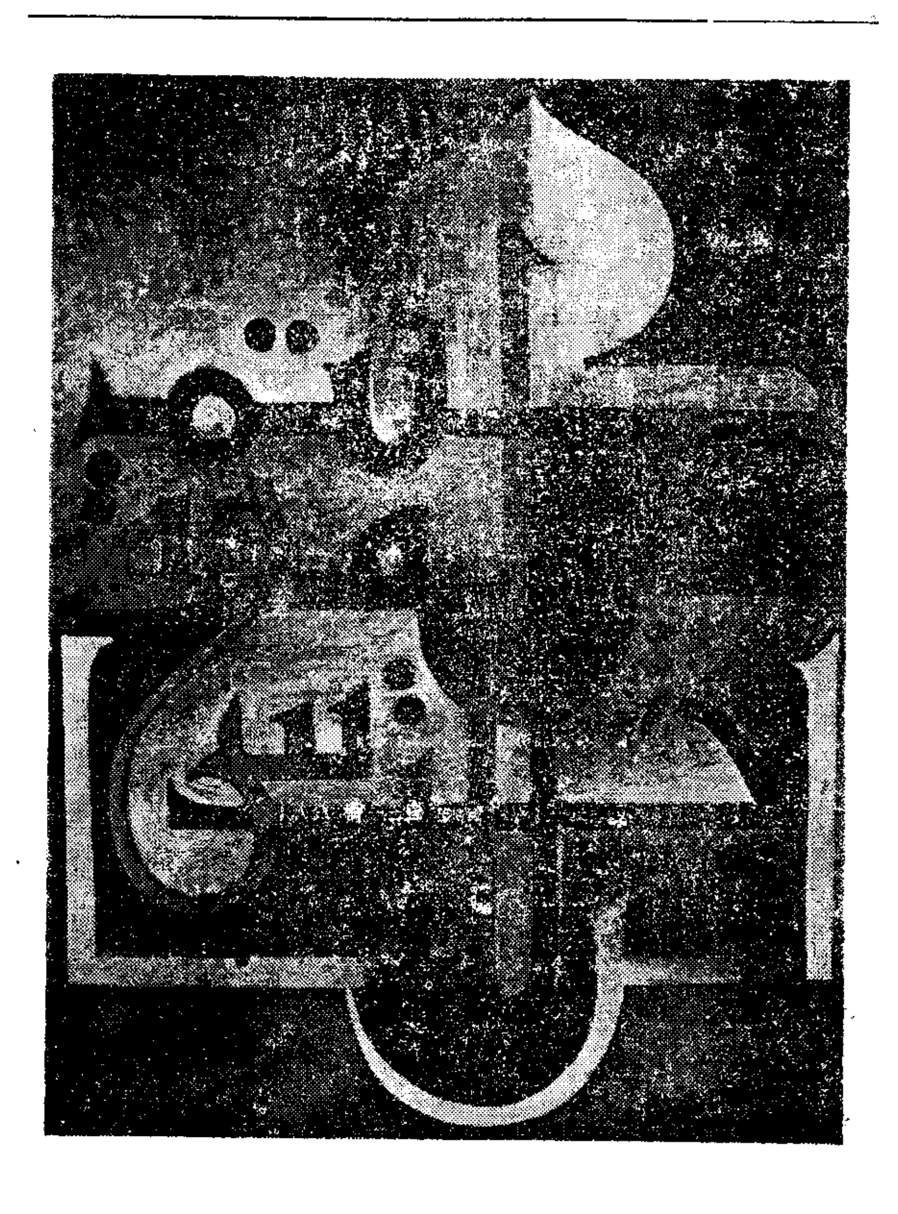
ملك الشريف حسن بن سيد علو بن قاسم الملاّ باعَلَوي .

تم (٥) الكتاب بعون الملك الوهاب ، بقلم محمد بن أبي بكر بن عمر البكري ملقب محمد كجوم في بلد لامو . رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ، بتاريخ ١٨ في رمضان سنة ١٣٣٧ . والذي بيّنها سيد منصب ابن عبد الرحمن الحسني عالم في بلاد لامو والسلام .

جامعة الملك عبد العزيز ـ مكة المكرمة عمر الأسعد

---

(١) في الأصل : تثق . (٢) الوأي : الوعد .
(٣) الثأي : الضعف .
(٤) في الأصل : خلوي لأي . واللأي : الشدة والجهد .
(٥) في الأصل : تمت ، حملها على محمل « الكتابة » .



الإمام المحدّث عبد الحق الدّهلوي

ودوره في إحياء المجتمع الإسلامي في شبه القارة

الأستاذ محمود أحمد غازي

لا زال المجتمع الإسلامي في شبه القارة ممتازاً بصبغة صوفية عميقة ، وذلك لأن الإسلام في هـذه المنطقـة من الأرض شاع على أيدي كبار الصوفية ؛ فأول من رحل إلى الهند من الصوفية وقـام بتبليـغ الإسلام بين الوثنيين هو الشيخ على الهجويري الذي نزل في لاهور ومكث أعواماً طوالاً يدعو الناس إلى ربهم ويبلغ إليهم رسالة الإسلام الخالدة ، حتى توفي إلى رحمة الله ، ودفن بلاهور ، وضريحه موجود حتى الآن يتبرك به العامة . ثم تلاه الشيخ معين الدين الاجميري الذي توطن مدينة من أهم مراكز الحكم الهندوكي والثقافة الهندوكية قبل الحكم الإسلامي ، وهي مدينة أجمير . والشيخ معين الدين الأجميري هـو الذي أنشأ في الهند الطريقة الصوفية الجشتية التي لا زالت من أكبر الطرق الصوفيـة في شبه القارة وأعمقهـا تأثيراً . وخلف الشيخ معين الدين الأجميري جماعة كبيرة من تلامذته ومن الذين تأثروا به واعتنقوا الإسلام على يديه .

ولما أرسى السلطـان قطب الدين الأيبك قواعد الحكم الإسلامي في

شبه القارة وجعل مدينة دهلي حاضرته توافدت إليه جماعات من العلماء والفقهاء وكان ذلك بطبيعة الحال ؛ فإن الصوفية وإن كانت جهودهم جبارة في تبليغ الدين ودعوة الإسلام ما كان من الممكن لهم القيام بمناصب قضائية وإدارية في جهاز الحكم الإسلامي وإنما وظيفة العلماء والفقهاء إقامة نظام القضاء والفُتْيا والاحتساب ، فلم تمض على قيام الدولة الإسلامية مدة طويلة حتى ظهرت بين الصوفية والعلماء المنافسة الطبيعية التي تظهر في مثل هذه الأحوال ، فنرى العلماء ينتقدون الصوفية لاستخفافهم بشأن الفقهاء وإهمالهم للأحكام الفقهية ، ونرى الصوفية ينتقدون العلماء لتشديدهم في أمور غير مهمة وتوكيدهم الزائد على ظاهر الدين وإهمالهم روحه وباطنه .

ولم تلبث هذه المنافسة والصراع بين العلماء والمتصوفة حتى رأت بواكير حركة جديدة بدأت تظهر للجمع بين الفقه والتصوف ، وذلك على يدي العلماء الذين تضلعوا من علوم الفقه والشريعة ثم علوا من مناهل التصوف والروحانية .

ولعل أول محدث يجدر بالذكر من علماء شبه القارة الذي عمل لنشر علم الحديث في هذه البقاع هو الإمام المحدث اللغوي حسن الصغاني اللاهوري مؤلف « مشارق الأنوار » في علم الحديث وهو صاحب « العباب الزاخر واللباب الفاخر » في اللغة – ولد في سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م في بدايون ولكنه لم يمكث في الهند مدة طويلة ، ورحل إلى بغداد حيث استقبله علماؤها وذووها بحفاوة بالغة وإجلال كبير ، ولا يحتاج الإمام الصغاني إلى أي تعريف فإنه شاع صيته في العالم الإسلامي بمؤلفاته الشهيرة التي أخذتها علماء كل العصور بالقبول . أخذ العلم عن علماء الهند وبلاد خراسان (أفغانستان الحالية وما جاورها) ثم رحل إلى البلاد العربية وتلمذ لعلماء العراق

والحرمين الشريفين ، ثم تردد إلى الهند مراراً ورجع إلى العراق حيث توفي ولكنه دفن في مكة المكرمة . قال الذهبي : إن اليه المنتهى في اللغة . وقال الدمياطي : إنه كان إماماً في اللغة والفقه والحديث . له مشارق الأنوار في الحديث ومصباح الدجى في الحديث أيضاً ومجمع البحرين في اللغة والنوادر ، وله شرح على صحيح البخاري وغير ذلك (١) .

ويروي لنا المؤرخ ضياء الدين البدايوني أن الشيخ شمس الدين ترك ، أحد كبار المحدثين في البلاد العربية أراد أن يقيم في الهند ويقف نفسه لنشر علم الحديث ، فغادر بلاده ورحل إلى الهند ومعه أربع مائة كتاب في علم الحديث ، ولكنه لما وصل إلى ملتان علم أن العاهل الهندي علاء الدين الخلجى يتكاسل في أداء الصلوات الخمس فقال : أنا لا أريد الإقامة في بلد يتكاسل حاكمه في أداء واجبات الدين ، ورجع إلى بلاده .

ولكن المحدث الذي يبدأ به العهد الزاهر في تاريخ علم الحديث في شبه القارة هـو المحدث الجليل علي بن حسام الدين المتقي القادري (٨٨٥ هـ - ٩٧٥ هـ) الذي ولد في برهانبور ، وبعد أن حصل على العلوم بدرجة لابأس بها رحل إلى الحجاز حيث تلمذ لكبار علمائها وخاصة منهم الشيخ أبو الحسن البكري ، ومكث الشيخ علي المتقي مشتغلاً في خدمة الحديث حتى آخر لحظة من حياته ، ولما راجع كتاب « جمع الجوامع » للعلامة السيوطي قال أستاذه الشيخ أبوالحسن البكري : إن للسيوطي منة على العالمين وللمتقي منة عليه . ومن أهم تآليف الشيخ علي المتقي وأشهرها كتاب « كنز العمال » . وتوفي بمكة المكرمة .

---

(١) راجع لترجمته المفصلة : نزهة الخواطر ، ج ١ ص ١٣٧ ٤١

وأما شبه القارة فنراه خالياً بأسره من علم الحديث في القرن العاشر الهجري . ويروي لنا الأستاذ المؤرخ خليق أحمد النظامي أن هذا القرن لم يرَ إلا محدثين جديرين بالذكر في شبه القارة وهما :

١ ـ الحاج إبراهيم القادري

٢ ـ والشيخ اسماعيل اللاهوري .

أما الحاج إبراهيم القادري فولد في مانكبور وتوفي عام ١٠٠١ هـ وتعلم الحديث في بغداد حيث أقام ثلاث سنوات ثم رحل إلى مصر وقرأ الحديث على الشيخ شمس الدين العلقمي وحصل على الإجازة من الشيخ محمد بكري الشافعي ، ثم أتى مكة المكرمة وتلمذ لكبار المحدثين في رحاب بيت الله العتيق ، فمنهم الشيخ عبد الرحمن بن فهد المغربي والشيخ مسعود المغربي والمحدث الهندي الكبير الشيخ على المتقي السالف الذكر ؛ فبعد أن حصل على حظ أوفر من علم الحديث رجع إلى مصر واشتغل في تدريس علم الحديث هناك لمدة أربع وعشرين سنة ، بعد ذلك غلبه الحنين إلى موطنه ومسقط رأسه فغادر مصر إلى الهند وأقام بآكره حيث اشتغل في خدمة الحديث وتوفي وهو يناهز التسعين من عمره(١) .

على الرغم من خلو شبه القارة من أي نشاط ملموس في خدمة الحديث كانت منطقة كجرات (على ساحل بحر العرب) عامرة بنشاط كبير واسع في خدمة علم الحديث حيث قام بها العلماء تدريساً وتأليفاً . ونذكر فيما يلي

---

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية :
١ ـ كلزار ابرار ـ طبع لاهور الترجمة الاردوية
٢ ـ منتخب التواريخ للبدايونى ج ٣ ص ١٣٩
٣ ـ حياة الشيخ عبد الحق للنظامي ص ٤٠ ـ ٤١

بعض ما قام به علماء كجرات من خدمة الحديث النبوي في القرن العاشر .

١ ـ أعد الشيخ مير سيد عبد الأول المتوفى ٩٦٨ هـ شرحاً على صحيح البخاري وأسماه بفيض الباري(١) .

٢ ـ وكتب الشيخ المحدث محمد بن طاهر الفتني شرحاً وافياً على أحاديث الكتب الصحيحة الستة باسم « مجمع بحار الأنوار » ، كما ألف رسالة في لغات المشكاة(٢) . والعلامة الفتني فاق أقرانه الهنديين واعترف بفضله في علم الحديث علماء الشرق والغرب . ولد بفتن من بلاد كجرات سنة ٩١٣ هـ ونشأ بها وحفظ القرآن قبل أن يبلغ الحلم وتلمذ على كبار علماء كجرات حتى برع في عدة فنون وفاق أترابه في كثير منها ، ثم شد رحله إلى الحرمين الشريفين سنة ٩٤٤ هـ وهو ابن إحدى وثلاثين ، وأخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن البكري والشيخ الشهاب أحمد بن حجر المكي والشيخ على بن عراق والشيخ على المتقي الذي لازمه كثيراً كما ذكره في مقدمة كتابه « مجمع بحار الأنوار » ورجع إلى الهند واشتغل بتدريس الحديث والتصنيف والتأليف .

وكان ممتازاً بصلاحه وورعه وعلمه ، ولم يبلغ أحد مبلغه من أقرانه في علم الحديث . وكان قد ورث من أبيه مالاً كثيراً فكان ينفقه على طلبة العلم ، وكان من عادته أن يختار للعلم صبياناً من الكتاتيب ويعلمهم وينفق عليهم من ماله ثم يأتي بعدهم بصبيان آخرين . وترك مجموعة كبيرة من مؤلفاته

---

(١) أخبار الأخيار (بالفارسية) للإمام عبد الحق الدهلوي ـ ص ٢٤٥

(٢) مصدر سابق ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ـ كلزار ابرار ص ٣٢٢ ، حدائق الحنفية للعلامة الجهلمي ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧

القيمة منها « مجمع بحار الأنوار » ، و « لطائف الأخبار في غريب الحديث » ، و « تذكرة الموضوعات » ، و « المغني في أسماء الرجال » . وكان رحمه الله من أشد المنتقدين للحركة المهدوية ، فهجم عليه جمع منهم يوما وقتلوه ، وذلك في سنة ٩٨٦ هـ - فدفن في مسقط رأسه فتن (١) .

٣ وألف الشيخ هبة الله الكجراتى المتوفى ١٠٠٥ هـ رسالة في أقسام الحديث . وكان الشيخ هبة الله الكجراتى الشيرازي من كبار العلماء ومن مواليد شيراز ، وتلمذ على كبار علماء شيراز منهم الفيلسوف الإيراني الشهير بل إمام الفلاسفة الإيرانيين في عصره صدر الدين الشيرازي صاحب الأسفار الأربعة ، وأخذ الحديث عن كبار محدثي شيراز ، ثم أتى الهند ودخل كجرات سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فحشد إليه الطلبة من جميع أكناف الهند ، وله مؤلفات عديدة في الفلسفة والمنطق والتفسير وأصول الحديث والهيئة (٢) .

٤ وكتب الشيخ الطيب البرهانبوري حاشية على مشكاة المصابيح .

٥ - وكتب الشيخ عثمان الصديق تلميذ الشيخ وجيه الدين العلوي شرحاً على صحيح البخاري (٣) .

٦ - وقرأ الشيخ عبد الملك العباسي علم الحديث عن أخيه الشيخ قطب الدين وهو عن الإمام السخاوي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني . وكان الشيخ عبد الملك العباسي دائماً يكب على مطالعة صحيح البخاري

(١) نزهة الخواطر ج ١ ص ١٣٧ - ١٤١ .

(٢) نزهة الخواطر - ج ٤ ص ٣٨٨ - ٣٨٩

(٣) حياة الشيخ عبد الحق (بالاردوية) للأستاذ خليق أحمد النظامي ص ٤١ - ٤٢

ودراسته حتى حفظه من أوله إلى آخره [١] . ومن ناحية أخرى نرى المؤرخ عبد القادر البدايوني يقول : إن القرن العاشر الهجري شاهد كثيراً من الناس يطعنون في علوم الفقه والتفسير والحديث ويفضلون عليها علوم النجوم والفلسفة والطب والحساب والشعر والقصص وما إليها [٢] ، ولكننا نرى مع ذلك أن علماء الهند في القرن العاشر لم يغفلوا عن الاهتمام بعلم الفقه إهتماماً غير قليل ، ولئن كان إسهامهم في هذا المجال مقتصراً على تأليف الحواشي وإعداد الشروع على المتون الفقهية القديمة إنه كان ، والحق يقال ، إسهاماً يجدر ذكره في تاريخ تطور العلوم . ونذكر فيما يلي بعض الكتب الفقهية التي ألفها فقهاء الهند في القرن العاشر الهجري [٣] :

١ – الشيخ معين الدين العمراني :

أ – حاشية على التلويح ب – حاشية على الحساني

ج – حاشية على المنار د – حاشية على كنز الدقائق

٢ – مولانا أبو حفص سراج الدين عمر بن إسحاق :

أ – حاشية على المنار ب – شرح على الهداية المرغيناني

ج شرح الجامع الصغير د – شرح الجامع الكبير

هـ – شرح المختار

٣ – الشيخ سيد يوسف الملتاني :

أ – حاشية على المنار

(١) كلزار أبرار ص ٣١١ – النظامى : مصدر سبق .

(٢) منتخب التواريخ للبدايونى ج ٢ ص ٣٠٦ – ٣٠٧ .

(٣) خليق النظامي : مصدر سابق ص ٤٥ – ٤٦

٤ – القاضي حميد الدين الدهلوي :

أ – شرح الهداية

٥ – زين الدين بن عبد العزيز :

أ – قرة العين في الفقه الشافعي

وأما في الناحية السياسية فقد شاهد القرن العاشر الهجري تطورات هامة متعددة النواحي في شبه قارة الهند والباكستان ، فرأى انهيار حكم سلالات الأفاغنة وقيام الامبراطورية المغولية التي وصلت بالحكم الإسلامي في هذه البلاد إلى أرقى درجاته ، وكفى هذه السلالة فخراً أن كان بينها السلطان الصوفي العالم الفقيه أبو المظفر محيي الدين محمد أورنك زيب عالمكير بادشاه غازي الذي أعاد إلى شبه القارة مُثل الحكم الإسلامي العالية واختار تقاليد الخلفاء الراشدين في السياسة ونظام الحكم حتى عده البعض سادس الخلفاء الراشدين بعد الخلفاء الأربعة وسيدنا عمر بن عبد العزيز .

واتخذ حكام هذه الامبراطورية خطة التسامح جرياً على سنة سلفهم من الحكام المسلمين في شبه القارة ، وبلغ تسامحهم بادىء ذى بدء إلى أن أصهر الامبراطور جلال الدين إلى العائلات الهندوكية وبنى بعديد من الأميرات الهندوكيات حتى جاوز بتسامحه إلى مجاملة الهندوكيين وأرباب الديانات الوثنية الأخرى في شبه القارة حتى تعدى الأمر إلى ابتداع نحلة جديدة تضم المبادىء المختارة من جميع أديان شبه القارة وتذوب فيها جميع المعتقدات والأديان والملل والنحل الهندية لتؤدي هذه النحلة الجديدة بدورها إلى توحيد البلاد كلها . وكان معنى ذلك القضاء على المكانة الحكومية والاجتماعية التي كان الدين الإسلامي الحنيف يحتلها في الامبراطورية

الإسلامية . فإن الإسلام وغير الإسلام ضدان لايجتمعان ومحاولة الجمع بين الإسلام وغير الإسلام قضاء على الإسلام . ولكن الأمة الإسلامية في شبه القارة لم تتغافل عن هذه المؤامرات ، ولم يعد شبه القارة خالياً من زعماء عباقرة الفكر والعمل الذين نهضوا لمعارضة هذه الحركة الهدامة ؛ فقام رجال مؤمنون مجاهدون في جميع مجالات الحياة يكافحون ضد هذه الموجة الإلحادية ، وكان بين من نهض لهذه المهمة رجلان عبقريان يفتخر بهما تاريخ شبه القارة الإسلامي وهما : الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي والإمام المحدث عبد الحق الدهلوي[1] . وألف كاتب هذه السطور كتاباً حافلاً عن تاريخ الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد الفاروقي استعرض فيه بالنقد ديانة أكبر الهدامة المعروفة بالدين الإلهي وبحث عن أسباب ظهور هذه الحركة الإلحادية وبسط فيه القول عن كفاح الإمام التاريخي وجهاده الأكبر للقضاء على القوى المضادة للإسلام وعن تأثيره العميق في المجتمع الإسلامي في شبه القارة . ولكن هذا الكتاب لم يطبع حتى الآن . وفي هذه المقالة الموجزة نأتي بلمحات عابرة عن حياة الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي وجهوده الإصلاحية مع تعريف موجز بمؤلفاته القيمة في مختلف المواضيع الإسلامية .

ولد الإمام المحدث في شهر محرم ٩٥٨ هـ / ١٥٥١ م في مدينة دهلي وكان ذلك في عهد الامبرطور الأفغاني إسلام شاه السوري ، وهذا من العجب العجاب ومن أغرب المصادفات أن في الشهر نفسه وفي السنة نفسها ولد أبو الفضل ، ذلك الطاغوت الأكبر الذي كان من أئمة الموجة الإلحادية التي ظهرت في عهد امبراطور المغول جلال الدين محمد أكبر الذي ابتدع تلك

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية : ١ – كلزار أبرار – طبع لاهور الترجمة الاردية ٢ – منتخب التواريخ للبدايوني ج ٣ ص ١٣٩ ، حياة الشيخ عبد الحق للنظامي ص ٤٠ – ٤١

الخبيثة التي سماها بالدين الإلهي . وكان أبو الفضل من كبار مؤسسي هذه النحلة الهدامة .

وأول من أتى إلى الهند من أجداد الإمام المحدث هو آغا محمد البخاري الذي هاجر عن بلاده في القرن الثالث عشر من الميلاد بعد ما قام به المغول من حملات همجية وغارات عنيفة ضد الإسلام والإنسانية والمدنية والحضارة عبر القارة الآسيوية ، وأقام في الهند في عهد السلطان عـــلاء الدين الخلجي . ومن المعلوم أن السلطان علاء الدين الخلجي هو الذي بلغ المجتمع الإسلامي في عهده ذروة رقيه وقمة كماله علماً وثقافة وسياسة . ومكث أولاد آغا محمد البخاري وأحفاده أصحاب علم وثروة وجاه ومنزلة . وكان والد الإمام المحدث الشيخ سيف الدين بن سعد الله بن فيروز رجلاً عالماً شاعراً أديباً ؛ ولد ونشأ بدهلي وأخذ العلم عن الشيخ عبد الملك بن عبد الغفور والشيخ أمان الله الباني بتي وعن غيرهما من العلماء والمشايخ وصحبهم وأفاد منهم ، وأخذ الطريقة عن الشيخ أمان الله المتوفي ٩٥٧هـ / ١٥٥٠ م . وكان مغرماً بمطالعة الكتب . ورأى الأستاذ خليق النظامي نسخة خطية من كتاب « الكاشف في أسماء الرجال » للإمام الذهبي في المكتبة الخاصة الأستاذ حبيب الرحمن الطيب في « داكا » وكانت هذه النسخة في ملك الشيخ سيف الدين ، وعليها عبارة بخطه . وله مؤلفات في التوحيد والتصوف ، وكان شاعراً مجيداً ، وترك قصائد ومقطوعات شعرية . مات لثلاث بقين من شعبان سنة تسعين وتسع مائة (١) .

---

(١) نزهة الخواطر ، ج ٤ ص ١٣١ — أخبار الأخيار .

في ظل هذا الأب الفاضل تربى الإمام المحدث عبد الحق ورباه والده تربية جميلة. وبدأ بتعليمه منذ صباه، فكان ينبته نباتاً حسناً ويعلمه مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وينصحه ألا ينازع أحداً في مناقشة علمية، ولا يؤذي أحداً بقوله ولابفعله، وأن يعترف بالحق أينما كان ومن أي كان، وأول ما علمه والده الكريم هو القرآن المجيد الذي فرغ من قراءته وحفظه في مدة سنة واحدة، ثم صرفه إلى تعلم الكتابة وحصل عليها في شهر واحد، وبعد ذلك بدأ في قواعد اللغة العربية، وقواعده كتب منها ميزان الصرف ومختصراً لكافية ابن الحاجب وما إليها حتى أتم جميع دراساته وهو ابن ثماني عشرة سنة.

وكان مكباً على مطالعة الكتب منذ صباه، وكان يرغب عن الملاهي والملاعب مائلاً عن مصاحبته أترابه من الأطفال والصبيان، ويقول هو نفسه إنه لم يأكل قط ملء البطن ولم يستوعب ليلاً كاملاً بالنوم[1]. حتى كان أبواه يلومانه على إفراطه في المطالعة والدراسة وينصحانه أن يعتني باستراحته وصحته. وعلى الرغم من ولوعه بمطالعة الكتب كان رحمه الله يرغب في العبادات والنوافل، فيقوم من نصف الليل ويصلي صلاة التهجد ويتلو ماتيسر من آي الذكر الحكيم.

وبعد أن فرغ من تحصيل علوم اللغة العربية والكلام والمنطق وبرع بها تلمذ على علماء ماوراء النهر، وتلقى منهم الفقه والحديث، ثم اشتغل في تدريس شتى العلوم لبضع سنوات في مدارس دهلي قبل أن يشد رحله إلى الحجاز.

(١) أخبار الأخيار ص ٣٠٢ — ٣٠٣

كان من أمنية المدرس الشاب عبد الحق الدهلوي أن يتشرف بزيارة الحرمين الشريفين ويتلمذ لعلمائها ويقرأ منهم الحديث النبوي ، فلما كان ابن ثمان و ثلاثين تيسر له ذلك فغـــادر موطنه ومسقط رأسه دهـلي في سنة ٩٦٦ هـ الموافق ١٥٨٧ م متوجهاً إلى الحجاز . ولكنه لمّا وصل إلى ميناء كجرات علم أن السفينة قد رحلت فمكث في كجرات سنة كاملة ينتظر رحيل سفينة أخرى ، وخلال إقامته بكجرات تشرف مراراً بزيارة الشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي أحد كبار علماء كجرات الذي مكث على تدريس العلوم الدينية حوالي سبعة عقود وذلك بالإضافة إلى تأليف عدة كتب .

فلما وصل الطالب الشاب عبد الحق إلى مكة المكرمة اقتنته حلقة درس المحدث الكبير الشيخ عبد الوهاب المتقي تلميذ الإمام المحدث علي المتقي صاحب « كنز العمال » السالف الذكر . وكان الشيخ عبد الوهاب المتقي وحيداً بين معاصريه بنظرته العميقة وبصيرتـــه النافذة في علوم الحديث ، وكان مثله مثل قاموس حي وموسوعة متحركة للعلوم الإسلامية التي تجمع بين طياتها علوم الفقه والحديث والصرف والنحو والأدب (١) .

فلماانتهى طالبنا إلى الشيخ عبدالوهاب أخبره بالأسباب التي أدت به إلى الرحيل إلى مكة المكرمة قائلاً : « ياسيدي إني أمرؤ نشأت من صغري في الرياضة للتعلم والتعبد ، لم أعتد صحبة الناس والاختلاط بهم والدخول فيهم، فلما حصل لي بفضل

(١) أخبار الأخيار ص ٢٦٥

الله طرف صالح مما أريد ، وقضيت وطري وحاجتي مما هنالك دعاني بعض أهل الحقوق إلى الخروج إلى أرباب الدنيا ، فأدركت سلطان الوقت والأمراء فاعتنوا بشأني ، ورفعوا مكاني ، وأرادوا أن يكثروا بي سوادهم ، ويُحكموا ويُعدوا بهذا الضيف صورهم ومواده‍م ،فحماني الله ولم يتركني معهم ، وأوجد في قلب عبده جذبة هدته إلى هذا المقام الشريف (١) .

فقبله الشيخ عبد الوهاب المتقي في حلقة درسه واهتم بتدريسه وتعليمه اهتماماً خاصاً ، فقرأ عليه كتاب « المشكاة » للبغوي في علم الحديث قراءة شاملة ، وكتاب وقواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة ، وبعد أن حصل على الإجازة من الشيخ عبد الوهاب التفت إلى علماء الحجاز الآخرين وقرأ عليهم جميع كتب الحديث والعلوم الدينية .

بعد فراغه من تحصيل علوم الحديث في الحجاز أراد الشيخ عبد الحق الدهلوي أن يختار الحرم المكي وطناً له ويستن بسنة أستاذه الشيخ عبد الوهاب المتقي وأستاذ أستاذه الشيخ علي المتقي ويقوم بخدمة العلوم الإسلامية وخاصة منها علم الحديث . ولكن أستاذه الشيخ عبد الوهاب أصر عليه أن يرجع إلى وطنه . بلاد الهند ، ويقوم بنشر تعاليم الإسلام الحنيفة السمحة السهلة ، ويبث نور الإسلام في ظلمات الهند . فلبّى طلب أستاذه ورجع إلى الهند حيث وصل في سنة ١٠٠٠ ﻫ .

واشتغل الشيخ عبد الحق بتدريس علم الحديث وأقام لهذا الغرض

---

(١) كتاب المكاتيب والرسائل للإمام المحدث عبد الحق الدهلوي ص ٢٧٩ نقلاً عن حياة الشيخ عبد الحق المحدث للنظامي ص ٩٢

مدرسة في دهلي واختار لها منهجاً دراسياً يختلف عن المناهج الدراسية بالمدارس الهندية الأخرى اختلافاً جوهرياً هدفياً ، فكان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما الأساسان اللذان بنى عليها بناء العلوم الأخرى والجهاز التعليمي والنظام الدراسي ، ولم تكن حالة الهند الدينية عند وصوله إلى وطنه كما كانت عند مغادرته إلى البلاد العربية بل أصبحت أسوأ منها بكثير .

ونقل إلينا المؤرخ عبد القادر البدايوني الكثير عن أحوال الهند في النواحي الدينة والثقافية والفكرية في العقود الأخيرة من القرن العاشر الهجري وفي مستهل القرن الحادي العشر ؛ فكان أمبراطور المغول جلال الدين محمد أكبر متربعاً على عرش الامبراطورية يدعو الناس إلى نحلته الجديدة ويقرب الهنادكة والفرق الضالة إليه ، وكانت المتصوفة الزائغة تكدر مناهل الإسلام الصافية بأفكارها المستوردة ، فكان شبه القارة في حاجة إلى علماء وقادة فكر يكافحون للقضاء على الحركات الهدامة ولاحياء النظم الإسلامية الصحيحة ، لتتحول مسيرة الفكر الهندي من إلحاد إلى الإسلام .

عمل الإمام المحدث في جميع هذه الاتجاهات ، فحض كثيراً من أعيان الحكومة على إحياء السنة والقضاء على البدعات ، وكافح لتصحيح المفاهيم الإسلامية من التمويهات الضالة التي نشرها الصوفية الباطلة ، وأعلن بصراحة أن كل حقيقة ردت عليها الشريعة فهي زندقة (١) .

كتب لنيل هذا الهدف كتباً ورسائل وألقى محاضرات ودروساً ،

---

(١) كتاب المكاتيب والرسائل ص ٤٢

وقال في كتابه «مرج البحرين»:

«التصوف محتاج إلى الفقه أما الفقه فمستغن عن التصوف، ومهما كان التصوف أعلى وأرفع فإن الفقه أعم مصلحة وأسلم، ولذا قال بعضهم: كن فقيهاً صوفياً ولا تكن صوفياً فقيهاً، يعني الفقه والعمل بالشريعة يتقدم كل شيء»(١).

وكان يعتقد أن كل مايقوم به من نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة هو بأمر من الله تبارك وتعالى، فقال: إن هذا العبد مأمور ألا يتكلم إلا في القضايا الدينية الهامة وشؤون الأمة التي هي باعث تنفيذ الشريعة وتجديدها وسبب المحافظة على عقيدة السنة النبوية وأحكامها، وألا يخرج عن دائرة الاعتدال والاحتياط ولو خطوة(٢).

وعلاوة على كل هذا كتب إلى كبار أعيان الدولة وحثهم على النهوض ضد التيار الإلحادي الذي هاجم شبه القارة في منتصف القرن العاشر أثار فيهم الغيرة على خيبة الإسلام وأهل الإسلام في ديار الهند، وكان بين من كتب إليهم الوزير المغولي عبد الرحيم خان خانان ونواب مرتضى خان وغيرهم. ولما توفي الامبراطور جلال الدين محمد أكبر كتب الإمام المحدث رسالة طويلة إلى الشيخ فريد وأوصاه أن يقدمها إلى الامبراطور الجديد نور الدين جهانكير ويقرأها عليه ويلخص له معانيها ومطالبها. وكان عنوان الرسالة: تنبيه الغافلين بفناء الدنيا وأربابها، وإغترار الجاهلين بزخارفها

(١) مرج البحرين للامام الدهلوي ص ٨٦ – ٨٧

(٢) كتاب المكاتيب والرسائل ص ٢

وأسبابها . ثم زار الامبراطور في السنة الرابعة عشرة من جلوسه على العرش ، فأجلّه الامبراطور واحترمه ، ولكن الأمبراطورة الشيعية نورجهان كانت تنفر منه وتبغضه .

كان الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي من كبار قادة حركة نشر الحديث وتصحيح المفاهيم الإسلامية في شبه القارة ، ولم يسبقه في ذلك أحد من معاصريه سوى الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي إلا أن الفضل الأكبر في نشر الحديث يرجع إلى الإمام عبد الحق ، فعكف على تدريس علوم الحديث أكثر من نصف قرن ، وقرأ عليه الحديث في هذه المدة آلاف وآلاف من طلبة الحديث من جميع أنحاء الهند وخارجها ، وألف بالإضافة إلى ذلك سلسلة من الكتب في علم الحديث باللغة الفارسية التي كانت اللغة السائدة في الدوائر العلمية . ونذكر فيما يلي بعض مؤلفاته في علم الحديث .

١ ــ لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ، باللغة العربية . وله نسخ كثيرة خطية موجودة في كثير من المكتبات العلمية في شبه القارة . وطبع مجلدان منه في سنة ١٣٩٠ ﻫ / ١٩٧٠ م في مطبعة مكتبة المعارف العلمية بلاهور ، وستتلوه مجلدات أخرى ، إن شاء الله . ويقوم بتصحيح نسخ الكتاب ومقارنة مخطوطاته الأستاذ محمد عبيد الله المفتي مدير المدرسة الأشرفية بلاهور ، الذي أضاف إليه تعليقات موجزة في بعض المقامات ، وذيله بفهارس بسيطة عن موضوعات الكتاب وعن أسماء الرواة وعن الكلمات الأولى للأحاديث التي أخرجت في الكتاب .

٢ ــ أشعة اللمعات في شرح كتاب المشكاة ، باللغة الفارسية في أربع مجلدات ؛ طبع مراراً في الهند وباكستان طبعاً حجرياً ، وقدم

الإمام لهذا الكتاب مقدمة بسيطة في علم الحديث وأصوله وتراجم كبار المحدثين .

٣ - رسالة في أقسام الحديث ، باللغة العربية . طبع مراراً ، وطبعت ترجمته الأردوية .

٤ - ما ثبت بالسنة .

٥ - جامع البركات في شرح منتخب المشكاة ، باللغة العربية .

٦ - مطلع الأنوار البهية في الحلية النبوية . توجد منه نسخة خطية فى مكتبة الجمعية الآسيوية البنغالية .

وبالإضافة إلى خدمة الحديث النبوي ألف كتباً أخرى لعبت دوراً هاماً في تصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتصفية الأباطيل الفكرية الإلحادية .

١ - مدارج النبوة ، باللغة الفارسية . وهو أحسن كتاب ألف في السيرة النبوية في الهند ، ويحتل مكانة مرموقة في الأدب الإسلامي الذي قدمته شبه القارة خلال القرون ، ولعب هذا الكتاب دوراً هاماً في القضاء على الإلحاد الأكبري الذي كان يهدف إلى الحط من صلة مسلمي الهند بشخصية رسول الله ﷺ . طبع هذا الكتاب مراراً ، ونقل إلى اللغة الإردية ، وطبعت الترجمة الإردوية في كراتشى قبل عدة سنوات .

٢ - تحصيل التعرف فى معرفة الفقه والتصوف ، باللغة العربية . وفيه محاولة للجمع بين الفقه والتصوف .

٣ - الرسالة السلطانية : كتبها إلى الامبراطور المغولي نور الدين جهانكير لبيان قواعد الحكم ومبادئه في الإسلام ،وآداب الحكم والسياسة . وكان

الأمام المحدث من الذين ساعدوا الأمير جهانكير وآزروه على اعتلاء العرش الامبراطوري ضد أخيه الذي كان من أنصار الإلحاد الأكبري .

٤ ـ أخبار الأخيار في أحوال الأبرار ، باللغة الفارسية . طبع مراراً وترجم إلى اللغة الإردوية ، ويوجد كثير من نسخه الخطية في مكتبات الهند وباكستان واوربا . جاء المؤلف فيه بتراجم علماء الهند ومشايخها ابتداءاً من الخواجه معين الدين الجشتي الاجميري وانتهى إلى معاصريه . وهذا الكتاب من المصادر الموثوقة عن تاريخ شبه القارة الإسلامي وعن الحالة الدينية في العصور المختلفة .

٥ ـ آداب الصالحين ، باللغة الفارسية . وهو خلاصة كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي . طبع مراراً بالفارسية وترجم أيضاً إلى الإردوية .

٦ ـ آداب اللباس ، باللغة الفارسية . لم يطبع حتى الآن ، وتوجد منه نسخ خطية في عدد من مكتبات أوربا وباكستان والهند .

٧ ـ زبدة الآثار في تلخيص بهجة الآثار ، باللغة العربية ، في سيرة الصوفي الشهير عبد القادر الجيلاني . وبهجة الآثار هو من مؤلفات الشيخ نور الدين أبي الحسن على المتوفي ٧١٣

٨ ـ زاد المتقين . وهو في أحوال مكة المكرمة وفي سيرة علمائها ومشايخها ، وانطباعاته حول إقامته بمكة المكرمة . ونسخه الخطية في مكتبة المتحف البريطاني والمكتبة الآصفية بحيدر آباد .

٩ ـ التاريخ الحقي ، باللغة الفارسية . يبحث عن تاريخ الهند الإسلامي منذ ظهور الإسلام في شبه القارة وبدء الحكم الإسلامي حتى آخر القرن العاشر الهجري ، وهو كتاب مهم ومصدر موثوق به بين مصادر تاريخ الهند .

توجد منه نسخ خطية في عدد من مكتبات باكستان والهند وأوربا . ولم يطبع كامله بالأصل الفارسي ، وطبع جزء منه باللغة الانكلزية في مجموعة ايليوث .

١٠ - جذب القلوب إلى ديار المحبوب ، باللغة الفارسية . وفعلاً كتبه لجذب قلوب المسلمين في شبه القارة إلى ديار الحبيب ﷺ ، وهو يبحث عن تاريخ الحرم النبوي وفضائله وأخبار سكانه ، وحادثة الهجرة وكيفية مباني المدينة المنورة وفضائل المسجد النبوي وأماكن المدينة المنورة الأخرى . وكان لهذا الكتاب دور بارز في القضاء على المؤامرة الهندوكية ضد النبوة المحمدية على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية .

١١ - تكميل الإيمان ، باللغة الفارسية . وهي رسالة في التوحيد والعقائد على طريقة أهل السنة والجماعة . طبعت مراراً في الأصل الفارسي وطبعت ترجمته الإردوية أيضاً أكثر من مرة .

١٢ - ويروي المؤرخون مؤلفاً له عن التفسير ، وهو كتاب « تعليق الحاوي على تفسير البيضاوي » . وكان باللغة العربية ولكن لاتوجد منه نسخة .

١٣ - زاد المتقين . وهو في أحوال مكة المكرمة ، وفي سيرة علمائها ومشايخها ، وفي انطباعاته ومشاهداته في إقامته بالبلد الحرام . وكتب هذا الكتاب لتشويق عامة المسلمين في شبه القارة إلى زيارة الحرمين الشريفين ولتوطيد الصلات الروحية والدينية بين الهند ومكة المكرمة . لم يطبع هذا الكتاب حتى الآن ، وأما نسخه الخطية فتوجد في المتحف البريطاني والمكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن بالهند .

١٤ - مطلع الأنوار البهية في الحلية النبوية . لعله يشتمل على

شمائل النبي ﷺ وعاداته الشريفة وحليته الكريمة. ولم يطبع حتى الآن وتوجد نسخة خطية منه في مكتبة الجمعية الآسيوية البنغالية.

هذه هي مؤلفات الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي الذي أضاء في شبه القارة في حاضرة الإمبراطورية الإسلامية – دلهي – شمعة الحديث وبث أشعة النور النبوي في أنحاء الهند، واشتغل في تدريس علوم الحديث أكثر من نصف قرن، وتوفي إلى رحمة الله في الواحد والعشرين من ربيع الأنور عام ١٠٥٢ هـ وهو إذ ذاك ابن أربع وتسعين. رحمه الله تعالى رحمة واسعة ورضي عنه وأرضاه.

إسلام آباد　　　　**محمود أحمد غازي**

التعريف والنقد

حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام

الأستاذ شفيق جبري

من جلائل الموضوعات موضوع اللغة ، والسبب في جلالة هذا الموضوع منزلة اللغة في الأمم ، فاللغة إنما هي صورة الأمّة وتاريخها وحضارتها ، فإذا اغتبطنا بظهور كتاب يتصل باللغة على اختلاف أبوابها فغبطتنا في محلها ، وإذا ألمنا من استعمال الحرية في التصرف في أمور اللغة بحسب مشيئة المتصرفين وهواهم فلنا الحق في هذا الألم ، فقد يقع نظرنا في هذه الأيّام على بعض الانحراف عن الذوق في الأساليب ، أو على إخلال بالموسيقى في بعض التراكيب ، أو على توليد ألفاظٍ ما نظن أنّ بنا حاجة إلى توليدها ، فلا يمرّ بنا يوم دون أن نسمع في دور الإذاعة ، أو نقرأ في الصحف ألفاظاً حديثة مثل : جَدْوَلة الديون ، أو عَسْكرة القضية ، أو ما شابه ذلك ، فقد أصبح لكل واحدٍ منا حرّية في اختراع اللفظة التي يراها مناسبة للإعراب عن فكرته ، فإذا كان الأمر على هذا الوجه فلا ندري كيف تكون اللغة بعد قليل من الزمن ،

فقد أشار بعض علماء اللغة في الغرب إلى أن الأحفاد في طائفة من قبائل افريقية لايفهمون لغة الأجداد لكثرة مايولد من الألفاظ من حين إلى آخر . أمّا أن يولّد العصر ألفاظاً تشتد إليها الحاجة في أبواب العلم والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك ويتمّ الاصطلاح عليها ويشيع استعمالها من دون البعد عن مقاييس اللغة وجوهرها فهذا أمر يخفّ الاعتراض عليه ، وأمّا أن يخترع كل واحد منّا لفظاً لما يعنّ له من الأفكار فقد تصبح اللغة فوضى ويصيبنا ما أصاب الأحفاد في قبائل افريقية . إنّا نحرص على وحدة اللغة ونظامها حتى لاتصبح فوضى . ولست أدري أيكون هذا الرأي رأي علماء اللغة في عصرنا .

يجدر بي بعد الإفصاح عن هذه الفكرة الوجيزة أن أشير إلى كتاب : « حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام » للدكتورة نشأة ظبيان ، فقد تضمّن الكتاب مقدّمة وفصولاً وأبواباً ، أمّا المقدمة فلا سبيل إلى تلخيصها وحسبي التنويه بما اشتملت عليه من أفكار سديدة في منزلة اللغة في الأمم وإني لأكتفي بذكر السطر الأول من المقدمة لنعرف كيف تنظر المؤلفة إلى اللغة ، فقد قالت : « الأمة لغتها ، واللغة وعاء فكر الأمة ونبض فاعليتها ، ففي حياة اللغة بقاء الأمة وفي خمولها موتها وتواريها » . وقد أفاضت الدكتورة نشأة في مقدمتها في هذا المعنى على قدر ما يستحق من الإفاضة والعناية واستشهدت بأمور كثيرة للدلالة على منزلة اللغة وعلى الاعتناء بحفظها والحرص على حياتها من قبل العلماء في القديم والحديث فلا غنى عن الرجوع إلى هذه المقدمة الشافية الوافية لإدراك نظرة المؤلفة إلى جوهر اللغة وكيانها .

أمّا الأبواب التي تضمّنها الكتاب فهي ثلاثة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول كثيرة ؛ فقد سمّت الباب الأول : حركة الإحياء المعجمية، فتعرضت لمعجمات اللغة في القديم والحديث ، فتكلمت على ترتيبها وتنسيقها وعلى ما يتصل بهـــذا كله ، وعلى مناهجها في شرح الألفاظ وعلى الأطوار التي تقلّبت فيها معجماتنا في عصورها المختلفه ، ولم تغفل في بعض الحالات عن نقد بعض المعجمات في ردّ طائفة من الألفاظ إلى أصولها ، وفي هذا كلـه جهد غير يسير .

وليس هذا كلّه ماتضمّنه فصل المعجمات اللغوية ، فقد انتقلت المؤلفة في الفصول التالية إلى الكلام على أطوار دلالة الموادّ اللغوية في المعجمات من حيث قصور التعريف والابهام والمقالة اللغوية ، وبعد الفراغ من هذا البحث تكلمت على الموسوعات ومعجمات الأعلام والتاريخ الأدبي ومعجمات المعاني ونوادر اللغة في بلاد الشام والتعريب . ولا تغني الإشارة إلى هذه المباحث عن الرجوع إليها وإطالة النظر فيها .

وأمّا الباب الثاني من الكتاب فقد جعل لعلوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة وعلمها والعروض والخط .

وقد اقتصرت في الباب الثالث على ذكر الخصائص العامة لحركة الإحياء اللغوي . ولم تخل الفصول كلها من نقد إذا احتاج الأمر إلى النقد ومن بيان رأي خاص إذا لزم هـذا البيان . وختمت المؤلفة أبواب الكتاب وفصوله بخاتمة ذكرت فيها أهمّ ما وصل إليه البحث في هذا السبيل .

لقد دلّ كتاب حركة الاحياء اللغوي في بلاد الشام على اطلاع صاحبته

الواسع في علوم اللغة وعلى تدقيقها في المراجع التي رجعت إليها وعلى فهمها لخصائص هذه المراجع وإدراكها لها وفطنتها إلى محاسنها ، كلّ هذا يدلّ على ميلها إلى علوم اللغة وعلى استعدادها للأخذ والرد في هذه العلوم . ولا شك في أن القارىء يشعر بالمجهود الذي بذلته المؤلفة في تأليف كتابها، وإذا كنت لا أرى مجالاً للتنويه بكل ما جاء في محتويات هـذا الكتاب فإني لا أقصّر في أن أشكر للمؤلفة الفاضلة اهتمامها بموضوع اللغة وغيرتها على هذه اللغة التي هي عنوان تاريخنا وحضارتنا .

شفيق جبري

ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون

تأليف : عبد الرزاق الهلالي

مطبعة المعارف — بغداد ١٩٧٦

الدكتور شكري فيصل

نشر الأستاذ عبد الرزاق الهلالي الأديب العراقي المعروف منذ مايزيد على ربع قرن (١٩٤٧ م) كتاباً بعنوان : ولادة وابن زيدون ، جاء أثراً لاهتمامه بهذه الشخصية الأدبية ، واتخذ هذا الاهتمام أشكالاً مختلفة (بين مقال ينشر ، وحديث يذاع ، وكتاب يصدر إلى الناس ص ٢٨) .

وقد أتاح المهرجان الذي دعت إليه وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في المغرب بإشراف الوزير العالم الأديب الأستاذ محمد باحنيني فرصةً طيبة أمام المهتمين بالأدب الأندلسي من عرب ومستعربين لتعميق الدراسات حول ابن زيدون وإثارة الجديد فيها .

وكان من بين الأبحاث التي قدّمت للمهرجان بحث كتبه الأستاذ الهلالي بهذا العنوان : ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون ، تناول فيه أثر ولادة في مظاهرَ ثلاثةٍ من حياته : أثرها في شعره ، وأثرها في حياته الاجتماعية ، وأثرها في سلوكه الذاتي . ثم أخرجه للناس في هذا الكتاب .

ولكن الكتاب لاينطوي على هــذا البحث فحسب ، وإنما ينطوي كذلك على شيء من التأريخ الأدبي فقد عرض لحكايتين في تاريخ الأدب العربي : أولاهما حكاية معاصرة هي حكاية المهرجان وبعض الوثائق التي تتصل به ، من مثل الدعوة إليه ، والظروف التي أحاطت به .. والثانية قديمة – معاصرة هي الآراء الأدبية التي دارت حول ولادّة .

أما الحكاية الأولى فقد ضمن المؤلف كتابه عرضاً موجزاً لفكرة المهرجان منذ البداية ، أي منذ ساورت الفكرة وزارة الدولة للشؤون الثقافية بمناسبة الذكرى الألفية لمولد ابن زيدون « ٣٩٤ - ١٣٩٤ » ، ثم لبعض المراحل الـتي مرت بها ، ثم لنص الدعوة المشتركة التي وجهها الوزير الأديب باحنيني والتي كانت نصاً أدبياً رائعاً ، ثم لتأجيل الموعد ، ثم لكلمة الافتتاح – التي كانت في ذات الوقت كلمة وداع ، والتي ألقاها السـيد الوزير على الأعضاء المشاركين .

ولم يكن ذلك من شأن الكتاب ، ولكن المؤلف خشي ألاّ يصدر الكتاب التذكاري عن المهرجان ، أو يتأخــر ، فأسرع إلى تسجيله بغية حفظه بين دفتي كتاب .

أما حكاية الآراء الأدبية حول ولادة ، فذلك أن المؤلف لاحظ أن كتاباً للأستاذ علي عبد العظيم - وكان في أصله رسالة ماجستير ص ٢٣ - صدر سـنة ١٩٥٥ ، أفاد من بحثه هو ، الذي كان أصدره سنة ١٩٤٧ ، تشابهاً معه أو تطابقاً أو توافقاً ، دون أن يدلّ عليه أو يعرّف به أو بصاحبه في شيء .

وقد حاول الأستاذ الهلالي أن يشير إلى ذلك في البداية ، وفي

المقدمة ، إشارةً لبقة « ص ٦ » كان هذا التلويحُ بها يغني عن التصريح . ولكن اعتزازه بما كان انتهى إليه من رأي في تفسير ســلوك ولادة ، وموقف الأستاذ عبد العظيم في سكوته عن كتابه ، بتاتهً التصريح بأنه لم يره « ص ٢٣ » ـ ذلك دفعه إلى أن يجاوز الإشارة في المقدمة إلى الافصاح الصريح في فقرات من الكتاب .

وقد اضطره الأمر أن يثبت مقالاً أنُفاً ـ كان أعدّه ولم ينشره ـ بعنوان : ولادة بين الهستريا والشـذوذ الجنسي ، ضمنه شهادةً من الأستاذ الدكتور بدوي طبانه لبحثه الأول ص ١٤ ، وتلخيصاً لبعض ما كان قاله فيه ، وبخاصة في فصل : فتاة ساحرة ، ثم لما قاله بعده الأستاذ علي عبد العظيم في كتابه « ابن زيدون ، عصره ، حيـاته ، أدبه » في النقاط ذاتها ، هـــادفاً من ذلك إلى التأكيد — عن طريق المقارنة بين بعض الفقرات من هنـا وبعضها من هناك ـ على متابعة الأستاذ عبد العظيم له وأخذه منه .

والواضح أن الأستاذ عبد العظيم لم يقتصر على الآراء التي وقف عندها الهلالي : عدم الزواج ص ١٧ ، الانحراف الجنسي والهستريا ص ١٨ وما بعدها ، ثم ص ٤٣ وما بعدها، وإنما طرح فرضيات أخرى .مما قاد المؤلف إلى مناقشته فيها (السادية عند ولادة ص ٢٤ والماسوشية عند ابن عبدوس ص ٢٤ — ٢٥) وإنكارها .

وفي النفس كثير مما يلجأ إليه بعض الباحثين من اقتباس هـــذه النظريات النفسية المختلفة ، ثم تطبيقها على بعض شخصياتنا الأدبية ، فالأمر في ذلك يجب أن ينهض على عمق ودقة .

وليس الخوف ، في العادة ، من اتصال الآراء أو تلاحقها أو تلاقيها ..
وإنما الخوف أن تستبد بنا بعض الآراء استبداداً عنيفاً فتحملنا على التسليم بها
أو الانقياد إليها .

ذلك أننا لسنا أمام شخصية معاصرة نستطيع أن نتعرف إليها ، وإنما
هي شخصية غبرت عليها قرون ، ألف سنة .. ثم نحن لا نملك عنها إلا بعض
الأخبار وبعض الأشعار .

وتفسير الشخصية بالخبر أو الخبرين والبيت أو البيتين أمرٌ عسير
ولو تركنا الحبل على الغارب لكانت ولادة منحرفة وشاذة ، وهستيرية ،
وسادية .. وذلك شأن لا يتيح الاطمئنان .. وحسبنا أن نرى في هذه
الآراء أنها ملاحظات مثيرة ولكنها ليست حقائق قاطعة .

إن استخدام نظريات علم النفس على هذا النحو العريض يحتاج إلى
تعامل طويل مع المناهج النفسية المختلفة ، وواضح أن استثمار هذه المناهج في
دراسة ولادة سيكون صعباً جداً لتعذر تطبيق المنهج الاستبطاني (الذي
يقوم على ملاحظة الإنسان نفسه) أو المنهج الموضوعي (الذي يقوم على
أن نلاحظ نحن سلوك الآخرين) أو المناهج الأخرى التي تتكامل منها .

وأياً كان تعدد الدوافع التي أدّت إلى إصدار هذا الكتاب
وتنوعها فمن المؤكد أن الأستاذ الهلالي شارك بجهد واضح في هذا المهرجان
على هذين النحوين : ما يتصل بابن زيدون أو بولادة نفسها (من هي
ولادة ص ٣٠ وما بعدها ، ثم أثرها في شعره وحياته الاجتماعية وسلوكه)
ثم ،ما يتصل بتطور الدراسات الأدبية المعاصرة في موضوع معين من نحو آخر .
ولعل مثل هذا البحث ينهض مثلاً واضحاً على هذا التطور ،حين يبدأ

باحث موضوعاً ينقّب فيه ليقـع على بعض الآراء ثم تُتناقل هذه الآراء بالمناقشة والتعميق والتنمية عقداً بعد عقد ، وباحثاً بعد باحث .

والأستاذ الهلالي في بعض أبحـاثه ومقالاته الأدبيه أحد البارزين في جماعة أدبية توشك أن تكون في بعض خصائصها مدرسة متميزة .. تُعنى بأن تربط دائماً في حديثها عن الفكرة أو الظاهرة ، بتسجيل بعض الأسماء التي تصاحب هذه الفكرة أو التي تشهد لها .. هذه المدرسة التي نجـــد أسمـاء لامعة من أسمائها في بريد مجلة الأديب بوجه خاص والتي تعتمد الرسائل الاخوانية بعضاً من قوالبها فيما يساورها من فكَر أو تعليقات . . وإنه لمُعتَمد ومُعوّل ، يمازج بين الذات والموضوع أو بين الذوات والموضوعات على نحو مثير ، ويمنح ما تكتبه روحاً من روح العلائق والصداقات .

فهل يفسر هذا ما نجده في هذا البحث من أسماء معاصرة ؟

بقي أن أشير إلى بعض الملاحظات الخفيفة : فقد ورد اسم الكتاب مرتين (ص ٢٨ و ص ٣٠) على أنه « ولادة وابن زيدون » مخـالفاً لما على صفحة الغلاف . وعنوان الغلاف ألصق بالموضوع ، وأوضح دلالة عليه .

وورد في هامش ص ١٠ ، في صدر التعليق على كلمة « ازدياد » التي جاءت في رسالة الأستاذ الوزير باحنيني على أنه مصطلح مغربي ، وهو في الواقع مصطلح عربي، ثم هو قبل ذلك مصطلح قرآني مأخوذ من قوله تعالى في الآية الكريمة ﴿ اللهُ يَعـلمُ ما تحملُ كلُّ أنثى وما تغيضُ الأرحامُ وما تزدادُ وكلُّ شيءٍ عندهُ بمقدار [١] ﴾ .

وورد بيت ولادة : « وأمكن عاشقي من صحن خدي » (ص ١٦

(١) سورة الرعد الآية ٨

وص ٣٢) وأفضّل أن تكون قراءته بالتضعيف وحذف حرف العطف : أمكّن .

والأستاذ الهلالي لايشير إلى أرقام الصفحات في بعض الهوامش التي يأخذ عنها (راجع مثلاً هوامش الصفحات ٤٠ – ٤٢ ، ٤٩ فيما أخذه عن الدكتور شوقي ضيف أو أحمد زكي باشا أو الذخيرة أو ..) .

تمنيت لو أن الأستاذ الهلالي استغنى في هذا الكتاب عن بعض ما كان يمكن أن يُستغنى عنه ، وبخاصة ما كان من تسجيله لحديث له صحفي في آخر الكتاب .. ذلك لأنه لايتضمن جديداً لم يسبق أن أشار إليه .

ومهما يكن من أمر ، فسيظل عنصر الإثارة الفكرية ومحاولة تعميق البحث عن هذه الشخصية الأديب بعضَ مايدفع إلى شكر المؤلف وتقديره على عمله في هذا الجزء اللطيف .

دمشق **شكري فيصل**

شعر مروان بن أبي حفصة

جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان
دار المعارف ١٩٧٣ — ١٨٤ صفحة

الأستاذ محمد يحيى زين الدين

حفلت كتب التراجم والتأريخ بذكر العديد من أشعار مروان ابن أبي حفصة ، أما الكتب الأخرى فلم ترو إلا بعض الأبيات اليسيرة منها ، ولم يتبقّ من قصائده المطولة سوى اثنتين ذكرهما ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء .

وقد عمد الدكتور حسين عطوان إلى جمع تلك الأشعار معتمداً على مصادر متعددة ، ولكنه غفل عن بعض الكتب المطبوعة مثل نثر النظم ، وغرر الخصائص ، وتاريخ الموصل . كما لم يتيسر له الاطلاع على بعض المخطوطات مثل عيون التواريخ ، والوافي بالوفيات . وثمة ملاحظات على صنيعه أذكرها فيما يلي :

ص/٢٠ :

بنو شُرَيكٍ هُمُ القومُ الذينَ لهُم   في كلّ يومِ رهانٌ يُحرِزُ القَصَبُ

وفي الحاشية : « رفع القصب وحقّه في قياس النحو أن ينصب ». وهذا خطأ بيّن ، والصواب : « في كلّ يومِ رهانٍ يُحرَزُ القَصَبُ » بالبناء للمجهول ، والأبيات الثلاثة الأولى من هذه المقطعة هي من قطعة

أخرى في مدح المهدي ، وليس كما ذكر المحقق . انظر عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٦٤ » ، والمقطعة الثانية من هذا المقال في الصفحة التالية .

ص/٣٦

تذكَّرُنا أبصارُهـــا مقلَ المها وأعناقها أدمُ الظّباءِ العواقدُ

والصواب : تذكرنا أبصارَها مقلُ المها ، تمشيّاً مع سياق الشطر الثاني

ص/٨٩

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حُباهُمُ وأحلامُهم منها لدى الوزنِ أثقلُ

والصواب : ثلاثٌ بأمثال . . . وثلاث : تُقرن به الأمور وتُعقد .

ص/٩١

فاسيتُ شدّةَ أيّامي فما ظفرت يداي منهـا بصابٍ ولا عسَلِ

والشطر الثاني مضطرب الوزن ، وصوابه كما في الإبانة عـــن سرقات المتنبي : ١٥٤ « لا ولا عسل » .

— ٢ —

كما غفل المحقق عن ذكر بعض أشعار مروان بن أبي حفصـــة ، وهي في مجموعها ٢٨ مقطعة ، عدد أبياتها ٩١ بيتاً ،وبعض هذه الأبيات تتمة لمقطعات الديوان ، وقد ألحقتُ بهـذه الزيادات تخريجاً لها ، وهو تخريـج مقتضب ، بيّنتُ فيه المصادر التي نقلتُ منها هذه المقطعات ، دون أن أبيّن عدد الأبيات أو نسبتها في كل مصدر منها :

١ ـ أفنى البكاءُ على الإمـامِ محمَّدٍ ماءَ العيونِ فأسعدَت بدمائها [1]

إنَّ القبورَ قديمَهـــا وحديثَها بصداكَ فاضلةٌ على أصدائهـــا

(١) تاريخ الموصل ٢٥٥ ، وانظر ق ١

مــا حفرة أسنى وأكرمُ ساكناً من حفرةٍ حَدَرُوكَ في أرجائها
إلاّ التي أمسى النبيُّ محمّـدٌ فيهـا فإن لتلكَ فضل سنائهـا

٢ ـ ما يلمعُ البرقُ إلاّ حنَّ مغتربُ كأنّهُ مِن دَواعي شوقِهِ وَصِبُ[(١)]
أهلًا بطيفٍ لأمّ السِّمطِ أرَّقنا ونحنُ لا صَدَدٌ عنها ولا كثبُ
وُدّي على ما عهدُتم في تجدُّدِهِ لا القلبُ عنكم بطولِ النأيِ ينقلبُ
ما أنسَ لا أنسَ غيثاً طلَّ وابلُهُ عليَّ من راحةِ المهديِّ ينسكبُ
شِمنا فما أخطأتنـا من مخايلهِ سحابةٌ صوبُها الأوراقُ والذهبُ
صدَّقتَ يا خيرَ مأمولٍ ومُعتمدٍ ظنّي بأضعافِ ما قد كنتُ أحتسِبُ
أعطيتَ سبعين ألفـاً غير متبعِها منّـاً ولستَ بمنّانٍ بما تهبُ
قد لاحَ للناسِ بالمهديِّ نورُ هدًى يضيءُ والصبحُ في الظّلماءِ محتجبُ
خليفةٌ طـاهرُ الأثوابِ معتصمٌ بالحقِّ ليسَ لهُ في غيرِهِ أرَبُ

٣ ـ لهُ سحائبُ جودٍ في أنـامِلِه أمطارُها الفضّةُ البيضاءُ والذهبُ[(٢)]
يقولُ في العُسرِ إن أيسرتُ ثانيةً أقصرتُ عن بعضِ ما أعطي وما أهبُ
حتّى إذا عُدنَ أيّام اليسـارِ لهُ رأيتَ أموالَهُ في الناسِ تُنتهبُ
كالشّمسِ نوراً ولكنْ مالهُ لهبُ كالغيثِ جوداً ولكنْ وبلُه ذهبُ

٤ ـ إذا ما حمامُ المرءِ حُمَّ ببلدةٍ دعتهُ إليهـا حاجةٌ وتطرُّبُ[(٣)]

---

(١) عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٦٤ » وانظر ق ٤

(٢) غرر الخصائص ١٧٣ ، والبداية والنهاية ٩ / ٣٣٤ ، ونثر النظم ١٧ ، والمنتخب من ربيع الأبرار ١٠٤ ، ١١٨ ، والبيت الرابع في ديوان البستي ١٤ ضمن مقطعة في خمسة أبيات .

(٣) محاضرات الأدباء ٤ / ٤٩١ ، ٦١٤ ، وانظر ق ٢

٥ ـ يا مَن على الجودِ صاغَ اللهُ راحتَه ... فليس يعرفُ غيرَ البذلِ والجودِ (١)
عمّت عطاياكَ مَن في الأرضِ قاطبةً ... فأنتَ والجودُ منحوتان من عودِ
٦ ـ كفى لكَ فضلاً أنّ أفضلَ حرّةٍ ... غذتكَ بثديٍ والخليفةَ واحدِ (٢)
لقد زنتَ يحيى في المشاهدِ كلّها ... كما زانَ يحيى خالداً في المشاهدِ
٧ ـ زارَ ابنُ زائدةَ المقابرَ بعدَما ... ألقت إليهِ عرى الأمورِ نزارُ (٣)
إنّ القبائلَ من نزارٍ أصبحت ... وقلوبُها أسفاً عليكَ حرارُ
ودّت ربيعةُ أنّها قُسِمت لهُ ... منها فعاشَ بشطرِها الأعمارُ
فلأبكينّ فتى ربيعةَ ما دجا ... ليلٌ بظلمتهِ ولاحَ نهارُ
لا زالَ قبرُ أبي الوليدِ تجودُه ... بعِهادِها وبوبلِها الأمطارُ
قبرٌ يضمُّ مع الشجاعةِ والندى ... حلماً يخالطهُ تقىً ووقارُ
إنّ الرزيّةَ من ربيعةَ هالكٌ ... تركَ العيونَ دموعُهنّ غزارُ
رحبُ السُّرادقِ والضياء جبينهُ ... كالبدرِ شقّ ضياءَه الإسفارُ
لهفاً عليك إذا الطعانُ بمارقٍ ... تركَ القنا وطوالهنّ قصارُ
خشّى الأعنّةَ يومَ ماتَ مشيّعٌ ... بطلُ اللقاءِ مجرّبٌ مغوارُ
يُمسي ويُصبحُ معلماً تذكى به ... نارٌ بمعتركٍ وتخمدُ نارُ
مهما يمرّ فليسَ يرجو نقضَهُ ... أحدٌ وليس لنقضهِ إمرارُ

(١) نثر النظم ١٨ ، وهما في المحاسن والمساوىء ٣٤٩ ، والمحاسن والأضداد ١٠ لأبي وجزة السلمي .

(٢) وفيات الأعيان ٤ / ٢٧ ، والبداية والنهاية ١٠ / ٢١٠

(٣) العقد الفريد ٣ / ٢٢٠ ، والبيت الأخير منها في طبقات الشعراء ٢٢٠ لبكر بن النطاح .

لو كانَ خلفَكَ أو أمامَكَ هائبـاً أحداً سواكَ لهابكَ المقدارُ

٨ - لو مسَّ بالكفِّ عوداً يابساً نخراً لاهتزَّ أخضرَ حتّى يطلعَ الثمرُ[١]

تَرّاكُ لا والقَني وارجعْ وسوفَ وعُدْ ما قالَ هذا وما فيهِ لهُ وَطَرُ

لكنْ يقولُ نعَم وابشرْ وهاكَ وخُذْ هذا أقرَّ لهُ في فضـلهِ البشرُ

لو أنَّ كتَّابَ خلقِ الله كلَّهم تمَّمْ وحسَّابهم جاؤوكَ فابتدرُوا

أن يحسِبوا أو يخطُّوا عُشرَ ما وهبت كفَّاكَ يوماً من الأيّامِ ما قدِرُوا

٩ - ولو لم يَقُمْ موسى عليها لرجَّعَتْ حنيناً كما حنَّ الصَّفَايا العشائرُ[٢]

١٠ - يتبعْنَ جاهلةَ الزِّمامِ كأنَّها إحدى القناطرِ وهي حَرفٌ ضامرُ[٣]

١١ - يقولُ أناسٌ إنَّ مروَ بعيدةٌ وما بعُدَت مروٌ وفيها ابنُ طاهرِ[٤]

وأبعدُ من مروٍ رجالٌ أراهُمُ بحضرتنا معروفُهم غيرُ حاضرِ

عن الخيرِ موتى لا تبالي أزُرتَهم على طمعٍ أم زرتَ أهلَ المقابرِ

١٢ - إن ماتَ معنُ بني شريكٍ لم يزل لِندًى إلى بلدٍ بغيرِ مُسافرِ[٥]

١٣ - بكى الشّامُ معناً يومَ خلّى مكانَهُ فكادت له أرضُ العراقَيْنِ ترجفُ[٦]

---

(١) نثر النظم ١٨

(٢) تاريخ الخلفاء ١١٠ ، وانظر ق ٢٩

(٣) التشبيهات لابن أبي عون ٦٨

(٤) البصائر والذخائر ١ / ٩١ ، وعيون التواريخ المجلد السابع حوادث « ٢٣٠ » ، والبيت الثالث في محاضرات الأدباء ٢ / ٥٩٦ لأبي هفان .

(٥) مطلع الفوائد ٨٤

(٦) العقد الفريد ٣ / ٢٢٠ - ٢٢١

ثوى القائدُ الميمونُ والذائدُ الذي ... به كانَ يُرمى الجانبُ المتخوّفُ
أتى الموتُ معناً وهو للعرضِ صائنٌ ... وللمجدِ مبتاعٌ وللمالِ مُتلفُ
وما ماتَ حتّى قلّدتهُ أمورَها ... ربيعةُ والحيّانِ قيسٌ وخندِفُ
وحتّى فشا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ ... أيادٍ لهُ بالضّرِ والنّفعِ تُعرفُ
وكم مِن يدٍ عندي لمعنٍ كريمةٍ ... سأشكرُها ما دامتِ العينُ تطرفُ
بكتهُ الجيادُ الأعوجيّةُ إذ ثوى ... وحنَّ مع النّبعِ الوشيجُ المثقفُ
وقد غنيت ريحُ الصّبا في حياتِهِ ... قبولاً فأمست وهي نكباءُ حرجفُ

١٤ ـ يا خيزرانُ هناكِ ثمَّ هناكِ ... أمسى يسوسُ العالمينَ ابناكِ (١)

١٥ ـ كلُّ فتاةٍ قصيرةٍ سمنت ... مُسودةً لا ألذُّ نيكاها (٢)

١٦ ـ لكَ الفضلُ يافضلَ بن يحيى بن خالدٍ ... وما كلُّ مَن يُدعى بفضلٍ لهُ الفضلُ (٣)
رأى اللهُ فضلاً منكَ في الناسِ شائعاً ... فسمّاكَ فضلاً فالتقى الاسمُ والفعلُ
وزادكَ فضلاً أنّ أهلكَ في الورى ... كرامٌ إذا أزرى بذي الشّرفِ الكهلُ
ولم يُبقِ فيكَ الجُودُ للبخلِ موضعاً ... فأصبحَ يستعدي على جودِكِ البخلُ
إذا كذبتْ أسماءُ قومٍ عليهم ... فإسمكَ صِدّيقٌ لهُ شاهدٌ عدلُ

١٧ ـ عُقِدت لموسى بالرّصافةِ بيعةٌ ... شدّ الإلهُ بها عرا الإسلامِ (٤)
موسى الذي عرفت قريشٌ فضلَهُ ... ولها فضيلتُها على الأقوامِ

---

(١) تاريخ الطبري ٨ / ٢٣٣ ، وتاريخ الخلفاء ١١١ ، وهو في تاريخ الموصل ٢٥٧ لأبي المعافى .

(٢) التشبيهات لابن أبي عون ٢٩٦

(٣) البداية والنهاية ١٠ / ٢١١ ، وغرر الخصائص ١٧١ . وانظر ق ٥٣

(٤) تاريخ الخلفاء ١٠٧

بمحمّـدٍ بعـــدَ النبيّ محمّـــدٍ — حيِيَ الحلالُ ومـاتَ كلُّ حرامِ
مهديّ أمّتـــهِ الذي أمست بهِ — للذّلِ آمنــةً وللإعـــدامِ
موسى وليّ عهدَ الخلافةِ بعدَه — جفّت بذاكَ مواقـــعُ الأقلامِ
١٨ - يكادُ يخرجُ من ديباجِ أوجههم — خوفَ المذلّةِ حتّى ينفطرنَ دَمَا(١)
١٩ - ومنهلٍ آجنٍ للعنكبوتِ به — نسجٌ يُرى فوقَ طامي مائهِ الدّمنِ (٢)
٢٠ - إني إلى كلِّ أرضٍ أنتَ ساكنُها — صَبٌّ وإن كنتُ عنها نازحَ الوطنِ (٣)
قلّدتَني منكَ حبلاً فاعتصمتُ بهِ — أسبابُهُ غيرُ رثّاتٍ ولا وُهُنِ
تضيقُ أعطانُ قومٍ إن هُمُ سُئلوا — وأنتَ بالخيرِ سهلٌ واسعُ العطنِ
لو لم تكن للندى جاراً فتطلقهُ — ما انفكَّ والبخلُ مجموعَينِ في قَرَنِ
٢١ - أبا جعفرٍ صلّى عليكَ إلهُنـــا — فرزؤكَ أمسى أعظمَ الحدثانِ (٤)
بكى الثقلانِ الإنسُ والجنُّ إذ ثوى — ولم يبكِ ميتـاً قبلكَ الثقلانِ
٢٢ - وأكرمُ قبرٍ بعدَ قبرِ محمّـدٍ — نبيِّ الهُدى قبرٌ بماسبَذانِ (٥)
عجبتُ لأيدٍ هالتِ التربَ فوقَهُ — ضحـىً كيفَ لم ترجعْ بغيرِ بنانِ
٢٣ - إني أقولُ قصـــائداً جوّالةً — أبداً تجولُ خوالعـــاً أرسانَها(٦)
من كلّ قافيـةٍ إذا جرّبتُهـــا — جمحَت فلم تملكْ يداي عنانَها

---

(١) محاضرات الأدباء ١ / ٢٨٤
(٢) شروح سقط الزند ٢ / ٨٢٠
(٣) المنازل والديار ٢١١ ، وانظر ق ٦٩ .
(٤) البدء والتاريخ ٦ / ٩٢ ، وتاريخ الموصل ٢٣٠
(٥) وفيات الأعيان ٢ / ٢١٠ ، ٥ / ٣٤١ ، والبدء والتاريخ ٦ / ٩٩
(٦) الأشباه والنظائر ٢ / ٢٦٦ ، وانظر ق ٧١

سارت بيوتي في البــلادِ فأمعنت وبيوتُ غيري لم تَرِمْ أوطانَها

٢٤ - يُقيمُ الرجـالُ الموسرونَ بأرضهم وترمي النوى بالمقترينَ المراميا(١)

وما فارقوا أوطـــانَهم عن ملالةٍ ولكنْ حذاراً مِن شماتِ الأعاديا

٢٥ - أقبلَ ينقضُّ انقضاضَ الكوكبِ(٢)

كأنّهُ بازٍ هوى من مرقـــبِ

يطلبُ صيـــداً في فضاءٍ سبسبِ

لجـــائعٍ في وكرِهِ مزغّـــبِ

٢٦ - إن تحبسوني فالكـــريمُ يُحبسُ(٣)

إني لَسامي الناظرَينِ أشـــوسُ

مصـــابرٌ حتّى تجيشَ الأنفـــسُ

لا ســـاقطٌ علـــجٌ ولا مدنّسُ

عرضـــي نقـــيٌّ وأديمـــي أملسُ

٢٧ - إنَّ أميرَ المؤمنين المصطفى(٤)

قـــد تركَ الصفصافَ قاعاً صفصفا

٢٨ - هـــذا لعمري مجلسٌ دنيٌّ(٥)

---

(١) غرر الخصائص ٢١١

(٢) محاضرات الأدباء ٤ / ٣٠٥

(٣) البصائر والذخائر ٢ / ٤٥٣

(٤) تاريخ الطبري ٨ / ٢٦٨ ، وتاريخ الموصـــل ٢٩٠ ، وعيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨١ »

(٥) نور القبس ٢٩٥

ثلاثةٌ كلهمُ دعيُّ

– ٣ –

كما اختلفت بعض المصادر في نسبة العديد من المقطعات إلى مروان بن أبي حفصة . وقد وفّق الدكتور حسين عطوان إلى أن يميز عدداً كبيراً منها ، ولكنه غفل عن طائفة أخرى متنازع فيها فجعلها ضمن الصحيح من أشعاره ، وفيما يلي بيان ذلك :

١ – ق/٥ : ٢١

موفّقٌ لسبيلِ الرُّشدِ متّبِعٌ يزينه كلُّ ما يأتي ويجتنبُ
تسمو العيونُ إليهِ كلَّما انفرجت للناسِ عن وجههِ الأبوابُ والحجبُ
له خلائقُ بيضٌ لا يغيّرُها صَرفُ الزمانِ كما لا يصدأُ الذهبُ

ذكرها الباخرزي في دمية القصر ٢٩٨ ، ونسبها إلى أبي فارس حسين الأديب ، وفيه : « ولم يبلغني له شعر غير هذه الأبيات » . والأبيات الثلاثة في غرر الخصائص ١٠ غير منسوبة .

٢ – ق/٦ : ٢٢

يا أكرمَ النّاسِ من عُربٍ ومن عَجمٍ بعدَ الخليفةِ يا ضرغامةَ العربِ
أفنيتَ مالكَ تُعطيهِ وتُنهِبُهُ يا آفة الفضّةِ البيضاءِ والذّهبِ
إنَّ السّنانَ وحدَّ السيفِ لو نطقا لأخبرا عنكَ في الهيجاءِ بالعجبِ

والبيتان ٢ ، ٣ في غرر الخصائص ١٨٤ غير منسوبين ، وفيه : « وحكى أبو بكر الماردانى قال كنت أساير أبا الجيش خمارويه بن أحمد ابن طولون ، وكان قد خرج إلى الصيد بدمشق إذ تلقاه أعرابي فأخذ بعنان فرسه وقال : . . . » . وهما في جمع الجواهر ٣١٦ غير منسوبين أيضاً .

أما المرزباني فقد ذكر البيت الثالث في معجم الشعراء ٣٩٨ ضمن مقطعة في أربعة أبيات ونسبها إلى مروان بن صرّد يمدح بها يزيد بن مزيد الشيباني ، ولكن الحصري ذكر في جمع الجواهر ٣١٦ أبيات مروان ابن صرّد دون أن يروي البيت الثالث فيها .

وإذا صحت رواية غرر الخصائص فالأبيات ليست لمروان بن أبي حفصة لأن وفاة خمارويه بن أحمد كانت في سنة ٢٨٢ .

٣ - ق/٢٢ : ٤١

لله درُّكِ يا عقيلة جعفرٍ ماذا ولدتِ من العُلا والسؤددِ

إن الخلافةَ قد تبيَّن نورُها للناظرينَ على جبينِ محمّدِ

أثبتها المحقق عن العقد الفريد ٢١٨/١ ، ولكنها لم يُنسبا فيه إلى مروان بن أبي حفصة ، وإنما نُسبا إلى أبي الجنوب : « قال أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة » . وأبو الجنوب هو عبد الله بن مروان بن أبي حفصة ، وعليه فإن صحة العبارة : « قال أبو الجنوب بن مروان بن أبي حفصة » . ويؤيد ذلك ماجاء في كتاب الورقة ٤٥ :

« قال أبو هفّان : وذكر ابن إدريس بن سليمان . . . أن هذه الأبيات لجبلة بن يحيى بعض آل أبي حفصة . قال : والحق عندنا أنها لعبد الله لأن ذلك لم يكن يحسن هذا الكلام » .

ويزاد فيها :

إني لأعلمُ إنّهُ لخليفةٌ إن بيعةٌ عُقدت وإن لم تُعقدِ

وانظر كذلك ديوان مروان بن أبي حفصة ص ٧ : ٤

٤ - ق/٣٠ : ٤٩

لو كنتَ أشبهتَ يحيى في مناكحِهِ لما تنقّيتَ فحلًا جدُّهُ مَطَرُ
للهِ درُّ جيادٍ كنتَ سائسَها ضيّعتَها وبها التحجيلُ والغُرَرُ
نبّئتُ خولةَ قالت يومَ أنكحتَها قد طالَ ما كنتُ منكَ العارَ أنتظرُ

أثبتها المحقق عن الأغاني ٩/٤٤ ، والصواب أن الأبيات للقُلاخ في هجاء مقاتل بن طَلَبَة . وهي في طبقات الشعراء ٤٤ ، والشعر والشعراء ٢/٧٣٩ ، والكامل ١/٢٧٢ ، وعيون الأخبار ٤/١٦ ، وفي طبقات الشعراء :

« ويقال إن أبا حفصة كان يهودياً فأسلم على يدَي عثمان ، فأثرى وكثر ماله وتولى الحَزن ابني أمية ، وتزوج خولة بنت مقاتل بن طلبة ... فقال في ذلك القلاخ الشاعر يهجو مقاتل بن طلبة ... » .

وفي الشعر والشعراء ، والكامل ، وعيون الأخبار أن يحيى بن أبي حفصة هو الذي تزوج خولة بنت مقاتل . وللقلاخ ترجمة مقتضبة في الشعر والشعراء ٢/٧٠٧ ، والمؤتلف والمختلف ٢٥٣ ، والتكملة ٢ /١٦٩ مادة (قلخ) . ويزاد ضمن أبيات المقطعة :

أنكحتَ عبدَينِ ترجو فضلَ ماليهما في فيكَ ممّا رجوتَ التُّربُ والحجرُ

٥ - ق/٣١ : ٥٠

أتظنُّ يا إدريسُ أنّكَ مفلِتٌ كيدَ الخليفةِ أو يقيكَ فِرارُ
فليأتينّكَ أو تحُلُّ ببلدةٍ لا يهتدي فيها إليك نهارُ
إنّ السيوفَ إذا انتضاها سخطةً طالت وتقصرُ دونها الأعمارُ
ملكٌ كأنَّ الموتَ يتبعُ أمرَهُ حتّى يُقالَ تُطيعُهُ الأقدارُ

الأبيات الثلاثة الأولى لأشجع السلمي في شرح المقامات ٢٩٣/١ ، وزهر الآداب ١٦٦/٤ ، والبيتان ١ ، ٢ في الأشباه والنظائر ٢ / ٢٤٢ لبعض بني أبي حفصة ، والأبيات الأربعة في تاريخ الطبري ٨ / ١٩٩ ، وفيه : « فقال في ذلك بعض الشعراء أظنه الهنازي ... » ، والبيت الأخير منها في أشعار أبي الشيص الخزاعي ٦١ ، ومحاضرات الأدباء ١٦١/١ ، وفي مقاتل الطالبين ٤٩٠ : « وقال رجل من أولياء بني العباس يذكر قتل إدريس بن عبد الله ... قال ابن عمار : وهذا الشعر عندي يشبه شعر أشجع بن عمرو السلمي وأظنه له . قال أبو الفرج الأصفهاني : وهذا الشعر لمروان بن أبي حفصة أنشدنيه علي بن سليمان الأخفش له » .

٦ — ق/٤١ : ٦٢

بكت عنَانُ مسبلٌ دمعُها كالدّرِ إذ يسْنُنُّ مِن خيطِهِ

والبيت مُتنازع فهو لأبي نواس في محاضرات الأدباء ٣/٧٧ ، وبدائع البدائه ٨٤/١ ، وديوانه ١/٨٠ ، ولبكر بن حمّاد الباهلي في العقد الفريد ٥٤/٧ . كما نسبته عدة مراجع أخرى إلى مروان بن أبي حفصة ومنها : نهاية الأرب ٥/٧٦ ، ونساء الخلفاء ٤٨ ، وكتاب الورقة ٤١ ، وعيون التواريخ المجلد السابع حوادث « ٢٣٠ » ، وانظر كذلك المحاسن والأضداد ١١١ ، وفي أغلب هذه الكتب أن عناناً قالت :

فليتَ من يضربُها ظالماً تجفُّ يمناهُ على سوطِهِ

٧ — ق/٧٦ : ١١٨

لعمري لنعمَ الغيثُ غيثٌ أصابنا ببغدادَ من أرضِ الجزيرةِ وابلُهْ
فكنّا كحيٍّ صبّحَ الغيثُ أهلَهُ ولم ترتحِلْ أظعانُهُ ورواحلُهْ

البيتان في محاضرات الأدباء ٤/٥٨٣ وفيه :

« أنشد مروان بن أبي حفصة قول الشاعر :

إذا جئتُ أعطاني وإن أنا لم أجيء أتاني َمِن جدواهُ ما كنتُ أرتجي

فقال مروان : قد قلتُ أحسنَ من هذا ، بعث إليَّ عبد الله بن طاهر عشرين ألفاً فقلتُ فيه ... » .

وهما لمروان أيضاً في ديوان المعاني ١/٦٥ ، ومعهما بيت آخر هو :

ونعمَ الفتى والسدُّ بيني وبينهُ بعشرينَ ألفاً صبَّحتني رسائلُهْ

ونسبا في كتاب الورقة ٤٥ إلى عبد الله بن مروان بن أبي حفصة ، ولذلك جعلها المحقق ضمن الشعر المختلط ، والصواب أن البيتين لمروان . ويزاد فيها من كتاب الورقة :

أتى جودُ عبدِ الله حتّى كفَتْ به رواحلَنا سيرَ الفلاةِ رواحلُهْ

– ٤ –

وقد رأيت أن أضيف بعض التخريجات لقصائد الديوان ومقطعاته دون تبيان عدد الأبيات أو نسبتها في كل مصدر .

ق/٨ : خزانة الأدب ٢١٠

ق/١٢ : شرح المقامات الحريرية ١/٣٧

ق/١٤ : الأشباه والنظائر ١/٢٢٠

ق/٢٤ : العقد الفريد ٢/٢٩٦

ق/٢٩ : تاريخ الخلفاء ١١٠

ق/٣٤ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٧٠ » والأشباه والنظائر ١/١٥٩

ق/٣٥ : الشعر والشعراء ٤٦٧/١ ، ومحاضرات الأدباء ٢٥٥/١ ، ونور القبس ١٨٥ ، وشروح سقط الزند ١٥٧٤/٤

ق/٣٧ : اللسان والتاج « زمل » ، والإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٥٥ ، والمصون في الأدب ١١ ، ومقدمة الأعلم على شرح الدواوين الستة .

ق/٣٩ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٦٥ » ، وتاريخ الموصل ٢٤٦ ، والبدء والتاريخ ٩٦/٦ ، والبداية والنهاية ١٤٧/١٠

ق/٤٠ : التنبيه والإشراف ١٩٠ ، والبداية والنهاية ٢٠١/١٠

ق/٤٢ : ثمرات الأوراق ١٩٢

ق/٤٩ : محاضرات الأدباء ٣١٦/٣

ق/٥٠ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٥١ » ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث ، ومحاضرات الأدباء ٥٢٥/٤ ، ونور القبس ١٣٨

ق/٥١ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٥١ » ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث .

ق/٥٢ : البداية والنهاية ١٥٩/١٠

ق/٥٣ : تاريخ الموصل ٢٨١ ، وكتاب الورقة ٩٣

ق/٥٥ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨٢ » ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وغرر الخصائص ١٥ ، ١٨ ، والمستطرف ١/ ١٤٨ ، ونهاية الأرب ١٤٧/٧ ، والأشباه والنظائر ٢١/١ ، ولباب الآداب ٣٦٥ ، ومحاضرات الأدباء ٢٦٦/١ ، وخزانة الأدب ٤٣٤

ق/٥٨ : تاريخ الموصل ٢٨١

ق/٦٠ : محاضرات الأدباء ٥٤٩/٢

ق/٦١ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨٢ » ، والوافي

بالوفيات المجلد الثالث ، ووفيات الأعيان ٣٥٧/٣ ،وحلبة الكميت ١٨٨ ، ونور القبس : ١٣٩

ق/٦٤ : الرسالة الموضحة ١٥

ق/٦٥ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٧٦ » ، والبداية والنهاية ١٦٧/١٠

ق/٦٦ : عيون التواريخ المجلد السابع حوادث « ٢٢٠ » ، وتاريخ الموصل ٢٧٨

ق/٦٨ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨٢ » ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وثمرات الأوراق ٢٠٦ ، والمستطرف ٦٤/١

ق/٦٩ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨٢ »

ق/٧٣ : طبقات الشعراء ٦٢ ، والرسالة الموضحة ١٤٢

ق/٧٥ : البداية والنهاية ٢٧٦/١٠ ، وكتاب بغداد ٣١٣ ، والكامل في التاريخ ٢٣٠/٥ ، ومحاضرات الأدباء ٤٠٥/٤ ، وتاريخ الخلفاء ١٢٥

حلب **محمد يحيى زين الدين**

الأوائل لأبي هلال العسكري

تحقيق محمد المصري ووليد قصاب

طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٥

الأستاذ إبراهيم صالح

هذا الكتاب حققه أستاذان فاضلان ينتميان إلى جيل عرف حق عربيته وواجبه في إحياء آثار سلفه ، فعملا في تحقيق أصل قيّم من أصول تراثنا الزاهر ، ناهيك عما في نفوس العلماء والأدباء لأبي هلال العسكري من منزلة رفيعة وتقدير عظيم .

وقد قام المحققان بهذا العمل وتكبدا مشقة تصحيحه وتخريجه بدافع الغيرة على هذا التراث بعد أن لم يرتضيا تحقيق الأستاذ محمد السيد الوكيل ، وبذلا كل ما في وسعها لإخراج الكتاب في حلته القشيبة هذه . وإني لأستميحهما عذراً في أن أضيف إلى عملهما بعض الاستدراكات والتخريجات لا تعدو في مضمونها أن تكون اعترافاً بجميل صنعهما ، ولعلّ فيها بعض الفائدة . وكلنا يسعى نحو الأفضل ، والكمال لله وحده .

الاستدراكات :

١ — يضاف إلى قائمة كتب الأوائل التي صنفت بعد أبي هلال ص ١٤ مايلي : ٩ — كتاب الأوائل لإسماعيل الموصلي المتوفى سنة ٦٢٩ وهو ينقل عن العسكري .

ذكره البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب ٢ / ٢٧٩ ط دمشق ونقل منه وقال : « هذا ما ذكره الموصلي تبعاً للعسكري » ٢/٢٨٢

٢ - ص ١٢/١ : البيت : وبيعاً كعبة الرحمن جمعاً ...

قلت : في ثمار القلوب للثعالبي ١٠٦ ط ١٩٠٨ : حمقاً ، ولعله أصوب .

٣ - ص ٣٤/١ : نقل السيوطي نيران العرب ملخصاً عن العسكري في شرح شواهد المغني ٣٠٥ - ٣١٠ ط دمشق بتحقيق كوجان . وفيه من التصحيف ما لا يخفى .

وفي ثمار القلوب للثعالبي بحث واسع تحدث فيه عن أنواع النيران بما أربى على ما عند العسكري من ص ٤٥٤ - ٤٦٩

وفي شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٢٧٩/٢ بحث في نيران العرب نقله من كتاب الأوائل لإسماعيل الموصلي .

٤ - ص ٤٧/١ : البيت :

يشفون آبالَهُمْ بالنـــار والنار قد تشفي من الأوزار

قلت : كذا ! ولا يستقيم معنى البيت مع ما شرحه المؤلف بعد إنشاده ، وصواب روايته :

يسقون آبالهم بالنـــار والنار قد تشفي من الأوار

وقد نقله السيوطي ٣٠٩ و ٣١٦ بهذه الرواية وصرّح بنقله عن أوائل العسكري ، وبهذه الرواية عند البغدادي ٣٠٠/٢ وهو من أبيات النحويين .

٥ - ص ٧٠/١ : البيت .... وما بل بحر صوفة بنكاف

صوابه : بنطاف ، كما في الشرح بعده . وهذا لا شك خطأ مطبعي .

٦ - ص ٧٦/١ : س ١٩ : فقال له أبو الحارث حمير . كذا

وصوابه جمين أو جميز . راجع عيون الأخبار ٣/٢٥٥ والحاشية .

٧ - ص ١/١٤٤ : البيت :

هوت بي إلى حبها نظرة هويّ الفراشـــة للجـــاحم

قلت : في ثمار القلوب ٣٩٩ : في الجاحم ، ولعله أصوب .

٨ - ص ١/١٥٠ : س ٤ : في أكنافم . صوابه : في أكنافهم . وهو خطأ مطبعي .

٩ - ص ١/١٩٥ : س ٤ : إلا كذابٌ فقيرٍ . صوابه : إلا كذابٌ مفترٍ . التصويب عن الطبري ٢/٣١٠

١٠- ص ١/٢٤٨ : ص ١٦ :فإني لهم وفر . صوابه : فأنّى لهم وفر ولسنا ذوي وفر ؟

١١ - ص ١/٣٢١ : س ٢١ الحاشية : وجعل قاعدة ملكه الشام . خطأ ، صوابه : المدينة المنورة .

١٢ - ص ١/٣٢٧ : س ١٢ : فاتبعه خالد بن خلي الكلابي فقتله . قلت : في الطبري ٥/٥٣٩ أن قاتل النعمان بن بشير هو عمرو بن الخلي الكلاعي .

١٣ - ص ١/٣٦٠ : س ٢ : بعد أبيه . صوابه : بعد ابنه . وراجع ص ١/١٤٢ ج ٤

* * *

اهتمام المحققين بالتخريج شجعني أن أضيف إلى عملها هذه التخريجات ولعلها لا تخلو من فائدة :

١ - ص ١/١١ : يضاف إلى الحاشية ٤ : وثمار القلوب ١٠٦ ، وشروح سقط الزند ٥/١٩٤٢ — ١٩٤٣

٢ - ص ١/٢٥ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٢٦٩ حيث فيه الكلام بكامله . والمعمرين ٦١

٣ - ص ١/٢٧ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وثمار القلوب ٢٨٥

٤ - ص ١/٣٥ : يضاف إلى الحاشية ٤ : ورسالة النيروز لابن فارس ضمن نوادر المخطوطات ٢/١٩ ، وديوانه ٣٦ (بشير يموت) .

يضاف إلى الحاشية ٦ : ورسالة النيروز ٢/١٩ للورل الطائي ، وثمار القلوب ٤٦١ والسيوطي ٣٠٦ وفيها للودك الطائي .

يضاف إلى الحاشية ٩ : وثمار القـــلوب ٤٦١ والسيوطي ٣٠٥ والبغدادي ٢/٢٧٩

٥ - ص ١/٣٧ : يضاف إلى الحاشية ١ : وثمار القلوب ٤٥٩ ، وإلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٤٥٩ (نار المسافر) .

٦ - ص ٣٨ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القـــلوب ٤٦١ (نار الإنذار) .

يضاف إلى الحاشية ٦ : وثمار القلوب ٤٥٦ والمعارف ٦٢ والسيوطي ٣١٠ والبغدادي ٢/٢٨٠

٧ - ص ٤٠ : يضاف إلى الحاشية ٣ : البغدادي ٢/٢٨١ . ونار الصيد في ثمار القلوب ٤٦٢

٨ - ص ٤١ : يضاف إلى الحاشية ٢ : ونار الأسد في ثمـــار القلوب ٤٦٠ تحت عنوان : نار التهويل .

٩ - ص ٤٢ يضاف إلى الحاشية ٤ : وثمار القلوب ٤٦٢ - ٤٦٣ وشروح سقط الزند ٢/٥٠٦ - ٥٠٧

يضاف إلى الحاشية ٧ : وثمار القلوب ٤٦٣ برواية أخرى .

١٠ - ص ٤٣ : ونار القرى في ثمار القلوب ٤٥٧ والسيوطي والبغدادي .

١١ - ص ٤٥ : ونار الحرب في ثمار القلوب ٤٥٨ والسيوطي والبغدادي.

١٢ - ص ٤٥ : يضاف إلى الحاشية ١١ : وكتاب العصا لأسامة ابن منقذ ضمن نوادر المخطوطات ٢٠٢/١ ، ولم يجد محققه الأستاذ عبد السلام هارون البيت في ديوان أبي طالب المخطوط بخط الشنقيطي .

١٣ - ص ٦٠ : يضاف إلى الحاشية ١ : وقطب السرور ١٨٧ وإلى الحاشية ٣ : وقطب السرور ١١٨ - ١١٩ وأخبار الأذكياء لابن الجوزي ٤٠ (خولي) .

١٤ - ص ٦١ : الخبر في قطب السرور ١٥٨ - ١٥٩

١٥ - ص ٧١ : يضاف إلى الحاشية ١ : وثمار القلوب ١١٠

١٦ - ص ٨١ : يضاف إلى الحاشية ٦ : وثمار القلوب ٥١٥ مع آخر قبله ، وديوانه ١٩ (بشير يموت) .

١٧ - ص ٨٤ : خبر قس بن ساعدة ، نقله عن أبي هلال أسامة ابن منقذ في كتاب العصا . نوادر المخطوطات ١٨٥/١

يضاف إلى الحاشية ٢ : وثمار القلوب ٩٥

١٨ - ص ٨٥ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وثمار القلوب ٩٥ ومعجم الشعراء ٢٣٢ والعصا ١٨٦/١ وإعجاز القرآن للباقلاني ١٥٢

١٩ - ص ٨٩ يضاف إلى الحاشية ٦ : والمعمرين ٥٧ ، وفيه اسم الجارية : خصيلة .

٢٠ - ص ٩٠ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والمعمرين ٦٤

٢١ — ص ٩٤ : الخبر في رسائل الجاحظ ١٣٢/٢ — ١٣٣ بتحقيق عبد السلام هارون .

٢٢ ص ١٠١ : يضاف إلى الحاشية ٥ : والمفضليات ٢٦٧ ومعجم الشعراء ٤٣٢ — ٤٣٣ والتنبيه والاشراف (مصورة الأوربية) ١٨٧ ، وثمار القلوب ١٤٣ ، والأول في عيون الأخبار ٢٧٤/١

يضاف إلى الحاشية ٦ : وديوان الهذليين ١١٦/٢ والأغاني ٤٢٢/٢١ (ط. هيئة) ، والأخير في ثمار القلوب ١٤٣

٢٣ — ص ١٠٢ : قصة الزباء وجذيمة الأبرش في : أسماء المغتالين لابن حبيب ضمن نوادر المخطوطات ١١٢/٢ — ١١٥

٢٤ — ص ١١٤ : المثل : شب عمرو عن الطوق . في ثمار القلوب ٥٠٥ والتنبيه والاشراف ١٨٧ ونسب قريش ١٠٠ والفاخر ٧٣ والمعارف ٦١٨ ، وغيرها كثير .

٢٥ — ص ١١٥ : عن أولية الكتابة العربية يراجع التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ١٩ — ٢٠ (ط . المجمع) .

٢٦ — ص ١١٧ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والأغاني ٣١٣/١٧ — ٣١٤ (ط. هيئة) .

٢٧ — ص ١٢٧ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وكنى الشعراء لابن حبيب ضمن نوادر المخطوطات ٢٨٨/٢

٢٨ — ص ١٤٠ : الخبر في إحكام صنعة الكلام للكلاعي ٥٥ (ط. دار الثقافة) .

٢٩ — ص ٢٢٨ س ١١ : وذكروا أن عروة بن الزبير ... الخبر

في ثمار القلوب ٢٤٠ (عجائز الجنة) نقلاً عن الزبير بن بكار . ولم أقف عليه في الجزء المطبوع من جمهرة نسب قريش الزبير .

٣٠ – ص ٢٣٦ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وقطب السرور (مرتين) ١٨٨ و ٥٠١

٣١ – ص ٢٦٤ : س ٣ : وذكر لبعض الخلفاء . قلت : هو المتوكل والخبر في أخبار الأذكياء لابن الجوزي ١٤٧ وأخبار الظراف ٨٦

٣٢ – ص ٢٦٦ : يراجع في أسباب النقمة على عثمان رضي الله عنه والرد عليها كتاب العواصم من القواصم لابن العربي ٥٣ – ١٠٩ ط التمدن الإسلامي بدمشق .

٣٣ – ص ٢٧٠ : س ١٤ : البيت في زجر النابح للمعري ٧٣ بلا عزو برواية : كليه وجريه جعار وأبشري ...

٣٤ – ص ٣٠٠ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ١/٣٠

٣٥ – ص ٣٢٤ : يضاف إلى الحاشية ٤ : وثمار القلوب ٩٩ وشروح سقط الزند ٢/٥٣٣ ومابعد . ويصحح في الحاشية نفسها : طاح وقمة .

٣٦ – ص ٣٨٦ : أبيات الرشيد ما عدا الأخير في كتاب الورقة لابن الجراح ١٩ يقولها في ماردة بنت شبيب أم أبي إسحاق .

٣٧ – ص ٢/٥٢ : يضاف إلى الحاشية ٦ : ونيمة الأشعث في ثمار القلوب ٦٩

٣٨ – ص ٢/٥٣ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٧٠ – ٧١ والكامل للمبرد ٣/٢٦٩

٣٩ — ص ٦٣ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والمعارف ٤٤٥ - ٤٤٦

٤٠ — ص ٩٦ : في قطب السرور ٦٢ قصة تشبه هذه .

٤١ — ص ٩٨ : يضاف إلى الحاشية ٥ : وثمار القلوب ١٤٢

٤٢ — ص ١١٥ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وفي المعارف ٤٣٠ ملخصاً ، وأخبار الأذكياء ٦٦

٤٣ — ص ١٢٩ : يضاف إلى الحاشية ١ : وإنباه الرواة ١/٤ ومابعد ، والمحكم في نقط المصاحف للداني ٣

٤٤ — ص ١٣٠ : يضاف إلى الحاشية ٦ : وإنباه الرواة ١/٥ والمحكم ٤ و ٦

٤٥ — ص ١٣١ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وعيون الأخبار ٢/١٦٤

يضاف إلى الحاشية ٣ : وإنباه الرواة ١/٢٢ وأمالي القالي ٢/١٤ (بولاق).

٤٦ — ص ١٣٢ : يضاف إلى الحاشية ٥ : وأخبار النحويين البصريين ٢٠ (كرنكو) .

٤٧ — ص ١٣٣ : يضاف إلى الحاشية ٢ : والكلام بنصه منقول عن المعارف ٤٩٨ — ٤٩٩

٤٨ — ص ١٤٧ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٤٦٤ لأحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور) .

٤٩ — ص ١٥٩ : يضاف إلى الحاشية ٤ : والمعارف ٦٣٢ والميداني ١/١١٤ ، وثمار القلوب ٢٤٠ ، والمستقصى ١/١٨ ، والاختيارين ٢٧٣ ، والبغدادي ٢/٤٧

٥٠ – ص ١٦٠ : س ٤ : قد أتتكم الشجر وأتتكم حمير : صوابه : أو أتتكم حمير .

٥١ – ص ١٦١ : س ٦ : شؤم طويس : في ثمار القلوب ١١٤

٥٢ – ص ١٧٤ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والأبيات الثلاثة في ثمار القلوب ٢٥٢

٥٣ - ص ١٧٥ : يضاف إلى الحاشية ٥ : والأول في التنبيه والإشراف ٢٨٦ لعطارد ، والثلاثة في ثمار القلوب ٢٥٢ لقيس بن عاصم .

٥٤ – ص ١٩٢ : يضاف إلى الحاشية ٤ : والخبر في المعارف ٦٦٠

٥٥ – ص ٢٢٠ : يضاف إلى الحاشية ٤ : والأرجوزة بكاملها في الطرائف الأدبية للميمني ٥٧ – ٧١ ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٨ عام ١٩٢٨

دمشق إبراهيم صالح

آراء وأنبــاء

الفقيد الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

في يوم السبت ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ ، ٢٩ أيار ١٩٧٦ انتقل إلى جوار ربه الأستاذ الشـيخ محمد بهجة البيطار عضو مجمع اللغة العربية في دمشـق بعد حيـاة مباركة مديدة قضاها في رعاية الثقـــافة العربية والدراسات الإسلامية في المساجد والمدارس ، والكليات والجامع .

ولد محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار في دمشق سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٤ م من أسرة معروفة بالعلم والفضل ، وتلقى عـــلومه الأولية في مدارسـها ، حتى إذا كانت مرحلة التعليم العالي شملته رعاية لفيف من كبار علماء دمشق ومحدثيها منهم : والده المرحوم بهاء الدين البيطار وجده الشيخ عبد الرزاق البيطار صاحب كتاب « حلية البشر » .

بدأ عمله في دمشق مدرساً للعلوم الدينية واللغة العربية والفرنسـية ثم شارك في المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في السعودية سنة ١٣٤٤ هـ وهناك استبقاه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في الحجاز فمكث من ١٣٤٤ - ١٣٥٠ أدار خلالها المعهد العلمي السعودي خمس سـنين وانيطت به كذلك أعمال أخرى إدارية وشرعية بتـكليف من جلالة الملك .

وبعد عودته من السعودية عمل في سنة ١٣٥٤ مدرساً للعلوم الدينية والعربية والفقهية في دمشق وبيروت ، حتى إذا كان عام ١٣٦٣ استدعي مرة أخرى لإنشـاء دار التوحيد في مدينة الطائف فمكث ثلاث سنوات عاد بعدها إلى دمشق فانتدب للتدريس في كليتي الآداب والشريعة .

انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق تقديراً لمكانته العلمية عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م ، ثم انتخب كذلك عضواً في المجمع العراقي سنة ١٩٥٤ م . وبعد توحيد مجمعي دمشق والقاهرة في سنة ١٩٦٠ م اعتبر عضواً في المجمع الجديد .

طوف في أكثر البلدان العربية والإسلامية وزار العالمين الشرقي والغربي وكان الدافع إلى رحلاته الكثيرة تثبيت دعائم الفصحى وتوطيد أواصر القربى بين أبنائها ، ونشر العقيدة الإسلامية والدفاع عنها ، والتنويه بالإسلام وحضارته .

ولعل أكثر رحلاته مشقة وأحفلها بالمخاطر والأهوال رحلته إلى الحجاز ونجد سنة ١٣٣٨ هـ بتكليف من جلالة الملك فيصل بن الحسين بغية عقد اتفاق عام بين أفراد الجزيرة ، ودفعاً للعدوان الأجنبي على البلاد العربية والإسلامية .

وكما كانت حياة فقيد المجمع حافلة بالنشاط والعمل كذلك كانت زاخرة بالنتاج ، فقد ألف عدداً كبيراً من الكتب منها : نقد عين الميزان ، والثقافتان الصفراء والبيضاء وكتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية . ومن الكتب التي حققها : كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر . كما نشر الكثير من المقالات في مجلة المجمع وفي مجلة التمدن الإسلامي وفي غيرهما .

أما في حياته الخاصة فقد كان مثالاً للتواضع والزهادة ، وصورة صادقة للجود والكرم .

رحم الله محدث الشام وأستاذ الجيلين فيها وجزاه الله لقاء عمله في الدنيا حسن ثواب الآخرة .

الفقيد الاستاذ أمين نخلة

في ١٤ أيار من عام ١٩٧٦ اخترمت يد المنون في بيروت دعامة من دعائم الفصحى وصوتاً طالما غنى الضاد ببيان مشرق ، ودافع عنها بعبارات صلبة ، قاطعاً الطريق على أعدائها من أنصار الحرف اللاتيني واللغة العامية .

في أيار من هذا العام صمت الرجل الكبير الذي أقعدته العلة في بيته سنوات عدة وعملت على قطع الصلة بينه وبين الماضي فكاد لا يذكر منه شيئاً ...

ولد الفقيد عام ١٩٠١ ، في بلدة « مجدل معوش » في قضاء الشوف حيث كان والده « رشيد نخلة » مديراً لتلك المنطقة .

ونشأ في أسرة ذات حظ من نعمة وجاه وثقافة وأدب ، فسهر والده على تربيته وتعليمه ورعى موهبته التي بدأت تتفتح مبكرة ، وللوراثة فيها حظ كبير ؛ فأرسله في صغره إلى « مدرسة الاخوة المريميين » في « دير القمر » انتقل بعدها إلى « الكلية البطريركية في بيروت » وتتلمذ على يد العالم اللغوي المعروف الشيخ عبد الله البستاني ، وبقي فيها حتى نهاية المرحلة الثانوية ، ثم انتقل إلى دمشق حيث نال شهادة

الإجازة في الحقوق ، عاد بعدها إلى بـــيروت وتابع دراسته في العـــلوم الإدارية في الجامعة اليسوعية في بيروت فنال فيها أيضاً شهادة « الليســانس » .

تقلب في مناصب سياسية هامة ، وعمل في الصحافة والمحاماة فكان له فيها مواقف مشرفة .

انتخب الفقيد عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٦.

ألف في الأدب والاجتماع والتاريخ والنقد . من مؤلفاته : « المفكرة الريفية » و « ذات العماد » و « الحركة اللغوية في لبنان » .

أما نتاجه الشعري فقد ظهر في أربعة دواوين : « الديوان الجديد » و « ليالي الرقمتين » و « في الهواء الطلق » و « دفتر الغزل » .

كان أمين نخلة اتباعياً في شعره إبداعياً في نثره ، ولكن الابداعية عنده لم تكن هرباً من الواقع وميلاً إلى التفرد والعزلة ، كانت هرباً من المدينة وحبـاً للريف .. حبـاً للطبيعة ومن فيها وما فيها ، وكرهاً لكل مظاهر الحضارة وبهارجها .

رحم الله فقيد العربية الغالي وعوض مجمعها عنه خيراً .

حفل استقبال الزميل محمد هيثم الخياط

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته السابعة من دورته المجمعية (١٩٧٥ ١٩٧٦) التي عقدها بتاريخ الرابع من ذي الحجة ١٣٩٦ الموافق للسابع من كانون الأول ١٩٧٥ ، الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم ١١١ والتاريخ ١٩٧٦/٢/٢٤ .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الجديد في جلسة علنية عقدها في بناء المجمع « قاعة المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي » بتاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٣٩٦ الموافق ٢٩ نيسان ١٩٧٦ ، دُعي إليها نخبة من رجال الفكر والثقافة .

وافتتح الحفل الأستاذ الرئيس حسني سبح بكلمة أشاد فيها بالعضو الجديد وكفاءته مشيداً بعلمه وخلقه وفضل أبيه الجامعي الكبير الدكتور حمدي الخياط على العربية ، متمنياً أن يفيد المجمع من مواهبه ونشاطه .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور شكري فيصل خطاب الاستقبال تحدث فيه عن الزميل المجمعي الجديد .

ثم ألقى الدكتور محمد هيثم الخياط خطابه الذي تحدث فيه عن سلفه المرحوم الكواكبي .

ونتشر فيما يلي نص الخطابين :

خطاب الدكتور شكري فيصل

في حفل استقبال الدكتور محمد هيثم الخياط

حين نأخذ أنفسنا بالتفكير في تاريخنا الحديث منذ بدأنا حركة النهضة فإن جملةً من الأحداث الضخمة ، وطائفةً من الظواهر البارزة ، تتلامح لأعيننا ثم تقترب منا ، ثم تقف لنا كما تقف الأعلام والصُّوى على الطريق الذي قطعته حياتنا العربية المعاصرة .

وحين نمضي نتعقب هذه الأحداث أو نستجلي هذه الظواهر ، بعيداً عما يكون رافقها أو يرافقها من الضجات المصطنعة ، بعيداً عما أهيل أو يهال عليها من الأضواء الملونة ، حين نفعل ذلك نغمض أعيننا عن البريق الخاطف ونصمّ آذاننا عن الصوت المصطنع ونتجاوز الأحداث المجوفة — فإن واحدة من هذه الظواهر الجوهرية الخالدة لا تلبث أن تستأثر بانتباهنا ثم لا تلبث أن تستبدّ بنا ، بما امتدّ من أبعادها ، وانتشر من مآثرها ، وخلّد من آثارها .

هذه الظاهرة التي عنيتُ والتي ترتفع لأعيننا في الأفق العربي كما ترتفع نجمة القطب مضيئةً وهادية ، هي التي ارتسمت منذ خمسين سنة أو يزيد على سماء دمشق ، على أفقها الغربي وعلى أفقها الشرقي . فأما الأفق الغربي فقد كان ذلك حين أخذت الجامعة السورية طريقها الجديد لتكون الجامعةَ

العربية الأولى لغة وروحاً ، فوصلت بذلك ما بين العرب وبين ما انقطـع من ثقافتهم منذ نحو سبعة قرون .. وأما على الأفق الشرقي فقد كان ذلك حين تأسس المجمع العلمي العربي ليكون أبا المجامع العربية المرتقبة ،فوصل بذلك ما بين العرب وبين تراثهم كلّه في الجاهلية والإسلام ، وفجّر دفقة الحياة في المسيرة الحضارية الطويلة التي كانت تغالب القرون وتصارع الزمان وتستعلي على النكبات ، شامخة تنشد إذاعة المعرفة ونشر العلم وتؤكد أسس الحضارة العربية الإسلامية العريقة .

لقد كانت تلك لحظاتٍ فاصلةً في تاريخنا المعاصر الذي تعوّدنا أن ننظر إليه ، أكثر ما ننظر ، من جوانبه السياسية دون أن نذكر أن جهاده الثقافي ، في اللغة والفكر والعلم ، كان أصل الأصول في نهضته كلها .. وإلا فماذا كان يكون حال الفكر العربي والثقافة العربية والأصالة العربية اليوم لو لم تطلع في سماء هذا الوطن هاتان النجمتان المضيئتان في أفق دمشق الغربي وفي أفقها الشرقي .

من الجامعة ومن المجمع نستطيع أن نرصد مساحة واسعة — لعلها أوسع المساحات وأعمقهـا وأبعدها أثراً — من تاريخنا المعاصر في أكثر أقطارنا العربية . فعلى مقاعد الجامعة كان هذا اللقـاء والتعارف والتمازج بين مثقفي العرب وكان إحياء هذه الثقافة ، ومن ردهـات المجمع وأبهائه كانت تنبعث أولى حركات التأصيل للوجود العربي عن طريق تأصيل الوجود اللغوي وبالتالي عن طريق تأصيل الوجود الأدبي والوجود الفكري .

وكان هناك دائماً هذا النبض المشترك بين الجامعة والمجمـع .. ومن رفيف هاتين النجمتين المضيئتين ومن ألقهما كان يتكون هذا المشهد الرائـع المتحرك الذي كان يشق الدروب أمام الفكر العربي مرة وأمام الوحدة

العربية مرة أخرى ، إذ كان عمله مزدوجاً .. كان عملاً علمياً في أحد وجوهه ، وكان عملاً قومياً في وجهه الآخر .

هذا التكامل بين الجامعة والمجمع على طول مسار النهضة الحديثة لبس أردية مختلفة وتمثل على أشكال متعددات ، كان أبرزها هذا المصطلح العلمي الذي التقى عليه جامعيون ومجمعيون في مقر الجامعة أو في مقر المجمع، سعياً وراء الخروج بلغتنا العربية من إطارها الأدبي الذي تجمدت فيه في فترة من الزمن إلى إطارها الفكري والعلمي الذي يبيح لها أن تكون أداة طيعة خصبة في خدمة الحضارة العربية واستئناف دورتها .

وليس بيننا من يجهل هذه الأسماء البارزة التي كانت تعمل في الجامعة والمجمع معاً ، أو كانت تعمل في الجامعة وحدها أو في المجمع وحده . إن مثل أسماء الأساتيذ الطيبي الذكر الحميدي السيرة : كرد علي ، والمغربي ، والخاني ، ومرشد خاطر ، والبزم ، والتنوخي ، وصلاح الدين الكواكبي ستظل دائماً ملء أسماعنا وأبصارنا ، وستظل آثارها الخالدة ملء قلوبنا ، وستظل أسماؤها مشرقة لامعة في مجالات الحياة العلمية والحياة اللغوية كلها ، تثير عندنا العزائم وتقوّي الأمل وتضرب أروع الأمثلة على العمل العلمي الذي يرتبط دائماً بالمبدأ الأسمى ويعود إليه .

* * *

أحسبني من هنا أيها الصديق الكريم الذي نجتمع اليوم لاستقباله قد وقعت على الخيط الأول والأصيل من نسيج حياتك العلمية . . فقد كان والدك الأستاذ الجليل ، أستاذنا ووالدنا كذلك ، أحمد حمدي الخياط — مدّ الله في عمره — أحد هؤلاء الأساطين الذين قادوا سفينة الجامعة في هذا المحيط .. وإني لأتمنى هنا — في رغبة جامحة أحاول أن أكفكف من غربها — لو تحدثت عن هؤلاء العلماء الذين انقطعوا للعلم . . ولكنهم

آمنوا بأن هذا العلم يجب أن يكون بلغتهم وبمصطلحاتهم وألفاظهم .. لم يريدوه بلغة غيرهم ولو أرادوه لكان ذلك ، في حساب المشقات والجهد ، أيسر وأدنى ؛ ورفضوا أن يكون بواحدة من هذه اللغات الأجنبية التي كانت تلقي بظلها الثقيل هنا وهناك على الحياة العربية الناشئة في الشام أو في العراق أو في غيرهما من الأقطار العربية في الشمال الافريقي ، واتجهوا به شطر العربية حتى يزاوجوا بين اللغـة والفكر وحتى يُجنّبوا الأجيال الناشئة شرّ هذا التمزق بين لغةٍ نتحدث بها ولغة نفكر فيها ، وحتى يتفئّوا للمُثُل التي صدروا عنها ، والإيمان الذي التزموا به .. ولذلك آلوْا على أنفسهم أن تكون العربية أداتهم التي بها يكتبون حين يكتبون، ويفكرون حين يفكرون ، ويعلمّون حين يعلمون .. وتجاوز عالمٌ من أولي العزم من هؤلاء العلمـــاء هو المرحوم محمد جميل الخاني — الذي لم يلق حظه من التكريم — تجاوز اللفظ والمصطلـح إلى الرمز العلمي ذاته ، فحرص على أن تكون الرموز والمعادلات بالعربية كذلك . ولكنه لم يجد من يقاسمه هذا الحمل الثقيل أو يدفع معه على هذه الطريق الصعبة .

أبوك أيها الزميل الجديد كان واحـداً من هؤلاء الأعلام .. كان يعمل بإيمانٍ مؤمن ، وصدقٍ صادق ، وإخلاص طاهر ، وتعفف نبيل .. وكنتَ أنت تشهده في مخبره في الجامعة أو في مكتبته في البيت لا يكاد يرفع عينيه عن كتاب ينظر فيه أو لفظة ينقّر عنها أو مصطلح قـديم يجلوه ، أو كتابٍ هو حصيلة ذلك كله يصنفه ثم يضعه بين أيدي أبنائه وطلابه .

ألا يكون لي إذن أن أقول إنك مدين ، منذ نشأتك الأولى لهذا المثل الكريم الذي عشت في ظلاله ، ولهذه الأشياء التي كانت تشيـع من حولك فتتقلب بينها في بيتك : كتاباً ومكتبة وعملاً وبحثاً وتمحيصاً .

* * *

ولكنك لم تكن ابن بيئتك الصغيرة هذه وحدها ، وإنما كنت كذلك ابناً لهذه البيئة الكبرى التي كانت تحتاطك من حولك .. إن الجيل العربي الذي فتح أعينه على الحياة في الثلاثينيات ، في أواخرها ، واجه قضايا وطنه المستقل في الاربعينيات : بدأ يحسّ بها ، ثم بدأ يتعرف إليها ، ثم بدأ يمارسها بعد ذلك في أعقاب الجلاء .. وما من حادثة أخرى — فيما أقدّر — في حياة الوطن هي أضخم من حادثة الجلاء هذه .. لقد كانت نقلة عريضة واسعة ، وكانت ثورة حقة في كل ما يتصل بحياتنا الفردية أو حياتنا الاجتماعية أو حياتنا القومية .. ولا أزال أذكر — وكأن كل شيء من ذلك هو أمامي الآن — هذه اللحظات الخالدات التي ارتفع فيها علم الوطن فوق ثكنات الجامعة . لقد خرجنا من هذا الاحتفال ودموع الفرح ملء مآقينا .. كانت قلوبنا تجيب في صدورنا وجيب المستقبل وتخفق له .. كنا نحس أننا خرجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .. ولقد غابت عن أعينكم أنتم ساعات هذا الجهاد الصغير كما غابت عنكم ساحاته ، لتفتحوا أعينكم على مسؤوليات الوطن وجهاده الأكبر .

ومن هنا افترق ما بينكم وبين الجيل الذي سبقكم في أمور كثيرة وفي الحياة اللغوية بوجه خاص ، فقد حمل الذين مِنْ قبلكم على أن يقاطعوا اللغة الأجنبية ، لا إنكاراً لما يكون من عائدتها ، وإنما إمعاناً في إثبات الذات والتأبي على الغالبين في معركة لم يكن يملك الناس فيها إلا هذه السبل ، وقطعاً للطريق على غزوات الفكر والعقيدة ، وهي الغزوات التي تأتي مع القوي من خلال لغاته ، أو من خلال مغرياته .. وإنما أصاب منهم من أصاب من حظوظها عن طريق الجهد الشخصي والدأب الذاتي والدرس الخاص .. أما أنتم فقد كان عليكم أن تفتحوا أسماعكم وأبصاركم

وصدوركم لهذه اللغات الأجنبية ، لا على أنها لغات غازية ولكن على أنها أداة من أدوات المعرفة وطريق من طرق الغنى الثقافي ، وعلى أنها لغات رافدة ، وعلى أنها سبيل للمعرفة، وعلى أنها محققة للدعوة التي كان دعا بها نبي الإسلام – بأبي هو وأمي – منذ أمد بعيــد حين فرض أن يكون من بين المؤمنين به جمهرة تعي لغات الناس والعالم، تمهيداً للتلاقي بين اللغة العربية وبين هذه اللغات وإحاطة بثقافتها واحتواء لها .

* * *

أحسب ، أيها الزميل الكريم ، أني وضعت يدي على هاتين البيئتين الدائرتين من حولك : بيئتك الكبرى في وطنك وبيئتك الصغرى في بيتك . ولكني أشعر بقصور كبير نحوك إن أنا توقفت عنـد هذه الجذور الأولى التي ستبتعث عندك في المستقبل ملامح حياتك الثقافية والفكرية . . ذلك أن الذي تحدثتُ به إنما كان جملةً من البذور التي غرستها البيئة ، أو جملة من الدوافع التي استثارتها .. غير أن في حياتك مواقف كثيرة تقتضي أن أقف عندها أو عند بعض تفاصيلهـا . . فلقد أُخذتَ منذ نشأتك الأولى بنوع من التربية لم يؤخذ به غيرك .. أبوك – أمتع الله به – لم يكن عالماً فحسب ، ولا طبيباً فحسب ، ولا محباً للغة العربية فحسب .. ولكن كان قبل ذلك وفوق ذلك تضطرم أعماقه بنزعة إصلاحية ظل يحمل همومها ، وتطلع بصير إلى المستقبل ، كأنما كان يريد أن يشارك في صياغته .. ومن هنا كان إيمانه بأن التربية هي طريق هذا الإصلاح وهي سبيل المشاركة في صياغة المستقبل . ومن هنا كان إنكاره لكثير مما يخالط التربية من فضول أو انحراف في المدارس آنذاك . . ولهذا أشرف هو بالذات على تربيتك واقتضاه ذلك جهداً من حُرِّ الجهد ووقتاً من ثمين الوقت . حتى إذا أحسَّ أن عودك بدأ يصلب ويستقيم ، واطمأنَّ إلى أنك على شيء من القدرة في

تمييز ما بين الحق والباطل عاد بك إلى بعض المدارس . ولكنه آثر أكثرَ الوقت أن تكون في هذه المدارس الخاصة ، حتى يكون حظه من النصح أكبر ونصيبه من الرقابة أوفى .

لقد أتاح لك ذلك كله أمرين بارزين في حياتك الدراسية ، ما أحسب أنهما اجتمعا إلا عند قليل : أولهما حرصك على ألوان من المعرفة وضروب من التثقيف لم تكن لتتاح لك لو قدّر لك أن تقبع في إطار الدراسة الرسمية وأن تقصر جهدك عليها .. والآخر تطاولك المشرئب لاكتساب لغتين من هذه اللغات الأجنبية وعملك الدائب في هذا السبيل .

فهل من عجب إذن أن تكون سيرتك المدرسية كلها ، في مراحل التعليم كلها ، مقترنةً بهذا الألق المضيء الذي يجمع بين اسمك وبين المرتبة الأولى على طول حياتك الثانوية والجامعية .

* * *

أيها السادة :

لم يخالف زميلنا الذي نستقبل في حياته بعد الجامعة معيداً ومدرساً وأستاذاً ، عن سيرته في حياته خلالها طالباً .. إن الكثرة الكاثرة من الجامعيين تستقطبهم الشهادات التي يحصلون عليها .. كلُّ آمالهم التي تنبت في رؤوسهم وهم يزرعون حدائق الجامعة أو أرصفتها ، يهمس بها بعضهم إلى بعض همساً ويتحدث بها بعضهم إلى بعض جهاراً ـ كلُّ هذه الآمال تلفها هذه الورقة السحرية التي يحملونها سنة التخرج .. ثم تجف الآمال في نفوسهم لتنموَ مرة أخرى في صدور الذين يأتون وراءهم .. ولست أدري ، وإنكم لا تدرون معي ، أهي آمال تجفّ أم هي آمال يحرقها شُواظ الحياة التي لا يستقيم ميزانها ولا تعتدل سيرتها ولا تعرف النَّصَفة ولا تتيح التكافؤ .. وأياً كانت الأسباب ، أكانت في نفوسنا أم كانت من حولنا ، فإن قلةً قليلة من

شبابنا يتابعون ما بعد الجامعة سيرتهم العلمية خلالها .. أما أنت أيها الزميل الكريم فقد تابعت ، تستنبت الورد وتضفر الأكاليل في حياةٍ ما بعد الجامعة .. فعُنيت ، على نحو ما عنيت من قبلُ ، بالتحصيل والتثقيف ، وعنيت بالتجربة والبحث .. لم يغرّك أنك قطعت خلال عشر سنوات رحلة طويلة من معيدٍ في الجامعة في أعقاب التخرج سنة ١٩٥٩ – وأنت على رأس السنة الثانية والعشرين – إلى رئيس لقسم الطب المخبري في الجامعة التي أنشأتك ، بعد عشر سنين أخَر ، على رأس الثانية والثلاثين من عمرك .. حيث لاتزال تشغل هذه الرئاسة حتى هذا اليوم .. لم يغررك ذلك ولم يخدعك عن نفسك ، ولم يصرفك عن سيرتك .

* * *

هل عليّ من حرج إن أنا سقتُ طرفاً من هذه السيرة !. دعني إذن أذكرك بلوحتين : إحداهما في ميدان ثقافتك العامة ، والأخرى في ميدان ثقافتك الخاصة ..

أحسب أنك لم تنس ترددك أمداً على هذا الحي القديم من أحياء دمشق ، تهبط إليه من أرفع بيت من بيوت المهاجرين ، حيث تسكن ، حتى تصل إلى ساحة الشهداء ، ثم تتعرج بك السبل تضيق حيناً وتتسع حيناً ولكنها تتعذر في كل الأحايين ضيقة أو متسعة ، في الشتاء إذا كان الوحل وفي الصيف إذا كان غبار الصيف وحفره .. فإذا أنت تطرق باب الشيخ الفقيه شيخ القراء في وقته ، والعالم العامل الثقة الدّين الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الذي كان لا يفوق علمه في الفقـــه الحنفي والقراءات علمٌ أو لا يكاد ، ولا يعدل إيناسه ولطفه وتواضعه تواضع .. فتدخل تبسط لك الملائكة أجنحتها على حدّ قول الرسول ﷺ – بأبي هو وأمي – تقرأ عليه الفقه في يوم من أيام الاسبوع ، وتقرأ عليه التجويد

في يوم آخر ، وتدأب على ذلك سنوات .. حتى تطمئن إلى أنك وفيتَ حقَّ الله وأديت حق العربية ، وعقدت ما بينك وبين تراثك وأصولك أوثق ما يكون العقد في كتاب الله وفي أحاديث رسوله ﷺ وأحكام هذه الأحاديث . تفعل ذلك على مشاغلك كلها ، لا تملّ ؛ ويكون لك من الإقبال عليه في آخر المرحلة فوقَ الإقبال الذي كان في أولها .. لقد كان عملك ذاك بعض مظاهر حرصك على التحصيل والتثقيف ، بل كان الشاهدَ من سيرة حياتك على حياتك وكان الشاهد من ذاتك على ذاتك .. وكان الدليلَ الذي لا يتخلف على ما أحب أن أقول عنه إنه أصالتك التي تتميز بها وتراثك الذي تؤمن أنه بعض العدّة إلى مسالك المستقبل .

وعلى نحوٍ من ذلك كان عملك العلمي بعد تخرجك من الجامعة ، لقد أردت أن تبدأ مرحلة جديدة من حياتك العلميـــة من حيث يظن الآخرون أنهـا انتهت .. وأياً كانت الأسباب التي تئد عبقريات خريجينا وشبابنا إذ يواجهون الحياة فإنك آثرت أنت أن تكون حياتك بعد الجامعة استمراراً لحياتك فيها .. أن تكون كذلك فيضاً من التحصيل والطلب ، وأن تكون بحثاً أو سعياً وراء البحث .. ولهذا لم تكد تتاح لك الفرصة بين عامي ٦٦ ٦٩ وهي الفرصة التي يسّر الله لك أن تحيل نارها ماءً ، حتى عكفت على تجاربك وبحوثك وكتبت فيها هذه السلسلة من المقالات العلمية ـ بشـاركك بعض زملائك ـ في المجلات الأجنبية ، كان بعضها باللغة الفرنسـية وكان بعضها باللغة الانكليزية ثم كان بعضها باللغة الألمانية التي قُدّر لك كذلك أن تقبل عليها وأن تتعلمها .

وفي فمي بعد ، أيها السـادة ، ماء ، ولكنكم تحتملون هذه الملاحظة العابرة .. ذلك أن الأبحاث التي تتابعت بين ٦٦ - ٦٩ في بلجيكا قد

توقفت أو أوشكت على التوقف حين عدتَ إلى دمشق – فهل يستطيع أحدٌ من الذين يسمعونني هنا أن يجيب عن السؤال الذي يغالب الشفة: لماذا ؟. لماذا نقبل على البحث العلمي وننتج فيه حين نكون خارج عملنا في الجامعة، ثم لماذا ننقطع عنه إذ نعود ؟

لعلنا نتقبل ذلك على أنه ضريبة هذه المرحلة من مراحل الحركة التعليمية ونموها .. وما من تفسير آخر يرضي ضمائرنا غير هذا التفسير، نرتضيه إلى أن يستطيع هذا الوطن أن يزاوج بين الحركة التعليمية وبين الحركة العلمية ..

* * *

أيها السادة: لنقل هنا كما كان يقول الشعراء الجاهليون: فعدِّ عما ترى، ولننظر في بقية هذه الطريق الطويلة التي قادت زميلنا في مرحلته الجديدة بين الجامعة والمجمع وارتقت به إلى صفوف الخالدين.

وإني لموقن أني لا أخطىء التقدير حين أزعم أن مرحلة نيّرة من مراحل حياتك الجامعية كانت بعض ما أضاء لك الطريق إلى هذا المجمع العتيد .. ذلك أنك شهدت ميلاد أول معجم طبي تعاونت عليه وتعاورته هذه الأيدي المخلصة .. أيدي الأساتذة: حمدي الخياط ومرشد خاطر وصلاح الدين الكواكبي، فقد كان من جهدهم الدائب في ميدان العلم والعربية أن صدر معجم « كليرفيل » مترجماً عن الفرنسية .. ولا أشك في أنك أفدت من ذلك أكبر الفائدة .. شهدت ولادة الكلمات والمصطلحات وشهدت النقاش الذي يدور حولها، واستمعت إلى وجهة النظر هذه أو تلك، وسَفَرْتَ بين والدك وزميليه، وحملت الأوراق من هنا إلى هناك .. ولعلك أطلت النظر حيناً في مسوّدات الطبع، ولعلك أدمت هذا النظر واستحليته .. وإذا كان عسيراً أن نستبين، على وجه محدد ودقيق، ما كان

من آثار ذلك في حياتك اللغوية مع المصطلح العلمي فإن من اليسير أن نتبين جملةً هذا الأثر الذي تفجر في هذا الشكل الجديد الذي اتخذه المعجم حين صدر الجزء الأول منه باسم معجم العلوم الطبية .. لقد أضفت إليه هذه الإضافات القيمة الغنية : أثبتّ تعريف اللفظ الأجنبي ، وتعريفُ اللفظ أدق- المراحل في إيجاد البديل العربي وضعاً أو نقلاً أو تعريباً ، وأضفت المقابل الانكليزي ، فجمع المعجمُ في صورته الجديدة بين هذه اللغات الثلاث ليكون عاملاً مساعداً ، إن لم أقل عاملاً رئيساً ، على تعريب التدريس في الجامعات التي تصطنع الانكليزية أو تلك التي تصطنع الفرنسية لغةً في تعليم الطب .

أفلا يحقّ لي إذن أن أقول هنا ، ونحن نستقبلك اليوم ، إن بدايتك المجمعية ترتد إلى وراء ، إلى تلك السنوات التي رافقت ظهور المعجم الأول ، ثم إلى السنوات التي تلتها حين اختارك الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح وصديقَك الدكتور مروان محاسني رفيقين له في لجنة المصطلحات الطبية لاتحاد الأطباء العرب والتي كان من ثمارها : المعجم الطبي الموحد(١)

* * *

لقد تحدث والدك الجليل عن معجم العلوم الطبية الذي تبنته وزارة التعليم العالي ، والذي صدر الجزء الأول منه في جملة منشوراتها العلمية القيمة ، حديثاً رائعاً حقاً .. إني أتمنى لكل الذين يستمعون إليّ الآن أن يسعَوْا وراء هذه المقدمة يقرؤونها إذا كانوا لم يقرؤوها بعد ، وأن يعيدوا قراءتها إذا كان قد سبق لهم أن فعلوا .

(١) نشر هذا المعجم اتحاد الأطباء العرب ، وصدر عن مطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٩٧٣ ، ورأس تحريره الدكتور محمود الجليلي ، وأشير على غلافه أنه طبعة خاصة .

ولو كان يمكن لحياة علمية نقية أن تتجسد في مثال ، وكان يمكن لهذا المثال أن يتحقق فَعالاً ، وكان يمكن لهذا الفعال أن يذوب ثم أن يرتسم كلمات وحروفاً ، وكان يمكن لهذه الكلمات والحروف أن تحتبس في هالاتها وأن تحمل في إيحاءاتها كلَّ هذه المثل والفعال ، إذن لكانت هذه المقدمة هي ذلك كله .. إنها تركز إيمان صاحبها وتقـــاه وجهده ورحلته العلمية الطويلة مدّ الله في عمره – على الطريق الدمثة والطريق الوعثة .. بل إنها ، وهذا ما أريد أن أدلّ عليه الساعةَ ، تمثل خلقاً أضحى من الأخلاق النادرة ، هو تواضع العلماء .. واسمعوا إن شئتم كيف يقول في المقدمة في مثل عزوف الزهاد وحياة المتقين وصدق الصادقين : « جاء هذا المعجم يضم جهود أساتذة كلية الطب في جامعة دمشق ، وما نشروه في مجلة المعهد الطبي العربي ، وما كتبوه فيما ألفوه من تصانيف لا تزال تشهد لهم بالجدّ والدأب والعمل المخلص الهادىء الهادف الطويل النفس .. بالإضافة إلى ما كان وضعه أطباء العرب الأقدمون ، ثم ما وضعه الأساتذة الترك يوم كانت مصطلحاتهم كلُّها عربية أو تكاد ، وما وضعه أساتذة القصر العيني في القاهرة والكلية الأمريكية في بيروت قبل أن يقلب الاستعمار لغة التعليم فيها من العربية إلى الانكليزية » .

واسمعوا كذلك كيف يتحدث في المقدمة عن أولئك الذين استفاد من نقدهم . لقد صدر معجم كليرفيل سنة ١٩٥٦ على حد ماوصفه الدكتور حمدي الخياط : « ترجمة أفاد منها الناس فيما نظن ونرجو ، ولكنها كانت سريعة وغير كافية » .

ذلك دعا بعض زملاء الدكتور حمدي الخياط إلى نقده . وكان الدكتور حسني سبح هو الذي تولى أكثر هذا النقد فأخذ ينشر منذ ذلك

الحين مقالاته متسلسلة في كل عدد من أعداد مجلة المجمع تقريباً ، يصوِّب فيها ما يصوب ويقترح البديل الذي يقترح، مستنداً إلى شواهد اللغة ودلالة المصطلح تحت عنوان : نظرة في معجم المصطلحات الطبية .

ولا أنكركم أن الذين يقرؤون هـــذه المقالات من هذا الجيل المعاصر كانوا يسألونني : هل تعبرّ هذه المقالات - التي استمرت منذ عام ١٩٥٩ ولا تزال - عن خلاف أو هل تنبيء عن خصومة ؟

وكنت أعجب للسائل وأؤكد أنها نتاج طبيعي لجهود العقود من السنين التي تعاون فيها هذا السلف الصالح على أن تكون العربية والتأليف فيها وما يقتضيه التأليف من تعريب المصطلح العلمي آكد همه وغاية جهده .. نتاج صاغه الدكتور حمدي الخياط في معجمه واستعمله في كتبه ، ونتاج آخر صاغه الدكتور سبح في نقده واستعمله كذلك في سلسلة كتبه الموسوعية عن الأمراض الداخلية والعصبية .

ولكن كثيرين من الناس لايفهمون النقد على أنه تكاملٌ بين الناقد والمنقود وتآزرٌ بينهما .. فاسمحوا لي إذن أن اقرأعليكم بعض ما كتب الدكتور حمدي الخياط في ذلك في مقدمة معجمه الجديد : « فعهدنا إلى ولدنا الدكتور محمد هيثم الخياط أن يقوم بذلك ، مستفيـداً مما نقد به الناقدون ترجمةَ معجم كليرفيل ، وبخاصة سلسلة البحوث القيمة التي كتبها الصديق الكريم الأستاذ الجليل الدكتور حسنى سبح رئيس مجمع اللغة العربية في مجلة المجمع » .

لاأشك أيها الصديق الكريم أنك استفدت من مقالات الأستاذ الرئيس فيما أصدرت من معجم العلوم الطبية ومما اتخذ من نقد ، وستستفيد منها فـيما ستصدر من أجزاء المعجم وفيما يتابع من نقد .. ونسأل الله إن يكون لنا جميعاً من روح العلم وخلقه مايبيح لنا أن نكون دائماً متعلمين وأن

يباعد مابين سلوكنا وبين الكبرياء ، وأن يتيح لنا أن نتحلى دائماً بقولة الشعبي : زين العلم حلم أهله .

لقد لازم هذا التواضع والدك الجليل كما أقدر أن سيظل يلازمك في مواقف أخرى كثيرة من حياتك .. ألم يختره المجمع عضواً فيه منذ حين طويل ! ... ولكنه آثر أن يعمل على طريقته وأسلوبه ، فزُيّن له أن قَدْر المجمع عظيم وأنه لايبلغ هو هذا القدر .. وما كان ذلك حقاً من الحق ، وإنما كان تواضعاً من التواضع ، وحياء هو شعبة من شعب الايمان ، وخلقاً مسرفا في مراقبة ذاته ، مسرفاً في تجاوز الأضواء والشهرة أو ما يخيل إليه أنه من الأضواء والشهرة . ولكن الله الذي قدر لوالدك الجليل أن ينفع الناس بعلمه في الإطار الذي آثر ، هو الذي قدّر كذلك أن يكون النفع بك إن شاء الله في إطار هذا الجهد المشترك .. فليبارك الله في حياة أبيك وعمله متفرداً ، وليبارك عليك في حيـــاتك وعملك بين زملائك وإخوانك .

* * *

أيها السادة :

إنكم تشاركوننا احتفاءنا باستقبال الزميل الدكتور الخياط في ظروف لغوية هي أدقّ الظروف وأدعاها إلى التعاون والتساند وإلى اليقظة والحذر .. ذلك أنّ اللغة العربية ـ ولا أتردد في هذا الوصف ـ تعاني نوعاً مـــن الحصار اللغوي .. إن هناك جداراً غير مرئي ، هو أشبه بأسوار السجن ، يحتاط لغتنا العربية العلمية في القطر ويحول بينها وبين حرية الانطلاق والذيوع .

أريد أن أقول إن جامعاتنا العربية كلها ، على كثرتها واختلاف أعمارها ، لاتستخدم اللغة العربية في فروعها العلمية أو لاتكاد ،

حقاً إنها تستخدم العربية في الدراسات الإنسانية .. ولكن من ذا الذي يستطيع أن يفصل في وطن واحد أو في مجتمع واحد بين اللغة في الدراسات الإنسانية وبين اللغة في الدراسات العلمية ؟ من ذا الذي يستطيع أن يطمئن إلى هذا الفصل ؟ ثم ماهو مصير هذا الفصل في مستقبل قريب حين تستحكم هذه الازدواجية بين الذين يعنون بالدراسات الإنسانية وبين الذين يعنون بالدراسات العلمية ، فإذا هؤلاء على لغة ، وأولئك على لغة ، وإذا ضمير الجماعات المثقفة موزَّع بينها ، وإذا حياة الناس منقسمة هذا الانقسام الشنيع .

لقد آن أن تسقط كل هذه الأوضاع وأن ينتسخ من الوجود العربي اللغوي كل هذا الواقع المريض وهذه الخطى المتعثرة التي لا تكاد تخرج من تجربة تتخبط فيها عقداً من سنين حتى تنتقل بعدُ إلى تجربة جديدة تقتضيها عقوداً أخرى .

اللغة العربية إذن في المجالات العلمية تعاني هذا الحصار الذي تفرضه الأوضاع في الجامعات الأخرى .. وما أشد ما يخشى المرء أن يقود هذا الحصار إلى أن يضيق المحاربون والمرابطون بالظروف والأوضاع من حولهم ، وأن تتغلب كثرة الباطل على قلة الحق .. ولهذا فإن أمام العربية في هذه المرحلة أن تحاول ، ماوسعها ذلك ، الخروجَ من هذا الحصار .

* * *

معنى هذا أيها الزميل الكريم جسامة المسؤولية التي تواجهنا ، وثقل الأمانة التي نحتمل على أكتافنا . وفي تقديري أنه لا يعيننا على أن نجاوز هذا الحصار المفروض مثل أمرين اثنين لا أزال أدعو لها وألح عليها :

أولها : أن نخرج بالعمل المجمعي في نطاق المصطلح العلمي عن المنهج

المألوف إلى نهج جديد أحسب أننا جميعاً مقتنعون به وأننا آخذون له أهبته. فقد درجت مجامعنا العربية على أن تعمد إلى جملة من المصطلحات في هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة فتجد لها المقابل العربي ثم تنشر هذه المصطلحات على أنها مجموعة من القوائم في علم من العلوم .

وتلك كانت لاشك خطوة لابد منها على هذا الطريق الطويل .. غير أن ظروف الحيـاة العلمية والقومية ، من مثل تكاثر الجامعات وتنوع المعارف والتوالد المستمر والخصب في المصطلحات ، أضحى يقضينا أسلوباً آخر هو تطوير طبيعي لهذا الاسـلوب الذي نأخذ به الآن في المجامع والجامعات .

الاسلوب الجديد يحتم أن نتجـاوز مرحلة الأعمال الفردية والقوائم المشتتة الخاصة التي ينفرد بها أناس بأعيانهم ، إلى مرحلة العمل الجماعي يبدأ باختيار مجموعة من المعاجم المعتمدة في اللغات الأخرى ثم يكثف الجهود اللغوية لوضع البديل لألفاظها ومصطلحاتها . . وذلك بغيـة أن يكون بين يدي الجامعيين العرب في مختلف الأقطـار مجموعة كاملة من المعاجم العلمية المعتمدة ، مترجمة إلى العربية ومقرّة في مجامعها ومقررة في جامعاتها .

كثيرون أولئك الذين يتطلعون في الجامعات العربية الأخرى ـ وبعضها على بعد ساعة أو ساعتين من دمشق في عمان أو بغداد ـ إلى استخدام العربية .. ولكنهم يسألونك دائماً أين هو المعجم العربي في هـذا العلم أو ذاك الذي نستطيع أن نضعه بين أيدي أساتذتنا وطلابنا .

فقدان هذه المعاجم المرتقبة هو الحجة البالغة التي يتذرع بها خصوم العربية ، ووجود هذه المعاجم هو الأمل المضيء الذي يتراءى دائماً لأنصار

العربية والمؤمنين بها ، ولقد غبرت سنوات لعلها لم تكن تساعد على الأخذ بهذا الاتجاه .. ولكن ماذا نقول اليوم لآلاف آلاف الطلاب المتكاثرين في طول البلاد وعرضها حين يسألوننا عن المعجم العربي في الفيزياء أو في الكيمياء أو في الرياضيات أو غيرها .

هل سنظل نحتج بالمعجم الطبي وحده ، أو بالمؤلفات العلمية العربية وحدها ؟.

ولماذا لا نستفيد من هذه التجربة التي تحققت في المعجم العسكري حين صحّ العزم فأصبح بين أيدينا معجم عسكري معتمد في اللغات الأجنبية ، ومنقول إلى اللغة العربية بمقابليه الانجليزي والافرنسي ؟!.

إن هذا الاتجاه نحو إعداد المعاجم أضحى أسلوباً في العمل اللغوي لا بدّ منه ولا غنى عنه : التطورُ يفرضه ، والحاجة تلح عليه ، والمنطق السليم يقضي بالأخذ به ، حتى لا تتكرر التجارب ولا تتعدد المعاجم ولا يشتد الخلاف بين المصطلح العلمي الذي نريده موحداً ليكون دليلًا على قوة اللغة العربية وشهادةً على صلاحيتها ، ولا نريده مشتتاً يستخدمه أعداء العربية برهاناً على صعوبة الاحتكام إليها والاقتصار عليها .

لقد أخذنا بهذا الاتجاه في مرحلة التعليم الثانوي في مؤتمر التعريب الذي عقد في الجزائر أواخر سنة ١٩٧٣ .. وإذن فقد أضحى حتماً أن نأخذ به في المرحلة التالية .

هذا هو أحد هذين الأمرين في طريقنا إلى الإفلات من هذا الحصارِ اللغوي ، وإنه لأصعب الأمرين . أما الأمر الآخر – وهو أيسرهما

لأنه فرع منه - فذلك أن يتفرغ عديدٌ من الجامعيين والمجمعيين على السواء لمثل هذا العمل المرجو .. إنه لا يكفي في تقديري أن يتفرغ للعمل المجمعي ثلاثة من أعضائه في الجانب الاداري من العمل المجمعي هم الرئيس ونائب الرئيس والأمين العـام ، فذلك أقلّ ما يمكن أن يقوم به كيان المجمع .. وإنما يحتاج الأمر كذلك أن ينضاف إليه تفرغ لبعض الأعضاء ، أو لكثرة منهم ، يؤثرون هم هذا التفرغ وينهضون بحقوقه ويتكامل عملهم في ذلك مع زملائهم من الجامعيين ، حتى نستطيع أن نحقق أهدافنا أو بعض أهدافنا التي نتطلع إليها .

ولا أشك في أن التفرغ الجامعي - وبخاصة حين تكتمل صورته وتتحقق أبعاده في نطاق البحث العلمي - خطوة رائدة في هذا المجال ، يُسهِّل الطريق إلى التفرغ المجمعي الذي ندعو له .

* * *

أيها الزميل الكريم :

إننا نستقبلك في مثل هذه الظروف التي تقتضي منا جهداً لا ينتهي وتعاوناً لا يتوقف وصفاءً تفنى فيه الشهوات والرغبات .. إنها ظروف قاسية تطارد فيها رائحة الدم كلَّ وشائج القربى وتغيب في ساحة العربية العقيدةُ الجامعة ، ويُنسَى التاريخ المشترك ، وتغطي العيونَ غشاواتٌ من الأهواء تحول بينها وبين رؤية المصير الأليم الذي ننزلق فيه أو نوشك .

لم يبق من نسيج الحياة العربية الموحدة إلا هذه الخيوط من اللغة ، وما تقود إليه وحدة اللغة من وحدة الفكر والتطلع ..

وحتى هذه اللغة يحتاطها كثيرون من الذين لا يؤمنون بها ، والذين يكيدون لها ، والذين يجهلون أو يتجاهلون الأبعاد البعيدة لآثارها ,

لم يبق إذن في ساحات العمل المثمر - في هذه الغمرات - إلا هؤلاء الذين يؤمنون بلغتهم على أنها المعبر الوحيد للإيمان بالوجود العربي والحفاظ عليه والدفاع عنه .. وإني لأرحب بك هنا باسم زملائنا نصيراً على هذه الغايات وعاملاً في سبيلها .

فليهنك ، أيها الأخ الزميل ، مكانك الذي تتبوأ وأنت على مشارف الكهولة ، محتفظاً بالزاهر من شبابك ؛ وليكن وجودك بيننا وجوداً معنا محتفظين جميعاً بالمخضر من آمالنا وآمالك خيراً وتوفيقاً ، وليكن وجودك جهداً وتعاوناً وتكاملاً ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . **شكري فيصل**

خطاب الدكتور محمد هيثم الخياط في حفل استقباله

بسم الله الرحمن الرحيم

(يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاواتِ ومَا في الأرْضِ ، المَلِكِ القُدُّوسِ العَزيزِ الحكيم . هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيينَ رَسُولاً مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ ، وإنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِيْن . وآخرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ، وهُوَ العَزيزُ الحكيم .. ذلكَ فضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشَاءُ ، واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ . مَثَلُ الذينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحَمارِ يَحْمِلُ أسْفَاراً .. بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ ، واللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الظَّالمِيْن) .

يومَ شاءَ الله – ولَهُ الحمد – لهذه اللغة الشريفة أن تكون لغةَ الشريعةِ والثقافةِ والحضارة : تُتْلى بها الآيات ، ويُزَكَّى بها الناس ، ويُعَلَّم بها الأمِّيون الكتاب والحكمة .. كان ذلك – في الوقت نفسه – إيذاناً بحربٍ شعواء ، لن تقف ، على هذا اللسان المبين .. كيف لا ، وهذه اللغة هي الرباط المتين الذي يشد بعض أبنائها إلى بعض ، ويَصِلُ

مشرقَ هذه الأمة بمغربها ، وحاضرَها بماضيها ومستقبلها ، وبها يُعْلَنُ الجهادُ في سبيل الله والمستضعفين ، وبها يُتَحدَّى الطواغيت ويُحَافَظ على كيان الأمة إذا شاء عدوُّها لها أن تذوب وتضمحل .

ألم يأتِكُم نَبَأ الأخ الجزائري — كلِّ جزائري — يوم تَنَبَّه الاستعمار على موطن القوة لديه ، فعمل ما استطاع على إضعافه ، وتوصل إلى أن يكبت منه اللسان فلم يعد يقوى على أن ينطق بالعربية .. ولكنه ظل يبكي بالعربية .. وظل قلبه يخفق ويعشق بالعربية .. وظل كيانُه كلُّه يُقَدِّس لربه بالعربية .. واستطاعت كتاتيب جمعية العلماء أن تحفظ على القوم لسانهم بفضل القرآن ، وتجمع الأمة ما تشعَّث من شأنها بالعربية .. واستطاع القوم أن يغيِّروا ما بأنفسهم فيغيِّروا الدنيا .. وأخذنا نتلو في سجل الجهاد آياتٍ خالدات ليس كمثلها شيء وليس لها نظير .. وكان ذلك برهاناً جديداً مشرقاً ومشرِّفاً على أصالة هذه اللغة وحصانتها ، وعلى ينابيع لا تنفد فيها للقوة والثبات .. حتى لكأنَّ سُوَيْدَ بن أبي كاهل اليَشْكُري يعنيها حين يقول :

مَعْقِلٌ يأمن مَنْ كان به غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَه أن تُقْتَلَعْ
غلبت عاداً ومَنْ بعدهمُ فأبَتْ بعدُ فليست تُتَّضَعْ
لا يراها الناس إلا فوقهم فهي تأتي كيف شاءتْ وتَدَعْ
وهو يرميها ولن يبلُغها رِعَةَ الجاهل يرضى ما صَنَعْ
كَمِهَتْ عيناه حتى ابيضَّتا فهو يَلْحَى نفسه لمَّا نَزَعْ
إذ رأى أنْ لم يَضِرْها جَهْدُهُ ورأى خَلْقَاءَ ما فيها طَمَعْ
تَعْضِبُ القرنَ إذا ناطحها وإذا صاب بها المِرْدَى انجزَعْ

وإذا مـا رامهـــا أعيا بنيـــهِ قلّةُ العُدّة قِدْماً والجَدَعْ

من أجل ذلك أيِس أعداؤهـا من قِراعِها وجهاً لوجه ، فراحوا يحتالون لذلك ومكروا مكراً كُبَّاراً ، وحاولوا أن ينفذوا إلى قلوب الناس وعقولهم بتهاويل أثاروا حولهـا نَقْعاً من الضوضاء : طوراً بالدعوة إلى إفساد اللغة باسم الاصلاح ، وتارة بالدعوة إلى أميّة اللغة باسم التبسيط ، وثالثة بالدعوة إلى تهجين اللغة باسم التطور والنهضة .. وانتظر الناس أن يبصروا بعد ذلك كله شيئاً من أمارات الاصلاح المزعوم .. ثم نظروا ، فإذا أقوال هؤلاء الأعـداء وأعمالُهم كسراب بِقيعة .. يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .. ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً .. ولا جرم ! فمَثَلُ كلمةٍ خبيثة كشجرة خبيثة اجتُثّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار !.

ولن تزال هذه العربية هدفاً يُزَاول عديُّها ما وَسِعه أن يرميَه :

مُقْعِياً يَرْدِي صَفَاةً لم تُرَمْ في ذُرَى أعْيَطَ وَعْرِ المُطَّلَعْ

وستظل هذه العربية ظاهرة عَليّةً إن شاء الله ، وإن رَغِمتْ لذلك آنافٌ وآناف ، ولن يزال في هذه الأمة طائفةٌ ينافحون عن لغة القرآن لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون .

ومن أجل ذلك أيها السادة قام هذا المجمع المبارك .

من أجل أن يدافع عن ثقافة أمةٍ برُمّتها ، يحاول أعداؤها أن يحققوا للثقافات المعادية كل الغَلَبة عليها .

وإنما أعني بالثقافة ذلك الجو الاجتماعي الذي تَتَنامَى فيه شخصية الفرد وطِباعُه ، وهو جوٌ يتألف من قيم وأفكار وأخلاق وأسلوب للحياة ،

ويشارك كل فرد من أفراد المجتمع في إغنائه .

ولقد تنبّه أعداء هذه الثقافة على أنها لا تُؤتَى كِفاحاً وإنما تُتَنَقَّصُ من أطرافها ، فعمدوا إلى التسلّل من هنا وهنالك إلى مكامن القوة في هذه الأمة ، وجعلوا من العَبَث بالكلمة ديدناً لهم وسبباً إلى ما يريدون .

وسنظل نسمع بين يوم وآخر دعوة إلى استعمال العامية في المسرح والسينما وتنفيذاً لهذه الدعوة على نطاق واسع ..

وسنظل نرى انخفاضاً في مستوى التعليم الجامعي يؤدي بأساتذة الجامعة إلى أن يلقوا دروسهم ومحاضراتهم بالعامية ، ويتخرج تلامذتهم ليعلموا أطفالنا وفتياننا بالعامية ، فتصبح لغة الأمة لغة أجنبية تثقل على نفوس الناشئة ويحسون بغربتها ، ثم لا يكاد يطول بها زمن حتى تصبح غريبة على أبنائها وأهلها .

وسنظل نرى حيلولة بين اللسان العربي وبين تعليم العلوم في الجامعات، وفجوة بين التعليم ولغة التعليم ، ونبصر أناساً من بني جلدتنا ، يلبسون لباسنا ويهزؤون بنا حين ندعو إلى التعليم بالعربية .

هذه حرب دائرة لن تقف !

ولكن المؤمنين من أبناء هذه العربية بها والمخلصين لها وهم كُثُر ، سيعملون مع هذا المجمع الأصيل على هتك الستر عن هذا العدو الماكر الخبيث ، وعلى الوقوف في وجه هذه الخطط الباغية ، وعلى فتح أعين أبناء أمتنا الذين هم هدف التدمير والتمزيق والنسف على أن ميدان الثقافة هو أخطر ميادين هذه الحرب ، وعلى أن معارك الثقافة مُتَراحِبَةٌ لا تُحَدُّ بحدود ، وعلى أن أكثرها – كما يقول الأستاذ الجليل محمود محمد

شاكر (*) – يأتي موقتاً توقيتاً دقيقاً : إما قُبَيْل حركات النهضة والاحياء ، وإما معها ، وإما في أعقابها ، وعلى أن أمضى سلاح في يد عدوّنا هو سلاح الكلمة الذي يحمله رجال من أنفسنا ، وينبثّون في كل ناحية ويعملون في كل ميدان وينفثون سمومهم بكل وسيلة ، ولو أن بعض هؤلاء الرجال يأتون ما يأتون عن علم ، وبعضهم قد أُخِذَ من غفلته فهو ماض في طريقه على غير بيّنة .

وإذن ، فعمل المجمع ليس مقتصراً على وضع المصطلح ، وإن يكن وضع المصطلح كبيرَ الشأن في عصرنا هذا : عصر العلم والتّقانة ..

ولكن عمل المجمع أن يقود ركب التوعية والتنبيه .. وأن يلفت النظر إلى كل مكر خفي يهدف إلى قطع صلة هذه الأمة بلغتها وثقافتها الأصيلة .. وأن يبذل جهده الصادق الواعي الفاهم ليجعل من الفصحى لغة التخاطب العامة ، وإن بقي للعامية آثار قليلة متفرقة في طبقات الناس بعدَ ذلك .. وأن يقول كلمته واضحة صريحة لا يَتَلَجْلَجُ ولا يُجَمْجِم : في لغة التعليم ، ولغة التوجيه ، ولغة التثقيف .

وأن يُعَرِّفَ أبناء هذه الأمة بتراثهم لا من أجل أن يتَنَفَّجُوا بهذا التراث ، ولكن من أجل أن ينطلقوا منه انطلاقاً مبدعاً ويتعلموا من سلفهم كيف يكون الاخلاص للعلم ، وكيف يكون المنهج العلمي الصحيح ، وكيف ينطلق الفكر المُكَبَّل من كل إسار يجعله يُخْلِدُ إلى الأرض ..

وإنه لواجبٌ – لو تعلمون – عظيم !

★ ★ ★

(*) في كتابه النفيس « أباطيل وأسمار » ، وهو عرض صريح واعٍ مستوفٍ للهجمة الشرسة على العربية ، وبيان للكثير الكثير من خفايا المعركة .

أيها السادة المجمعيون :

كان شرفاً عظيماً أضفيتُموه عليَّ أنْ شئتم لي أن أكون بينكم. وما كان ينبغي لمثلي أن يحتل هذا المقام ويقف هذا الموقف ، وأنا ما زلت فتىً لم يَطَأ بعدُ عتبة الأربعين ، وإن كان المشيب قد وَخَط فَوْدَيَّ .

ولقد كان أبي ـ أطال الله بقاءه ـ أحْصَفَ مني وأحْزَم ، يوم رأى نفسه ـ قبل لِوَاذِ أربعين سنة ـ دُون أن ينضمَّ إلى موكبكم الكريم فاستقالكم .

ولكني أريتُ ـ والحرب على العربية قد شَبَّ أوَارُها ـ أنَّ حقاً عليَّ واجباً ألا أحجم ولا أتقاعس عن النهوض بأمرٍ أحسنتم الظنَّ بي فحسبتموني له أهلاً ، وإن كنت أعلم من نفسي أني أعْجَزُ من أن أستقلَّ به ، وأدنى بكثير من أن أحشر في رَكْبِ المُجَلِّين .

فمعذرةً إلى أبي وأستاذي الشيخ الجليل الطبيب الجرائحي أحمد حمدي الخياط أنْ لم أقْفُ خُطَاه .

ومعذرةً إليكم أيها السادة المجمعيون أن لبيت دعوتكم ، فألحقتُ بذلك بكم امرءاً لم يجِئْكم إلا ببضاعة مُزْجاة .

وتالله تفتَأ تحسينُ الظن بي أيهـا الأستاذ الرئيس حتى لأكادُ أحسن الظنَّ بنفسي .. وما أنا ـ يعلم الله ـ بذاك ، ولكن إن يكُ فيَّ خيرٌ فمن أشياخي ـ وأنتَ منهم ـ قبَسْتُه .. عليـكَ قرأتُ الطب في كلية الطب قبل عشرين سنة ، ومعكَ عملت في لجنة توحيد مصطلح الطب نحواً من عشر سنين ، وأفدت من علمك الكثير الكثير ..

أما الصديق الكريم الدكتور شكري فيصل فقد قطعَ عنقي بثنائه ،

وأسبغ عليّ من حُلَل المديح ما لست له بأهل . ولئن رابـــهُ بعضُ تباطؤ في عملي في البحث العلمي ، لقد كان ذلك إعداداً للعُدّة وتهيئة لأسباب البحث ، وهذه مناسبة أنتهزها لأشكر إخوتي في وزارة التعليم العـــالي والجامعة (*) ، الذين لم يألوا جهداً في سبيل إنجاح مسعاي هذا .

وبعد ، فكيف لا أشعر بأن الرداء الذي أسبغتموه عليّ — أيهـا السادة — فضفاض ، وأن السّربال الذي ألبستمونيه عريض ، وأنا أخلف في مقامي هذا عَلَمين شامخين من أعلام اللغة والعلم في بلدكم هـذا في عصركم هذا ؟.

أما أولهما الجميلُ الخانيُّ فكان أمة وحدَه في جِدّه وجَلده وصِدقه وإخلاصه . لما رُغِبَ إليه أن يدرس الفيزياء وهو أستاذ في كلية الطب ، أبت عليه طبيعة العالم الحق أن يُعلّم إلا ما يجيد ، فشد الرّحال إلى باريس وعكف على طلب هـذا العلم حتى أتقنه ، وتجاوز ذلك إلى أن صنّف فيه سفراً في مجلدتين ، أفاد منها الناس وما يزالون ، وتجلى فيها تمكُّنه من أعِنَّة اللغة فوقَ تمكُّنه من أزمَّة العلم ، ووضع فيها من مصطلح الفيزياء عديداً من الكلِم ، لا نزال نرتاح إليه ونسعَد باستعماله .

ولم يكن - طيّب الله ثراه - بالذي يضيع من وقته لحظة في غيرما

(*) منهم في وزارة التعليم العالي : زميل الدراسة الدكتور محمد علي هاشم ، ومن قبله الصديق الكريم الدكتور شاكر الفحام ، وفي الجامعة رؤساؤها المتعاقبون الدكتور مدني الخيمي والدكتور عبد الرزاق قدورة والدكتور محمد الفاضل ، ووكيلاها الدكتور محمد خير فارس والدكتور إبراهيم حداد ، وفي كلية الطب عميداها الدكتور إبراهيم حقي والدكتور منير البيطار .

عمل مُجْدٍ وسعي مشكور . ولقد أكبَّ في أخريات أيامه على عمل جليل - بدأه من قبل - في معجمٍ لألفاظ العلوم لم يُتَحْ له أن ينشر . وإني ليحزُنني أن يبقى هذا المخطوط حبيس القِرْطاس ، ويُسْعِدني - إن شاء آلهُ الأبرار - أن أعمل في إخراجه ونشره ، فإن فعلت ، إني إذن لمن القائمين بنصيب من حق هذا الرجل الذي لم يُوَفَّ حقه من التكريم ، ولم يُصِبْ من الوفاء ما كان ينبغي له أن يصيب .

وأما ثاني الرجلين - وهو الصلاح الكواكبي - فكم يطيب لي أن أتحدث عنه . فتحتُ عينيَّ وأنا بعد صغيرٌ صغير على بيت الكواكبي ، وكان صلاح الدين تلميذ أبي الأثيرَ وصفيّه .. ورتعتُ في بيته ما شاء الله لي أن أرتع . وكانت بُنَيّاتُه - رحمَ الله كُبْراهُنَّ وحفِظَ أختيها وشقيقهنّ - أخواتٍ لي ، نعِمْتُ بأخُوّتهن دهراً . وكنت أرى في الصلاح الكواكبي - منذ فتحتُ عيني عليه - إنساناً عجباً ليس له نظير ! وما أشد ما كان يدهشني أن أراه يعمد إلى قطعة من الخشب أو الحطب مما يوقدون عليه في النار ، ثم يأتي بسكين أو شفرة فيبريها بها ، فيحسن بريها ونحتها ، ثم يغمسها في دواة عتيقة بها مِدادٌ لعله من صنعه ، ثم يكتب بها من جميل الخط والزخرفة ما شاء .. وأسأله أن يكتب اسمي فيصنع شكلاً هندسياً مُنَمَّقاً في بضع ثوان .. ثم يلقي به إليّ في عجل ، ليفرغ إلى عنوان يكتبه لبعض كتبه .

وكنت أنسلُّ أحياناً إلى خلوته المفضلة في العُلّيَّة الغربية حيثُ مكتبتُه ، فألفيه قد عمد إلى كتاب عتيق يؤثره ، يستخرج من مكنونه أشياء يودعها جُذاذات وكنانيش ، ثم علمت - بعد أن كبرت - أن هذا الكتاب

يقال له « القاموس المحيط » وأن هذه الكراريس تحوي من فرائد الكلم نفائسَ ألفاظها تقابل بعض مصطلح العلم الحديث .

وُلد صلاح الدين الكواكبي في مدينة حلب في السنة الأولى من سني هذا القرن . ودرس العلوم الابتدائية في الآستانة ونال شهادتها بدرجة ممتازة ، ثم درس العلوم الرشدية في بشكطاش في المدرسة الرشدية الرسمية في الآستانة . وانتقل منها إلى الرشدية الملكية التركية بحلب ونال شهادتها بدرجة ممتازة . ودرس من بعد ذلك العلوم السلطانية في المكتب السلطاني بحلب حتى السنة الحادية عشرة من سني الدراسة ثم أكمل تحصيله في هذه المدرسة نفسها بعد أن تحولت إلى مدرسة التجهيز العربية ونال شهادتها بدرجة ممتازة في شهر تموز من سنة عشرين . وقد كان يحب حلب حباً جماً ويحن إليها كثيراً وكأنه يتمثل بقول الشاعر :

ألا هل إلى أبيات سَمْح بذي اللِّوى أو الرمل من قبل الممات مَعَادُ
بلادٌ بها كُنَّا .. وكُنَّا نحبهـــا إذ الناسُ ناسٌ والبلادُ بـــلادُ

وفي سنة إحدى وعشرين دخل المعهـــد الطبي العربي في دمشق ليَدْرس الصيدلة فيه ثلاث سنين وينال إجازتها الرسمية بنجاح باهر سنة أربع وعشرين . وكان لهذه السنوات الثلاث أثر فيه كبير .. فقد كان المعهد الطبي العربي موئلَ العربية ودرعَها الحصين ، وفيه كانت تُدَرَّس العلوم بالعربية على رغم مُرَاد الفِرَنْجة . ولئن كانت إرادة العلوج المستعمرين قد أفلحت في التحوُّل بلغة التعليم عن العربية في مصر ، بعد سبعين سنة من التعليم بالعربية ، وأفلحت كذلك في التحوُّل بألباب المُدرِّسين ثَمَّةَ – إلا قليلاً ممن عصم ربك – إلى مرتبة من الاستخذاء للغةِ هذه الأعاجم ،

تتجلى اليوم في إبائهم العودة إلى التعليم بالعربية . . ولئن كانت حقيقة الغرض من إنشاء المدرسة الانجيلية السورية التي أصبحت تعرف بالجامعة الأمريكية في بيروت ، قد تبدّت بعد سنوات من بدء التدريس بها ، فأصبحت تُدَرِّسُ بلغة أجنبية .. لقد ظلت الجامعة السورية ومعهدها الطبي العربي قلعة شامخة ترفع راية التعليم بالعربية ، ولم تَثْنِها عن ذلك مكايد الفرنجة ، حتى كانوا في محاولتهم صرفها عما وطنت العزم عليه :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليُوهِنَها فلم يَضِرْها وأوهى قَرْنَه الوَعِلُ

في هذا الجو تعلم الكواكبي ، وإليه عاد بعد أربعة أعوام قضى معظمها في الاختصاص في بلاد القوم ، يدرس في الصّربون الفيزياء والكيمياء ، وفي مؤسسة الطب الشرعي علمَ السموم ، وفي معهد الصيدلة الكيمياءَ الحيوية .. وينشر في غضون ذلك بحوثاً يحتفي بها القوم ويُثْبِتونها في مُدَوَّناتِهم ويرجع بشهادات تَنِمُّ على طول باعه في هذه الفنون .

ويوم فاء إلى المعهد الطبي العربي من بعد ذلك سنة ثمان وعشرين ، عُيِّن في دار الجراثيم ولبث فيها ثماني سنين دأباً ، يعاون الأستاذ الجراثيمي أحمد حمدي الخياط في مختبرات التدريس والتشخيص ، ويخطو عنده خطواته الأولى في التأليف العلمي بالعربية .

وقد كانت هذه الأعوام الثمانية غنية بالانتاج العلمي . ألّف في مطالعها سلسلة مُجَوَّدة أسماها « الدروس الكيمياوية لتلاميذ المدارس الثانوية » ، وجعلها في خمسة أجزاء : خصَّ كلًا منها بسنة من سنوات الدراسة الثانوية الخمس . وكان ذلك ما بين سنتي ثمانية وعشرين وثلاثين . وكان لهذه الكتب شأن كبير فقد سدت حاجة كانت إذ ذاك مُلِحَّة ، ووضعت في يد الطالب

مراجع سهلة المتناول يسيرة اللغة جميلة المصطلحات .. فكانت هذه التجربة الأولى غاية في النجاح ومفتاحاً لأسفار أخرى اتصفت جميعاً بالجودة والاتقان فصدر سنة اثنتين وثلاثين كتابه في « الحُبابات الدوائية » وسنة ثلاث وثلاثين كتابه « الحموضة والقلوية في نظرية الشوارد » ، وسنة أربع وثلاثين كتابه في « صناعة حمض الليمون » ، وسنة خمس وثلاثين كتابه في « الكيمياء الحديثة » ، وسنة سبع وثلاثين كتابه في « الدوتيريوم أو الهدرجين الثقيل».

وكان من جميل الاتفاق أن قرن الكواكبي القول بالعمل . فحين انشأ كتابه في الحُبابات الدوائية أنشأ يصنع مستحضرات صيدلانية هي حُبابات دوائية تحوي أدوية نافعة تُزْرَق للمرضى علاجاً ناجعاً لهم . وذلك جانبٌ مهم من شخصية الكواكبي يكشف عن نفس خَيِّرة معطاء ، لا تكتفي بنشر العلم يفيد منه الدارسون ، وإنما تتعدى ذلك إلى الدواء يفيد منه المِرَاض . ولعل ما صنع كان من أوائل ما وجد من صناعة صيدلانية في هذه البلاد .

وفي عام سبعة وثلاثين استدعته حكومة العراق استاذا لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة الملكية العراقية ببغداد ، وبقي فيها ثلاث سنين أخر . لقي في غضونهن الترحيب كله والتقدير كله ، وكان فيهن منتجاً كذلك غزير الانتاج ، فقد طفق يؤلف لطلابه المراجع التي تلزمهم بالعربية – غيرَ هَيَّاب – فصنع كتاباً لطلبة طب الأسنان أسماه « الموجز في الكيمياء الحيوية » وكتاباً عن « الحيوينات (الفيتامينات) » سنة سبع وثلاثين ثم صنع كتاباً في ثلاثة أجزاء لطلبة الصيدلة يتناول « الكمياء الحيوية الطبية العملية » وذلك عام ثمانية وثلاثين ثم أصدر ـ مع

الصيدلي الكيمياوي عبد الفتاح الملاح — « التطبيقات العملية للكيمياء الحيوية » سنة تسع وثلاثين .

ثم حنّ إلى دمشق ومعهدها الطبي العربي فعاد إليه سنة أربعين وتدرج في مراتب التدريس فيه حتى أصبح أستاذاً ذا كرسي عام سبعة وأربعين فعهد إليه الأستاذ الجراثيمي الخياط — وكان وقتئذ ينهض بأعباء عمادة كلية الطب — بتدريس الكيمياء العضوية لطلاب الصيدلة . فلبّى صلاح الدين طلبته ، وهو كما يقول « أستاذه وله عنده منزلة الأخ الأكبر » ، وصنع كتاباً من أنفس ما ألف في « الكيمياء العضوية » وكان قد نشر قبله كتاباً عن « الحائات في الكيمياء الحيوية » سنة إحدى وأربعين . ثم أنشأ من بعد ذلك كتباً كثاراً أشهرها سفر في « الكيمياء الحيوية » وآخر في « علم السموم » ، وكتابان في التطبيقات العملية أحدهما للكيمياء الحيوية والثاني للكيمياء التحليلية ، وكتيّب عن « النظائر في الكيمياء الحيوية » . ولبث يعمل في التدريس والتأليف في الجامعة حتى غادرها سنة إحدى وستين يوم بلغ سن التقاعد .

وكان طبيعياً أن يتصدى الكواكبي لوضع المصطلح منذ بدأ يزاول التأليف ، والحق أنه قد نذر للمصطلح عمره كلَّه ووقف عليه حياته ؛ فهو يقول - مُحَدِّثنا عن نفسه : « منذ ما أولعت - عن رغبة ملحة في نفسي - بمطالعة كتب اللغة العربية ، كان القاموس المحيط للفيروزابادي هو الوحيد على منضدتي خلال الدراسة التجهيزية في عهد العثمانيين ، وما بعدها منذ التحرر العربي ، فكنت أقلب صفحاته وأطالع سطورها بامعان وشوق لأطلع من أعماق هذا المحيط بالدرر الغوالي أفيد منها للمصطلحات العلمية ،

بالاضافة إلى ما كان يرشدني إليه والدي[١] رحمه الله وأجزل ثوابه » .

وقد وضع من المصطلحات بضع مئات استعملها في كتبه ، ونشر بعضها في مجلة المعهد الطبي العربي تباعاً منـذ سنة ست وثلاثين ، ونشر بعضاً في مجلة هذا المجمع الموقر ، وما انفكّ يكتب لهذه المجلة حتى آخر نفس من حياته [٢] .

على أن أجلّ كتبه وأبقاها كتابان اثنان . أما أولها فهو « مصطلحات علمية » كان ينشرها ، ثم يردّد النظر فيها ويضيف إليها ويصدرها في طبعة جديدة حتى بلغ ما طبعه من الكتاب ثماني طبعات . وفي هذا الكتاب نجد خلاصة أفكار الكواكبي ونتلمّس أصول مذهبه . وأما الثاني « فمعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات » الذي شارك فيه أستاذين من الرعيل الأول في المعهد الطبي العربي وفي وضع المصطلح ، وكان بمثابة التطبيق العملي لأصول مذهبه في مصطلح الكيمياء .

ولعله يحسن بنا الآن أن نتطرق إلى ملامح المنهج الذي سلكه الكواكبي وأتاحه لمن بعـده . ومعلوم أن العربية قد نمت بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب ، وهي الطرائق التي سلكها المتقدمون من العلماء والنَّقَلة عندما وضعوا آلاف المصطلحات في مختلف العلوم ما ابتدعوه منها وما نقلوه عن فارس ويونان الهند وغيرها من الأمم . وهذه الطرائق هي التي تتخذها في زمننا هذا لنقل العلوم الحديثة إلى لغتنا الضادية . ولكن

---

(١) والده القاضي الفاضل مسعود أبو السعود الكواكبي ، عضو محكمة التمييز وعضو المجمع .

(٢) ناهز ما نشر له في مجلة المجمع ثلاثين بحثاً .

الكواكبي كان تَنبّأ بِثَيْرِه إحجام قومه عن التوسع في اللجوء إلى القياس بلا حرج ، ويسوؤه - كما يقول - « أن نبقى محصورين في حجرة ضيّقة لا ندري كيف النجاة منها وتكاد تقضي علينا لضيقها ، ولدينا ألوف من الكلمات الأجنبية لعلوم ومكتشفات شتى تحتاج إلى ما يقابلها في لغتنا الشريفة » .

وتعلَمْ ، إن القياس - كما يقول أبو الفتح عثمان بن جنيْ (١) - « موضع شريف ، وأكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطفه ، والمنفعة به عامة ، والتساند إليه مقوٍّ مُجْدٍ ، وقد نص أبو عثمان عليه فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول ، وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره » .

وكذلك قال له أبو علي يوم سأله : أفترتجل اللغة ارتجالاً ؟. قال : « ليس بارتجال ، لكنه مَقِيسٌ على كلامهم ، فهو إذن من كلامهم » .

ولكن الكواكبي كان يرى الاتساع في هذا الباب بلا تحرّج ويقول : « فما نطق به العرب يقاس عليه ولو كانت كلمة واحدة » (٢) .

وكذلك قال لكم في موقفه الذي وقفه في هذا المكان قبل بضع وعشرين سنة يوم استقبلتموه رصيفاً لكم في هذا المجمع المُبَجّل .

---

(١) الخصائص لابن جني ، الجزء الأول ، الصفحة ٣٥٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧١ هـ .

(٢) مصطلحات علمية للكواكبي ، الصفحة ٨ ، الطبعة الثامنة ، مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٨ هـ .

« والقياس ما أوسع حدوده ! لماذا نكتفي ببضع كلمات معدودات على وزن فَعَل : (رَمَد ، كَلَب) فنجعل الدائرة ضيقة لا تتعدى حدودها دفتي القواميس ، ولا نحب توسيعها بالقياس كما هي عليه المقاييس فنقول : (فَيَل ، زَرَق) ، أو نكتفي بكلمتين على وزن مفعول : (مكبود ، مَمْثُون) فلا نقول قياساً : (مزهور ، مسكور) ، أو بكلمتين على وزن فُعَال : « جُذَام ، بُوَال » فلا نقيس به (نُهَام ، رُحَام) ؟ ألأنه لم يسمع عن العرب أكثر من هاتين الكلمتين ، أم لأنه لم يدوّن في المعاجم غيرهما ؟.

« فلماذا اتخذت المقاييس إذن ؟ أليست للقياس على الاطلاق دون قصر أو حصر ؟ ما نفع (المتر) إذا اقتصر استخدامه على ثوب الحرير ولم يعمّ أثواب القطن والصوف والكتان ؟ وما فائدة (اللتر) إذا حصر عمله لكيل الماء ولم يستخدم لكيل الموائـــع كافة من زيوت وأغوال وألبان ؟.

« سادتي ! لو أن العربي القديم بعث اليوم حياً من لحده ، وشاهد هذا التقدم العلمي الهائل بفروعه الجمّة التي لم تكن في عهده ، لما تردد لحظة في وضع ما جرى عليه العربي الحديث نهجاً على ما سار عليه القديم سليقة ، يوم كان حياً في زمنه الغابر » .

وقال في مقدمة مصطلحاته العلمية (*) :

« وماذا يراد بكلمة (شاذ) ؟ ألم ينطق بكلمة (شاذة) من هذه

(*) مصطلحات علمية للكواكبي ، الصفحتان ٦ و ٧ ، الطبعة الثانية ، مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٨ هـ .

الشواذ عربيٌّ صميم العروبة في الزمن الغابر .. فما المانع من القياس عليها ؟ ألِأنَّه لم يُسْمَع عنه غيرها أم لأنه لم يُدَوَّن في المعاجم سواها » ؟

« .. لِمَ نجعل الباب موصداً وهو واسع ؟ فلنُبْقِهِ مفتوحاً على مصراعيه لننفذ منه إلى مجال فسيح نصُول فيه ونجول » .

« .. فإذا كنا راغبين حقاً في اقتحام العقبة في سبيل المصطلحات العلمية علينا بالتساهل دون قيد ولا شرط :

١ ـ في القياس على الأوزان العربية إطلاقاً .

٢ ـ في القياس على بعض القواعد العربية .

٣ ـ في الأخذ بالنحت والاشتقاق .

٤ ـ بالتنازل عن الأنانية والكف عن الحمية الجاهلية ، لقبول الأصح والأصلح من بين المصطلحات العديدة » .

هذا ما كان من أمر القياس فأما النحت فالحديث عنه في كلام الكواكبي يكاد يكون أبيَن وأظهَر لأنه كان فيما نعلم السبَّاق إلى الاتساع فيه والدعوة الحرة إليه .

كان َفنّاناً يتحسّس الجمال حيث كان ، فيستشعر أن في قطعة الخشب الملقاة مقدرة على أن تكون أداة لرسم الحروف وتنميق الزخارف ، فلا يدعها حتى يستخرج منها مكامن الجمال . . ومن أجل ذلك كان يقول:

« ما الذي أكسب الحجر الصلد قيمته في الهيكل ؟ هل غير النحت من قبل الحُذّاق...وما قيمة التمثال الحجري لولا نحته على أيدي مهرة ؟! »(*).

(*) مصطلحات علمية : حاشية الصفحة السابعة .

وكأني به كان يقف الموقف نفسه من الكلم .. كان يعيش كل كلمة على حدة .. ثم يتنأى به الخيال فتتمثل له الكلمات شاخصة .. ثم ينحتها في توهمه نحت الخبير الحاذق ويتأملها بباصر فكره فيعجب لها ويرتاح اليها ، ويرى فيما نحت من مكامن الجمال مالا يستطيع غيره أن يبصر .. ومن أجل ذلك كان النحت قطعة من كيانه ، وفيئاً يرتاح إليه كما يرتاح المهاجر بعد السفر الطويل في ظل الدوحة الوارفة ..

وتعم ، لقد اكثر من النحت وبالغ فيه ، ولكنه كان يزوال علماً لايصلح له إلا النحت .. علم الكيمياء .. ونحن نحاول اليوم في لجـــان مصطلح الكيمياء أن تتنأى عن النحت ماالستطعنا فإذا بنا نعود إلى مانحت .. وصحيح أن جملة قد تكون أبلغ من كلمة ، ولكن الكيمياء التي استعصت على أفهام الاولين والآخرين ، تأبى أن تُسَوَّى بغيرهــــا ، وتثبت أن الكلمة الواحدة المنحوتة خير من كلمتين ، وأن التوسع في النحت الذي سنه الكواكبي له مايُسَوِّغه إلا أنه لايقوم به إلا كلُّ حاذق خبير ..

هذا شيء عن مذهب الكواكبي في المصطلح .. فأما الكواكبي الانسان فقد كنت من أعرف الناس به وكان عزوفاً عن الناس يطمئن إلى عدد من صحبه الأدنين وخُلَّصه ، ويجد نفسه غريباً في الآخرين حتى لكأنه يتمثل دائماً قول ابن هَرْمة :

ليتَ السباعَ لنا كانت مُجاوِرة وأننا لانرى مِمَّن نرى أحدا
إن السباع لَتَهْدا عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شرُّهم أبدا

ولكن الناس كانوا يحبون أن يستمعوا إليه ، وسلوا إن شئتم طُلاّبه الكُثُر في الشام والعراق وغيرهما ، فقد كان له منطق ـ كما قال ذو الرُّمَّة ـ رخيم الحواشي لاهُراء ولانَزْر ..

أو كما قال ابن الرومي في حديث من أحبَّ :

وحديثها السحرُ الحلال لو انه لم يَجْنِ قتلَ المسلم المتحرِّزِ
إن طال لم يُمْلَلْ وإن هي أوجَزَتْ ودَّ المُحَدَّثُ أنها لم تُوجِزِ
شَرَكُ القلوب ، وفتنة ما مثلُها المطمئن ، وعُقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ

ولقد لقي صلاح الدين وجه ربه ولَحِقَ بموكب الغابرين من الرجال الأماجد .. الذين بنوا هذا المجمع المبارك فأحسنوا البنيان .. وأبلَوا في الذود عن لغة الكتاب العزيز فأحسنوا البلاء .. وعَبَّدوا الطريق لاحباً لمن جاء بعدهم .. وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ..

وها أنا ذا أنظر في شأني وشأنهم فتتصاغر إليَّ نفسي ، حتى أحس بها في جنبهم ذرة من عدَم .. وأردد في خاطري قول جَذِيمة الوضّاح :

رُبَّما أوفيتُ في عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثوبي شَمَالاتُ
في فُتُوٍّ أنا كالِئُهُمْ في بلايا غَزْوَةٍ باتُوا
ثم أُبْنا غانمينَ معاً وأناسٌ بعدنا ماتُوا
نحن كُنّا في مَمَرِّهِمُ اذ مَمَرُّ القوم خَوّاتُ
ليتَ شِعْري ما أماتَهُمُ نحن أدْلَجْنا وهُمْ باتُوا

محمد هيثم الخياط

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تاريخ إيليا برشينايا	تعريب الدكتور يوسف حبي	بغداد ١٩٧٥
تاريخ مدينة سامراء (الجزء الثالث)	يونس الشيخ إبراهيم السامرائي	» ١٩٧٣
الحمامة «مختصر في ترويض النساك»	ابن العبري حققه وعربه المطران زكا عيواص	» ١٩٧٤
حول «بغداد في سنة ١٨٥٣»	حميد مجيد هدو	» ١٩٧٥
شعراء أمويون (القسم الأول)	الدكتور نوري حمودي القيسي	» ١٩٧٦
اللقاءات الأدبية في الجاهلية والاسلام	عدنان عبد النبي البلداوي	» »
مخطوطات عربية من صنعاء	حميد مجيد هدو	» ١٩٧٤
المستدرك على دليل الصحافة العراقية	« « «	» ١٩٧٣
مؤلفات الفارابي	الدكتور حسين علي محفوظ والدكتور جعفر آل ياسين	» ١٩٧٥
ترجمة معاني القرآن الكريم «إلى اللغة الفرنسية»	د. ماسون . مراجعة الدكتور صبحي الصالح	بيروت ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
ترجمة معاني القرآن الكريم «إلى اللغة الانكليزية»		بيروت ١٩٧٥
ليبيا في التاريخ	المؤتمر التاريخي	» ١٩٦٨
المعجم الحديث «عبري–عربي»	الدكتور ربحي كمال	» ١٩٧٥
الإدارة المالية	الدكتور محمد الناشد	حلب ١٩٧٦
أساسيات إنتاج المحاصيل الحقلية	الدكتور محمد نذير سنكري	» ١٩٧٥
أساسيات صناعة الألبان ومنتجاتها	الدكتور محسن سليمان عيسى	» »
أساسيات علم الحراج	الدكتور إبراهيم نحّال	» »
بساتين الفاكهة	الدكتور نزّال الديري	» »
بعض التجارب العملية في الألبان ومشتقاتها	الدكتو محسن سليمان عيسى	» »
تاريخ الطب العربي في رسوم	الدكتور سلمان قطاية	» ١٩٧٦
تجارب مخبرية في الكيمياء الفيزيائية	الدكتور جرجس شحّود	» ١٩٧٥
التحليل الكيميائي الوصفي	الدكتور نزار حمضمض	» »
التخطيط الزراعي	الدكتور خالد الحامض	» ١٩٧٦
خواص المواد (١ – ٣)	الدكتور عبدالكريم الحلبي	حلب ١٩٧٥
الرياضيات	الدكتور أدهم سفّاف	» »
السكك الحديدية (١ – ٢)	الدكتور عبدالكريم الحلبي	» »
مبادىء أولية في الكيمياء العضوية	الدكتور عبد الحامد حداد	» ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
مبادىء الفيزياء الحديثة (الجزء الرابـع)	الدكتور مرسيل داغر	حلب ١٩٧٥
المحاصيل الحقلية (الجزء الأول)	الدكتوررامي كفـالغزال	» »
محاضرات في الكيمياء العامة	الدكتور نزار حمضمض	» »
مصادر التراث العربي	الدكتور عمر الدقاق	» »
المطارات	الدكتور عبدالكريم الحلبي	» »
ميكانيك التربة	الدكتور محمد نبيل سالم	» »
الهندسة الآلية	الدكتورأحمد فيصل العمر	» »
الهندسة الصحية والبلديات	الدكتورأحمدفيصل أصفري	» »
الهندسة الكهربائية	الدكتور نبيل ميخائيل عيد	» »
غرة الزيجات	بجياننده نقله أبو الريحان البيروني	حيدر اباد ١٩٧٣
أبو الطيب المتنبي	د. بلاشير ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني	دمشق ١٩٧٥
إحصاء انتاج الدخل الوطني وتطبيقاته في القطر العربي السوري	الدكتور عز الدين جوني	» ١٩٧٦
إحصاءات التعليم العالي	وزارة التعليم العالي	» ١٩٧٦
أدب الحرب	حنا مينة والدكتورة نجاح العطار	» »
أرض الميعاد	يوري كوليسنيكوف ترجمة سعيد أحمد	» ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الأسرة المقدسة	كارل ماركس وفريدريك انجلز ترجمة الدكتور رزق الله هيلان	دمشق ١٩٧٥
أصول علم المواريث (قسم التركة)	أحمد عبد الجواد - تحقيق محمد سعيد حنبلي	» »
الأوائل « القسم الثاني »	أبو هلال العسكري تحقيق محمد المصري والدكتور وليد قصاب	» ١٩٧٦
بنية الدول الاشتراكية	الدكتور كمال الغالي	» ١٩٧٥
ثلاثة روائيين فلسفيين	جوزف برينان ترجمة هاني الراهب	» »
التضخم العالمي والشركات المتعددة الجنسيات	شارلس ليفنسون ترجمة د . سهام الشريف	» ١٩٧٦
الثورة الصناعية	جان بييريو ترجمة إبراهيم خوري	» ١٩٧٥
الحضارة على مفترق الطرق	رادوفان ريشته ترجمة يحيى علي أديب	» »
السماء تمطر خرافاً	دلال حاتم	» ١٩٧٦
سياسة المنتجات الأساسية والطاقة	د. عبد المنعم زنابيلي	» ١٩٧٥
سينما الأمس وسينما اليوم	رينيه كلير، ترجمة الدكتور مصطفى صالح	» ١٩٧٦
الطيور البيض تسافر صوب الشمس	مروان صقر	» »

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الفن في القرن العشرين	جوزيف اميل مولر ترجمة مهاة فرح الخوري	دمشق ١٩٧٦
في الحرب عند العرب	إبراهيم مصطفى المحمود	» ١٩٧٥
القادة الألمان في عهد هتلر وبعده	ل . أ . بيزينسكي ترجمة عبد القادر الضللي	» »
الكليات ـ (القسم الثالث والرابع)	الكفوي ـ تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري	» ٧٥ و ٧٦
المجتمع والعنف	فريق من الاختصاصين ترجمة الياس زحلاوي	» ١٩٧٦
المرأة في التاريخ العربي	د. ليلى صباغ	» ١٩٧٥
المصادفة والضرورة	جورج مـــونو ترجمة د . حافظ الجمالي	» »
معجم النحو	عبد الغني الدقر وباشراف أحمد عبيد	» »
معني الأمة	ألبرتيني وعدد من الباحثين ترجمة أديب العاقل	» ١٩٧٦
مقهى الباشورة	خليل السواحري	» ١٩٧٥
منارات	سان جون بيرس ترجمة أدونيس	» ١٩٧٦
ألفاظ الإسعافيّة	أحمد الأخضر غزال	الرباط ١٩٧٥
كتاب الفرق	ثابت بن أبي ثابت تحقيق محمد الفاسي	» ١٩٧٤
في قضايا اللغة العربية ومستوى التعليم العربي	أحمد الأخضر غزال	» ١٩٦٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
القضية اللغوية في حركة «راء» المشتركية	أحمد الأخضر غزال	الرباط ١٩٧٣
وحيش المغرب «الطيور»	أحمد الأخضر غزال	« ١٩٧٥
دليل دور الوثائق ومراكز التوثيق في الوطن العربي	جامعة الدول العربية	القاهرة ١٩٧٣
الدوريات العربية	جامعة الدول العربية	« «
روضة المدارس	محمد عبد الغني حسن، د عبد العزيز الدسوقي	« ١٩٧٥
فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدنة المحفوظة في المكتبة البريطانية	سامي خلف حمارنة	« «
تاج العروس الجزء الرابع عشر	المرتضى الزبيدي تحقيق عبد العليم الطحاوي	الكويت ١٩٧٤
البيان المفيد في رسم خط القرآن المجيد	أحمر عزة البغدادي تحقيق عبد الرحيم محمد علي	النجف ١٩٧٥

تصـــويبات الأخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الصـــواب	الصفحة	السطر	الصـــواب
٤٦٣	١	مغبرّةٌ	٥٠٨	١٣	أيوب السختياني (١)
٤٦٧	١١	الزّمّعان (٢)	٥١٠	٦	بن أبي الحسن
٤٧١	١٣	ّبزْلٌ	٥١٤	١٢	قال
٤٧٤	٨	مؤثّر	٥١٤	١٩	قاسم بن ثابت بن حزم
٤٨١		تحت عنوان المقال يضاف الرقم (٢) إشارة إلى أن المقالة هي الثانية	٥١٦	٣	بن ثابت بن حزم
			٥١٧	١٩	الصفار
٤٨١	١٢	بزاوية تمكروت أيضاً	٥١٩	١٤	بصُرةٌ
٤٨٤	٧	والثاني :	٥٢٦	١٤	حكى
٥٠٠	١٤	تحذف لفظة حديث	٥٢٧	١٧	الياء واواً
٥٠٠	٢٠	مج ٤١	٥٨٤	٨	أودى
٥٠١	٧	« الضحاك	٥٨٧	١٠	لفظة يسهو ، كلها في الشطر الأول
٥٠١	٨	« النعمان			
٥٠١	٩	« أبي هريرة	٥٩١		تـذيل اللوحة بالجملة التالية : انموذج من عمل الفنان محمد أنور شريف
٥٠٣	١١	٢٣٣			
٥٠٦	١٢	استدركنها			
٥٠٦	١٨	وجاء في الحاشية	٦٢١	١٠	الأدبية
٥٠٧	١٤	وكذلك البال ،	٦٣٣	١٥	٧٩/٥

(١) كذا جاء اسم أيوب السختياني في النسخة بين الصحابة وهو من تابعي التابعين توفي سنة ١٣١ هـ ولعل السبب أنه يروي عن ابن سيرين حديثاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الحادي والخمسين

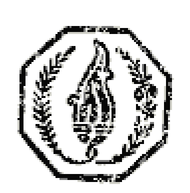
المقـــالات

التعريف والنقد

آراء وأنبـــاء







شـــوال ســـنة ١٣٩٦ هـ
تشرين الاول « اكتوبر » سنة ١٩٧٦ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الحياة
في كتاب الأغاني

الأستاذ شفيق جبري

إذا كنّا ننظر إلى كتاب الأغاني من ناحية ما قاله صاحبه في مقدّمته من أنه جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية، قديمها وحديثها، فإنّا نظلم أبا الفرج لأنه جمع فيه ما هو أجلّ قدراً من ذلك؛ وإذا كنّا ننظر إلى هذا الكتاب العظيم من ناحية ما جمعه صاحبه فيه من آثار وأخبار، وسيرٍ وأشعارٍ متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام، فإنّا نظلم أنفسنا لأن وراء هذا كلّه حياة اجتماعية كامنة لا ينبغي لنا أن نغفل عنها.

إن الذين قالوا: لقد وقع الاتفاق على أن كتاب الأغاني لم يعمل في بابه مثله لم ينحرفوا عن الحق في قولهم، ولست في حاجةٍ إلى ذكر ما قاله القدماء في قيمة هذا الكتاب أمثال الصاحب بن عبّاد وعضد الدولة والوزير المهلبي وعبد العزيز بن يوسف والثعالبي وياقوت وابن خلدون.

أما الأغاني التي جمعها أبو الفرج وأما المصطلحات التي استعملها أمثال قوله: الثقيل الأول وخفيفه الثقيل الثاني وغير ذلك من هذه المصطلحات،

أما هذا كله فقد ينفرد بمعرفته رجال الموسيقى ، ولست منهم في شيء ، والذي سمعته أنهم في عصرنا قد أحاط علمهم بكل هذه الرموز وأصبحوا يعرفون ما يراد بالثقيل الأول والثقيل الثاني وغير ذلك ، فهذا لا يعنينا أمره في هذا المقال ، وكما أنني لا أعنى بالأغاني ومصطلحاتها في كتاب الأغاني فكذلك لا أعنى في هذا المقال بالأدب المستفيض في هذا الكتاب ، إنّ هذا الأدب إنما هو كنز لا يفنى مع الإنفاق ، وهذا التعبير اقتبسته من ابن المقفع لأنه وحده يليق بالافصاح عن منزلة كتاب الأغاني ؛ فإذا كنّا لا نقرأ هذا الكتاب إلا للانتفاع بأدبه فقد يتم لنا من هذا الانتفاع شيء كثير نصفّي به ذوقنا وننمّي به معرفتنا ونقف على طبقات كثيرة من الشعر على اختلاف عصوره وأطواره . ولكن كتاب الأغاني ينبغي لنا أن نقرأه لأسباب ثانية .

وسنطّلع في هذه القراءة على فوائد لا تقل عن الفوائد الأدبية ، سنتمتّع بالوقوف على الحياة بجذافيرها في بعض المواضي من عصورنا ، لقد ذهبت عنّا أخبار كثيرة من هذه الحياة فإذا افتقرنا إلى شيء فإنا نفتقر إلى الإحاطة بمظاهر تلك الحياة فلا نعرف مثلًا أين كان تدريس الطلاب ولا كيف كانت معاملة المعلمين للطلاب ولا كيف كانت مجالس الطلاب وأساليب دراستهم وطبيعة هزلهم . غير أن الحياة لا تقتصر على حياة الطلاب وحدهم فإنها تمتد إلى آفاقٍ أبعد ، إلى اللهو والشراب والزينة ، إلى داخل الدور وما تشتمل عليه هذه الدور من الأواني والفرش والثياب .

هذا بعض ما نحتاج إليه من معرفة الحياة الاجتماعية في تاريخنا ، ولا سيما حياة العامّة ، فإن أدبنا في القديم قد حُبس على الخاصة وأهمل أكثره معرفة أمور العامّة .

وفي كتاب الأغاني أشياء غير قليلة من هذه المعرفة ، غير أن حياة

الخاصة ، ولا سيا حياة الخلفاء ، كانت أظهر في كتاب الأغاني فقد نقف فيه على أمورٍ كثيرة من قصور الخلفاء وفنّ البناء في الحجاز والشام والعراق.

ماذا أحصي من مظاهر الحياة الاجتماعية في كتاب الأغاني ، أفلا يهمنا أن نعرف أندية تلك العصور ومطاعمها وخاناتها وقصّاصها وأفراحها وأحزانها ؟ وأما المرأة وحياتها فقد كانت سراً من الأسرار ، إلا أن أبا الفرج قد كشف لنا عن هذا السرّ بكلامه على حرية المرأة في الزواج وتفكيرها في حرية الطلاق وتحدّثها إلى الرجال وحجابها وسفورها ، ونحن في أشدّ الحاجة إلى مثل هذا الكشف ولو كان قليلاً .

هذا بعض ما نهتدي إليه في كتاب الأغاني ، دع عنك أشياء ثانية تتصل بالغناء في القصور وبمواكب الحج وغير ذلك ، والذي نستغربه كل الاستغراب إنما هو أمر اللهو والتبذير ، وحسبنا بيتان قيلا في التبذير وردا في كتاب الأغاني .

وحلّةٍ تنشر ثمّ تُطوى وطيلسانٍ يُشترى فيُغلى
لعبد عبدٍ أو لمولى مولى يا ويح بيت المال ماذا يَلقى

ليس هذا كل ما يحتوي عليه كتاب الأغاني الخالد على تعاقب العصور ولكني أكتفي بالإشارة إلى بعض محتوياته حتى نعلم أن هذا الكتاب ليس مجرد ذكر الأغاني العربية ، وذكر آثار وأخبار وسيرٍ وأشعار ، ولكنه صورة حياةٍ اجتماعية بجذافيرها تمرّ في تضاعيف سطوره بطائفةٍ من أسرار هذه الحياة مما لا تمرّ في غيره بأشباهها فإذا نحن جمعنا هذه الآثار والأخبار والسير ، ونسّقناها في كتاب خاص حصلت لنا بذلك صورة الحياة الاجتماعية في بعض أيامها .

قد نستغرب هذا الأمر فنقول : لماذا لم ينسّق أبو الفرج كتابه على

الشكل الذي يصوّر لنا الحياة أوضح تصوير ؟! إنه قد فطن إلى هذا التنسيق ولم يذهب عنه ، ولكنه اعتقد أن في طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجدّ ، وكل مُنْتَقَلٍ إليه أشهى إلى النفس من المُنْتَقَل منه ، والمنتظر أغلب على القلب من الموجود .

غير أنا في هذا العصر نميل إلى التنسيق وإلى الاختصاص ، فإذا تفرّغنا لموضوع فإنا نحب أن نتفرغ له بشيء كثير من التبويب والتنسيق ، وهكذا نجد أن أساليب التأليف تختلف من عصر إلى عصر وأن الأذواق تتباين من دهر إلى دهر . وكيف كان الأمر فإذا وجدنا في كتاب الأغاني ذخيرة لأدبنا وصورة لكثير من أشعارنا على اختلاف أيامها نصفّي بها أذواقنا في الشعر ، ومظهراً من مظاهر النقد الأدبي نهتدي به إلى المحاسن والمساوىء ، إذا وجدنا هذا كله فقد آن لنا أن نجد في كتاب الأغاني صورة حياتنا الاجتماعية في كثير من أنماطها ، وأن نملأ قلوبنا وعقولنا من هذه الصورة فنخرج من هذا كله بنتيجتين :

علوّ منزلة أبي الفرج في الأدب والذوق .

وعلوّ منزلته في تصوير الحياة .

وهذا ما يدخله في جنّات الخالدين .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٢ -

الدكتور حسني سبح

١٠٧٥٦ جَروع رِيڤيير — **10756** potion de rivière

وأفضل شراب رِيفيير لما تقدم من السبب آنفاً

١٠٧٦٠ إبهامٌ مُنْشَق ، مُنْشَطِر — **10760** pouce bifide

وأفضل إبهام مشطور (إلى شطرين) كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي[١]

١٠٧٦١ ذَرّ ، رشٌ المستحوق أو الذَّرور — **10761** Poudrage

وأفضل ذر الذَرور أو المسحوق دون الرّش[٢] وكذلك تغبير وتعفير كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣]

١٠٧٦٣ ذَرور مُلْتَصِق — **10763** poudre adhérente

وأرجح ذَرور لاصِق

---

(١) (zweigeteilter Daumen) .

(٢) في لسان العرب : الرّش للماء والدم والدمع، والرش رشّك البيتَ بالماء وقد رشَشْت المكانَ رشاً.

(٣) (inspersion, powdering, dusting) .

10764 poudre en boite, poudre conditionnée

١٧٠٦٤ ذَرُورٌ في عُلْبة ، ذَرور مُحْكَم ، مُسْتَوفي الشروط
وأفضل ذرور مُعَلَّب ، ذَرور مُهَيَّأ

10767 poudre gazogène laxative

١٠٧٦٧ مُسْحوقٌ مُولِّد الغـاز مُلَيِّن
مَسْحوق مُلين فوّار ، وذَرور سَتْليج ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي[١]

10770 poudre à souh poudres ١٠٧٧٠ مَسْحوق للذَّر ، للرَّش
مسحوق أو ذَرور لِلذَر أو التَعْفير كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي[٢] الرش

10775 pouls alternant ١٠٧٧٥ نَبْضٌ مُتَغاير ، مُتَناوب
النَبْض المُتَناوب فقط

10776 pouls bigéminé ou géminé ١٠٧٧٦ نبض مُضاعَف أو مُزْدَوج
وأفضل نبض ثُنائي أو مُزدَوج

10777 pouls bondissant ou capricant

١٠٧٧٧ نَبْض قافِـز أو قافِص
وأرجح نبض قافز أو مُرتَج ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي[٣] ولا أرى لفظة قافص تعني ذلك[٤]

(١) (Seidlitz powder) .

(٢) (dusting powder) .

(٣) (jerky pulse, goat leap, caprizant pulse, bonding pulse)

(٤) في لسان العرب : القَفْص الخفة والنشاط أو الوثب ، قَفَص يقفص قفْصاً فهو قَفِص والقَفْص نحوه والقَفِص النشيط إلى أن قال : قَفِص قفصاً فهو قَفِص تقبّض وتشنّج من البرد .

10778 pouls capillaire (insuffisance aortique)

١٠٧٧٨ نَبْضٌ شَعْري (قُصُور الوَتين)

وأرجح نَبْضٌ شَعْري (قُصُور الأبهر)[١]

10780 pouls dans la conpression cérébrale aiguë

١٠٧٨٠ نَبْضٌ في انضِغاط الدِّماغ الحادّ

وأرجح النَّبْض البطيء الخاص بفرط الضغْط داخل الجمجمة
كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢]

10781 pouls de Corrigan (bondissant et bref)

١٠٧٨١ نَبْضُ كُورِيغان (قافز ووجيز)

وأفضل نبض قوريغان (قافز وقصير)

10783 pouls en fil de fer tendu

١٠٧٨٣ نَبْضٌ كسِلْك من حديدٍ مُوَتَّرٍ

وأفضل نَبْضٌ كَسِلْك حديدٍ مشدودٍ ، أو نَبْضٌ
كَسِلْك الحديد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي[٣]

10785 pouls instable

١٠٧٨٥ نبْضٌ غيْرَ ثابِتٍ

وأرجح النبّض المتغيّر

---

(١) سبقت الملاحظة على هذه اللفظة ، وأن مجمع اللغة العربية في القاهرة عرّب اللفظة بالآورطى (الصفحة ٧٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة) .

(٢) (slow pulse caracteristic of intracranial pressure).

(٣) (wiry pulse) .

10786 pouls myure

١٠٧٨٦ نَبْضٌ نَازِعٌ (أي تضعف دَقّاته تدريجياً ثم تتلاشى)
وأفضل النبض المتلاشي (١) والنبض المُقتَضب والنَبْض
على هيئة ذَنَبِ الفأر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٢)

10787 pouls paradoxal

١٠٧٨٧ نَبْضٌ غريبٌ ، مُسْتَغْرَبٌ
وأرجح النبض العَجيب أو المُتفارِق

10795 poumon d'acier

١٠٧٩٥ رِئةٌ فُولاذِيّة
وكذلك مُتَنفِّسةُ دِرنكر أو كَمّامته ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

10796 pouponière

١٠٧٩٦ دَار حَضَانةٍ ، قاعةُ حَضَانة
وأفضل دَار حَضَانة الأطفال النَّهاريّة

10797 Pourpre rétinien

١٠٧٩٧ فُرْفيرٌ شَبَكي
وأرجح فُرْفير الشبكية أو الطبقة الشبكية والفرفير
البَصَري ورودبسين ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٤)

10798 pourri, ie, putrèfié, ée

١٠٧٩٨ نَجِر ، مُتَفَسِّخ ، مُتَدعِّص

---

(١) في تاج العروس : لشا خَسَّ بعدَ رِفْعَة ، تلاشى الشيء اضمحل .

(٢) (decurtate, myurous or mouse - tail pulse) .

(٣) (Drinker respirator) .

(٤) (visual pourple, rhopodsin) .

10799 Pourriture, putréfaction, décomposition cadavérique

١٠٧٩٩ جَوَى ، تَفَسُّخ ، تَدعُّص ، تَجزُّؤ جيفي

وأرجح فاسِد ومُتَفسِّخ في الأولى ، وفَساد وتَفَسُّخ وتَجيُّف وتَدعُّص(١) في الثانية

وللفظة جَوى معاني أخرى تُوقِع الالتباس(٢)

10800 pourriture d'hôpital, mal d'hôpital, gangrène nosocomiale d'hôpital, diphtérie des plaies, ulcère putride ou gangréneux

١٠٨٠٠ جَوى المُستشفى داء المستشفى مَوات المستشفى ، غِشائيَّة الجروح ، قَرحة عَفِنة أو مَواتية

---

(١) في لسان العرب : وقد جافت الجيفة واجتافت انتنت وأروَحت .

وفيه أيضاً : وتَدَعَّص اللحم تَهرأ من فساده والمُتدعِّص الميت إذا تفسخ شبه بالدِعْص (قدر من الرمل مجتمع) لوَرمه وضَعْفه. وجيفت الجيفة تجييفاً إذا اصلّت .

(٢) في تاج العروس: الجوَى هوى باطن كما في المحكم وأيضاً الحزن ، والماء النتْن المتغير ، وفي الصحاح الحُرْقة وشِدة الوَجْد من عِشْق أو حُزْن ، والجوَى السل وتَطاول المَرَض وقيل داء يأخذ في الصدر، وقيل كلُ داءٍ يأخذ في الباطِن لايُستمرأ معه الطعام، وقد جَوي كرَضي جوَى فهو جَوٍ بالتخفيف وجَوٍّى وُصِف بالمصدر وامرأة جَوِية وجَوِيّة كرضيّة واجتواه كرهه .

وأرجح نتانة المستشفى[١] أذى المستشفى[٢] ، غنغرينا[٣] التمريض (وقد أهملتها اللجنة) أو غنغرينا المستشفى ، دِفتريا[٤] الجروح ، والدِفتريا الجراحية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٥] والقرحة النتنة أو الغنغرينية

10802 poussée nouvelle, rechute, récidive, récurrence

١٠٨٠٢ هجْمة جديدة ، ارتدادُ نكس ، تكرّر

ودرجت على ترْجمة اللفظة الثانية (rechute) بالمعاودة والثالثة (récidive) بالنُكس وأفضل ترجمة (récurrence) بالرُجوع

10804 poussier de motte, tourbe pulvérisée

١٠٨٠٤ دُقّ مَدَر الفحْمِ ، طُورْب مسْحوق

وأفضل دقيق الحُثّ أو مسْحُوقه أو دُقاقُه[٦] وكذلك

---

(١) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) إن لفظة (mal) تعني الضرر والأذى لا الداء حصراً وهو المقصود هنا .

(٣) الصفحة ٨٤٤ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٢٩٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) (wound or surgical diphteria) .

(٦) في لسان العرب : الحُثّ غُثاء السَّيْل إذا خلفه ونَضَب عَنْه حتى يجف وكذلك الطُحلُب إذا يبس (لعل هذا هو المقصود) .

في لسان العرب : والدُقاقة والدُقاق ماأندق من الشيء وهو التراب اللين الذي كسحته الريح من الأرض ، ودُقَقُ الترابِ دُقاقه واحدتها دُقة ، والدُقاق فُتاتُ كل شيء .

الغزّي الخثّي والفِراش الخثّي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١] إذ يبدو أن المقصود من مدلول هذه اللفظة غير الطبية مايضاف إلى الجِبْس من مَسْحوق من أصل نَباتي ليحول دون انتفاخه بعد جَبْله بالماء ووضع الضِّماد الجِبْسي ، في تثبيت أحد أجزاء الأطراف وليس لألفاظ الدُق والمَدَر والطُورب هذه الدلالة[٢]

١٠٨٠٥ غُبار — 10805 Poussière

ومَسْحُوق أو ذَرور ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣]

10806 Poussif, emphysémateux, euse, asthmatique (vét.)

١٠٨٠٦ زِلِيّ ، مُنْتَفِخ الرِّئة ، رَبْوي (بيطرة)

وأرجح كرَيري أو مُصاب بالكرَيرة[٤] أو بالزُلّة[٥] (بالضم) ومُنْتَفِخ الرِّئة ورَبْوي ، ومُنْقَطِع النَّفَس كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٦]

---

(١) (peat gauze, peat - litter) .

(٢) المَدَر قِطع الطِّين اليابس وقيل الطين العِلك الذي لارمل فيه واحدته مَدَرة،هذا ويبدو أن لفظة طورب (ولعلَّ الأفضل أن ترسم بدون واو طُرْب) هي من تعريب الاجنة .

(٣) (dust, powder) .

(٤) في لسان العرب : الكَرير صوت في الصدْر مثل الحَشْرَجة وليس بها وكذلك هو من الخيل في صدورها كرَّ يَكِرُّ بالكسْر كريراً مثل كرير المختنق.

(٥) في تاج العروس : والزُلة بالضم ضيق النَّفس .

(٦) (asthmatical, pursy, broken- winded, chest - foundered)

10807 Pouvoir adhésif

١٠٨٠٧ قُدْرَةٌ دَابِقة

وأرجح قُدْرَة لاصِقة ، وسبق للجنة أن ترجمت (adhésion) بالتزاق وإلتصاق وتثبيت (اللفظة ٣٢٧)

10810 pouvoir définissant d'une lentille

١٠٨١٠ قُدْرة مُحَدِّدَة (للعدسية)

وأرجح القُدْرة المُوَضِّحة أو المُبَيِّنة (لإحدى العدسات) لأن المقصود من هذا المصطلح قدرة احدى العدسات على إظهار الأشياء اظهاراً بغاية الوضوح ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10811 pouvoir de discrimination

١٠٨١١ قُدْرَة التَمْييز

والتفريق كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10812 Pouvoir floculant

١٠٨١٢ قُوَّةٌ مُسَبِّخة

وأرجح قوة مُندِفة(٣) لأن للتسبيخ معاني طبية أخرى(٤) وسبقت للجنة أن ترجمت (léthargie) بسَبْخ وسُبات (اللفظة ٧٨٢٦) ثم عدلت عن السَّبْخ

---

(١) (power of lens to give sharp picture of objects).

(٢) (power of discernment, of discrimination).

(٣) في لسان العرب : النَدْف طرق القطن بالمِنْدَف ، نَدَفَ القُطنَ يندِفُه ندفاً ضربه بالمِندف فهو نديف .

(٤) في لسان العرب : التسبيخ التخفيف إلى أن قال والتسبيخ أيضاً التسكين والسكون ، والسبْخ والتسْبيخ النوم الشديد .

10813 pouvoir pénétrant (d'un objectif)

١٠٨١٣ قُدْرَة نافِذة (العدسية جُرْمية)

وأفضل قُدْرَة النُفوذ (لعدسة شيئية) كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة

10817 pouvoir séparateur ou résolvant (d'une lentille)

١٠٨١٧ قُوَّةٌ عازِلة أو مُحلِّلة (العدسية)

وأفضل القدرة المفرقة أو المحلِّلة (للعدسة)

10820 Praticabilté

١٠٨٢٠ سَلوكيَّة ، قابليَّة السُّلوك

وأفضل قابليه الإجراء والعمل والسلوك

10822 Praxie

١٠٨٢٢ تَنْسيق الحركات

وأفضل إحكام العمَل ، لأن ماتعنيه اللفظة اداء العمل الذي تعلَّمه الانسان إداءً صحيحاً بالإتيان بجملة حركات متتابعة وبانتظام

10830 précipitation en flocons, flocutation

١٠٨٣٠ تَرسّبٌ سَبائخ ، تَسبُّخٌ

وأفضل تَرسُّب على هيْئة ندائف[1] وتندُّف

10832 Précipité, ée

١٠٨٣٢ مُرسَّبٌ ، مُترسِّب

وأفضل مُرسَبٌ ومرسَّبة

10839 préconiser

١٠٨٣٩ أطنَب ، أطرأ

والصحيح أوْصى أو أقترَح استعمال علاج (précosniser un médicament) وهو المقصود من هذه اللفظة في هذا المعجم الطبي

(١) الهامش الثالث من الصفحة السابقة

١٠٨٤٠ قَبْل الشُّعُور 10840 Préconscient

وأرجح مَا قَبل الوَعي أي مايبدأ أن يَشعُر به فاقـد الوعي ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٨٤١ أمام القَلْب 10841 Précordial, le

ومُقدّم الصَّدر

١٠٨٤٣ هَضْمٌ سابِق بَدْء الهَضْم 10843 Prédigestion

وأفضل طليعة الهضم أو بدؤه

١٠٨٤٤ مُؤهِّب 10844 prédisposant, te

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : مُهيِّئ ، وجاء في الشرح أي شيء يؤثر في الجسم فيجعله قابلاً لتأثير المهيج

10845 Prédisposition au développement d'une tumeur

١٠٨٤٥ تأهّب لنُموِ ورمٍ

وأفضل تأهب لتكوّن ورم أو تكوينه

١٠٨٤٨ قَبَضَ ، تَناوَل 10848 Préhension

وأرجح الإمساك أو الالتقاط ، لأن أكثر ماتستعمل اللفظة في المنعكس الذي يحمل هذا الاسم (refl. de préhension) ويغلب ظهوره في أورام الفَص الجَبْهي

١٠٨٤٩ أخْذ ، أخيذَة للتجربة 10849 prélèvement, prise d'essai

وأفضل إختزاع أو أخذ في اللفظة الأولى حسب المادة المخترعة أو المأخوذة ، فإذا كانت دماً قبل أخذ الدم وإذا

---

(١) (the fore - conscious)

كانت قطعة من نسيج قبل إختزاع خُزاعة من النسيج
أو من الورم ، ثم أخذ للاختبار في الثانية

١٠٨٥٠ أخذُ نماذج — 10850 prélèvement (faire un) d'échantillons

وأفضل أخذ عيّنة أو عيّنات كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وأخذ عيّنة لأجل الفحص أو الدراسة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٨٥٤ إسعافٌ أوّل — 10854 premier secours

وأرجح الاسعاف الأوّلي

١٠٨٥٦ المياه الأُولى (قِبالة) — 10856 premières eaux (obs.)

ولعلها السابياء(٢)

١٠٨٦٣ بَرُدَ وأصيبَ ببَرْد — 10863 prendre froid

وأرجح بَرُدَ وتبَرّدَ . هذا وإن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أقر لفظة البرد ترجمة لِـ (cold) الانكليزية ، ويُعرف بالزكام (وهو الصحيح) وجاء في الشرح : نَزْلة تصيب أغشية الجهاز التنفسي المخاطية .

١٠٨٦٥ مَشْغول ، قَلِق — 10865 Préoccupé, ée

وأرجح مُنْشَغِل تاركا مشغول ترجمة لِـ (occoupé) وقَلِق لِـ (anxieux) .

١٠٨٦٧ مُجَهِّز ، مُعِدّ — 10867 Préparant, te

(١) (taking a specimen or sample for examination)

(٢) في لسان العرب : والسابياء الماء الكثير الذي يخرج على رأس الولد .

وأفضل مُهَيِّىء ، مُحَضِّر ، وكذلك إعدادي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10868 Préopératoire

١٠٨٦٨ قَبْل التَضْحِ

وأفضل قبلَ الجراحة أو قَبْل التوسُّط الجراحي أو المداخلة الجراحية

10870 préparation culinaire

١٠٨٧٠ مُحَضَّر طَبْخي

والصحيح تحضير للطبخ ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10872 préparation à l'état frais ou préparation fraiche

١٠٨٧٢ مُحَضَّر عَبِيط أو طَري

وأرجح التحضير بالحالة الطازَجة ومُحضَّر طازَج أو تحضير بالحالة الطبيعية ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي(٣)

10873 préparation par impression

١٠٨٧٣ مُحَضَّر بالانْطِباع

وأفضل تَحْضير بالطَبْع وبالضَغْط مع التماس ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي(٤)

10877 Préparation remplaçant le sang, produit de subs - titution ou succédané du sang

١٠٨٧٧ مُهَيَّأ يقوم مقامَ الدَّم ، مادة تعيض عن الدم

---

(١) (preparatory) .

(٢) (preparation, cooking of food) .

(٣) (Nature präparat) .

(٤) (Abklatsch - Klatsch - Kontaktpreparation) .

وأرجح مُحَضَّر عِوَض من الدم ، مُنْتَج بديل عن الدم
أو بديل الدم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من
المعجم الأصلي(١)

10878 Préparation sèche ou à sec — ١٠٨٧٨ مُحضَّر جافٌ

وأفضل مُحَضَّر جافٌ و مُحضَّر بالتجفيف (بلا ماء) ، وكما
جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10880 Préparer, distribuer, et administrer des médicaments

١٠٨٨٠ حضَّر وَوزَّع وأعطى أدْوِية

وأفضل هيَّأ الأدوية ووزَّعها وأوصى بها للمريض

10881 préparer un milieu de culture

١٠٨٨١ حضَّر بيئةَ الزَّرْع جهَّز مُسْتَنْبَتاً

وأفضل حضر أو هيأ مستنبتاً الزرع

10882 Prépondérant, ante, prévalent, ante, d'impor - tance exagérée

١٠٨٨٢ راجِحٌ ، غالِبٌ ، ذو شأن عظيم

وأفضل مُرَجَّح ، مُتفوِّق ، ذو شأن مُبالغ فيه

10886 Presbyacousie — ١٠٨٨٦ وَقْر الشيْخوخة

يُستدل من اشتقاق اللفظة إنها تعني سَمْع الشيخوخة ،
وجاء التعريف في معجم دُرلاند(٣) حالة خاصة في الشيوخ

---

(١) (blood substitute) .

(٢) (dry, dried preperation) .

(٣) لفظة (presbyacusia) في معجم (Dorland's Illustrated Medical Dictionary) .

بحيث يثقل السمع من الأذنين معاً وتدريجياً وبازدياد مطرد . لذا أرجح حالة السمْع الشيْخي

١٠٨٨٧ قُصْر البصر — 10887 Presbyopie, presbytic

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة(١) وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمتها أيضاً بالابصار الشيْخوخي ، وجاء في التعريب : ضعْف في إبصار المرْئيات القريبة ، سببه تغير شيخوخي في قدرة العدسة على التكيف

١٠٨٨٨ قاصي البصر — 10888 Presbiopique

وأرجح ذو إبصار شيْخوخي

١٠٨٩٢ ثبات الجنان ، بديهة — 10892 présence d'esprit

وأرجح سُرْعة الخاطر

١٠٩٠٤ يَتْن (مجيء بالقدمين) — 10904 présentation des pieds

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة اليَتْن للجيئة بالمعقدة وجاء في الشرح : خروج مقعدة الحميل من الرحم قبل رأسه والصحيح ماذكرته اللجنة(٢)

١٠٩٠٦ مجيء بالقمة — 10906 présentation du sommet

والمجيء الجمجمي والرأسي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

---

(١) الصفحة ٢٩٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في تاج العروس : اليتن أن تخرج رجلا المولود قبل يديه ورأسه، وتكره الولادة إذا كانت كذلك وقد خرج يتناً .

(٣) (cranial presentation, head presentation) .

10912 **Presseur**, hypertenseuse

١٠٩١٢ ضَاغِطٌ موتّر ، زائِـــد الضغْط

وأفضل ضاغط ، مُزيد التوتّر أو رافِـع التوتّر

10914 pression d'une ampoule à gaz ١٠٩١٤ ضَغْطُ حُبابة غازٍ

والصّحيح الضغْط في أنبُوب ذي غاز أو ضغْط الغاز في أنبوب الأشعّة السينية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١]

10917 pression dans l'axe du fœtus

١٠٩١٧ ضَغْطٌ بِحسب مِحْوَر الجنين

ضَغْط مِحْوَر الجنين أو الحميل (مجمع اللغة العربية في القاهـــرة) ، وكما جاء في الترجمـة الانكليزية من المعجـم الأصلي [٢]

10918 pression critique ١٠٩١٨ ضَغْط بُحْراني

والصحيح الضغْط الحرِج كما جاء في معجم وبستر [٣]

10918 pression des muscles de la paroi abdominale

١٠٩١٨ ضَغْط عضلات الجِدار البطْني

وأرجح ضَغْط عضلِ جِدار البَطن أو عضلاتِه

10919 pression partielle ١٠٩١٩ ضَغْطٌ قِسْمي

وأفضل ضَغْط جُزْئي

---

(١) (pressure of the gas in a x - ray tube) .

(٢) (fœtal - axis pressure)

(٣) لفظة (critical) في معجم وبستر (Webster's Third New International Dictionary) .

١٠٩٢٠ مَصبُّ هيروفيلُ 10920 pressoire d'Herophile
وأفضل مُلْتقى هيروفيلوس (وهو الاسم المعروف به عند
العرب) وملتقى الجيوب (conflent sinus) أيضاً وثمة
غلط مطبعي في (برسوار) إذ وردت بدون e

١٠٩٢١ حاسّ بالضغْط 10921 Pressoréceptif, ive, pressosensitif, ve
وأفضل مُستقبل بالضغْط في اللفظة الأولى (وقد أهملتها
اللجنة) مُدْرِكٌ بالضغط

١٠٩٢٢ مُشْعِر بالضغط 10922 Pressorécepteur
وأفضل مُستقْبِل بالضغْط

١٠٩٢٥ دارُ الوقاية ، مَوْقى 10925 Préventorium
وأفضل مُنْتَجع الوقاية

١٠٩٢٩ قساحة ، كَثْرةُ النُّعُوظ 10929 Priapisme
وأرجح القُساح أو النُّعوظ المستمر أو الدائم وهو الناجم
عن حالة مرضية لا عن فرط الشهوة الجنسية

١٠٩٣٣ عاملِ مُؤثر ، جَوْهَر مؤثر 10933 Principe actif
وأرجح الجوْهر المؤثر السريع كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٩٣٤ عامِل كَبدي صائن 10934 prlncipe hépatique protecteur
مادة كبدية واقيةٌ أو حاميـة كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الاصلي(٢)
تاركاً عامل ترجمة لِ (facteur) (اللفظة ٥٥٢١) للبحث صلة

---

(١) (active component, active quick principle) .
(٢) (protective hepatic substance) .

مزاعم بناء اللغة على التوهم (*)

الأستاذ محمد بهجة الأثري

- ١ -

هل بُني في اللغة العربية شيء من الألفاظ المشتقات على التوهُّم ؟

بناء اللغة على التوهم ، أو الخطأ ، يعني انحراف السَّلائق عن قانونها النفسي الذي يحكمها ، وتجري عليه صورهـــا الاشتقاقية اطّراداً على نَسَق متعيّن .

وفي حدود ما أعلمه وأطمئن إليه أستطيع أن أدّعي أن اللغة العربية ، بأساليبها الكثيرة الدقيقة ومناحيها المختلفة في الاشتقاق وتنويــع الصّور الكلامية ، هي أقرب إلى النظام الطبيعي والتزامه سجيّةً وسليقة — من هذه اللغات الواسعة الانتشار ، التي نعرف بعضها معرفة تكاد تضارع معرفة أهلها المتميزين بها ، أو نلم بها إلماماً غير قاصر نفقه معه طبيعتها ، أو يصف لنا علماء اللغات أحوالها وخصائصها فنستشف منها نظامها العام في التأصيل والاشتقاق .

(*) بحث ألقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٦

ولكن هذا النظام الطبيعي ، الذي تتميز به العربية ، قد يبدو بعض جوانبه في كتب النحو وعليه سِمات من الاختلال اليسير ، كما تُلْمَحُ في هذا الاضطراب الذي نجده في تأصيل بعض ما أصّله النُّحاة واللغويون ، رحمهم الله ، من الضوابط ، وفي هذا الاختلاف بينهم في مسائل السّماع والقياس ، وما يتصل بها من القول بالشُّذوذ والندرة والبناء على التّوهم ونحو ذلك من أقوال .

وحدوث مثل هذا الاضطراب والاختلاف في تقرير مسائل اللغة العربية ، أمر طبيعي ومعهود في كل لغة أخرى . ومردُّه في اللغة العربية إلى جملة عوامل ، اعتملت فيها في تاريخها المديد ، فألقت ظِلالها على أذهان اللغويين والنُّحاة وعلى بعض ما استنبطوه من ضوابطها وقواعدها العامة .

وحالة اللغات جمعاء ، هي كذلك أيضاً .. تخضع لأمثال ما خضعت له العربية ، من حيث هي كوائن حيّة ، يعتورها عادة ما يعتور الأحياء من تغيُّر وتطوُّر ، وكون وفساد ، ونموّ وضمور ، فينعكس ذلك كله على ضوابطها المستنبطة منها وما يقال فيها أحياناً من الشذوذ ونحوه .

وأكثر ما نرى ذلك يعرض لأبنية اللغات الكبيرة ، التي تقادمت عهودها وكانت لها جذور تاريخية وتكلمت بها شعوب كثيرة في بقاع شتى وأزمان متطاولة .

واللغة العربية ، كما نعلم ، لغة عريقة قديمة ممعنة في القِدم ، ضاربة في أعماق التاريخ البعيد . وقد عايشت حضارات أخصبت في الحجاز واليمن وحَضْرَمَوْتَ وعُمان والبحرين ، بل أخصبت في قلب الجزيرة أيضاً ، كما دلّ على ذلك التنقيب عن الآثار وشهره الباحثون في العصر الحديث . واتصلت بالأمم التي تجاورها في البرّ من فُرس وروم ، وبالأمم التي تسكن وراء

بحارها من الشرق والغرب والجنوب . وعايشت كذلك البداوة في العصر الجاهلي ، الذي اتصل به ظهور الإسلام وقُدّرت مدته بمئتي سنة . فعرفت بفضل هذه المعايشات المختلفة ، ألواناً شتى من ألوان الحياة في صعودها وهبوطها ، وفي حضارتها وبداوتها في مختلف الأحوال المادّية والمعنوية ، وزخرت بذلك مادتها زخوراً منقطع المثال في تاريخ اللغات ، وحملت من ألفاظ الحضارة والبداوة معاً ما ننعم به من مادّتها الثّرّة وثرائها الوافي .



ونحن نعلم أنها في عصورها الحضارية القديمة كانت لغة متعددة اللهجات والسّمات ، ولكنه التعدّد الذي لا يطغى على الأصل الجامع . وكذلك ظلت بعد اندثار تلك الحضارات ، واضطرار العرب بسبب ذلك إلى الانتشار في البوادي ما بين فيافي الحجاز وتهامة ، ومتهامه الأحقاف واليمامة ، وفي أطراف الجزيرة وحواشيها من أسياف البحر وتخوم البر .. فتوزّعوا فيها قبائل وبطوناً وأفخاذاً ، وعاشوا رُحّلًا جوّابين ، يتنقلون في جزيرتهم من أرض إلى أرض ، يسعون في انتجاع المراعي ومساقط الأمطار ، وقلما كانوا يلتقون إلا متنازعين على موارد العيش .. هكذا تباعد بعضهم عن بعض ، فاستتبع تباعدهم هذا على مرور الزمن تباعد لهجاتهم في أشياء غير قليلة ، ولكنه لم ينَلْ من الأصل العام الذي ظل محتفظاً بنفسه ومستقراً في النّحائز والسلائق .

وبهذه القبائل والبطون والأفخاذ العربية المتبدية ، وتلك كانت حالة اللغة من الانتشار وتعدد اللهجات .. اتصل رواة العربية ، بعد أن نجمَ الإسلام وانبثقت الثورة العلمية التي رافقت دعوته بدءاً بنشر الكتابة والقراءة في الأمّيين ، وانتهاءً بالتدوين والتأليف ووضع النحو وصُنع المعجم العربي .

أخذوها منهم وهي لغـــات قبائل ، لا لغة قبيلة واحدة بعينها ، ودوّنوها جميعاً ولكن من غير أن يصنّفوها بحسب كل قبيلة ، وإن لم يفتهم أن يشيروا في أثنـاء ذلك إلى اختلاف اللهجات . هذا إلى أن ما دوّنوه منها ، على عِظَمه وغزارته ، لم يكن كلّ ما تكلمت به العرب ، وإنما كان قليلًا من كثير درَسَ وذهب بذهاب أهله كما أجمع على ذلك المؤرّخون .

ثم كانت هذه الأصول ، وهي على هذه الحال ، هي عمدةَ اللغويين والنُّحاة في تأصيل ضوابط العربية التي استنبطوها ابتداء وابتداعاً فأحسنوا ، رحمهم الله ، الإحسان كلّه . وكان طبيعياً جداً أن يجتهدوا فيما استنبطوه وأصّلوه ، أو في أشياء مما أصّلوه ، اجتهاداً متغـايراً ، وأن ينشأ بينهم اختلاف في الآراء ، وتعدُّد في المذاهب ، وأن يقرر هذا غير ما يقرره ذاك ، وأن يحدث القول بالشذوذ ، أو النُّدرة ، أو البناء على التوهم .

على أن هذا كله ، ليس بالقدر الذي يخل بجملة نظام اللغة ، ولاهو بالذي يستعصي على التصحيح لمن أراده ، لا أعني تصحيح اللغـة ، ولكن تصحيح ما تشعّث من بعض ضوابطها التي بنيت على الاستقراء الناقص عند بعض النّحاة ، وعلى الفكر المتزمت عند آخرين .

ولقد اهتدت الدراسات الحديثة المتعمقة ، التي قامت في هذا العصر على التحرر من قيود المتابعة العمياء ، إلى أشياء من هـــذا التصحيح ، أصابت فيها حظوظاً من التوفيق في إبراز عبقرية العربية وتبديد ما ران عليها من بعض القواعد الضاغطة ، من مظاهر العسر والجمود ، وكان لها أثر محمود في الدلالة على حيويتها ، وفي النظرة إلى يُسرها وطواعيتها . ومن ذلك ما تهدّى إليه هذا « المجمع » الجليل موفّقاً منذ أول نشأته ، وما يزال

دائباً في طريقه ، وإنه لمرجوٌّ أن تراعي دراساته الحُسْنَيَيْن : أصالة العربية ، وملاحظة مطالب الحياة في ضوء هذه الأصالة .

وكنت قد عرضت ، في بحث سابق ، لقيود اشتقاق اسم الآلة ، وحصر النحاة لها في أوزان ثلاثة ، وتحجيرهم بذلك الواسع من تصرف العربية في هذا الباب الخطير الذي إليه المفزع في هذا العصر الآلي الذي يتقاضانا في كل يوم مِئِين من ألفاظ الأجهزة والأدوات والآلات في غير تلبُّث ولا وناء ، فدللت به على طواعية هذه اللغة وقدرتها على الاستجابة إلى ما يراد منها .

كما عرضت من بعده لمزاعم الشذوذ في المشتقات ، فرددت كل لفظ من المشتقات الموصوفة بالشذوذ في بابَيْ اسم الفاعل واسم المفعول خاصةً إلى قانون اللغة النفسي الذي تجري عليه هذه العربية سليقةً ونَجْراً .

وأعرض اليوم لمزاعم البناء على التوهم ، وأنا أرجو أن أستشرف من اجتهادي في تبديد هذا التوهم وإبطاله إلى ما أطمح إليه من التوفيق إن شاء الله .

- ٢ -

أصبت في أقوال النحاة واللغويين في كبار كتب النحو ودواوين اللغة أنواعاً من مزاعم التوهم نسبوها إلى العربية ، أنا ذاكرها بحسب ما انتهى إليها علمي ومفنّدها واحدة فواحدة ، وهي :

١ – توهم حذف الحرف الزائد .

٢ – توهم حذف الحرف الأصلي .

٣ – توهم التغيير .

٤ – توهم زيادة الحرف الأصلي .

٥ – توهم أصالة الحرف المتحول .

٦ – توهم أصالة الحرف الزائد .

٧ – العطف على التوهم .

وأفرغ الآن للأنواع الستة ، وأرجىء بحث النوع السابع إلى وقت آخر أعالجه فيه .

● ● ●

١ – توهم حذف الحرف الزائد :

ويسميه بعض أهل اللغة « شاذاً » وهو كل ما ورد في كلام فصحاء العرب من المشتقات على « فَعِيل» أو « مفعول »، ولم يسمعوا فعله الثلاثي، وإنما سمعوا منه الفعل الرباعي الذي يبنى اسم المفعول منه على « مُفْعَل » ليس غيرُ ، فيخرّجونه على أنه مبني على توهم حذف الحرف الزائد من فعله ، أو على أنه جاء على خلاف القياس .

ومن أمثلته : (ذَهِيب) بمعنى (مُذْهَب) في قول حُمَيْد بن ثور من مخضرمي الجاهلية والإسلام :

موشّحة الأقراب : أمّا سَرَاتُها فمُلْسٌ، وأما جلدُها فـ(ذَهِيبُ)(١)

قال أبو منصور : « أراه على توهم حذف الزيادة ، أراد الشاعر المُذْهَب ، فتوهم (ذَهَبَهُ) ، وبناه عليه » .

---

(١) هذه رواية « تهذيب اللغة » ، نقلها « لسان العرب » و « تاج العروس » . ورواية ديوان الشاعر :

بوحشيّة : أمّا ضواحي مُتونها فمُلْس ، وأما خَلْقُها فتليبُ

فلا شاهد فيه .

والذي حمل أبا منصور على هذا القول أنه سمع الفعل الرباعي : أذهبه ، إذا طلاه بالذَّهَب ، ولم يسمَع ذَهَبَه ، فأرسل حكمه على (ذَهيب) بأنه على توهم حذف الزيادة . وليس ذلك بصواب كما سأوضحه .

ومنها : (منبوت) في رَجَز غامض مجهول قائله ، وربما حكي (مثبوت) بالثاء المثلثة في موضع النون ، وهو :

وبلد يُغضي على النُّعوتِ يُغضي كإغضاء الرَّوَى المنبوت

قال ابن سيدَه الأندلسي : « أراد (المُنْبَت) ، فتوهم (نَبَتَه) كما قال الآخر (المُسَرّ) وأراد (المسرور) ، فتوهم (أسَرَّه) بمعنى (سَرَّه) » . قال : « وقد ورد هذا اللفظ في مَثَل قديم ، وهو : « كلّ مُجْرٍ في الخلاء مُسَرّ » ، أي : مسرور . هكذا حكاه أفّار بن لقيط »[1] .

ومنها : (مبروز) في قول لبيد بن ربيعة العامري :

أو مُذْهَب جَدَد ، على ألواحه الناطق (المبروز) والمختومُ

وقد أنكر أبو حاتم (المبروز) ، وقال : « لعله (المزبور) ، وهو المكتوب » . ذلك لأنه سمع (أبرزه) ، ولم يسمع (بَرَزَه) ، وقال غيره : « كتاب مبروز ، أي : منشور ، على غير قياس » يعني أن الشاعر توهم حذف الزيادة .

وغير هذه الأمثلة كثير في الكلام الوارد عن فصحاء العرب ،

---

(١) هو أبو مهدية الأعرابي . رجل من « باهلة » دخل الحواضر ، واستفاد الناس منه اللغة . وكان به عارض من مس . وترجمته في : فهرست ابن النديم، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، وإنباه الرواة .

مما لا يجوز أن ينسب كله إلى توهم حذف الزيادة ، ويوقف عنده ، ولا تبحث الأسباب .

وقد أوردت طائفة من ذلك في بحثي : « تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ » ، فلا أحاول إعادتها هنا ، وحسبي منها التمثيل ببعضها لما زُعم أنه مبني على توهم الحرف الزائد من أفعال الألفاظ المشتقات .

والحق أن هذه المشتقات ، التي جاءت على « فَعيل » أو « مفعول » ، وظن أبو منصور وابن سِيدَهْ وأبو حاتم وآخرون غيرهم أنها بنيت على توهم حذف الحرف الزائد ، إنما هي مشتقات من أفعال ثلاثية ، سمعها غيرهم ولم يسمعوهـا هم ، وثبتت عن قبيل من العرب تعتز العربية بفصاحتهم ، وتتناقل الناس أشعار شعرائهم ، ويحتج أهل اللغة بكلامهم . وهؤلاء هم (بنو عامر) ، وهم قوم حُمَيْد بن ثور ، ولبيد بن ربيعة ، صاحبي البيتين اللذين أسلفتهما ، فلا جَرَمَ أنهما — ومثلهما غيرهما لم أذكرهم — إنما تكلموا بلغة قومهم ، ولم يتوهموا في شيء مما بنوه عليها من كلام .

وقد ذكر بعض أهل اللغة أن أبا حاتم لما أنكر (المبروز) في قول لَبِيد :

أو مُذْهَبٌ جَدَد ، على ألْواحِهِ ألنّاطقُ (المبروزُ) والمختومُ

استظهروا عليه بأن لَبِيداً قال في كلمة أخرى له :

كما لاح عُنوانُ (مبروزة) يلوح مع الكف عُنوانُها

وقالوا : « فهذا يدل على أنه لغته ، والرواة كلهم على هـذا ، فلا معنى لإنكاره » .

ومعني « أنه لغته » : أنه لغة قومه (بني عامر) ، ومقتضاه أن

ماورد عن فصحاء العرب ، وصحت روايته من مثل هذه المشتقات ، يجب أن يردّ إلى لغة (بني عامر) ، وبنو عامر يقولون : ذهَبَه فهو ذَهيب ، ونبته الله فهو منبوت ، وبرزه فهو مبروز . . الخ ، وغيرهم يقولون : أذهبه وذهَّبه فهو مُذْهَب ومُذَهَّب ،وأنبته الله فهو مُنْبَت ، وأبرزه فهو مُبْرَز . . الخ . على أنه ربما وافق (بنو عامر) غيرهم أيضاً فقالوا : أذهبه فهو مُذْهَب ، كما قالوا : ذهبه فهو ذَهيب ، كما جاء في قول لبيد المتقدم :

أو (مُذْهَبٌ) جَدَد ، على ألْواحِهِ   ألنّاطقُ (المبروزُ) والمختومُ

فقد جمع لبيد في هذا البيت بين اللغتين .

وبهذا تسقط دعوى بناء أمثال هذه المشتقات على التوهُّم : توهُّمِ حذف الحرف الزائد ، إذ لا توهُّمَ في ذلك ، لأنها مبنية على أصول ثلاثية ، هي فروع منها ، ولا يمكن أن تكون فروعٌ من غير أصول . وقد لحظ أبو علي الفارسي وصاحبه ابن جِنّي ذلك ، فاتخذا الاستهداء بالوصف على فعله أصلًا معتمداً ، وقالا : « إذا صحّت الصِّفة فالفعل حاصل في الكف » . وهو قول سديد ، فيه فتح طريق لاحبة ، يزداد بها بيان اللغة سَعة على سَعَتِه ، وتطّرد مقاييسها ، وينتفي عنها كثير مما يضاف إليها من الشذوذ والبناء على التوهم .

٢ – توهم حذف الحرف الأصلي :

وذلك في مثل قول العرب : أرَضُون في جمع أرض ، ودُهَيْدِهُونَ في جمع دَهْداه – وهي القِطعة من الإبل ، وفُتَكْرُونَ في جمع فُتَكْر ، وأبَيْكِرُونَ في جمع أبَيْكِر تصغير أبكر ، والبَرْحُونَ في جمع البَرْح ، والأقْوَرُونَ في جمع أقور . . وفُتَكْر ، والبَرْح ، والأقْوَر ، قالوا : إنها أسماء الدّواهي .

وقد ذكر هذه الألـيْفاظ ، على هذا النحو ، أحمد بن عبد النور المالَقيي الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٢ ﻫ في « رصف المباني في شرح حروف المعاني » (١) ، وقال : « إنها جمعت بالواو والنون ، دلالة على أنهـا قد حذف منها شيء (توهماً) ، وهو التاء التي تـدل على التأنيث ، فأرض مؤنثة ، فحقها أن تكون بتاء التأنيث ، فلما استُعملت بغير التاء ، بقيت التاء (متوهمة) فيها في التقدير ، فجعلت الواو تدل عليها ، وجرت التاء في ذلك مجرى اللام المحذوفة (٢) ؛ لأن بين تاء التأنيث ولام الكلمة مناسبة من جهات . . » . ثم قال : « وأما أبَيْكِرُونَ ، فجمع أبَيْكِر ، تصغير أبكر . وكان حقه أن يقول : أبكرة ، كأنْدِيَة ، وأجْرِية ، جمع جَرْو ، فيؤنث على معنى القطعة . فلما تُوهِّم ذلك ، جمع بالواو والنون ، دلالة على ذلك ، وأما فُتَكْرُونَ ، والبُرَحُونَ ، والأقْوَرُونَ ، فكل واحد منهم (؟) جمع ما هو في معنى الداهية ، والداهية مؤنثة ، وكذلك ما في معناها . فلما (توهموا) ذلك ، جعلوا الجمع بالواو والنون دلالة على ذلك ، وجمع ذلك كله على معنى التكثير في الأمر الداهي ، واختلاف أنواعه » .

وقد فهمت ما حكاه ، وتفلسف فيه ، وما هو بشيء ! إن لم أقل فيه غير هذا !.

---

(١) طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي ـ سابقاً) ، سنة ١٣٩٥ ﻫ ـ ١٩٧٥ م ، وقد حققه أحمد محمد الخراط .

(٢) يعني قول العرب : « مِئُونَ في جمع مِئَة ، وثُبُونَ في جمع ثُبَة ، وظُبُونَ في جمع ظُبَة .. إلخ » .

وهذه ألفاظ سمعت من بعض العرب على هذا النحو، ولحظ النحاة الخالفون الذين بالغوا في التعليل الواوَ والنونَ في أواخرها، وشاؤوا إخضاعها لِما أصّلوه من قصر الجمع بالواو والنون على المذكر العاقل، فطفِقوا يلفقون لها أمثال هذه العلل الباردة التي لم تمرّ بخواطر العرب، ولاجالت منهم في وهم ولا في خيال.

والمالقيّ، قد ناقض نفسه، وجمع بين الضَّبّ والنّون، حين نسب إلى العرب التّوهم والدّراية في وقت معاً، وذلك قوله: «إن العرب قد حذفت من هذه الألفاظ حروفاً معينة (توهماً)، ثم جمعتها بالواو والنون (لتدل على المحذوف). وهذا كلام متناقض، يجمع بين التوهم والقصد، وهما نقيضان لايجتمعان.

وأقرب شيء إلى العقل، وأقومه في المنطق، أن يقال في هذا: إن العرب إنما جمعت الأرض جمع مذكر سالماً إنزالاً لها منزلة العاقل، وعلى ذلك جاءت الآية الكريمة: ﴿والشَّمْسَ والقمرَ رأيتُهم لي ساجِدين﴾.

ومثله يقال في كل ماجاء على هذه الوتيرة من الألفاظ، كالدُّهَيْدِهين والأبَيْكِرين — وقد وردت هذه مجموعة جمع مؤنث سالماً أيضاً في رَجَز في «الأصمعيات»:

قد رَوِيَتْ إلّا دُهَيْدِهينا أبيكراتٍ وأبَيْكِرينا

الفُتَكْرين، والبَرْحين، والأقْوَرين، وقد قالوا في هذه الثلاثة: جمعت بالواو والنون، ولم يستعملوا فيها الإفراد فيقولوا: فُتَكْر، وبَرْح وأقور، من حيث كانوا يصفون الدواهي بالكثرة والعموم والاشتمال والغلبة، ولم يقضوا بما قضى به المالقي عليها من جمعها بالواو والنون على التوهم والتعويض.

وفي العربية غير ما ذكره المالقي ألفاظ أخرى من هذا القبيل، جمعت بالواو والنون، ولم يتوفر فيها شرط قاعدة جمع المذكر السالم.

منها: عِلِّيُّون، جمع عِلِّيٍّ، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾. ووابِلُونَ في قول الشاعر:

فأصبحت المذاهب قد أذاعت بها الإعصار، بعدَ الوابلينا

أراد المطر بعد المطر. ومَرَقُون، وقد قال بعض رواة العربية: سمعت العرب تقول: «أطعمنا مَرَقَه مَرَقِين»، تريد اللُّحمان إذا طبخت بماء واحد، وأنشد:

قد رَوِيت إلا دُهَيْدِهينا أبيكراتٍ وأبيكرينا

وما أدرانا أن هذا الجمع بالواو والنون كان هو الأصل في العربية القديمة المعرقة في القدم، ثم جرى التطور فيها في صيغته، فتعددت صوره على النحو المعروف، وبقيت هذه الألفاظ شواهد على ذلك الأصل القديم الذي لم يميز بين تذكير وتأنيث، ولا بين عاقل وغير عاقل!

٣ - توهم التغيير:

ذكر أحمد بن عبد النور المالقي في «رصف المباني» من هذا النوع ثلاثة ألفاظ، قال: إنها غُيِّرت (توهماً)، وجمعت جمع مذكر سالماً للدلالة على هذا التغيير.

وهي: إوَزُّونَ، وإحَرُّون، وحَرُّون.

أما (إوَزُّونَ)، فقد وردت في قول النابغة الذبياني يصف امرأة بدوية قد تحضَّرت، وهو في «لسان العرب» (و/ز/ز):

تَلْقَى الإِوَزِّينَ في أكناف دارتها   فَوْضَى،وبين يديها التِّبْنُ منثورُ (١)

قال في تفسيره : إن هذه المرأة تحضّرت ، فالإوَزّ في دارتها تأكل التِّبن ، وإنما جعل ذلك دلالة على التحضر لأن التبن إنما يكون في الأرياف ، وهناك تأكله الاوَزّ .

وأما (إحَرُّونَ) فقد وردت في قول زيد بن عتاهية التّميميّ :

لاخَمْسَ إلاجَنْدَلُ(الأحَرِّينْ)   والخُمْسُ قد أجشمك (الأمَرِّينْ)

جَمْزاً إلى الكوفة من قِنَّسْرِينْ

وأما (حَرُّون) فقد وردت في رجز غير منسوب ، وهو (٢) :

لكنّ حَيّـاً نزلوا بـذي بِينْ   فما حوت« تُقْدَة » ذات (حِرِّينْ)

أو « ذات الحِرِّين » .

قال المالَقِيْ في « رصف المباني » : هذه الألفاظ غُيِّرت (توهماً)، فدلت الواو على ذلك .. وكان الأصل : إوْزَزَة ، وإحْرَرَة ، وحَرَرَة في معنى أحِرَّة ، فجرت مجراها ، فلما نُقلت حركة الزاي الأولى ، والراء الأولى إلى الواو والحاء ، لاجتماع المثلين ، سُكِّنتا ، فاندغمتا فيما بعدهما ، فجعل الجمع بالواو والنون عوضاً عن التغيير المذكور ، ولا يقاس على شيء

(١) وروايته في الديوان (ص ٩٤) :

تلقي الإوَزّين في أكناف دارتها   بِيْضاً ، وبين يديها التَّبْن منثورُ

كذا رسم فيه (التبن) بالباء الموحدة !

(٢) ذكره ابن يعيش في شرح المفصل ، وياقوت في « حرة تُقْدَة » من معجم البلدان ، واقتصر المالقي على الثاني . و« تقدة » بالتاء المثناة الفوقية ، وتروى : « نقدة » بالنون : موضع .

منها غيرها ، وإنما عُلِّل من ذلك ما عُلِّل بعد السماع ، لأنه ليس باباً يُبنى عليه » .

وأقول : إن تعليل المالقي جمع هذه الألفاظ بالواو والنون بأنه عوض عن تغييرها المتوهَّم ، فاسد ، لأنه غير معقول ، ومتناقض ، لأنه يجمع بين التوهُّم والدراية .

وقد عللها غيره بما عللها به ، ولم يذكروا هذا (التوهم) ، فقالوا في تعليل جمع (الإوَزَّة) : « إن قال قائل : ما بالهم قالوا في جمع إوَزَّة : (إوَزُّونَ) بالواو والنون ، وإنما يفعل ذلك في المحذوف ، نحو : ظُبَة وظُبُون وثُبَة وثُبُون ، وليست إوَزَّة مما حذف شيء من أصوله ، ولا هو بمنزلة (أرض) في أنه بغير هاء ؟ فالجواب : أن الأصل في : إوَزَّة ، إوْزَزَة ، إفْعَلَة ؛ ثم إنهم كرهوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد ، فأسكنوا الأول منها ، ونقلوا حركته إلى ما قبله ، وأدغموه في الذي بعده . فلما دخل الكلمة هذا الإعلال والتوهين ، عوضوها منه بالواو والنون ، فقالوا : إوَزُّون » .

وفي (إحَرِّينَ) و (حَرِّينَ) ، قال سيبويه : « زعم يونس أنهم يقولون : حَرَّة وحَرُّون ، جمعوا بالواو ، يشبهونه بقولهم : أرض وأرَضُون ، لأنها مؤنثة مثلها » ، قال : « وزعم يونس أيضاً أنهم يقولون : حَرَّة وإحَرُّون ، يعني الحِرار ، كأنه جمع إحَرَّة ، ولكن لا يُتكلم بها » .

وقال بعض النُّحاة : « إن قال قائل : ما بالهم قالوا في جمع حَرَّة وإحَرَّة : حَرُّون وإحَرُّون ، وإنما يفعل ذلك في المحذوف ، نحو ظُبَة

وظُبُون وثُبَة وثُبُون . وليست حَرّة ولا إحَرَّة مما حذف منه شيء من أصوله ، ولا هو بمنزلة (أرض) في أنه مؤنث بغير هاء ? فالجواب : أن الأصل في إحَرَّة : إحْرَرَة ، وهي إفْعَلة . . إلى آخر ما تقدم مثله في إوَزَّة . قال : ولما فعلوا ذلك في إحَرَّة ، أجروا عليها حَرّة فقالوا : حَرُّون ، وإن لم يكن لحقها تغيير ولا حذف ، لأنها أخت إحرَّة من لفظها ومعناها . قال : وإن شئت ، قلتَ : إنهم قد أدغموا عين حَرَّة في لامها ، وذلك ضرب من الإعلال لحقها » .

وقال ثعلب : « إنما هو « الأحَرِّين » ، جاء به على « أحَرّ » وكأنه أراد هذا الموضع الأحَرّ ، أي الذي هو أحَرّ من غيره ،فصيره كالأكرمين والأرحمين » .

قلت : عنى ثعلب أنه أنزل منزلة العقلاء ، فجمع جمعَ مذكر سالماً.

فالقول بـ (توهم التغيير) في هذه الألفاظ ، وتعويضه عند الجمع بالواو والنون ، بحسب زعم المالقي ، لم يرد في كلام الأوائل . وما قاله ثعلب هو المقبول السائغ . على أن هذه الجموع ربما كانت من بقايا صيغة الجمع في العربية القديمة قبل تطورها ، وحدوثِ تعدُّد صوره كما قلت من قبل .

٤ ـ توهم زيادة الحرف الأصلي :

القول بتوهم زيادة الحرف الأصلي ، قول حديث .. توهمه صديقنا العلاّمة عبد القادر المغربي ، عليه رحمة الله ، فطفِق يلهَجُ به ، ويذيعه في بحوثه ، محاولاً أن يتخذه قاعدة جديدة في العربية يُعمل بها ويقاس عليها . وقد تكلف لها طلب الشواهد ، فلم يظفر ــ بعد جهد ومعاناة

بحث – بغير سبعة ألفاظ ، رآها تسعفه في تقرير ما يريد تقريره من هذه القاعدة الجديدة ، وتعسَّفَ في تخريجها وتكلف ما شاء ، وليس في شيء منها غَناء .

هذه الألفاظ السبعة ، هي :

١ – أشياء . ٢ – بُراء جمع بريء .

٣ – أملاك جمع مَلَك . ٤ – منائر جمع منارة .

٥ – طحّان ، مُستمّىً به . ٦ – فينان .

٧ – تعلمت لُغاتاً .

وقد ذهب إلى أن في كل لفظ من هذه الألفاظ حرفاً أصليّاً (توهمته) العرب زائداً ، وقال : إنه يؤسس قاعدته هذه : « قاعدة توهم الحرف الأصلي زائداً » على تعليل الكسائي « منع صرف (أشياء) أن العرب (اشتبه) عليهم أمر همز هذه الكلمة ، لوقوعها بعد الألف ، فظنوها زائدة كهمزة : حمراء ، مع أنها أصلية كهمزةِ : أفياء ، ومنعوها من الصّرف ، بناء على هذا (الاشتباه) ، بل هذا (التوهم) » .

هكذا عزا هذا التعليل بألفاظه إلى الكسائي .

والكسائي ، فيما علل به منع صرف (أشياء) ، لم ينسب إلى العرب (الاشتباه) ، ولا (التوهم) في أمر همز هذه الكلمة ، وإنما ذكر (التشبيه) ، والتشبيه هو غير الاشتباه والتوهم بداهةً .

وعبارته ، في « لسان العرب » . وقد وردت فيه في صورتين ، خلتا من الاشتباه والتوهم .

أما الصورة الأولى ، فقد نقلها عنه أبو إسحاق الزّجّاج ، قال – وهو يسرد أقوال أهل اللغة في تعليل منع (أشياء) من الصرف – :

« وقال الكسائي : « (أشبه) آخرُها آخرَ حمراء ، وكثر استعمالهم لها فلم تصرف » .

وأما الصورة الثانية في « لسان العرب » ، فهي :

« وقال الكسائي : « (أشياء) ، أفعال ، مثل : فرْخ وأفراخ ، وإنما تركوا صرفها لكثرة استعمالهم لها ، لأنها (شُبِّهت) بفعْلاء » .

فأين (الاشتباه) و (التوهم) في كلام الكسائي ؟

على أن الزجّاج قد قرر أن البصريين وأكثر الكوفيين ، أجمعوا على أن قول الكسائي خطأ في هذا ، وألزموه أن لا يصرف (أبناء) و (أسماء) .

وقال مؤسس النحو الحقيقي (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ، رحمه الله : « إن (أشياء) اسم للجمع ، كان أصله فَعْلاء ، شيئاء ، فاستثقل الهمزتان ، فقلبوا الهمزة الأولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أنوُقاً ، فقالوا : أيْنُقاً ؛ وكما قلبوا قؤوساً ، فقالوا : قِسِيّاً » .

قالوا : « وتصديق قول الخليل ، جمعهم أشياء : أشاوَى وأشايا » .

قالوا : « وقول الخليل ، هو مذهب سيبويه والمازني وجميع البصريين إلا الزّيادي منهم »[١] .

---

(١) يرى أحد الفضلاء الباحثين المعاصرين ، وهو : د . رمضان عبد التواب غير هذه الآراء في المسألة ، وأوافقه فيما يذهب إليه ، إذ يقول (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٣٣/١١٩) :

فما أسسه عليه العلاّمة المغربي من هذه القاعدة ، إنما أسَّسه على شفا جُرُف هارٍ ، ولم يسلم له الدليل الذي استعان به ، لا لأنه تصرف في عبارة الكسائي فصيّر (التشبيه) : (اشتباهاً) ، حَسْبُ ، بل لأن الكسائي لم يصب في تعليله منع صرف (أشياء) شاكلة الصواب أيضاً .

وأما شاهده الثاني ، وهو (بُراء) — على وزن غُراب — في جمع بريءٍ ، الذي منع صرفه ، فقد قال فيه : « إن قوماً منعوه من الصرف ، مع أن همزته أصلية لا زائدة » . ثم ساق ما علّل النّحاة به منعه من الصرف ، ولم يرتضه ، وزعمه تعسُّفاً وفرطَ تكلف ، وقال : « والأولى أن نخرّجه تخريج الكسائي لمنع الصرف في (أشياء) ، استناداً إلى (قاعدة توهم الزيادة) ! » .

قال ، وأضاف (التوهم) إلى نفسه وإلى من ظنه معه : « فإننا (توهمنا) زيادة همزة (بُراء) ، مع أنها أصلية ، ومستندنا في هذا (التوهم) رأي الكسائي في تخريج منع صرف أشياء ، وأنها منعت (لمشابهتها) لحمراء ! » . وهذا ، أعني قوله (لمشابهتها) ، هو لفظ الكسائي جاء به هنا مطابقاً لأصله ، وهو يبطل (الاشتباه) أو (التوهم) الذي نسبه قبلُ إلى الكسائي مرّةً ، وإلى نفسه مرة .

= « ولعل المسؤول عن منع كلمة (أشياء) من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم ، في سياق تتوالى فيه الأمثال لو صرفت ، في قوله تعالى (لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) « سورة المائدة ٥/١٠١ » إذ لو صرفت لقيل : (عن أشياءٍ إن) ، ولايخفى ما فيه من تكرار المقطع : (إن) . وليست العربية بدعاً في سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالي الأمثال » .

على أن (بُراء) ، بوزن (غُراب) ، لا يعدو أن يكون تسهيل (بُرَءاء) ، روعي أصله فأبقي ممنوعاً من الصرف . وقال ابن جني : « يجمع بريء على أربعة من الجموع .. ورابعها : بريء وبُراء ، مثل ما جاء من الجموع على فُعال ، نحو : تُؤام ورُباب ، في جمع : تَوْأم ورُبّى » . فهذا هو ، واللغة نقل وسماع ، وليست تعليلاً وأهواء .

وأما شاهده الثالث (أملاك جمع مَلك) ، فقد قال : إنه « ليس في هذا الشاهد منع صرف ، وإنما فيه جمع (مَلَك) على (أملاك) . ووجه الغرابة والشذوذ في هذا الجمع أن (مَلك) (؟) أحد ملائكة السماء ، مشتق من الألوكة ، وهي الرّسالة .. » .

وتكلم على أصل هذه الكلمة ، وتصرُّف العرب فيها ، ثم قال: « وسواء أقلنا : إن أصل مَلَك : مألَك ، أو مَلْأك ، أو ملاك ، فإن همزته أصلية لا زائدة . وإذ كانت الجموع ترد الأشياء إلى أصولها ، فيكون جمع مَلَك ، إنما هو : مَلائك ، وملائكة بالهمزة الأصلية . لكننا سمعناهم يجمعونها أيضاً على أملاك ، كأفراس جمعاً لفرس . وقد أشبهت أملاك التي هي جمع مَلَك السماء ، أملاك التي هي جمع للمِلك المكسور اللام : أحد ملوك الأرض ، فهما : أملاك وأملاك جمعان متفقان لفظاً ، مختلفان معنى وتخريجاً » .

وانتهى من هذا إلى أن اللغويين يعدون ذلك شاذاً ، ويراه (هو) مُخرَّجاً على (قاعدة توهم الزيادة) ! « أي زيادة الهمزة في : مَألَك ومَلأك ، مع أنها أصلية .. غير أن العرب — على حد قوله - (توهموا) الهمزة في مألَك ومَلأك زائدة ، وأن وزن ملك المخفف منها هو فعَل ،

بالتحريك ، وفعل يجمع على أفعال ، فقالوا ، بناء على هذا (التوهم): أملاك ، كما قالوا : ملائكة ، على الأصل » .

هذا ما قرره ، ولم أجد أحداً غيره قاله .

والذي في دواوين اللغة ، هو : أن أملاكاً جمع ملِك ، بكسر اللام ، أحد ملوك الأرض ، ليس غيرُ ، أما المَلَك ، بفتح اللام ، فجمعه فيها ملائك وملائكة ، ولا ثالث لهما .

ففي « لسان العرب » وغيره ، واللفظ له في (م/ل/ك) :

« والمَلْك ، والملِك ، والمليك ، والمالك : ذو الملك . ومَلْك ، ومَلِيك ، مثال : فَخْذ ، وفَخِذ ، كأن المَلْك مخفف من ملِك ، والملِك مقصور من مالِك أو من مليك ، وجمع المَلْك ملوك ، وجمع الملِك أملاك ، وجمع المليك مُلَكاء ، وجمع المالك مُلَّك ومُلّاك . والأمْلُوك اسم للجمع . ورجل ملِك ، وثلاثة أملاك إلى العشرة ، والكثير ملوك » .

وفي (أ/ل/ك) :

« والمَلَكُ ، مشتق منه [أي من : ألك] .. والجمع ملائكة ، دخلت فيها الهاء ، لا لعُجمة ولا لنَسَب ، ولكن على حد دخولها في القَشاعمة والصَّياقلة ، وقد قالوا : الملائك » . ولم يَزِدْ .

وفي (ل/أ/ك) :

« والمَلأك : المَلَك ، لأنه يبلِّغ الرسالة عن الله ، عز وجل ، فحذفت الهمزة ، وألقيت حركتها على الساكن قبلها ، والجمع ملائكة ، جمعوه مُتَمَّماً ، وزادوا الهاء للتأنيث .. » .

وبهذا سقط شاهده الثالث أيضاً .

وأما شاهده الرابع ، وهو (منائر) بالهمزة في جمع منارة ، فقد قال فيه : « إن ألف منارة أصلية ، لا زائدة . . لكنهم (توهموها) زائدة ، وقد ظهر أثر هذا (التوهم) في الجمع فقالوا : منائر ، بالهمزة ، والقياس : مناير ، بالياء ، إذ القاعدة في ذلك أن الواو والياء ، إذا وقعتا في فعائل جمعاً بعد ألف تهمزان إذا كانتا زائدتين ، كياء فضيلة الزائدة ، يقال فيها : فضائل : وتبقيان على حالتيها إذا كانتا أصليتين ، كواو منارة ومغارة ،فيقال في جمعها : مناور ومغاور ، لكنهم في مناور قالوا : منائر ، بالهمز ، ولا يمنع أن يقال فيه : مناور ، بالواو أيضاً كما هو القياس » .

وقد أجاب بعضهم عن هذا بأنه تطور جديد للكلمة ، فلايخضع للتوهم.

والجواب الصحيح أنه لغة من لغات العرب ، جرى أهلها في أمثال هذا على همزه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وجَعَلْنا لكم فيها مَعائِشَ ﴾ « سورة الأعراف ٧/١٠ » في بعض القراءات المروية في الآية ، فلا توهم في ذلك ، ولا تطوّر !

وأما شاهده الخامس ، وهو (طَحّان) عَلَماً لرجل ، فقد قرّر أن العرب (توهموه) كسكران ، فأجروه مُجراه ، ومنعوه من الصرف .

أما علماء العربية ، فقد ذهبوا في هذا وأشباهه مذهباً آخرَ غير (التوهّم) ، وقرروا أن العرب (يشبّهون) النون الأصلية في (طحّان) مثلاً بالنون الزائدة في مثل (سكران) ، فيمنعونه من الصرف ، وذلك إذا سمَّوْا به .

قال الفرّاء : « وهذا عند أهل الكوفة أسوغ منه عند البصريين ».

وإنه لرأي سديد للكوفيين والبصريين ، على الاختلاف اليسير بينهما ، يضيف إلى ما اشترطوه في منع الكلمة من الصرف ، إذا زيد في آخرها الألف والنون ، ما يُشبِهها في ذلك ، وإن كان أحد هذين الحرفين أصلياً ، ويجرونه مُجراه إذا كان عَلَماً ، طرداً للباب ، وتوحيداً للنظائر . وفي هذا توسعة لقاعدة موانع الصرف ، وتخفيف لبعض القيود .

وقد اهتدى الأستاذ المغربي إلى هذا النص في « كتاب عبث الوليد» لأبي العلاء المعري ، ولكنه لم يرتضه ، وأبى إلا مخالفته ، وإن كان قد أطبق عليه نحاة المِصْرَيْن ، وهم بُناة النحو العربي ، وأصرّ على القول ببناء ذلك على (التوهم) ! ، ليستقيم له ما يريده ، وهيهات !

وأما شاهده السادس (فَيْنانُ) ، فإنه نقل فيه قول أبي العلاء المعري في « عبث الوليد » شارحاً بيت البُحتري :

أتت بركات الأرض من كل وجهة
وأصبح غصن العيش (فينانَ) أخضرا

قال أبو العلاء : « شعر فَيْنان ، وغصن فَيْنان : من التفنن ، فوزنه فَيْعال[١] . لكن يترك صرفه كأنه على وزن فعلان » .

قال المغربي : « وإذا كان على وزن فعلان ، كانت نونه زائدة ، كنون (سكران) ، فيمنع من الصرف . فقول المعري : « لكن يترك صرف (فينان) كأنه على وزن « فعلان » ، لا معنى له إلا كون

(١) قال المغربي : « أي فتكون نونه أصلية ، لازائدة ، فلا يمنع من الصرف » .

وزنه على فعلان الزائد النون أمراً مفروضاً فرضاً ، أو معتبراً اعتباراً ، أو (متوهماً توهماً) ، وهو التعبير الصحيح الشائع على ألسنة اللغويين ».

وأقول : إن ما قرّره المعري في هـذا اللفظ ، هو المذهب الذي سنّه النحاة واللغويون قبله بأزمان متطاولة ، تبدأ بأوائل العهد بنضج النحو على يد الخليل ويونس وسيبويه وغيرهم من الأئمة . وهم قد بنَوْا رأيهم في أمثال هذا اللفظ على معنى اللفظ ومادته الاشتقاقية ، فأداروا الكلام عليها وِفاقاً لمنطق اللغة والاشتقاق والمعنى ليس غيرُ . وهذا هو السبيل ، ولا مناص من سلوكه . وليس في المسألة « أمر مفروض فرضاً ، أو معتبر اعتباراً ، أو (متوهم توهماً) » ، ولم يَرِد فيما قرروه من ذلك هذا (التوهم) الذي يحلو للأستاذ المغربي ترديده ، وليس هو بـ « التعبير الصحيح » ، ولا هو بـ « الشائع على ألسنة اللغويين » على النحو الذي يتخيله ، أو يتعمد تخيُّله !

وإنما الصحيح هو ما ذكرته من مذهبهم ، الذي تابعهم المعري عليه لأنه منطق المعنى والاشتقاق ، وقد قال هؤلاء في لفظ (الفينان) نفسه ، ولاحظوا فيما قالوه مادته الاشتقاقية ومعناه ، ما أرويه بحروفه ، وأبدأ بسيبويه . قال : « شعر فينان : معناه أن له فنوناً كفنون الشجر ، ولذلك صُرِف ، ورجل فينان وامرأة فينانة » ؛ قال ابن سيده : « وهذا هو القياس ، لأن المذكّر فينان مصروف مشتق من أفنان الشجر » .

وقال أبو منصور : « فينان ، فَيْعال ، من الفَنَن ، والياء زائدة » . وفي التهذيب : « وإن أخذت قولهم « شعر فينان » من الفَنَن وهو الغصن صرفته في حالي النكرة والمعرفة ، وإن أخذته من

الفَيْنة وهو الوقت من الزمان ألحقته بباب فعلان وفعلانة فصرفته في النكرة ، ولم تصرفه في المعرفة » (١) .

وهكذا يقولون في أمثاله ، ومن ذلك (حَسّان) اسم رجل ، قالوا : « إن جعلته فَعّالاً من الحُسْن أجريته ، أي صرفته ، لأن النون حينئذٍ أصلية ، وإن جعلته فَعْلانَ من الحَسّ وهو القتل ، أو الحِسّ بالشيء ، لم تُجْرِه » (٢) .

فالصرف والمنع عندهم تابعان للاشتقاق والمعنى ليس غيرُ، ولاوجود (للتوهم) في المسألة .

وأما شاهده السابع ، وهو باعترافه عاثر بين توهم الأصالة وتوهم الزيادة ! ، فقد قال : « إنه نوع من التوهم غريب : لا هو من توهم الأصالة ، ولا هو من توهم الزيادة ، وإنما هو من توهم الحرف الزائد حرفاً زائداً آخَرَ » ! وذكر مثاله فقال : « مثاله لغات جمع لغة ، فإنه جمع مؤنث ينصب بالكسرة ، تقول : سمعت لغاتِ العرب ، لكن حكى الجوهري في « صحاحه » : أن العرب (يتوهمون) تاء جمع التأنيث زائدة ، كالتاء التي يوقف عليها هاءً في نحوِ : قُضاة ورُواة ، فكما يقولون : رأيت قُضاةَ البلد ، بفتح تاء قضاة ، يقولون : سمعت لغاتَ العرب ، بفتح تاء التأنيث » .

ثم استدرك بأن « الجوهري عبّر عن هذا (التوهم) بـ(التشبيه)»،

(١) ينظر لسان العرب (ف/ن/ن) .

(٢) الصحاح ، ولسان العرب (ح/س/س) و (ح/س/ن) .

فقال : إنهم (شبّهوا) تاء لغات بتاء قضاة » ، وحكى عبارته ، ونصّها: « وجمعها ، أي جمع لغة : لُغىً ولغات أيضاً ، وقال بعضهم : سمعت لغاتَهم ، بفتح التاء ، و (شبّهها) بالتاء التي يوقف عليها » انتهى .

فأين الشاهد على (التوهم) في تعليل الجوهري فتح تاء جمع المؤنث السالم ، وهو لم يذكر غير (التشبيه) ؟ فهل عرف من معاني (التشبيه) في كلام العرب : (التوهم) ، ليصح الاحتجاج به ؟

على أنني أرفض تعليل الجوهري ، إذ لا أرى للتشبيه الذي يذكره وجهاً .. فإن فتح تاء جمع المؤنث السالم إنما هو لغة قوم بعينهم من العرب ، انفردوا بها ، وجروا عليها قياساً متبعاً في كلامهم . ولو كان ما يقوله الجوهري في لغة قبيلة واحدة لجاز حمل شيء منها على شيء آخر . ولكن الأمر ليس كذلك . وفتح تاء جمع المؤنث السالم ، هو لغة بني عَدِيّ كما يؤخذ من رواية راويها عنهم . و « بنو عَدِي » يطلق على بطون كثيرة من القحطانيين ومن العدنانيين أيضاً . والراوي لهذه اللغة عنهم هو واحد منهم ، وهو أبو خَيْرَةَ نَهْشَل بن زيد العدوي ، ولم يذكر من أيهم هو ؟ وهو أعرابي بدوي ، دخل الحاضرة ، وأفاد ، وأخذ الناس اللغة عنه ، وصنّف في الغريب كتباً ، منها : كتاب « الحشرات » . وقد روي عنه هذا الخبر ، وفيه « لغاتهم » مرة ، و « إراتهم » و « عِرقاتهم » مرة أخرى ، وكلتا الروايتين يرويها ثعلب أحمد بن يحيى اللغوي المشهور في مسألة بعينها ، هي فتح تاء جمع المؤنث السالم .

قال : « قال أبو عمرو بن العلاء لأبي خيرة : كيف تقول :

حفرتُ إراتِكَ (١) ؟ فقال : حفرت إراتَكَ ، قال : فكيف تقول : استأصل الله عِرْقاتِهم (٢) ؟ فقال أبو خَيْرَة : استأصل الله عِرقاتَهم ، فلم يعرفها أبو عمرو ، وقال : لانَ جلدك (٣) ، يا أبا خَيْرَة ! يقول : أخطأتَ » .

لكن ثعلباً أقر أبا خيرة على ما قال ، واعتذر عن أبي عمرو بأنه لم تبلغه هذه اللغة .

وقال ابن جني : « سأل أبو عمرو أبا خيرة عن قولهم : استأصل الله عِرْقاتهم ، فنصب أبو خيرة التاء من عِرْقاتهم ، فقال له أبو عمرو : هيهات ، أبا خَيْرة ، لانَ جلدك ! وذلك أن أبا عمرو استضعف النَّصب ، بعدما كان سمعها منه (؟) بالجر ، قال : ثم رواها أبو عمرو فيما بعد بالجر والنصب ، فإما أن يكون سمع النصب من غير أبي خيرة ممن تُرضى عربيته ، وإما أن يكون قد قوي في نفسه ما سمعه من أبي خَيْرَة بالنصب ، ويجوز أيضاً أن يكون أقام الضعف في نفسه فحكى النصب على اعتقاده ضعفه ، قال : وذلك لأن الأعرابي ينطق بالكلمة يعتقد أن غيرها أقوى في نفسه منها .. » .

وليس يعنيني من كلام ابن جني إلا ما يذكره من رواية أبي عمرو ابن العلاء ، فيما بعد ، الفتحَ والجرَّ في نصب جمع المؤنث السالم ، والوجه

(١) الإرات : جمع الإرَة ، وهي الحفرة التي توقد فيها النار .

(٢) العرقات : جمع عِرق وعِرقة ، وعرق الشيء أصله وأرومته .

(٣) وفي رواية : « ياأبا خيرة ، أريد أكثف منك جلداً ، جلدك قد رق » يعني أنه لابس الحضارة وعاشر أهلها ، ففسدت لغته .

الأول الذي عللها به ، وهو سماعه الفتح من غير أبي خيرة ممّن تُرضَى عربيته ، وهو أقوى الوجوه الثلاثة التي ذكرها .

٥ – توهم أصالة الحرف المتحول :

ويعني القائلون بهذا التوهم الناحية الخاصة بالواو والياء ، وهي باب عظيم في العربية ، تدخل فيه صور شتى من كلام العرب ، ولكل صورة منها نظام مطّرد تخضع له .

ومن هذه الصور ، إيثار بعض القبائل الياء على الواو ، وإيثار غيرهم العكس . ويحسبه الذين لا يلحظون ذلك تحوّلاً من حرف إلى حرف ، ويزعمون ذلك (توهماً) . ولو كان ذلك صادراً من قبيلة واحدة لجاز هذا الحكم .

فأهل الحجاز ، يُؤْثرون الياء ، فيقولون مثلاً : صيّام ، وقيّام ، وصيّاغ .

وغيرهم يقولون : صوّام ، وقوّام ، وصوّاغ .

والقائلون بتوهم أصالة الحرف المتحوّل ، يجعلون الأصل في ذلك الواو . وما جاء على الياء من الألفاظ مخالفاً للأصل الواوي الذي أصّلوه ، يعدونه مبنياً على (التوهم) ، وليس الأمر ما يذهبون إليه .

ومن هذه الصور أيضاً ، ما حُوّلت واوه ياءً ، لأثر لغوي يقتضي تحويل صيغته ، فتبدل الواو ياءً ، وذلك في مثل : غصن متريح ، وماء

مَشيب . وقد بُنيا على : رِيحَ ، وشِيبَ . ونظام اسم المفعول في منطق العربية إنما يتبع الفعل المبني للمجهول . لا الاسم . ويأبى من يقول بالتوهم إلا تخريج مثل هذا على (التوهم) .

ومن هذه الصور أيضاً ، ما اقتضى التطوّر الاجتماعي وغيره استحداثه في اللغة من أصل واوي ، فنقلوه إلى الياء ، وألزموه إياها ، وجعلوه أصلاً ثانياً ، وتصرّفوا في الاشتقاق منه ، للدلالة على المعاني المستحدثة .

وذلك مثل (العيد) . فإن أصل يائه الواو لا جَرَمَ ، وصيغة هذا الأصل : العِوْد ، فلما سكّنت الواو وكسر ما قبلها ، صارت ياء . أو نقول : قلبوا الواو ياءً ، ليفرقوا بين الاسم الحقيقي والاسم المصدري ، وألزموا الياء في الواحد ، فصار أصلاً جديداً في بناء مادته ، وجمعوه على (أعياد) ليفرّقوا بذلك بينها وبين (أعواد) الخشب ، كما قالوا في تصغيره : (عُيَيْد) ليفرّقوا بينه وبين (العُوَيْد) تصغير (العُود).

وأمثال هذا اللفظ كثير في العربية ، وقد بنتها العرب على هذا التأصيل لأداء معان جديدة في صيغ جديدة اقتضاها التطور ، واستجابت له مرونة اللغة وطواعيتها من غير تمحّل ولا تكلف ولا اقتسار ، وجرى فيها من ذلك ما جرى عن وعي وإرادة وقصد ، لا عن غفلة وتوهم . ومن ذهبوا غير هذا المذهب ، وقالوا بالتوهم ، فقد أعربوا ، عن غفلة ، عن طبيعة هذه اللغة وقوانينها الدقيقة العجيبة .

٦ - توهم أصالة الحرف الزائد :

وفي العربية نظام آخر في التأصيل مَرِن ودقيق ، يأذن في حدود

منطقهـا ببناء تأصيل لاحق على تأصيل سابق ، وذلك بإعطـاء الحروف المزيدة حكم الحروف الأصلية ، لأنها إنما زيدت لزيادة المعـاني ، فلا بد أن ترعى حرمة الزائد في الكلمة ، ويجري الاشتقاق منه لإفـادة المعاني المستحدثة التي تفرضها سنّة التطور ودواعي الحياة المتجددة .

وقد فطن قدامى اللغويين والنحاة لهـذا النظام في العربية ، ولِمـا أستطيـع أن أسميه التأصيـل الثاني ، وعقلوا ما أرادت العرب من زيادة الحروف على الأصول ، وما يجري في كلامهم من الاشتقـاق من المزيد ورعاية حرمة الحرف الزائد ، تنويعـاً لصور الألفاظ بحسب الدلالات ، ومدّاً لأديم اللغة من جنس منطقها وأصولها .. فأقروه قانوناً من قوانين العربية ، ونبّهوا على آثاره ودلالاته كما سأوضحه .

ولكن جهِل النحاة الخالفون ، أو قلة منهم ، هذا القانون ، فقرروا الاشتقاق من الحروف الأصول وحدَها ، ومنعوا الاشتقاق من الزوائد ، وحكموا على كل ما وقعوا عليه من ألفاظ وردت عن فصحـــاء العرب مشتقة من الزوائد بالتوهم والخروج عن القياس .

وهذا النوع من الألفاظ في العربية كثير ، وأكثره يبدأ بالميم ، فلم يعرض لهم شيء منها حيث يعرض إلا وصفوه بالتوهم ، لأنـه يخالف قاعدتهم في تأصيل الحروف الأصلية والاشتقاق منها وحدَها .

وقد تأثر صديقنا العلاّمة المغربي ، طيّب الله ذكراه ، بهذا المذهب ، وآمن إيماناً عميقاً بالقول (بتوهم) أصالة الحرف الزائد ، وأبدأ فيه وأعاد

ما شاء داعياً إلى اتخاذه قاعدة مقررة َمقيسة ، ونقل دعوته إلى هذا المجمع الموقر ، حتى انعكست آثارها على مقرراته في شيء من التحفظ . فجاء في « كتاب : في أصول اللغة » (ص ٤٤) :

« ٧ - توهم الحرف الزائد أصلياً : رأت اللجنة في ضوء ما أُثر عن اللغويين أن توهم أصالة الحرف الزائد ، أو المتحول ، لم يبلغ درجة القاعدة العامة . غير أن هذا التوهم ضرب من ظاهرة لغوية فطن إليها المتقدمون ودعمها المحدثون ، ولهذا ترى اللجنة أن في وسع المجمع أن يقبل نظائر الأمثلة الواردة على (توهم أصالة الحرف الزائد أو المتحول) مما يستعمله المُحْدَثون ، إذا اشتهرت ودعت إليها الحاجة » .

وجاء في الحاشية :

ا - « صدر القرار في ج ٨ مؤتمر د ٣١ سنة ١٩٦٥ » .

ب - « في ج ١١ دورة ١٤ (المؤتمر) عرض الشيخ عبد القادر المغربي على المؤتمر بحثاً له بعنوان (بين اللغة والنحو) ، أشار فيه إلى موضوعين : توهم أصالة الحرف الزائد ، وتوهم زيادة الحرف الأصلي . وبعد المناقشة فيه ، وافق المؤتمر على (توهم أصالة الحرف) في بعض الكلمات ، وجاء في تلخيص أعمال المؤتمر : (الموافقة على جواز توهم أصالة الحروف في بعض الكلمات العربية) » .

وليس الشأن في المسألة كذلك .

فإن ما فطن له المتقدمون من هذه الظاهرة اللغوية ، هو غير هذا الذي جاء في قرار لجنة الأصول في المجمع ، وهو حرمة الزائد في الكلمة عند العرب ، وإقراره إقرارَ الأصول على سبيل القصد والإرادة والتأصيل ،

لا على سبيل الغفلة والتوهم والاعتباط ، وهو في جملته يقوم على التفريق بين الأسماء وملاحظة اختلاف المسميات في الصفات . وهذا المذهب هو الأشبه بطبيعة عبقرية العربية وقانونها العام .

ومن أمثلته الموضحة :

تنطّق وتمنطق ، وتدّرع وتمدرع ، وأسلم وتمسلم ، وتولىّ وتمولى ، وترفق وتمرفق ، وتكحّل وتمكحل ، وتسكّن وتمسكن . . ونحو ذلك من هذه الألفاظ المبدوءة بالميم ، وهي أكثر ما يجيء في هذا الباب .

فإن كل لفظ من هذه الألفاظ ، ما اشتق منها من الحروف الأصلية وما اشتق من الحروف الزوائد التي اتخذت أصلاً ثانياً للاشتقاق ، له دلالة خاصة غير دلالة صاحبه :

فتنطّق ، أو انتطق : لبس أو اتخذ النِّطاق ، وتمنطق : لبس أو اتخذ المِنْطقة . ولكل من هذين اللفظين : النِّطاق والمنطقة ، صفة عند العرب ، تلحظها وتراعيها فتخالف بينهما فيما تشتقه لهما من الأفعال .

وادّرع ، وتدرّع : اشتقتا من الدِّرع ، لبوس الحرب المعروف ، وقميص المرأة ، والثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها . وتمدرع : اشتُقّ من المِدْرَعة ، وهي ضرب آخر من القمصان ، ولا تكون إلا من الصوف خاصة . ففرّقوا بين الدِّرع والمِدْرَعة ، لاختلافهما في الصِّفة واللفظ .

وأسلم : دخل في الإسلام مؤمناً به ، وتمسلم : تسمّى « مسلماً » ، وحكى الرُّؤاسي : كان فلان يسمّى « محمداً » ثم تمسلم ، أي : تسمّى « مسلماً » .

وتولاّه : اتخذه وليّاً ، وتمولى : تشبّه بالموالي ، وفي فلان مولوّية : إذا كان شبيهاً بالمولى ، وهو يتمولى علينا : أي يتشبّه بالموالي ، وما كنت بمولى وقد تموليت .

وترفّق : توكّأ على المِرفقة ، وتمرفق : إذا أخذ مِرفقة .

وتكحّل : وضع الكحل في عينيه ، وتمكحل : أخذ مُكْحُلة .

وتسكّن : اشتقّ من السكون ، وتمسكن : اشتق من المسكين على معنى التشبيه به في زيه وحاله ، وتمسكن لله : تضرّع لله ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال للمصلي : « تبأسُ وتمسْكنُ وتقْنِيع يديك » .

وهكذا ما لم أذكره ، وهو كثير .

فحال الاشتقاق من الزوائد ، هو كحال الاشتقاق من الحروف الأصلية في عرف العربية ، وكل منها يراد لدلالته الخاصة ، ويقصد إليه قصداً للتفريق بين دلالة ودلالة أخرى ، فلا توهم في شيء من ذلك . وإنما التوهم قائم في أنفس القائلين به .

وقد قلت إن قدامى اللغويين والنحاة قد فطنوا لهذه الظاهرة اللغوية، فرعوا حرمة الزوائد ، وقرروا الاشتقاق منها ، وهو أمر يقتضيه التطور والتوسع ، وتستجيب له طبيعة العربية المرنة ولا تستعصي عليه .

وإذ قد بلغت بالمسألة هذه الغاية من الإبانة عما أردته ، فلأذكرْ كلام إمام النحاة الأوائل فيها ، الإمام العبقري العربي المفكّر (الخليل ابن أحمد الفراهيدي) ، رحمه الله ، و « كل الصيد في جوف الفرا » .

وقد ألفيت نصه في « لسان العرب » وهو غير معزوّ إليه ، كأنه من كلام مؤلفه ابن منظور . لكن دل عليه العلامة السيد محمد مرتضى الزَّبيديّ في « تاج العروس » ، فردّ حقه إليه . ولعزْو الأقوال إلى أربابها شأن خطير في الدراسات ، يهدي إلى مناشىء الآراء وتطورها ، ويحدد زمن ظهور الرأي ، فتوضع القضايا في نُصُبها الصحيحة ، وتجنب الزيغ والفساد .

قال (الزَّبيديّ) ، رحمه الله في « تاج العروس » (د/ر/ع) :

« وقال (الخليل) : فرّقوا بين أسماء الدِّرع ، والدُّرَّاعة ، والمِدْرعة ، لاختلافها في الصفة ، إرادة إيجاز في المنطق . وتدرّع مِدْرعته ، وادّرَعها ، وتمدرعها . تحملوا ما في تبقية الزائد مع الأصل في حال الاشتقاق ، توفية للمعنى ، وحراسةً له ، ودلالةً عليه . ألا ترى أنهم إذا قالوا : تدرَّع ، وإن كانت أقوى اللغتين ، فقد عرضوا أنفسهم لئلا يعرف غرضهم : أمِن الدرع هو ، أم من المِدْرعةَ ؟ وهذا دليل على حرمة الزائد في الكلمة عندهم ، حتى أقروه إقرار الأصول ، ومثله : تَمَسْكَنَ ، وتمسلم » .

و « قطعت جَهيزة قول كل خطيب » .

هذا هو قانون العربية في حرمة الزائد في الكلمة والاشتقاق منه عن وعي وقصد وإرادة .. تهدّى إليه إمام النحاة (الخليل) بفطنته وزكانته وفقهه وذكائه النافذ ، وإليه يجب أن يصار في تحرير جملة ما توصم به العربية العبقرية العظيمة من هذه الوصمة الشنعاء : وصمة البناء على التوهم ، وتبرئتها منها جملة وتفصيلاً ، وذلك ما قصدت إليه في تدوين هذا البحث .

فالعربية إنما تجري سليقتها على قانونها النفسي الذي يحكمها ، ومنه تستمد صورها الاشتقاقية اطراداً لا توقف فيه ، وعلى نسق متعين قويم ، على ما قررت في صدر البحث .

وهذا القانون النفسي يظلّ دائماً هو المرجع المعترف بأصالته وسلامته ، وإليه يصار ويحتكم في قضايا اللغة ، أصولها وفروعها ، وبه تتعين السلامة كما يتعين الوهم الذي يتورط فيه الخاطؤون والواهمون .

وفقنا الله للصواب ، وجنّبنا الزلل والوهم ، وأعاننا على السمو بهذه العربية العروبية : لسان الوحي والفُرقان ، ولغة العلم والحضارة والعمران ، إلى مقامها الكريم ، وأوجها الرفيع .

بغداد ١٣٩٦/٣/٤ — ١٩٧٦/٣/٦ محمد بهجة الأثري

عبر التّاريخ

الدكتور محمد كامل عياد

من السهل جداً أن نذم التاريخ . فقد لاحظ الناس منذ القديم أن الأخبار التي يرويها المؤرخون لا يمكن الوثوق بصحتها : يختلط فيها الصدق بالكذب ويعتريهـا التشويه والتحريف والتزوير . ووصف بعضهم كتب التاريخ بأنها ليست سوى سجل لجرائم البشر وحماقاتهم وللمصائب التي جرتها عليهم مطامعهم ومنازعاتهم .

قيل للإمام البخاري : « إن بعض الناس ينقمون عليك اشتغالك بالتاريخ ، يقولون : « فيه اغتياب الناس » . فقال البخاري : « إنما روينا ذلك ولم نقله من عند أنفسنا » . وكان البخاري زائد التوقي ، بليغ التحري ، أكثر ما يقول عند ذكر رواة الحديث : هذا سكتوا عنه وذاك فيه نظر أو تركوه . وقلّ أن يقول : كذاب أو وضاع وإنما يقول : رمـاه فلان بالكذب .

وكتب المؤرخ المشهور ابن الأثير يقول : « رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريـخ

ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغيها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار » . وهو بعد أن يعدد فوائد علم التاريخ ، الذي يكسب الانسان تجربة ومعرفة ، ويزيده ادراكاً وعقلاً يقول : « ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد . قال الله تعالى : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » كما قال : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » . ثم يضيف ابن الأثير قائلاً : « ومن ظن أن الله تعالى أراد بذكر الحكايات الأسمار فقد تمسك بآراء أهل الزيغ الذين قالوا : « أساطير الأولين ، اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » .

بل إن (شمس الدين السخاوي) « ٨١٣ – ٩٠٢ هـ » ، من علماء القرن الخامس عشر الميلادي ، قد اضطر إلى تأليف كتاب خاص في هذا الموضوع عنوانه : « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

ومازال بعض الباحثين يدعون أن التاريخ ليس علماً بالمرة لأنه لايكشف عن حقائق وقوانين عامة ولا يصدر أحكاماً يقينية ، برهانية ، بل يقتصر على سرد وقائع فردية وحوادث جزئية ، محدودة يشك غالبا في صحة الروايات المتناقلة عنها . وتساهل آخرون فقالوا : إنه لايمكن اعتبار التاريخ علماً إلا من حيث طرائق بحثه فقط ، أما من ناحية الموضوع والنتائج فهو أقرب إلى الفنون الأدبية ، وإن كان لايبلغ مستواها في الإبداع والتأثير..

ويتساءل الكثيرون : ما الفائدة من الاشتغال بالتاريخ والرجوع إلى الماضي في هذا العصر الذي يسيطر عليه القلق وأخذت فيه الأمم تتسابق نحو المستقبل ؟ ماذا ينفعنا أن نعود إلى حوادث الماضي التي انقضى عهدها ولا يمكن أن تتكرر ؟ لقد تبدلت أوضاع العالم وأحوال البشر ، فهل

يجوز لنا أن نشغل أنفسنا بأمور وقعت في ظروف تختلف كل الاختلاف عن ظروفنا المصرية المتجددة بسرعة مدهشة ؟

كان (هنري فورد) ، صاحب معامل السيارات المشهورة ، قد زار في سنة (١٩٢٧) مدينة (اكسفورد) . ولما دعي إلى مشاهدة الأماكن الأثرية اعتذر ، ولم يرغب في زيارة سوى معمل للسيارات . ثم صرح بهذه المناسبة أن التاريخ كله عبارة عن هراء وسخف . ولم يستغرب الناس هذا القول ، الذي يدل على تفكير صبياني ، سطحي ، من رجل أمريكي ليس لبلاده في الماضي تاريخ يذكر ..

كان المستر (فورد) يعتقد إذ ذاك بأنه قد اكتشف الدواء الناجع لحل المشكلة الاقتصادية في هذا العصر وهو دواء بسيط يتلخص في دفع أجور أعلى إلى العمال ليزداد بذلك الاستهلاك والطلب وتستمر حركة الانتاج وتتسع - ولم يكن المستر (فورد) يعرف شيئاً عن تاريخ الأزمات الاقتصادية الدورية التي رافقت تطور النظام الرأسمالي ، وكأن هذا التاريخ أراد أن ينتقم من المستر (فورد) ويلقنه درساً ، فلم تمض سنتان حتى حدث الانهيار الاقتصادي الهائل في سنة ١٩٢٩ وتعرضت الولايات الامريكية المتحدة قبل غيرها إلى أزمة اقتصادية خطيرة زعزعت أركانها ولم تنتعش منها إلا بعد سنوات عديدة وجهود كبيرة بذلها (روزفلت) بعد انتخابه لرئاسة الجمهورية واعلانه « البرنامج الجديد » في سنة ١٩٣٣ ..

وقد هاجم الفيلسوف الألماني (نيتشه) التاريخ مدعياً بأن الالتفات إلى الماضي يحرم البشر من التمتع بحياتهم الحاضرة ويشل فعاليتهم ويمنعهم من الخلق والإبداع . وكان (نيتشه) يغبط الحيوانات لأنها تعيش في

الحاضر فقط .. فهي سعيدة ، حسب رأيه ، لأنها لاتتذكر الماضي ولا تفكر في المستقبل ..

إنه من السهل حقاً أن نطعن في التاريخ . ولكن من الصعب جداً أن نتحرر منه ونستغني عنه .

فقد عني الناس منذ أقدم العصور بجمع أخبار الأجيال السابقة ورواية الحوادث الماضية ، وكانوا دوماً يتناقلون الأساطير القديمة . إنهم كانوا ومازالوا يشعرون بحاجة إلى ترديد ذكريات الماضي . وقد بدأ الناس منذ القديم يسجلون الحوادث الهامة على جدران المعابد والأبنية العامة والمنشآت التذكارية ويحفظون الوثائق والآثار . ثم أخذوا يؤلفون الكتب التي تبحث في تاريخ البشرية وأصبح التاريخ من أهم العلوم الانسانية يدرسه الناشئون ويعتني بمطالعته المثقفون وقادة الجيوش ورجال السياسة والأدب ، وصار يعتبر من أقوى دعائم الثقافة العامة وأسس التربية الوطنية ..

إن التاريخ يقوم لدى الشعوب مقام الذاكرة عند أفراد البشر . والذاكرة التي تحفظ التجارب الماضية لها شأن كبير في تكوين شخصية الانسان إذ اليها يرجع الفضل في شعور الشخص بذاته وهويته ، كما إنه يستند إليها في التفكير وفي اتخاذ القرارات الهامة . فالتفكير إنما يعني الرجوع إلى الذاكرة ومقارنة المشاكل التي تجابهنا بما يشبهها من تجاربنا السابقة .

وهناك ذكريات تعيسة ، مؤلمة كثيراً ما نكبتها ونتناساها ، ولكنها تبقى في أعماق الشعور وتؤثر في سلوكنا . وقد كشف علماء التحليل النفسي عن خطورة هذه الذكريات المكبوتة . وردت في مذكرات السياسي الفرنسي (تاليران) العبارة التالية : « أقول هنا ، للمرة الأولى وعلى أمل أن

لاأعود وأفكر في ذلك أبداً ، إنني ربما كنت الشخص الوحيد من أسرة نبيلة الذي لم يتمتع بالعيش تحت سقف واحد مع أبويه ولو لمدة أسبوع فقط من حياته » . في هذه الكلمة تتجلى المرارة واللوعة اللتان كان (تاليران) لايزال يشعر بهما وهو يكتب في الستين من عمره وكان يتمنى لو استطاع نسيانهما ... وقد استدل المؤرخون من ذلك أن (تاليران) عاش مهملاً من أبويه يتولى تربيته الخدم والأتباع ، فاعتاد معاشرة من هم دونه ونقم على الطبقة الارستقراطية التي يمثلهـــا أبواه ولم يكترث بسقوط هذه الطبقة بعد الثورة الفرنسية بل أسرع إلى التعاون مع رجال تلك الثورة ثم مـع نابليون وأخيراً مع أسرة (بوربون) .

تختلف أهمية الذاكرة باختلاف مراحل حيـــاة الأفراد . فالشاب الناشيء ليس لديه تجارب كثيرة يمكن ان يتذكرها وأن تؤثر في تكوين شخصيته . لذلك نراه يتجه بخياله إلى المستقبل ويندفع مع الأحلام . ولاشك في أن تصور المثل الأعلى لدى الشباب كثيراً ما يعبر عن استعداداتهم وإمكانياتهم ومطامحهم ويساعد على انكشاف مواهبهم وقدراتهم - على شرط أن يكون هذا التصور واقعياً ومدعومـاً بجهود إرادية ، متواصلة . مثل هؤلاء الشبان يستحقون أحياناً من الاحترام والتقدير أكثر مما نبديه تجاه شخص بلغ القمة من سيرته فأصبح وزيراً أو قائداً ؛ ذلك لأن الشاب الناشيء قد يصبح أيضاً وزيراً أو قائداً . ولكن ربما يبلغ أكثر من ذلك فيصير مخترعاً أو فناناً كبيراً .

كلما تقدم الانسان في الحياة تزداد أهمية الذكريات والتجارب السابقة في تكوين شخصيته ونرى سلوكه في الحاضر يتأثر بسيرته الماضية ، فإذا

سبق له أن تمسك بالنزاهة والصراحة والإخلاص ، يصعب عليه بعد ذلك أن يتنكر لعقائده ومبـادئه وآرائه السابقة ، والشخص الذي يخطىء ويرتكب جريمة ، من العسير عليه التخلص من الشعور بالذنب ومن تأنيب الضمير كما أنه يكاد يستحيل عليه بعد ذلك نيل ثقة الناس واحتلال مكانة في المجتمع .

خلافاً للشبان الذين يحلمون بالمستقبل يعيش أكثر الشيوخ في الماضي . فتطغى الذكريات على نفوسهم وتفصلهم عن الحاضر . هكذا كان الأمر مثلاً مع (أميل اوليفيه) ، الذي تولى رئاسة الوزارة الفرنسية مدة ستة أشهر في سنة (١٨٧٠) ، فقد ظل طوال عشرين عاماً حتى وفاته لا يتحدث إلا عن ذكريات رئاسته .

لا يمكن للفرد أن يتمتع بذاكرة جيدة يستفاد منها في التفكير وكسب المعرفة إلا إذا استطاع جمع المعلومات اللازمة واختزانها ثم استذكارها عند الحاجة إليها . وهذا يتوقف على حسن انتقاء المواد التي يجب عليه حفظها من مشاهداته ومسموعاته ومطالعاته . ولا سبيل إلى حفظ كل شيء عدا أنه لا فائدة في ذلك ، وقد قيل بحق إن شرط التذكر الصحيح هو النسيان . ونحن لا يمكننا أن نسترجع الذكريات المطلوبة إلا إذا نسينا أكثر الأحداث والأقوال التافهة التي نمر بها . كذلك لا بد من تصنيف الذكريات المهمة وترتيبها وربط بعضها ببعض حتى يسهل استحضارها .

وهكذا التاريخ بالنسبة إلى الشعوب : فإنه لا مجال إلى تدوين كافة الأحداث التي تمر بها في مجرى حياتها ولا نفع في استقصاء كل الأمور وذكر الأسماء ووصف الحروب والفتن ، إنه لا بد من عمليـة اصطفاء لإبراز

الحوادث الخطيرة والمواقف الحاسمة ، والإشادة بالأمجاد القومية ، وانتقاد الأخطاء ، وبيان أسباب النكبات والنكسات لاستخلاص العبر منها ، وكم لدينا من تقاليد وعادات بالية ، وكم من نعرات وعنعنات مستهجنة وكم من عصبيات ومنازعات سخيفة انتقلت إلينا من الماضي ولا بد لنا من نسيانها والتخلص منها إذا أردنا السير في طريق التقدم . وهناك عقائد وخرافات ومخلفات لغوية ورواسب اجتماعية من مختلف العهود البائدة — كلها تؤلف عبئاً ثقيلاً يعرقل مسيرتنا ومن الواجب التحرر منها أو تطوير ما يصلح منها لتلائم حاجات العصر .

إن موقف الشعوب من تاريخها يشبه موقف الأفراد من ذكرياتهم الماضية . فالشعوب الفتية لا تهتم إلا بالمستقبل وتنصرف في الحاضر إلى تكوين ذاتها وبناء حضارة جديدة . وحين تتوقف هذه الشعوب عن النمو والتوسع والإبداع تتجه إلى الماضي ، تتغنى بأمجاده أو تدعو إلى إحيائه والرجعة إليه .. ثم عندما تهرم هذه الشعوب وتشعر بأن حضارتها صارت مهددة بالانهيار والزوال — حينئذ تبدأ في دراسة تاريخها وتبحث في أسباب التقدم والتأخر ، ولذلك يعتبر (الوعي التاريخي) دليلاً على الهرم ونذيراً بالانقراض . وقد قال بعضهم : « ما أسعد الشعب الذي ليس له تاريخ » !.

على أن الذين ابتلوا بالوعي التاريخي لا يستطيعون فقدان هذا الوعي مها حاولوا . وأكثر تعاسة من هؤلاء هم أولئك الذين لا يعرفون إلا القليل من التاريخ لأن المعرفة المشوهة والثقافة الناقصة أكثر الأمور خطراً وفساداً . فمن الأفضل أن نسعى إلى الوعي التام ، الواضح وأن ندرس التاريخ لنعرف : من نحن ؟ إلى أي مرحلة من التطور وصلنا وفي أي طريق نسير ؟.

هناك شبان يرغبون في التحرر من الماضي والتحول إلى الحاضر والمستقبل ويعتبرون دراسة التاريخ لهواً وعبثاً وهروباً من مجابهة المشاكل الحالية . إنهم يصرخون قائلين : نريد أن نعيش الحياة الحاضرة ، حياة عصرنا ؛ ولا يهمنا الماضي الميت . ولا اعتراض على ذلك . فمن واجب كل جيل أن يهتم بحياته الحاضرة وبمستقبل الأمة القريب والبعيد . ولكن ما هو الحاضر ؟ هل نعني به اللحظة المباشرة التي نعيش فيها والتي لا تلبث إلا قليلاً حتى تصبح من الماضي . إن الحاضر ليس سوى امتداد الماضي ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة وأن نعالجها معالجة صحيحة ، ناجعة وأن نرسم الطريق إلى المستقبل إلا بالرجوع إلى الماضي وإدراك الأسباب الفاعلة والعوامل المؤثرة التي أدت إلى خلق تلك المشاكل . فالعراقيل التي تعترضنا ، والعيوب التي نشكو منها ، والصعوبات التي تجابهنا كلها لها جذورها وأصولها في التراث الذي تسلمناه من الأجيال السابقة . وكما ورثنا عن الماضي المشاكل كذلك نكتسب منه تجربة وحكمة . وقد قال (شيشرون) قبل أكثر من ألفي سنة : « إن الذي يجهل ما حدث قبل ولادته – يبقى دوماً طفلاً » . وقال فيلسوف حديث : « الذي لا يعرف التاريخ مكتوب عليه أن يعيده » .

إن حياة البشر ، سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو شعوباً ، ليست سوى سلسلة متصلة الحلقات يتبع بعضها بعضاً . ولا سبيل إلى تعليل الحوادث في أي مرحلة إلا بالرجوع إلى المراحل السابقة وربط الأسباب بالمسببات والعلل بالنتائج . إننا في التاريخ ندرس كيف كانت المجتمعات البشرية في الماضي ثم كيف تطورت تدريجياً حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم .

وبذلك نتوصل إلى معرفة العوامل التي أثرت في هـذا التطور واكتشاف التيارات والقوى التي دفعت إليه وما زالت تدفع كما نطلع على البواعث والحوافز والاختلافات والتناقضات التي أسهمت وتسهم في تكييف الحوادث. وبدون هذه الدراسة يتعذر علينا أن نفهم الشؤون السياسية والاجتماعية عامة وأن ندرك مشاكل عصرنا واتجاهاته . إن العالم الذي يحيط بنا يظل لغزاً إذا لم نعرف كيف تكوّن . ولا بد أن نشعر بأننا غرباء ضمن المجتمع الذي نعيش فيه إذا جهلنا منشأ العادات والتقاليد والعقائد والمؤسسات والنظم والقوانين السائدة فيه والتي ليست جميعها سوى محصول ظروف تاريخية معينة ونتيجة التطور خلال العصور المتعاقبة ، بل إننا لا نستطيع حتى فهم آرائنا الشخصية والأحكام المسبقة التي نتمسك بها وردود الفعل العاطفية التي نجابه بهـا الأحداث إذا لم نعرف الميراث الذي ورثناه عن أسلافنا . وإذا تساءلنا لماذا يختلف موقف العربي عن موقف الانكليزي مثلاً أو الفرنسي في الظروف الخاصة أو العامة فإن التاريخ وحده يعطينا الجواب .

مثلما أن التاريخ ضروري لفهم الحاضر فهو كذلك لا بد منه للاعتياد على التفكير الواقعي . وبينما نتعلق في العلوم الطبيعية والرياضية بالمفاهيم المجردة والأحكام المطلقة فإننا في التاريخ نبحث الموضوعات الانسانية المعقدة بصورة مشخصة وضمن شروط زمنية ومكانية معينة ونتعلم بذلك معنى النظرة النسبية ، إذ نرى كيف أن جميع الأحداث يرتبط بعضها ببعض ويؤثر أحدها في الآخر ، وأن أحوال البشر في تطور دائم ، وأن كل حالة ليست سوى مرحلة في طريق لا تنتهي ، وأنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة الموضوعية المطلقة ومعرفة الأحداث التاريخية كما جرت فعلاً وإنما نحكم عليها من وجهة نظر محدودة وبالنسبة إلى الظروف المتقلبة .

مازال الكثيرون في عصرنا النفعي يتساءلون : ماذا يفيدنا التاريخ ؟ لا يكفي ، في نظرهم ، لتبرير دراسة التاريخ أن تكون له طريقة علمية موثوقة وأن يلبي كثيراً من حاجاتنا الفكرية وأن يثقف أذهاننا ويصقل عقولنا ويجعلنا أقل غباوة عند البحث في شؤون البشر والنظر في مشاكلهم السياسية والاجتماعية الحاضرة . إنهم يريدون أن يعرفوا : ما هي فائدته في حياتنا العملية ؟ هل هو عبـــارة عن ترف فكري ، أم إنه ينفعنا في تحقيق أهدافنا ؟.

لقد اعتقد الناس في جميع العصور بأنه من الممكن استخلاص عبر ودروس من التاريخ يسترشدون بها في أعمالهم .

وإذا كان (هيرودوت) ، أبو التاريخ ، لم يفكر عند تأليف كتابه عن « الحروب الميدية » إلا في تلبية رغبة الآثينيين في المعرفة وتقديم أخبار غريبة وقصص ممتعة إليهم ، فإن (توكيديديس) ، الذي تبعه بعد جيل واحد ، قد ذهب إلى أن التاريخ يتضمن دروساً عملية . وهو يصرح بأن كتابه عن (الحروب البيلوبونيزية) يهدف إلى رسم صورة واضحة ، حقيقية عن الماضي وحوادثه التي يمكن أن تتكرر في المستقبل وأنه يريد استخلاص العبرة العملية التي قد تفيدنا في أوضاع سياسية مماثلة وذلك ، كما يقول ، لأن طبيعة البشر واحدة ، ولأن أعمالهم تتشابه .

وتتجلى النزعة العملية بصورة أوضح عند مؤرخ يوناني آخر ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد وعاش تحت حكم الرومان أعني به (بوليبيوس) الذي مارس السياسة وكان على معرفة واسعة بأحوال اليونان والرومان على السواء ، وكان خلال مدة طويلة على صلة وثيقة بالزعماء السياسيين في

الشرق والغرب ورافق قادة الجيوش وعرف أساليب الحرب وقام برحلات طويلة في البر والبحر وطاف في مختلف البلدان واطلع على أحوالها . وقد امتاز (بوليبيوس) بروح الإنصاف والتسامح ، وكان يتمسك بالحقيقة المطلقة ، ولا يتحزب في أحكامه على الأشخاص والأحداث ، وكانت له نظرة ثاقبة تكتشف الشخصيات الكبيرة وتميز الوقائع الهامة وتقدر المواقف الحاسمة . وكان يكره كرهاً شديداً الأساليب الخطابية والألعاب اللفظية والمظاهر الشكلية . إنه يعد ، بحق ، من أكبر المؤرخين القدماء .

كان (بوليبيوس) يحرص على معرفة الوقائع التاريخية الحقيقية لأن هذه وحدها تصلح لإرشادنا في الحياة العملية وفي إدارة الشؤون العامة .

إن الموضوع الأساسي في كتابه عن (التاريخ العام) هو : كيف استطاعت (روما) في مدة لا تزيد عن خمسين عاماً أن تستولي على حوض البحر الأبيض المتوسط وتبسط سيطرتها على العالم المعمور إذ ذاك ؟

كان اليونانيون يعزون انتصارات (روما) إلى الحظ وليس إلى كفاءة الرومان ومزايا جمهوريتهم . فقام (بوليبيوس) ، الذي كان يمتاز بالحكمة والتفكير الفلسفي ، وألف كتابه القيم ليبدد أوهام مواطنيه ويكشف لهم عن الأسس المتينة التي قامت عليها عظمة (روما) . وفي مقدمة الأمور التي اهتم بها من هذه الوجهة تعليل الاستقرار الذي اتصف به نظام الحكم في (روما) ، على عكس ما كان سائداً بين اليونانيين من اضطراب وتقلب فقال : إن استقرار دولة (روما) يرجع إلى مزجها بين أشكال الحكم المختلفة وجمعها بين العناصر الجوهرية لكل من هذه الأشكال وتحقيق التوازن بينها . ذلك أن حكومة الجمهورية الرومانية

كانت تقوم أولاً : على القناصل الذين يمثلون الحكم الفردي ، وثانياً : على مجلس الشيوخ الذي يمثل سلطة النخبة الارستوقراطية ، وثالثاً : على المجالس الشعبية التي تمثل النزعة الديموقراطية .

يقول (بوليبيوس) : « إن معرفة أحداث الماضي هي أفضل وسيلة لإصلاح الطبيعة البشرية . وأكثر المؤرخين كانوا يهدفون إلى هذه الغاية عند تأليف كتبهم ، فتراهم يصفون دروس التاريخ بأنها مدرسة للتربية الوطنية والتدريب الاجتماعي والإعداد للحياة السياسية . وهم يقولون : إن دراسة عيوب الآخرين وأخطائهم هي الطريقة الوحيدة لتكوين الشخصية التي تستطيع مجابهة الأحداث وتقلباتها . ولذلك كان (بوليبيوس) يلح على الذين يؤلفون كتب التاريخ أو الذين يطالعونها بأن يركزوا اهتمامهم ليس على سرد الوقائع ورواية الأخبار بل على كشف الأسباب وملاحظة الظروف المحيطة ومعرفة النتائج ؛ وهو يتساءل أخيراً : « ماذا يفيد القارىء أن يعرف وصف الحروب والمعارك وحصار المدن واستعباد الشعوب واستثمارها إذا هو لم يتوصل إلى إدراك الأسباب التي ساعدت جماعة على النجاح وأدت بأخرى إلى الفشل في ظروف مماثلة » ؟.

وبين المؤرخين القدماء المشهورين الذين أرادوا استخلاص العبر من التاريخ نذكر (ديودوروس الصقلي) الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد . وقد جاء في كتابه « مكتبة التاريخ العام » قوله : « إننا نعرف قيمة التاريخ من ثمراته ، فهو داعية إلى الحق يفضح الشر ويمدح الخير ؛ إنه يقدم إلى الدارسين خلاصة التجارب البشرية والحكمة الإنسانية » . ويدعي (ديودوروس) أن التاريخ قادر على تعليمنا دون أن نتعرض

إلى الأخطار والآلام فيقول : « إنها لنعمة كبرى أن تتهيأ لنا الفرصة لإصلاح أنفسنا وتحسين أوضاعنا عن طريق الاطلاع على عيوب الآخرين وأخطائهم فنحذر منها ونسعى إلى اجتناب أمثالها . وما أجمل أن نكون أحراراً في هذه الحياة الفانية ، المليئة بالحظوظ والتقلبات فنتبع أساليب النجاح الماضية عوضاً عن أن نضطر إلى القيام بتجارب جديدة مؤلمة ! إنه ، بفضل دراسة التاريخ ، يتوصل الشبان إلى فهم الأجيال السابقة ويجدون في تجارب المتقدمين حوافز تدفعهم إلى السعي وراء الشهرة الخالدة كما أن الأشراف يجدون في التاريخ رادعاً ينذرهم بالخزي الأبدي إذا هم اندفعوا مع أصواتهم الخبيثة ، وبصورة عامة فإن أمجاد التاريخ تثير التقدير والإعجاب ومن شأنها أن تدفع الكثيرين إلى الإقدام على أعمال عظيمة من تأسيس الممالك أو سن قوانين تضمن سلامة الأمة أو الوصول إلى اكتشافات علمية أو اختراعات عملية تستفيد منها البشرية جمعاء .

وإذا انتقلنا الآن إلى المؤرخين العرب نرى أن أكثرهم كانوا يقصدون من دراسة التاريخ قبل كل شيء استخلاص العبر التي تفيد في الحياة العملية .

تبرز النزعة السياسية العملية بشكل واضح عند (مسكويه) في القرن الخامس الهجري « القرن الحادي عشر الميلادي » . لقد اشتغل (مسكويه) بالفلسفة والأخلاق والفقه والأدب والتاريخ ، وجمع في كتابه « تجارب الأمم » مادة جيدة ، ولا سيما فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر العباسي . وكان تفكيره الفلسفي يدفعه إلى البحث في أسباب الحوادث ونتائجها . ويدل عنوان كتابه على أنه اعتبر التاريخ خلاصة لتجارب الشعوب في العصور السابقة واعتقد أنه يمكن للأجيال اللاحقة أن تستفيد من هذه التجارب .

ولعله من المفيد أن نستعرض أقواله في مقدمة كتابه حيث يشرح فائدة علم التاريخ ويأتي بكثير من الآراء الطريفة والقيمة .

يقول (مسكويه) : « إني لما تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت كتب التاريخ وجدت فيها ما تستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبيهها كذكر مبادىء الدول ودخول الخلل فيها بعد ذلك وتلافي من تلافاه ، إلى أن عادت إلى أحسن حال وإغفال من أغفله فآل الأمر إلى الاضمحلال والزوال ، وذكر ما يتصل بذلك من سياسات الوزراء وأصحاب الجيوش . ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها متناسبة صار جميع ما يحفظه الانسان من أحداث التاريخ كأنه تجارب له وكأنه عاش الزمن كله ، فيعد لكل شيء عدته . وشتان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غراً غمراً لا يتبين الأمر إلا بعد وقوعه ولا يلاحظه إلا بعين الغريب عنه ، يحيره كل خطب يستقبله ، ويدهشه كل أمر يتجدد له » .

يجدر بنا أن نتأمل في هذه الكلمات التي تعبر عن اعتقاد (مسكويه) بوجود حالات متشابهة في حياة البشر تؤدي فيها الأسباب نفسها إلى نتائج مماثلة . وهو يشير إلى موقف الجهلة الأغرار الذين لم يحصلوا على ثقافة تاريخية فيعيشون غرباء في خضم أحداث هذا العالم تستولي عليهم الدهشة تجاه الانقلابات ويحتارون عند المصائب والأزمات . ويختم (مسكويه) مقدمته بانتقاد المؤرخين الذين يجمعون الأخبار التي تجري مجرى الأسمار والخرافات والتي لافائدة فيها غير استجلاب النوم بها . ثم يقول إنه لذلك ألف كتابه ولم يتعرض لذكر معجزات الأنبياء (صلوات الله عليهم) وما تم لهم من

السياسات بها لأن أهل زماننا لا يستفيدون منه تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم اللهم إلا ما كان منها تدبيراً بشرياً لا يقترن بالإعجاز .

ولعل أشهر نموذج للمؤلفات العربية التي تنظر إلى التاريخ كمدرسة للسياسة العملية هو كتاب « الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ». ومؤلف الكتاب (ابن الطِّقْطَقي) « ٦٦٠ - ٧٩٠ هـ »من رجال أواخر القرن الثالث عشر الميلادي إنما يهدف إلى الكشف عن أسرار السياسة وأساليب الحكم وقواعد الإدارة عن طريق دراسة التاريخ الإسلامي وتحليل حوادثه واستخلاص العبر من هذه الحوادث ليستفيد منها والي الموصل (فخر الدين عيسى بن إبراهيم) الذي أهداه كتابه ، ويقول (ابن الطقطقي) عن مؤلفه : « إنه ليفيد العقل قوة والذهن حدة والبصيرة نوراً . وهو للخاطر الذكي بمنزلة المسن الجيد للفولاذ » .

وأكتفي بنقل المقطع التالي من الكتاب : « كان الوزراء قديماً يكرهون أن يقف الملوك على شيء من السير والتاريخ خوفاً من أن يتفطنوا إلى أشياء لا يحب الوزراء إطلاعهم عليها .. طلب الخليفة (المكتفي) من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعتها وقته . فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة . فحصلوا على بعض كتب التاريخ وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيل في استخراج الأموال . فلما رأى الوزير ذلك قال لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ! أنا قلت لكم حصلوا له كتباً يلهو بها عني وعن غيري . وقد حصلتم له ما يعرّفه مصارع الوزراء ويرشده إلى الطريق لاستخراج المال ويبين له خراب البلاد من عمارتها ..

ردّوها وحصلوا له كتباً فيها حكايات تلهيه وأشعار تطربه ». وهذا كلام لا يحتاج إلى شرح أو تعليق !.

ولا بد من أن نذكر بين المؤرخين العرب في القرن الرابع عشر (ابن خلدون) الذي أراد أن يجعل من التاريخ علماً بالمعنى الصحيح بل فرعاً من فروع الفلسفة يقوم على دراسة العمران والاجتماع البشري ومعرفة قوانين التطور . ولا مجال هنا للبحث في نظرية (ابن خلدون) في التاريخ والاجتماع فأكتفي بالإشارة إلى أنه كان هو أيضاً ، مثل المؤرخين السابقين ، يعتقد بأن للتاريخ فائدة عملية وهي الاقتداء بالأنبياء في سيرهم والأمم في أخلاقهم والملوك في سياساتهم كما نلاحظ ذلك حتى في عنوان تاريخه الذي سماه « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » .

إلا أن (ابن خلدون) كان يطالب بملاحظة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال مع مرور الأيام واختلاف الأخلاق والعوائد والمذاهب من عصر إلى عصر . وكان يدعو إلى المقارنة بين الحوادث لمعرفة ما بينها من تشابه أو تباين وتعليل ذلك ، ويحذر من أن نحكم على أخبار الماضين حسب أوضاعنا دون أن نتفطن لما جرى من تغيرات وانقلابات . كذلك يجدر بنا أن لا ننسى نظرية (ابن خلدون) في حتمية التطور التاريخي ، هذه النظرية التي تذهب إلى أن كل مجتمع يجتاز في تطوره أدواراً معينة تتكرر بانتظام وتشبه مراحل نمو الكائنات الحية وفنائها . وهو يدعي بأن هناك قوانين تاريخية مثل القوانين الطبيعية لا تتغير . لذلك ليس هناك في التاريخ من مجال للمصادفات أو المعجزات . وفي سبيل تأييد رأيه يقول

(ابن خلدون) : « جاء في الحديث : ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه . وإذا كان هذا صحيحاً في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ألاّ تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية » . وهو بعد أن استشهد بغزوة (أحد) ختم كلامه قائلاً : « وهكذا حال الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء ، لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة » .

وقد بين (ابن خلدون) في مقدمته المشهورة كيف أن الحوادث التاريخية أيضاً تخضع لقانون السببية والحتمية . ومن الواضح أنه لا سبيل إلى الاستفادة عملياً من عبر التاريخ إذا لم نؤمن بأن لكل حادث سبباً وبأن الأسباب نفسها لا بد أن تؤدي إلى النتائج ذاتها .

أما في أوروبا فقد اتجه الاهتمام منذ عهد النهضة إلى دراسة التراث اليوناني والروماني القديم وعلى الأخص المؤلفات التاريخية التي أخذ الكتاب ينهلون منها ويعلقون عليها وينسجون على منوالها . وكانوا جميعاً يريدون استخلاص العبر واستنباط الدروس من التاريخ كما نرى ذلك بالدرجة الأولى لدى (ماكيافيللي) الذي سعى إلى تأسيس علم السياسة بالاستناد إلى تجارب التاريخ ودروسه فاستقى معظم تعاليمه السياسية من كتاب المؤرخ الروماني (ليفيوس) .

وكان رجال السياسة والقادة العسكريون في الغرب منذ القديم ينصرفون في أوقات فراغهم إلى مطالعة كتب التاريخ للاستفادة منها ، بل إن الكثيرين منهم مثل (يوليوس قيصر) حتى (ونستون تشرشل) قد

أقدموا على تدوين تجاربهم وآرائهم وخلفوا لنا مؤلفات تاريخية قيمة تتضمن كثيراً من الدروس المفيدة .

إننا جميعاً نستند إلى ذكرياتنا وتجاربنا السابقة لمعرفة ما يمكننا توقعه من حوادث في مواقف معينة يبدو لنا أنها تشبه الظروف الماضية : عندما زحفت الجيوش الهتلرية على (بولندا) في سنة ١٩٣٩ كان بين الغزاة جندي ألماني سبق له أن وجد في العاصمة (فرصوفيا) سنة ١٩١٨ ، فالتفت إلى رفيق بجانبه قائلاً : « في المرة الماضية تولت امرأة غسالة تجريدي من سلاحي . يا ترى من سوف يقوم بذلك هذه المرة ؟ » إن هذا الجندي المسكين قد تعلم من دروس الماضي فكان يتوقع هزيمة ألمانيا المعتدية مرة أخرى كما في سنة (١٩١٨) . وذكرى تلك الهزيمة هي التي كانت في سنة ١٩٤٠ ، بعد انتصارات (هتلر) السريعة ، تشجع الحلفاء على الصمود وتدعم الروح المعنوية لدى الانكليز والفرنسيين « الأحرار ».

على أن الاعتقاد العام بإمكان الإفادة من عبر التاريخ أخذ يتزعزع منذ أوائل القرن التاسع عشر . فقد كتب الفيلسوف الألماني (هيغل) في ذلك الوقت يقول : « الشيء الوحيد الذي نتعلمه من التاريخ هو أن لا أحد قد يتعلم من دروس التاريخ شيئاً » . إن هذا القول الذي قصد صاحبه أن يصوغه في قالب متناقض ربما لا يخلو من المبالغة والالتباس ولكنه ينطبق على الواقع إلى حد بعيد . فالتاريخ يذكر لنا أمثلة كثيرة عن العاقبة الفجيعة التي ينتهي إليها الظلم والطغيان ولكن ذلك لم يصبح رادعاً للطغاة المستبدين الذين ما زالوا يطمعون في الاستئثار بالحكم وخنق حرية الشعوب . وقد أثبت التاريخ خطيئة (نابليون) الفاحشة في اعتدائه

على روسيا وزحفه على (موسكو) في سنة ١٨١٢ . ونرى (بسمارك) في مناسبات عديدة ، يحذر الألمان من الاشتباك في حرب مع الروس والدول الغربية في وقت واحد . وكان (هيتلر) ، الذي لا تنكر عبقريته على الرغم من نقص ثقافته وعدم اتزانه وغروره ، قد اطلع على رأي (بسمارك) وتعليقات الخبراء العسكريين عليه وأعلن مراراً بأنه لن يرتكب مثل هذا الخطأ . ولكنه سرعان ما وقع فيه فاستعجل بذلك خاتمته الفجيعة وجر بلاده إلى أعظم نكبة أصابتها .

وكان القائد (فون قلاوزيفيتس) في كتابه المشهور (عن الحرب)، الذي ظل منذ سنة ١٨٣٠ حتى اليوم المرجع المعتمد في النظريات الستراتيجية ، قد بين أنه عندما يكون هناك عدو واحد ينبغي توجيه الهجوم رأساً إلى عاصمته . أما إذا كان هناك أكثر من عدو فيجب السعي أولاً إلى قطع خطوط المواصلات بين الخصوم . وكان الألمان قد خالفوا هذه القاعدة في سنة ١٩١٤ ولكنهم تحاشوا هذا الخطأ في سنة ١٩٤٠ إذ اندفعوا منذ البداية إلى مرافىء بحر (المانش) وقطعوا الطريق على الانكليز الذين انسحبوا من (دونكرك) وبذلك سهل على الألمان الزحف على باريس واحتلالها . على أن (هيتلر) الذي نسي نصيحة (بسمارك) وهاجم روسيا في سنة (١٩٤١) لم يتبع أيضاً قول (قلاوزيفيتس) فطمع في الاستيلاء على (موسكو) عوضاً عن أن يوجه جيوشه أولاً إلى القفقاس لقطع الطريق على نجدات الحلفاء إلى روسيا . ولا شك في أن الانتصارات السريعة التي أحرزها الألمان بادىء الأمر قد خدعت (هيتلر) ونفخت فيه الغرور وجعلته يهمل القواعد العسكرية ولا يعبأ بآراء مستشاريه المجربين .

إذا أمعنا النظر في كلمة (هيغل) يتضح لنا أنها لا تعني أنه يستحيل استخلاص العبر من التاريخ ولكنها تعلن أن البشر ، أفراداً وشعوباً وحكومات ، لا يستفيدون من هذه العبر إما لجهلهم أو طيشهم أو ضعف إرادتهم وانقيادهم للأنانية وما يتفرع عنها من طمع وحسد وخوف وحقد .

للاستفادة من دروس التاريخ يجب أن تكون لدينا معرفة جيدة ، دقيقة للحوادث وأن نحسن تفسيرها ونلاحظ اختلاف الظروف التي وقعت فيها بالنسبة إلى الأوضاع الجديدة .

بعد حرب (القرم) « ١٨٥٤ — ١٨٥٦ » قام أحـــد الضباط الفرنسيين اسمه (فروسار) ، الذي كان استاذاً في كلية الأركان ،فوضع نظرية استخلصها من التجارب في ساحة تلك الحرب المحدودة ، تعتمد على مبدأ الدفاع المنظم في الخنادق . فلمـا نشبت الحرب في سنة (١٨٧٠) تمسك الفرنسيون بهذه النظرية بينما أقدم رئيس الأركان الألماني (فون مولتكه) ، الذي درس بإمعان معارك نابوليون ، فوضع خطة الحرب الخاطفة والحركة السريعة وحقق بذلك نصراً باهراً . وعلى أثر ذلك تخلى المخططون الفرنسيون عن نظرية (فروسار) ومالوا إلى طريقة الهجوم المتواصل ولكن الخسائر الفادحة التي تكبدتها فرنسا في الحرب العامة بين ١٩١٤ — ١٩١٨ أدت إلى ظهور عقدة خط (ماجينو) لدى السياسيين والعسكريين الفرنسيين . وقد برهنت الحرب العالميـة الثانية على أن هذا الخط لم يكن متناسباً مع تقدم الفنون الحربية الحديثة .

عندما انفجرت الثورة البلشفية في سنة ١٩١٧ انبرى بعض الكتاب والسياسيين يتنبؤون بأن الجيوش الروسية سوف تندفع إلى القتال بروح جديدة وحماسـة ثورية وكانوا يستشهدون بما حدث بعـــد الثورة الفرنسية .

إلا أنهم نسوا أن حرب سنة ١٧٩٢ قد نشبت في السنة الثالثة بعد الثورة في حين أن ثورة ١٩١٧ حدثت في السنة الثالثة بعد الحرب وبذلك غفلوا عن ملاحظة الفرق الأساسي بين الحالتين وهو أن الفلاح ـ الجندي الفرنسي إنما أسرع سنة ١٧٩٢ إلى القتال للدفاع عن الأرض التي كان انتزعها من الاقطاعيين في حين أن الفلاح الروسي المجند قد انسحب سنة ١٩١٧ من جبهة الحرب للاستيلاء على الأرض .

وعندما وقّع (تشمبرلين) في سنة ١٩٣٨ على اتفاقية (مونيخ) وأعلن قبوله لمبدأ الاستيلاء على الأراضي في أوروبا الوسطى على شرط أن يتم ذلك عن طريق اتفاقيات « معقولة » وليس باستخدام القوة ـ أثبت أنه كان يتهرب من مواجهة الواقع وأنه كان ينقصه التفكير التاريخي الصحيح ، إذ لا يذكر لنا التاريخ أن أي شعب أوروبي قد تخلى عن الأرض دون أن يتعرض إلى العنف » .

إن كلمة (هيغل) قد أثارت العلماء ودفعتهم إلى البحث في ماهية المعرفة التاريخية وإلى دراسة العوامل المؤثرة في تطور المجتمعات البشرية . وارتفعت أصوات كثيرة تؤكد على أن أهم درس نتعلمه من التاريخ هو أنه لا يعيد نفسه وأن الصفة المميزة للحادث التاريخي هي أنه فريد ومقيد بمكان معين وزمان محدود وظروف خاصة وأنه لا يتكرر أبداً بالشكل ذاته وعلى الصورة نفسها وبجميع التفصيلات . وقد أنكر قسم من العلماء أن تكون هناك قوانين تاريخية ثابتة مثل القوانين الطبيعية وحجتهم في ذلك هي أن الحوادث التاريخية معقدة ، تؤثر فيها عوامل متعددة ، مختلفة من طبيعية ونفسية واجتماعية لا يمكن الاحاطة بها . كما أن المصادفات لها دور

كبير في حياة البشر . وقبل كل شيء يستند هؤلاء العلماء إلى مبدأ حرية الإرادة فيقولون إن البشر هم الذين يصنعون تاريخهم وأن الشخصيات التي ترسم الخطط وتتخذ القرارات وتوجه الأعمال تتصف بحرية الاختيار عدا أن بعض زعماء الشعوب كثيراً ما يتبعون الأهواء ويتقلبون مع الظروف ويناقضون أنفسهم ، فكيف نستطيع في هذه الحالات معرفة اتجاه الحوادث واستنتاج قواعد أو وضع قوانين يمكن الاستناد إليها في المستقبل ؟ وإذا كانت حوادث التاريخ لا تتكرر ولا تجري تبعاً لقوانين ثابتة ، بل تخضع للمصادفات وتنبعث من إرادة الأفراد الشخصية وتتكيف حسب رغباتهم وآرائهم الذاتية فكيف يمكن أن نستخلص منها الدروس والعبر ؟.

لا مجال هنا للبحث في مشكلة حرية الإرادة من الوجهة الفلسفية . ويكفي أن نشير إلى اجتهادات علماء الكلام المسلمين ثم إلى دراسات علماء النفس الغربيين الذين يتفقون على أن الإنسان في أعماله يشعر بأنه يتمتع بحرية الاختيار أي أنه يستطيع أن يفعل هذا الشيء إذا شاء أو لا يفعله وأن يقرر أمراً ثم يرجع عنه متى أراد . ولكن هذا الشعور لا يعني أن أعمال البشر في جملتها لا تخضع لقانون السببية والحتمية ولا تتبع نظاماً معيناً .

يقول الفيلسوف الألماني (كنط) : « مهما كان رأينا في حرية الإرادة من وجهة نظر ما بعد الطبيعة فإن مظاهر هذه الحرية أي الأعمال البشرية مقيدة مثل سائر الحوادث الطبيعية بقوانين عامة . وعلم التاريخ الذي يروي لنا هذه الأعمال البشرية يبين لنا أنها في مجموعها ، على الرغم من خفاء أسبابها ، تتبع سيراً منتظماً وتخضع لقوانين معينة . وهكذا بينما تبدو أعمال الأفراد معقدة ، فوضى ومتناقضة فإننا إذا نظرنا إلى الجنس

البشري كله نراه يسير باستمرار ، ولو بصورة بطيئة ، في طريق التطور المطرد » . ثم يأتي (كنط) بمثال من علم الإحصاء فيقول : « إن عقود الزواج التي تخضع لإرادة الأفراد ورغباتهم الشخصية وحوادث المواليد والوفيات التي تتأثر بعوامل كثيرة — هذه كلها يبدو أن ليس لها من قاعدة معينة تساعد على حسابها مسبقاً ، ولكن على الرغم من ذلك فإن الإحصائيات السنوية في البلدان الكبيرة تثبت لنا أنها تتبع قوانين طبيعية ، ثابتة ؛ وأنه في استطاعتنا التنبؤ بها ورسم خط بياني يحدد اتجاهاتها ، تماماً كما هو الأمر مع تقلبات الطقس التي يصعب تحديد مظاهرها الجزئية ولكنها لا تخلو في جملتها من نظام معين ثابت » .

إننا في التاريخ نتحدث عن أفراد البشر بصفتهم كائنات اجتماعية ومن وجهة نظر علاقاتهم بعضهم ببعض . ومن المعروف أن شخصية كل فرد إنما تتكون تدريجياً ضمن مجتمع معين وفي عصر محدد ، وهذه الشخصية تتألف من عناصر عديدة وراثية ومكتسبة كالغرائز والأمزجة والاستعدادات والمواهب التي تؤثر كلها في سلوك الفرد بالإضافة إلى الدوافع العاطفية والحوافز العقلية . ونحن جميعاً نسعى إلى ملاحظة ودراسة شخصيات الأفراد الذين نعيش ونتعامل معهم لنعرف كيف سيكون سلوكهم في مختلف المواقف وماذا يمكننا أن نتوقع منهم في كل ظرف من الظروف . وكثيراً ما نحكم على بعضهم بالاستناد إلى أقوالهم حيناً وإلى أفعالهم مرة أخرى ونفترض أن هذه الأقوال والأفعال تعبر بصدق عن أفكارهم وآرائهم وتعكس المصالح التي يسعون اليها .

على أن الدراسات النفسية الحديثة قد علمتنا أن أفراد البشر لايتبعون

دوماً صوت العقل ولا يدركون في الغالب مصالحهم الحقيقية وقلما يلتزمون بالصدق بل إنما يندفعون مع الأهواء والنزعات والنزوات ويخضعون لعوامل لا شعورية ويتأثرون بالأوهام والخرافات . . ثم إن كل فرد يتلقى من مجتمعه ومن البيئات المختلفة حوله وسائل التفكير والتعبير ويقتبس كثيراً من العقائد والتقاليد والعادات التي يتأثر بها إيجابياً عندما يخضع لها وسلبياً عندما يثور عليها ويرفضها .

والتاريخ إنما يصنعه الملايين من هؤلاء الأفراد الذين تجمع بينهم روابط كثيرة ويتكتلون تحت تأثير عوامل مختلفة اقتصادية وسياسية وعاطفية شعورية أو لا شعورية . وإذا كانت الجماهير لا تتحرك ولا تفعل شيئاً إلا إذا تولى تنظيمها وتوجيهها قادة قلائل فإن هؤلاء القادة بدورهم يحتاجون إلى الجماهير .

وقد أشار (تولستوي) إلى أن بعض المؤرخين يبالغون في تقدير أثر الشخصيات الكبيرة في التاريخ ، واستطاع في روايته المشهورة « الحرب والسلم » أن يبرهن على أن « منطق الأحداث » في حرب ١٨١٢ كان أقوى من مخططات (نابليون) و (اسكندر الأول) و (كوتوزوف) وأن النصر كان من صنع الأفراد غير المعروفين الذين لا حصر لهم والذين خاضوا غمار المعارك وحرقوا (موسكو) واخترعوا حرب الأنصار وراء خطوط العدو .

ولعل أحسن وصف للشخصية التاريخية العظيمة هو ، كما قال (هيغل) ، الفرد الذي يستطيع أن يتبين ما هي إرادة عصره فيعبر عنها بكلمات واضحة ويحققها بالفعل . إنه هو الذي يكشف عن روح عصره ويجسده

ويبعث فيه الحياة والحركة ؛ وبعبارة أخرى : إن الشخصية العظيمة ليست سوى الفرد البارز في المجتمع والذي هو محصول الأحداث التاريخية وفي الوقت نفسه صانع هذه الأحداث والمؤثر في توجيهها .

كتب مرة المفكر الفرنسي الشهير (باسكال) في القرن السابع عشر العبارة الساخرة التالية : « لو كان أنف كليوباترا أقصر لتبدل مجرى أحداث العالم » . ولم يفهم بعضهم المقصود من هذه الكلمة فتساءل : « ما شأن أنف كليوباترا في التاريخ » . ومن الواضح أن (باسكال) لم يقصد ذلك وإنما أراد الإشارة إلى أن (كليوباترا) ما كانت لتتصف بجمالها المشهور لو أن أنفها مثلاً كان أقصر أو أطول وبالتالي ما كان القائد الروماني (آنطونيوس) ليقع في غرامها وينهزم في معركة (آكسيوم) ويستولي خصمه (أوقتاويوس) على مصر وخزائنها ويؤسس الامبراطورية الرومانية . ونرى بعض المؤرخين الحديثين ، الذين يعارضون مبدأ الحتمية في التاريخ ، يكثرون من الاستشهاد بهذه الكلمة ليبرهنوا على أن حوادث التاريخ ليست سوى مجموعة من المصادفات التي ترجع إلى أسباب عرضية ، تافهة في الغالب .

ومثال آخر للمصادفات ما يرويه (تشرشل) في مذكراته عن ملك اليونان اسكندر الذي كان يوماً يداعب قرداً صغيراً فعضه القرد وأدى تسمم الجرح إلى موت الملك في خريف سنة (١٩٢٠) . ويضيف (تشرشل) قائلاً : « بسبب هذه العضة مات ربع مليون من البشر » ذلك لأن اليونانيين أعادوا إلى الحكم الملك قسطنطين الذي كان يحلم بإحياء الامبراطورية البزنطية فاستأنف الحرب ضد الأتراك التي سقط فيها ذلك العدد من القتلى وانتهت بهزيمة اليونان .

لا يمكن أن ننكر أثر المصادفة والحظ في التاريخ ولكن لا بد من الملاحظة أن المصادفة لا تتنافى مع قانون السببية والحتمية . فإن عشق (انطونيوس) لكليوباترا كانت له أسباب حتمية ، لأن (كليوباترا) كانت جميلة حقاً ولأن من الطبيعي أن يفتتن الرجال بالجمال الرائع . كذلك هزيمة (انطونيوس) في المعركة كانت لها أسبابها الموجبة . والمشكلة إنما نشأت من اصطدام هاتين السلسلتين من الأسباب اللتين لا صلة حتمية بينهما .

وهذا هو معنى المصادفة . والمؤرخ الذي يريد الاستفادة من تجارب الماضي لا يتساءل : كيف كانت ستجري الأمور لو لم ينهزم (انطونيوس) فهو إنما يدرس ما حدث بالفعل ويسعى إلى تعليله ومعرفة الأسباب التي قد تتكرر ويمكن أن يستخلص منها قاعدة عامة . أما حادث التقاء (أنطونيوس) مصادفة بكليوباترا فلا يمكن أن يستنتج منه أن قادة الجيوش عامة يخسرون المعارك إذا هم وقعوا في غرام ملكات جميلات .

وقد أشار (كارل ماركس) إلى أن المصادفات والحظوظ نادرة في تاريخ العالم وأنه ليس لها من أهمية كبيرة ولا تؤثر في مجرى التاريخ واتجاهاته العامة . ونحن إنما نطلقها في الغالب على بعض الأحداث التي نجهل أسبابها ..

هل نستنتج من كل هذا أننا لا نستطيع استخلاص عبر ودروس من التاريخ تفيدنا في حياتنا العملية ؟ كلا . إن التاريخ يمكن أن يكون مرشداً لنا في أوضاعنا الحاضرة وفي طريقنا إلى المستقبل إذا فهمنا الدروس التي يتضمنها وعرفنا كيف نقارن بين الحاضر والماضي وندرك وجوه التشابه والاختلاف ونعتبر بالتجارب السابقة ، ثم إذا كانت لدينا الإرادة الصادقة والقدرة الكافية لاتباع إرشاداته .

صحيح إن التاريخ لا يعيد نفسه ، كما يقولون ، ولكن هذا لا يعني أن ليس هناك في تاريخ الشعوب أوضاع متشابهة قد تؤدي إلى نتائج مماثلة إذا عولجت بالأسلوب ذاته . وقد لاحظ المؤرخون بعد دراسة مختلف الثورات مثل الثورة الانكليزية سنة (١٦٤٠) والثورة الفرنسية (١٧٨٩) والثورة البلشفية (١٩١٧) أنها جميعاً كانت تبدأ بأزمات متشابهة ثم تجتاز مراحل متماثلة . ومن المعروف عن رجال الثورة البلشفية أنهم قاموا بدراسات واسعة عن الثورة الفرنسية ثم الثورات الأوروبية (سنة ١٨٤٨) وعن حكومة اللجنة الثورية (قومون) في باريس سنة ١٨٧٠ للاستفادة منها في أعمالهم . وكان البلاشفة يخشون أن تنتهي ثورتهم كما انتهت الثورة الفرنسية التي تمخضت عن (نابليون) . لذلك كانت تساورهم الشكوك تجاه (تروتسكي) الذي كان أكثرهم شبهاً بنابليون فلم يثقوا به وعملوا على إقصائه من صفوفهم .

على أننا نخطىء كثيراً إذا اعتقدنا بأن التاريخ يزودنا بمجموعة من الأمثولات يمكن أن نستخدمها في الوقت الحاضر فنقلدها أو نتجنبها حسب الحاجة . ومن المؤسف أننا نرى الكثيرين من الكتاب والخطباء يشيرون إلى دروس التاريخ ويتحدثون عن « حتمية التاريخ » دون أن يأتوا بأمثلة واقعية يقومون بتحليلها وبيان وجوه الشبه بينها وبين الأوضاع الحاضرة ومدى إمكانيات الاستفادة منها .

إن التاريخ لا يقدم لنا وصفات جاهزة وحلولاً كاملة . فهو إنما يروي لنا كيف تطورت المجتمعات البشرية لنعرف ما هي العوامل التي تؤثر في هذا التطور وما هي القوى والتيارات التي تدفع الشعوب إلى الأمام أو

تعرقل سيرها . وكما أن التجارب التي تمر على الفرد في حياته يمكن أن توسع آفاق فكره وتزيده نضجاً وحكمة إذا تذكرها وعرف كيف يستفيد منها ، كذلك التاريخ فهو ذاكرة البشرية ويروي لنا خلاصة تجارب الشعوب على مر العصور . وفي استطاعتنا ، إذا أحسنا دراسة هذه التجارب وقمنا بتحليلها أن نستوحي منها كثيراً من الآراء والملاحظات التي تساعدنا على فهم الحوادث الحاضرة . إن تجارب التاريخ ليست نماذج نقتدي بها ونقلدها ، بل هي مادة للتأمل والتفكير والمقارنة .

نتعلم من التاريخ أن أحوال البشر في تطور دائم وأن الشعوب التي تريد الحياة لا بد لها من مجاراة الزمن في سيره واللحاق بركب الحضارة . كذلك يعلمنا التاريخ كيف نفكر تفكيراً واقعياً انتقادياً ، ويحررنا بذلك من الأوهام والأضاليل والأساطير ويبين لنا أن مقدرات الأمم مرتبطة بإدراكها للعوامل التاريخية التي نشأت عنها أوضاعها الحاضرة وبمعرفتها الرواسب التي انتقلت إليها من الماضي ، وأن نجاحها يتوقف على ما تتصف به من وعي وقوة إرادة وحزم وثبات . على أننا لا نستطيع الاستفادة من عبر التاريخ إلا إذا نظرنا إليه نظرة موضوعية مستنيرة . يجب أن نسعى قبل كل شيء إلى معرفة الحقائق الواقعية ، كما يجب في تاريخنا القومي أن نربط بين أمجادنا وتقاليدنا الماضية وبين حاضرنا فلا يجوز أن نغرق في الماضي ونستسلم إلى سحره وننسى واقعنا ومتطلبات عصرنا . إن الانغماس في الماضي قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشل الإرادة عوضاً أن يدفعنا إلى النهوض وبذلك قد يصبح الماضي عبئاً ثقيلاً يمنع تقدمنا لا مصدر إلهام وقوة حافزة .

كان قادة النهضة العربية في القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن على حق في اعتقادهم بأن الجيل العربي الجديد يجب أن ينكب على دراسة الحركات القومية الحديثة ولا سيما تاريخ الوحدتين الألمانية والإيطالية لأنه يستطيع أن يتعلم من ذلك الشيء الكثير .

وكم من العبر يمكننا أن نستخلص من دراسة تاريخ اليونان مثلاً . فنرى كيف أن اليونانيين القدماء لم ينجحوا في صد الغارات الفارسية إلا بفضل ما أظهره سكان (أثينة) وحدها دون سائر المدن اليونانية من وعي سياسي وحماسة في سبيل الدفاع عن حريتهم ، ومن المعروف أن هذا الوعي لم يكن سوى نتيجة للنظام الديمقراطي الذي كانت (أثينة) تعيش في ظله قبل الحروب الفارسية ، فقد تمتع الآثينيون بالحق في إدارة شؤونهم بأنفسهم وعرفوا معنى الحرية والمساواة وأدركوا أنهم سيحرمون من كل شيء إذا هم فقدوا استقلالهم ؛ ولم يخف عليهم أن المحافظة على كيانهم تتطلب منهم التضامن والتعاون مع غيرهم من اليونانيين . أما المدن اليونانية الأخرى التي كانت تعيش تحت الحكم الدكتاتوري أو الآرستوقراطي فإنها لم تظهر أي حماسة للدفاع عن كيانها ولم تشعر بأنها تملك شيئاً عزيزاً يستحق أن تضحي في سبيله . إن اعتيادهـا الانقياد للطغيان الفردي أو الاستبداد الطبقي جعلها تقبل بسهولة الخضوع للحكم الأجنبي .

لنأخذ مثالاً آخر من التاريخ الحديث : لما استدعى ملك بروسيا (غيليوم الثالث) في سنة (١٨٠٤) السياسي الألماني المشهور (فون شتاين) لتولي الوزارة وتنظيم حركة المقاومة ضد نابليون لم يقبل ذلك إلا بشروط ، بينها إصدار قانون بتحرير الأقنان وآخر بتنظيم ملكية الأراضي .

ولتبرير هذا الطلب قال (فون شتاين) : « كيف أستطيع ، يا صاحب الجلالة ، أن أدعو الفلاحين الذين يؤلفون أكثرية الشعب إلى الدفاع عن أرض لا يملكون منها شيئاً ؟ وكيف نطالب أفراد الشعب بأن يقاتلوا في سبيل حرية بلادهم إذا لم يكونوا هم أنفسهم أحراراً يعرفون معنى الحرية ويدركون قيمتها » ؟.

وتجدر هنا الإشارة إلى أن (فون شتاين) كان بعيداً عن الآراء المتطرفة ومعارضاً لمبادىء الثورة الفرنسية . إنه كان من النبلاء المحافظين الذين لا يريدون قطع الصلة بين الماضي والحاضر ، بل يسمون إلى البناء بالاستناد إلى العناصر الحية من التراث القديم . ولكن نزعته المحافظة لم تكن لتمنعه من الدعوة إلى الاصلاح في سبيل مصلحة بلاده . وقد أصدر قانوناً يهدف إلى إشراك الشعب في إدارة الشؤون العامة لاعتقاده بأن الشعب لا يبلغ النضج السياسي ولا يدافع عن كيانه ولا يتمسك بوحدته وعزته القومية إلا إذا تمتع بالسيادة وتدرب على تقرير مصيره بنفسه وأشرف على الحكم وعرف معنى المسؤولية . وفي مذكرة قدمها إلى ملوك ألمانيا وأمرائها كتب يقول : « على السلاطين والوزراء الحاكمين بأمرهم أن يتذكروا بأن الشعوب أيضاً قد منحتها العناية الالهية نصيباً من الحرية والكرامة ؟..

وأخيراً ها نحن في الوطن العربي عندما نفكر كل يوم في تحرير فلسطين تعود بنا الذاكرة رأساً إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي الذي طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . وعلى الرغم من معرفتنا بالفروق العديدة بين الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الثاني عشر وبين الحالة في الوقت الحاضر فإننا

نعتقد بأن أعمال صلاح الدين يمكن أن تكون عبرة وحافزاً لنا ودرساً نتعلم منه . وبديهي أننا لا نستفيد شيئاً من إحياء ذكرى صلاح الدين إذا اقتصرنا على الإشادة بصفاته السامية ومزاياه النادرة والتغني بأعماله المجيدة . إنه لا بد لنا من دراسة دقيقة للخطط السياسية البعيدة التي رسمها والأساليب العملية التي اتبعها لبلوغ الهدف ، ليس بحشد الجنود وجمع العتاد والذخائر فحسب ، بل كذلك بإنشاء الطرق والجسور وتسهيل وسائل العيش للشعب بإلغاء المكوس وخفض الضرائب ثم تنوير الأفكار بتأسيس المدارس ونشر العلم . وهو لم يكتب له النجاح في طرد الصليبين إلا لما اتصف به من بعد النظر والمهارة السياسية والثقة بالنفس والحزم في تنفيذ ما يصمم عليه والصبر على الشدائد والعمل المتواصل دون كلل أو ملل . فكان حقاً مثال البطولة في تاريخ الاسلام ، بل كان ، باتفاق آراء المؤرخين المسلمين والفرنج على السواء ، من أعظم عباقرة العالم . وإن في سيرته لعبرة لمن يتفكرون !.

دمشق محمد كامل عياد



فقيـــد العربيـــة

محمد بهجة البيطار

مجمعي افتقدناه

محمد بهجة البيطار

١٣١١ – ١٣٩٦ هـ

الدكتور عدنان الخطيب

أخلاق تتسامى إلى المثل الأعلى ؛

سماحة تتجلى في الأخذ والعطاء ؛

طهارة تنبع من القلب ، وعفة تقبض اليد وتعقل اللسان ؛

كل هذا كان في بردي عالم دمشقي كبير من المنافحين عن الضاد ، القائمين على خدمة لغة التنزيل العزيز .

كان عالماً فذاً يزين علمه العمل به ، ويجمّله حب نشره بين الناس.

كان بحراً زاخراً بالعلوم والمعارف ، هادئاً هدوء النسيم العليل ، صافياً صفاء الماء النمير .

كان رجلاً حلو الشمائل ، جم التواضع ، رضي الخلق .

كان إنساناً جُبل من حنان وعطف وحبٍّ للآخرين .

كان مسلماً بما تحمله هذه الكلمة من معانٍ وصفات .

كان مؤمناً لا تراه إلا هاشاً باشاً كالذين وصفهم الله عزّ وجلّ بقوله : ﴿ وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ .

كان خلقه العظيم وعاء علمه النافع ودينه الصحيح .

إنه شيخنا الجليل **محمد بهجة البيطار** أحد أركان مجمع اللغة العربية ، وقد تمثلت فيه أخلاق السلف الصالح ، وكأنه الوارث له علماً وفضلاً واطمئنان نفس .

لحق شيخنا بالرفيق الأعلى ، ونعاه مجمع دمشق يوم السبت في الثلاثين من جمادى الأولى سنة ١٣٩٦ للهجرة ، الموافق للتاسع والعشرين من أيار سنة ١٩٧٦ للميلاد .

مات الشيخ البيطار **وافتقدت مجامع اللغة العربية بموته أحد المناضلين حملة لواء الدفاع عن أمّ اللغى** ، ما كلّ يوماً وما ونى ، وقد جاوز الثمانين ، إلى أن سقط واللواء بيدِه ﴿ مِنَ المؤمنينَ رجالٌ صَدقوا ما عاهَدُوا اللهَ عليه فمنهم من قَضى نَحْبَهُ ومِنهمْ مَنْ ينتظرُ وما بدّلوا تَبْديلا ﴾ .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وعوض العربية عنه خيراً .

* * *

سيرة الفقيد

حيـــاته وآثـــاره

مولده وأسرته

ولد فقيدنا محمد بهجة البيطار بدمشق في الثاني من رمضان سنة ١٣١١ ﻫ (١٨٩٤ م) في أسرة دمشقية عريقة ، اشتهر كثيرون من أبنائهـا بالعلم والأدب والتقوى ، وكان جدها الأعلى هبط دمشق مهاجراً من « بليدة » من أعمال الجزائر في المغرب العربي ، واختار لسكناه حيّ الميدان الشهير .

نشأ الفقيد في حجر والده الشيخ محمد بهـــاء الدين (١٢٦٥ — ١٣٢٨ هـ) ابن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم الشهير بابن البيطـار ، وكان والده الفقيد عالماً أديباً يقرض الشعر ، محبوباً من الخاصة لفضله ومن العامة لمؤانسته إياهم ، وقد تولى الإمامة فيهم بعد وفاة أبيه .

تزوج والد الفقيد ابنة عمه الشيخ عبد الرزاق (١٢٥٣ - ١٣٣٥ ﻫ) ابن حسن البيطار ، وكان من كبار علماء دمشق العاملين على نشر المذهب السلفي ، بارعاً في علوم العربية وآدابها ، حسن الرواية حاضر البديهة ، ترك عدداً من المؤلفـات أهمها : كتاب « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » حققه وتولى التعليق عليه سبطه فقيدنا الغـالي محمد بهجة البيطار وقام مجمـــع اللغة العربية بطبعه بدمشق في ثلاثة أجزاء سنة (١٩٦١ — ١٩٦٣ م) .

دراسته وشيوخه

تلقى الفقيد مبادىء علوم الدين واللغة على والده وأتم دراسته الابتدائية

في المدرسة الريحانية والإعدادية في المدرسة الكاملية بدمشق .

وتابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية والعقلية على والده وعلى جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار ، وعلى كل من الشيوخ الأعلام في عصره جمال الدين القاسمي الدمشقي ومحمد الخضر حسين التونسي نزيل دمشق وعلى محدث الديار الشامية الكبير محمد بدر الدين الحسني ، ونال الاجازة منهم في مختلف العلوم النقلية والعقلية .

الوظائف والمناصب التي تولاها

أولاً : — تولى الفقيد سنة (١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م) الخطابة والإمامة والتدريس في جامع القاعة بحي الميدان خلفاً لوالده ، ثم تولى سنة (١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م) الخطابة والتدريس في جامع كريم الدين الشهير بالدقاق خلفاً لخاله ، وهذا الجامع هو مسجد المحلة التي تقطن أسرة البيطار فيها ، وكانت الإمامة والخطابة فيه في أسلاف الفقيد مما يمتد لأكثر من مئة عام .

وظل الفقيد ، بما عرف عنه من همة ونشاط ، يخطب ويُدرّس مختلف العلوم في مسجد محلته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى ، ما انقطع عن ذلك إلا لمرض أو سفر .

اشتهر الفقيد بخطب كان يلجأ فيها على الأغلب إلى تفسير آيات من الذكر الحكيم تناسب زمنها ، وكثيراً ما قصد مسجده لسماعها كبار الشيوخ والعلماء من أصدقائه أو من زوار دمشق فضلاً عن مريديه من التلامذة وطلاب العلم ، حتى إذا ما أديت صلاة الجمعة ، اصطحب الفقيد زوار مسجده إلى الدار ، حسب تقاليد الحي الدمشقي العريقة ، فإذا كان العصر أدوا الصلاة وانتشروا .

ثانياً : — عين الفقيد سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) من قبل مديرية معارف دمشق ، معلماً في مدرسة الميدان الابتدائية ، وظل قائماً بتدريس المواد الموكلة إليه حتى سنة ١٣٤٦ﻫ (غاية أيلول ١٩٢٦ م) إذ يشير سجل الحكومة إلى أنه استأذن بالسفر إلى الديار المقدسة ولم يعد إلى وظيفته .

ثالثاً : — اشترك الفقيد سنة ١٣٤٥ ﻫ (في خريف ١٩٢٦ م) **بمؤتمر العالم الإسلامي** الذي دُعي إلى عقده في مكة المكرمة ، وبعد انتهاء المؤتمر استبقى الملك عبد العزيز آل سعود الفقيد في مكة ليشرف على **المعهد العلمي السعودي** ، فبقي تلبية لطلب الملك يدير المعهد المذكور مدة خمس سنوات ، قلده الملك خلالها المناصب القضائية والعلمية التالية :

١ — عضو محكمة مكة الشرعية الكبرى ، ثم نائب رئيس لهيئة المراقبة القضائية ، ولكن الفقيد رغب عن المناصب القضائية فطلب إعفاءه وتم له ما أراد .

٢ — مفتش التعليم في مدارس الحجاز .

٣ — أستاذ مادتي التوحيد والتربية اللتين كان يجمع لهما مديرو وأساتذة مدارس مكة .

٤ — عضو مجلس المعارف العمومية .

٥ — مدرس في الحرم المكي .

٦ — عضو هيئة مراقبة التدريس في الحرم الشريف .

رابعاً : — عندما غلبَ الحنينُ إلى دمشق الفقيدَ التمس من الملك السعودي السماح له بالعودة **إلى البلد الذي أحب ، وأحبه أهله** ، وعاد سنة ١٣٥٠ ﻫ (١٩٣١ م) ليؤمَّ أهل حيّه كل يوم ويخطبهم كل أسبوع ،

وكان إلى جانب هذا يقوم بتدريس العلوم الدينية والعربية في المسجد وفي بعض المدارس الخاصة ، كما تولى تدريسها سنة ١٣٥٣ ﻫ (١٩٣٤ م) ولبعض الوقت في كليتي المقاصد الخيرية للبنين والبنات في مدينة بيروت .

خامساً : – عين الفقيد سنة ١٣٥٥ ﻫ (١٩٣٦ م) من قبل دائرة الافتاء العامة مدرساً عاماً في مدارس دمشق .

سادساً : - أعيد تعيين الفقيد أيضاً في السنة نفسها من قبل وزارة المعارف السورية مدرساً للعلوم الدينية في مدارس حي الميدان الابتدائية .

سابعاً : – عين الفقيد سنة ١٣٥٩ ﻫ (١٩٤٠ م) من قبل وزارة المعارف أستاذاً للعلوم الدينية في تجهيز دمشق للبنات .

ثامناً : – عهدت مديرية الأوقاف إلى الفقيد سنة ١٣٦١ ﻫ (١٩٤٢م) بتدريس مادتي التفسير والأخلاق في كليتها الشرعية بدمشق .

تاسعاً : – وفي السنة نفسها عهدت وزارة المعارف إليه بتدريس تفسير القرآن من الوجهة الأدبية في دار المعلمين العليا .

عاشراً : – عندما عزمت الحكومة السعودية على إنشاء ثانوية كبرى في مدينة الطائف باسم (دار التوحيد السعودية) أعلن الملك عبد العزيز آل سعود رغبته في أن يتولى فقيدنا إدارة هذا المعهد ، فنزلت الحكومة السورية عند رغبة الملك وأوفدت الفقيد البيطار سنة ١٣٦٣ ﻫ (١٩٤٤ م) حيث أقام في الطائف مدة ثلاث سنوات .

أحد عشر : – عهدت جامعة دمشق إلى الفقيد سنة ١٣٦٧ ﻫ (١٩٤٧ م) القيام بتدريس مادتي التفسير والحديث في كلية الآداب .

اثني عشر : – في سنة ١٣٧٤ ﻫ (نهاية عام ١٩٥٣ م) أحيل

الفقيد على التقاعد من وظيفته الحكومية ، فقصر نشاطه على محاضرات في التفسير كاف إلقاءها في كلية الشريعة وعلى التدريس الديني ووظائف وزارة الأوقاف إلى جانب إلقاء الأحاديث الدينية والاجتماعية في الإذاعة السورية ، وعلى أعمال مجمعية عديدة .

الفقيد في المجامع العلمية اللغوية

انتخب الفقيد عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٤٢ ه (٣٠ آذار ١٩٢٣ م) .

انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العراقي في سنة ١٣٧٥ ه (٦ حزيران ١٩٥٤ م) .

وعندما تم توحيد مجمعي دمشق والقاهرة سنة ١٣٨٠ ه (١٩٦٠ م) باسم « **مجمع اللغة العربية** » كان الفقيد في مقدمة أعضاء المجمع الذين شاركوا في مؤتمر القاهرة لسنة ١٩٦١ م

كان الفقيد من أكثر أعضاء مجمع دمشق حيوية ونشاطاً ، شارك زملاءه في إلقاء المحاضرات العامة والأبحاث المتعمقة **وفي تحرير مجلة المجمع** وبالتعريف على صفحاتها بالكتب والمطبوعات التي تدخل موضوعاتها في اهتماماته الشخصية .

وشغل الفقيد في مجمع دمشق منذ سنة ١٣٧٣ ه (حزيران ١٩٥٣ م) عضوية **لجنة المطبوعات** واستمر على القيام بمهامها في الاشراف على مجلة المجمع ومطبوعاته حتى أقعده المرض قبل انتقاله إلى دار الخلود بأسابيع معدودات .

سيرة الفقيد بين المشرق والمغرب

إن سيرة الفقيد أرّجت أجواء المشرق العربي بعطرها الندي ، ولم أكن لأعلم أن شذى طيبها الفواح ، تجاوز المشرق العربي إلى مغربه وملأ أصقاعه وفيافيه ، فضلاً عن البلاد الإسلامية النائية ، حتى رأيت إخواناً من الهند والباكستان يشيدون بفضله وعلمه وكريم خلقه ، وحتى زرت الجزائر وانتشيت بما سمعته معتزاً بدمشقيّ أصيل تعطّر ذكراه مسامع القوم ، وظننت بادىء ذي بدء أن لأرومة الفقيد أثراً فيما سمعت ثم وضح لي ما بدد ظني وجلا لي الأمر .

إن سيرة الفقيد عبقّت أرجاء المغرب العربي بفضل أحد كبار رواد الاستقلال الجزائري ، العالم المجاهد والأديب الفذّ نزيل دمشق الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، إذ كان يتغنى بترداد ذكرياته يوم نزل دمشق وعرف كرام الرجال فيها ، وكأنه لم يكتف رحمه الله بما كان يحدث الناس به ، فقد نشر في جريدة « البصائر » مقالاً أثبت فيه بعضاً من تلك الذكريات وخص فيها فقيدنا البيطار بالنصيب الأوفر من الثناء وتعداد المحامد ، ورأيت من الوفاء لمدينة دمشق وللفقيد إثبات مقالة الشيخ الإبراهيمي برمتها فيما يلي ، تجديداً لذكرى كاتبها ولما تركه في نفوس الدماشقة من حب وتقدير .

قال الشيخ رحمه الله (١) : « الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار علم من أعلام الاسلام ، وإمام من أئمة السلفية الحقة ، دقيق الفهم لأسرار

---

(١) نشرت في العدد ٦٤ من جريدة البصائر سنة ١٩٤٩ ، وانظر : عيون البصائر ج ٢ ص ٦٤٦

الكتاب والسنة ، واسع الاطلاع على آراء المفسرين والمحدثين ، سديد البحث في تلك الآراء ، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينها ، ثم له – بعدُ – رأيه الخاص . يوافق ما يوافق عن دليل ، ويخالف ما يخالف إلى صواب ، لأنه مستكمل الأدوات المؤهلة لذلك ، ولأنه يفهم القرآن على أنه أصل ترجع إليه الآراء والمذاهب والفهوم ، وأنه كتاب الكون ودستور الانسانية ، لا كما يفهمه كثير ممن كتبوا في التفسير . فجردوا أقلامهم لتسطير أفهام غيرهم ، وجرّدوا القرآن من خصائصه العليا ، وقيدوا هدايته العامة بمذاهبهم الخاصة .

والأستاذ البيطار مجموعة فضائل ، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خُلق فاضل إلا رأيته فيه ، مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية ، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة ، لا بأقدار الأئمة ، ويعطي كُلًّا ما يستحق ، جريء على قوله الحق في العلميات ، ولكن الجُرأة منه يُلطفها الوقار ، والوقار فيه تزينه الجرأة ، فيأتي من ذلك مزاج خلقي لطيف ، متساوي الأجزاء ، ملتحم الخلايا ، قلّ أن تجده في أحد من علمائنا المعدودين .

والأستاذ البيطار مفكر عميق التفكير ، وخصوصاً في أحوال المسلمين بصير بعللهم وأدوائهم ، طب بعلاجهم ودوائهم ، يرى أن ذهاب ريحهم من ذهاب أخلاقهم ، وأن معظم بلائهم ، آت من كبرائهم وأمرائهم وعلمائهم ، وهو يعني كُبراء الدعوى ، وأمراء السوء ، وعلماء التقليد . يرجع في ذلك كله إلى استقلال في الفهم والاستدلال ، ومقارنات في التاريخ والاجتماع ، وتطبيقات مصيبة للحقائق الدينية على السنن الكونية ،

وله في الاصلاح الديني سلفٌ صدق ، حققـوه علماً ، وطبقوه عملاً .
يعتمد فى تحصيله وتربيته على طودَيْن شامخين من أطواد العلم والعمل : أحدهما : **الإمام عبد الرزاق البيطار** . والثاني : **الإمام المحدث جمال الدين القاسمي** ، عنهما أخذ ، وفي كنفهما نشأ ، وعلى يدهما تخرج . فجاء عـالماً من ذلك الطراز الذي نقرأه في التراجم ولا نجده فيمن تقع عليه العين من هؤلاء العلماء الذين يقرأون ويحفظون وينقلون ولكنهم لايفقهون .. هذا العديد المتشـابه الذي كأنه نُسخ من طبعة واحدة من كتاب ، لا يقـع التحريف في واحدة منها إلا وقـع في جميعها ، ولا يزيد واحدٌ منهـــم في العدد إلا كما يزيد كتاب في مكتبة ، لا كما يزيد فارس في كتيبة بآية أنهم ماكثروا في الأمة إلا قلت بهم الأمة ، ولا ثـُقلوا في أنفســهم إلا خف وزنها في الأمم ، ولا تغالَوْا في التعاظم إلا كان ذلك نقصاً من معاني العظمة فيها ، وبآية أن علمهم لم يؤهلهم لقيادة الأمة ، فتركوا القيادة لغيرهم ، وأصبحوا كأدوات التصدير الـتي يسـبقها حرف الجر ، فيدخل عليها ويعمل فيها ، وبآية أن العالم في أوربا لا يعد عـالماً إلا إذا زاد في العـــلم شيئاً ، أو كشف من خفيه شيئاً ، أو جلا من غامضه شيئاً . ونفض - مع ذلك - على العلم من روح زمنه شـيئاً ، ولا عجب .. فالعلم عندهم ياقوتة في منجم ، وعندنا ... لفظة في معجم والأولى تستخرج بالبحث والإلحاح ، والثانية تستخرج بمعرفة الاصطلاح ، والأولى حظ المجتهد العامل . والثانية حظ المقلد الخامل .

بدء معرفتي به : خرجت من المدينة — فيمن خرج - إلى دمشق في أخريات سنة ست عشرة ميلادية، وكنت أتمنى لوأن دواعي ذلك الخروج كانت تقدمت

ببضع سنوات لأدرك الإمامين اللذين كانت لهما في نفسي مكانة . وهما : عبد الرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي . وكنت وأنا بالمدينة — قرأت للقاسمي عدة كتب عرفت منها قيمته ومنزلته ، وقرأت عن البيطار وسمعت ما دلني عليه وأدناني منه .

وفي أول اندلاع الثورة الشريفية قدم المدينة من دمشق جندي شاب من آل المارديني ، وتعرف إلي في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت ، وتردد على دروسي مرات في الحرم النبوي ، فانعقدت بيننا ألفة روحية لا تأتي بمثلها الأسباب ، وذلك الشاب **شقيق الأستاذ جودت المارديني** . ولاسرة المارديني بدمشق صلة متينة بأسرتي القاسمي والبيطار . فكنت أسأله عما يهمني من دمشق وأحوالها وعلمائها ، وعن القاسمي والبيطار ، كأن هاتفاً من وراء الغيب ألقى إلي أنني سأرحل إلى دمشق . فأخبرني ذلك الشاب أن الله تعالى أبقى من بيت البيطار وارثاً لعلم الإمامين ومشربها في الاصلاح ، هو **الأستاذ محمد بهجة البيطار** ، وأن له من الشباب المحصل صحباً قليلاً عددهم يوافونه على الفكرة ويلتقون معه على المبدأ ، وأنه هو إمامهم ومرجعهم ، فشوقني حديث الشاب إلى الأستاذ ، وعلمت أن الروحين تعارفتا ، فائتلفتا ، ولم يبق إلا تعرف الأجساد .

ثم رجع الشاب إلى دمشق فأخبر الأستاذ عني بمثل ما أخبرني عنه ، فتم **التجاوب الروحاني بيننا** ، وتنادت الروابط الفكرية إلى الاجتماع فكان .

ولما دخلت دمشق بعد ذلك بقليل ، كان أول من زارني بعد كرام الجالية الجزائرية — من أصدقائي السوريين الذين عرفوني بالمدينة

المنورة - **الأستاذ عبد القادر الخطيب المظفر ، وذلك الشاب الماردين** الذي أنساني الزمان اسمه ، وإن لم ينسني ذكراه ، فكاد يطير فرحاً بقدمي ، وطار إلى أبناء المشرب ، كما كان يسميهم ، يؤذّن فيهم ، فزاروني لأول مرة في رهط أذكر منهم شيخ الجماعة الأستاذ البيطار : والأستاذ عبد الحكيم الطرابلسي ، والأستاذ جودت الماردين ، والأستاذان قاسم ورضا القاسميين ، والأستاذ سعيد الغزي ، والأستاذ عبد القادر المبارك وكان بيننا في لحظة مايكون بين إخوان الصفا وإخوان الصبا من تأكد المحبة ، وارتفاع الكلفة ، وسقوط التحفظ . ثم تعاقبت الاجتماعات وانتظمت ، واتسقت أسباب اللقاء ، واتسعت آفاق البحث في الأسمار ، وكثر الصخب ، وما منهم إلا السابق المغبر ، والكاتب المحبر واللسن المعبر ، فكنا لانفترق من اجتماع ، إلا على موعد لاجتماع ، وكان واسطة العقد في تلك المجالس الأستاذ الجليل والأخ الوفي **الشيخ الأستاذ محمد الخضر الحسين** مد الله في حياته . وقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً ، **فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي الجدبة** ، وأنها هي الجزء العامر ، في عمري الغامر ، وأنني كنت أقر عيناً وأسعد حالاً من ذلك الذي نزل على آل المهلب شاتياً ، فوجد الإدبار رائحاً والإقبال آتياً . **ولا أكذب الله ، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن (الجزائر) ، ولكن ... من لي فيه بصدر رحب ، وصحب كأولئك الصحب ؟**

إن نسيت فإن أنسى ساعات كنت قضيتها في مكتبة آل القاسمي ممتعاً عيني وذهني في مخطوطات جمال الدين ، ومسودات مباحثه **في التفسير**

والحديث ، وفي ذلك المخطوط الحافل الذي ما رأت عيني مثله في موضوعه وهو كتاب « **بدائع الغرف ، في الصنائع والحرف** [1]» لجده الشيخ محمد سعيد الحلاق ، أرخ فيه لصناعات دمشق الجليلة التي أخنى الزمان على أكثرها ، وجلا فيه صفحات من مجدها الصناعي البائد .

ويا رعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع وسقت ، وأفرغت فيها ماوسقت ، وخصَّت بالمثقلات الدوالح مجامع الأحباب ، وأندية الأصحاب ، من الصالحية والجسر والنيربين المزة والربوة . فكم كانت لنا فيها من مجالس نتناقل فيها الأدب ، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية . على ودٍ أصفى من : **بردى يصفق بالرحيق السلسل**

ووفاء أثبت من أواسي قاسيون ، وأرسى من ثهلان ذي الهضبات . لاتوَّبن في مجالسنا حرمة ، ولا يكلم عرض ، ولا يقارف مأثم . وإنما هو الأدب ، بلا جدب ، نهصر أفنانه ، والعلم ، بلا ظلم ، نطلق عنانه والفن ، بلا ضن ، نروِّق دنانه ، والنادرة ، بلا بادرة ، نتلقفها . والنكتة بلا سكتة ، نتخطفها .



ويا تربة الدحداح ، **بوركت من تربة** ، لا يذوق الغريب فيها مرارة الغربة . ولا زلت مسقطاً لرحمات الله . **إنني أودعت ثراك أعز الناس علي** : **أبي وابني وجدي** أولادي . فاحفظي الودائع إلى يوم تُجزى الصنائع .

---

(١) إن هذا المؤلف القيم الذي يشير إليه الكاتب صنفه ، الشيخ محمد سعيد القاسمي وأتمه من بعده ابنه الإمام جمال الدين وصهره السيد خليل العظم ، وقد صدر في دمشق عام ١٩٦٠ في جزءين بتحقيق حفيد المؤلف الأول وابن الثاني الأستاذ النقيب ظافر القاسمي باسم « قاموس الصناعات الشامية » وقدمه للقراء المستشرق لويس ماسنيون .

ويا جنات الغوطة ، وقراها المغبوطة ، لا زلت مجـــلى الفِطر ، والحد الفاصل بين البدو والحضر ، أشهد ما عشوت من الغرب إلى نار ، ولا عشيت منه بنور . ولأنت التي تمسكين دمشق أن تميد ، ومن فيها أن يميل تبارك من رواك بسبعة أودية ، وكساك من وشي آذار بخضر الأردية . كم فتنتُ بمناظرك الشعرية ، وأخذت بمجاليك السحرية ، وكم تزودت عيناي فيك بروضة وغدير ، وكم تمتعت أذناي من جداولك وأشجارك بحفيف وهدير .

ويا يوم الوداع ما أقساك ، وإن كنت لا أنساك . لا أنسى بعد ثلاثين سنة ولن أنسى ما حييت موقف الوداع بمحطة البرامكة والأستاذ الخضر يكفكفُ العبرات ، وتلامذتي الأوفياء : جميل صليبا ، وبديع المؤيد ، ونسيب السكري ، والأيوبي ، يقدمون إلى بخطوطهم كلمات في ورقات ، مازلت محتفظا بها احتفاظ الشحيح بماله .



عهود لم يبق إلا ذكراها في النفس ، وصداها في الجوانح ، والحنين إليها في مجامع الأهواء من الفؤاد . ولولا أن السلوّ كالزمن يتقادم ، وأن الهوى مع العقل يتصادم لقلت مع المتنبي : « أبوكم آدم (١) ! . . . » ولقد راجعتُ « مذكراتي » المنقوشة في ذاكرتي فوجدتُها حافظة لتلك العهود بأيامها ولياليها وأحاديثها ، فليت شعري أيذكر الأحيـاء من

---

(١) يقول المتنبي في قصيدة شعب بوان :

يقول بشعب بوان حصــاني   أعن هذا يســار إلى الطعان
ابوكم آدم ســن المعــاصي   وعلمكم مفــارقة الجنــان

إخوان الصفا مثل ما أذكر ؟ ذلك ما تكشف عنه **رسالة الأخ الأستاذ محمد بهجة البيطار** التي ننشر بعضها بعد هذه الكلمات . وهي التي أثارت هذه الذكريات في نفسي فكتبتها ، ليعلم هذا الجيل الذي نقوم على تربيته **أن في هذه الدنيا بقايا من الوفاء والمحبة** ، تتماسك بهـــا أجزاء هذا الكون الإنساني ، وأنه لولا هذه البقايا لانحدر الانسان إلى حيوانية عارمة كالتي بدت آثارهـا في الجماعات التي جفّت نفوسها من الوفاء والمحبة ، فخلت من الإحسان والرحمة فهوت بها المطامع ، إلى ما يراه الرائي ويسمعه السامع . **وإن منبت الوفاء الشرق ، وإن زارعه وساقيه والقيم عليه هو الإسلام** ، وعسى أن تحمل البصائر هذه الذكريات إلى **الاخوان الأصفياء في دمشق فنتنادم على البعد ، ونلتقي على الذكريات ونتناشد**.

إنا على البعـــاد والتفرق لنلتقي بالذكر إن لم نلتقي

وعهداً لأولئك الإخوان أني **ما جفوت وما غفوت** ، وأني لم أزل – منذ افترقنا – أتسقط أخبارهم من الصحف ومن السفار ، ولولا الهزاهز والفتن ما انقطع بيننا للصلة حبل » أ هـ .

الفقيد يقرض الشعر

جرى الفقيد على عادة علماء السلف ، يقرض الشعر في ساعات الفراغ ، يؤرخ به لحادثة جرت ، أو يهنيء صديقاً بنعمة أو يعزيه بمصيبة ألمت به ، ويستعين بالنظم أحياناً في تلخيص علم أو تدوين قاعدة .

ترك لنا **ديواناً صغيراً** فيه شعر يمدح به الرسول الأعظم ﷺ ، كما يتضمن أبياتاً ومقطوعات ومساجلات كان يتعاورها مع بعض أصدقائه وزملائه المجمعيين ، أمثال الأساتذة عز الدين التنوخي ومحسن البرازي بدمشق ، وأحمد العزاوي في مكة ومحمد سعيد حسين كمال في الطائف .

رحـــلات الفقيد

قام الفقيد برحلات علمية ودراسية عديدة ، أرخ لها في نهاية كتابه « **الرحلة النجدية الحجازية** » وشملت رحلاته البلاد العربيـة والإسلامية والروسية والولايات المتحدة الأمريكية ، موضحاً الدافع إلى كل منهـا ، وأهم ما وقع له خلال بعضهـــا . ولعله ترك بين آثاره المخطوطة مزيداً من المعلومات .

إن رحلات العلماء والأدباء مُجْمَعٌ **على فوائدها العلمية والأدبية والاجتماعية** ، وأهمية رحلات الفقيد بادية في إثرائهـا العربيةَ والتاريـخَ الحديث بما نشره أو دونه عنها **وعن الخدمات التي أداها خلالها للعروبة والاسلام ..**

ولا يفوتني التنويه بأن كتاب الفقيد عن « الرحلة النجدية الحجازية ١٣٣٨ هـ ، ١٩٢٠ م » تضمن بعض **الوثائق المفيدة في التأريخ السياسي .**

الفقيد والنشر بأسماء مستعارة

يلجأ كثير من العلماء والأدباء والشعراء في **ظروف خاصـة بهم أو لأسباب تتصل بالموضوع الذي طرقوه** ، إلى نشر أبحاثهم أو مقالاتهم أو قصائدهم برموز أو بأسماء مستعارة .

والفقيد ، بما جبل عليه من صـراحة وصدق وبعد عن العنف وعن السياسة ، لم يكن بحاجة إلى إغفال توقيعه على ما كان ينشره من أبحاث دينية وعلمية وتربوية ، ومع هذا فقد تحرينا للحقيقة عن هذا الأمر فـلم نعثر إلا على عدد من مقالات التعليق على بعض الأبحاث أو التعريف ببعض الكتب ، وقد ذيلها تخفيفاً على الطابع أو القارىء بتوقيـع : م ب ب

أو : م ب ، أو : ب ب ، أو : ب ، كما عثرنا على ما يفيد بأن الفقيد نشر في شبابه بعض الردود بتوقيع **الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري** ، ومن ذلك رسالة « النفخة على النفحة » يرد بها على رسالة «النفحة الزكية» لمؤلفها الشيخ عبد القادر الاسكندراني نشرها دفاعاً عن العقيدة السلفية ، وكذلك رسالة « نظرة في النفحة الزكية في الرد على شُبه الفرقة الوهابية » نشرها ذيلاً الرسالة السابقة بتوقيع **« أبو اليسار الدمشقي الميداني »** .

مؤلفات الفقيد وآثاره

ترك الفقيد ، فضلاً عن المؤلفات ، بحوثاً كثيرة نشرت له في مختلف الصحف والمجلات السورية والعربية السعودية والمصرية والعراقية . طبع بعضها مستقلاً ، وما زال الكثير منها شتيتاً في باطن المجلدات ينتظر .

أما تآليفه وما طبع مستقلاً من أبحاثه فهو :

١ ـ كتاب « **نقد عين الميزان** » يقول الفقيد عنه : « ألفته أيام الطلب والتحصيل انتصاراً لأستاذنا القاسمي وأئمة الرواية في الأخذ عن كل ثقة ثبت صدوق » .

طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٣١ هـ

٢ ـ رسالة « **نظرة في النفحة الزكية** » يصفها الفقيد قائلاً : « هي دعوة إلى مذهب السلف الصالح ونبذ المعتقدات الزائفة والآراء الفاسدة » .

طبعت في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٢٢ م

٣ ـ رسالة « **النفخة على النفحة والمنحة** » طبعت باسم مستعار مع الرسالة السابقة في الرد على رسالة « النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية » .

٤ — رسالة « **الثقافتان الصفراء والبيضاء** » وهي عبارة عن محاضرة ألقاها الفقيد في ردهة مجمع دمشق ، وطبعت مستقلة على مطابع ابن زيدون وجددت طباعتها في كتاب « كلمات وأحاديث » سنة ١٩٧٤ م

٥ تفسير « **سورة يوسف** » أكمل الفقيد التفسير الذي بدأه السيد رشيد رضا مع التقديم له . طبع في مصر وأعيد طبعه في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٩ م

٦ — كتاب « **قواعد التحديث ، من فنون مصطلح الحديث لجمال الدين القاسمي** » حققه الفقيد وخرج أحاديثه . طبع في دمشق سنة ١٩٢٥ م

٧ — كتاب « **مسائل الإمام أحمد ، لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني** » يصفه الفقيد بقوله : « هو أقدم كتب المكتبة الظاهرية ، وقد طبع في مطبعة المنار مع تعليقات لي ، وتحقيقات للسيد صاحب المنار » .

طبع في القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ وقد طبع للمرة الثانية في بيروت .

٨ — كتاب « **البخلاء للجاحظ** » طبعه مكتب النشر العربي بتحقيق لجنة من أعضاء مجمع دمشق اشترك الفقيد معهم بتخريج الأحاديث الواردة فيه . دمشق - ١٩٣٨ م

٩ — كتاب « **المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا** » وقد بدأه صاحب المنار وأكمله الفقيد ووضع مقدمته .

طبعته دار المنار في القاهرة .

١٠ — كتاب « **الموفي في النحو لصدر الدين الكنغراوي** » شرحه الفقيد وعلق عليه وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٠ م

١١ – كتاب « **أسرار العربية** » للأنباري » حققه الفقيد وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٧ م

١٢ – كتاب « **حياة شيخ الإسلام ابن تيمية** » طبعه المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٩٦١ م

١٣ – كتاب « **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر** » تأليف جد الفقيد الشيخ عبد الرزاق البيطار . حققه الفقيد وعلق عليه ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق في ثلاثة أجزاء سنة ١٩٦١ – ١٩٦٣ م .

١٤ – رسالة « **الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة** » طبعه المكتب الإسلامي في بيروت سنة ١٩٦٦ م

١٥ – رسالة « **الكوثري وتعليقاته** » مقال كتبه الفقيد في بيان افتراءات زاهد الكوثري في تعليقاته على عقيدة أهل السنة . طبع مستقلاً مع ردود أخرى بمصر سنة ١٩٣٨ م

١٦ – كتاب « **الرحلة النجدية الحجازية** » يتضمن صوراً من حياة البادية سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) طبع في المطبعة الجديدة بدمشق سنة ١٩٦٧ م

١٧ – كتاب « **كلمات وأحاديث** » جمعها المكتب الإسلامي في بيروت وطبعها سنة ١٩٧٤ م

١٨ – بحث عن « **حجة الإسلام أبي حامد الغزالي** » مستخرج من كتاب الذكرى المئوية طبعه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر سنة ١٩٦٢ م .

١٩ — بحث «**الانجيل والقرآن في كفتي الميزان**» طبع في دمشق سنة ١٩٦٧ م .

٢٠ — بحث «**الاشتقاق والتعريب**» ألقاه الفقيد في مجمع دمشق ونشر في مجلته وطبع مستقلاً سنة ١٩٦١ م .

٢١ — بحث «**علاوة ثانية في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية**» كان الفقيد نشره في مجلة المجمع ثم قام محمد حامد الفقي بطبعه ضمن مجموعة علمية منها أحكام الطلاق في مصر سنة ١٩٥٣ م .

ثبت بما نشر للفقيد في مجلة مجمع دمشق

عني الفقيد ، إلى جانب أبحاثه الدينية والاجتماعية ، بالتعريف بالكتب التي كانت تهدى إلى المجمع ويكلف التعريف بها ، وقد ذخرت مجلة المجمع (١) مذ استقر الفقيد بدمشق إلى قبيل وفاته بكثير من ذلك إضافة إلى الموضوعات العلمية والتاريخية التي كان يطرقها ، وفيما يلي ثبت بجميع ما نشره في مجلة المجمع العلمي العربي « مجمع اللغة العربية بدمشق » (٢) :

---

(١) من المجلات العربية التي نشرت للفقيد مجلة العالم الاسلامي في بغداد ، وقد نشرت في مجلدها الأول الصادر سنه ١٣٥٧ ﻫ أبحاثاً بعنوان : الأخلاق الفاضلة ، واليهود في التوراة والقرآن ، وبين ابن تيمية وابن بطوطة .

ومنها مجلة التمدن الإسلامي بدمشق ، وقد نشرت في مجلدها الثالث الصادر سنة ١٣٥٦ ﻫ بحثاً بعنوان : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي مجلدها السابع عشر أبحاثاً بعنوان : السلام في الإسلام ، وحقيقة التقوى ، ووصف لأصول الفقه في الإسلام .

(٢) إن الرقم بين قوسين يلي عنوان البحث يدل على عدد صفحاته ، والموضوع الذي لايليه رقم دلالة على أنه لايتجاوز الصفحة الواحدة .

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
١٩٣٣	١٨٨/١٣	رسالة « الدر الثمين » لأحمد الغساطوي .
	١٨٩/١٣	كتاب « عبدة الشيطان في العراق » لعبدالرزاق الحسني .
	٢٥٥/١٣	كتاب « منتهى آمال الخطباء » لمصطفى أبو سيف .
١٩٣٥[1]	٢٨٥/١٣	محاضرات في التربية والتعليم لواصف البارودي (٢).
	٣٤٨/١٣	كتاب « حقوق النساء في الاسلام » لمحمد رشيد رضا (٢).
	٥٠٢/١٣	كتاب « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» لجمال الدين القاسمي (٣) .
١٩٣٦	١٥٨/١٤	نقد كتاب « حياة محمد هيكل » لعبد الله القصيمي .
	٣٠٩/١٤	كتاب « التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح » محمد إدريس الكاندهلوي (٣) .
	٣٩٠/١٤	كتاب « علوم الحديث لابن الصلاح وشرحه للحافظ العراقي » لمحمد راغب الطباخ .
١٩٣٧	٢٤١/١٥	كتاب « معالم السنن للخطابي البستي في شرح سنن أبي داود » لمحمد راغب الطباخ (٣) .

(١) إن المجلد الثالث عشر ابتدىء إصداره سنة ١٩٣٣ ثم توقفت المجلة ولم يستأنف إصدارها إلا سنة ١٩٣٥

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
	١٥/٣٦٠	**وفاة السيد محمد رشيد رضا - ١ -** (١٠)
	١٥/٣٩٦	تعقيب على محاضرة الأمير شكيب أرسلان (٢)
	١٥/٤٧٤	**وفاة السيد محمد رشيد رضا - ٢ -** (٧)
١٩٤١	١٦/١٢٩	كتاب « الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ، تحقيق سعيد الأفغاني (٣)
	١٦/٣٧٧	كتاب « محمد رسول الله ﷺ لمحمد رضا » (٣).
١٩٤٢	١٧/٢٩	**« المرأة في عهد النبوة وفي عصرنا الحاضر »** - محاضرة - (١٩)
	١٧/٩٤	كتاب « ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة » لسعيد الأفغاني (٢) .
	١٧/٣٧٩	بين ابن تيمية وابن بطوطة أيضاً تعليق على ماكتبه الطباخ (٣) .
١٩٤٣	١٨/٨١	مصنفات محمد الخضر حسين (٤) .
١٩٤٤	١٩/٨٠	كتاب « المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط » للإمام الداني - تحقيق محمد أحمد دهمان .
	١٩/٢٧٤	اعلام شرعي أصدره القاضي الاهدلي في الرد على الكافي بتحريم طبع مصحف الحافظ عثمان (٢) .
١٩٤٥	٢٠/٥٦٢	تفسير الإمام القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » تصحيح البيلاوي (٤) .

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
١٩٤٦	٦٧/٢١	كتاب « نظرات في الصيـام » لشوكة موفق الشطي (٢) .
	٤٤٦/٢١	كتاب « ضوء في تاريخ التوحيـد » لأحمد صبري شويمان (٣) .
١٩٤٨	٢٧٧/٢٣	كتاب « الخلافة » لتوماس آرنولد ترجمة جميل معلى (٧) .
	٤٤٦/٢٣	كتاب « الرسالة العلمية في الشفعة » لخليل جريج (٤).
١٩٤٩	٥٩/٢٤	**المدرسون تحت قبـة النسر في جامـع بني أمية** (عن كتاب حلية البشر) — ١ - (١٤) .
	١١٨/٢٤	كتاب « النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية » لصبحي المحمصاني (٧) .
	١٢٥/٢٤	كتاب « الدرر المباحة في الحظر والإباحـة » للشيباني الشهير بالنحلاوي (٢) .
	٢٢٢/٢٤	**المدرسون تحت قبة النسر في جامـع بني أمية** — ٢ — (١٢) .
	٤١٧/٢٤	تحقيق وتعليق على كتاب « **الموفي في النحو الكوفي لصدر الدين الكنغراوي** » - ١ - (١٤) .
	٤٥١/٢٤	كتاب « نظرة عامـة في فكرة الحق والالتزام ونظريتي الأموال والأشخاص في الفقه الإسلامي » لمصطفى الزرقا (٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٥٦٠/٢٤	تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٢ — (٢٣).
	٦٠١/٢٤	كتاب « نظرية الإسلام السياسية للمودودي » (٢)
	٦٠٣/٢٤	كتاب « منهاج الانقلاب الإسلامي للمودودي » (٢)
	٦٠٤/٢٤	كتاب « الدين القيم للمودودي » (٢)
	٦٠٦/٢٤	« دعوة المجد » شعر أحمد مظهر العظمة (٢)
١٩٥٠	١٤٢/٢٥	كتاب « المذكرات لمحمد كرد علي » (٥)
	٢٢٣/٢٥	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٣ (٢٤)
	٣٩٩/٢٥	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي » — ٤ — (١٦)
	٥١١/٢٥	تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٥ - (٢٤)
	٥٨٩/٢٥	تفسير « جزء تبارك » لعبد القادر المغربي (٦)
	٥٩٥/٢٥	كتاب « على هامش التفسير » لعبد القادر المغربي(٢)
١٩٥١	٨٥/٢٦	تعليق على كتاب« الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي » - ٦ — (١٦)
	١٩٩/٢٦	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٧ — (٢٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤٠٧/٢٦	تعليق على كتاب « المؤفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٨ — (١٦)
	٥٧٧/٢٦	تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي » — ٩ (١٣)
١٩٥٢	١٢٣/٢٧	كتاب « تهذيب الإيضاح للقزويني » شرح عز الدين التنوخي (٩)
	١٧٥/٢٧	**شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ محاضرة - ١ — (٢٣)
	٢٩٣/٣٧	كتاب « نظام الحياة في الإسلام للمودودي » (٢)
	٢٩٥/٢٧	كتاب « الجهاد في سبيل »
	٢٩٦/٢٧	الجماعة الإسلامية في باكستان
	٢٩٧/٢٧	كتاب « نقض المنطق لابن تيمية » تحقيق محمد حمزة (١٠)
	٤٠٨/٢٧	**شيخ الاسلام ابن تيمية** — ٢ — (١٠)
	٤٥٣/٢٧	كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب البغدادي » تحقيق لاووست وسامي الدهان (٦)
	٥٥٩/٢٧	**شيخ الاسلام ابن تيمية** — ٣ — (١٢)
	٦٠٦/٢٧	كتاب « بصائر جغرافية » لرشيد العابوي (٥)
	٦١٠/٢٧	كتاب « من هدي القرآن » لمحمد نمر الخطيب .
	٦٢٣/٢٧	حول كتاب « الموفي في النحو الكوفي » تعليق على نقد عبد الخالق عضيمة (٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
١٩٥٣	٢٨/١١٧	شيخ الإســـلام ابن تيمية — ٤ — علاوة ثالثة (٩) .
	٢٨/٣٢٥	استدراك آخر على مقال محمد زكي عبد القادر (٣).
	٢٨/٤٠٣	شيخ الإسلام ابن تيمية - ٥ - (١٧) .
	٢٨/٤٧٣	كتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » لمصطفى الخالدي وعمر فروخ (٤)
	٢٨/٤٧٧	كتاب « الأسرة في الشرع الإسلامي » لعمر فروخ (٣) .
	٢٨/٦٠٨	كتاب « الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد » لمحمود الملاح .
	٢٨/٦٠٩	كتاب « الزرية في القصيدة الأزرية » لمحمود الملاح (٢)
١٩٥٤	٢٩/١٢٩	كتابا « أوائل المقالات في المذاهب والمختـارات » و « شرح عقائد الصدوق » لابن النعمان (٤)
	٢٩/١٣٣	كتاب « آيات الخالق الكونية والنفسية » لرشيد العابري
	٢٩/٢٧٧	معجم « ألفـــاظ القرآن الكريم » لمجمـع اللغة العربية بالقاهرة (٢) .
	٢٩/٢٧٩	« تفسير القرآن الكريم » لمحمود حمزة وحسن علوان ومحمد برانق (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٢٩/٤٣٧	« رسالة الهدى » أرجوزة محمد سعيد صقر ومقال في حكم قتال الكفار لابن القيم .
	٢٩/٤٣٨	تفسير جزء (قد سمع) لمحمود حمزة وحسن علوان ومحمد برانق .
	٢٩/٦٠٤	كتاب « سيرة الرسول » لمحمد عزة دروزة (٥)
١٩٥٥	٣٠/١٢٤	كتاب « مذكرات سائح في الشرق العربي » لأبي الحسن الندوي (٦)
	٣٠/١٥٢	رسائل : « رأس الحسين » لابن تيمية ، « محنة شيخ الإسلام ابن تيمية » بقلمه ، « أحكام الطلاق » لابن عبد الهادي « في اختيارات ابن تيمية » لمحمد بهجة البيطار ، نشر محمد عبد الرزاق حمزة (٤)
	٣٠/١٥٦	كتاب « طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » لعبد الرحمن المعلمي .
	٣٠/٣١٤	« القرآن الكريم » تفسير محمد عزة دروزة (٤)
	٣٠/٤٨٠	كتاب « فقه الإسلام » لحسن أحمد الخطيب (٥)
	٣٠/٥٦٠	« في إعجاز القرآن » مقدمة لكتاب نعيم الحمصي (١٢)
	٣٠/٦٣٦	كتاب « مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية » نشر عبد الصمد شرف الدين (٢)
	٣٠/٦٣٨	كتاب « التفسير القيم لابن القيم » (٣)
١٩٥٥	٣٠/٦٤٠	كتاب « دلائل النبوة للأصبهاني » (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٣٠/٦٤٢	رسالة « في الهداية والضلالة » للصاحب بن عباد (٢)
	٣٠/٦٤٤	كتاب « المبادىء الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني » لصبحي المحمصاني (٢)
	٣٠/٦٤٦	كتاب « مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص عليه » محاضرات لعبد الوهاب خلاف (٣)
	٣٠/٦٤٨	كتاب « محاضرات في الميراث عند الجعفرية » لمحمد أبو زهرة (٣)
	٣٠/٦٥١	كتاب « محاضرات في الفقه الاسلامي » لمحمد يوسف موسى (٣)
١٩٥٦	٤١/٩٠	بين **ابن المطهر الحلي وابن تيمية** - ١ - (١٦)
	٣١/١٢٢	كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي (٢)
	٣١/١٣٠	كتاب « تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، وتحذير العباد من أهل العناد » لبرهان الدين البقاعي تحقيق عبد الرحمن الوكيل (٦)
	٣١/٢٥٣	بين **ابن المطهر الحلي وابن تيمية** - ٢ - (١٨)
	٣١/٣٠٤	كتاب « نوابغ المغرب العربي » لحسن حسني عبد الوهاب (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
	٣٠٦/٣١	كتاب « مصادر الحق في الفقه الإسلامي » للسنهوري
	٣٠٧/٣١	كتاب « الإمام الملك عبد العزيز » لعبد الحميد الخطيب (٣)
	٢١٠/٣١	كتاب « أبحاث علمية إسلامية وفتاوى في مسائل حديثة شرعية » لعبد الله القلقيلي (٢)
	٦٥٤/٣١	كتاب « مستقبلك في يدك متى عرفت ربك » لعبد الحميد الخطيب (٤)
	٦٥٨/٢١	كتاب « من شيم العرب » لفهد المالك (٣)
	٦٦٠/٣١	رسالة « المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون » لكاشف الغطاء في الرد على جمعية أصدقاء الشرق الأوسط (٤)
	٦٦٣/٣١	رسالة « الصلاة » لمحمد عبد الرزاق حمزة (٣)
	٦٦٦/٣١	رسالة « إلى الحياة » لحمدي عبيد.
١٩٥٧	٣٦٧/٣٢	كتاب « عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير » تحقيق أحمد شاكر (٣)
	٣٧٠/٣٢	رسالة « القرآن والترجمة » لعبد الرحيم محمد علي النجفي (٣)
	٣٧٢/٣٢	رسالة « جوهر الدين ومنظومة إلى عموم المسلمين » لعبد الحميد الخطيب (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٣٢/٤٩٢	**العقل والنقل عند الامام ابن تيمية – ١ (٥)**
	٣٢/٥٢٨	كتاب « الدستور القرآني في شؤون الحياة » لمحمد عزة دروزة (٥)
١٩٥٨	٣٣/٥٦	**العقل والنقل عند الامام ابن تيمية ٢ – (٢٤)**
	٣٣/٤٨٤	كتاب « الطريق إلى مكة » لمحمد أسد نقله عفيف البعلبكي (٤)
	٣٣/٦٥٧	تفسير « محاسن التأويل » لجمال الدين القاسمي (٥)
١٩٥٩	٣٤/١٣٣	كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » لعبد الحي الحسني (٥)
	٣٤/١٣٨	« ديوان موسى الطالقاني » تحقيق محمد حسن الطالقاني (٧)
	٣٤/٣٤٩	كتاب « الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة » لابن بطة العكبري ، تحقيق هنري لاوست (٣)
	٣٤/٣٥١	كتاب « الأئمة الاثنا عشر » لابن طولون ، تحقيق صلاح الدين المنجد (٢)
	٣٤/٣٥٣	« تفسير القرآن الكريم » للطاهر بن عاشور (٥)
	٣٤/٣٧١	**علاوة خامسة في فوائد تاريخية وعلمية من حياة ابن تيمية (٥)**
	٣٤/٣٨٣	تعليق على مقال عضيمة في أسرار العربية للأنباري .

السنة	المجلد والصفحة	الموضــــوع
	٥٠٨/٣٤	كتاب « وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني وبيان كليات من براهين الدين » لعبد الرحمن آل سعدي .
	٥٠٩/٣٤	كتاب « توضيح الكافية الشافية » و« الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية » لعبد الرحمن آل سعدي (٣)
	٥١٢/٣٤	كتابا « البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار » لابن المرتضى و « جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار » للصعيدي (٤)
	٥١٥/٣٤	كتاب « فتح الغفار المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار » للرباعي اليمني (٣)
	٦٦٣/٣٤	كتاب « الإمام محمد بن عبد الوهاب » لأحمد عبد الغفور عطار (٥)
	٦٦٨/٣٤	كتاب «الشيوعية والإسلام» لعباس محمود العقاد وأحمد عبد الغفور عطار (٢)
١٩٦٠	١٣٧/٣٥	كتاب « المبادىء الشرعية والثانوية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني» لصبحي المحمصاني طبعة جديدة (٢)
	٣١٩/٣٥	كتاب « الحوادث والبدع » للطرطوشي تحقيق الطالبي .

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	١٤٠/٣٥	خطب حمدي عبيد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)
	٢٩٨/٣٥	كتاب « أضواء وأنوار » لعبد الرحمن الكيالي .
	٦٨١/٣٥	كتاب « الإسلام » لألفريد غيوم ،ترجمة مصطفى هدارة وشوقي اليماني (٦)
١٩٦١	٤٨٤/٣٦	كتاب « مباحث في علوم القرآن » لصبحي الصالح .
	٤٨٥/٣٦	كتاب « علوم الحديث ومصطلحه » لصبحي الصالح (٢)
١٩٦٢	٤٧٦/٣٧	كتاب « مقدمة في إحياء علوم الشريعة لصبحي المحمصاني (٤)
	٤٧٩/٣٧	كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » للغزالي تحقيق إبراهيم آكاه جوبوقجي وحسين آتاي (٢)
	٥١٢/٣٧	حول ما كتبه عبد الرحمن الكيالي عن كتاب « حياة شيخ الاسلام ابن تيمية »(٥)
	٤٦٤/٣٧	كتاب « الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة »لابن الحسن العراقي تحقيق ميشار قوتلو آي (٢)
	٦٦٦/٣٧	التفسير الحديث « السور المرتبة حسب النزول » لمحمد عزة دروزه (٣)
١٩٦٣	٢٣٨/٣٨	كتاب« حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» للبيطار (٦)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
١٩٦٤	٦٥٢/٣٩	كتاب « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » للإمام الأشعري تحقيق ريتر (٢)
	٦٥٤/٣٩	كتاب « فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للإمام البخاري » تأليف فضل الله الجيلاني (٢)
	٦٥٦/٣٩	« تفسير غريب القرآن الكريم » اختيار حمدي عبيد .
	٦٥٧/٣٩	كتاب « تفسير النصوص في الفقه الاسلامي » لمحمد أديب صالح (٢)
	٦٥٩/٣٩	كتاب «تخريج الفروع على الأصول » الزنجاني . تحقيق محمد أديب صالح (٢)
١٩٦٥	٣٣١/٤٠	كتاب « مكتب عنبر » لظافر القاسمي (٣)
	٨٨١/٤٠	كتاب « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » للإمام المزي ومعه « النكت الظراف على الأطراف »تعليقات الحافظ العسقلاني (٣)
١٩٦٦	١٦٨/٤١	كتاب « الكاظمي في ذكراه الثلاثين » لعبد الرحيم محمد علي (٣)
	١٧٠/٤١	كتاب « سنن الترمذي » (٢)
	٣٥٢/٤١	رسائل« الإيمان » لابن أبي شيبة ،و«الإيمان » لابن سلام، و«العلم»لأبي خيثمة ،و«اقتضاء العلم » للخطيب البغدادي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (٧)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤١/٣٧١	الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (٣)
	٤١/٥١٠	كتاب « المعتمد في اصول الفقه » لابن الطيب البصري تحقيق محمد حميد الله (٧)
	٤١/٥١٧	« تفسير القرآن الكريم » لابن مسروق الثوري (٤)
	٤١/٥٢١	كتاب « النسائيات من الأحاديث النبوية الشريفة » لمحمد صالح فرفور (٣)
	٤١/٧١٢	كتاب « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » لاغناطيوس يعقوب الثالث (٢)
١٩٦٧	٤٢/٥٩	كتاب « جمال الدين القاسمي وعصره » لظافر القاسمي (١٦)
	٤٢/٥٧٤	كتاب « التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » للمعلمي العتمي (٦)
	٤٢/٥٨١	كتاب « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » للمزي مع « النكت الظراف على الأطراف » لابن حجر العسقلاني (٤)
	٤٢/٥٨٥	كتاب « من تاريخ سورية » لحسن الحكيم (٤)
١٩٦٨	٤٣/١٨٦	بيان عن « مقام إبراهيم عليه السلام » من رابطة العالم الإسلامي (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
	٤٣٩/٤٣	كتاب « دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضاء في الأحكام » للقاضي أبي حنيفة النعمان . تحقيق آصف أصفر فيضي (٥)
	٤٧٥/٤٣	تصحيح خبر عن ابن تيمية نقله الدجيلي في أعلام العرب في العلوم والفنون (٢)
	٨٦٤/٤٣	كتاب « الديانة » لعبد الغني حمّادة .
	٨٦٥/٤٣	رسالة « صحّح صلاتك » لعبد الغني حمادة .
	٨٦٦/٤٣	كتاب « القضاء والقدر » لعبد الغني حمادة (٢)
	٨٦٨/٤٣	كتاب « أبوبكر الصديق رضي الله عنه » لعبد الغني حمّادة (٣)
	٨٧٠/٤٣	كتاب «المختارمن أحاديث سيد الأبرار» لجواد المرابط (٣)
١٩٦٩	٧٤/٤٤	« **مجلة المجمع العلمي العربي** » بمناسبة بلوغ المجمع ٥٠ عاماً (١٧)
١٩٧٠	١٦٦/٤٥	كتاب « النبوة — إصلاح تقتضيه رحمة الله » لسعدي ياسين (٢)
	٣٧٦/٤٥	كتاب « اللآلىء المنثورة في الأقوال المأثورة » نقلها عن السريانية البطريرك يعقوب الثالث (٢)
	٣٧٧/٤٥	كتاب «الفوائد المهمة في حكمة التشريع وفضل القرآن العظيم » لوحيد الجباوي (٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤٥/٦٥٧	كتاب « شخصية المسلم كما يصورها القرآن » لمصطفى عبد الواحد (٤)
	٤٥/٦٦١	كتاب « لماذا أسلمنا » لنخبة من رجال الفكر ترجمة مصطفى جبر (٤)
	٤٥/٦٦٥	كتاب « شيخ الباحثين آغا بزرك » لعبد الرحيم محمد علي (٣)
	٤٥/٨٥٢	كتاب « فتاوى الإمام محمد رشيد رضا » تحقيق صلاح الدين المنجد (٤)
	٤٥/٨٥٥	كتاب «ولاية الله والطريق إليها» دراسة وتحقيق لكتاب « قطر الولي على حديث الولي » للإمام الشوكاني» لابراهيم إبراهيم هلال (٤)
١٩٧١	٤٦/١٤٠	كتاب « الأسماء الحسنى » لمحمد درويش (٧)
	٤٦/١٤٦	كتاب«قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة »لابن تيمية(٤)
	٤٦/٣٨٤	كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » لمحمد الحسني المكي (١٣)
	٤٩/٣٩٧	كتاب « العذب الفائض شرح عمدة الفارض »لابراهيم الفرضي على « ألفية الفرائض » لصالح الأزهري الحنبلي » (٤)
	٤٦/٧٦٨	كتاب « خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب »لابن شعيب النسائي تحقيق محمد هادي الأميني (٥)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
١٩٧٢	٣٩٤/٤٧	كتاب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » لعبد الحي الحسني (٤)
	٥٠٣/٤٧	الفقيد الشيخ محمد نصيف .
	٦٦١/٤٧	كتاب « الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح » لسعدي ياسين (٤)
	٨٦٧/٤٧	كتاب « الرد الشافي الوافر على من نفى أميّة سيد الأوائل والأواخر » لأحمد بن حجر آل علي (٣)
١٩٧٣	٦٧١/٤٨	كتاب « الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر » لعبد الغني الدقر (٣)

دمشق تشيع فقيدها

ما كاد مجمع دمشق ينعى الفقيد الكبير حتى اهتزت دمشق لهذا النبأ الفاجع ، وحمل البرق النعي إلى سائر أقطار العالم العربي ، واسرعت **الرابطة الإسلامية** في مكة المكرمة إلى نعي الفقيد إلى مختلف البلاد الإسلامية .

وزحفت دمشق إلى حيّ الميدان تشيع بالدموع والزفرات جثمان الفقيد إلى مثواه الأخير ، ووقف العلماء والأدباء على قبره يعددون مآثره وما تمثل فيه من أخلاق السلف الصالح . ثم وري الجثمان في **مقبرة « باب مصر »** إلى جوار الطاهرين من أفراد أسرته الكريمة .

رجـع الصدى

حملت أسلاك البرق كما حملت البرد من شرق العالم الإسلامي إلى مغرب العالم العربي ، رجـع الصدى عبرات منهرة ودموعاً سخية ، وتبادلت الهيئات والمؤسسات التي فجعها النبأ التعازي بالفقيد الكبير راجية له جنان الخلد مـــع النبيين والصديقين وللعربية والمسلمين خير العوض .

وكتب إليّ علامة العراق شاعر العربية الكبير **محمد بهجة الاثري** يقول : « . . وقد هالني النبأ فذهبت من فوري أرثي الصديق العزيز وأبكيه ، **لما تعلم من قدم مودتنا وصفائها طوال ٥٤ عاماً . .** » وبعث بقصيدة من رائع الشعر الذي يزين ديوان العرب ، تحمل الحبّ كلّ الحب ، والصدق كلّ الصدق ، والوفاء كلّ الوفاء ، اثبتها فيما يلي . قال حفظه الله :

صلى على أثوابه الطُّهْرُ

واصلتِ ثُمَّ هجرتِ ، والهجرُ — يا نفسُ — مُرٌّ مَذاقُه مُرُّ
ما أنتِ ؟ غايةُ علمنا نَفَسٌ : إن بانَ ، يَفْنَ بَبَيْنِهِ العمرُ
عجلى ، مفارقةٌ بلا سببٍ ، مستوفزٌ برحـــالك الظَّهرُ
عَجِلتْ بك الأيامُ أو أَنيتْ ، فكأنما يبين ويختفي الفجـــرُ
طيفٌ . . يُلِمُّ بنائم سَرِعاً ، ويغيب . . لا أثرٌ ، ولا ذِكرُ
قد جاء من غيب ، وخَفَّ إلى غيب . فما المغزَى ؟ وما السِّرُّ ؟
يا عقلُ ! لا تكلَّفنْ عَنتاً ، ما كلُّ غامضةٍ لهـــا قَسْرُ

مَحجوبةٌ عن كلِّ باصرةٍ ، سِترٌ عليها . . دُونهُ سِترُ
جلَّتْ ودَقَّتْ ، ليس يكشفها فكرٌ يقصِّرُ مَدَّهُ الجزْرُ
ما ثَمَّ من عبَث ، ومحنتُنا في الفكر ، إذْ يتطامنُ الفِكرُ

* * *

أ(دِمشْقُ) إما نبأٌ لذعتْ به سمعي ، كأنَّ حروفه جمرُ ؟
أذكى حشايَ ، ولجَّ في كبدي وقْداً ، وضجَّ بناره الصَّدرُ
إنَّ الذي تنْعين خاشعةً علمُ الهدى والمصلحُ الحَبْرَ
غالٍ على المُهجات ، حاليةٌ بجهاده الآثارُ والعصرُ
فذٌّ ، عزيزُ المِثل ، جوهرةٌ زاكٍ كأنفاس الشَّذا برُّ
متفرِّدٌ بخلائقٍ غُررٍ بجمالها يتفاخرُ الفخرُ
في كل صالحة . . له خبرٌ ، ولكل محْمدةٍ . له صورٌ ،
تتبارك الحُسْنى بخُلْتِه يُمناً ، وخُلْتُهُ لها ذُخرُ
ولقد بلوتُ خِلالَه زمناً وصهرتُها ، فإذا هي التِّبرُ
أربتْ على الخمسين لُحمتُنا يهفو ويطفحُ فوقها البِشرُ
يغلو وفاءً كلَّما قدُمت أيامُنا ، وكذلك الحُرُّ
صافٍ كماء المُزْنِ . ظاهرُهُ كضميره ، وكسِرِّه الجهرُ
بشرٌ . . ولكن في هُدى ملكٍ ، صلى على أثوابه الطُّهرُ
يا حُزنَ نفسي ! سوف تصحبني حتّى يواريَ جسمي القبرُ

* * *

هو (بهجةُ) الإسلام : غُرَّتُهُ ، و (جماله) و (مناره) البدرُ (١)
عَلمٌ .. على الذَّروات رفَّ ، كما رَفَّ السَّنا ، وتلامَعَ النَّوْرُ
العِلمُ ، ملءَ جَنانه ، دُفَقٌ والعقـــل خلف لسانِه وَقْرُ
تتألق (الفصحى) على فَمِـهِ زهـــواً كما يتألـــق الدُّرُّ
كرُمت عليه كدينهِ ، فغدا وله على حُرُماتِهـــا خَفْرُ
ركنانِ .. قـــام عليهما فَسما صَرحُ العلى ، وتعزَّزَ النَّصر
والدِّينُ (دينُ الله) عِصمتُه ، ومَسارُهَ الإصـــلاحُ والبِرُّ
عـالٍ على الأهواء ، مُنْشَـرِحٌ بَجِجاً .. له في لحـــه غَوْرُ
مصباحُه (الفُرقانُ) .. يَتبعُه أنّى أشـــارت آيُهُ الزُّهْرُ
ينحو ويسلُكُ مـــا تَفهَّمـــهُ منه النَّبيُّ وصحبُـــه الغُرُّ
ويقيم من مالُـوا به جَنفـــاً حتّى يثوبُ إلى الهدى الصُّعْرُ
كم نَزَّه (الإسلامَ) من بِدَعٍ قد باضهـــا الشَّيطانُ والكفرُ
مقبوحةٍ شوهاء . . شاه بهـــا وجهُ الهدى ، وتلوَّثَ الطُّهْرُ
كان الحكيمَ الطَّبَّ .. بلْسَمُهُ رِفقُ الحديث وفقهُـه البحرُ
يمشي إلى إصـــلاحه لَبِقـــاً ، وبيانُه غَضُّ الجنى نَضْـــرُ
أدبُ (النُّبُوَّة) مـا تنخَّلهُ ، والحكمةُ الزَّهراءُ ، واليُسرُ
بلغَ المدى ، واليُسرُ يُبْلِغُ ما يعيا ببعضِ طلابِه العُسرُ

* * *

(١) إشارة إلى مصدري علم الفقيد ومنهجه الاصلاحي ، العالمين المجددين : شيخه جمال الدين القاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » الأنوار .

أبقيّةَ السّلفِ الكرام زهت ... بجلالك الحُرُمات و (الذِّكرُ)
(بَرَدَى) إلى اللّقيا به ظمأٌ ، ... و (دِمَشْقُ) في أحشائها حرٌّ
بل (عالَمُ الإسلام) قاطبةً ... قُطّانُه البادُونَ والحضْرُ
لهفاً إلى وجه . . تهلّلَ في ... أسراره الإخلاصُ والخيرُ
نَظراتُه لطفٌ ، وبسمتُه ... رُحمى ، وعذبُ حديثه نَشْرُ
خلعَ الحياءُ عليه بهجتَه ، ... وله جلالُ السِّنِّ والقدْرُ

* * *

هذا الوَداعُ . . أثَمَّ من أمل ... للقائنا ؟ أم يومُه الحشرُ ؟
صَلى عليك المسكُ والنَّشْرُ ... وهفا عليك النَّورُ والزَّهْرُ
وملائكُ (الرّحمن) قانتةٌ ... تسبيحُها وصلاتُها عِطرُ

* * *

إرحمْ أسىً .. ميشنْ بهِ كبدي ، ... أتُراهُ .. يحملُ بثَّهُ الشِّعر ؟
قطعٌ ممزّقة ، توزّعها ... نثراً ، كأنّ لهابها قِطْرُ
عذراً إليك ، فقد وَهى جلدي ... وَخبتْ قوايَ وخانني الصّبْرُ
ما بعدَ روحيَ ما أذوّبه ، ... يا ليت شعرى .هل وَفى العُذر ؟

* * *

مصادر ترجمت للفقيد

سيرة الفقيد العطرة مشهورة بأريجها الفواح ، أما ترجمته فقد وردت في مصادر عديدة أهمها :

١ - ترجمة كتبها بخط يده محفوظة في ملفه المجمعي ، وهي مؤرخة في سنة ١٣٨٣ ﻫ ، ١٩٦٣ م .

٢ ـ **سيرة ذاتية** نشرها في كتابه « الرحلة النجدية الحجازية » المطبوع بدمشق سنة ١٣٨٧ ﻫ ، ١٩٦٧ م .

٣ ـ « **من هو** » في سورية ـ إصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية لجورج فارس . طبع دمشق سنة ١٩٤٩ م .

٤ ـ « **عالمنا العربي** » لنعمة زيدان ـ الحلقة الأولى طبع بيروت سنة ١٩٥٦ م .

٥ ـ « **من هم** » في العالم العربي ـ إصدار مكتب الدراسات السورية والعربية لجورج فارس ـ الجزء الأول طبع في دمشق سنة ١٩٥٧م .

٦ ـ « **أعلام الفن والأدب** » لأدهم الجندي ـ الجزء الثاني طبع في دمشق سنة ١٩٥٨ م .

٧ ـ « **معالم وأعلام** » في بلاد العرب لأحمد قدامة ـ الجزء الأول طبع بدمشق سنة ١٩٦٥ م .

٨ ـ « **عيون البصائر** » لمحمد البشير الابراهيمي . الجزء الثاني طبع في بيروت سنة ١٩٧١ م .

٩ ـ « **المجمعيون** » لعدنان الخطيب ـ الجزء الثاني (مخطوط) .

دمشق في ١٣٩٦/٦/١٠ **عدنان الخطيب**

ملامح من تطور المغرب العربي

في بدايات العصور الحديثة (*)

الأستاذ محمد المنـــوني

ظهرت بوادر التحرك الأجنبي نحو المغرب الكبير ، مع مطالـع المائة الهجرية التاسعة ، أو عند بداية القرن الميلادي الخامس عشر ، وسنتبين أن إسبانيا قامت في التاريخ ذاته بنسف مدينة تطوان ، ليأتي بعدها دور الاعتداء البرتغالي على سبتة عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م .

وهذا التاريخ سيكون — على العموم — هو منطلق الفترة المعنية بالدراسة التي نعرضها ، حتى تنتهي بعد حدث الجلاء الأندلسي الأخير عام ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م .

(*) أعد برسم المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته، المنعقد بتونس : ٢٤ - ٢٩ ديسمبر ١٩٧٤ م .

إن المصادر والمراجع التي يتكرر النقل عنها ، يكتفى - في المرة الأولى - بذكر المعلومات الضرورية للتعريف بها : المطبعة أو مكان المخطوط ورقمه ، فضلا عن اسم المؤلف إن وجـد دون أن نكون بحاجة إلى إعادة هذه التوضيحات عندما يتكرر الرجوع إلى نفس المصدر أو المرجع .

مع ملاحظة أن هذا العدوان المزدوج ضد الشمال الافريقي ، لم يبلغ حدّته إلا عندما أطلّت فترة العصور الحديثة ، بعد فتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

* * *

أما المغرب المعني بهذه الدراسة فهو يستوعب مفهومه الواسع ، ليشمل كلًا من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى .

* * *

وقد عرفت هــذه المنطقة ـ خلال الفترة المشار إليها ـ أربعة أحداث بارزة :

- الغزو الأجنبي . - الهجرات الأندلسية .
- الوجود العثماني . - وفادات من جنسيات أخرى .

وهدف هذه المحاولة شرح أثر تلك الأحداث في تطوير المظــاهر الحضارية للمغرب الكبير ، غير أنه سيكون من المناسب التمهيد بمدخل عن طبيعة الأحداث ذاتها ، ثم رد الفعل المغربي ضد التدخل الأجنبي .

وقد جاءت غارات البرتغاليين والإسبان على السواحل المغربيـة في مقابل انتصارات العثمانيين على أوربا وبدأت المعركة ـ أول الأمر ـ من المغرب الأقصى عند الساحل المغربي المتوسط ، وامتدت ـ بعد ذلك ـ متجهة نحو شرق السـاحل نفسه ، وإلى الشاطىء الأطلسي ، وعندمـا اشتدت المعركة تدخل البابا الإسكندر السادس عام ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م ، وفض النزاع بين الدولتين المعتديتين ، فصـار معظم المغرب الأقصى من

نصيب البرتغال ، بينا يختص الإسبان ببقية المغرب الكبير (١) .

ومن المؤكد أن الحملة صارت تهدف إلى الاستيلاء على الشمال الافريقي عن طريق احتلال الشواطىء ، حتى ينحدر المغرب الكبير إلى التنصير أو الإبادة .

ومما يفسر هذا أن مدينة مراكش صارت مهددة باحتلال البرتغاليين بعدما تمكنوا من التسرب إلى نواحي أكادير .

ومدينة فاس — بدورها — كانت هدف جيوش سيبيستيان في موقعة وادي المخازن ، ومن الثابت أن الغزاة — في هذه الحملة — أعدوا صلباناً ليقوموا بتعليقها قريباً من مساجد فاس ومراكش (٢) .

وفي الجزائر كان الإسبان قد توغلوا — فعلاً — إلى تلمسان ونواحيها ، وهي نفس الخطة التي كانت مبيتة ضد بقية الشمال الافريقي .

*　*　*

وقد استمرت عمليات الغزو — على مستوى المغرب العربي — قرابة قرن ونصف القرن ، وبدأت بطيئة متقطعة ، ثم تصاعدت بعد فتح القسطنطينية والقضاء على بيزنطة عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

---

(١) كان هذا من مستتبعات معاهدة توردبسيلاس Torde Sillas ، وهناك وثيقة عن مراحل وتفاصيل هذا الاتفاق ، حيث أثبتها محمد بن تاويت التطواني ، في موضوع : « من زوايا التاريخ المغربي » ، مجلة « تطوان » : العدد السابع ، ص ١٠٥ — ١٠٦

(٢) محمد الفاسي : « موقعة وادي المخازن الحاسمة » — مجلة « البحث العلمي » العدد التاسع ، السنة الثالثة ، ص ٢٢٣

وكانت الأسبقية لإسبانيا ، فقامت بتخريب تطوان القديمة عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م [١] .

وبعد هذا تسلسل احتلال البرتغاليين لشواطىء المغرب الأقصى حسب التواريخ التالية :

سبتة : عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م القصر الصغير : ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م
طنجة : ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م أنفا : ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م
أصيلا : ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م البريجة : ٩٠٧ هـ / ١٥٠٢ م
أكادير : ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م أسفي : ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م
أزمور : ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م المهدية : ٩٢٠ هـ / ١٥١٥ م

أما مدينة مليلية فقد احتلها الإسبان عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م ، وعادوا لاحتلال بادس عام ٩٧١ هـ / ١٥٦٤ م كما استولى هؤلاء في بقية الشمال الافريقي على مجموعة أخرى من القواعد والمدن ، منها :

بونة « عنابة » عام ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣ م
المرسى الكبير ٩١١ هـ /١٥٠٥ م وهران : ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م
بجاية : ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م طرابلس : ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م
تونس : ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م

* * *

وقد كان من عواقب هذه الغارات المزدوجة على المغرب الكبير ، انحسار نفوذ الحكام الوطنيين إلى الداخل ، وأفضى الوضع بالمغرب الأقصى

(١) « الاستقصا » نشر دار الكتاب بالدار البيضاء ، ج ٤ ص ٨٩ - ٩٠

إلى استبدال السعديين بدولة بني وطاس ، وهؤلاء حولوا العاصمة من فاس إلى مدينة مراكش . وفي باقي المغرب الكبير حل العثمانيون مكان الحكام الوطنيين ، وانتقلت عاصمة المغرب الأوسط من تلمسان إلى مدينة الجزائر ، بينما دمر كثير من معالم تونس العاصمة .

ومن جهة أخرى تدهور الاقتصاد الداخلي ، وتقلص ظل التجارة الخارجية نتيجة احتكار المحتلين للمبادلات مع الخارج ، وتدفق بضاعاتهم على الداخل ، زيادة على أن المغرب أخذ يتحمل تكاليف حرب دفاعية طويلة المدى .

هذا إلى أنه وقع القضاء على الحياة الحضرية في المدن التي وقع تخريبها على ساحل المتوسط أو المحيط ، وما أعيد بناؤه منها جاء على الطراز الأجنبي .

وقد أثرت هذه الحملات في سير الثقافة على العموم ، ففترت الهمم وانصرف أهل العلم إلى الجهاد أو الدعوة له بدلاً من الانقطاع للتعليم أو التعلم ، وكانت نكبة تونس أكبر ، فتوقفت الحركة العلمية في مجموع القطر بعد إعلان الحماية الإسبانية ونزح كثير من أعلام الحضراء إلى المشرق أو المغرب (١) .

أما محنة الكتب العلمية وخزائنها فكانت من أعظم الفواجع ، فاستولى

(١) « تتمة شجرة النور الزكية » لمحمد بن محمد مخلوف التونسي : المطبعة السلفية بالقاهرة ، ص ١٥٣

البرتغاليون على ما كان بسبتة من الكتب بعد احتلالها (١) ، وفي تلمسان عبث الإسبان بمؤلفات العلم والدين بها (٢) ، والكارثة الكبرى هي التي حاقت بخزائن تونس العاصمة بعد الحملة الإسبانية الثانية عام ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م ، وعن هذا التاريخ يقول ابن أبي دينار (٣) .

« . . . وفي تلك الأيام أهين المسجد الأعظم « الزيتونة » ، ونهبت خزائن الكتب التي به ، ودرست بأرجل الكفرة معالم المدارس ، وتفرق ما جمع فيها من دواوين العلوم ، وتبددت في الشوارع ، حتى قيل : إن المار من شرقي الجامع إنما يمر على الكتب المطروحة هناك » .

قال ابن أبي الضياف (٤) : « وهذا هو السبب في قلة تآليف الفحول

---

(١) يقول ابن حجر العسقلاني في هذا الصدد : « ... ونقلوا ما كان بها حتى الكتب العلمية ، وكان بها منها شيء كثير إلى الغاية » - « إنباء الغمر » : مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ، ج ٣ ص ٤١ ، وعبارة عبد الحي بن العماد الحنبلي « ... وأخذوا ما كان بها من الأموال والذخائر حتى الكتب العلمية » ، « شذرات الذهب » : نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ج ٧ ص ١٢٤

ويلاحظ أن المصدرين يؤرخان الاعتداء على سبتة بعام ٨١٧ هـ ، خلاف الوارد في المصادر المغربية والأجنبية ، حيث كان تاريخ الحادث هو ١٥ جمادى الآخرة عام ٨١٨ هـ ، الموافق ٢١ غشت ١٤١٥ م .

(٢) « تاريخ الجزائر العام » تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : المطبعة العربية بالجزائر ، ج ٢ ص ٢١١

(٣) « المونس ، في أخبار إفريقية وتونس » : مطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٥٠ هـ ، ص ١٥٧

(٤) « إتحاف أهل الزمان ، بإخبار ملوك تونس وعهد الأمان » : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ج ٢ ص ١٩

من أهل هذا القطر ، فإنها ضاعت شذَر مذر في هذه الواقعة » .

وبعد هذه الغارات المسلحة على الكتب والمكتبات ، بدأت في الفترة ذاتها حملات من نوع جديد - لابتياع المخطوطات المغربية واختطافها لتنقل إلى أوربا ، حتى جاء في تاريخ الوافي في المسألة الشرقية : أن من مكتبة فاس والعراق اغتنت مكاتب أوربا (١) .

ومن جهة أخرى : فـــإن هذه النكسة استتبعت انحلالاً خلقياً وعقائدياً ، فشاعت البدع ، وظهرت جماعات منحرفة مثل الطائفة اليوسفية بالمغربين (٢) . والشابيين بتونس (٣) ، زيادة على تفاقم بدع طائفة العكازين بالمغرب الأقصى (٤) .

* * *

(١) نقله في خاتمة التراتيب الادارية : المطبعة الوطنية بالرباط ، ج ٢ ص ٤٥٥

(٢) تعرف - أيضاً - بالشراقة (بتشديد الراء) ، وهم فرقة من أتباع الامام الجليل أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ، المتوفى عام ٩٢٧ هـ ، وقد انحرف هؤلاء عن طريقة أستاذهم الذي كان إمام سنة وهدى ، ويقول عنهم ابن عسكر :

« ... ولم يكن - اليوم - بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة .. ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة ، فسجن جماعة منهم وقتل أربعة آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ (أبي العباس الملياني) في شيء ، بل فعلوا كفعل الروافض والشيعة في أئمتهم » - « دوحة الناشر » ، المطبعة الحجرية الفاسية عام ١٣٠٩ هـ ، ص ٩٢

وقـد شنع عليهم ابن القاضي بدوره ، وأفاد ظهور فرق مبتدعة جديدة لعهده ، زيادة على الطائفة اليوسفية ، وهو يقول في هذا : « ... إذ هم أحلوا ما حـــرّم الله تعالى ، وقد اختلقوا بدعتهم : من ترك الصلاة والصوم واستباحة =

وعن ردّ الفعل المغربي : كان واقع الحملات البرتغالية والإسبانية قد أذكى في مجموع الشمال الافريقي روحاً نضاليـة جديدة، ونشبت المعركة - في بداية الأمر — على النطاق الشعبي ، امتداداً من المغرب إلى ليبيا ويقول الناصري[1] عن المغاربة :

« ولما نزل بأهل المغرب الأقصى ما نزل من غلبـة عدوّ الدين ،

= الزنا والديانة والعياذ بالله ، أذلهم الله وأخزاهم ، وغير هذا مما الشيخ منزّه عنه، رحمة الله عليه ، وهي طائفة من الطوائف المعدودة بالمغرب ، التي خرجت عن الحق إلى الزيغ ـ « درة الحجال » : المطبعة الجديدة بالرباط ، رقم ١٩٠

وانظر ـ أيضاً ـ عن الطائفة نفسها : « مرآة المحاسن » لأبي حامد محمد العربي الفاسي : المطبعة الحجرية الفاسية ـ ص ٢٢٤ مع « الاستقصا » ، ج ٥ ص ٥٠ - ٥١

(٣) هم أتباع الشيخ عرفة : المرابط القيرواني وجدّ الشابيين ، انظر عنه « المؤنس » ص ١٤٤

(٤) للتعريف بهذه الطائفة ، ارجع إلى محمد المنوني : « التيارات الفكرية في المغرب المريني » ـ مجلة « الثقافة المغربية » ، العدد الخامس ، ص ١٢٩ - ١٣١

وبالإضافة إلى هذه الطائفة وسـابقتها عرف جنوب المغرب الأقصى نحـلة المغيطي : عمرو بن سليمان السياف الشيظمي ، المتوفى قرب عام ٨٩٠ هـ ، وكان قد جمع الجموع على الجهل والفساد والخروج عن الحق ، وسمى أصحابه بالمريدين بضم الميم ، قال الشيخ زروق : وما احقهم بالفتح .

انظر عن نحلة المغيطي : « المعيار » للونشريسي : المطبعة الحجرية الفاسية ـ ج ٢ ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ مع « ممتع الأسماع » لمحمد المهدي الفاسي ؛ نفس المطبعة عام ١٣٠٥ هـ : الملزمة الثانية ص ٤ ـ ٦

(١) الاستقصا ، ج ٤ ص ١١١

واستيلائه على ثغور المسلمين ، تباروا في جهاده وقتاله ، وأعملوا الخيل والرجل في مقارعته ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامة على ذلك ، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكم من رئيس قوم قام بنصرة الدين غيرة واحتساباً ، وكم من ولي عصر وعالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صواباً ، حتى لقد استشهد منهم أقوام وأسر آخرون وبلّغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون » .

وفي بقية المغرب العربي هبت القوى الشعبية للمقاومة ، واستعانوا بالعثمانيين ، لتنظيم الجهاد ضد المعتدين .

وهكذا : فإن علماء الجزائر قالوا للقائد التركي خـير الدين باشا وقد أراد الانتقال عن المغرب الأوسط : « يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها ، ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس »(١) .

ومن طرابلس الغرب سافر وفد إلى الآستانة ليطلبوا النجدة من العثمانيين (٢) .

وفي تونس كاتب أهل القيروان الأتراك المجاهدين بالجزائر وليبيا ، ليهبوا إلى تخليصهم من الاحتلال الاسباني (٣) .

وإلى جانب هذه الفورات الشعبية ، كان سلاطين شمال أفريقيا وأمراؤهـا ، عملوا — منذ بدء الحملات الاستعمارية — لتوحيد صفوفهم

(١) إتحاف أهل الزمان ، ج ٢ ص ١٠

(٢) « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ، تأليف أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي : مطبعة جمال الدين أفندي بالاستانة ، ص ١٨٧

(٣) اتحاف أهل الزمان ج ٢ ص ٢٠

والتحالف فيما بينهم ، ثم كاتبوا قانصوه الغوري عاهل الكنانة ، وطلبوا منه الانضمام إلى هذا الحلف ، والقيام — من جهته — بطرد تجار الفرنج المقيمين بإيالته ، والعمل على غلق كنيسة القيامة في وجه حجّاجهم (١) .

وعلى مستوى التعاون المغربي الجزائري ، كان أبو العباس أحمد الوطاسي استعان به أبوزيان أحمد الثالث ، ضد أخيه محمد السابع الذي احتمى بالإسبان وهم يحتلون تلمسان ، وقد أمدّه العاهل المغربي بالرجال ، وبالأسلحة المنوعة : مدافع ودروع وقسي وممدات أخرى ، وقال لأمير تلمسان : داري دارك ، وأنا لك بمنزلة الوالد ، وابني بمنزله أخيك (٢) .

---

(١) « المماليك والفرنج » تأليف الدكتور أحمد دراج : نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، ص ١٢٩

(٢) ارجوزة « عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل » لمحمد الكرامي المطبعة الملكية بالرباط ص ٣٨ — ٣٩

ومن ملحقات هذا الموضوع ماورد في كتاب : « دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر » ، تأليف الأستاذ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، مطبعة الجيش بالجزائر ، غير أن الأمر — هنا — يتعلق بأمير سابق لإبي العباس الوطاسي ، وهو والده محمد المعروف بالبرتقالي بن محمد الشيخ ، وقد جاء في هذا الصدد بالمصدر المشار له ص ٧٦ :

« ... وبمجرد ماوصل عرّوج إلى تلمسان ، وجّه إلى السلطان الوطاسي مولاي محمد ليتحالف معه ، كي يوجه إليه النجدة ، مقابل شد عضده في محاربة السعديين ، الذين أخذت شوكتهم تتقوى في بلاد سوس ومراكش ، وفعلاً وجه الوطاسي جنداً يقارب ٢٠٠٠٠ محارب على طريق مليلية ، وإذ كان عروج ينتظر وصولهم حاصره العدو وشدد عليه الخناق ، كما سنشرحه فيما بعد » . =

وبعد قيام السعديين تحقق تحالف مغربي تركي لتحرير مدينة وهران[1].

وقد اهدى عبـد الملك المعتصم للعثمانيين كمية من الذخيرة تتألف من عشرين مدفعاً ، يشتمل أولها على تسـع فوهات ، حسب مؤرخ سعدي يعقب ويقول عن النفض الكبير : « وهو — الآن — ببـاب الجزيرة

= ولما ذكر نفس المصدر رواية استشهاد القـائد العثماني عروج باشا في بني يزناسن ببلاد المغرب ، عقب عليها ص ٧٩ :

« إننا نؤكد هذه الرواية التي تثبتهـا محالفة عروج مع سلطان فاس محمد الوطاسي ، الذي لم يسعه الوقت لتوجيه النجدة ، فإن عروج فرنحو الغرب لعله يلاقي الحملة المغربية الآتية من مليلية ، وحين قربت من وجدة وصل خبر عروج أنه استشهد مع رفقائه ، فرجعت الحملة إلى فاس ، وأثبت الأمر ايبولار مترجم كتاب الحسن بن محمد الوزان عن وصف افريقيا .

وبعد هذا لم يبق مجال للتردد في أمر هذه النجدة ، بعدما أثبت واقعها الوزان الفاسي ، وقد تشكك فيها الأستاذ أحمد توفيق المدني ، في كتاب « حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا » ص ١٩٠ حسب الفقرة التالية :

« وقد قيل ـ وليس بأيدينا ما يؤكد هذا القول أو ينفيه ـ إن عروج كان ينتظر النجدة من قبل ملك فاس الوطاسي المريني تنفيذاً لاتفاق عقـد بينهما ، وأن الملك المريني قد أرسل ـ فعــلاً — بجيش لنصرة عروج ، وتمكينه من الدفاع عن تلمسان ضد الإسبان وأنصارهم ، لكن ذلك الجيش سار على طريق مليلية ، فطال به السير ولم يتمكن من الوصول إلى ميدان المعركة في الوقت اللازم ، فلما تم الأمر قفل راجعاً » .

(١) مجلة « تطوان » : العدد الخامس ص ١٣٣ ، مـــع العدد السابع ص ١٠٠ — ١٠١

بالجزائر » (١) .

ونسق المجاهدون - من المغربين - العمليات البحرية فيما بينهم ، فصار المغاربة في واجهة المحيط ، بينما كان الجزائريون يعملون بالمتوسط (٢).

وكان هؤلاء يتزودون — عند الاقتضاء — من المغرب عند مرسى تطوان وغيرها (٣) ، ومن مستتبعات هذا التعاون حسن استقبال المغرب للمهاجرين الجزائريين ، ومنهم العلماء التلمسانيون الذين وفدوا عام ٩٦٨ هـ/٦١ - ١٥٦٢ م ، وكان فيهم محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي ،وأبو العباس أحمد بن مميه العبادي ، وقدم مع هذا الأخير محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي وأبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم العقباني (٤) .

قال في « دوحة الناشر » (٥) في ترجمة العبادي : « ولما قدم على فاس عام ثمانية وستين — يعني وتسعمائة — في جملة فقهاء تلمسان ، لما رحلهم السلطان الغالب من تلمسان ، حين وقعت الفتنة بينهم وبين الترك ، واستغاثوا فأمدهم بالأجناد ونقلهم إلى فاس ، ووصل كلا منهم على قدر



(١) « تاريخ الدولة السعدية » المؤلف مجهول الاسم : المطبعة الجديدة بالرباط ، ص ٥٣

(٢) مجلة « تطوان » العدد الرابع والخامس « مزدوج » ، ص ٧٠

(٣) نفس المجلة : العدد التاسع ، ص ١٢٦ - ١٢٧

(٤) انظر تراجم الوافدين الأربعة في « دوحة الناشر » : ص ٨٦ — ٨٨ و ٩٠ — ٩١ ، وفي مخطوطة فهرس المنجور : « وسمعت - أيضاً - من جماعة ممن قدم على فاس من فقهاء تلمسان » .

(٥) ص ٨٧ ، مع تصحيح النص المطبوع عن نسخة مخطوطة .

حاله ، ووصله بألف مثقال ذهباً ، وأمر له بكساء وإقامة جليلة ، وقال : لا تسووه بأحد من الفقهاء وغيرهم ، فإن همته كبيرة » .

* * *

ومن الوافدين على المغرب من تونس في الفترة ذاتها نعرض ثلاثة :

أبو الطيب بن محمد الظريف التونسي ، وكان شيخاً مرشداً بجامع الزيتونة ، وبعد الحملة الإسبانية الأولى هاجر إلى المغرب واستوطن مدينة فاس ، وبها صارت له ألفة مع أحد علمائها المرموقين : أبي الحسن علي ابن هارون ، الذي خاطبه بقطعة شعرية يَتفَجَّع فيهـا على نكبة تونس ، ومطلعها :

جادك الغيث إذا الغيث انهمر　　حضرة الأنس البديع المونس[1]

وبعد الظريف التونسي كان محمد بن خروف الأنصاري ، قد أمره الإسبـان في مدينة تونس بعد الحملة الأولى ، واستمر في الأسر ــ بإسبانية ــ ستة أعوام غير قليل ، إلى أن فداه الأمير أبو العباس الوطاسي عام ٩٤٧ هـ / ١٥٤٠ م ، بإشارة من فقيه فاس محمد اليسيتني ، فانتقل العالم المفدّى إلى مدينة فاس واستوطنها ، حتى توفي بها عام ٩٦٦ هـ / ٥٥١ م وهو يتحدث عن مأساته وفدائه ويقول :

« . . . وكانت مدة أسري ستة أعوام غير قليل ، محفوظاً فيها في ديني وبدني فضلاً من الله سبحانه له الشكر على ذلك ، إلى أن خلصني

(١) مخطوطة « فهرس المنجور » عند ترجمة أبي الحسن علي بن هارون ، مع « جذوة الاقتباس » لابن القاضي : المطبعة الحجرية الفاسية ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣

الله تعالى خلاصاً جميلا ، على يدي مولانا السلطان المؤيد ، أبي العباس أحمد الوطاسي ، أجمل الله تعالى خلاصه ، فبذل في فدائي مالاً كثيراً يقرب من ألف دينار وبعد محاولة عظيمة يطول ذكرها ، وعاملني - بعد الخروج - بما لا أحصي عده ، جعله الله تعالى له عدة .

وأول يوم قابلته به — وذلك في أول رجب الفرد ، عام سبعة وأربعين وتسعمائة ، وقد خلع عليّ من أحاسين ملابسه - أنشدته من نظمي بحضرة خواص أصحابه وبعض التونسيين حاضر (١) .. » .

أما الوافد التونسي الثالث فكان من طبقة الأطباء . وانتظم للعمل في بلاط المنصور الذهبي . وذكرته رسالة سعدية مُشيرة إلى مهنته ووطنه دون التعريف باسمه (٢) .

---

(١) محمد المنوني : « مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية » ، مجلة « دعوة الحق » : السنه ١٣ ، العدد ٣ ، ص ٥٦

(٢) الرسالة واردة عند الأفراني في « نزهة الحادي » : المطبعة الحجرية الفاسية ، حيث وردت بها الاشارة المعنية ، ص ١٦٦ ، وانظر « المنتقى المقصور » لابن القاضي : مخطوط المكتبة الملكية رقم ١١٥٣ أوائل الباب الثاني ، حيث يذكر اسم أبي العباس أحمد بن محمد بن الحكيم التونسي الوافد على المغرب الأقصى .

ونضيف إلى هذا التعليق وافدين تونسيين زيادة على الثلاثة السابقين :

محمد التونسي الحفصي ، جد محمد المأمون بن محمد شارح العقيدة السنوسية الصغرى ، قال الأفراني عند ترجمة هذا الحفيد : « وكان جد صاحب الترجمة ، قدم على السلطان أبي عبد الله المهدي السعدي ، حين أخرجهم الأتراك من تونس واستولوا على مملكتها ، ففرح به السلطان المذكور ، وظن أنه قصده بطلب =

وإلى هنا تبينا ملامح ردّ الفعل المغربي رداً على الحملات الأجنبية ، وقد عاد هذا الموقف بالنتائج المتوخاة . وحررت ـ تباعاً ـ غالبية الجهات المحتلة . وننتقل بعد هذا إلى عرض الأحداث الأخرى التي عرفها المغرب العربي في الفترة ذاتها .

* * *

وقد عاصر هذه الفترة تصاعد الهجرات الأندلسية إلى المغرب العربي في وفادات متعددة .

فكانت وفود الأندلسيين بناة مدينة تطوان عام ٨٨٩ هـ / ٨٤ — ١٤٨٥ م .

وبعد هذا وقع سقوط غرناطة عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م . وصار من استطاع من الأندلسيين الهجرة ينتقل إلى العدوة الأخرى : ومنهم الوافدون عام ٩٠٢ هـ / ٩٦ — ١٤٩٧م ، حيث توزعوا بين تونس والجزائر وتطوان وفاس ومراكش وغيرها [1] .

= المعونة منه على الأتراك ، فاختار المسكنة ، ولم يزل عنده في الحظوة إلى أن توفي » — « صفوة من انتشر » المطبعة الحجرية الفاسية ـ ص ١٠٩

الثاني : ذكره ـ عرضاً ـ أبو حامد محمد العربي الفاسي هكذا : « الفقيه ، الكاتب ، أبو عبد الله محمد الأندلسي ، وكان كاتب السلطان حميدة ، آخر ملوك بني حفص بإفريقية » — « مرآة المحاسن » ص ٢٣٠ — ٢٣١

(١) خاتمة « الأنوار السنية ، في آباء خير البرية » ، تأليف محمد بن عبد الرفيع الشريف الأندلسي : المخطوط الآتي الذكر أواخر هذه الدراسة .

وفي عام ٩٧٠ هـ / ٦٢ - ١٥٦٣ م وفد على المغرب الأقصى جالية كبرى سكن معظمهم بفاس وبمدينة مراكش (١).

ثم كان الجلاء الأخير إلى مجموع الشمال الإفريقي عام ١٠١٨ هـ / (٢) ١٦٠٩ م.

ويقدر مؤلف عربي قريب من عصر الحادثة (٣) عدد الوافدين في هذه الهجرة بنيف وستمائة الف يضاف لهؤلاء المهاجرين المسلمين جاليـــة يهودية طردت من إسبانيا في تاريخ سابق : عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م، فقصد المغرب الأقصى نحو مائة ألف نفس . وتوزع شطر هـذا العدد بين بقية المغرب العربي (٤) .

* * *

(١) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٣٨ - ٣٩ ، مع بغية الناظر والسامع » لأبي القاسم الزياني ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم ٦٧٨

(٢) جاء في « نهاية الأندلس » : « وقد صدر قرار النفي - كما قدمنا - في ٢٢ سبتمبر سنة ١٦٠٩ ، وهو يوافق جمادى الثانية سنة ١٠١٨ ، ولكن الرواية الاسلامية تضع تاريخ القرار في سنة ١٠١٦ هـ أو سنة ١٠١٧ هـ ، وهو تحريف واضح » : الطبعة الأولى ص ٢٩٨ ، ويؤخذ على المؤرخ عبد الله عنان أن تحريف الرواية الاسلامية لم يكن شمولياً ، حيث ان مصدراً مغربياً يوقت الحادث بعام ١٠١٨ هـ ، حسب « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ص ٩٦

(٣) هو محمد بن عبد الرفيع الأندلسي عند خاتمة « الأنوار السنية » : المخطوط الآتي الذكر .

(٤) « تحفة الزائر ، في مآثر الأمير عبد القادر ، وأخبار الجزائر » تأليف ابنه محمد : المطبعة التجارية بالإسكندرية ، ج ١ ص ٩

وساوق هذه الهجرة الأندلسية وفود جاليـات شرقية على المغربين الأوسط والأدنى ، وكان هؤلاء هم الأتراك العثمانيين الذين ابتدأ حكمهم بالجزائر من عام ٩٢٤هـ/١٥١٨م ، وفي ليبيا عام ٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠ م . وبتونس عام ٩٨١ هـ/ ١٥٧٣م .

يضاف للجاليتين الأندلسية والعثمانية الأسرى من البرتغاليين والاسبان ومن أمم أوربية أخرى ، وكان عددهم كثيراً في مجموع الشمال الافريقي ، واعتنقوا الإسلام في نهاية الأمر ، حيث صار الواحـد منهم يعرف باسم العلج ، ليؤدي مدلول مملوك أبيض البشرة (١) .

وأخيراً : ظهر بالمغرب الأقصى عنصر المماليك الذين استجلبهم المنصور السعدي من السودان (٢) .

وقد خلف هؤلاء الوافدون - أندلسيون وأتراك وسواهم - مجموعةً من التأثيرات التي كانت - في غالبها - إيجابية ، وبرزت في الوضع السكني والاقتصاد ، والمعمار ، ونظم الحـكم ، والثقافة ، وسوى ذلك ، وسيكون

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب : « ورقات عن الحضارة العربية ، بإفريقية التونسية » نشر مكتبة المنار بتونس ، القسم الثالث ص ٢٦٢ ، انظر مجلة « تطوان » العدد التاسع ص ٦٦

(٢) كان المنصور السعدي أضاف إلى الجيش المغربي فرقة سودانية ، وهو ماتثبته مؤرخو العصر العلوي الأول ، انطلاقاً من أبي القاسم الزياني إلى الناصري في الاستقصا ج ٧ ص ٥٦

تحليل هذه التأثيرات هو موضوع الأبواب التالية ، بعد أن انتهي مدخل هذه الدراسة .

* * *

ونذكر - أولاً - أن هذه الوفادات المنوعة ، أحدثت تبدلاً واضحاً في الوضع السكني على امتداد المغرب الكبير ، حيث طرأت عليه عناصر بشرية لم تكن معروفة به من قبل ، وقد ضاعفت هذه المجموعات الوافدة عدد السكان السابقين ، وانبثق عنها طبقـــات جديدة تتميز بأنظمة حياتها وتقاليدها .

* * *

وبالنسبة إلى العنصر الأندلسي ، صار تأثيره واضحاً في المغارب الثلاثة ، وبالخصوص في حقل الفلاحة والصناعة والمعمار .

فالذين نزلوا منهم بأرياف تونس اغترسوا الكروم والزيتون وغرائب الفواكه والثمار ، كما حفروا القنوات ، وصنعوا المجلات ، ومهدوا بها الطرق المسافرين ، وشيدوا الجسور .

وابتنوا - من جديد - أكثر من عشرين بلداً أكبرها مدينة تستور (١) التي شيدت منارتها على هندسة بديعة ، حتى إن الناظر إليها من أعلاها يشاهد

(١) « المؤنس » ص ١٨٣

« الحلل السندسية ، في الأخبار التونسية » للوزير السراج ، عند أوائل المجلد الثاني من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، سنة ١٢٦٦ ، و « اتحاف أهل الزمان .. » ، ج ٢ ص ٣١

قعرها ، حيث وضعت على شكل أسطواني فارغ الوسط [١] ، وكانت مرصعة بساعة زادت في بهجتها [٢] .

وفي تونس العاصمـة استوطنوا حومة الأندلس ، وزقاق الأندلس وغيرهما ، وأسسوا بحومة الأندلس جامعها ، وبنوا المدرسة الأندلسية [٣] .

---

(١) « تعاليق حاضر العالم الإسلامي » للأمير شكيب أرسلان : الطبعـة الثالثة ج ٢ ص ٤٩

(٢) « تاريخ معالم التوحيد » لمحمد بن الخوجة : المطبعة التونسية ص ٨٣

وهناك دراسة عن مدينة تستور أنجزها المستشرق الفرنسي جورج مارسي باسم « تستور وجامعها الكبير » ، ونشرها « بالمجلة التونسية » بالعدد ٤٩ لسنة ١٩٤٢م ، ثم عربها ـ عن الفرنسية ـ الأستاذ التونسي مصطفى زبيس ، ونشرت الترجمة بمجلة « الثريا » ، ابتداء من المجلد الأول عدد ١٢

(٣) « إتحاف أهل الزمان » ج ٢ ص ٣٠ ، ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في محاضرته : « مصير الأندلسيين » : « ... فأما تونس فنزلها منهم أهل الصنائع والفنون : فأهل الصنائع الدقيقة سكنوا المدينة ، وهم أهل الثروة منهم ، وبنوا لأنفسهم حومة تعرف بزقاق الأندلس قرب جامع القصر ، وأما أهل الصنائع الأخرى وبعض الفلاحين من أهل الحواضر فسكنوا وبض باب السويقة ، وهم أول من بنى هناك خارج السور ، فبنوا الحومة المعروفة بحومة الأندلس ، ولم يزل من بقاياهم هناك عائلات منهم عائلة الأندلوس .

ثم يقول بعد هذا : « أما بلد بنزرت فقد سكنها الأندلسيو ، وبنوا بها حومة تعرف ـــ الآن ـــ بحومة الأندلس ، وأسســوا قربها قرية منزل جميـــل ، ومنزل عبد الرحمن ، والعالية ، وغار الملح .... » .

وقد وردت مقتبسات من المحاضرة العاشورية في « تعاليق حاضـــر العالم الإسلامي » ، ج ٢ ص ٥٩ — ٦٣

وبالجزائر نزلوا بعدة جهات : منها تلمسان ووهران ودلس وغيرها ، وكان منهم من نزل سهل متيجة بنواحي البليدة ، وأحدثوا به غراسة النارنج والبرتقال (١) .

والذين سكنوا الجزائر العاصمة ، أسسوا ـ بجارتهم ـ معهداً كان يشتمل على مدرسة علمية ، وكتاب قرآني ، ومسجد للصلاة (٢) .

وقد أسس الأندلسيون بالمغرب الأقصى مدينة تطوان ، وجدّدوا مدينة الرباط ، وبمدينة مراكش اعتمروا جانبها الغربي الذي صار يعرف بروض الزيتون ، وبنوا بالمشيدات الثلاثة الدور والقصـــور والمرافق ، واغترسوا خلف أسوارها جنات معروشات وغير معروشات ، في مساحات شاسعة (٣) ، وتميزوا بطريقة خاصة في تشييد المباني السكنية في تصاميمها

(١) « تاريخ الجزائر العام » ج ٢ ص ٣٠٦ – ٣٠٧

(٢) صفحات في تاريخ مدينة الجزائر « لنور الدين عبد القادر ، مطبعة البعث بقسنطينة ، ص ١٦٥

(٣) ورد ذكر اعتمار الأندلسيين بمدينة مراكش، عند القشتالي في « مناهل الصفا » ، مطبعة ومكتبة عصرية بالرباط ص ٤٢ ، مع « بغية الناظر والسامع » للزياني : المخطوط الوارد عند التعليق رقم ١ ص ٨٤٢

وقد تكرر ذكر الأندلسيين ــ سكان مراكش ــ بعد هذه الفترة التي نعرضها ، فأبو سالم العياشي يشير لأحدهم ، آخر رحلته المنشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية : ج ٢ ص ٣٧٢

وقد عاد من رحلته بتاريخ ١٧ شوال عام ١٠٧٤ هـ

=

وزخرفتها وشكل بواباتها ، وهو النموذج الذي استمر مفضلاً في القصور القديمة بالرباط وسلا وتطوان . وفي فاس : كانت مباني السلطان أبي عبد الله ابن الأحمر الوافد على هذه المدينة بعد سقوط غرناطة ، ويقول عنه المقري (١) « وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الأندلس ، رأيتها ودخلتها » .

كذلك امتاز الأندلسيون بصناعات وفدوا بها على المغرب الكبير ، أو أحيوا بها صناعات قديمة ، مثل المنسوجات الحريرية ، والصياغة ، وصناعة الجوارب ، وعمل الحصر ، ومن ذلك صناعة القلانس الحمر : الطربوش التونسي بتونس ، والشاشية في فاس (٢) .

وفي الرباط وتطوان : نشير إلى « صندوق العروس » ، وكان

= ثم ورد ذكرهم عند محمد المكي بن موسى الناصري بمناسبة وصفه لحفلة صلاة العيد التي ترأسها السلطان العلوي : المولى سليمان ، وهو يقول في هذا : « ثم جاء أهل الأندلس القاطنين (كذا) بالحمرا ، وبين أيديهم لواء أخضر ، وامتازوا به عن غيرهم وجعلوا يخرجون البارود ... » ، « الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية » ، ضمن كناشة بالخزانة العامة بالرباط ، ج ٨٨

(١) « نفح الطيب » : المطبعة الأزهرية المصرية ، ج ٢ ص ٦١٧

(٢) « دائرة المعارف الإسلامية » : الترجمة العربية ، مج ٦ ص ٤١ - ٦٤

محمد السائح في مقدمة « سوق المهر ، إلى قافية ابن عمور » : المطبعة الاقتصادية بالرباط ، ص كح .

« ورقات عن الحضارة العربية » القسم الثالث ، ص ٢٦٦

يصنع من عود العرعر الصلب في هيكل غاية في الكبر ، لتجمع به العروس لباسها ورياشها (١) .

هذا إلى تجديدات أندلسية طورت تصنيع عدد من المعدات الدفاعية .

ويقول ابن الخوجة (٢) عن التأثير الأندلسي في تونس بالخصوص : « وكان امتزاج الأندلسيين بأهل تونس كلقاح خصيب للأمة التونسية ، لأن أسلافنا أخذوا عنهم أحوالاً كثيرة في باب الصنائع اليدوية ، ومنها تجليد الكتب وزخرفتها بأبدع أسلوب ، وتعلموا عنهم – أيضاً – كيفية عرض البضائع للبيع بالحوانيت : من جمعها وضمّ المتشابه منها بعضه لبعض .

وكان لنسوة الأندلس فضل على بنات تونس ، لأنهنّ علّمن ابنة البلاد تدبير المنزل من تأثيث وطبخ وحلاويات ، وكانوا – في تونس – لا يحسنون قبل ذلك من أصناف الحلويات غير الفالوذج ... » .

وهكذا نتبين نماذج من التأثيرات التي وفد بها الأندلسيون على تونس وسائر المغرب الكبير ، فاستفاد منهم المغاربة أساليب جديدة في تطوير الفلاحة والصناعة والمعمار ، وقد ذكر ابن القاضي (٣) عن المنصور الذهبي أنه ظهر في عصره حرف مهمة لم تكن معروفة بالمغرب ، ومن المتبادر أن تكون الحرف الأندلسية الوافدة مما يندرج في فقرة المؤرخ السعدي .

* * *

(١) مقدمة « سوق المهر » ، ص كح .

(٢) « تاريخ معالم التوحيد » ، ص ٨٣

(٣) مخطوط المنتقى المقصور : عند المقدمة .

وقد برز التأثير العثماني على مستوى نظم الحكم ، وهو ما اتسمت به أنظمة المغربين الأدنى والأوسط في الإدارة والدفاع ومشتقاتها ، ولحسن الحظ فإن هذه التجديدات التركية بالجهات المشار إليها ، قد فصلت إجراءاتها المصادر المعنية بالأمر [1] .

بينما كانت مثيلات هذه الترتيبات بالمغرب الأقصى لا تزال بحاجة إلى توضيح فلهذا سنتوسع - قليلاً - في عرضها .

ونشير إلى أن المغرب اقتبس - قليلاً - من الأنظمة التركية الإدارية .

وكان أولها ظهوراً إحداث رتبة المفتي ، مجاراةً لتقليد تركي قديم من عهد محمد الفاتح ، ويبتدىء ذكر هذه الخطة بالمغرب من أيام محمد الشيخ السعدي ، حيث قلد منصب الفتوى بفاس لمحمد بن عبد الرحمن بن جلال ، المغراوي التلمساني نزيل فاس [2] .

(١) من نماذج هذه المصادر عن تونس : « إتحاف أهل الزمان » ج ٢ ص ٢٦ — ٢٧

« خلاصة تاريخ تونس » تأليف حسن حسني عبد الوهاب ، الدار التونسية للنشر ، ص ١٦٠

وعن الجزائر : « تاريخ الجزائر العام » ، ج ٢ ص ٢٧٧ — ٢٨٨

« صفحات في تاريخ مدينة الجزائر » ص ٧٢ — ٩٣ . ومن مستتبعات هذه الظاهرة انبعاث المذهب الحنفي بالمغربين : الأدنى والأوسط ، وهناك معلومات عن هذه الظاهرة بالنسبة لتونس ، في تاريخ معالم التوحيد ص ٣٩ — ٤٠ مع ص ٩٠ — ٩١

(٢) « دوحة الناشر » ، ص ٩٠ — ٩١

وفي عصر عبد الله الغالب ـ خلف محمد الشيخ ـ أسند نفس الخطة بمدينة مراكش إلى محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التلمساني نزيل المغرب (١) وقد سلف ذكره مع سابقه .

ومن الأنظمة الإدارية التي لم تكن معروفة بالمغرب من قبل ، وضع العلامة أو الطابع بأعلى المراسيم ، وهي عادة قديمة في الدولة السعدية ، وعن عصر المنصور يفرق القشتالي (٢) بين موضوعات الكتب ذات العلامة ، والأخرى ذات الطابع ، وهو يقول في هذا عن مخدومه :

« . . . فتارة بيده الكريمة إن كانت الكتب أجوبة أو ظهائر ، وتارة بالطابع إن كانت مظالم أو براوات الأشغال والعطاء » .

ثم كان من التجديدات الإدارية التي عرفها المغرب أيام المنصور السعدي ، إحداث مؤسسة استشارية باسم « الديوان » ، وهذا ـ بدوره ـ تنظيم تركي ، عرفه المغربان في مجمع يضم ـ أصالة ـ شخصيات عسكرية ينضاف لها مستشارون مدنيون (٣) ويقول الإفراني (٤) عن الديوان المغربي :

---

(١) « المصدر » ، ص ٨٦

(٢) « مناهل الصفا » ص ٢٠٦

(٣) يقول ابن أبي دينار عن ترتيبات العثمانيين بتونس : « وجعلوا قوانين يتميزون بها ، وحذوا في أول أمرهم ـ في الأحكام ـ حذو ديوان الجزائر » ، « المؤنس » ، ص ١٧٩ . وجاء عند ابن أبي الضياف عن القائد التركي : سنان باشا : « ورتب أعياناً من أهل البلاد يحضرون في ديوان العسكر تألفاً لقلوبهم » اتحاف أهل الزمان ج ٢ ص ٢٧

(٤) « نزهة الحادي » ، ص ١٤٢

« كان المنصور .. مشاوراً في قوام الأمور ، وقد اتخذ يوم الأربعاء[1] للمشاورة وسماه يوم الديوان ، يجتمع فيه وجوه الدولة وأعيانها ، ويتطارحون فيه وجوه الرأي فيما ينوب من جلائل الأمور ، وعظائم النوازل » .

وقد استمرت هذه المؤسسة إلى ما بعد أيام المنصور ، حيث جاء عن إجراءات بيعة محمد الشيخ الدلائي بفاس ، أنها حضرها الجم الغفير من أهل الديوان[2] ، وكان محمد بن الأشهب من أعضائه في هذا الوقت بالذات[3].

* * *

وبعد هذه الاقتباسات التركية في حقل الإدارة ، تأتي تجديدات الدفاع المغربي ، ومن الجدير بالملاحظة أن المغرب سار في هذا الصدد على الاستفادة من خبرات المهاجرين الأندلسيين ، ومعرفة الأسرى الأعلاج ، واقتبس كثيراً من الأنظمة العسكرية العثمانية ، كما حافظ على المفيد من أساليب الدفاع الوطني القديم .

* * *

---

(١) جاء عند كل من ابن القاضي والقشتالي : أن الديوان المنصوري كان ينعقد أيام السبت والاثنين ، والأربعاء :

« مخطوطة المنتقى المقصور » أوائل الباب السابع . « مناهل الصفا » ، ص ٢٠٥

(٢) مخطوطة « البدور الضاوية » لأبي الربيع سليمان الحوات ، عند الفصل الأول من الباب السادس .

(٣) المصدر نفسه ، عند الفصل الخامس من الباب السابع .

وقد كانت المفاجـأة التي تفوّق بها البرتغاليون هي الأسلحة النارية الحديثة ، ولذلك صار لها الأسبقية في استعدادات المغاربة لمعارك التحرير .

ويرتقي أقدم نصّ معروف في هذا الاتجاه إلى أواخر أيام الوطاسيين : على عهد أبي العباس أحمد الوطاسي ، المتوفى عام ٩٦١ هـ / ١٥٥٣ م .

وقد أنشأ معملاً لصنع الأسلحة النارية بساحة القصر الملكي من فاس الجديد ، وصار يستخدم لإنتاج المدافع والبندقيات والبارود (١) .

وبعد هذا – أوائل أيام السعديين – كان في جيش عبد الله الغالب فرقة مدفعية قوامها جيوش جرارة من الأندلسيين المهاجرين قبل الجلاء الأخير (٢) .

ثم تكاثر هذا السلاح من بعد ، حتى إن حملة عسكرية صارت مجهزة بمائة وخمسين من الأنفاض (٣) عام ٩٨٣ هـ / ١٥٧٦ م ، وقد لا تكون هذه المدافع كلها من صنع محلي ، وإنما فيها مستوردات من الخارج .

واستكثر عبد الملك المعتصم من إنتاج هذه المدافع ، وكان عارفاً بصنعها ، وأشرف – بنفسه – على إعداد نحو ثمانية منها (٤) .

وبنى المنصور الذهبي معملاً جديداً لإنتاج الأسلحة النارية باسم « دار

(١) أرجوزة « عروسة المسائل » ص ٣٦ – ٣٧

(٢) « مناهل الصفا » ، ص ٤٢

(٣) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٥١

(٤) محمد المنوني : « صناعة الأسلحة النارية بالمغرب » ، مجلة دعوة الحق السنة ١٣ ، العدد ٨ ، ص ١٠٤

العدة » ، وكان مركزه بعقربة من القصبة الملكية بمدينة مراكش ، ويقول القشتالي (١) عن وفرة منتجات هذا المعمل ومستورداته :

« وأما ما يفرغ - مع الأيام - من مدافع النار ومكاحلها بدار العدة الماثلة قرب أبوابهم . . . إلى ما يجلب - مع الأحيان — على يد المعاهدين من تجـار الحربيين : من السيوف الهندية ، والقسي الرومية ، والمكاحل النارية ، فشيء غصّت به الخزائن السلاحية ، والديار العادية » .

* * *

وإلى جانب هذا المعمل الجديـد ، اهتم المنصور - مرة أخرى - بابتناء الأبراج لاستخدام المدافع ، وشيدت على وضع بدا فيه - واضحاً - تأثير الجاليـــات الوافدة من الأندلسيين والأعـلاج ، وقد صارت هذه المشيدات يحمل الواحد منهـــا اسم « بستيون » ، وهو تعبير إسباني عن الحصن .

وقد عرف المغرب من هذه الأبراج أربعـة عشر موزعة بين أربـع مدائن اثنان منها بمدينة العرائش ، وواحد بتازا ، واثنان خارج فاس العتيق على مقربة من بابي الفتوح والشريعة ، وقد كان هذا الأخير يعرف ببرج النار ، تدليلاً على مهمته المدفعية ، أما باقي الأبراج - وعددها تسعة فقد أحاطت بأسوار فاس الجديد (٢) .

* * *

(١) « مناهل الصفا » ، ص ٢١٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ، مع المنتقى المنصور عنـــد الباب العشرين ، وهو الذي يحدد أبراج فاس الجديد بتسعة .

وفي حقل تنظيم الجيش على طراز جديد ، نشير إلى أن عبد الملك المعتصم هو الذي تبنى هذه المبادرة ، وكان - قبل ولايته - زار الجزائر وتونس والاستانة ، وأعجب بترتيبات العثمانيين ، ولهذا عمد ، لما صارت الدولة له ، إلى تنظيم الجيش المغربي على الطراز العثماني ، وأسرف في هذا التقليد ، وحمل الناس عليه حملاً عنيفاً أثار معارضة شديدة .

غير أن أخاه أبا العباس المنصور ، استطاع التوفيق بين التقليد العثماني والحفاظ على المشاعر الوطنية ، فاختص الرؤساء العرب بالمشورة وقيادة فرق الفرسان ، وأسند إلى الأعلاج قيادة الفرق الأخرى للجيش البري [1] ، بينما جعل قيادة الأسطول إلى أميرال مغربي [2] .

وباستثناء الأسطول فإن سائر أنظمة الجيش المنصوري صارت مقتبسة من العثمانيين : في ترتيب الجيش ، وألقاب الرتب ، وشكل اللباس ، وتنظيم المواكب .

كما أن لباس الملوك السعديين صار على الطراز العثماني ، ابتداء من عبد الملك المعتصم الذي جاء في ترجمته [3] أنه كان يتزيّا بزي الأتراك .

ومن التقاليد العسكرية التي عرفها المغرب في عهد المنصور ، إطلاق

---

(١) « مناهل الصفا » ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٤

(٣) « نزهة الحادي » ص ٧٠ ، وتلقيت - قديماً - من مؤرخ مغربي كبير أن الزي التركي استمر لباس سلاطين المغرب ، ولم يتغير إلى اللباس المغربي إلا من عهد السلطان العلوي أبي الربيع .

المدافع عند المناسبات ، وفي هذا يقول القشتالي (١) عن وقع هذه المدافع في مدينتي فاس :

« وإذا استهلت رعودها في الميدين عند العود من المصلى ، ولورود بشارة عظمى ، فلا تسأل عن تزلزل الأرض ورجفانها ، ويمتد على البلدين ركام البارود كأنما هو ليل مطبق .. » .

* * *

وقد أحيا المغرب السعدي حركة الجهاد في البحر ابتداء من أيام المعتصم الذي يقول عنه مؤرخ مغربي (٢) : « وأمر بإنشاء السفن في العرائش وسلا ، وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب ، وضيقوا بالنصارى أشد تضييق . وكثرت الغنائم » .

وبعد هذا تدخل المنصور الذهبي وأعد الأسطول بمرسى رباط الفتح . ونوه بخطة أميرال البحر ، فأسندها لمغربي . أدال منه فيما بعد بقائد تركي يقول عنه القشتالي (٣) : « ... فهو اليوم — قبطان الأسطول الإمامي الجهادي . ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية ، والقطائع البحرية » .

* * *

وننتقل — الآن — إلى الجو الثقافي لنحاول الكشف عن آفاق التجديد التي عرفها هذا القطاع على امتداد المغرب الكبير .

(١) « مناهل الصفا » ، ص ٢٦٤

(٢) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٥٣

(٣) « مناهل الصفا » ص ٢٠٥

ويلاحظ – في البداية – أن كلاً من الحكام العثمانيين والسعديين لم يبذلوا محاولات لتطوير التعليم .

وساوق هذه الظاهرة تبدل تلقائي في عدد من الكتب الدراسية ، لتحل محلها موضوعات حديثة التأليف طغى عليها أسلوب الاختصار طغيانه على عدد من المؤلفات الدراسية الأخرى .

ومن جهـــة أخرى فإن الحركة العلمية خمدت في تونس من بداية التدخل الإسباني إلى أوائل المائة الهجرية الحادية عشرة[1] ، بينما نزح عنها بعض الأعلام مضافاً لهم عدد وافر من أعلام الجزائر نزحوا عن المغرب الأوسط في مناسبات مختلفة ، وقصدت غالبية هؤلاء وأولئك مدينة فاس ، كما أن علماء السواحل المغربية المحتلة لجؤوا بدورهم إلى نفس المدينة .

وبهذه الهجرات – من هنا وهناك – انبثق نوع جديد من التلاقح الفكري على مستوى المغرب العربي ، وصارت مدينة فاس ملتقى لهذا التلاقح ، بينما استمرت عناصر علمية أصيلة تزدان بها مدن من الجزائر .

وفي إطار هذا كله عرف المغربان – في ميدان التعليم والتأليف – بارقة تجديد تلقائي ، ولو أنه محدود ، وخاضع لأسلوب الاختصار الذي صار طابع الثقافة الإسلامية في هذا العصر .

* * *

(١) جاء في التاريخ الباشي عن الحاضرة التونسية في هذه الفترة : « وقد كان العلم – لأول دولة الترك – قد ارتفع منها بالمرة » ، نقله – باختصار – في إتحاف أهل الزمان ج ٢ ص ١١

وهكذا استجد بالمغرب الأقصى دراسة بعض العلوم العقلية ، بعدما وفد إلى فاس محمد بن خروف الأنصاري التونسي ، وكان بارعاً في المنطق والكلام وأصول الفقه والمعاني والبيـــان[١] ، والغالب أن الذي تجدد بالمغرب هو دراسة هذه المواد على طريقة المتأخرين .

كذلك انبعث في نفس الجهة دراسة الهندسة بفاس ومراكش ، وهنا نحيل إلى بحث منشور في هذا الصدد[٢] ، وإنما نشير إلى انبعاث تعليم الطب بالمغربين - معاً - اعتماداً على ألفية ابن سينا ، وقد علق عليها – بتلمسان – محمد بن يوسف السنوسي شرحاً مات دون إكماله[٣] ، وأقرأها بفاس كل من عبد الرحمان سفين العاصمي[٤] ، وعبد الوهاب

(١) يقول عنه أبو حامد محمد العربي الفاسي : « الشيخ الإمام ، وحيد عصره بالمغرب في الأصلين ، والبيان ، والمنطق ، أبو عبــد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي ، وكان قد قرأ في تونس ومصر وغيرهما ... وأقام بفاس تقرأ عليه تلك العلوم ، فهو مجدد سند تعليمها بالمغرب ، وعنه أخذت على الحقيقة » « مرآة المحاسن » ص ٩

(٢) انظر : محمد المنوني : أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي » مجلة « دعوة الحق » : السنة التاسعة ، العدد الثاني ، ص ١٠١ - ١٠٤

(٣) أحمد بابا التنبكتي عند ترجمة السنوسي من « نيل الابتهاج » ، المنشور بهامش الديبـاج المذهب لابن فرحـون ، مطبعة المعاهد بالقاهرة عام ١٣٥١ ﻫ ص ٣٢٥ - ٣٢٩

(٤) جاء عنه أنه كان يشارك في الطب ويحسن ألفية ابن سينا ، حسب =

الزقاق (١) ، وعبد الواحد بن عاشر (٢) ، وبفـــمارة : عبد الوارث بن عبد الله اليلصوتي (٣) .

= مخطوطي : فهرسي المنجور : الكبرى والصغرى ، ونقل أحمد بابا التنبكتي عن نسخة ثالثة من فهرس المنجور : « يقرىء ألفية ابن سينا » « نيل الابتهاج » ص١٧٧

(١) شرح أرجوزة طبية لناظمها القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العلج ، خ ، ع ، ج ١٦٢ ، وهو يذكر في مدخلها أنه قرأ جل أرجوزة ابن سينا على أستاذه عبد الوهاب الزقاق .

ومن الجدير بالإشارة أن المؤلف يذكر اختصاصه بالسلطان السعدي عبد الله الغالب ، وقد ورد ذكره ـ عرضاً ـ في « مناهل الصفا » بوصف حاجب نفس السلطان ، ص ٢١٢ ، وعده في نزهة الحادي ص ٥١ من وزرائه مع وسمه بالجنوي ومثله في « الاستقصا » ج ٥ ص ٥٧

(٢) محمد ميارة : في ترجمة أستاذه ابن عاشر ، من مخطوط « نظم اللآلي والدرر ، في اختصار مقدمة ابن حجر » ، خ . ع ك ٩٣١ : عند الفصل الأول .

(٣) « دوحة الناشر » ص ٦ ، ووقع في نسبه من « الدوحة » المطبوعة : البصلوتي بتقديم الصاد على اللام ، وهو تحريف عن اليالصوتي بتقديم اللام ، نسبة إلى يلصو بفتح أوله وسكون ثانية وضم الصاد ، ويقال إنه ابن محمد بن أبان ابن الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، كما يذكر أنه دخـــل المغرب عام ٩٠ هـ حيث نزل بقبيـلة بني زروال من قبيـــل الأخماس ، قال أبو الربيع سليمان الحوات : واتخذها داره حتى لقي الله ، وبقي بها أعقابه ، وهم ـ إلى اليوم ـ منتشرون ، وقبره فيها مزارة كبرى على مرحلتين من شفشاون ... وعوام تلك الناحية يقولون له يارزو » .

قال في « دوحة الناشر » عن نسب الشيخ عبد الوارث الذي نعلق عليه : =

ومن أواخر هذه الفترة بدأت مدارس الزوايا الصوفية في الظهور ، في مناهج تعتمد المواد الدينية والعربية ، مع تكوين أخلاقي رفيع ، وكان أول ما عرف منها بالمغرب الأقصى مدرسة تستاوت الملحقة بزاوية الشيخ محمد بن مبارك الزعري[1] عند عمالة خنيفرة ، ثم تتابع ظهور هذه المدارس بالأطلس المغربي على امتداد أقسامه ، وفي الصحراء وفاس .

* * *

وقد بدأت حركة التأليف تنتظم - أكثر - بالمغرب ، وفي الميدان الفقهي عرفت مدينة فاس نهضة جديدة تهدف إلى لون من فلسفة الفقه المالكي : باستنباط أصول مسائل الخلاف ، واستنتاج قواعد المذهب ، ومقارنة مسائله ، مع مراعاة تطورات المجتمع المغربي انطلاقاً من المائة الهجرية التاسعة .

= « ويقال إن يالصو هذا جده هو يلصو بن عبد الله بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه » ، وقد عقب أبو الربيع الحوات على هذه الفقرة وقال : « وهو خطأ صراح » ، إذ ليس في بني أبان بن عثمان من اسمه عبد الله .

انظر عن يالصو هذا مخطوطتي :

« سنا المهتدي » لعلي مصباح الزرويلي : عند خاتمة الكتاب .

مع « الروضة المقصودة » لأبي الربيع سليمان الحوات : عند الباب السابع ، لدى ترجمة محمد بن سعادة الخمسي .

(١) هناك إشارة لهذه المدرسة وتسمية زمرة من طلابها الذين بلغ عددهم ألف طالب ، حيث ورد ذلك بتقييد لمؤلف مجهول الاسم في الترجمة المباركية ، حسب نسخة مخطوطة منه في المكتبة الملكية رقم ٧٢٦

وقد ساهم في خدمة هذا الاتجاه مجموعة من أكابر الفقهاء المشترعين : أبو الحسن الزقاق ناظم أرجوزة « المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب »(١) .

ثم أبو العباس أحمد الونشريسي التلمساني نزيل فاس ، مؤلف كتب « المعيار » و « إيضاح المسالك إلى قواعد الامام مالك » مع « عدة الفروق » في تلخيص مافي المذهب من الجموع والفروق(٢) .

وألف محمد بن أحمد بن غازي « كليات المسائل الجارية عليها الأحكام »(٣) .

وعمد عبد الواحد الونشريسي إلى « نظم كتاب إيضاح المسالك » لوالده نظماً مستوعباً مع إضافة زيادات موضوعية ، وله - سوى هذا - نظم كثير من نظائر المذهب وكثير من مسائله (٤) .

(١) نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية ضمن شرحه للمنجور .

(٢) أول هذه المؤلفات وثالثها منشوران بالمطبعة الحجرية الفاسية ، والثاني مخطوط في نسخ متعددة ، منها واحدة عتيقة متلاشية ، غير أنها مذيلة بثلاثة تقاريظ ، آخرها لمحمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم ٨٥٢٢ ، وهناك نسخة بخزانة وزان رابعة ، مجموع رقم ٦٨٠ ، ومن المقرظين عليها : عبد الرحمن ابن محمد الجذامي الشهير بالبردعي ، وأحمد الغرناطي الشهير بالأندلسي ، وابن يجبش آنف الذكر ، وأحمد بن محمد الحباك ، وعبد الواحد الونشريسي ابن المؤلف ، وأخيراً أحمد العبسي .

(٣) نشر الموجود منها بالمطبعة الحجرية الفاسية .

(٤) « فهرس المنجور » عند ترجمة أستاذه الونشريسي ، ونظمه المشار له =

ووضع أبو العباس المنجور « شرحاً على أرجوزة المنهـج المنتخب » الزقاق ، كما « شرح نظم أستاذه عبد الواحد الونشريسي لكتاب « إيضاح المسالك[1] » .

وأخيراً : أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي نزيل الجزائر ، وهو ناظم « أرجوزة اليواقيت الثمينة ، في العقائد والأشباه والنظائر في فقه عالم المدينة[2] » .

وقد انبثق عن هذا المجهود الفكري ظهور تشريعات فقهية تساير

= لايزال مخطوطاً ، ومنه نسخة بالمكتبة الملكية رقم ٦١٥٥ ، وهي مذيلة بتقريظ عليها ، نظمه ـ في بحر الرجز ـ تلميذ المؤلف ومعلم أولاده : عبد الرحمن الكولالي والد أبي سالم إبراهيم الكولالي الفقيه النوازلي المعروف .

(١) علم من التعليق رقم ٣ في الصفحة السابقة : أن شرح المنجور للمنهج المنتخب منشور ، أما المؤلف الثاني فلا يعرف عنه سوى ذكره عند ترجمة الونشريسي من فهرس الشارح حيث يذكر أن الشرح لايزال لم يخرج من مبيضته .

(٢) هكذا ورد اسم المنظومة في ترجمة موجزها عند المحبي في « خلاصة الأثر » : المطبعة الوهبية بالقاهرة ، ج ٣ ص ١٧٣ – ١٧٤ ، غير أن الأرجوزة حددت عنوانها ، في الأبيات الختامية : « باليواقيت الثمينة ، فيما انتمى لعالم المدينة » ، وقد فرغ من نظمها بمدينة الرباط ، بتاريخ الجمعة من صفر عام ١٠٣٩ هـ .

لاتزال هذه المنظومة مخطوطة في نسخ قليلة خاصة أو عامة ، ومنها واحدة بخط جزائري ـ أول مجموع ، خ ، ع ، ك ١١٦٧ ، ويوجد شرحها بالخزانة نفسها لمحمد بن أبي القاسم السجلماسي – بخط مغربي – ، آخر مجمـوع يحمل رقم ك ١١٨٤

التطور المغربي في ميادين الأحوال الشخصية والمعاملات ، وهي المسائل التي صارت تعرف بالعمل الفاسي ، حيث ألم بنبذة منها أبو الحسن الزقاق أواخر منظومته « الزقاقية » في المسطرة القضائية ، ثم توسعت مسائل هذه العمليات ، لتظهر مجموعتها في فترة لاحقة ، منظومة في أرجوزة العمل الفاسي ، لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي [١] .

وقد ازدهرت في الحقبة التي نعرضها كتابة التراجم انطلاقاً من :

« النجم الثاقب فيما للأولياء من المناقب » لمحمد بن صعد التلمساني [٢] .

و « دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر » لمحمد بن عسكر الشفشاوني [٣] .

و « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » ، لمحمد بن مريم التلمساني [٤] .

و « جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس » ، مع

---

(١) تكرر نشرها هي واللامية الزقاقية بالمطبعة الحجرية والسلكية : منفردتين ومشروحتين .

ونستدرك هنا فنشير إلى أن ظاهرة جمع القواعد في هذه الفترة ، استخدمها أبو العباس أحمد زروق في تأليف رسالته التي تحمل اسم « القواعد » ، غير أن هذه تناولت التصوف وأصوله ، في ٢١٧ قاعدة منشورة بالمطبعة العلمية بمصر عام ١٣١٨هـ

(٢) لايزال مخطوطاً في نسخ قليلة ، منها واحدة في مجلد بالمكتبة الملكية رقم ٢٤٩١

(٣) نشرت ـ مرتين ـ بالمطبعة الحجرية الفاسية .

(٤) منشور في المطبعة الثعالبية بالجزائر .

« درة الحجال في أسماء الرجال » : الاثنتان لأبي العباس ابن القاضي الفاسي .

و « أزهار الرياض » و « نفح الطيب » مع « روضة الأزهار العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين : مراكش وفاس » : الثلاثة لأبي العباس المقري التلمساني نزيل فاس [١] .

هذا فضلاً عن فهارس الأشياخ والتراجم الشخصية .

وقد كان أشهر طبيب مؤلف في هذه الفترة هو أبو القاسم الوزير الغساني الفاسي ، ويقول عنه الدكتور الفرنسي رينو : « إنه عقلية مستثناة بالنسبة إلى عصره والجو الذي عاش فيه ، وينبغي الحكم على عمله بموازنته مع الكتب العديدة في مادة الطب لمؤلفين آخرين من العرب » [٢] .

وقد كان من مظاهر النشاط الثقافي في الحقبة ذاتها ، بعث حركة التعريب بكل من المغرب وتونس ، محاولة للاستفادة من معطيات الانبعاث بأوروبا ، وإسهاماً في بوادر النهضة الحديثة ، وصارت هذه الظاهرة — بالمغرب الأقصى — من اهتمامات كل من المنصور السعدي وابنه زيدان .

ففي أيام المنصور قام أبو القاسم الوزير الغساني الفاسي بترجمة مؤلف إلى العربية ، وأعطى الترجمة اسم « مغني اللبيب عن كتب أعداء

---

(١) هذه المؤلفات الخمسة كلها منشورة ، وأكثرها تكرر طبعه .

(٢) كتاب (العلم عند العرب) تأليف المستشرق الايطالي الدومييلي : الترجمة العربية المنشورة في مطابع دار القلم بالقاهرة ، ص ٤١٨

الحبيب » ، ولم يوضح المصدر المعني بالأمر موضوع الكتاب المعرب ، ولا يبعد أن يكون في الطب أو الصيدلة .

وقد أنجزت — في نفس العصر — ترجمة أخرى تناولت مؤلفاً طبياً بمباشرة أبي العباس أحمد بن أحمد بن الحسن المسفيوي المراكشي [١] .

وجاء عن زيدان : أن أسيراً إيرلاندياً يحمل اسم أنطوان ، كان يترجم — برسمه — الكتب اللاتينية إلى القشتالية ، وعن هذه اللغة ينقلها بعض الأعلاج إلى العربية [٢] .

ولا يبعد أن تكون هذه نفس الطريقة التي تمت — بواسطتها — الترجمتان الواقعتان على عهد المنصور ، حيث أشير لهما وشيكاً .

وقد كان في بلاط زيدان مترجم من مهاجري الأندلس : شهاب الدين أحمد بن قاسم بن أحمد الحجري الملقب بأفوقاي ، وبعد وفاة مخدومه قام بالمهمة نفسها لدى ولديه : (عبد الملك الثاني ثم الوليد) .

---

(١) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » مجلة « اللسان العربي » : العدد الأول ، ص ٥٣ - ٥٥

وهناك نشرة ثانية مزيدة للدراسة نفسها : في صحيفة « معهد الدراسات الإسلامية في مدريد » : المجلدان ١١ ، ١٢ سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤م ، ص ٣٢٩ — ٣٥٨

ونشرة ثالثة مزيدة أكثر في مجـلة « دعوة الحق » : السنة العاشرة ، العدد الثالث ، ٧٤ — ٩١

(٢) Gaston Deverdun (Marrakech des origines à 1912) Editions techniques Nord — Africaines — 1959 — I Texte — Page 434 .

والظاهر أن من مترجمات الشهاب الحجري بالمغرب ، تعريب رسالة الزيج الذي وضعه – في تعديل الكواكب – إبراهيم زاكوط اليهودي الأندلسي السلمنكي ، وكان هذا كتب رسالته بالعبرانية ، ثم نقلها – بمدينة مراكش – إلى القشتالية تلميذ المؤلف : المعلم يوسف الأندلسي ، وعن هذه اللغة ترجمها الحجري إلى العربية .

وبعدما أقام هذا الأخير بالمغرب أكثر من ٣٨ عاماً انتقل إلى حاضرة تونس ، حيث أنجز – بها – ترجمة أخرى بعنوان : « كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، وكان الأصل المعرب – عن القشتالية – ألفه – في فن المدفعية الحديثة – مهاجر أندلسي إلى تونس : إبراهيم غانم بن أحمد غانم الأندلسي ، المعروف – بالإسبانية – بلقب الرباش [1] .

وهكذا : سيكون « كتاب العز والمنافع » رابع المعربات في

(١) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » ، ص ٥٥ – ٦٣ من نشرة مجلة « اللسان العربي » المشار لها وشيكاً ، وقد ورد بهذا المصدر الاشارة إلى النسخة الوحيدة التي كانت معروفة من الزيج الزاكوطي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم ١٤٣٣ ، ثم ظهر بالمكتبة نفسها نسخة ثانية من هذا الزيج برسالته وجداوله ، في سفر مستقل صار يحمل رقم ٨١٨٤ ، وجاء في آخر الرسالة في تعابير ضعيفة هكذا:

« تمت الرسالة للجداول ، ترجمة من عبراني إلى لغة اللتين في لسان رمنص ، وهي اللغة العجمية المتصرفة في بلاد اسبانية ، وهي بلاد الأندلس . على يد المعلم يوشب (يوسف) تلميذ المؤلف للجداول ، وترجمها – من اللسان الرمنص – عبد الله وأسير ذنبه ، الراجي عفو ربه : قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم بن الشيخ ، الحجري الأندلوسي كان الله له بمنه ، آمين » .

الفترة التي نعرضها ، ولحسن الحظ فإن هذه الترجمة مع تعريب الرسالة الزاكوطية ، استمرا معروفين في عداد المخطوطات ، بينما نجهل - الآن - مصير الترجمتين الواقعتين في عهد المنصور الذهبي .

* * *

ونتابع الآن عرض معطيات الجو الثقافي الجديد ، ونشير إلى أن وضع الاحتلال بالمغرب الكبير ، أتاح الظهور لمحاولات تهدف إلى إصلاح الحالة الاجتماعية ، عن طريق أوضاع نثرية أو شعرية ، فكان هناك من يتناول الدعوة إلى الجهاد لتحرير البلاد ، بينما يربط آخرون واقع المغرب بتفاقم البدع ، أو بالانحلال العقائدي أو الخلقي .

* * *

وفي صدد الذين تناولوا الدعوة للجهاد يقول الناصري (١) بمناسبة حديثه عن فترة الغزو الأجنبي بالمغرب الأقصى ، ويبرز انبعاث أدب المقاومة الوطنية :

« . . . ولقد ألف الناس في ذلك العصر التآليف في الحض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والأدباء فيه ونثروا .

فممن ألف في ذلك الباب فأفاد ، الشيخ ، المتفنن ، البارع ،الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي ، قال في « الدوحة » وقفت له على تأليف ألفه في الحض على الجهاد في سبيل الله ، فكان مما

(١) « الاستقصا » ، ج ٤ ص ١١٢

ينبغي أن يتناول باليدين ، ويكتب — دون المراد — باللجين ، أودعه نظماً ونثراً .

وممن نظم في ذلك فأجاد : الشيخ ، الصالح ، المتصوف ، المجاهد : أبو عبد الله محمـد بن يحيى البهلولي ، قال في « الدوحة » : كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله في ذلك أشعار وقصائد : زجليات وغيرها » .

والتأليف الذي أشار له الناصري لا يزال مخطوطاً في نسختين :(خاصة) يتخللها بتر ، والثانية ضمن مجموع رقم ق ٣٣٦ في الخزانة العامة بالرباط ، وهو يحمل اسم « تنبيه الهمم العالية ، على الصدقة والانتصار للملة الزاكية وقمع الشرذمة الطاغية » .

أما أشعار البهلولي فلا يزال مجموعها غير معروف ، وأثبت في«دوحة الناشر » مطالع ثلاث قصائد منها : ثنتان زجليتان ، والثالثة معربة .

* * *

وإلى جانب الدعوة للجهاد اهتم أبو العباس أحمـد زروق الفاسي بنقد بدع التصوف وبالخصوص في كتابيه :

« عدة المريد الصادق من أسباب المقت ، في بيان الطريق القصد وذكر حوادث الوقت » وهو مخطوط متداول .

مع « النصح الأنفع والجنة ، للمعتصم من البدع بالسنة » ، أشار له السوداني (١) .

(١) « نيل الابتهاج » ص ٨٥ ، والغالب أن النصح الأنفع عنوان ثان لكتاب عدة المريد . وهكذا جاء عنوان العدة في مخطوطين اثنين : خ . ع . ق : رقم ٧١٠ آخر مجموع ، مع رقم ١٠٤٥ أول مجموع .

وكان لاتجاه الإمام زروق تجاوب - أكثر - بالمغرب الأوسط ، فوضع أبو حفص عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني الشهير بالوزان كتاباً في الرد على الشابين بالقيروان (١) ، مع العلم بأن المؤلف من الآخذين عن الشيخ طاهر الزواوي تلميذ الشيخ زروق (٢) .

كما أن عبد الرحمن الأخضري نظم الأرجوزة « القدسية » ، في التصوف السني والتحذير من البدع ؛ ووالد ناظمها : الصغير بن محمد الأخضري تلميذ مباشر لزروق (٣) .

وستأتي هذه الأرجوزة رابعة المؤلفات التي تناولت بدعاً خاصة ، ونذكر بعدها موضوع أبي محمد عبد الله الهبطي (٤) ، غير أن هذا اهتم

(١) « فهرس المنجور » عند ترجمة أستاذه اليسيتني ، مع « درة الحجال » رقم ١١٨٤

(٢) انظر ترجمة الزواوي في « نيل الابتهاج » ص ١٣٠ ، وعند ابن مريم في البستان ص ١١٦

(٣) انظر المهدي البوعبدلي : « الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين : الحفصية والتركية وآثارها ، مجلة « الأصالة » ، السنة الرابعة ، العدد ١٩ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، وقد أشار إلى أن الأرجوزة نشرت ناقصة ضمن « مجموعة الرسائل المنيرية » عام ١٣٤٦ هـ ، غير أنها ليست واردة بالمجموعة المشار لها .

وقد نوه بالأرجوزة الأخضرية أبو العباس الطالب أحمد بن طوير الجنة الوداني ، واقتبس منها ٢٥ بيتاً في شروط الذكر وما إليه ، حسب رسالته : « فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان » ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم ٤٠٦

(٤) ترجمته في « دوحة الناشر » ص ٦ - ١٣ ، ولولده محمد بن عبد الله الهبطي « أرجوزة » مطولة في ترجمة والده وأسماء عيون أصحابه ، ولا تزال مخطوطة .

بالبدع بصفة عامة في أرجوزته المطولة التي تحمل اسم : « الألفية السنية ، في تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا في الملة الإسلامية » ، وهو ينقد فيها المجتمع المغربي على سائر المستويات ؛ ولا تزال مخطوطة .

وبالإضافة إلى هذه الألفية خلف المؤلف نفسه منظومـــات صغيرة ورسائل في التحذير من بدع جبال غمارة ، وقد كان موقعهـا في مجاورة منطقة المد البرتغالي ، ولا شك أن هـذا الجوار للمحتل صار له تأثير في وفرة الدعاة بهذه الجهات ، من أقران أبي محمد عبد الله الهبطي وتلاميذه الذين نهجوا طريقته ـ نظماً ونثراً ـ في نقد الابتداع ، وكان منهم :

أبو البقاء عبد الوارث اليلصوتي (١) . وأبو حفص عمر بن عبد الوهاب الحسني العلمي (٢) وأبو الربيـع سليمان الحاج المولي الزجلي (٣) . وأبو القاسم

(١) ترجمته في دوحة الناشر ص ٥ ـ ٦ ، وقد أثبت له أبو العباس أحمد بن عرضون ـ آتي الذكر ـ قصيدة زجلية مطولة ضد جملة من مبتدعات قبيله ، حسب « مختصر مقنع المحتاج في آداب الأزواج » ، ط. ف. ص ٢٦ ـ ٣١

وللشيخ عبد الوارث هذا رسالة لاتزال مخطوطة باسم « المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب » ، وهو يحمل في مواضع منها على الانحراف الصوفي ، في لهجة قوية يبدو أنها موجهة ضد ابتداع الطائفة اليوسفية سابقة الذكر عند التعليق رقم ٢ ص ٨٣٣

(٢) ترجمته في « ممتع الأسماع » : الملزمة ١٠ ص ٧ ـ ٨ ، حيث يقول عنه : « وكان متين الدين ، صلباً في الحق ، قوالاً به ، لايخاف ـ في الله ـ لومة لائم » .

(٣) له قصيدة في جملة من محدثات قبيله ، أشار لها ابن عرضون في مقنع المحتاج المخطوط ، وفي مختصره المنشور بالمطبعة الحجرية الفاسية ، ص ٣١

ابن علي بن خجو الحساني [١] . وأبو العباس أحمد بن الحسن بن عرضون الزجلي [٢] .

* * *

وعلى امتداد المغرب الكبير ظهر – خلال الفترة ذاتها – استعمال التبغ : بالتدخين أو النشوق ، وكانت مناسبة لظهور أوضاع في الدعوة لرفض هذا الوافد ، فحظره الفقهاء المعنيون بالأمر ، ومن بينهم أبو العباس المقري التلمساني ، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي [٣] ، وأبرز هذا الأخير – في فتواه – عواقب استهلاك التبغ على العملة الوطنية حسب الفقرة التالية .

---

(١) يصفه ابن عسكر عند ترجمته بناصر السنة ومميت البدعة ، حسب « دوحة الناشر » ص ١٣ ، ويقول عنه ابن عرضون في « مقنع المحتاج » : « ورسائله في هذا المعنى ـ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ لاتحصى كثرة » هذا بالاضافة إلى ماسجله في شرحه لترجيز مسائل ابن جماعة في البيوع ، حيث نبه على محدثات قبيله ، وشنع على مبتدعاتهم .

(٢) هو مؤلف كتاب : « مقنع المحتاج في أدب الأزواج » الذي يقع في مجلد كبير ، ولا يزال مخطوطاً في نسخ محدودة ، ثم استخرج منه مؤلفه مختصراً نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية في ١٢٠ ص ، وقد تبينا من الإحالات على المؤلفين ضمن التعليقات القريبة نماذج من مناهضة ابن عرضون للبدع المنتشرة بين قبيله .

(٣) نقل محمد ميارة نص الفتويين ـ معاً ـ من خط صاحبيها ، وأثبتها في شرح نظم تكميل المنهج : ط . ف : الملزمة السادسة ص ٨ ، مع كامل الملزمتين : السابعة والثامنة .

. . . .

= ومن الجدير بالإشارة أن جواب أبي زيد بن محمد الفاسي ، نشر – بالمطبعة الحجرية الفاسية – في صفحتين من ورقة واحدة ، غير أنه جاء منسوباً لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، وهو سهو واضح من الناشر ، حيث تبينا أن الجواب منقول من خط صاحبه مباشرة ، وناقله تلميذ للمجيب ، وليس تلميذاً لأبي زيد بن عبد القادر ، وإنما هذا من الآخذين عن ميارة ، حسب ترجمته في طالعه شرح العميري للعمليات الفاسية .

وبعد هذا نوضح أن جواب أبي زيد الفاسي جاء للرد على سؤال في الموضوع ، بعث به – من تطوان إلى فاس – ابن أخي المجيب : أبو حامد محمد العربي الفاسي ، وصاغه في أسلوب مطول استوعب أربع صفحات من الحجم الكبير ، وهذا السؤال هو الذي يسميه الإفراني بـ « سهم الإصابة في حكم طابة » ، حسب ترجمة محرره من « صفوة من انتشر » ، ص ٧١

ونعقب – الآن – بكلام في الاتجاه ذاته ، ورد في جواب لأبي سالم ابراهيم الكلالي ونصه بطوله :

« ... وأما ما يفعله سفلة التجار من سفرهم الاقتصادي إلى أرض الحرب ، والدخول تحت حكمهم ، ونقل ذخائر المسلمين من النقود الجيدة وغيرها من أنواع مايستعينون به ويتقوون على المسلمين بسببه ، فلا يحتاج إلى جلب نص على منع ذلك وتحريمه لشهرة ذلك في كل ديوان ، بل مما شاع وذاع عندهم خسيسة قذرة تستدّ من مجرد سماعها الآذان ، وتطيش من فضيحتها العقول والأذهان ، وهي إعمال السفر لبلادهم ، والدخول تحت قهرهم وحكمهم ، بالنقود الجيدة : الذهب الخالص ، والفضة الخالصة ، وأنواع السلاح وما يؤول إليه ، ودفع ذلك في أعشاب الأرض يسمونه بالنار والدخان ، فهي رزية وما أعظمها ، وبلية وما أخسها ، ومحنة عظيمـــة ولا خالد بن الوليد لها ، ... =

« . . ولو نظر إلى ما عرض فيها من إضاعة المال كما هو صورة الواقع لكان صحيحاً وجلياً ، فقد تطرق من ذلك ضررٌ للإسلام وذويه ، ونفع لأهل الكفر ، بحيث اختصوا بالجيد من سكة الإسلام ، بل واستبدّوا بالكثير من أموال المسلمين ، وفي ذلك ضرر عام يفضي إلى توهين الإسلام وفلّ حدّه ، باستفراغ جلّ ما بأيديهم من عين الذهب والفضة ، وتقوية الكفرة بِمَلْءِ يدهم بما لا ينقص شيئاً من منافعهم وأقواتهم وذخائرهم ، ولا

= ومن أغرب ماحدثني به بعض الثقات من أصحابنا التجار ، بعد أن سألته عن الذهب الجيد الذي كان يتبايع به المسلمون ، وأين ذهب ، وهل هو باق عند الناس في ذخائرهم ، وأين صار ؟ فقال لي : إن التاجر لايختزن الدينار ولا الدرهم لعدم انتفاعه بفضل ذلك ، وإنما يختزن مايكون له فيه ربح . فقلت له فأين ذهب ذهب المغرب كله ، قال لي : عند النصارى دمرهم الله في سلعة الدخان المشموم ، فاستغربت ذلك من قوله ، فقال لي : أحدثك بالواقع لي ، وذلك أني سافرت إلى مدينة سبتة ، أعادها الله دار إسلام ، فأقمت بها قريباً من عشرين يوماً أنتظر سلعة الهند ، لعلي أجد ما أشتري ، فلم أجد شيئاً ، فبينما نحن في انتظار مايظهر من أغراضي ، فإذا بسفن قدمت من عدوة النصارى ، ففرحت ، فلما أرست لم نجد فيها عدا الدخان ، فما كان من صبيحة الغد ، حتى كانت كلها موزونة على ذمة مشتر ، فيها خمس عشرة مائة قنطار ، لم يدفع في ثمنها إلا الذهب الجيد ، وبقيت بعد ذلك من خمسة عشر يوماً مقيماً أنتظر ما نشتري ، فقضيت بعض أغراضي ولم أستكملها بذلة ومهانة ، ورجعت لثغر تطوان فوجدت دخانها كلها قد نفد ، وصار إلى من سخط الله عليه ، فنفدت نقود المسلمين كلها في دخان لا أصل له ولا حقيقة ، ولا منفعة حسية ولا معنوية ، ولا متكلم ولا نكير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون » نقله التسولي في « نوازله » ، أثناء باب الجهاد وملحقاته ، مخطوطة المكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم ٧٩٨ ، ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٥

من عدتهم وعددهم ، وقد منع الشرع من جلب المنافع إليهم من طعام وشمع ، وأحرى السلاح ، وأيّ سلاح أقوى من الذهب والفضة .

فصار مدارها ومآل أمرها إلى إنجاد الكفرة ، وإقعاد المسلمين عن الدفاع ، وأي مفسدة فوق هذا .

على أنه عاد من ذلك ضرر وحرج في السكة يعرفه أهل المعاملات ، وكفى بذلك كله مانعاً » .

ولاعطاء تحريم التبغ صبغته الرسمية ، حكم به قاضي فاس ، وسجل الحكم عليه بذلك ، واستناداً لهذا أمر المنصور السعديّ بإحراق المتداول منها لدى الباعة ، فأحرقت بديوان فاس الجديد[1] .

ونشير - الآن - إلى عالم جزائري كتب في موضوع تحريم الدخان في فترة لاحقة ، وهو عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني ، وقد ألف جزءاً سماه : « محدّد السنان في نحور إخوان الدخان »[2] ،

(١) من جواب مخطوط في نفس الموضوع ، لشيخ الجماعة بفاس : أبي العباس أحمد بن الخياط الزكاري الحسني الفاسي ، مع « النوازل الوزانية الصغرى » ، ط . ف ، ج ١ ص ٢٧٦ ، وديوان فاس الجديد الوارد في الفقرة التي نعلق عليها ، جاء ذكره - أيضاً - في نوازل الشريف العلمي ، ط ، ف ، ١٣٣٢ هـ ، الملزمة ٣٣ ص ٤ ، وهو يورده بتعبير مفسر هكذا : « ... ديوان النصاري كان هؤلاء هم الذين كانوا يتاجرون باستيراد التبغ وبيعه في فاس وغيرها من جهات المغرب » .

(٢) ترجمته في « شجرة النور الزكية » رقم ١٢٠٣

ثم لخص منه أبو سالم العياشي (١) ، وكان بما ورد في تخليصه في سياق ذكر المؤلف .

« . . . ثم نقل كلاماً في تحريه لصاحبه الأستاذ أبي عبد الله محمد السوسي المغربي المتوفى بالجزائر سنة ثلاث وعشرين بعد الألف .. ونقل ما استحضره من كلام جمال الدين مفتي القيروان ، ثم نقل أجوبة في تحريه منظومة لبعض الفاسيين » .

وفي إطار حركة الإصلاح الاجتماعي الذي نتابع عرضه ، اتجه مفكرون – من المغربين – إلى تجديد الدعوة لتوعية الجماهير – رجالاً ونساء – بالتعريف بالعقيدة الإسلامية ، ولاشك أن هذا جاء في موازارة حركة التبشير المسيحي الذي يواكب الغزو البرتغالي والإسباني (٢) .

وتبنّى هذه الدعوة العقائدية بالجزائر : محمد بن يوسف السنوسي في أوضاعه الكلامية التي أضاف لها البراهين السمعية والعقلية ، حتى يتسلح الموحدون بما يدحضون به شبه الإنكار على عقائدهم .

---

(١) « الرحلة العياشية » ط ، ف ، ج ٢ ص ٣٩٦ - ٤٠٠

وتوجد نسخة كاملة من « محدد السنان » بالمكتبة الملكية أول مجموع رقم : ٦٩٢٩ ، بخط محمد بن عبد الرحمان الحسني التادلي ، كتبه بمدينة طرابلس الغرب سنة رجوعه من الحج الفرض ، وفرغ منه يوم الأحد ٢٧ رمضان عام ١١٧٨ ه ، نقله من نسخة بها تصحيف وتحريف في بعض مواضعها ، وأيضاً يتخلل المنتسخ بياض في صفحة كاملة منه .

(٢) انظر « تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها » ، تأليف الدكتور شوقي الجمل ، المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ، ص ١٢١ – ١٢٤

وبالمغرب الأقصى انتدب للاتجاه ذاته عبد الله الهبطي ، وألف بدوره عقائد مبسطة في مستوى الجماهير من الرجال والنساء والصبيان ، ويقول عنه في « دوحة الناشر »[١] : « وكان كثيراً ما يحض على فهم مدلول الشهادتين بل اتخذ ذلك هجيراً وديدنا لما رأى من استيلاء الجهل على الخلق ، وألف في علم الهيللة أجزاء كثيرة ، أكبرها جرماً وأكثرها فائدة : كتاب « الإشادة بمعرفة مدلول كلمة الشهادة » .

واحتذى حذو الهبطي تلميذه أبو القاسم بن خجو الحساني ، وكان يدعو إلى معرفة قواعد الإيمان بالكتابة وباللسان ، ويلقن التوحيد حتى باللهجة الغمارية لمن لا يعرف اللسان العربي[٢] .

ويبدو أن خطر التبشير المشار له ، كان الحافز لإدماج عقيدة التوحيد ضمن الوظيفة الجزولية[٣] ، حيث لا تزال تلتزمها بعض فروع هذه الطائفة المنبثة بسائر جهات المغرب العربي .

* * *

والآن : نتساءل هل خلف المهاجرون الأندلسيون أو الأسرى من الأعلاج تأثيراً في ثقافة هذه الفترة ؟

وفيما يخص الأندلسيين تبيّنا سلفاً ــ أن غالبيتهم وفدوا على الشمال

---

(١) ص ١٢

(٢) ابن عرضون في « مقنع المحتاج » : المخطوط المتكرر الذكر .

(٣) المعني بالأمر هو المعروف « بحزب سبحان الدائم لايزول » ، ويوجد نصه في « النور الشامل » ، تأليف أبي العباس أحمد بن المهدي الغزال ، مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة ، ص ٥١ ــ ٥٣

الإفريقي بعدما قضوا مدة طويلة تحت المسخ والتبديل المسيحي ، لدينهم ولغتهم وثقافتهم ، بما لا يترك أثراً للتعاليم الإسلامية ، ولا يستثنى من هؤلاء سوى بضعة أفراد استطاعوا الحصول على درجة من التثقيف العربي في جو من السرية والحذر(١) ، وقد حافظت النصوص على أربعة أسماء من هذه الفئة نعرضها حسب تسلسلها التاريخي تحقيقاً أو تقريباً .

ويحمل أولها اسم الشيخ شعبان ، عالم الأندلسيين الوافدين على تونس ، وأستاذ مدرستهم التي شادوها بعاصمة الخضراء(٢) .

أما الثاني : فهو الشهاب أحمد الحجري ، سابق الذكر في عداد المترجمين إلى العربية ، وقد ألف — أصالة — كتابين :

« رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب » ، والغالب أن موضوعها وصف رحلته عن الأندلس في هجرته إلى المغرب ، ولا يعرف منها — حتى الآن — سوى فقرات تناقلتها بعض المصادر المغربية .

والمؤلف الثاني الذي وضعه الحجري : هو « ناصر الدين على القوم الكافرين » كتبه — بمصر — باقتراح من عالمها أبي الحسن علي الأجهوري في اثني عشر باباً ، وضمنه مناظراته — بأوربا — مع المسيحيين واليهود(٣)

---

(١) من نماذج هذا الوضع قصة تلقين العربية لمحمد بن عبد الرفيع الأندلسي من طرف والده ، حسب خاتمة « كتاب الأنوار السنية » : المخطوط المتكرر الذكر .

(٢) إتحاف أهل الزمان ، ج ٢ ص ٣٠ .

(٣) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » : الدراسة المنشورة بالعدد الأول من مجلة « اللسان العربي » ، ص ٥٥ ، ٥٧ .

وقد قامت المستشرقة الإيطالية : كيليا شارنللي بنشر القسم الخاص بالمغرب الأقصى من هذا الكتاب ، مع ترجمته إلى الإيطالية ، وذلك عن مخطوطته الكاملة المحفوظة بدار الكتب المصرية . وسيأتي — بعد الحجري — محمد بن عبد الرفيع بن محمد الشريف الأندلسي المرسي الأصل ، التونسي المهجر ، المتوفى - بمكة المكرمة — عام ١٠٥٢ هـ / ٤٢ — ١٦٤٣ م ، وهو مؤلف « الأنوار السنية في آباء خير البرية » رتبها على ثمانية فصول ، ذيلها بخاتمة تشتمل على معلومات نادرة تتناول مأساة الأندلسيين بإسبانيا ، وحياة الجالية الأندلسية بتونس ، فضلًا عن معلومات أخرى عن ترجمة المؤلف نفسه ، وعن حاضرة تونس .

ولحسن الحظ فإن الكتاب لا يزال معروفاً في نسختين مخطوطتين : الأولى مغربية بالخزانة العامة بالرباط رقم ك ١٢٣٨ ، في ٣٦٣ ص ، ويبدو أنها بخط المؤلف الذي تولى مقابلتها بنفسه ، وخطه أندلسي أصيل واضح مليح ملون .

وقع الفراغ من تأليف الكتاب — بحضرة تونس — عشية الجمعة سادس شعبان عام ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥ م ، ومن انتساخه أواخر شعبان المؤرخ به في الأصل .

أما النسخة الثانية : فهي تونسية بالمكتبة العاشورية ، ويبدو من وصفها أنها منقولة عن المخطوطة المغربية ، بواسطة أخرى مكتتبة بتونس العاصمة بتاريخ أواخر جمادى الآخرة عام ١٠٤٩ هـ ، ولا يعرف - الآن - مصير هذا الأصل ، وقد كتبت منه النسخة العاشورية بخط تونسي حديث ، بتاريخ الثلاثاء ١٥ صفر عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .

اقتبس من خاتمة الأنوار السنية محمد بوجندار في « مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح »(١) ، وبواسطة هذا المصدر أورد نفس المقتبس الأمير شكيب أرسلان ، في كتابيه الاثنين : « تعاليق حاضر العالم الاسلامي »(٢) ثم « الحلل السندسية »(٣) .

وأخيراً نشر الأستاذ التونسي عبد المجيد التركي — عن المخطوطة العاشورية — مقدمة الكتاب وخاتمته ، ضمن موضوع : « وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونس »(٤) .

وننتقل الآن إلى المهاجر الأندلسي : يوسف الحكيم ، وكانت له خبرة ببعض العلوم ، ومنها الطب والتنجيم والكلام والفلسفة ، وأقام بفاس ، حيث كان يتردد إلى أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وشهد له بالتقدم في مادتي الكلام والفلسفة (٥) .

وقد يكون هذا مؤلف « النور الباهر في نصرة الدين الطاهر » حيث يسمي نفسه : يوسف بن عبد الله الإسلامي ، وهو يذكر أنه انتقل إلى الاسلام من اليهودية — التي كان من أحبارها — بعد عام ١٠٢٠ هـ / ١١ — ١٦١٢ م .

(١) مطبعة الجريدة الرسمية : الرباط ، ص ٢٠١ — ٢١٦

(٢) الطبعة الثالثة ، ج ٢٠ ص ٢٤ — ٣٥

(٣) المطبعة الرحمانية بمصر ، ج ١ ص ٣٨٠ — ٣٨١

(٤) « حوليات الجامعة التونسية » ، العدد الرابع ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٣ — ٦٣

(٥) « أزهار البستان » ، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، مخطوط المكتبة الملكية رقم ٥٨٣ ، آخر الباب الثالث .

وقد ساق في كتابه — عن التوراة — نصوصاً ناطقة بصحة دين الإسلام ، ولما لم يكن متين العربية فقد ناول الكتاب لقاضي الجماعة بسوس : عبد الرحمن التمنارتي ، فهذب عربيته ، وأتمه يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الثانية عام ١٠٥٣ هـ [1] / ١٦٤٣ م ، والكتاب لا يزال مخطوطاً في ٢٣ ص ، حيث صـــار في حوزة القاضي المرحوم مولاي سعيد بن الحسن بن السعيد العلوي .

وهنا نعيد إلى الذاكرة اسم المعلم يوسف الأندلسي ، الوارد ذكره — سلفاً — بمناسبة قيامه بترجمة رسالة الزيج الفلكي لإبراهيم زاكوط ، حيث نقلها من العبرانية إلى القشتالية .

ويهمنا أن نشير إلى أن هذا يتقدم عصر يوسف الحكيم الذي عاش إلى أوائل المائة الهجرية ١١ [2] ١٧ م ، بينما كان مترجم الزيج الزاكوطي تلميذ المؤلف زاكوط المتوفى في العشرات الأولى من القرن العاشر هـ ق ١٦ م [3] ، فلذلك لا يتوقع أن يكون هذا الأخير هو الذي يحمل اسم يوسف الحكيم .

---

(١) « خلال جزولة » لمحمد المختار السوسي . المطبعة المهدية بتطوان ، ج ٤ ص ١٧٧ — ١٧٨

(٢) تعرف فترة حياته من خلال اتصاله بأبي زيد عبد الرحمن بن محمـــد الفاسي ، وهذا كانت وفاته عام ١٠٣٦ هـ

(٣) انظر : محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » ، لمجلة « دعوة الحق » ، حيث توجد بنشرة هذه المجلة إضافة عن حياة زاكوط : العدد الثالث ، السنة العاشرة ، ص ٨٦

وإلى هنا ينتهي عرض أربعة مؤلفات دونها - بالعربية - ثلاثة من الأندلسيين في المهجر المغربي ، ومن الواضح أن تأثيرها في الحقل الثقافي سيكون ضعيفاً .

وعلى عكس هذه المؤلفات ننوه بموضوعين سبقت الإشارة لها ، وخلفا أصداء ملحوظة .

الأول « زيج » إبراهيم زاكوط اليهودي في تعديل الكواكب ، وكان مؤلفه - بالعبرانية - أقام بتونس عدة سنوات ، وصار لترجمة زيجه تأثير في عدد من المؤلفات الفلكية بالمغرب الأقصى [١] .

الثاني : « كتاب المدفعية الحديثة » ، ألفه - بالاسبانية - إبراهيم غانم الأندلسي ساكن تونس ، وهو الذي ترجمه الشهاب الحجري باسم « كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، فأفادت منه المدفعية التونسية كثيراً [٢] .

وإلى هنا يصل بنا المطاف إلى واقع الأعلاج الذين انتشروا بالمغرب الكبير في الفترة التي نقدمها ، وكان أكثر تأثيرهم من جهة الاستفادة من ثقافتهم التقنية .

ومن نماذج هذا أن فرقة إسبانية استسلمت - بتونس - للقائد سنان باشا ، وأشعروه أنه يوجد من بينهم مائتان وخمسة من رجالهم أهل صناعات غريبة ، وقد أمنهم القائد التركي ، واستخدمهم في تفريغ المدافع وسبك

(١) الدراسة السابقة نفسها ، مجلة « اللسان العربي » العدد الأول ص ٦٣ - ٦٦

(٢) نفس الدراسة والمجلة ، ص ٦١

النحاس ، ويعلق ابن أبي دينار[1] على هذا ويقول : « ومن ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار » .

وبالمغرب السعدي استُخدم الأعلاج في تقنيات معامل السكر ، وتشييد الحصون الدفاعية ، وتنظيم فرق من الجيش المنصوري ، وعلمنا — سلفاً — أن بعض الأعلاج — في بلاط زيدان السعدي — كان يعمل في تعريب الكتب من القشتالية إلى العربية .

* * *

وستكون هذه النقطة خاتمة النماذج التي يعرضها هذا البحث ، وفيها خطوط بارزة لآفاق تطوير حضارة المغرب الكبير تأثراً بواقـــع الغزو الأجنبي ، وما واكبه من الهجرات الأندلسية ، والوجود العثماني ، ووفادات أخرى منوعة .

وقد رأينا في تلك النماذج اقتباساً جديداً مس" الاقتصاد والمهار ، وتناول أنظمة الحكم ووسائل الدفاع ، إلى تجديد في القطـاع الثقافي ، وبالخصوص في انبعاث دراسة العقليات والهندسة والطب ، ومحاولات في حركة التعريب ، إلى مجهودات لتطوير التشريع الفقهي ، وإذكاء الروح الاسلامية وتهذيبها من البدع والمحدثات .

وقد كان مجموع هذه النماذج صالحاً ليكون نواة لبدء انبعاث المغرب الكبير ، والسير به نحو انبثاق عصر النهضة المغربية العربية ، كما بدأ في

(١) « المؤنس » ، ص ١٧٥

الغرب الأوربي عصر النهضة الحديثة ، غير أن الشمال الأفريقي وقف عند البداية ، ليتيح التساؤل :

– لماذا هذا التوقف ؟

– وعلى من تلقى التبعة ؟

– وما طرق العلاج ؟

أسئلة مطروحة تنتظر الإجابة عنها .

الرباط **محمد المنوني**

التعريف والنقد

« روضة المدارس »

نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية

الدكتور محمد زكريا عناني

« هذه دراسة نقدية تحليلية لمجلة روضة المدارس المصرية ، أول مجلة ثقافية علمية تصدر في مصر في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، فكَّر في إصدارها علمان من أعلام النهضة الحديثة في بلادنا ، هما : علي مبارك ورفاعة رافع الطهطاوي .

وعندما صدر العدد الأول منها يوم السبت ١٥ من المحرم عام ١٢٨٧ من الهجرة ، الموافق إبريل سنة ١٨٧٠ ، كانت تطرح هذا السؤال الهام : على أي منهج يكون تحولنا الحضاري ؟ هل نعود إلى الماضي وننعم بالعيش في فردوسه المفقود ، ونقطع كل صلتنا بالحاضر ؟ أم نقفز إلى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد ونهمل كل مواريثنا الروحية والحضارية؟

وكان الجواب حاضراً ، تجسده شخصية رفاعة رافع الطهطاوي ، فهذا الرائد العظيم ثمرة ناضجة من ثمرات امتزاج الماضي بالحاضر » .

بهذه السطور يقدم د . عبد العزيز الدسوقي دراسته عن مجلة « روضة المدارس » التي أنجزها بالإسهام مع الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

وقبل أن نعرض لهذا العمل بالتحليل والنقد ، نود أن ننوّه بالجهود العلمية والأدبية للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، الذي يعد واحداً من أكثر العاملين في حقل الثقافة في مصر إخلاصاً ، وصفاء عبارة ، وسعة معرفة .

وتقع هذه الدراسة في أكثر من أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، تستهلها توطئة كتبها د . مهدي علاّم ، أشاد فيها بالعمل ، وتحدث في إيجاز عن نشأة المجلات الثقافية في أوربا والشرق .

وتأتي بعد ذلك المقدمة التي وضعها الدكتور عبد العزيز الدسوقي ، وتعد بمثابة تحديد للموضوع ، وتعريف بالمنهج الذي اتبعه المؤلفان ، وتقسيمها للعمل فيما بينهما ؛ فالأستاذ محمد عبد الغني حسن كتب البابين الأول والثالث ، أمّا د . الدسوقي فكتب الباب الثاني وشارك في الباب الرابع ، واستقلّ بكتابة المقدمة والخاتمة .

وأظنّ أنه لولا هذه الإشارة لحسب القارىء أن المؤلفين دبّجا معاً كل فصول الكتاب مجتمعة ، ولما عرف أن كلاّ منهما استقل بكتابة قسم معيّن (وإن كان الملاحظ ، مع ذلك ، أن الهوامش لا تظهر ، على نحو عام ، إلا في الباب الثاني وفي بعض فصول الباب الرابع ، فلعل كاتب هذه الفصول ذات الهوامش ، هو نفسه كاتب الباب الثاني) .

والباب الأول يتناول « روضة المدارس وما حولها » ، ويقدم أول ما يقدم فصلاً عن « ملامح العصر » — عصر إسماعيل — من خلال الحديث عن الحركة الثقافية آنذاك ، متمثلة في التعليم وفي تكوين الجمعيات العلمية ، مثل جمعية المعارف ، وفي ظهور المجلات العلمية من قبيل مجلة « يعسوب الطب » و « روضة المدارس » .

وهكذا يقودنا الحديث إلى « مولد روضة المدارس » تحت نظارة رفاعة بك ، مدرس الإنشاء بمدرسة الإدارة والألسن » ، وهو ابن رفاعة الطهطاوي نفسه . وفي هذا الفصل تحليل لافتتاحية العدد الأول ، وهي ، على أهميتها ، لا تحمل توقيع كاتبها ، وقد تضاربت حولها الأقوال ، فذهب د . أحمد أحمد بدوي إلى القول بأنها من إنشاء رفاعة (انظر « رفاعة الطهطاوي بك » ط ١ ص ٦٧) . ومال إلى هذا الرأي الأستاذ محمد خلف الله أحمد (في « معالم التطور الحديث في اللغة والأدب » ١/ ١٤) والأستاذ عمر الدسوقي (في كتابه « في الأدب الحديث » ط ٥ - ١/ ٧٩) وغيرهم ، ولكن الأستاذ محمد عبد الغني حسن - كاتب هذا الباب - يذهب إلى القول بأن الافتتاحية من إنشاء علي فهمي بدليل ما جاء في ثناياها من أن علي مبارك « أحال على الفقير مباشرة تحريرها ، ومناظرة ما يلزم لتحبيرها » ، ومباشر تحرير « الروضة » هو علي فهمي ، كما مرّ بنا .

ويتعرض هذا الباب كذلك لمجلس تحرير المجلة ، وطريقة تبويبها ، كما يعرض لـ « لغة روضة المدارس وأساليب ذلك العصر » وما ظهر فيها من مقالات ونبذ وملاحق كتب . . إلى أن نصل للفصل الختامي في الباب (ص ٨٨) حيث نرى « الروضة » « بين التلقف والتوقف » ، أما التوقف فيأتي بعد قرابة ثمانية أعوام عاشتها في خدمة العلم والثقافة .

والباب الثاني ، عن « الاتجاهات الأدبية والفنية » ، يبدأ بفصل تمهيدي تشبه فيه « روضة المدارس » بالبوتقة التي تنصهر فيها كل العناصر العلمية والثقافية ، وهذا التشبيه ينطبق كذلك على رفاعة ، فقد كان الرجل بوتقة امتزجت فيها عناصر عدة ، شملت الأدب والفكر والاجتماع والعلوم العسكرية والجغرافيا والتاريخ والاجتماع ...

وتتتابع بعد ذلك فصول مختلفة تتعرض لبعض الجوانب الفنية ، فالفصل الثاني موضوعه « بين المقامة والدراسة الأدبية » ، والفصل الثالث يعرض للأنواع الأدبية في المجلة ، ويجيء فصل مستقلّ عن « حسين المرصفي وحركة البعث في النقد العربي الحديث » .

أما الباب الثالث فيتناول « روضة المدارس بين اتجاهات العلم والفكر» وفيه بسط لبعض ألوان الدراسات الاجتماعية والجغرافية والتاريخية والفلسفية » وكذلك لبعض موضوعات العلوم والطب والرياضة التي ظهرت بالمجلة .

ويأتي الباب الرابع ليحدثنا عن « أعلام الروضة وكتابها : حياتهم ومصادر ثقافتهم » ومن هؤلاء الأعلام رفاعة وعلي مبارك وعبد الله فكري وعلي فهمي رفاعة وصالح مجدي وعبد الله أبو السعود ومحمد عثمان جلال وحمزة فتح الله وإسماعيل صبري ومحمد دياب وميخائيل عبد السيد والشيخ علي الليثي والسيد علي أبو النصر . . . وعشرات غير هؤلاء ممن كان لهم دور بارز في حياتنا الثقافية والعلمية .

وتجيء الخاتمة فتحاول أن تحدد « أثر روضة المدارس في الحياة الأدبية والفكرية » فمن آثارها المباشرة أنها كانت « تلبي الحاجات الثقافية والفكرية والروحية التي تحتاج إليها الأمة العربية في نهضتها وتحولها الحضاري » ومن هذه الآثار « إثراء اللغة العربية بمجموعة من مصطلحات العلوم والفنون نتيجة للترجمة والتعريب ، ونقل منجزات الحضارة الحديثة إلى العربية » ، كما أن المجلة أسهمت أيضاً في تطوير الصحافة الأدبية بما خطته من تقاليد جديدة واحتشاد علمي وأدبي وفني وإخراج جديد .

وتنتقل الخاتمة من التعميم إلى التخصيص ، فتتناول بعض أوجه أهمية

« الروضة » فيما يتصل بميادين الأدب والنقد ، وفتح الريادة في مجالات الرواية والأقصوصة والمقال الأدبي والدراسات العلمية .

* * *

هذه خطوط سريعة عرضنا فيها لبعض مناحي هذه الدراسة الجادة الطلية الممتعة ، ولنا ، من بعد ، بعض ملحوظات :

● ينقل الأستاذ مهدي علام في التمهيد عن فيليب دي طرازي قوله « من دواعي الافتخار أن القطر المصري كان سبّاقاً في مضمار الصحافة العربية إلى نشر الجريدتين الأوليين اللتين قرأهما أبناء الضاد ، وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ من كانون الأول سنة ١٨٠٠ في الاسكندرية ... وجريدة « الوقائع المصرية » التي ظهرت في كانون سنة ١٨٢٨ في القاهرة » .

والذي نظنه أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » بل ذكر صحيفة أسماها « الحوادث اليومية » وقد استنتج اسمها استنتاجاً مما ورد في « عجائب الآثار » للجبرتي ، واستنتاجه جاء - على كل حال - في غير موضعه ، لأن الجبرتي ، في معرض حديثه عن الشيخ إسماعيل الخشاب ، يذكر أن « الفرنساوية عينوه في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه كل يوم ، لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخاً عديدة يوزعونها في جميع الجيش . . . فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر .. ولم يزل متقيداً في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله مينو حتى ارتحلوا من الإقليم » .

من هذا النص استدل فيليب دي طرازي « أن الجبرتي روى عن إسماعيل الخشاب أنه كان يعتني بضبط « الحوادث اليومية » ويطبع منه نسخاً ويوزعها على جميع الجيش » ولست أدري ما جدوى نشرة بالعربية يصدرها الشيخ الخشاب بالنسبة لضباط الحملة وجنودها الذين يجهلون العربية ؟

ونضيف أن دي طرازي (ومن تبعه) تخبط أيما تخبط بإزاء تلك الصحيفة المزعومة ؛ إذ نراه في موضع آخر من كتابه (٨٢/١) يقول : إن « أول جريدة عربية هي التي أنشأها نابليون الأول سنة ١٧٩٩ » ثم نراه بعد ذلك يتراجع عن رأيه (دون أن يصرح بذلك) فيورد قائمة بأولى الدوريات التي ظهرت في مصر ، ولا يذكر فيها شيئاً من أمر « الحوادث اليومية » أو « التنبيه » أو أي اسم آخر (انظر ١٦٢/٤) .

وسنعود إلى هذه القضية في مقال مستقل - إن شاء الله - نناقش فيه آراء مؤرخي الصحافة العرب والغربيين .

● وفي التمهيد نفسه ينوّه الأستاذ الدكتور مهدي علاّم كذلك بالترجمات التي قدمها المؤلفان ، وهو تنويه في موضعه ، لولا أنه يضيف « وبلغ من حرص المؤلفين على التعريف بهؤلاء الكتاب أنهم لم يتركوا « أصحاب الوحدات » أي الذين لم تزد مساهمتهم على مقالة واحدة طول عمر المجلة » .

وفي هذا القول شيء من المبالغة لأن المؤلفين لم يلتزما بتقديم ترجمة لكل من كتب في « روضة المدارس » ولا يضير الدراسة في شيء أنها سكتت عن بعض الأسماء المجهولة وغير المجهولة ، من أمثال محمود وهبة (انظر ص ٦٩ من الكتاب) وعبد السلام سلمي (ص ٧٠) وأحمد فتحي

(ص ٧٥) وسليم عمر الحنفي (ص ٧٦) ومحمد الطيب (ص ٧٦) ومحمد قناوى (ص ٧٧) وأحمد بليغ (ص ٧٨) ومحمود الحكيم (ص ٧٩) وعبد الحميد ثابت (ص ٧٩) وحسن محمود (ص ٨٣) بل إن الشيخ حسن العطار (أستاذ رفاعة) يعقد محاورة هامة مع محمود صفوت الساعاتي ، الشاعر الشهير ، وتسجل المجلة هـذه المحاورة (انظر الكتاب ص ١٦٢) ومع ذلك لا يقدم لنا الكتاب دراسة لا عن العطار ولا عن محمود صفوت الساعاتي (وليس لذلك تفسير ، خاصة حين نعرف أن للأستاذ محمد عبد الغني حسن كتاباً صغيراً غاية في الجودة عن الشيخ حسن العطار).

● يتعرض الباب الأول لمسألة « تبويب مجلة روضة المدارس » ولعل المقام كان يتطلب تقديم صور لأغلفة ونسق صفحات بعض الأعداد ، وتسجيل ما إذا كان إخراج المجلة قد طرأت عليه تغييرات أم لا خلال أعوامها الثمانية .

ومما يتصل بهذه النقطة ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن رفاعة جعل « روضة المدارس » على نسق المجلة « الجريـــدة الآسيوية » ومجلة العالمين » اللتين قرأهما في باريس (ومن هؤلاء د . أنور لوقا في كتابه « الرحالة والكتاب المصريون في فرنسا في القرن التاسع عشر » - بالفرنسية) .

ومن ذلك قول فيليب دي طرازي (تاريخ الصحافة ٣/٧٠) إنه بعد وفاة رفاعة « عام ١٨٧٣ خلفه (ابنه علي فهمي) في إدارتها - روضة المدارس - فوسع دائرة مباحثها وزادها تحسيناً) .

وكنت أود لو قارن المؤلف هنا بين « الروضة » والمجلات المعاصرة لها مثل مجلة « الوقائع المصرية » بعد أن أسند أمرها لرفاعة (في ١١ يناير

١٨٤٢ الموافق ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٢٥٧ هـ) ومثل مجلة « الجنان » التي ظهرت في بيروت سنة ١٨٧٠ .

ولم يذكر شيء عن عدد النسخ التي كانت تطبع من « روضة المدارس » ، وفي هذا المقال يفيدنا د . أحمد عزت عبد الكريم (في « تاريخ التعليم في مصر عباس وسعيد وإسماعيل » ، ص ١٥٣ ، ونقل عنه كثيرون مثل د . أحمد بدوي « رفاعة .. » ص ٧٠ و د . عبد اللطيف حمزة « أدب المقالة » ١٢٦/١) أن ما كان يطبع منها ٣٥٠ نسخة ثم زيدت إلى الضعف بعد ذلك .

● يذكر المؤلف أن رفاعة ترجم لفظة Journaux بـ « التذاكر اليومية » وهذا صحيح ، إلا أننا نضيف أنه في « تخليص الإبريز » لا يستقر على ترجمة نهائية للكلمة ، فهو تارة يتحدث عن « أوراق الوقائع » وتارة أخرى يبقي على كلمة جرنال كما هي (ويجمعها على جرنالات أو يذكر صيغة الجمع الفرنسية جورنو) ويورد أحياناً كلمة كازيطة (ويجمعها على كازيطات) فيشير إلى « كازيطات السياسات اليومية » وإلى « كازيطات العلوم اليومية والشهرية » .. الخ (وانظر في ذلك د . محمود فهمي حجازي في « أصول الفكر الحديث عند الطهطاوي » ص ٤٩٩) .

● في ص ٧٧ : « ونقلُ مجلة عن مجلة هو الآن - كما كان من زمان - جائز مباح ، على شرط أن تذكر المجلة أو الصحيفة المنقول عنها » وأظن أن في الجملة شيئاً من المبالغة ، فللمؤلف حقوق ، والنقل تحكمه شروط .

● في ص ٨٣ نقرأ : « . . وهذه الملاحق (ملاحق « روضة

المدارس » تذكرنا بما كانت تصدره مجلة « المقتطف » من ملاحق وهدايا .. من مثل « عائشة التيمورية » لمي" زيادة » .

ولا نظن أن دراسة مي" عن التيمورية صدرت في شكل ملحق أو هدية عن دار « المقتطف » أو غيره ، ولكن دراسة مي" هذه نشرت على حلقات في المقتطف ، ولم تطبع على شكل كتاب إلا في الخمسينات ، ضمن سلسلة « كتاب الهلال » . وما بالنا نكتفي بالظن والأستاذ محمد عبد الغني حسن نفسه يقول في كتابه عن « مي أديبة الشرق والعروبة » ص ١٢٩ :

« وتعترف مي في كلمتها في تأبين الدكتور يعقوب صر"وف بفضله عليها وتشجيعه لها على دراسة هاتين الأديبتين - باحثة البادية ووردة اليازجي — مما شجعها على متابعة الكتابة عن عائشة التيمورية في سلسلة من المقالات في « المقتطف » لم ينتظمها إلى اليوم كتاب واحد » .

● في ص ١٣١ تطالعنا أرجوزة مزدوجة منها :

أمر النبي المصطفى بالطاعه والسمع للسلطان كل الأمه
فاطلب رضا السلطان واعلم أنه عز" من الله الكريم وظله

وهذا النوع من النظم تلتزم فيه قافية موحدة في كل شطرتين ، ولا توافق بين « الطاعة » و « الأمة » .

● يرى د . الدسوقي (ص ١٥٣) أن مقامات صالح مجدي « تعتبر بكل المعايير الفنية والفكرية ريادة حقيقية لفن الأقصوصة في لغتنا العربية » ولسنا نرى في هذه المقامات أكثر من إرهاصة أو محاولة للتخلص شيئاً ما من قيود المقامة ، والاقتراب خطوة من مفهوم « الأقصوصة » ، وإذن فلا بأس من مصطلح « المقامة الأقصوصة » الذي يطرحه د . الدسوقي ،

ولكننا لا نستطيع أن نذهب إلى حد القول بأن صالح مجدي بمقاماته الاثني عشرة « يعتبر رائد الأقصوصة العربية الحديثة » ، ويا ليت د. الدسوقي يجمع هذه المقامات ويقدم لها بدراسة فنية تحليلية ، فربما يدفع نشرها إلى إعادة النظر في أمرها .

● في ص ١٦٢ : يرد ذكر لمصطفى الساعاتي ، وصواب الاسم « محمود صفوت بن مصطفى . . الساعاتي (وانظر عنه عمر الدسوقي في الجزء الأول من « في الأدب الحديث » ص ١٢٤ - ١٣٦) .

● في ص ١٧٦ يذكر اسم « شهاب الدين » في معرض الحديث عن الشيخ عثمان مدوخ ومقالاته في الأغاني والألحان .

ونضيف أن شهاب الدين (محمد بن إسماعيل) يعتبر أول من اهتم بالأغاني والألحان في هذه الفترة ، وكتابه « سفينة الملك » يضم عدداً ضخماً من الأدوار والتواشيح والأشعار المغناة ، وقد صدرها بمقدمة تعتبر من الوثائق الأساسية عن الموسيقى في مصر في منتصف القرن التاسع عشر .

● في ص ٣٢٥ اضطراب مطبعي فبعد السطر الرابع عشر ينبغي الانتقال إلى السطر العشرين من الصفحة التالية ، ونهاية ص ٣٢٧ يتمها السطر الخامس عشر وما بعده من ص ٣٢٥ .

● في ص ٣٤٤ نضيف إلى قائمة مؤلفات صالح مجدي كتاب « حلية الزمن بمناقب خادم الوطن » في سيرة رفاعة الطهطاوي ، وقد حققه د . جمال الدين الشيال ، سنة ١٩٥٨ ، ويعتبر أهم المصادر في دراسة حياة الطهطاوي وإنتاجه .

● في ص ٣٤٦ قائمة بمؤلفــات عبد الله أبي السعود من بينها كتاب يحمل عنوان « قناصة العصر في صلاحية تاريخ مصر » والاسم الصحيح هو « قناصة أهل العصر من خلاصة تاريخ مصر » . وفي القائمة أيضاً كتاب عنوانه « الدار التام في التاريخ العام » والصحيح « الدرس التام . . » ونضيف أن مكتبة بلدية الاسكندرية تضم عدداً لا بأس به من مخطوطات مؤلفات عبد الله أبي السعود .

* * *

ولا ينبغي أن يقف بنا الحديث عند هذا القدر ، بل تنبغي الإشارة في الوقت نفسه إلى بعض مناحي الجودة ، وما أكثرها هنا ، فالعمل شاق ومتشعب ، ولكن المؤلفين قبلا التحدي وراحا يجمعان المادة العلمية في أناة وحذر ، حتى استقام البناء بعد لأي ، وإذا بنا أمام دراسة تمتع القارىء العام وتفيد الدارس المختص . ولقد كنت في الآونة الأخيرة عاكفاً على ترجمة « فن الشعر » لبوالو ، وكنت أظن أن هذا الأثر لم يترجم للعربية من قبل ، إذ لم نسمع بأمرها في كل المراجع الأساسية عن أدبنا المعاصر ، حتى وصلت إليّ هذه الدراسة وإذا بها تحمل إلينا أن الأديب الشهير محمد عثمان جلال ترجم « فن الشعر » ترجمة تتميز بما هو مألوف عنده من ظرف ورشاقة ، غير أنه — كما تسجل الدراسة – لم يتقيد بالأصل الفرنسي فهو يستهل الترجمة بقوله :

لا تحسب المرء يكون ناظما ولا يعدّ في القوافي عالمـا
ولا يكون في القريض عدّه يعرف جزر بحره ومـــدّه
إلا إذا أوحي في القـوافي إليه بالمعنى الرقيق الشافي

أما مستهل" نص" بوالو فيقول :

« على ذرى البارناس كان شاعر جسور .

يدير الفكر - بلا طائل - في فن الشعر وإلى أي مدى يسمق

وفي ما إذا كان لا يحس قط بالإلهام الخفي يأتي إليه من السماء

وما إذا كان نجمه حين الميلاد لم يصغ منه شاعرا

أو أنه سيبقى على الدوام أسيراً لكلال موهبته

ويفكر فيما إذا كان (فيبوس) — أبوللو — لن يعيره إلا أذناً صماء .

وفيما إذا كان (بيجاز) - ملاك الشعراء الموهوبين - سيبقى حروناً معه » .

* * *

ولقد جاء عرض النتائج - في خاتمة البحث - متواضعاً بعيداً عن الإدعاء ، وبحسب الكتاب أنه قدم دراسة تحليلية نقدية عميقة لمجلة « روضة المدارس » ، وأنه أزاح النقاب عن كنوز كانت مجهولة وأشار إلى مبادرات هامة في ميادين العلم والثقافة ، وعرض لسير عشرات من أعلام النهضة في بلادنا عرضاً رصيناً يجمع بين السهولة والدقة العلمية .

وبحسب هذه الدراسة أنها سلطت الأضواء على بعض النصوص الهامة لحسن العطار ورفاعة وعلي الليثي وعثمان جلال ، وهي نصوص ما كان ليهتدي إليها الباحثون لولاها .

ولعل هذا العمل يكون فاتحة لدراسات على نسقه ، تتناول كبريات مجلاتنا الثقافية كالهلال والمقتطف والزهور وأبوللو والرسالة والثقافة وغيرها .

محمد زكريا عناني

تعقيب على نقد

« روضة المدارس »

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

نشكر للأديب الناقد الدكتور « محمد زكريا عناني » اهتمامه البالغ بكتابنا « روضة المدارس — نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية » الذي أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في «مشروع المكتبة العربية » .

فإن الكاتب الفاضل يبدو وقد قرأ صفحات الكتاب - التي أربت على ٤٤٠ صفحة كبيرة — قراءة فاحص واع أو باحث مدقق ، ولم يدع شيئاً في السطور أو بين السطور إلاّ قرأه ، ووقف عنده وقفة متأنية بصيرة .

والحق أن صبر الناقد على قراءة هذا الكتاب بهذه الصفة يعدّ ظاهرة سارّة في قراءة الانتاج العربي الجديد أو في تلقيه بالبحث والمراجعة والمعاودة .

وهي ظاهرة طمأنتنا على أن دنيا العروبة لا تزال بخير ، وأن في الجيل الطالع اليوم خمائر طيبة لوعي ثقافي قرائي جديد .

كما نشكر للدكتور محمد زكريا عناني هـــذا الثناء الكريم الذي أضفاه على مؤلفي الكتاب ، وعلى كاتب توطئته المفيدة الثمينة : الأستاذ الدكتور محمد مهدي علاّم عضو مجمع اللغة العربية بمصر .

وقد كان للناقد الفاضل وقفات في بعض مواطن من الكتاب ساقها على هيئة ملاحظات ، منها قوله :

● (ينقل الأستاذ مهدي علاّم في التمهيد عن فيليب دي طرازي قوله : « من دواعي الافتخار أن القطر المصري كان سباقاً في مضمار الصحافة العربية إلى نشر الجريدتين الأوليين اللتين قرأهما أبناء الضاد ، وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ من كانون الأول سنة ١٨٠٠ في الاسكندرية.. وجريدة « الوقائع المصرية » التي ظهرت في كانون سنة ١٨٢٨ في القاهرة. والذي نظنه أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » ، بل ذكر صحيفة أسماها « الحوادث اليومية » . . .) .

هكذا قال الناقد ، وهكذا أسرف في قوله أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » . فإن النص الذي ساقه الدكتور مهدي علاّم موجود بأكمله في الجزء الرابع من كتاب « تاريخ الصحافة العربية » ص ٤٨٢ في كلمة أخيرة بالكتاب عنوانها : « الخاتمة » . ويبدو أن الناقد الفاضل لم تقع عينه على هـذا النصّ الذي نقله الدكتور مهدي ، فأسّس على ذلك ما أسّس من أن طرازي (لم يذكر بالمرة جريدة باسم التنبيه) .

وهذا النفي القاطع من الناقد يثير في النفس قضية الترفق في الاتهام ،

قبل إبداء الأحكام ، وهي قضية تتصل بالعلم من ناحية ، كما تتصل بالخلق من ناحية أخرى . ومن هذا نوصي بالتأني والترفق والتثبت قبل النفي أو الإثبات . .

● يقول الناقد إننا أغفلنا الترجمة لحسن محمود ص ٨٣ . وهذا اتهام آخر لأننا ترجمنا لهذا الطبيب العالم الرائد ترجمة بلغت صفحتين من قطع الكتاب ، وأتينا على عدد غير قليل من الكتب والرسائل التي ألفها أو ترجمها .

● ويقول الناقد أيضاً في ذلك المعرض إننا لم نقدم في الكتاب ترجمة للشيخ حسن العطار أستاذ رفاعة الطهطاوي . ولا أدري – وقد التزمنا بمبدأ الترجمة لمن كتبوا مقالات وبحوثاً في مجلة روضة المدارس – كيف نجيز الترجمة للشيخ حسن العطار بوصفه أستاذاً لرفاعة الطهطاوي ؟ لو أجزنا هذا الرأي لترجمنا لكل شيخ أو أستاذ لكاتب من كتاب الروضة . وذلك غير وارد ولا معقول .

● يظن الناقد أننا حين تحدثنا عن « مصطفى بكري الساعاتي » . كنا نريد التحدث عن الشاعر « محمود صفوت الساعاتي » . والحق أن الساعاتي الذي نقصده والذي دارت المحاورة بينه وبين حسن العطار هو أديب مصري سابق في الزمن على محمود صفوت الساعاتي . وقد نشر الطهطاوي المحاورة بينهما بعد أن انتقلا إلى رحاب الله بزمن طويل ، أي قبل صدور روضة المدارس بعشرات السنين .. فالشيخ حسن العطار توفي سنة ١٨٣٥ ، وكذلك توفي الأديب الشيخ مصطفى بكري الساعاتي قبل صدور الروضة بزمن . وبهذه المناسبة أقول : إن هذا الشيخ ؛ مصطفى

بكري الساعاتي ، ليس من بيت السادة البكرية بمصر ، ولا هو من الأشراف مثلهم ، وإن هناك في البيت البكري - أو بيت الصدّيق - من اسمه (مصطفى البكري) المتوفّى سنة ١٧٤٩ م ، وهو بالطبع غير « مصطفى بكري الساعاتي » تلميذ حسن العطار وصفيّه ومحاوره .

● كنا نود الترجمة أو التعريف بمن أسماهم الدكتور مهدي علام : « أصحاب الوحدات » أي الذين لم يزد إسهامهم على مقالة واحدة مدة صدور المجلة . من أمثال : محمد الطيب ، محمد قناوى ، عبد الحميد ثابت أحمد بليغ ، ولكن المصادر الكثيرة التي تحت أيدينا لم تزدنا بهم علماً إلا مجرد أسمائهم ، على الرغم من إسهامهم في الأدب أو الترجمة ، رحمهم الله .

ومهما يكن من أمر فإن نقد الأديب الدكتور محمد زكريا عناني لكتابنا « روضة المدارس » هو مبادرة كريمة أو مبادأة طيبة من الناقد الفاضل ، نكرر له الشكر خالصاً من أجلها ، ونرجو منه أن يكون باكورة لجهود طيبة موفقة في عالم النقد والبحث والتأليف . والله شاكره وحافظه . ومن دون شكر الله شكرنا الجزيل .

محمد عبد الغني حسن

« كتاب التحدث بنعمة الله »

لجلال الدين السيوطي

تحقيق وتقديم اليزابث ماري سارتين

E. m. Sartain : Jalal al - din al - Suyuti, Vol.I Biography and Background & Vol.II. «Kitab al-Tahadduth binicmat Allah, PP . 242 & 383, Cambridge University Press, 1975, price : 8.00

(طبع القسم العربي وهـو الجزء الثاني من الكتاب في المطبعة العربية الحديثة ، العباسية ، القاهرة ، مصر)

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

أتحفتنا مطبعة جامعة كمبرج مؤخراً بمجلدين أحدهما بالانكليزية والآخر بالعربية ، فأما الذي بالانكليزية فيبحث في علم التراجم مع مقدمة ضافية عن مصر تحت حكم المماليك الشراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٧ م) ويتطرق إلى حياة السيوطي وإلى الحياة العلمية في أيامه ، وبذلك يختم القسم الأول من الكتاب ، أما القسم الثاني من المجلد الأول فيعرّج على أدب التراجم الذاتية في الأدب العربي الكلاسيكي ، ثم يأتي على وصف المخطوطات التي استعين بها في تحقيق نص السيرة الذاتية للامام السيوطي ، وكان بودي لو أنه أدرج في المجلد الثاني بدلاً من الأول فهو إليه أقـرب وبه ألصق . ويختم المجلد بملاحظات ايضاحية عن النص العربي .

وقد ذيل الكتاب - حسب الأصول - بثبتٍ بالمصادر والمراجع ، فضلاً عن شرح بالانكليزية لطائفة من الألفاظ العربيـة وفهرست للموضوعات وأسماء الأعلام .

أما المجلد الثاني فتحقيق جاد" لكتاب « التحدث بنعمة الله » لجلال الدين السيوطي ، وهو ككل كتب السيوطي يجمع بين المتعة والفائدة ، ويلقي ضوءاً على حياة عالم يعد من أكابر علمائنا في تاريخ التراث العربي ، ويكاد لايمضي يوم دون أن نرجع إلى كتاب من كتبه أو مؤلف من مؤلفاته كمصدر ومرجع في بحوثنا ودراساتنا .

عاش السيوطي ستين عاماً مجيداً (١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) فيكون بذلك قد عاصر الرينيسانس أو عصر النهضة الأوربية ، فكان هو جزءاً من هذه النهضة في العالم الاسلامي ، إذ اشتهر بالتفسير والحديث والمناقشات العلمية والمجادلات الأكاديمية مع خصومه ومنارئيه ، وقد تضمنت ترجمته الذاتية الكثير من ذلك ، وباعتقاد المؤلفة السيدة سارتين أن أسلوب السيوطي جرى على لغة الحديث اليومي الشائع يومذاك ، غير أننا لم نجد إلا القليل مما يؤيد هذا الزعم في مضامين الكتاب .

وليس من شك في أن المؤلفة الفاضلة مصيبة فيما ذهبت إليه من أن تحقيقها إسهام في الدراسات العربية الأساسية ، وأن الكتاب مصدر رئيسي لجميع الدراسات المقبلة عن السيوطي والحياة العقليـة في أواخر عهـد المماليك بمصر .

وأراني في غنى عن القول إن عنوان الكتاب مستوحى من الآية الكريمة : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ . وهو في الحق عنوان مبتكر

لكتاب في موضوع السيرة «الترجمة الذاتية» .

ومن أمتع فصوله الفصل السابع عشر (ج ٢ ص ١٦٠) وعنوانه : (ذكر نعمة الله عليّ في أن أقام لي عدواً يؤذيني وابتلاني بأبي جهل يغمصي كما كان للسلف مثل ذلك) . وفي هذا أورد الامام السيوطي نقلاً عن بعض المصادر ما يلي :

ما كان كبيرٌ في عصره إلا كان له عدو من السّفلة ، فكان لآدم عليه السلام إبليس ، وكان لابراهيم نمرود ، وكان لموسى فرعون ، وكان لمحمد ﷺ أبو جهل .

ومن المعروف في صحيح البخاري وغيره ماقاساه سعد بن أبي وقاص ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، من جهال أهل الكوفة ، وشكواهم إياه لعمر بن الخطاب ، حتى قال له عمر : شكوكَ في كل شيء ، حتى قالوا إنك لاتحسن أن تصلي : فانظروا بالله إلى الذين أسلموا البارحة يزعمون في صاحب رسول الله ﷺ ، الذي كان يُسمى ثلث الإسلام أو ربعه ، أنه لايحسن الصلاة » (ج ٢ ص ١٦٢) .

ولم يخل الكتاب من استطرادات ، على طريقة الأقدمين المألوفة ، من نحو استطراده في مسألة زيادة العمر ونقصه ، ومن سُمّي من هذه الأمة بعبد الرحمن .

وقد أوجدَت الدواعي الفنية ، لطبع الكتاب في مجلدين أحدهما عربي والآخر انكليزي ، صعوبات للقارىء ، فمن ذلك مثلاً أن مستهل الفصل السابع مخروم مع الإشارة إلى وجود هامش ، فإذا بحثت عن الهامش لم تجده إلا في نهاية المجلد الثاني مشروحاً بالانكليزية ، مع أن النص يتطلب الشرح

بالعربية في الصفحة ذاتها ، ولا أدري متى سيُقلع المستشرقون عن هذه المادة الغريبة وهي وضع هوامش بالانكليزية لنصوص عربية ، بعد أن أقلعوا عن وضعها باللاتينية ، فإذا كان القارىء لايفهم الشرح إلاّ بالانكليزية فمن باب أولى أنه لن يفهم النص العربي أيضاً ، فلا جدوى من مراجعته الكتاب ، ثم إن المفروض في المحققة أنها تُحسن العربية وتُحسن الشرح بها ، علاوة على أنها متزوجة من عربي ، فهي عقيلة الدكتور حمدي سكّوت ، على ماتذكر في سلسلة من شكرتهم وأثنت عليهم لمساعدتهم إياها في إعداد الكتاب .

هذه ملاحظة وددتُ أن أذكرها لتتخذ المطبوعات الاستشراقية في المستقبل منحىً جديداً في تحقيقها وطباعتها بهدف تيسير مراجعة المصدر على القارىء ، لاتعسيره .

وكان بالامكان إخراج الجزأين في مجلد واحد ، فما هما من الضخامة بحيث يعسر ذلك ، وكثيرون هم القراء الذين يفضلون الطبعات ذات المجلد الواحد على ذوات المجلدات المتعددة ، إن سمح حجم الكتاب بذلك ، وأنا واحد منهم .

ولقد أوضحت المحققة الفاضلة طريقة تحقيقها لمخطوطة تيوبنجن Tübingen التي اعتمدتها أصلاً ، بالإضافة إلى خمس مخطوطات أخرى راجعتها ، غير أنها لم تصف لنا أياً من هذه المخطوطات ، حتى ولا المخطوطة الأم ، ولم تورد صورة ضوئية لورقة من ورقاتها لنرى مدى الصعوبة والدقة في التحقيق ، بالرغم من أن الكتاب الذي بين أيدينا هو في الأصل رسالة دكتوراه من جامعة كمبرج المفروض فيها — كما يبدو من كلمة الشكر الاستهلالية —

أنها دُرست أو على الأقل روجعت من لدن البروفيسور سارجنت Serjeant والدكتور هوبكنز Hopkins .

ومع أن المحققة تزعم أنها تحاشت الرسم الاملائي القديم للمخطوط ، فإنها لم تراع هذه القاعدة دائماً ، كما في لفظة (مسألة) مثلاً ، حيث وضعت الهمزة على كرسي الياء ، وحقها في الإملاء الحديث أن تكون على كرسي الألف ، وقد برعت ـ والحق يقال ـ في علامات التنقيط ، إلا في مواضع قليلة حيث كان الأفضل وضع الفارزة أو القاطعة بدل النقطة ، ولا سيما حينما يكون ما يليها مستهلاً بالفاء أو الواو .

وقد وقع سهو غريب في العنوان العربي للجزء الأول إذ جاء فيه (لجلال الدين السيوطي) والصواب بإسقاط حرف الجر ، وأكبر الظن أن الرقعة المخطوطة أو « الكليشيه » التي أعدّت في الأصل للجزء الثاني استعملت في الجزأين معاً ، فجاء هذا الخطأ الفاضح ، بيد أنه أياً كانت النواقص فإن الجهد جليل ولن يعدم بين جلة العلماء والباحثين من عرب ومستشرقين الكثير من ألسنة الشكر والثناء والتقدير .

اكسفورد

د. صفاء خلوصي

آراء وأنبـاء

مخطوطات يتيمة في مكتبة شيستر بيتي بدبلن

Unique mss. at chester Beatty Library
Dublin (Irish Republic)

- ١ -

الدكتور صفاء خلوصي

عثرت أثناء بحثي عن المخطوطات النادرة على المجموعة التالية في مكتبة « چيستر بيتي » بدبلن ، أعتقد أنها يتيمة لأنني لم أعثر على نسخ لهـا فيما دوّن من سجلات المخطوطات وفيما ذكره كارل بروكلمان في كتابه الضخم « تاريخ الأدب العربي » وإليكها :

١) رقم المخطوطة ٣٠١٢ « العقيدة » لمحمد بن الحسن بن أصبغ ، ويبحث في العقيدة السنية ، عدد الأوراق ٢٥ ، مقاسها ٢٢٫١ × ١٦٫٢ سم بخط مغربي ، بلا تأريخ ، حوالي القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد .

٢) ٣٠١٦ : « سير شهيرات النساء » لعلي بن محمد بن عليّ بن جميل المعافريّ المالقيّ (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٩ م) وهو مُسَوّدة بخط المؤلف ومن دون عنوان ؛ أوراقه ١٠٧ مقاسـها ١٦٫٣ × ١٢٫٢ سم (بالنسخ) مؤرخ بدمشق ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م[١] .

---

(١) وقد قامت السيدة الدكتورة عائدة الطيبي بتحقيقه للظفر بدرجـة الدكتوراه من جامعة اكسفورد .

٣) ٣٠٢٩ : « مختارات من كتاب الحاوي » لداود بن أبي البيان اليهودي المتطبّب (عاش حوالي القرن ٧ هـ / ١٣ م) وهو يضم مختارات من كتاب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م) أوراقه ١٤٧ ، قياسها ٢٦،٦ × ١٩،٦ (بالنسخ) بخط عمر بن قاسم بن منصور بن المؤدّب . تأريخه ١٣ محرم ٦٥١ هـ (١٥ آذار « مارس » ١٢٥٣ م) .

٤) ٣٠٣٣ : « كتاب الأربعين التساعيّات » لأبي الروح عيسى ابن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشّاب الشافعي المخزومي (ت ٧١١هـ ١٣١١ م) [القسم الثاني من أربعين حديثاً مختاراً] أوراقه ١٦ ، قياسها ٢١،٤ × ١٣،٧ سم (بالنسخ) حوالي القرن ٧ هـ / ١٣ م .

٥) ٣٠٤٥ : « رسالة في ضرورات التضادّ » لعمر الخيّام ، ورقة ٣٧ / ب - ٤٢ / ا

« رسالة في إثبات الصانع » لزين الدين صدقة بن علي ورقة : ٥٠ / ب - ٥٢ / ا

« رسالة في عـلم الباريء » لزين الدين صدقة ، ورقة : ٥٢ / ب - ٥٤ / ا

« تعليقات هندسية » لأبي سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السّجزيّ (عاش حوالي ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م) ، ورقة : ٧٤ / ا - ٨٩ / ب

٦) ٣٠٥١ : « البديع » لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) [رسالة عن مختلف القراءات القرآنية] أوراقه : ١٠٥ ، مقياسها ٣٢،٥ × ٢٥،٤ سم بخط فارسي - كوفيّ ، غير مؤرّخ ، حوالي القرن ٤ هـ / ١٠ م

٧) ٣٠٥٢ : « الحقائق والرّقائق » [مجموعة مواعظ صوفية] منسوبة خطأً إلى أبي القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م) وقد ذكر العنوان بشكل مقلوب أيضاً : « الرقائق والحقائق » .

٨) ٣٠٥٧ : « الثمر الرائق المُجتنى من الحقائق » تلخيص مؤلف مجهول لكتاب « الحدائق لأهل الحقائق » مجموعة الأحاديث الشريفة المختارة لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) أوراقه ١٩٦ بقياس ٢٧ × ١٧٫٨ سم (بالنسخ) بخط علي بن الحسن بن علي العراقي الحنفي ، تأريخه ١٥ شعبان ٧٨٣ هـ (٤ تشرين الثاني « نوفمبر » ١٣٨٢ م) .

٩) ٣٠٥٩ « منهاج البراعة » لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) وهو الجزء الثاني من شرح لنهج البلاغة تصنيف ذي المجدين الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ ١٠٤٤ م) أوراقه ٢٨٥ ، قياسها ٣٠ × ١٩٫٨ سم (بالنسخ) بخط محمد بن أبي الفتح بن أبي الحسن بن أبي العباس ، تاريخه محرم ٦٠٣ هـ / آب « أغسطس » ١٢٠٦ م .

« للبحث صلة » صفاء خلوصي

تعقيب

على مقال للدكتور حسني سبح

قال الدكتور حسني سبح في مقاله : (نظرة في معجم المصطلحات الطبية) المنشور في مجلة المجمع - عدد ربيع الأول ١٣٩٥ / إبريل ١٩٧٥- معلقاً على الكلمات (لائط ولوطي وأوراني) ما يلي :

(والصحيح في اللفظة الأولى : لوطي ولوّاط وسته وستهان) ثم قال في الهامش : (في لسان العرب : ورجل سَتِه : ملازم للأستاه . وفي تاج العروس : وستهان كعثمان : طالبها (أي الاست) أو الملازم لها كالسَّتِه ككتف) اهـ .

لقد وهم الدكتور حسني في اعتباره لفظة ستهان مرادفة لسته . والصواب أن لفظة ستهان جمع أسته ، والأسته بمعنى السته . وعبارة القاموس : السته - محركة - عظمها . والأسته والستاهي - كغرابي - العظيمها ج ككتب وستهان ، وطالبها كالسته - ككتف - والستهم - كزرقم .

وتقدير قوله : الأسته والستاهي - والجمع سته وستهان - والسته والستهم : عظيم الأست وطالبها ، فلفظة ستهان هنا معطوفة على سته لا على الأسته - ومما يدل على ذلك كونها نكرة بينما الكلمات المترجم لها كلها محلاة بال . وفي اللسان : رجل أسته والجمع سته وستهان .

هذا ويفهم من كلام الفيروز أباذي أن الكلمات الأربع : الأسته والستاهي والسُّتْهُم والسته كلها تفيد المعنيين عظيم الاست وطالبها . غير أن

المعجمات الأخرى تذكر للستاهي والستهم والأسته معنى واحداً وهو عظيم الاست ففي تهذيب اللغة (١١٧/٦) قال الليث : السته : مصدر الأسته وهو الضخم الاست ـ ويقال للواسعة من الدبر ستهاء ، وستهم . قلت : يقال : رجل ستهم إذا كان ضخم الاست وستاهي[١] مثله والميم زائدة . وفي الصحاح : رجـــل أسته بيّن السته إذا كان كبير العجز ، والستهم والستاهي مثله . والمرأة ستهاء ابن السكيت : رجل أسته وستاهي عظيم الاست . والمرأة ستهاء وستهم والميم زائدة .

أما السته فجاء في اللسان : وإذا نسبت إلى الاست قلت ستهي بالتحريك وإن شئت استي تركته على حاله وستِيهٌ أيضاً ـ بكسر التاء ـ كما قالوا حرح ـ قال ابن بري : رجل حَرِح أي ملازم للأحراح ، وستِيه ملازم الأستاه والسته : الطالب للاست وهو على النسب كما يقال : رجل حرح قال ابن سيده : التمثيل لسيبويه .

ويتضح من هذا ان السته بمعنى اللوطي . أما الستهان فهو جمع الأسته ومعناه عنـــد كثير من اللغويين العظيم الاست ويفيد أيضاً معنى طالبها عند الفيروزأباذي .

المدينة المنورة

ف . عبد الرحيم
مدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

(١) جاءت كلمات أخرى على هذا الوزن منها : الرؤاسي لعظيم الرأس والأنافي لعظيم الأنف والأذاني للعظيم الأذنين ....

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الأطياف	د. مصطفى حموليلا	دمشق ١٩٧٦
إقليم الجولان	د. صفوح خير	〃 〃
إنتاج النفط والغاز	المهندس نزار الجيرودي	〃 〃
إنشاء البيتون المسلح	د. المهندس محمود نوفل	〃 ١٩٧٥
أمراض جهاز التنفس ١ ـ ٢	د. درتيودور شان	〃 ١٩٧٦
أمراض جهاز الهضم ١ ـ ٢	د. منذر الدقاق	〃 ١٩٧٥
أمراض الدم واللوحات الملونة	د. محمد بديع حمودة	〃 〃
أمراض الكلية	د. يوسف صائغ	〃 ١٩٧٦
البرمنيذس	أفلاطون. ترجمة فؤاد جرجي بربارة الدمشقي	〃 〃
تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة	د. محمد زهير البابا	〃 ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تجارب في الفيزياء الحديثة	د. عدنان مصطفى و د. جان رومانوس	دمشق ١٩٧٥
تشخيص العقاقير ـ القسم النظري	د. هيام شهاب	〃 〃
التكاثر النباتي في الزمر النباتية	د. أنور الخطيب	〃 ١٩٧٣
الجراحة العصبية	د. هشام بكداش	〃 ١٩٧٥
حول الانسان والتنمية « تقرير طوكيو »	اللجنة التنفيذية لندوة روما ترجمة خليل شطا	〃 ١٩٧٦
حول التقاليد المسرحية	جان فيلار . ترجمة سعد الله ونوس	〃 〃
الحيول (رواية)	أحمد يوسف داود	〃 〃
شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	عبد الحميد الراضي	〃 〃
الشموس الثلاث(قصص وحكايا للأطفال)	عدد من المؤلفين . ترجمة ميخائيل عيد	〃 〃
الصحافة	بيير ألبير. ترجمة خير الدين عبد الصمد	〃 〃
الصناعات الغذائية ـ القسم النظري	د. سليمان المصري	〃 〃
الصيدلة الصناعية ـ القسم العملي	د. محمد نزار خوام	〃 ١٩٧٥
الطب الشرعي	د. زياد درويش	〃 ١٩٧٤
الطب الشرعي ـ القسم الثاني علم السموم	د. زياد درويش	〃 ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
العروبة ومظاهر الانتماء الأخرى في الدساتير الراهنة للأقطار العربيـــة	د. جورج جبور	دمشق ١٩٧٦
علم الأراضي	د. فلاح أبو نقطة	= =
علم تأثير الأدوية	د. نذير العظمة	= =
علم التحريك (ميكانيك الهندسة)	س تيموشنكو ورفيقه ترجمة وجيه القدسي ورفيقيه	= ١٩٧١
علم السكون (ميكانيك الهندسة)	س تيموشنكو ورفيقه ترجمه وجيه القدسي ورفيقـه	= ١٩٧٥
علم الصيدلة ـ الجزء الأول ـ القسم العملي	د. محمد نزار خوام	= =
علم الصيدلة ـ الجزء الأول ـ القسم النظري	د. محمد نزار خوام	= =
علم الصيدلة ـ الجزء الثاني ـ المراهم الدوائية	د. زياد منصور	= =
علم الصيدلة ـ الجزء الثاني ـ المراهم الدوائية ـ القسم العملي	د. زياد منصور	= =
علم الصيدلة ـ القسم النظري	د. عدنان حمدة	= ١٩٧٦
علم المستحاثات (الباليونتولوجيا)	د. فؤاد العجل	= ١٩٧٥
الفيزياء الحديثـة للجامعات ـ الضوء والاشعاع	جيمس أ. ريتشـاردز ورفقـاؤه .ترجمة عبد الرزاق قدورة ورفيقيه	= ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الفيزياء الحديثة للجامعات ـ الفيزياء الحديثة	جيمس أ. ريتشاردز، ورفقاؤه ترجمة عبد الرزاق قدورة ورفيقيه	دمشق ١٩٧٦
قصة المادة السيبرنية والكون	البيردو كروك. ترجمة وجيه السمان	〃 〃
الكيمياء التحليلية العملية	د. موفق شخاشيرو ود. عبد المجيد شيخ حسين	〃 ١٩٧٤
الكيمياء التحليلية (القسم النظري)	د. دلال المنجد	〃 ١٩٧٤
الكيمياء الحيوية العامة ١ ـ ٢	د. محمود سعيد دلول	〃 ١٩٧٤
الكيمياء الزراعية العضوية ـ الحيوية ـ الجزء العملي	د. غياث سمينة	〃 ١٩٧٦
مبادىء التوبولوجيا العامة	د. خضر حامد الأحمد	〃 ١٩٧٦
مقدمة في علم الخلية وعلم الجنين	د. هاني رزق	= ١٩٧٦
منارات	سان جون بيرس ترجمة أدونيس	= ١٩٧٦
موجز علم النسج	د. كنمان الجابي	= ١٩٧٩
موجز الميكانيك، الجزء الأول	وجيه القدسي	= ١٩٧٤
الوجيز في الجيولوجيا العامة	د. محمد نصوح الحيمي	= ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه	مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات	الرياض ١٩٧٦
تاج العروس (ج ١٥)	الزبيدي . تحقيق الترزي وحجازي والطحاوي والعزباوي	الكويت ١٩٧٥

تصويبات الأخطاء المطبعية في هذا العدد

ص	س	الصواب
٧٣٧	٦-	لفظاً
٧٩٨	١١	إلي
٧٩٩	٦-	ينشئ
٨٠٣	٧-	١٣٣٨ هـ
٨٢٢	٣	منهمرة
٨٢٢	٧	هالني
٨٢٤	الأخير	الأنور
٨٣٢	٢-	بأخبار
٨٣٦	٨-	لأبي العباس
٨٣١	رقم الصفحة	٨٣٨
٨٤٥	٥-	الأندلسيون
٤٣٠	١٥	من العدد الثاني . يضاف إلى الجملة بعد كلمة نوبة : وإذا ثبت وجود نويّة بمعنى نية .